الفصول المائة في حياة أبي الائمة أميرالمؤمنين

علي بن أبي طالب

هويته الشخصية و حروبه

سيد أصغر ناظم زاده قمي

"المجلد ١"

الاهداء

إلى وليّ اللّٰه الأعظم، إمام العصر، وليّ الأولياء، خاتم الأوصياء، المهدي المنتظر لإقامة القسط والعدل في العالم عجّل اللّٰه تعالى فرجه الشريف.

أُهدي هذا الجهد المتواضع - وإنّ الهدايا على مقدار مُهديها - ورجائي من ناحيته المقدّسة قبوله لينفعنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى اللّٰه بقلب سليم.

العبد الراجي

المحتاج إلى لطفه وعنايته الشريفة

السيّد اصغر ناظم زاده القمي

الإهداء

المقدمة

مقدّمة الطبعة الثانية

تقريظ سماحة آية اللّٰه العظمى لطف اللّٰه صافي

تقريظ سماحة آية اللّٰه جعفر السبحاني

تقريظ سماحة آية اللّٰه الحاج الشيخ محمّد المؤمن

تقريظ سماحة آية اللّٰه محمّد هادي معرفة

المقدمة

الهدف من تأليف هذا الكتاب

علي وليد الكعبة

كلمة في ولادته في جوف الكعبة

تفصيل الواقعة في الحديث

ما قاله رسول اللّٰه في ولادة علي

ما قاله علي بن الحسين في ولادته

ما قاله جعفر بن محمّد الصادق في ولادته

ارتزاقه من لسان النبيّ

تسميته عليّاً كانت من عند اللّٰه

نبذة ممّا ورد في أنّ ولادته كانت في جوف الكعبة

كلمات بعض أعلام أهل السنّة حول الحديث

كلمات أعلام الشيعة حول هذه الأثارة

نموذج من الشعر في ولادته في الكعبة

كلمة حول قوله "فإنّي ولدت على الفطرة"

نسبه الشريف وكنيته وألقابه

نسبه الشريف

كنيته الشريفة

القابه الشريفة

ومن ألقابه الوصيّ

ومن ألقابه يعسوب الدين و يعسوب المؤمنين

ومن ألقابه الانزع البطين

ابوه أبو طالب

اسمه وأولاده

وصية عبدالمطّلب لابنه أبي طالب بحفظ محمّد

ما دلّ على إيمانه

ذبّه الدائم عن رسول اللّٰه

كان أبو طالب مسلماً منذ البداية

ما قيل في إثبات إيمان أبي طالب منذ بداية الإسلام

ممّا يدلّ على إيمانه باللّٰه تعالى وبرسوله أُمور

منها أبو طالب من الأصلاب الطاهرة

منها سعيه في حفظ النبيى بعد قصّة بحيراء

منها ما جرى بينه وبين النبي في الشِّعب

كان أبو طالب أسرّ إيمانه

كان أبو طالب وصيّاً من أوصياء الأنبياء

توضيح و بيان من المجلسي

ايمان أبي طالب على لسان المعصومين

وفاة أبي طالب

امّه فاطمة بنت أسد

كانت فاطمة بنت أسد بمنزلة الأُمّ لرسول اللّٰه

ما قاله جعفر بن محمّد الصادق في حقّها

ما صنع رسول اللّٰه يوم تشييعها وما قاله في حقها

في ذكر أولاد أبي طالب و فاطمة بنت أسد

علي وموضعه من رسول اللّٰه وتربيته في حجره

ما قيل في قرابته

قول ابن أبي الحديد في قرابته

قول ابن حجر العسقلاني الشافعي

قول مجاهد بن جبر أبي الحجّاج

قول المجلسي

قول أبي جعفر استاذ ابن أبي الحديد

قوله في الخطبة القاصعة في موضعه من رسول اللّٰه

شرح الخطبة

القرابة

منزلته الخصيصة به

لم يجد رسول اللّٰه له كذبةً في قول، ولا خطلةً في فعل

اشار إلى اتّباعه له وملازمته إيّاه

اشار إلى ثمرة ذلك الاتّباع

انّه كان يجاور معه في كلّ سنة بحراء

انه اول من اسلم من الذكور

كونه يرى نور الوحي بالرسالة، ويشمّ ريح النبوّة ويسمع صوت الشيطان

انّه حقيق أن يكون خليفة رسول اللّٰه ووصيّه ووارثه

علي أوّل من آمن باللّٰه و رسوله

حول مفهوم الإسلام والإيمان

في الفرق بين الإسلام والإيمان

الولاية من أركان الإيمان

كلمة في إيمان عليّ وإسلامه

نبذة من الأخبار في أنّ عليّاً أوّل من آمن باللّٰه وبرسوله

قول الصحابة وتابعيهم: في مسابقة ايمانه

اتفاق الشيعة وجمهور أهل السنّة على أنّه أوّل من آمن باللّه و رسوله

احتجاج المأمون على الفقهاء في أنّ عليّاً أوْلى النّاس بالخلافة

علي منذ وُلد كان مسلماً

ليس اسلام أبي بكر ولا زيد قبل إيمان عليّ

فيما يمكن ان يرد على سبق إسلامه

الاشكال ٠١

الاشكال ٠٢

الاشكال ٠٣

خاتمة الفصل في نقل بعض الأخبار الواردة في المقام

علي أوّل مَن صلّى مع رسول اللّه

فضيلة الصلاة في الإسلام

علي أوّل من صلّى بعد رسول اللّه

علي أوّل من صلّى جماعةً مع رسول اللّه

نذكر ذيلاً بعض ما ورد من الاخبار فى الباب

حديث ابن الصباغ المالكي

حديث المحقق الاربلي

حديث الكليني

حديث عبداللّه بن مسعود

حديث يحيى بن عُفيف

صورة أُخرى

علي يوم الإنذار

امر اللّه تعالى نبيّه بإظهار دعوته

كلمة حول علي يوم الانذار

توضيح في آية: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"

يوم الإنذار ما آمن أحدٌ إلّا عليّ

من الذين روي من العامة ان عليا آمن وحده يوم الانذار

وممّا يؤيّد الحديث ما رواه أبو رافع

تنبيه وتكملة في الأحاديث المخالفة لما مضى، وجوابها

هذه المنقبة مختصّة بعلي لم يشركه فيها أحد

علي و المؤاخاة بينه و بين رسول اللّٰه

اقسام الاخوّة في الإسلام

كلمة في الاخوّة العامّة في الإسلام

نبذة ممّا جاء في الكتاب والسنّة في الترغيب في الاخوّة والألفة

آيات من القرآن الكريم

و أمّا الأخبار

كلمة في الاخوّة الخاصّة في الإسلام

الحديث في المؤاخاة الأولى

الحديث في المؤاخاة الثانية

تكملة

نبذة من الأخبار في أُخوّة عليّ و رسول اللّٰه في غير يومي المؤاخاة

دلالة حديث المؤاخاة على إمامة عليّ

ما أورده ابن تيميّة على حديث المؤاخاة، وجوابه

شبهة من ابن حزم ودفعها

علي في ليلة المبيت

بذل عليّ نفسه حفاظاً على رسول اللّٰه ونزلت الآية في شأنه

هجرة النبي الى الطائف ثم الى المدينة

ليلة الهجرة و نوم عليّ على فراش رسول اللّٰه

نبذة من الأخبار الواردة في ليلة الهجرة

اشعار في قصّة المبيت

احتجاج المأمون على الفقهاء بقصّة ليلة المبيت في فضيلة عليّ

اقامة عليّ بمكّة ثلاثة أيّام بعد ردّ الودائع

لحوق عليّ برسول اللّٰه بعد ردّ الودائع

هذه منقبة لعليّ لم يشركه فيها أحدٌ، وبعض ما ورد في فضيلته

علي و الزواج من فاطمة

فاطمة الزهراء الطاهرة

عمرها الشريف

منشؤها

كراماتها عند الحمل والولادة

لم سمّيت فاطمة فاطمة

لم سمّيت فاطمة الزهراء

فاطمة سيّدة نساء العالمين

كانت فاطمة عالمة

فاطمة وعبادتها وسيرتها

جلالها يوم القيامة

في حبّ النبيّ إيّاها

الكلام في زواجها من عليّ

كلمة حول النكاح

تاريخ الزواج، ومهرها، و اذن اللّٰه في ذلك

حضور الملائكة في زواج عليّ من فاطمة

لولا عليّ لما كان لفاطمة كفؤ

تفصيل كيفيّة زواج عليّ من فاطمة

علي في غزوة بدر الكبرى

تمهيد

ذكر غزوة بدر الكبرى

كانت غزوة بدر غزوة أعزّ اللّٰه بها الإسلام وأهله

كان عليّ صاحب راية رسول اللّه يوم بدر

تفصيل واقعة بدر

اثبت اللّه بجهاد عليّ يوم بدر قواعد الإسلام

من تولّى عليّ قتلهم من المشركين يوم بدر

علي في غزوة أُحد

غزوة أُحد

تفصيل الواقعة وسببها

قول أبي سفيان: لنا عُزّى... وإجابة رسول اللّه

مقاتلة عليّ لطلحة ورجال من بني عبدالدار يوم أُحد

مقتل مصعب بن عمير، وإعطاء النبيّ اللواء لعليّ

مقتل حمزة وتفرّق النّاس غير عليّ

علي يواصل جهاده وتصيبه جراحات وينادى من السماء: لا فتى...

ثبات علي يوم أُحد وفرار الصحابة كلّهم

استمرار حضوره مع رسول اللّه حتّى غسل عن وجهه الدم

ارسال النبيّ ايّاه بعد المعركة لينظر ما يصنعون

جمهور قتلى أُحد من المشركين قتلى عليّ

عيادة رسول اللّه عليّاً بعد واقعة أُحد

بعض ما ورد من الأخبار في فضل عليّ يوم أُحد

امتياز عليّ في هذه الغزوة بأُمور لم يشاركه فيها أحد

علي في غزوة الخندق

في غزوة الخندق وسببها

تقدّم عليّ إلى عمرو بن عبد ودّ وأحجم عن ذلك المسلمون

ملخّص قصّة غزوة الخندق عن الواقدي وابن إسحاق

كان رسول اللّه ما زال داعياً ربّه

ما ورد في شأنه بعد أن قتل عمرو بن عبدودّ

جملة من الأخبار الواردة في فضل عليّ يوم الخندق

ايراد ابن تيميّة على الحديث وجوابه

ما جرى للفرسان الذين كانوا مع عمرو بن عبدودّ

ما قالته أُخت عمرو في فضل عليّ

امتياز عليّ عن جميع من حضر غزوة الخندق بأُمور

علي و صلح الحديبيّة

صلح الحديبيّة وسببها

ما جرى بينه وبين أصحابه في هذه الواقعة

ما جرى من الحوادث في هذه الواقعة

ما صالح عليه رسول اللّه سهيل بن عمرو وكان الكاتب عليّاً

امتياز عليّ في هذه الواقعة عن غيره

علي في غزوة خيبر

شرح غزوة خيبر

كان عليّ فيها صاحب الراية، وكان الفتح على يديه

نبذة من الروايات الواردة في شأنه في غزوة خيبر

كرامة ممدودٌ ظلّها، ومنقبة تنمو بها الفضائل كلّها

امتيازات أمير المؤمنين في غزوة خيبر

علي في فتح مكّة

فتح مكّة شرّفها اللّه تعالى

قدوم خزاعة إلى المدينة لتخبر رسول اللّه الخبر

قدوم أبي سفيان المدينة لتأكيد العهد

قصد رسول اللّه مكّة خفاءً وقصّة كتاب حاطب الّذي أخذه عليّ

خروج رسول اللّه إلى مكّة ومعه عشرة آلاف من الأصحاب

دخل رسول اللّه مكّة هاتفاً بقوله: 'جاء الحقّ و...'

فضائل عليّ بن أبي طالب في فتح مكّة أُمور

منها قصّة أبي سفيان في المدينة

ومنها قصّة حاطب وأخذ الكتاب من المرأة

ومنها أخذ الراية يوم فتح مكّة من سعد

ومنها من قتله عليّ في مكّة بأمر رسول اللّٰه

ومنها صعوده على منكبي رسول اللّٰه وإلقاء الصنم من فوق الكعبة

تعقيب وتتميم

علي في غزوة حنين

غزوة حنين وسببها

شرح واقعة حنين وهزيمة المسلمين عن رسول اللّٰه

ثبات علي مع رسول اللّٰه في هذه الغزاة

انفراد عليّ في هذه الغزاة بمناقب لم يشاركه غيره من الأُمّة

علي و غزوة تبوك

غزوة تبوك وسببها

مؤامرة المنافقين

الاعذار الواهية للفرار من الحرب

استخلاف عليّ على المدينة وحسد المنافقين

الاستدلال على إمامة أمير المؤمنين

فضيلة فريدة لعليّ لم يشاركه فيها أحد

علي و ابتلاؤه بالحروب في خلافته

نظرة في حروب أمير المؤمنين في خلافته

مبايعة النّاس أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بعد قتل عثمان

كلام عليّ للمتخلّفين عن بيعته

عليّ في حرب الجمل "فرقة الناكثين"

من هم الناكثون؟

نكث طلحة والزبير عهدهما

عليّ و إتمام الحجّة على طلحة و...

عائشة ومنشأ حرب الجمل

فرح عايشه لمقتل عثمان ومطالبتها بدمه عندما بويع عليّ

عائشة تتجهّز بالعدّة والعدد وتقصد البصرة

تذكير أُمّ سلمة عائشة بفضائل عليّ وتحذيرها من الخروج عليه

ماء الحوأب وتذكير آخر لعائشة ثمّ في حفر أبي موسى

قتل عائشة ومن معها رجالاً كثيرين بالبصرة ظلماً وصبراً

مجي ء ابن حنيف إلى عليّ

ذكر مسير عليّ إلى العراق وواقعة الجمل

قدوم عليّ إلى البصرة

التقاء الجمعين وبدأ القتال وسيرة عليّ في القتال

تذكير عليّ أصحاب عائشة لمّا تواقف الجمعان

تذكير عليّ أصحابه

تذكير عليّ الزبير وانصرافه عن الحرب ثمّ مقتله

تذكير عليّ طلحة

التحام القتال واشتعال نار الحرب

العفو العامّ بعد حرب الجمل وعدوته إلى الكوفة

ابن عبّاس والي البصرة

مسير عائشة إلى المدينة

ختام الفصل

عليّ في حرب صفّين

نظرة في حرب صفّين

ما معنى القاسطين؟

سبب واقعة صفّين

مسير عليّ إلى صفّين

مسير معاوية إلى صفّين وسبقه عليّاً واستيلاؤه على الفرات

ارسال عليّ صعصعة إلى معاوية ليُخَلِّيَ بينه وبين الفرات

مبيت عليّ وجيشه عطاشى

خطبة عليّ لأجل إخلاء شريعة الفرات

مروءة عليّ بعد تسلّطه على الشريعة

سيرة عليّ في صفّين

بدء القتال، وما جرى بين عليّ وعمّار و مقتله

نقل آخر من المجلسي

ليلة الهرير وانهزام جُند معاوية

خدعة معاوية ورفع المصاحف ونهاية القتال

عدة قتلى صفّين ومدة القتال

ذكر الحكمين وبدء التحكيم

ظهور مقالة الخوارج بعد صحيفة الصلح

رجوع عليّ إلى الكوفة واعتزال الخوارج

اجتماع الحكمين بدومة الجندل

عليّ ونصيحته لعمرو بن العاص

نصيحة ابن عبّاس لأبي موسى الأشعري

نقاش الحكمين ونتيجة التحكيم وخدعة عمرو لأبي موسى

هرب أبي موسى إلى مكّة

ما جرى بين عليّ وأصحابه بعد قصّة التحكيم

عليّ في حرب النهروان

من هم أهل النهروان؟

اخبار رسول اللّٰه بالخوارج

امر عليّ بطلب المخدج "ذي الثدية" بين قتلى النهروان

ما قاله بعض رؤوس الخوارج لعليّ

سبب نشأة الخوارج

مناظرة ابن عبّاس أهل النهروان

مناظرة عليّ مع الخوارج

ظلم الخوارج و قتل عبداللّٰه بن خبّاب

رواية أُخرى في قصّة عبداللّٰه بن خبّاب

ما وقع لعليّ وأصحابه في طريق النهروان

التقاء العسكرين في الرميلة والقتال بينهما

رجوع عليّ إلى الكوفة

عليّ في الكتاب و السنة

عليّ و آية التطهير، و حديث الكساء

آية التطهير فضيلة عظمى

من شهد واقعة حديث الكساء هم أثنا عشر نفراً

نزول آية التطهير في الخمسة الطيّبين باجماع الأُمة

نبذة ممّا ورد في هذا المجال عمّن شهد الواقعة

حديث أُمّ سلمة

حديث ثوبان

حديث زينب بنت أبي سلمة

حديث عائشة

حديث واثلة بن الأسقع

حديث جابر بن عبداللّٰه

حديث سعد بن أبي وقّاص

حديث صبيح مولى أُمّ سلمة

حديث عبداللّٰه بن جعفر

حديث عبدالرحمن بن سابط

حديث عطيّة

حديث أبي سلمة

احاديث أُخرى من أسباب النزول

مرور النبيّ وقت الصلاة و تلاوة الآية بباب عليّ

احتجاج أهل البيت بالآية

احتجاج عليّ بالآية

احتجاج فاطمة بالآية

احتجاج الحسن بن عليّ بالآية

لفظ حديث الكساء

توضيح في مفردات آية التطهير

في معنى الارادة في الآية

فمن الآيات الواردة بمعنى الإرادة التشريعيّة

ومن الآيات بمعنى الإرادة التكوينيّة

دفع شبهة الجبر

في معنى الإذهاب في الآية

في معنى "الرجس" في الآية

اما الرّجس في اللغة

اما الرجس في التفسير

اما الرجس في القرآن

و امّا الرجس في الأحاديث

نتيجة معاني "الرجس"

في معنى "أهل البيت"

في معنى "التطهير" في الآية

المستفاد من مجموع الآية الشريفة فضيلة أهل البيت وعصمتهم

فيما أورد بعض المعاندين على الآية والجواب عنه

اما الجواب على الإيرادات

عليّ و آية المباهلة

ذكر وفد نجران على النبيّ و واقعة المباهلة

في معنى ألفاظ الآية وتوضيحها

دلالة الآية على أفضلية أهل البيت على غيرهم

في لفظ الحديث

ممّا رواه علماء العامّة في كتبهم

ما رواه العلّامة الجويني بسنده عن الشعبي

ما رواه ابن الصبّاغ المالكي

ما رواه الزمخشري بسنده

ما رواه السيوطي عن مستدرك الحاكم وصحّحه

ما رواه مسلم في صحيحه

ما رواه الرازي

قال العلّامة الجصّاص

و عن محمّد بن عبده

ما رواه علماء الإماميّة

ايراد واهٍ من محمّد بن عبده حول الآية وجوابه

خاتمة في انّ الحسن والحسين إبنا رسول اللّٰه

عليّ و آية المودّة

سبب نزول الآية

اجر الرسالة هو مودّة ذى القُربى

في معنى المودّة في القربى

مودّةُ ذوي القربى استمرار لدين الإسلام

نماذج من الأخبار

ايرادان على الآية وجوابهما

عليّ و آية الولاية

نظرة في آية الولاية

المستفاد من الآية أنّ الأئمّة هم أولياء الأمر

طرق الأحاديث الواردة في شأن نزول الآية

نبذة من الأخبار في سبب نزول الآية

حديث أمير المؤمنين عليّ

حديث أبي ذرّ

حديث الإمام الباقر

حديث ابن عبّاس

حديث عمّار بن ياسر

حديث سلمة بن كهيل

حديث مجاهد

حديث ابن سلام

حديث أبي رافع

حديث أنس بن مالك

فيما قيل من الشعر في آية المودّة

تفسير ألفاظ الآية وتوضيحها

ايرادات واهية على الآية نذكرها مع أجوبتها

ايراد الزمخشري على الاستدلال بالآية

ما أورده الفخر الرازي على الاستدلال

ما أورده الرازاي أيضاً

ما أورده الرواي أيضاً

ما أورده ابن تيميّة

عليّ و آية السقاية

سبب نزول الآية ودلالتها على أفضليّة عليّ وإمامته

نظرة في لفظي السقاية والعمارة في الآية وتوضيح الآية

ايراد صاحب تفسير المنار

سند الحديث

نبذة من الاخبار في المقام

عن القندوزي

و روى السيوطي عن ابن مردويه، عن ابن عبّاس

وعنه أيضاً: عن الشعبي

وعنه أيضاً: عن ابن جرير، عن محمّد بن كعب القرظي

وروى العلّامة الإربلي

وعن ابن المغازلي بإسناده إلى أبي حمزة، عن إسماعيل بن عامر

وفيه أيضاً: عن عبداللّٰه بن عبيدة الربذي

وروى السيوطي عن ابن مردويه

و روى الطبرسي و غيره من المفسرين عن الحاكم الحسكاني، بإسناده عن ابن بريدة، عن أبيه

وروى الجويني بسنده عن عبّاد بن عبدالصمد أبي معمّر، عن أنس بن مالك

و روى الكليني عن أبي بصير، عن أحدهما

وفي "تفسير نور الثقلين" عن "تفسير مجمع البيان"

وممّا يؤيّد أنّها نزلت في عليّ ما رواه في "تفسير البرهان"

عليّ في سورة هل أتى

سبب نزول آيات الأبرار

دلالة آيات الأبرار على فضائل أهل البيت

لفظ الحديث

روى السيوطي عن ابن عباس

و قال الطبرسي في تفسيره

احتجاج المأمون على الفقهاء بهذه الآيات في فضل عليّ

ايرادات على سبب نزول الآية وجوابها

ما قاله ابن حزم الاندلسي

عليّ و آية الإنفاق

نظرة حول الآية

دلالة الآية على فضيلة عليّ

عليّ و آية الإيثار

سيرة الصحابة في الإيثار

الاحاديث في نزول الآية في شأن عليّ

عليّ هو الصراط و السبيل في القرآن

اعتقادنا في الصراط

الصراط المستقيم صراطان

ما قاله المفيد في أنّ عليّاً هو الصراط المستقيم

توضيح معنى أنّ عليّاً هو الصراط المستقيم

نبذة من الأخبار في أنّ أهل البيت هو الصراط المستقيم

نبذة من الأخبار الواردة في أنّ عليّاً هو السبيل في القرآن

عليّ و حديث الثقلين

نظرة في حديث الثقلين

حديث الثقلين وعصمة الأئمّة وطهارتهم الذاتيّة

حديث الثقلين وبقاء الحجّة الإلهيّة إلى يوم القيامة

حديث الثقلين ووجود قائم آل محمّد

مخالفة العترة كمخالفة القرآن هي كفر وضلال

حديث الثقلين وإنّ ظلم أحدهما ظلم للآخر

عناية العلماء من العامّة والخاصّة بنقل حديث الثقلين

صدور حديث الثقلين في مواطن مختلفة

طائفة من الأخبار الّتي رويت بلا مناسبة خاصّة

الاخبار الّتي وردت في مناسبات خاصّة

حديث الثقلين يوم عرفة

حديث الثقلين في مسجد الخيف في منى

حديث الثقلين في غدير خم

حديث الثقلين في مرضه الّذي توفّي فيه

حديث الثقلين في مراجعته من سفر له

حديث الثقلين في خطبة صلاة جمعة

الاحتجاج بحديث الثقلين

توضيح في مفردات الحديث

في معنى العترة

في معنى أهل البيت

تفسير أهل البيت في كلام زيد و جوابه

في معنى: "أُذكّركم اللّٰه في أهل بيتي"

في معنى الثَّقَل

في معنى قوله: "ما إن تمسّكتم به"

في معنى التمسّك بالقرآن والعترة

في قوله: "إنّي تارك فيكم"

السرّ في الوصيّة بالحديث

ان النبيّ سدّ أبواب الصحابة إلى المسجد إلّا باب عليّ

نظرة في قصة سدّ الأبواب

الهدف الحاصل من واقعة سدّ الأبواب إلّا بابه

الفاظ الحديث وطرقه

فيما ورد بسدّ الابواب الّا بابه

حديث عليّ

حديث الباقر

حديث ابن عبّاس

حديث جابر

حديث البراء بن عازب

حديث عبداللّٰه بن عمر

حديث بريدة الأسلمي

حديث سعد بن أبي وقّاص

حديث جابر بن سمرة

حديث زيد بن أرقم

فيما ورد أنّه أحلّ لعليّ ما أحلّه لنفسه

ما رواه عليّ

ما رواه أبو سعيد الخدري

ما روته اُمّ سلمة

ما رواه أبو رافع

ما رواه جابر

ما رواه عبداللّٰه بن مسعود

ما رواه حذيفة بن اُسيد الغفاري

احتجاج عليّ وإثبات فضله بسدّ الأبواب إلّا بابه و...

اعتراف عمر بن الخطّاب لعليّ بخصال ثلاث...

عليّ و حديث الطير

نظرة في حديث الطير و سنده

الفاظ الحديث

حديث أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

حديث ابن عبّاس

حديث سفينة مولى رسول اللّٰه

حديث أنس بن مالك

دعوة عليّ على أنس لكتمانه الشهادة

استشهاد المأمون بحديث الطير

دلالة الحديث أفضيلة عليّ بالخلافة

ايرادات واهية على الحديث مع جوابها

عليّ و حديث المنزلة

كلمة حول حديث المنزلة

ما روي عن النبي بلا مناسبة خاصّة

حديث سعد بن أبي وقّاص

حديث عبداللّه بن مسعود

حديث أسماء بنت عميس

حديث عمر بن الخطّاب

حديث جابر بن عبداللّه الأنصاري

حديث أبي سعيد الخدري

حديث أُمّ سلمة

حديث ابن عبّاس

حديث المنزلة في مناسبات خاصّة

في غزوة تبوك

في فتح خيبر

في يوم المؤاخاة

الحديث في يوم المؤاخاة الاولى

الحديث في يوم المؤاخاة الثاني

في زيارته أُمّ سليم

في يوم سدّ الأبواب

في ولادة الحسنين

في ليلة المعراج

في يوم الغدير

في تفسير آية 'عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ'

في نفرٍ من الصحابة

من مؤيدات حديث المنزلة قوله: "عليّ منّي مثل رأسي"

احتجاجه يوم الشورى

امّا دلالة الحديث على إمامة عليّ بعد رسول اللّٰه

خاتمة فيها: إيرادان على حديث المنزلة وجوابهما

الشكّ في عمومه

الشكّ في حجّيّته

عليّ في يوم غدير خمّ

العناية بحديث الغدير

كلمة في شرح واقعة الغدير

مصادر الحديث

سند الحديث

طرق الحديث

رواة الحديث

المؤلّفون في الحديث

كتب العامّة الّتي روي فيها حديث الغدير

اليك نبذة من لفظ الحديث

مؤيّدات حديث الغدير

مناشدة اميرالمؤمنين بحديث الغدير

مناشدة فاطمة الزهراء بالحديث

مناشدة الإمام الحسن بالحديث

مناشدة الإمام الحسين بالحديث

احتجاج غيرهم بالحديث

فيما قيل من الشعر في غدير خمّ

الوقائع الحادثة حول قضيّة الغدير

افتراق النّاس ثلاث فِرق

الابالسة يحثّون التراب على وجوههم

نزول آية: "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ"

ابتلاء أنس بن مالك بالبرص لكتمان الشهادة

عمى زيد بن أرقم لكتمان الشهادة

دعاء عليّ على أربعة كتموا الشهادة

اظهار المنافقين نفاقهم بعد نصب عليّ بالولاية

اوّل المصافقين لعلي هم أبوبكر و عمر و...

الايرادات الواردة الموهومة على حديث الغدير

شواهد على دلالة حديث الغدير على إمامة عليّ

مثل عليّ و الأئمّة كمثل سفينة نوح

نظرة في حديث السفينة وسنده

لفظ الحديث

حديث عليّ و الرضا

حديث أبي ذرّ الغفاري

حديث ابن عبّاس

حديث أبي سعيد الخدري

حديث سلمة بن الأكوع

حديث عامر بن واثلة

لفظ السفينة في زيارة المعصومين

في وجه تشبيههم بسفينة النجاة

وممّا يؤيّد الحديث ما ورد في "أنّهم أمان لأهل الأرض"

قول رسول اللّٰه: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها"

نظرة في الحديث

سند الحديث

الفاظ الحديث

ما قيل من الشعر في هذا المقام

مثل عليّ في هذه الأُمّة كمثل عيسى في أُمّته

نظرة في حديث التشبيه

ما هو هدف الرسول من تشبيه عليّ بعيسى

نبذة من الأخبار الواردة في هذا المجال

عليّ و شبه صفاته بصفات الأنبياء

نظرة في أحاديث التشبيه

ما المراد من أحاديث التشبيه؟

ما الهدف من أحاديث التشبيه؟

نبذة من الأخبار

رواية الحسين بن عليّ

رواية أبي ذرّ الغفاري

رواية ابن عبّاس

روايات أُخر عن ابن عبّاس، وأبي هريرة، وابن مسعود، وأنس وغيرهم

عليّ مع القرآن والقرآن معه

نظرة في الحديث

نبذة من الأخبار في الباب

قتال عليّ على تأويل القرآن كما قاتل رسول اللّٰه على تنزيله

علم عليّ بالقرآن

اوصى رسول اللّٰه عليّاً بجمع القرآن

ان عليّاً أوّل من جمع القرآن بعد وفاة رسول اللّٰه

ان عليّاً يتولى جمع القرآن

اوصاف مصحف عليّ

مصحف عليّ يتوارثه أوصياؤه الأئمّة من بعده

المصاحف المكتوبة بعد مصحف عليّ وأمدها

لجنة توحيد المصاحف

اتّباع الأئمّة منهج أمير المؤمنين

عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ

نظرة في الحديث

النبيّ يحدّث عمّاراً بهذا الحديث

النبيّ يحدّث أبا رافع بهذا الحديث

معاوية يتثبّت من الحديث لكنّه يعاند الحقّ

نبذة من الأخبار الواردة من الفريقين في الباب

ايراد واهٍ من ابن تيميّة و جوابه

خمسون آية من القرآن الكريم نزلت في حقّ عليّ

المقدمة

بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم

نحمد اللّٰه على حسن منّه و جميل صنعه و توفيقه، ونصلّي و نسلّم

على خير خلقه محمّد المصطفى الأمين و آله الهداة الميامين.

أما بعد، فقد اعدت النظر في الطبعة الاخيرة من كتاب "الفصول المائة في حياة أبي الائمة عليه السلام" بأجزائه الخمسة، فعزمت على إعادة طباعته بعد أن أجريت عليه مزيداً من التغييرات الأساسية المتمثلة في حذف المكررات و اصلاح الأخطاء و التصحيفات و تبديل بعض مصادر التوثيق و تكميل بعض المطالب، و جعلت الكتاب في مجلدين تسهيلاً على القراء الكرام، ويشتمل المجلّد الاوّل على:

الجزء الاوّل: من ولادته عليه السلام الى زواجه مع حروبة.

الجزء الثاني: عليّ عليه السلام في القرآن و السنة.

و يشتمل المجلّد الثاني على ثلاثة اجزاء، و هي:

الجزء الثالث و الرابع: في فضائله و مناقبه.

الجزء الخامس: في الحكومة حتى الشهادة مع تكملة و خاتمة.

أخيراً أدعوا اللّٰه تعالى بالتوفيق و أسال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام القبول و الشفاعة يوم الجزاء.

المؤلّف

مقدّمة الطبعة الثانية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

تم بحمد للّٰه ومنّه طبع "٢٠٠٠" نسخة من كتاب "الفصول المائة" في طبعته الأُولى، وقد تجمّعت لدينا عدّة دوافع لإصدار الطبعة الثانية منه، كان على رأسها إقبال القرّاء الأعزّاء من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومحبّي أهل بيت العصمة والطهارة "سلام اللّٰه عليهم" على هذا الكتاب واهتمامهم به، ومنها أيضاً أنّا نطمح إلى إصدار نسخة منقّحة من الأوهام والأغلاط الّتي وقعت في الجزء الأوّل والثاني من الطبعة الأُولى، وقد تحقّق هذا فعلاً في هذه الطبعة، حيث رفعنا جميع ما وقفنا عليه من تصحيفات وأغلاط مع تكميل بعض المطالب فيهما، كما كان للتشجيع الّذي تلقّيناه من بعض علمائنا العظام "وفّقهم اللّٰه ورعاهم" والتقريظ الّذي كتبوه لنا بخطّ أيديهم دافعاً آخر يضاف لما ذكرناه.

وفي ما يلي ألحقنا جملةً من تقريظات السادة العلماء دامت بركاتهم، كما أضفنا في مقدّمة هذه الطبعة فهارس أجزاء الكتاب الخمسة تسهيلاً للقرّاء الأعزّاء.

المؤلّف

تقريظ سماحة آية اللَّه العظمى لطف اللَّه صافي

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

سبحانك وبحمدك يا ربّ العالمين، يا من اصطفيت من عبادك الأنبياء والمرسلين، وخلفائك المرضيّين، ويا من أكرمت محمّداً صلواتك عليه وآله بالرسالة، وخصصت آله بالاصطفاء كرامة الولاية، وأعطيتهم علم الكتاب وجعلتهم حججك على عبادك، وحفظة وحيك وأُمنائك على شرائعك وأحكامك، وأذهبت عنهم الرجس وطهّرتهم تطهيراً، فقلت في كتابك الكريم: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ"، وقلت: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا"، وقلت: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا"، وقلت: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"، وقلت: "إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ".

فلم تترك يا ربّنا عبادك سدى، ولم تخل الأرض في كلّ عصر وأوان من حجّتك وجادّتك العظمى، وميزانك القويم و صراطك المستقيم، فصلِّ اللّهمّ عليهم صلاة كثيرة دائمة متواترة متواصلة.

اللّهمّ إنّا نشهد أنّك أكملت لنا دينك، وأتممت علينا نعمتك، ورضيت لنا الإسلام ديناً بولاية عليّ عليه السلام ونشهد أنّ رسولك قد بلّغ ما أنزلت إليه فيه، فهو مولى المؤمنين، وأوْلى بهم من أنفسهم، وهو كلمتك التامّة، وحجّتك البالغة، والنبأ والعظيم، وآيتك العظمى، والعروة الوثقى، ولسانك الناطق بحكمك، وعديل كتابك، لا يدخل الجنّة إلا من عرفه وعرف الأئمّة من ولده وعرفوه، ولا يدخل النّار إلا من أنكرهم وأنكروه، اللّهمّ فاكتبنا في زمرتهم، واعل كلمتك وكلمتهم بظهور خاتمهم وقائمهم، الّذي تملأ به الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

وبعد، فإنّ الشريف الايّد، والعالم المسدّد، المتمسّك بحبل ولاء أجداده الطاهرين؛ السيّد أصغر ناظم زاده القمّي، قد خدم مكتبة فضائل أمير المؤمنين عليه السلام خدمة جليلة بتأليف موسوعته الكبيرة الّتي سمّاها "الفصول المائة في حياة أبي الأئمّة عليهم السلام"، واللَّه سبحانه هو الموفّق عباده لكلّ خير، وملهمه إلى هذا العمل الكبير، الّذي يبقى له الذّكر الخالد، ولا يوفّق إلى مثله إلا من جعله اللَّه تحت رعايته وتوفيقه، فجزاه اللَّه تعالى خير جزاء المحسنين. والعلماء والباحثون، وإن ألّفوا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وما يتعلّق بشخصيّته الممتازة ألوفاً من الكتب على مرور الأزمنة والسنين طوال أربعة عشر قرناً، وسوف لا ينقطع ذلك

ما دام الإنسان مفطوراً على حبّ الحقّ والعدل والخير، ولكنّهم جميعاً لم ينتهوا - ولا ينتهون - إلى ساحل هذا البحر العميق، الّذي كلّما غاص الباحثون فيه اكتشفوا أنّه أغور وأوسع ممّا كانوا يظنّون، ولذلك مع هذه الثروة الضخمة من الكتب المؤلّفة في فضائله عليه السلام، والتراث العلمي الغزير المأثور عنه في مثل نهج البلاغة ومستدركاته، لم تستغن البشريّة، وسيّما الأُمّة الإسلاميّة، عن تجديد النظر في فضائله، والتكلّم عن شخصيّته، فالميدان لاجالة النظر في حياته الشريفة المملوءة بالأمجاد والمناقب والمفاخر لا يسدّه حضور آلاف من الرجال الأكابر فيه بمصنّفاتهم وكلماتهم الغالية.

ولذا نعتقد أنّه لا ينتهي تأليف الكتب حول شخصيّة الإمام عليه السلام، وأبعاد عظمته بمرور الأيّام، وكيف ينتهي الكلام عن شخص إلهي عبقري، هو عظيم في المعارف الحقيقيّة، والعلم بالتوحيد وصفات اللّٰه تعالى الجماليّة والجلاليّة، وعظيم في إيمانه بالنبيّ صلى الله عليه و آله ورسالته الكاملة، وشؤونه المتعالية، عظيم في معرفة هذا الكون، عظيم في العدالة والقضاء بالحقّ، عظيم في الشجاعة الروحيّة والجسديّة، عظيم في البطولة والتضحية في سبيل اللّٰه والإيثار، عظيم بشدّته على الظالمين، وبرحمته على الفقراء والمساكين والمستضعفين، عظيم بأدبه وبلاغته، عظيم في إخباره عن الغيوب، عظيم بصبره وزهده ويقينه وبصيرته الدينيّة، وجميع صفاته الروحيّة والنفسيّة، فإنّ في ذلك - بعد اللّٰه تعالى ورسوله النبيّ الأمين - جميع العظماء. بل هو - كما جاء في الحديث الشريف - آية اللّٰه الباهرة الّتي أعطاها اللّٰه تعالى نبيّه الأعظم صلى الله عليه و آله، كما أعطى سائر الأنبياء ما أعطاهم من الآيات البيّنات، والمعجزات الظاهرات.

إنّ الكلام عن فضائل مثل هذا العظيم الّذي صغر عنده قدرة العظماء، إذا صدر من العارف بشؤون أهل البيت عليهم السلام، والمغترف من مجاري علومهم، يدلّ على صفاء الباطن، وخلوص العقيدة، وحياة الفطرة الّتي فطر اللّٰه الناس عليها، وأنّ القيام بمثل هذه الموسوعة الكبيرة ذات "الفصول المائة" يدلّ على أنّ المؤلّف الشريف بلغ مرتبة سامية من العلم، أتاحت له الغوص في هذا البحر الواسع، واستخراج هذه اللئالي والجواهر الثمينة، وورد في روضة هذه الفضائل وجنّة تلك المآثر والمفاخر، وجنى من ثمارها الشهيّة العقلانيّة.

وإذا كانت منزلة الرجال تعرف بقدر روايتهم عن موالينا عليهم السلام، ومعرفة مقاماتهم وفضائلهم، فهذه الموسوعة تدلّ على منزلة عالية لمؤلّفها عندهم إن شاء اللّٰه تعالى.

ختاماً نقدّم أخلص تهانينا لحضرة السيّد الشريف بهذا التوفيق الّذي أكرمه اللّٰه تعالى به، بارك اللّٰه العزيز في عمره، وزاد في العلماء والكُتّاب أمثاله.

حرّره تراب أقدام حفظة آثار العترة الطاهرة

في الثالث من شهر محرّم الحرام ١٤١٣

لطف اللّٰه الصافي لطف اللّٰه به وبوالديه

تقريظ سماحة آية اللّٰه جعفر السبحاني

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

الإمام عليّ جوهرة خلقها اللّٰه، وصاغها النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله

الكلام حول أبي الأئمّة، أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات اللّٰه، وخليفة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، أوّل القوم إيماناً، وأوفاهم بعهد اللّٰه، وأعظمهم مزيّةً، وأقومهم بأمر اللّٰه، وأعلمهم بالقضاء، وليد البيت الإلهي المعظّم، والشهيد في محرابه مجسّداً بذلك حسنَ المطلع وحسن الختام.

[الصفات المذكورة في هذه الجمل ممّا ورد به النصّ من النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وأخرجه الحفّاظ في كتبهم، كالإمام أحمد في مسنده ١:٣٣١ و ٥:١٨٢ و ١٨٩، وأبي نعيم الإصفهاني ١:٦٣ و ٦٧، إلى غير ذلك، راجع: الغدير ٢:٣٣].

الكلام حول أبي الأئمّة... لا يسعُه المقالُ، ولا الكتابُ، ولا الموسوعة؛ لأنّ الإمام جوهرة فريدة خلقها اللّٰه، وصاغها محمّد صلى الله عليه و آله، فما ظنّك بإنسان رُبّي في حجر النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فتسامى في الشخصيّة والخُلق ليكون رائداً إلهيّاً هادياً للأُمّة بعد رحيله صلى الله عليه و آله.

فهذا هو الإمام أحمد بن حنبل يقول: ما لِأحدٍ من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثلما لعليّ رضى الله عنه.

[ابن الجوزي الحنبلي، مناقب أحمد: ١٦٣].

ويصفه تلميذه ابن عبّاس فيقول: ما نزل في القرآن "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" إلا وعليٌّ رأسُها وأميرُها، ولقد عاتب اللّٰه أصحاب محمّد في غير مكان، وما ذكر عليّاً إلا بخيرٍ.

[الإمام أحمد، المسند ١:١٩٠].

ويقول في كلامه الآخر: نزلت في عليّ أكثر من ثلاثمائة آية في مدحه.

[جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء: ١٧٢].

وهذا ضرار بن عمرو أحد أصحابه وحواريّيه يصفه لمعاوية - عندما طلب منه ذلك - قال: واللَّه لقد كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلمُ من جوانبه، وتنطقُ الحكمةُ من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته.

كان واللَّه غزيرَ الدمعة، طويلَ الفكرة، يقلّب كفّيه، ويخاطب نفسه. يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب - إلى أن قال: - فأشهد باللَّه لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدولَه، وغارت نجومُه، وقد مثُل في محرابه، قابضاً على لحيتهِ، يتململ تململ السَّليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأنّي أسمعهُ وهو يقول: يا دنيا يا دنيا، أبي تعرَّضتِ؟ أم إليَّ تشوّقتِ؟ هيهاتَ هيهاتَ غُرّي غَيري، قد باينتكِ ثلاثاً لا رجعة لي فيكِ، فعمرُكِ قصير، وعيشك حقير، وخطرك كثير. آه من قلّة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق.

قال: فذرفت دموع معاوية على لحيته فما يملكها، وهو ينشفها بكُمِّهِ، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال معاوية: رحم اللَّه أبا الحسن، كان واللَّه كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

قال: حزن من ذُبِح وَلَدُها في حجرها، فلا ترقأ عبرتها، ولا يسكن حزنها.

[شرح ابن أبي الحديد ١٨:٢٢٥].

هذه إلماعة إلى محيط فضل عليّ عليه السلام، وقبس من مناقبه الكثيرة الّتي لم تزل المكتبة الإسلاميّة تشهد كلّ يوم جديداً من أروع ما تدبّجه أقلام المفكّرين، ويراعات الأُدباء المبدعين.

وممّا جاء به عصرنا الحاضر كتاب "الفصول المائة في حياة أبي الأئمّة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام" الّذي اختار فيه المؤلّف القدير مائة فصل من فصول ما يرجع إليه شخصيّة إمام المتّقين، وحياته، ومناقبه وفضائله، ونشره في خمسة أجزاء، فجاء سفراً رائعاً جامعاً في كلّ فصل، أبرز ما يتّصل بالإمام من كتابٍ وسنّةٍ، وكلمات مأثورة عن أئمّة الحديث، وحُفّاظ السنّة، فشكر اللَّه مساعي مؤلّفنا العلامة الجليل فضيلة السيّد أصغر ناظم زاده، وجزاه أحسن الجزاء.

إنّ الإمام عليّاً عليه السلام هو الرجل الأمثل الّذي يظنّ بمثله الدهر إلا في فترات قليلة جدّاً، ومن هنا فمهما توالت الكتابات عن الإمام لما وصل الكاتب إلى ساحل هذا البحر الزاخر، فلعلّ هناك فصولاً في شخصيّة الإمام يجب أن يبحث عنها المؤلّفون، ويخوضها المحقّقون، وإن كان الكتاب الحاضر فريداً في بابه، موفّقاً في هدفه، فحيّا اللَّه المؤلّف، وتقبّل منه صنيعه المبارك بفضله وكرمه.

قم - مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام

عشيّة يوم الخمس ١٥ / جمادى الآخرة / من شهور عام ١٤١٣

جعفر السبحاني

تقريظ سماحة آية اللّه الحاج الشيخ محمّد المؤمن

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، وصلواته وسلامه على عباده الذين اصطفاهم، محمّد وآله الطاهرين، لا سيّما عليّ أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، يعسوب الدين، ولعنة اللّه الدائمة على أعدائهم وظالميهم وغاصبي حقوقهم أبد الآبدين.

وبعد، فقد أرسل اللّه رسله بالبيّنات، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم النّاس بالقسط، فكان الكتاب المنزل منه تعالى على الأنبياء مداراً يبيّن به الحقّ من الباطل، ويعطي كلّ ذي حقّ حقّه، والعمل به قيام بالقسط، لكنّ تلك الرسل ليسوا في مرتبة واحدة، بل فضّل اللّه تعالى بعضهم على بعض، منهم من كلّم اللّه، ورفع بعضهم درجات، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، فمن هؤلاء المرسلين من أمر بتأسيس الدولة الإلهيّة، وجُعل إماماً لغيره حتّى للأنبياء والمرسلين الذين في عده، والإمامة الّتي هي عهد من اللّه تعالى لم يعطها كلّ الأنبياء، وإنّما أعطاها من يراه صالحاً لذلك المنصب، كما قال تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ".

[البقرة: ١٢٤].

فكانت الإمامة عهداً له تعالى لم يكن يناله خليله إلا بعد ابتلائه بتلك الكلمات وإتمامه لهنّ، وفي خبر جابر أنّه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: "إنّ اللّه اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، واتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، واتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، واتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً، فلمّا جمع له هذه الأشياء - وقبض يده - قال: يا إبراهيم، إنّي جاعلك للنّاس إماماً، فمن عظمها في عين إبراهيم عليه السلام قال: يا ربّ، ومن ذرّيّتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين".

[أُصول الكافي ١:١٧٥، ح ٤].

فالإمامة خلافة اللّه، وزمام الدين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين، والإمام يحلّ حلال اللّه، ويحرّم حرام اللّه، ويقيم حدود اللّه، ويذبّ عن دين اللّه، الإمام أمين اللّه في خلقه، وخليفته في بلاده، اختاره بعلمه، لم يزل مرعياً بعين اللّه يحفظه ويكلؤه بستره، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده، معصوماً من الزلات، مصوناً عن

الفواحش كلّها، قلّده اللّه دينه، وجعله الحجّة على عباده، وقيّمه في بلاده، ونصبه علماً لخلقه، وجعله القيّم على عباده، وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده.

[هذه الصفات مذكورة في أخبار باب جامع في صفات الإمام - أُصول الكافي ٢٠٤ - ١٩٨ :١].

فمرتبة الإمامة متوقّفة على كمالات عالية نفسانيّة، لا تحصل إلا فيمن كان معصوماً ومصوناً من الزلات والفواحش كلّها، ومستتبعة الإمارة على النّاس، وسلطة وسيعة دنيويّة على خلق اللّه تعالى، كيف وهو خليفة اللّه في بلاده، وقيّم منه تعالى على عباده؟ فبيده أمرُ الأُمّة كلّها.

وكيف كان فهذا المنصب الإلهي لم يجعل إلا للأوحديّ من النّاس، كأُولي العزم من الرسل، ومنهم سيّدنا رسول اللّه خاتم النبيّين وأشرفهم محمّد بن عبداللّه صلى الله عليه و آله؛ وذلك أن اللّه عزّ وجلّ أدّب محمّداً صلى الله عليه و آله نبيّه فأحسن أدبه، فلمّا أكمل له الأدب قال: "إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"، ثمّ فوّض إليه أمر الدين والأُمّة ليسوس عباده، فقال عزّ وجلّ: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا"، وكان هو صلى الله عليه و آله بتسديد اللّه وتوفيقه مسدّداً موفّقاً مؤيّداً بروح القدس، لا يزلّ ولا يخطئ في شي ء ممّا يسوس به الخلق، فتأدّب بآداب اللّه تعالى.

[مأخوذ من صحيح فضيل - أُصول الكافي ٢٦٦:١].

ثمّ إنّه صلى الله عليه و آله أُنزل عليه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بعده، وأُمر بتبليغها للنّاس جهاراً، وأنّه لو لم يفعل لما بلّغ رسالته، فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" [المائدة: ٦٧].

فقد وعده اللّه بالعصمة من النّاس، فنادى الصلاة جامعة بغدير خم بعد رجوعه من حجّة الوداع، فاجتمع النّاس، فقال: "من أوْلى بكم من أنفسكم"؟ فجهر النّاس فقالوا: اللّه ورسوله، فكرّره وكرّروه ثلاث مرّات، فأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: "من كنت مولاه فعليّ مولاه"

[تفسير البرهان: سورة المائدة، ذيل الآية ٦٧].

فنصبه جهاراً بأمر اللّه وليّاً على المسلمين، وقد كان قد بيّن إمامته بعده وولايته على الأُمّة في موارد عديدة مناسبة، فكان هو عليه السلام أمير المؤمنين وإماماً لهم من اللّه تعالى وخليفته وأمينه والقيّم على عباد اللّه بعد الرسول "صلّى اللّه عليهما وآلهما".

إلا أنّ هذه الإمامة العظمى والخلافة الكبرى الإلهيّة بما أنّها مستتبعة لإطاعة النّاس جميعاً، وبما أنّها سلطنة دنيوية، وقيادة ظاهرية على المسلمين، فلذلك لم ينتدب ولم يخضع لدعاء الرسول أهل الدنيا ممّن اجتمعوا

حول الرسول صلى الله عليه و آله وعدّوا من أصحابه، بل ومن كبارهم، فعزموا على الظفر بها وتقمّصها بكلّ قوّة، ولم يقصروا في طريق نجاح مرامهم عن أي ظلم أبداً، ولو كان ضرب البنت الوحيدة الّتي خلّفها الرسول الأعظم بين المسلمين وإسقاط محسنها ولطم خدّها وإيراد أكبر الجنايات عليها الّذي كان فيه شهادتها ورحلتها عن الدنيا ولحوقها بأبيها بعد أيّام قلائل وهي في سنّها الشباب.

وحتّى لو كان هذا الظلم إجبار وليّ أمر المسلمين وأمير المؤمنين على البيعة لمن يروه خليفة، فقد ورد على الإسلام وعلى البشرية أعظم الجنايات، وانحرفت إمامة الإسلام عن المسير الّذي قدّره اللّٰه تعالى ورسوله لها أشدّ الانحراف، عذّب اللّٰه تعالى فاعليها أشدّ العذاب، ولعنهم اللّٰه أشدّ اللعن أبد الآبدين.

ومن الطبيعي أن تكون هذه القدرة الغاشمة بكلّ قوّتها بصدد امحاء أثر ما شاع عن الرسول العظيم في فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام، وأن لا تألو فيه جهداً مع مالها من القدرة والسلطة، ولذلك فقد وقعوا فيه بما لا يقدر اللسان على ذكره حتّى كان سبّه على المنابر - والعياذ باللّٰه - شعاراً الناس مع مَن غلب.

وحينئذٍ فمن العجب العجاب أن يصل إلينا من فضائله عليه السلام هذا المقدار الجمّ، مع الاطمئنان بأنّه قليل من كثير، وليس ذلك إلا أنّ ما شاء اللّٰه كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوّة إلا باللّٰه.

فالكتاب الّذي بين يديك أحد الشواهد على مشيّة اللّٰه تعالى، تلك المشية القاهرة، وقد ألّفته همّة أحد السادة العلماء الأعلام من أولاده عليه السلام وهو حجّة الإسلام الحاج السيّد أصغر ناظم زاده القمّي أدام اللّٰه تعالى أيّام إفاضاته.

فاحتوى الكتاب على شطر من تلك الفضائل لم يستطع العدوّ إخفاءه، واشتمل في كلّ من فصوله المائة على قسم وافر من فضائله الّتي لا تحصى.

ومن خصوصيّات الكتاب أنّ جلّ الفضائل المنقولة فيه - لولا كلّها - قد نقلت عن مؤلّفات العامّة، وقد أمعن السيّد المؤلّف دام تأييده نظره إلى الجهات المختلفة من حياته عليه السلام، وجاء في كلّ واحدة منها بجميع ما عثر عليه في السنّة والآثار، كما أتى بالشرح والبيان مهما رآه محتاجاً إليه، وأزال بعض الشبهات الواهية الّتي أوردها ذوو قلوب مرضى.

والحقّ يشهد على أنّه قد أتعب نفسه النفيسة في تدوينه وتأليفه وتبويبه، فللّٰه تعالى درّه، وعليه سبحانه أجره، والرجاء منه تعالى أن يمتّع اللّٰه بهذا الكتاب الأُمّة الإسلاميّة، ولا سيّما مَن لم يهتد منهم بعد إلى المقام العظيم والشأن الكبير الّذي عند اللّٰه لأمير المؤمنين وأولاده الأطيبين عليهم السلام، وأن يزيد في توفيق سيّدنا المؤلّف دام بقاه، وأن ينفع المسلمين بعلمه الغزير، إله الحقّ آمين.

فنسأل اللّٰه تعالى الهداية إلى الحقّ وإلى الصراط المستقيم، ونتضرّع إليه في تعجيل فرج مولانا ولي الأمر وصاحب العصر الحجّة ابن الحسن أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدّمه الفداء، وفي أن يحفظ لنا النهضة الإسلاميّة وقائدها إلى قيام الحجّة عليه السلام، وأن يصلّي على مؤسّسها الإمام الراحل "قدّس سرّه الشريف"، ونستغفره ونتوب إليه، والحمد للّٰه ربّ العالمين.

قم المشرّفة - ذكرى أيّام ولادة مولانا أمير المؤمنين

رجب المرجّب ١٤١٣هـ.ق - محمّد مؤمن

تقريظ سماحة آية اللّٰه محمّد هادي معرفة

بسمه تعالى

وله الحمد، وسلام على عباده الذين اصطفى محمّد وآله الطاهرين

"حُبُّ عَلِيّ حَسَنَةٌ لَا تَضُرُّ مَعَها سَيِّئَةٌ"

حديث معروف يُنبؤك عن حقيقةٍ ناصعةٍ يتجلّى من خلالها واقع الإسلام الصميم؛ ذلك أنّ الإسلام إن كان مجموعة تكاليف ووظائف وأحكام إلى جنب أُصول ومعارف وتعاليم، فإنّ عليّاً عليه السلام هو واقع الإسلام المتجسّد، وقد تمثّلت في شخصه حقيقة الدين في أُصوله وفروعه، فهو المثال التامّ لبرامج الإسلام العلميّة والعمليّة...

فإذا كان عليّ عليه السلام تنجذب إليه النفوس الحرّة، وتهواه العقول الناضجة، فإنّما هو لما تمثّل فيه من فضائل ومكارم، والّتي بها ترأّس قمّة الإنسانيّة في جميع أبعادها الكريمة... فعليٌّ عليٌّ في صفاته، وعليٌّ في أفعاله...

فالذي ينجذب إليه عليه السلام فإنّما ينجذب لمعالي صفاته ومكارم أخلاقه، وما هي إلا أُسس الإسلام وقواعد الشريعة الحكيمة، فهذا قد انجذب نحو الإسلام المتجسّد في شخص عليّ عليه السلام...

وبذلك ورد الحديث: 'وهل الدين إلا الحبّ والبغض...' فالرغبة في الصلاح، والنفرة عن الفساد، هما اللتان تشكّلان حقيقة الدين و واقعة الأصيل.

هذا من جانب، ومن جانب آخر: أنّ المُحبّ لِمَن أحبَّ سميعٌ.

فإذا كان الإنسان ينجذب إلى شخص لصفات وجدها فيه، فإنّ لازم هذه الجاذبيّة هو التشاكل معه مهما أمكن؛ تحقيقاً لهذا السرّ المكين...

ولذلك فإنّه يراعي في مظاهره وتصرّفاته ما يوجب رضا المحبوب والتوافق معه في العقيدة والفعال، والانخراط في زمرته في نهاية المطاف.

روى أبو الفرج الاصبهاني في الأغاني "٧:٢٧٢" في ترجمة السيّد إسماعيل بن محمّد الحميري، بإسناده المتّصل إلى الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، أنّه لمّا نعى إليه السيّد ترحّم عليه، فقال له بعض من حضر: جُعلت فداك، إنّه كان يشرب الخمر! فقال عليه السلام: 'رحمه الله، فما ذَنْبٌ على الله أن يغفره لآل عليّ! محبّ عليّ لا تَزِلُّ له قدمٌ إلا ثبتت له أُخرى'.

وروى بإسناده أيضاً أنّه عليه السلام قال: 'حدّثني أبي، عن جدّي: 'أنّ محبّي آل محمّد لا يموتون إلا تائبين' وقد تاب - أي السيّد رحمه الله -، ورفع الإمام مصلىً كانت تحته، فأخرج كتاباً من السيّد يُعرّفه فيه أنّه قد تاب ويسأله الدعاء...

نعم، كان السيّد الحميري من عشّاق عليّ عليه السلام، وكان أوّل من بذل جهده في جمع فضائل عليّ ومناقبه، ونظمها شعراً يدور على الألسن في الأندية والمجتمعات... كان يدخل على الأعمش ويأخذ عنه ما أسنده من كرائم أخلاق عليّ ومناقبه ومعاجزه وكراماته، ثمّ ينظّمها في قريض شعره المجيد... هكذا دأب في بثّ مدائح الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ونشرها بين الملأ من المسلمين... جزاه الله عن الإسلام والمسلمين وعن دفاعه عن مقام أهل البيت عليهم السلام خير الجزاء...

وهكذا أصحب جمع فضائل الإمام وتأليف غررها ودررها في مجموعات مرسوماً دارجاً بين عظماء الأُمّة وعلماء الملّة النبهاء... ولا تزال مستمرّة ما دام حبّ الفضيلة رائجاً في نفوس مسلمة حرّة الفكر والعقيدة...

من ذلك... هذا الأثر الخالد بين أيدينا، الفصول المائة في حياة الإمام الكريمة، الّتي جاد بها براعة سيّدنا العلامة الجليل فضيلة السيّد أصغر ناظم زاده، لا زال مؤيّداً من عند الله وموفّقاً بتوفيقه الدائم إن شاء الله...

فقد أجاد في جمع وتأليف درر حياة الإمام الطيّبة وغرر سيرته الكريمة، في نظم وترتيب بديع، ورصف وتبويب لطيف، ممّا ينبؤك عن سهر وتعب كثير تحمّله في هذا المجال، مضافاً إليه ذوقه الظريف في هذا الجمع والترصيف...

والعمد أنّه - دام تأييده - بذل عنايته البالغة في الأخذ من مراجع معتمدة موثوق بها لدى الفريقين؛ ليجعل القارئ على اطمئنان من صحّة ما بين يديه من مقاصد الكتاب.

فجاء الكتاب - بأجزائه الخمسة - جيّداً في أُسلوبه، متيناً في نظمه وترتيبه، قويّاً في برهانه، وافياً في بيانه...، كافياً شافياً، نسأل اللّٰه تعالى أن يديم له توفيق الخدمة للدين ولشريعة سيّد المرسلين، آمين ربّ العالمين.

قم - محمّد هادي معرفة - ١٥ ذو القعدة ١٤١٢

المقدمة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

الأوراق الذهبيّة الّتي بين يديك - عزيزي القارئ - غيض من فيض، وقطرة من المحيط اللامتناهي لفضائل مولى المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

إنّ الكلام حول شخصيّة كعليّ بن أبي طالب عليه السلام أمر سهلٌ وممتنع، فهو سهل لأنّنا حيثما نظرنا وجدنا الآفاق قد غصّت بفضائله، ورأينا آثار العدوّ والصديق قد ملئت بفضائله السامية ومناقبه العالية، وهو ممتنع لأنّ الشمس تخطف الأبصار، ولا يمكن النظر إلى ضوئها، ممتنع لأنّ القلم يتكسّر عندما يريد أن يخطّ حدود مقامه، ويرسم شموخه وتعاليه، واللسان يخرس، فيغدو المصقع ألكن إذا أراد تبيان فضائله ومناقبه..

كيف ومتى يمكن الحديث عن شخص كان أعظم أعاظم العالم، ووحيد الزمان الّذي عقم أن يلد مثله، ولم يرَ نظيره شرق العالم وغربه في غابر الزمان وحاضره إلاّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

وأيّ قلم يقوى على أن يسطّر ما يتعلّق بشجاعة ورجولة ذلك الإمام الهمام الّذي ينبع الخير والعطاء من معين وجوده، وتضي ء في يده مشاعل البطولة والملاحم، كانت شجاعته تفوق شجاعة البشر، غير أنّها كانت مشوبة باللطف والرحمة والعاطفة والرأفة.

ماذا يمكن أن يقال في حقّ شجاع لا يُجارى، ومقدام كان يقاتل جنباً إلى جنب مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وقام بأعمال إعجازيّة.. ففي معركة بدر كان عمره عشرين عاماً، ومع ذلك فقد قطع يد أحد فرسان قريش نصفين.. وفي أُحد أخذ سيف رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ذا الفقار، فكان يفلق الهام مع وجود ما يحميها، وكان فتح خيبر على يديه يوم خيبر، فقد قلع باب الحصن الحديد، وجعله جسراً يمرّ عليه جيش المسلمين.

ولم تكن قوّته وعظمته في ميدان الحرب وحسب، بل كانت عظمته في صفاءِ البصيرة، ونقاء السريرة، وطهارة الوجدان، وحرارة الإيمان، وعلوّ الهمّة، وعون المحروم، وتحرير المظلوم من قبضة الظالم الغاصب، فكان بطل الأبطال، والمدافع عن الحقّ والداعي إليه.

كان الإنسان الوحيد الّذي قال في قاتله: "انظروا اذا أنا مِتُّ مِن ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، و لا تُمَثِّلوا بِالرَّجل، فإنّي سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: "إيّاكم و المثلة وَلو بالكلب العَقور".

[نهج البلاغه من الكتاب ٤٧].

وهو الإنسان الوحيد الّذي يهدي طعامه إلى قاتله!!

لقد رحل عليّ عليه السلام عن الدنيا شهيد عظمته وعدالته، وأغمض عينيه وشفتاه ترتّلان الصلاة، وقلبه قد اشتعل بحبّ اللَّه والشوق إلى لقائه

لقد غادر الدنيا قبل أن يكمل إبلاغ رسالته للعالم.. لقد عاش وقضى كما يعيش الأنبياء في بلدان ليست ببلادهم، ويأتون أُناساً ليسوا لهم بأنصار، وغير مؤهّلين لمجي ء أُولئك الأنبياء، ويحيون في زمان غير زمانهم، لكنّ للَّه حكمته، فهو الأعلم بمصالح البشر، وهو العليم الحكيم.

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في شأنه: "أُعطيت في عليّ تسعاً؛ ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة، واثنتين أرجوهما له، وواحدة أخافها عليه.

فأمّا الثلاثة الّتي في الدنيا: فساتر عورتي، والقائم بأمر أهلي، ووصيّي فيهم.

وأمّا الثلاثة الّتي في الآخرة: فإنّي أُعطى لواء الحمد يوم القيامة فأدفعه إليه، فيحمله عنّي، وأعتمد عليه في مقام الشفاعة، ويعينني على حمل مفاتيح الجنّة.

وأمّا اللتان أرجوهما له: فإنّه لا يرجع من بعدي ضالّاً ولا كافراً.

وأمّا الّتي أخافها عليه فغدر قريش به من بعدي".

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٥٢٦].

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في حقّه: "لو أنّ الرياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حسّاب، والإنس كُتّاب، ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب".

[ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ٢٤١].

فيا أيّتها الدنيا، ويا أيّها النّاس، ويا أيّها التاريخ، عليّ هو عليّ، سواء عرفتموه أم جهلتموه، فهو شهيد المحراب، وهو أبو الشهداء وعظيمهم، وعلى حدّ تعبير جورج جرداق المسيحي فإنّه صوت العدالة الإنسانيّة، وهو الشخصيّة الإنسانيّة الخالدة.

ليس بيسير الكلام في عليّ كهذا، والغوص في أعماق بحر فضائله ومناقبه، ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه، فإنّي أرجو أن أكون قد اقتطفت باقات من زهور هذه الجنائن، وذكرت غيضاً من فيض حينما جمعت هذه

المجموعة من كتب الفريقين "سنّة وشيعة" لأُهديها إلى القرّاء الأعزّاء، ولتكون ذخراً يوم الجزاء، واللّه من وراء القصد.

يشتمل هذا الكتاب على مائة فصل، ويحتوي كلّ فصل على مفردات وفروع عديدة، وهو يبحث في مائة بُعد من أبعاد حياة مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وكما يشتمل على تكملة في أولاده وأصحابه الكرام، وخاتمة تتضمّن كلمات لأمير المؤمنين عليه السلام في مائة باب مختلف.

وممّا لا ريب فيه أنّ ليس بمقدوري ولا مقدور أي كاتب أن يبحث بعمق، ويستنتج ويفصّل مكارم ذلك الإمام الهمام ومناقبه، ولكنّي أُشير إلى زاوية من مناقبه عليه السلام من منظار الآخرين، وكما يرونها:

قال ابن حجر: روي عن أحمد بن حنبل أنّه قال: "لم يُروَ لأحدٍ من الصحابة من الفضائل ما روي لعليّ عليه السلام"، وكذا قال النسائي وغير واحد.

[تهذيب التهذيب ٧:٢٩٨، ح ٥٦٦].

وبلفظ آخر عن إسماعيل بن إسحاق القاضي وأبي عليّ النيشابوري: لم يُرو في فضائل أحدٍ من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام".

[مستدرك الحاكم ٣:١٠٧، تاريخ دمشق ٣:٦٣].

وعن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "لو أنّ الغياض أقلام، والبحار مداد، والجنّ حُسّاب، والإنسُ كُتّاب، ما قدروا على إحصاء فضائل عليّ بن أبي طالب".

[مناقب للخوارزمي: ٢، كفاية الطالب: ٢٥١، فرائد السمطين ١:١٦، لسان الميزان ٥:٦٢، ينابيع المودّة: ١٢١ و١٢٢ و٢٤١].

وبلفظ آخر عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عبّاس رضى الله عنه: أسألك عن اختلاف النّاس في عليّ عليه السلام؟ قال: "يابن جبير، تسألني عن رجل كانت له ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة، وهي ليلة القربة في قليب بدر، سلّم عليه ثلاثة آلاف من الملائكة من عند ربّهم، وتسألني عن وصيّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وصاحب حوضه وصاحب لوائه في المحشر؟!

والّذي نفس عبداللّه بن عبّاس بيده، لو كانت البحار مداداً، وأشجارها أقلاماً، وأهلها كُتّاباً فكتبوا مناقب عليّ بن أبي طالب وفضائله ما أحصوها".

[ينابيع المودّة: ١٢٢، إحقاق الحقّ ٤:١٠١].

وقال أخطب خوارزم: ذكر فضائل أمير المؤمنين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بل ذكر شي ء منها، أو ذكر جميعها يقصر عنه باع الإحصاء، بل ذكر أكثرها يضيق عنه نطاق الاستقصاء.

[المناقب للخوارزمي: ١].

وقال ابن أبي الحديد في "مقدّمة شرحه لنهج البلاغة": 'فأما فضائله عليه السلام فإنّها قد بلغت من العِظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمج معه التعرّض لذكرها، والتصدّي لتفصيلها،... وما أقول في رجل أقَرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جَحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمتَ أنّه استولى بنو أُميّة على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتّى حظروا أن يسمّى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسُمُوّاً، وكان كالمسك كلّما سُتِر انتشر عَرْفُه، وكلّما كُتِم تضوَّع نشره، وكالشمس لا تُستَر بالراح، وكضوء النهار إن حُجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة. وما أقول في رجل تُعزى إليه كلُّ فضيلة، وتنتهي إليه كلُّ فرقة، وتتجاذبه كلُّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عُذرها، وسابق مضمارها، ومجلِّي حلبتها، كلُّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى، وساق الكلام إلى أن قال:

وما أقول في رجل تحبّه أهلُ الذمّة على تكذيبهم بالنبوّة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة، وتصوّر ملوك الفرنج والروم صورته في بِيعها وبيوت عباداتها حاملاً سيفَه، مشمّراً لحربه، وتصوّر ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بُويه، وسيف أبيه ركن الدولة صورتُه، وكان على سيف إلب أرسلان وابنه ملكشاه صورته، كأنّهم يتفاءلون به النصر والظفر.

وما أقول في رجل أحبّ كلُّ واحدٍ أن يتكثّر به، وودّ كلّ أحدٍ أن يتجمّل ويتحسّن بالانتساب إليه حتّى الفتوّة الّتي أحسن ما قيل في حدّها: ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإنّ أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنّفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه، وسمَّوه سيّد الفتيان، وعضّدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المرويّ، أنّه سُمع من السماء يوم أُحد:

لا سيفَ إلا ذو الفقار*** ولا فتىً إلا عليّ

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكّة، قالوا: قلّ أن يسود فقير، وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسمّيه الشيخ'.

[شرح ابن أبي الحديد ١:١٦ و ٢٨].

وقال الحسن البصري: 'كان عليّ عليه السلام سهماً صائباً من مرامي اللَّه على عدوّه، وربّانيّ هذه الأُمّة، وذا فضلها وسابقتها، وذا قرابتها من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، لم يكن بالنئومة عن أمر اللَّه، ولا بالملومة في دين اللَّه، ولا بالسروقة لمال اللَّه، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض مونقة، وأعلام مشرقة، وذاك عليّ بن أبي طالب'.

[مقدّمة شرح ابن أبي الحديد: ٥، طبع دار إحياء التراث الكتب العربيّة - بيروت ١٩٦٥م بقلم الكاتب المصري محمّد أبو الفضل إبراهيم].

وفيه أيضاً عن ابن قتيبة في "المعارف": 'ما صارع أحداً قطّ إلا صرعه، وهو الّذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبة من النّاس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الّذي اقتلع هُبَلَ من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جدّاً وألقاه إلى الأرض، وهو الّذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيّام خلافته بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها، وانبطّ الماء من تحتها'.

[شرح ابن أبي الحديد ١:٢١].

وقال الدكتور صبحي الصالح في مقدّمة نهج البلاغة: 'ما من مسلم يجهل موضع عليّ عليه السلام من ابن عمّه الرسول الكريم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة؛ وضعه في حجره وهو ولد، يضمّه إلى صدره، ويكنفه في فراشه، ويمسّه جسده، ويشمّه عرفه، ولقد كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يجاور في كلّ سنة بحراء، فيراه عليّ عليه السلام ولا يراه سواه، ولم يجمع بيت واحد في الإسلام غير الرسول وخديجة أُمّ المؤمنين، وكان عليّ ثالثهما، يرى نور الوحي والرسالة، ويشمّ ريح النبوّة'.

[نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح: ٧].

هذا نموذج من كلمات محقّقي أهل السنّة وعلمائهم الذين اعترفوا بحقيقة الأمر من دون تعصّب أو انحياز، وأظهروا ما تيقّنوا منه، وأفصحوا عمّا أكنّوه في قلوبهم من احترام لمولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وسوف نتطرّق في هذا الكتاب عبر فصوله المختلفة إلى نماذج أكثر في هذا الصدد، وسنبحث جوانب حياة هذا الإمام العظيم والإنسان الكامل مع اعترافنا بعجزنا وقصور باعنا عن الإحاطة بمثل ذلك.

نسأل اللَّه تعالى أن يوفّقنا للسير في هذا السبيل، ونحمده أن منّ علينا باتّباع أمير المؤمنين عليه السلام، وجعلنا من المفتخرين بذلك.

الهدف من تأليف هذا الكتاب

١- لقد كُتِبت في فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومناقبه، أو في الأدلّة الّتي تثبت إمامته، كتب كثيرة، ومع كلّ نقاط قوّتها لكن يلاحظ عليها أنّها ذات بُعد واحد، وتتناول موضوعاً معيّناً من منظار معيّن، سواء كان التاريخ أو تبيان الأدلّة أو ذكر مناقبه عليه السلام، غير أنّا سعينا في هذا التأليف - والّذي ستكون فيه نواقص وإشكالات يقف عليها أهل التحقيق والنظر، ونأمل أن يتفضّلوا علينا بما يقفون عليه - إلى الجمع بين هذه الأبعاد، فقد جمعنا المسائل التاريخيّة، وحروب الإمام عليّ عليه السلام، والمسائل العقائديّة، والفضائل والمناقب، والأدلّة على إمامته من القرآن والسنّة، ثمّ ذكرنا بعض الإشكالات الواردة وأجبنا عنها.

٢- أوضحنا في مقدّمة كلّ فصل النكات الّتي تضمّنها، أو أشرنا إلى بعض المسائل العقائديّة من عقائد الإماميّة، أو أُمور أُخرى ينطوي عليها الفصل، وهذه الخصوصيّة قلّما تلاحظ في الكتب الأُخرى.

٣ - سعينا إلى جمع الأدلّة والشواهد الّتي تناسب كلّ فصل، وتجنّبنا بَعْثَرة المناقب والفضائل، أو أدلّة إثبات ولاية عليّ عليه السلام وإمامته، وتفريقها كما هو الحال في بعض الكتب.

٤ - من الملاحظ على الكتب الّتي كتبت حول حياة الإمام عليّ عليه السلام أنّها غير مشتملة على شروح مفصّلة وجامعة للفضائل وغيرها، ومن هنا سعينا عبر تأليف هذا الكتاب إلى جمع أُمور كثيرة تتناول أبعاد حياة مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والّتي تشكّل جزءاً يسيراً من بحر فضائل عليّ اللامتناهي، وذلك من أجل أن يكون الكتاب أكثر فائدة للقرّاء، ولمحبّي أهل البيت عليهم السلام.

٥ - إنّ كثيراً من التأليفات الّتي أُلّفت حول حياته عليه السلام إمّا أن تستقي مواضيعها من المصادر السنّيّة أو من المصادر الشيعيّة فقط، غير أنّا سعينا هنا إلى أخذ موضوع كلّ فصل من مصادر الفريقين من أجل التحقيق في الموضوع، وأشرنا إلى مصدر كلّ دليل في الهامش.

وسيرى القارئ العزيز أنّ أجزاء هذا الكتاب الخمسة "المجتمعة في المجلدين" - الّتي تشتمل على:

الجزء الأوّل: من ولادته إلى زواجه مع حروبه.

والثاني: عليّ عليه السلام في القرآن والسنّة.

والثالث والرابع: في فضائله ومناقبه.

والخامس: في الحكومة حتّى الشهادة وتكملة وخاتمة.

ستغنيه عن كتب أُخرى، وإنّي أعترف بصراحة بوجود نواقص وإشكالات في هذا الكتاب من ناحية الدقّة والتحقيق والأُسلوب والعبارة، ولذا أرجو من المحقّقين الأجلّة أن يجودوا علينا باقتراحاتهم وإرشاداتهم من أجل رفع تلك النواقص في الطبعات القادمة إن شاء اللّٰه تعالى.

علي وليد الكعبة

قال عبّاس محمود العقّاد المصري: ولد عليّ عليه السلام في داخل الكعبة وكرّم اللّٰه وجهه عن السجود لأصنامها، فكأنّما كان ميلاده ثَمّة إيذاناً بعهدٍ جديدٍ للكعبة ولِلعبادة فيها.

عبقرية الإمام عليّ للعقّاد: ٤٣

كلمة في ولادته في جوف الكعبة

وُلد عليّ عليه السلام في اليوم الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل في جوف الكعبة شرّف اللّٰه زائريها، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت اللّٰه الحرام سواه كرّم اللّٰه وجهه عن السجود لأصنامها، فكأنّما كان ميلاده ثمّة إيذاناً بعهد جديد للكعبة وللعبادة فيها، وكاد عليّ أن يُولَد مسلماً، بل وقد وُلد مسلماً تحقيقاً [اقتباس من كتاب عبقرية الإمام عليّ عليه السلام: ٤٣].

وبعد خروجه من البيت لم يفتح عينيه إلا على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وقرأ من القرآن من سورة المؤمنون: 'بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ' [سورة المؤمنون: الآية ١ و ٢].

وحمله النبيّ صلى الله عليه و آله إلى منزل أُمّه، وسمّاه أبو طالب عليّاً، واسمه مشتقّ من اسم اللّٰه العليّ الأعلى كي يدوم له عزّ العلوّ وفخر العزّ أدومه.

[اقتباس من شعر أبي طالب عليه السلام وستأتيك أشعاره].

تفصيل الواقعة في الحديث

في "كشف الغمّة" عن "بشائر المصطفى"، وفي "أمالي الصدوق" و"البحار" عن "غيبة النعماني" و"معاني الأخبار" و"علل الشرائع"، عن سعيد بن جبير، قال: قال يزيد بن قعنب: كنتُ جالساً مع العبّاس بن

عبدالمطّلب وفريق من بني عبدالعزّى بإزاء بيت اللّٰه الحرام، إذ أقبلتْ فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين، وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: يا ربّ، إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رُسل وكُتب، وإنّي مصدّقة بكلامِ جدّي إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنّه بنى البيتَ العتيق، فبحقّ الّذي بنى هذا البيت، وبحقّ المولود الّذي في بطني إلا ما يسّرت عليَّ ولادتي.

قال يزيدُ بن قعنب: فرأيتُ البيت قد انشقّ عن ظهره، ودخلتْ فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، و عاد الى حاله، و الترق الحائط، فرمنا ان ينفتح لنا قفل الباب

[سيأتيك حديث من القندوزي الحنفي: انّ تسميّة عليّ عليه السلام كان من عند اللّٰه بدعاء أبي طالب عليه السلام].

فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من أمر اللّٰه عزّ وجلّ، ثمّ خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثمّ قالت: إنّي فضّلت على مَن تقدّمني من النساء؛ لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت اللّٰه عزّ وجلّ سرّاً في موضع لا يحبّ اللّٰه أن يعبد فيه إلا اضطراراً، وأنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتّى أكلت منها رطباً جنيّاً، وإنّي دخلت بيت اللّٰه الحرام، فأكلت من ثمار الجنّة وأرزاقها "أوراقها"، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سمّيه عليّاً

[إنّ للكعبة باباً يمكن الدخول والخروج منه، ولكنّ الباب لم ينفتح، بل انشقّ الجدار ليكون أبلغ وأوضح وأدلّ على خرق العادة، ولا يمكن إسناد الأمر إلى الصدفة].

فهو عليّ و اللّٰه عليّ اعلى يقول: اني شقت اسمه مِن اسمي، و ادبته بأدبي وأوقفته على غامض علمي، وهو الّذي يكسّر الأصنام في بيتي، وهو الّذي يؤذّن فوق ظهر بيتي، ويقدّسني ويمجّدني، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه.

قالت: فولدت عليّاً عليه السلام ولرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ثلاثون سنة، وأحبّه رسول اللّٰه حبّاً شديداً، وقال لها: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان يلي أكثر تربيته، وكان يطهّر عليّاً في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته، ويقول: 'هذا أخي، ووليّي، وناصري، وصفيّي، وذخري، وكهفي، وصهري، ووصيّي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيّتي، وخليفتي، وكان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يحمله دائماً ويطوف به جبال مكّة وشعابها وأوديتها وفجاجها صلّى اللّٰه على الحامل والمحمول'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٨٢، وراجع أمالي الصدوق: المجلس ٢٧، ح ٩، وعلل الشرائع: باب١١٥، ص١٣٥، ح٣، وثاقب المناقب: ١٩٧، ح١٧٣، والبحار ٣٥:٨].

وفي "المناقب": في رواية شعبة عن قتادة، عن أنس، عن العبّاس بن عبدالمطّلب، وفي رواية الحسن بن محبوب، عن الصادق عليه السلام، والحديث مختصر: "أنّه انفتح البيت من ظهره، ودخلت فاطمة فيه، ثُمّ عادت الفتحة والتصقت، وبقيت فيه ثلاثة أيّام، فأكلت من ثمار الجنّة.

إلى أن قال: فلمّا كان اليوم الثالث، وكان يوم العاشر من ذي الحجّة، أذّن أبو طالب في النّاس أذاناً جامعاً، وقال: هلمّوا إلى وليمة ابني عليّ، ونحر ثلاثمائة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم واتّخذوا وليمة، وقال: هلمّوا وطوفوا بالبيت سبعاً، وادخلوا على عليّ ولدي، ففعل النّاس من ذلك، وجرت به السنّة، ووضعته أُمّه بين يدي النبيّ صلى الله عليه و آله، ففتح فاه بلسانه وحنكه، وأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، فعرف الشهادتين وولد على الفطرة".

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٧٤، وبحار الأنوار ٣٥:١٧].

وأنشأ الحميري:

ولدتْهُ في حَرَمِ الإلهِ وَأَمْنِهِ*** وَالْبَيْتِ حَيْثُ فناؤه وَالْمسجدُ

بيضاءُ طاهرةُ الثِّيابِ كَرِيمةٌ*** طابتْ وطابَ وَلِيدُها وَالْمَوْلِدُ

في ليلةٍ غابتْ نحوسُ نجومِها*** وَبَدَتْ مَع الْقَمَرِ الْمُنِيرِ الْأَسْعُدُ

ما لُفَّ في خِرَقِ القوابلِ مثلُه*** إلا ابنُ آمنةَ النبيُّ محمدُ

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٧٤].

ما قاله رسول اللّٰه في ولادة علي

قال الحافظ الكنجي الشافعي، عن جابر بن عبداللّٰه، قال: سألت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عن ميلاد عليّ بن أبي طالب فقال: لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح عليه السلام، إنّ اللّٰه تبارك وتعالى خلق عليّاً من نوري، وخلقني من نوره، وكلانا من نور واحد، ثُمّ إنّ اللّٰه عزّ وجلّ نقلنا من صلب آدم، في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكيّة، فما نقلت من صلب إلا ونقل عليّ معي، فلم يزل كذلك حتّى استودعني خير رحم وهي آمنة، واستودع عليّاً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد. وكان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له: المبرم بن دعيب بن الشقبان، قد عبد اللّٰه تعالى مائتين وسبعين سنة لم يسأل اللّٰه حاجة، فبعث اللّٰه إليه أبا طالب، فلمّا

أبصره المبرم قام إليه، وقبّل رأسه، وأجلسه بين يديه، ثمّ قال له: مَن أنت؟ فقال: رجل من تهامة، فقال: من أيّ تهامة؟ فقال: من بني هاشم، فوثب العابد فقبّل رأسه ثانية، ثمّ قال: يا هذا، إنّ العليّ الأعلى ألهمني إلهاماً، قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولد يولد من ظهرك وهو وليّ اللّه عزّ وجلّ، فلمّا كانت الليلة الّتي ولد فيها عليّ أشرقت الأرض، فخرجَ أبو طالب، وهو يقول: أيّها النّاس، ولد في الكعبة وليّ اللّه عزّ جلّ، فلمّا أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا رَبَّ هذَا الْغَسَقِ الدَّجِيِّ*** وَالْقَمَرِ الْمُنْبَلِجِ الْمُضِيِّ

بَيِّنْ لَنا مِنْ أَمْرِكَ الْخَفِيِّ*** ماذا تَرى فِي إسْمِ ذَا الصَّبِيِّ

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبيّ*** خصّصتم بالولد الزكيّ

إنّ اسمه من شامخ العليّ*** عليٌّ اشتقّ من العليّ

[كفاية الطالب: ٤٠٦ - ٤٠٥، الباب السابع، وراجع إحقاق الحقّ ٧:٤٨٨].

ما قاله علي بن الحسين في ولادته

وفي "الفصول المهمّة" لابن الصبّاغ المالكي من كتاب المناقب لأبي المعالي الفقيه المالكي روى خبراً يرفعه إلى عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: كنّا عند الحسين عليه السلام في بعض الأيّام وإذا بنسوة مجتمعات، فأقبلت امرأة منهنّ علينا، فقلت لها: مَن أنت يرحمكِ اللّه؟ قالت: أنا زيدة ابنة العجلان من بني ساعدة، فقلت لها: هل عندك من شي ء تحدّثينا به؟ قالت: إي واللّه حدّثتني أُمّ عمارة بنت عبادة بن فضلة بن هالك بن عجلان الساعدي، أنّها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً، فقلت له: ما شأنك؟ قال: إنّ فاطمة بنت أسد في شدّة من الطلق.

ثمّ إنّه أخذ بيدها وجاء بها إلى الكعبة فدخل بها، وقال: اجلسي على اسم اللّه، فطلقت طلقة واحدة، فولدت غلاماً نظيفاً منظّفاً، لم أرَ أحسن وجهاً منه، فسمّاه أبو طالب عليّاً، وقال شعراً:

سَمَّيْتُهُ بِعَلِيٍّ كَيْ يَدُومَ لَهُ*** عِزُّ الْعُلوِّ وَفَخْرُ الْعِزِّ أَدْوَمُهُ

وجاء النبيّ صلى الله عليه و آله فحمله معه إلى منزل أمّه.

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: "فواللّه! ما سمعت بشي ء حسن قطّ إلا وهذا من أحسنه" الحديث.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٣٠، غاية المرام، ص ١٣، الباب الثالث من المقصد الأوّل، ح ١].

وروى ابن المغازلي الشافعي عن عليّ بن الحسين عليه السلام نحوه.

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٦، ح ٣، غاية المرام، ص ١٢، الباب الثالث من المقصد الأوّل،ح ١].

ما قاله جعفر بن محمّد الصادق في ولادته

روى الكليني بسنده عن محمّد بن عبدالله بن مسكان، عن أبيه، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: "إنّ فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب لتبشّره بمولد النبيّ صلى الله عليه و آله فقال أبو طالب: اصبري سبتاً أُبشّرك بمثله إلا النبوّة، وقال: السبت

[في "مرآة العقول ٥:٢٧٧": السبت، الدهر، كما ذكره الجوهري والفيروزآبادي وغيرهما، وفي "النهاية": مدّة من الزمان قليلة كانت أو كثيرة، فالتفسير بالسبت إمّا لشيوعه بهذا المعنى في ذلك الزمان، أو لأنّ مراده كان هذه المدّة وإن لم يوضع لخصوص هذا المعنى، ويدلّ على أنّ أبا طالب كان أميناً على أسرار الأنبياء].

ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة".

[أُصول الكافي ١:٤٥٢].

ارتزاقه من لسان النبيّ

عن السيّد أحمد زيني دحلان الشافعي، عن فاطمة بنت أسد أُمّ عليّ أنّها قالت: لمّا ولدته سمّاه صلى الله عليه و آله عليّاً وبصق في فيه، ثمّ إنّه ألقمه لسانه، فما زال يمصّه حتّى نام.

قالت: فلمّا كان من الغد طلبنا له مرضعة، فلم يقبل ثدي أحد، فدعونا له محمّداً صلى الله عليه و آله فألقمه لسانه فنام، فكان كذلك ما شاء الله تعالى.

[السيرة النبويّة بهامشه السيرة الحلبيّة ١:١٧٦].

تسميته عليّاً كانت من عند الله

في "ينابيع المودّة" للقندوزي الحنفي، عن العبّاس بن عبدالمطّلب، قال: لمّا ولدت فاطمة بنت أسد عليّاً سمّته باسم أبيها أسد، ولم يرضَ أبو طالب بهذا الاسم فقال: هلمّ حتّى نعلو أبا قبيس ليلاً، وندعو خالق الخضراء، فلعلّه أن ينبئنا في اسمه، فلمّا أمسيا خرجا وصعدا أبا قبيس ودعيا الله تعالى، فأنشأ أبو طالب شعراً:

يا رَبَّ هذَا الْغَسَقِ الدَّجِيِّ*** وَالْفَلَق الْمُبْتَلِجِ الْمُضِيِّ

بَيِّنْ لَنا مِنْ أَمْرِكَ الْمُقضيِّ*** لما نسمّي ذلِكَ الصَّبِيِّ

فإذا خشخشة من السماء، فرفع أبو طالب طرفه، فإذا لوح مثل زبرجد أخضر فيه أربعة أسطر، فأخذه بكلتا يديه، وضمّه إلى صدره ضمّاً شديداً، فإذا مكتوب:

خصصتُما بِالولدِ الزَّكِيِّ*** والطَّاهِرِ الْمُنْتَجَبِ الرَّضِيّ

واسمُهُ مِن قاهر العَليّ*** عليٌّ اشتُقَّ مِن العَليّ

فسرّ أبو طالب عليه السلام سروراً عظيماً، وخرّ ساجداً للّه تبارك وتعالى، وعقّ بعشرة

[قد مرّ في صفحة ٣١ من المناقب: انّه نحر ثلاثمائة من الابل و...].

من الإبل، وكان اللوح معلّقاً في البيت الحرام يفتخر به بنو هاشم على قريش، حتّى غاب زمان قتال الحجّاج بن الزبير.

[ينابيع المودّة: ٢٥٥، ويستفاد من هذا الحديث أنّ أبا طالب كان موحّداً، بل كان وصيّاً من أوصياء اللّه].

نبذة ممّا ورد في أنّ ولادته كانت في جوف الكعبة

قصّة ولادته عليه السلام في الكعبة المكرّمة أمر مشهور بين الأُمّة، حتّى ألّف شيخنا الأُوردبادي في الموضوع كتاباً فخماً.

[راجع الغدير ٦:٢٧، والكتاب مطبوع عدّة طبعات].

ومجمل القصّة أنّ جدار البيت قد انشقّ لأُمّه فاطمة بنت أسد، فدخلته، ثمّ التأمت الفتحة، فلم تزل في البيت العتيق حتّى ولدت وليد البيت تلك الولادة المباركة، وأكلت من ثمار الجنّة، ولم ينفلق صدف الكعبة عن درّه الدريّ إلا وأضاء الكون بنور محيّاه الأبلج، وفاح في الأجواء شذى عنصره الأقدس.

وهذه حقيقة ناصعةٌ أصفق على إثباتها الفريقان، وتظافرت بها الأحاديث، وطفحت بها الكتب، فلا نعبّأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نصّ جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الأثارة.

[انظر الغدير ٦:٢١].

قال الشاعر:

من كان في حرم الرحمن مولده*** وحاطه اللّه من بأس وعدوان.

[من قصيدة أنشاها السريجي الأوالي، وهي طويلة على ما في الغدير ٦:٢١].

كلمات بعض أعلام أهل السنّة حول الحديث

١ - قال الحاكم النيشابوري في "المستدرك": وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة.

[مستدرك الحاكم ٣:٤٨٣، إحقاق الحقّ ٧:٤٨٩، الغدير ٦:٢٢].

٢ - وقال الكنجي الشافعي في "كفاية الطالب": ولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمكّة في بيت اللّٰه الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت اللّٰه الحرام سواه؛ إكراماً له بذلك، وإجلالاً له لمحلّه في التعظيم.

[كفاية الطالب: ٤٠٧، وراجع الغدير ٦:٢٢].

٣ - وعن أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي الشهير بشاه وليّ اللّٰه والد عبدالعزيز الدهلوي "مصنّف التحفة الاثني عشريّة في الردّ على الشيعة" أنّه قال في كتاب "إزالة الخفاء": تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليه السلام عليّاً في جوف الكعبة، فإنّه وُلد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، ولم يولد فيها أحد سواه، قبله ولا بعده.

[الغدير ٦:٢٢].

٤ - وقال ابن الصبّاغ المالكي في "الفصول المهمّة": ولد عليّ عليه السلام بمكّة المشرّفة بداخل البيت الحرام في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر اللّٰه الأصمّ رجب الفرد سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل: بخمس وعشرين، وقبل البعث

[كذا في المصدر، والسياق: 'قبل البعثة'].

باثنتي عشرة سنة، وقيل: بعشر سنين، ولم يولد في بيت اللّٰه الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصّه اللّٰه تعالى بها إجلالاً له، إعلاءً لمرتبه، وإظهاراً لتكرمته، وكان عليّ هاشميّاً من هاشميّين، وأوّل من ولد هاشم مرّتين.

[ورواه بعينه الفقيه المؤرّخ عبداللّٰه الشافعي السمهودي في "جواهر النقدين في فضل الشرفين: العلم والنسب العليّ"، وأيضاً رواه برهان الدين في "إنسان العيون"].

٥ - وقال ابن الجوزي الحنفي في "تذكرة الخواصّ": وروي أنّ فاطمة بنت أسد كانت تطوف بالبيت وهي حامل بعليّ عليه السلام فضربها الطلق، ففتح لها باب "الأصح: جدار" الكعبة، فدخلت فوضعته فيها.

٦ - وقال العلامة السكتواري البسنوي الحنفي: أوّل من لقّب في صباه باسم الأسد في الإسلام من الصحب الكرام، وهو الحيدر من أسماء الأسد، سيّدنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كان أبو أُمّه غائباً حين ولدته داخل الكعبة، وهي فاطمة بنت أسد لقبته أُمّه تفاؤلاً باسم أبيه.

[محاضرة الأوائل: ٧٩، نقلاً عن إحقاق الحقّ ٧:٤٩٠].

٧ - وروى ابن المغازلي الشافعي في "المناقب": في حديث عن زيدة بنت قريبة العجلان قالت: إنّ أبا طالب أقبل يوماً حزيناً وقال: إنّ فاطمة بنت أسد في شدّة المخاض، ثمّ وضع يده على وجهه، فبينا هو كذلك إذ أقبل محمّد صلى الله عليه و آله فقال له: 'ما شأنك يا عمّ؟'، فقال: إنّ فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، فأخذ بيده وجاء وهي معه، فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة، ثمّ قال: اجلسي على اسم اللّه، قال: فطلقت طلقةً فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظّفاً لم أرَ كحسن وجهه، فسمّاه أبو طالب عليّاً، وحمله النبيّ حتّى أدّاه إلى منزلها، الحديث.

[المناقب لابن المغازلي ٦:٣، إحقاق الحقّ ٧:٤٨٦].

٨ - وقال عبّاس محمود العقّاد المصري: ولد عليّ عليه السلام في داخل الكعبة، وكرّم اللّه وجهه عن السجود لأصنامها، فكأنّما كان ميلاده ثمّة إيذاناً بعهد جديد للكعبة وللعبادة فيها، وكاد عليّ أن يولد مسلماً، بل لقد ولد مسلماً على التحقيق إذا نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، كأنه فتح عينيه على الإسلام ولم يعرف قطّ عبادة الأصنام.

[عبقرية الإمام عليّ عليه السلام: ٤٣].

٩ - وقال العلامة الفاضل محمّد مبين الأنصاري الحنفي: 'ولادته في مكّة المكرّمة في جوف بيت اللّه الحرام، ولم يولد أحد غيره في هذا المكان المقدّس'.

[وسيلة النجاة: ٦٠، طبعة كلشن فيض - لكهنو].

١٠ - وقال العلامة صفيّ الدين الحضرمي الشافعي: 'كانت ولادته بالكعبة المشرّفة، وهو أوّل من وُلد بها، بل لم يُعلم أنّ غيره وُلد بها'.

[وسيلة المآل: ٢٨٢، نسخة مكتبة السيّد المرعشي النجفي العامّة، المؤرّخة ١٢٨٠ه].

وغير أُولئك من علماءِ العامّة في كتبهم، فمن أراد أقوالهم فليراجع الغدير "٦:٢٣".

كلمات أعلام الشيعة حول هذه الأثارة

١- عن العلامة المؤرّخ محمّد بن عليّ بن شهرآشوب - بعد أن ذكر عدّة أحاديث في ولادة عليّ عليه السلام في الكعبة - قال: 'فالولد الطاهر، من النسل الطاهر، وُلد في الموضع الطاهر، فأين توجد هذه الكرامة لغيره؟ فأشرف البقاع: الحرم، وأشرف الحرم: المسجد، وأشرف بقاع المسجد: الكعبة، ولم يولد فيه مولودٌ سواه. فالمولود فيه يكون في غاية الشرف، فليس المولود في سيّد الأيّام "يوم الجمعة" في الشهر الحرام، في البيت الحرام سوى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام'.

[مناقب ابن شهرآشوب ٢:١٧٥].

٢- وقال المؤرّخ الشهير محمّد بن خاوند شاه بن محمود: كانت ولادته عليه السلام في جوف الكعبة، ولم تُتَحْ هذه السعادة لأيّ أحدٍ منذ بدء الخليقة إلى الغاية، وأنّ لصحّة هذا الخبر بين المؤرّخين المتحفّظين عن الفضائل صيت لا تشوبه شبهة، وتجاوز عن أن يصحبه الشكّ والترديد.

[روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى: الجزء الثاني].

٣- وقال المفيد في "الإرشاد": عليّ عليه السلام ولد بمكّة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت اللّٰه تعالى سواه؛ إكراماً من اللّٰه تعالى له بذلك، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم.

[إرشاد المفيد: ٨ من الباب١ من الفصل١].

٤- وقال ثقة الإسلام الكليني في "الكافي": ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وقُتل في شهر رمضان لتسع بقين منه ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة وه ابن ثلاث وستّين سنة، بقي بعد قبض النبيّ صلى الله عليه و آله ثلاثين سنة، وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف، وهو أوّل هاشمي ولده هاشم مرّتين.

[أُصول الكافي ١:٤٥٢، وقوله: ولده هاشم مرّتين، يعني انتسب إلى هاشم من قِبل الأب والأُمّ معاً، وكان المراد الأوّليّة الإضافيّة، وإلا فإخوته كانوا أكبر منه، فكيف يكون أوّل من ولده هاشم مرّتين، فالأوْلى ما ذكره المفيد والشهيد وغيرهما، هو وإخوته أوّل هاشمي ولد بين هاشميّين، وقال بعضهم: كانت فاطمة أوّل هاشميّة ولدت لهاشمي - مرآة العقول ٥:٢٧٧].

٥- وقال المحقّق الإربلي في "كشف الغمّة": ولد عليّ عليه السلام بمكّة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر اللّٰه الأصمّ رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد في البيت الحرام أحد سواه، قبله ولا بعده، وهي فضيلة خصّه اللّٰه بها إجلالاً له، وإعلاءً لرتبته، وإظهاراً لتكرمته.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٨١].

٦- وقال السيّد الرضي رحمه الله: 'ولم نعلم مولوداً في الكعبة غير عليّ عليه السلام'.

وقال أخوه السيّد المرتضى رحمه الله: "لا نظير له - أي لعليّ - في هذه الفضيلة".

[الغدير ٦:٢٤].

٧- وقال الشيخ الفقيه قطب الدين الراوندي: 'مولده عليه السلام في الكعبة المعظّمة، ولم يُولَد بها سواه'.

[الخرائج والجرائح ٢:٨٨٨].

٨- وقال الشيخ الطبرسي في تفسيره: لم يولد قطُّ في بيت اللّٰه تعالى مولودٌ سواه، لا قبله ولا بعده.

[الغدير ٦:٢٤].

٩- وقال العلامة الحلّي: لم يولد قبله ولا بعده مولودٌ في بيت اللّٰه سواه.

[المصدر السابق ٦:٢٤].

١٠- وقال العلامة المجلسي في "مرآة العقول": ولد عليّ عليه السلام بمكّة في بيت اللّٰه الحرام يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وقبض قتيلاً بالكوفة ليلة الجمعة لتسع ليال بقين من شهر رمضان أربعين من الهجرة، وله يومئذٍ ثلاث وستّون سنة.

[مرآة العقول ٥:٢٧٥ و ٢٧٦].

١١- وقال ابن عيّاش: أنّ اليوم الثالث عشر من رجب كان مولد أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة قبل النبوّة باثنتي عشرة سنة.

[مرآة العقول ٥:٢٧٥ و ٢٧٦، وراجع ترجمة الحميري في الغدير ٢٧٨ - ٢٣١ :٢].

١٢- وقال عتاب بن أسيد: ولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بمكّة في بيت اللّٰه الحرام يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب.

[المصدر السابق].

وبلغت أسماء علماءِ الشيعة الذين ذكروا في كتبهم أنّ ولادته عليه السلام في الكعبة إلى خمسين عالماً.

[راجع الغدير ٢٧ - ٦:٢٤].

نموذج من الشعر في ولادته في الكعبة

وقد نظم هذه الأثارة كثيرون من أعلام الشيعة الفطاحل وشعرائها الأفذاذ:

أنشأ الحميري "رضوان اللَّه عليه" "المتوفّى ١٧٣ه":

ولدتْهُ في حرمِ الإلهِ وأمنهِ*** والبيتِ حيث فناؤه والمسجدُ

بيضاءُ طاهرةُ الثيابِ كريمةٌ*** طابتْ وطابَ وليدُها والمولدُ

في ليلةٍ غابتْ نحوسُ نجومِها*** وبدتْ مع القمرِ المنيرِ الأسْعُدُ

مالُفَّ في خِرَقِ القوابلِ مثلُه*** إلا ابنُ آمنةَ النبيُّ محمدُ

[المصدر السابق: ٢٨].

وأنشأ الشيخ حسين النجفي "المتوفّى ١٢٥٢ه":

جعلَ اللَّهُ بيتَهُ لعليٍّ*** مولداً يالهُ علاً لا يُضاهى

لم يشاركْهُ في الولادة فيه*** سيّدُ الرسلِ لا ولا أنبياها

علمَ اللَّهُ شوقَها لعليٍّ*** علمه بالذي به من هواها

إذ تمنّت لقاءَهُ وتمنّى*** فأراها حبيبَهُ ورآها

ما ادّعى مُدّعٍ لذلك كلاّ*** من تُرى في الورى يرومُ ادّعاها

فاكتست مكّةٌ بذاك افتخاراً*** وكذا المَشعران بعد مِناها

بل به الأرضُ قد علتْ إذ حوته*** فغدت أرضُها مَطافَ سماها

أوَما تنظرُ الكواكبُ ليلاً*** ونهاراً تطوفُ حول حماها

وإلى الحشرِ في الطوافِ عليه*** وبذاك الطوافِ دام بقاها

[المصدر السابق: ٢٩].

كلمة حول قوله "فإنّي ولدت على الفطرة"

ذكر ابن أبي الحديد في "شرحه على نهج البلاغة" حول الحديث من قوله عليه السلام: "فإنّي وُلِدْتُ على الفطرة، و سبقتُ إلى الإيمان و الهجرة"

[نهج البلاغة من الخطبة ٥٧].

مطالب نذكر محلّ الحاجة منها. قال: ومراده عليه السلام هاهنا بالولادة على الفطرة: أنّه لم يولد في الجاهلية؛ لأنّه ولد لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل، والنبيّ صلى الله عليه و آله أُرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل، وقد جاء في الأخبار الصحيحة: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مكث قبل الرسالة سنين

عشراً يسمع الصوت ويرى الضوء، ولا يخاطبه أحدٌ، وكان ذلك إرهاصاً لرسالته، فحكم تلك السنين العشر حكم أيّام رسالته، فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولّي لتربيته مولود في أيّام كأيّام النبوّة، وليس بمولود في جاهليّة محضة، ففارقت حاله حال من يدّعي له من الصحابة مماثلته في الفضل.

وقد روي أنّ السنة الّتي ولد فيها عليّ عليه السلام هي السنة الّتي بدأ فيها برسالة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فأُسمع الهتاف من الأحجار والأشجار، وكشف عن بصره، فشاهد أنواراً وأشخاصاً ولم يخاطب فيها بشي ء، وهذه السنة هي السنة الّتي ابتدأ فيها بالتبتّل والانقطاع والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتّى كوشف بالرسالة وأُنزل عليه الوحي.

وكان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يتيمّن بتلك السنة، وبولادة عليّ فيها، ويسمّيها سنة الخير وسنة البركة، وقال لأهله ليلة ولادته - وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهيّة، ولم يكن من قَبلِها شاهد من ذلك شيئاً -: "لقد وُلد لنا الليلة مولود يَفتح اللّٰه علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة"، وكان كما قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: فإنّه كان ناصره، والمحامي عنه، وكاشف الغمّاء عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الإسلام، وأُرست دعائمه، وتمهّدت قواعده سلام اللّٰه وصلواته عليهما وعلى آلهما.

ثم قال الشارح المعتزلي: و في المسألة تفسير آخر وهو: أنّه يعني بقوله عليه السلام: "فإنّي ولدت على الفطرة"، أي على الفطرة الّتي لم تتغيّر ولم تحل؛ وذلك أنّ معنى قول النبيّ صلى الله عليه و آله: "كلّ مولود يولد على الفطرة" أنّ كلّ مولود قد هيّأه اللّٰه بالعقل الّذي خلقه فيه، وبصحّة الحواسّ والمشاعر لأن يعلم التوحيد والعدل، ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه من ذلك، ولكنّ التربية وعقيدة الوالدين وأُلفته لاعتقادهما وحسن الظنّ فيهما يصدّه عمّا فطر عليه، وأمير المؤمنين عليه السلام دون غيره وُلد على الفطرة الّتي لم تحلّ ولم يصدّ عن مقتضاها مانع، لا من جانب الأبوين ولا من جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة، ولكنّه حال عن مقتضاها، وزال عن موجبها.

فقال في ختام كلامه: ويمكن أن يفسّر بأنّه عليه السلام أراد بالفطرة العصمة، وأنّه منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفة عين قطّ، ولا مخطئاً ولا غالطاً في شي ء من الأشياء المتعلّقة بالدين، وهذا تفسير الإماميّة.

[شرح ابن أبي الحديد ٤:١١٤].

نسبه الشريف وكنيته وألقابه

قال المحقّق الإربلي: هو أمير المؤمنين، ويعسوب الدين والمسلمين، ومبير الشرك والمشركين... عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

كشف الغمّة ١:٩٣

نسبه الشريف

في "الاستيعاب" لابن عبدالبرّ قال: هو عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي القرشي الهاشمي.

[الاستيعاب لابن عبدالبرّ المالكي بهامش الإصابة ٣:٢٦].

قال ابن الجوزي في "تذكرة الخواصّ": واختلف العلماء في تسميته بعليّ عليه السلام. فقال مجاهد: هو اسم سمّته به أُمّه عند ولادته.

[وقد ذكرنا في فصل: "عليّ عليه السلام وليد الكعبة": 'أنّ عليّاً اسم سمّاه به رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عند ولادته'].

وقال عطاء: إنّما سمّته افمّه حيدرة بدليل قوله عليه السلام يوم خيبر: 'أنا الّذي سمّتني أُمّي حيدرة'، فلمّا علا على كتفي الرسول صلى الله عليه و آله وكسر الأصنام سُمّي عليّاً من العلق والرفعة والشرف.

[تذكرة الخواصّ لابن الجوزي الحنفي: ١٥، طبع بيروت - لبنان].

كنيته الشريفة

قال ابن الجوزي في "تذكرة الخواصّ": فأمّا كنيته فأبو الحسن والحسين وأبو القاسم وأبو تراب وأبو محمّد.

[المصدر المتقدّم: ١٦].

وقال المحقّق الإربلي في "كشف الغمّة": كناه عليه السلام أبو الحسن، وأبو الحسين، وأبو تراب، وذكر الخوارزمي أبو محمّد. قال عليّ عليه السلام: 'كان الحسن يدعوني في حياة النبيّ أبا حسين، والحسين يدعوني أبا حسن، ولا يريان أباً إلا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فلمّا مات صلى الله عليه و آله دعواني أباهما'.

ومن كناه أيضاً ما نقلته من كتاب "المناقب" لابن مردويه، عن جابر رضى الله عنه، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: 'سلام عليك أبا الريحانتين، أُوصيك بريحانتيّ من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناك

[يريد نفسه صلى الله عليه و آله وفاطمة "عليها"، فهما ركنا أمير المؤمنين عليه السلام وجناحاه].

واللَّه خليفتي عليك'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٩٠].

و من كناه ابو تراب سمّاه بها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و قد عبره بنو امية و اتباعهم بهذه التكنية مع انها كانت موضع فخره و اعتزازه. و دعوا خطباءهم إلى أن يذكروه بها حينما يسبونه على المنابر، و جعلوها نقيصة له فكأنّما كسوه بها الحلى و الحلل، كما أنهم كانوا يطلقون على شيعته و أتباعه "وصف الترابي و الترابية" حتى صار لقباً لهم. قال الكميت في ذلك:

و قالوا ترابيٌ لهواه و دينه* بذلك ادعى بينهم و أُلَقَّبُ**

و البحث في هذه التكنية كثيرة نذكره فى الفصل ٤٨ فى الجزء الثالث في المجلد الثاني إن شاء اللَّه و نتعرض هنا الى قولين من أقوال العلماء تيّمناً و رعاية للاختصار:

قال ابن عبدالبرّ المالكي في "الاستيعاب": هو عليّ بن أبي طالب... يكنّى أبا الحسن وأبا تراب.

[الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٢٦].

و قال علاء الدين السكتواري في "محاضرة الأوائل": أوّل من كُنّي بأبي تراب عليّ بن أبي طالب، كنّاه به رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين وجده راقداً وعلى جنبه التراب، فقال له ملاطفاً: 'قُم يا أبا تُراب'، فكان أحبّ ألقابه، وكان بعد ذلك له كرامة ببركة النفس المحمّدي، كان التراب يحدّثه بما يجري عليه إلى يوم القيامة، وبما جرى.

[الغدير ٦:٣٣٧].

القابه الشريفة

وألقابه عليه السلام كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم

[ذكر المحقّق الإربلي رحمه الله في "كشف الغمّة ١:٩٣" ألقاباً كثيرة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام نذكرها بعين لفظها: أمير المؤمنين، ويعسوب الدين والمسلمين، ومبير الشرك والمشركين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ومولى المؤمنين، وشبه هارون، والمرتضى، ونفس الرسول، وأخوه، وزوج البتول، وسيف اللّٰه المسلول، وأبو السبطين، وأمير البررة، وقاتل الفجرة، وقسيم الجنّة والنّار، وصاحب اللواء، وسيّد العرب، وخاصف النعل، وكشّاف الكرب، والصدّيق الأكبر، وأبو الريحانتين، وذو القرنين، والهادي، والفاروق، والداعي، والشاهد، وباب المدينة، وبيضة البلد، والولي، والوصيّ، وقاضي دين الرسول، ومنجز وعده].

وقد ذكرنا بعضها مع شرح مختصر حولها.

من ألقابه عليه السلام أمير المؤمنين:

و من القابه الشريفة اميرالمؤمنين، و في هذا اللقب روايات كثيرة نشير هنا الى حديث واحد و تفصيل الكلام سيأتي ان شاء اللّٰه فى الفصل ٤٦ من الكتاب في الجزء الثالث في المجلد الثاني.

عن القندوزي في "ينابيع المودّة"، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لو يعلم النّاس متى سمّي عليّ أمير المؤمنين، لما أنكروا فضائله، سمّي بذلك وآدم بين الروح والجسد، وحين قال اللّٰه تعالى: ألست بربِّكم؟ قالوا: بلى، فقال اللّٰه تعالى: أنا ربّكم، ومحمّد نبيّكم، وعليّ أميركم".

[ينابيع المودّة للحافظ القندوزي الحنفي: ص٢٣٨].

ومن ألقابه الوصيّ

وفي "الفصول المهمّة": من ألقابه عليه السلام الوصيّ.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٣٠].

وقال السيّد محسن الأمين: وكان يعرف بذلك عند أوليائه وأعدائه، خرج شابٌّ من بني ضبّة معلم يوم الجمل من عسكر عائشة وهو يقول:

نحن بني ضبّة أعداء عليّ*** ذاك الّذي يعرف قدماً بالوصي

وفارس الخيل على عهد النبي*** ما أنا عن فضل عليّ بالعمي

لكنّني أنعى ابن عفّان التقي*** إنّ الوليّ يطالب ثار الولي

وقال رجل من الأزد يوم الجمل:

هذا عليّ وهو الوصيّ*** أخاه يوم النجوة النبي

وقال: هذا بعدي الوليّ*** وعاه واع ونسى الشقي

وقال زحر بن قيس الجعفي يوم الجمل - وهو ممّن شهد مع عليّ عليه السلام الجمل وصفّين، كما شهد معه شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي ثمّ حاربوا الحسين عليه السلام يوم كربلاء، فكانت لهم خاتمة سوء، نعوذ باللّه من سوء الخاتمة -:

أضربكم حتّى تقرّوا لعلي*** خير قريش كلّها بعد النبي

من زانه اللّه وسمّاه الوصي*** إنّ الوليّ حافظ ظهر الولي

كما الغوي تابع أمر الغوي*** وقال الكميت:

والوصيّ الّذي أمال التجوبي*** به عرش أُمّة لانهدام

وقال كثير:

وصيّ النبيّ المصطفى وابن عمّه*** وفكّاك أعناق وقاضي مغارم

[أعيان الشيعة ١:٣٢٥، وقد ذكرنا بحث الوليّ والوصيّ "في الفصل ٤٤ في الجزء الثالث في المجلد الثاني"، فراجعه].

ومن ألقابه يعسوب الدين و يعسوب المؤمنين

[اليعسوب: ملك النحل، ومنه قيل للسيّد: يعسوب قومه، راجع كشف الغمّة - باب المناقب ١:٩٣].

قال الشارح المعتزلي: و من ألقابه يعسوب الدين و يعسوب المؤمنين، هذه كلمة قالها رسول اللّه صلى الله عليه و آله بلفظين مختلفين، تارة: أنت يعسوب الدين، وأُخرى: أنت يعسوب المؤمنين، والكلّ راجع إلى معنى واحد، كأنّه صلى الله عليه و آله جعله عليه السلام رئيس المؤمنين وسيّدهم، أو جعل الدين يتبعه ويقفو أثره حيث سلك كما يتبع النحل اليعسوب، وهذا نحو قوله صلى الله عليه و آله: 'وأدر الحقّ معه كيف دار'.

[شرح ابن أبي الحديد ١٩:٢٢٤].

وفي "ينابيع المودّة" عن أنس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'عليّ يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين'.

[ينابيع المودّة: ١٨٥].

وفي "نهج البلاغة" قال عليّ عليه السلام: 'أنا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الفجّار'.

[نهج البلاغة، الكلمات القصار ٣٠٨].

قال السيّد الرضيّ: 'ومعنى ذلك: أنّ المؤمنين يتّبعوني، والفجّار يتّبعون المال كما يتّبع النحل يعسوبها وهو رئيسها'.

[المصدر المتقدّم].

وفي "أعيان الشيعة" عن مسند أحمد بن حنبل وحلية الأولياء: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ: 'أنت يعسوب الدين، والمال يعسوب الظلمة'.

[أعيان الشيعة ١:٣٢٦].

وفي "أعيان الشيعة" عن مسند أحمد وحلية الأولياء: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ: 'هذا يعسوب المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين'.

[أعيان الشيعة ٢:٣٢٦].

وفي "مجمع البحرين": قال عليّ عليه السلام: 'كنت للمؤمنين يعسوباً

[اليعسوب: أمير النحل وكبيرهم وسيّدهم، تُضرب به الأمثال؛ لأنّه إذا خرج من كوره تبعه النحل بأجمعه، ومعنى الحديث: 'يلوذون بي كما تلوذ النحل بيعسوبها' مقدّمها وسيّدها، راجع مجمع البحرين ٢:١٢١، مادة 'عسب'].

[مجمع البحرين ٢:١٢١، مادة 'عسب'].

وقال ابن الجوزي في "تذكرة الخواصّ": ويسمّى عليّ عليه السلام يعسوب المؤمنين؛ لأنّ اليعسوب أمير النحل، وهو أحزمهم

[أحزمهم: أقواهم وأشدّهم].

يقف على باب الكوارة

[الكوار والكوارة: شي ء يتّخذ للنحل من القضبان].

كلّما مرّت به نحلة شمّ فاها، فإن وجد منها رائحة منكرة علم أنّها رعت حشيشة خبيثة، فيقطعها نصفين ويلقيها على باب الكوارة ليتأدّب بها غيرها، وكذا عليّ عليه السلام يقف على باب الجنّة فيشمّ أفواه النّاس، فمن وجد منه رائحة بغضه ألقاه في النّار.

[تذكرة الخواصّ: ١٦].

ومن ألقابه أمير النحل [في مجمع البحرين: النحل كفلس ذباب العسل، الواحدة نحلة كنخلة، سمّيت نحلة لأنّ اللّٰه تعالى نحل النّاس العسل الّذي يخرج منها؛ إذ النِّحلة العطيّة. وفي الحديث: "نهى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عن قتل ستّة..."، وعدّ منها النحلة؛ لأنّها تأكل طيّباً وتضع طيّباً، وهي الّتي أوحى اللّٰه إليها ليست من الجنّ ولا من الإنس و... - مجمع البحرين ٥:٤٧٨، مادة "نحل"].

في "مجمع البحرين": ومن ألقاب عليّ عليه السلام أمير النحل"

[المصدر السابق بعينه].

لأنّ مَثَلَ المؤمنين مَثَلُ النَّحل، وكما أنّ أجواف النحل العسل لو تعلم الطيور ما في أجوافها لأكلتها، فكذا المؤمنون لو علم المخالفون بما في أجواف المؤمنين من محبّة أهل البيت عليهم السلام لأكلوهم بألسنتهم، وفي الحديث: "مَثَلُ الموامن مَثَلُ النَّحلة".

[النهاية لابن الأثير ٥:٢٩، مادة "نحل"].

وعليّ عليه السلام أميرهم وسيّدهم.

قال الصادق عليه السلام - في حديث -: "إنّما أنتم في النّاس كالنَّحل في الطير، لو أنّ الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيءٌ إلا أكلته، ولو أنّ النّاس علموا ما في أجوافكم أنّكم تحبّونا أهل البيت، لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم

[نحله القوم كمنعه: نسبه إليه، ونحل فلاناً: سابّه، وفي بعض النسخ: "نجلوكم" بالجيم، وفي القاموس: نجل فلاناً: ضربه بمقدّم رجله، وتناجلوا: تنازعوا - هامش أُصول الكافي ٢:٢١٨، ذيل الحديث].

في السرّ والعلانية، رحم اللّٰه عبداً منكم كان على ولايتنا".

[أُصول الكافي ٢:٢١٨، والبحار عنه ٢٤:١١٢].

وقال ابن الجوزي في "تذكرة الخواصّ": والمؤمنون يتشبّهون بالنحل؛ لأنّ النحل تأكل طيّباً وتضع طيّباً، وعليّ عليه السلام أمير المؤمنين.

[تذكرة الخواصّ: ١٦].

فاتّضح ممّا ذكرنا معنى كون عليّ عليه السلام أمير النحل، أي أمير المؤمنين. قال الشاعر:

ولايتي لأمير النحل تكفيني*** عند الممات وتغسيلي وتكفيني

وطينتي عجنت من قبل تكويني*** بحبّ حيدر كيف النّار تكويني

[تكويني: تحرقني، من كوى يكوي].

ومن ألقابه الانزع البطين

[البطين: الملوء البطن. قال ابن الأثير في "النهاية": وفي صفة عليّ عليه السلام: البطين الأنزع، كان أنزع الشعر، له بطن، وقيل: معناه: الأنزع من الشرك، المملوء البطن من العلم والإيمان - النهاية ٥:٤٢، مادة 'نزع'].

يسمّى به لأنّه كان منزوعاً من الشرك، ممتلئ البطن بالعلم و الإيمان.

وفي "المناقب" لابن المغازلي الشافعي: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، إنّ اللّٰه عزّ وجلّ قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ولمُحبّي شيعتك، فأبشر، فإنّك الأنزع البطين، المنزوع من الشرك، البطين من العلم'.

[المناقب لابن المغازلي: ٤٠٠، رقم ح ٤٥٥].

وفي "تذكرة الخواصّ" لسبط ابن الجوزي، قال: ويسمّى |عليّ عليه السلام| البطين؛ لأنّه كان بطيناً من العلم، وكان يقول عليه السلام: 'لو ثنيت لي الوسادة لذكرت في تفسير بسم اللّٰه الرحمن الرحيم حِملَ بعير'، ويسمّى الأنزع؛ لأنّه أنزع من الشرك.

[تذكرة الخواصّ: ١٦٢].

و قال أيضاً: و يسمّى أسد اللّٰه و أسد رسوله، و يسمّى الولي، و الوصي، و التقي، و قاتل الناكثين و القاسطين، و شبيه هارون، و صاحب اللوى، و خاصف النعل، و كاشف الكرب، و أبو الريحانتين، و بيضة البلد، في ألقاب كثيرة.

[نفس المصدر: ١٦].

ابوه أبو طالب

قال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: 'مَثَلُ أبي طالب مَثَلُ أهل الكهف حين أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم اللَّهُ أجرهم مرّتين'. بحار الأنوار ٣٥:٧٢

اسمه وأولاده

اسمه عبدمناف، وكنيته أبو طالب، وقد كنّي بأكبر أولاده، أمّا أولاده فهم: ١ - طالب، ولا عقب له، ٢ - عقيل، ٣ - جعفر، ٤ - عليّ عليه السلام، وكلّ واحد أسنّ من الآخر بعشر سنين، ٥ - وأمّ هاني

[لقد ذكرنا شرح حال أولاده عليه السلام في الفصل الرابع: "أمّه فاطمة بنت أسد"].

واسمها فاختة، وأمّهم جميعاً فاطمة بنت أسد.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٣٠].

وصية عبدالمطّلب لابنه أبي طالب بحفظ محمّد

قال ابن الجوزي الحنفي: هو ابن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصيّ بن كلاب ابن مرّة... ثمّ قال: ولمّا احتضر عبدالمطّلب أوصى إلى أبي طالب، وعهد إليه في أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وقد أشار محمّد بن سعد في كتاب الطبقات عن جماعة من العلماءِ منهم: ابن عبّاس ومجاهد وعطاء والزهري وغيرهم، فذكر طرفاً من ذلك، فقالوا: توفّي عبدالمطّلب في السنة الثانية ولرسول اللَّه ثمان سنين، وكانت قد أتت على عبدالمطّلب مائة وعشرون سنة، ودفن بالحجون "نوّر اللَّه مضجعه، وحشره اللَّه في رضوانه".

قالت أُمّ أيمن: أنا رأيت رسول اللَّه يمشي تحت سريره، وهو يبكي، ثمّ قام أبو طالب يذبّ عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من سنة ثمان من مولده إلى السنة العاشرة من النبوّة، وذلك اثنان وأربعون سنة.

[تذكرة الخواصّ: ١٧].

وفي "المناقب" لابن شهرآشوب: لمّا حضرت عبدالمطّلب الوفاة، دعا ابنه أبا طالب، فقا له: يا بنيّ، قد علمت شدّة حبّي لمحمّد ووجدي به، انظر كيف تحفظني فيه، قال أبو طالب: يا أبه، لا توصني بمحمّد فإنّه ابني وابن أخي، فلمّا توفّي عبدالمطّلب كان أبو طالب يؤثره بالنفقة وبالكسوة على نفسه وعلى جميع أهله.

[المناقب لابن شهرآشوب ١:٣٦، وبحار الأنوار ٣٥:٨٦].

ما دلّ على إيمانه

والأدلّة على إيمان أبي طالب وإسلامه كثيرة جدّاً، فإنّه قبل البعثة سمع من بحيرا الراهب أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله نبيٌّ، ومنذ سماعه ذلك بذل قصارى جهده لأجل المحافظة عليه، وكان بعد البعثة مجاهداً مضحّياً إلى جنب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومدافعاً عنه... لقد سرّ بإسلام عليّ عليه السلام ورغّب جعفراً في أن يلتحق بأخيه، وائتمر كفّار مكّة مرّة على قتل النبيّ صلى الله عليه و آله، فأخفاه أبو طالب مع أربعة أشخاص في الشعب المعروف بشِعب أبي طالب، وكان مع جماعة يحرسونهم من الأعداء، وقد أوصى عليّاً عليه السلام أن يبيت في فراش النبيّ صلى الله عليه و آله ليلاً ليسلم النبيّ صلى الله عليه و آله إن أرادوا به كيداً، وبذلك حافظ على حياة النبيّ صلى الله عليه و آله من مكائد كفّار مكّة، ولم يكن كفّار مكّة ليجرؤوا على الإقدام للتخطيط ضدّ النبيّ صلى الله عليه و آله ما دام أبو طالب على قيد الحياة، فلمّا فارقها حزن النبيّ صلى الله عليه و آله واغتمّ لذلك، فأمر عليّاً عليه السلام بتجهيز والده وتغسيله وتكفينه ودفنه. و لا شبهة أنّه لو كان أبو طالب كافراً لما أمر النبيّ صلى الله عليه و آله عليّاً بتولية تجهيزه، ولكان الكافر من أولاده أحقّ به.

وبعد رحلة أبي طالب لم يطق النبيّ صلى الله عليه و آله البقاء في مكّة؛ لتفاقم الأذى وفقدان الناصر، فقد كان الكفّار يؤذونه ويلقون التراب على رأسه، فأمر النبيّ صلى الله عليه و آله بالهجرة إلى الطائف أوّلاً، ولمّا لم يلق آذاناً صاغية وقلوباً واعية فيها، هاجر ثانية إلى المدينة بعد عودته إلى مكّة، ثمّ أمر المسلمين بالهجرة.

ومن حيث إيمان أبي طالب فنحن نخطو خطوة أوسع في هذا الصدد، ونعتقد أنّ أبا أبا طالب كان أحد أولياء اللَّه، ولنا أدلّتنا على هذا الاعتقاد بملاحظة ما ذكرناه، ومن أجل تبيان الحقيقة للقارئ المحترم، فإنّنا نورد بعض الأخبار الواردة في هذه الباب، ونترك للقارئ المنصف المجال للاحتكام إلى العقل.

ذبّه الدائم عن رسول اللَّه

وهو أخو عبداللَّه أبي النبيّ لأُمّه وأبيه، وهو الّذي كفل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صغيراً، وقام بنصره وحامى عنه وحاطه كبيراً، وتحمّل الأذى في سبيله من مشركي قريش ومنعه منهم، ولقي لأجله عناءً عظيماً، وأبلى بلاءً شديداً، وصبر على نصره والقيام بأمره، حتّى أنّ قريشاً لم تطمع في رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وكانت كاعّة عنه حتّى توفّي أبو طالب، ولم يؤمر بالهجرة إلا بعد وفاته، وكان أبو طالب مسلماً لا يجاهر بإسلامه، ولو جاهر لم يمكنه ما أمكنه من نصر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، على أنّه قد جاهر بالإقرار بصحّة نبوّته في شعره مراراً، كقوله:

ودعوتني وعلمت أنّك صادق*** ولقد صدقت وكنت قبل أمينا

ولقد علمت بأنّ دين محمّد*** من خير أديان البريّة دينا

[الاستيعاب لابن عبدالبرّ بهامش الإصابة ٣:٢٧، وأعيان الشيعة ١:٣٢٤].

وغير هذه الأبيات، ومن أرادها فليراجعها في ديوان أبي طالب.

الحديث

١- روى الكليني حسنة كالصحيحة عن هشام بن الحكم، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: بينا النبيّ صلى الله عليه و آله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جُدد، فألقى المشركون عليه سلا [السلا - مقصوراً -: الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الدم] ناقة، فملؤوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء اللّٰه [أي من الغمّ والحزن]

فذهب إلى أبي طالب، فقال له: 'يا عمّ، كيف ترى حَسَبي فيكم؟'، فقال له: وما ذاك يابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف، وقال لحمزة: خذ السلا، ثمّ توجّه إلى القوم والنبيّ معه، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلمّا رأوه عرفوا الشرّ في وجهه، فقال لحمزة: أمرّ السلا على سبالهم

[السبلة - محرّكة -: الدائرة في وسط الشفه العليا، أو ما على الشارب من الشعر أو طرفه، أو مجتمع الشاربين، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلّها، أو مقدّمها خاصّة - مرآة العقول ٥:٢٥٦].

ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم، ثمّ التفت أبو طالب إلى النبيّ فقال: يابن أخي، هذا حسبك فينا.

[أُصول الكافي ١:٤٤٩، والبحار ٣٥:١٣٦].

٢- و عن ابن أبي الحديد - في حديث -، قال: قرأت في "أمالي" أبي جعفر محمّد بن حبيب، قال: كان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله البيات إذا عرف مضجعه، وكان يقيمه ليلاً من منامه، ويضجع ابنه عليّاً مكانه، فقال له عليّ ليلة: 'يا أبتِ، إنّي مقتول'، فقال له أبو طالب:

اصبرن يا بُنيّ فالصبر أحجى*** كلّ حيّ مصيره لشعوب

[الشعوب: المنيّة].

قد بذلناك والبلاء شديد*** لفداء الحبيب وابن الحبيب

لفداء الأعزّ ذي الحسب الثا*** قب والباع والكريم النجيب

إن تصبك المنون فالنبل تبرى*** فمصيب منها وغير مصيب

كلّ حيّ وإن تملّى بعمر*** آخذ من مذاقها بنصيب

[شرح ابن أبي الحديد ١٤:٦٤، ولفظ الحديث من أعيان الشيعة ١:٣٧٣].

٣- قال الطبري عن محمّد بن إسحاق:... إنّ أبا طالب قال لعليّ بن أبي طالب: أي بُنيّ، ما هذا الدين الّذي أنت عليه؟ قال: 'يا أبه، آمنت باللَّه وبرسوله، وصدّقته بما جاء به، وصلّيت معه للَّه'، فزعموا

[قوله: فزعموا، على مذهبهم، أمّا أمّا نحن فنعتقد بأنّه يقولها: لأنّه مؤمن بالنبيّ صلى الله عليه و آله، ومعتقد بأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لا يدعو إلا إلى الخير].

أنّه قال له: أما إنّه لا يدعوك إلا إلى خير، فالزمه.

[تاريخ الطبري ٢:٥٨].

٤- وفي "المناقب" عن الطبري والبلاذري والضحّاك، قال: لمّا رأت قريش حميّة قومه وذبّ عمّه أبي طالب عنه، جاؤوا إليه وقالوا: جئناك بفتى قريش جمالاً وجوداً وشهامة عمارة بن الوليد، ندفعه إليك يكون نصره وميراثه لك، ومع ذلك من عندنا مال، وتدفع إلينا ابن أخيك الّذي فرّق جماعتنا، وسفّه أحلامنا فنقتله؟

فقال: واللَّه ما أنصفتموني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وتأخذون ابني تقتلونه؟! هذا واللَّه ما لا يكون أبداً، أتعلمون أنّ الناقة إذا فقدت ولدها لا تحنّ إلى غيره؟ ثمّ نهزهم فهمّوا باغتياله، فمنعهم أبو طالب من ذلك، وقال فيه:

حميت الرسول رسول الإله* ببيض تُلألئ مثل البروق**

أذبّ وأحمي رسول الإله* حماية عمّ عليه شفيق**

[المناقب لابن شهرآشوب ١:٦٠، وبحار الأنوار ٣٥:٨٩].

٥- وفيه أيضاً: عن مقاتل، قال: لمّا رأت قريش يعلو أمره قالوا: لا نرى محمّداً يزداد إلا كبراً وتكبّراً، وإن هو إلا ساحر أو مجنون، وتوعّدوه وتعاقدوا لئن مات أبو طالب ليجمعنّ قبائل قريش كلّها على قتله، وبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصّاهم برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال: إن ابن أخي كما يقول، أخبرنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا أنّ محمّداً نبيّ صادق، وأمين ناطق، وأنّ شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربّه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وراموا عدوّه من وراء حوزته، فإنّه الشرف الباقي لكم الدهر.

[المناقب لابن شهرآشوب ١:٦١].

٦- وفيه أيضاً: عن ابن عبّاس: دخل النبيّ صلى الله عليه و آله الكعبة وافتتح الصلاة، فقال أبو جهل: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام عبداللَّه بن الزبعري وتناول فرثاً ودماً، وألقى ذلك عليه، فجاء

أبو طالب وقد سلّ سيفه، فلمّا رأوه جعلوا ينهضون، فقال: واللّٰه! لئن قام أحد جلّلته بسيفي، ثمّ قال: يابن أخي، مَن الفاعل بك هذا؟ قال: 'عبداللّٰه'، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً وألقى عليه.

[المصدر السابق: ٦٠].

٧- وفي "الكافي" عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: 'لمّا توفّي أبو طالب، نزل جبرئيل على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: يا محمّد، اخرج من مكّة فليس لك فيها ناصر، وثارت

[الثورة: الهيجان].

قريش بالنبيّ، فخرج هارباً حتّى جاء إلى جبل بمكّة يقال له: الحجون

[الحجون: الجبل المشرف ممّا يلي شِعب الجزازين بمكّة، وفيه اعوجاج كما عن النهاية ١:٣٤١، والظاهر الجبل الّذي فيه الغار المشهور، كما عن المجلسي في مرآة العقول ٥:٢٥٧].

فصار إليه'.

[أُصول الكافي ١:٤٤٩، بحار الأنوار ٣٥:١٣٧].

٨- وفيه أيضاً: عن سعيد بن المسيّب، عن عليّ بن الحسين عليه السلام - في حديث -، قال: فلمّا فقدهما - يعني أبا طالب وخديجة - رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله سئم المقام بمكّة، ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفّار قريش، فشكا إلى جبرئيل ذلك، فأوحى اللّٰه عزّوجلّ إليه: اخرج من القرية الظالم أهلها

[اقتباس من قوله تعالى: 'أَخْرِجْنَا مِن هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا' سورة النساء: ٧٥].

وهاجر إلى المدينة، فليس لك اليوم بمكّة ناصر، وأنصب للمشركين حرباً، فعند ذلك توجّه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلى المدينة - الحديث.

[روضة الكافي: ٢٨١، ح ٥٣٦].

٩- وفي "الكامل" و "تاريخ الطبري" عن ابن إسحاق، قال: مات أبو طالب وخديجة قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين، فعظمت المصيبة على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بوفاتهما، فقال صلى الله عليه و آله: ما نالت قريش منّي شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب؛ وذلك أنّ قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه، حتّى نثر بعضهم على رأسه التراب، و حتّى إنّ بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلّي، وكان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يُخرج ذلك على العود ويقول: أيّ جوار هذا يا بني عبد مناف! ثمّ يلقيه بالطريق.

[تاريخ الطبري ٢:٨٠، الكامل في التاريخ لابن الأثير ١:٥٠٧].

١٠- وروى الطبري أيضاً عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لمّا نثر ذلك السفيه التراب على رأس الرسول دخل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته

[وجاء في بعض الروايات أنّها فاطمة عليهاالسلام].

تغسل عنه التراب، وهي تبكي ورسول اللّٰه يقول لها: 'يا بُنيّة، لا تبكي، فإنّ اللّٰه مانع أباك'، قال: ويقول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب'، ولمّا مات أبو طالب، خرج رسول اللّٰه إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه - الحديث.

[تاريخ الطبري ٢:٨٠].

١١- وفي "شرح ابن أبي الحديد"، عن أُستاذه أبي جعفر نقيب البصرة، قال: وإنّ قريشاً لم تقدر على أذى النبيّ صلى الله عليه و آله وأبو طالب حيٌّ يمنعه، فلمّا مات طلبته لتقتله، فخرج تارةً إلى بني عامر، وتارةً إلى ثقيف "الطائف"، وتارة إلى بني شيبان، ولم يكن يتجاسر على المقام بمكّة إلا مستتراً حتّى أجاره مطعم بن عدي، ثمّ خرج إلى المدينة - الحديث.

[شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٦٨].

كان أبو طالب مسلماً منذ البداية

قال المجلسي: قد أجمعت الشيعة على إسلام أبي طالب عليه السلام، وأنّه قد آمن بالنبيّ في أوّل الأمر، ولم يعبد صنماً قطّ، بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام، واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتّى أنّ المخالفين كلّهم نسبوا ذلك إليهم، وتواترت الأخبار من طرق الخاصّة والعامّة في ذلك، وصنّف كثير من علمائنا ومحدّثينا كتباً مستقلّة في ذلك.

[بحار الأنوار ٣٥:١٣٨].

وقال ابن الأثير في كتاب "جامع الأُصول": وما أسلم من أعمام النبيّ غير حمزة والعبّاس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام.

[المصدر السابق: ١٣٩].

وقال الطبرسي رحمه الله: قد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجّة؛ لأنّهم أحد الثقلين اللذين أمر النبيّ صلى الله عليه و آله بالتمسّك بهما.

[بحار الأنوار ٣٥:١٣٩].

ونذكر هنا نزراً من الأخبار في ذلك

١- روى ابن الصبّاغ المالكي: ربّاه - أي ربّى عليّاً عليه السلام - النبيّ صلى الله عليه و آله وأزلفه وهداه إلى مكارم الأخلاق والفقه، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قبل بدء أمره إذا أراد الصلاة خرج إلى شعاب مكّة مستخفياً، وأخرج عليّاً عليه السلام معه، فيصلّيان ما شاء اللَّه، فإذا قضيا رجعا إلى مكانهما.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٣٣، وهامشه ٣٣].

٢- وفي هامشه: وقال محمّد بن طلحة الشافعي في كتابه "مطالب السؤول" بعد ذلك: فمكثا يصلّيان على استخفاء من أبي طالب وسائر عمومتهما وقومهما، ثمّ إنّ أبا طالب مرّ عليهما، فقال لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ما هذا الّذي أراك تدين به؟ قال: 'هذا دين اللَّه ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني اللَّه به نبيّاً إلى العباد، وأنت يا عمّ أحقّ من أبديت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحقّ من أجابني إليه وأعانني عليه'، وقال عليّ عليه السلام: 'قد آمنت برسول اللَّه واتّبعته وصلّيت معه للَّه'. فقال أبو طالب له: يا بُنيّ، أما إنّه لم يدعك إلا إلى الخير، فالزمه

[نفس المصدر].

فهذا ظاهر في أنّ أبا طالب التزم بهذا الدين وآمن بما جاء به رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

٣- في كتاب "المناقب" عن الشيرازي: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا نزل الوحي عليه أتى المسجد الحرام وقام يصلّي فيه، فاجتاز به عليّ، وكان ابن تسع سنين، فناداه: 'يا عليّ، إليَّ أقبل'، فأقبل إليه ملبّياً، قال: 'إنّي رسول اللَّه إليك خاصّة وإلى الخلق عامّة، تعال - يا عليّ - فقف عن يميني وصلِّ معي'، فقال: 'يا رسول اللَّه، حتّى أمضى وأستأذن أبا طالب والدي'، قال: 'اذهب فإنّه سيأذن لك'، فانطلق يستأذن في اتّباعه، فقال: يا ولدي، تعلم أنّ محمّداً - واللَّه - أمين منذ كان، امض واتّبعه ترشد وتفلح وتشهد.

فأتى عليّ عليه السلام ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله قائم يصلّي عند المسجد، فقام عن يمينه يصلّي معه، فاجتاز بهما أبو طالب وهما يصلّيان، فقال: يا محمّد، ما تصنع؟ قال: 'أعبدُ اللَّه ربّ السماوات والأرض، ومعي أخيّ عليّ يعبد ما أعبد. يا عمّ، وأنا أدعوك إلى عبادة اللَّه الواحد القهّار' فضحك أبو طالب حتّى بدت نواجذه، وأنشأ يقول:

واللَّه لن يصلوا إليك بجمعهم*** حتّى أُغيّب في التراب دفينا

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٨].

وأنشأ كعب بن زهير:

صهر النبيّ وخير النّاس كلّهم*** وكلّ من رامه بالفخر مفخور

صلّى الصلاة مع الأُمّي أوّلهم*** قبل العباد وربّ النّاس مكفور

[المصدر السابق: ١٥].

٤- وفي "أمالي الصدوق" بسنده عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، قال: أوّل جماعة كانت، أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يصلّي وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب معه؛ إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه، فقال: يا بنيّ، صِلْ جناح ابن عمّك، فلمّا أحسّه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تقدّمهما وانصرف أبو طالب مسروراً، وهو يقول:

إنّ عليّاً وجعفراً ثقتي*** عند ملمّ الزمان والكرب

واللَّه لا أخذل النبيّ ولا*** يخذله من بنيّ ذو حسب

لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما*** أخي لأُمّي من بينهم وأبي

قال: 'فكانت أوّل جماعة جمعت ذلك اليوم'.

[أمالي الصدوق - المجلس السادس والسبعون: ح ٤، وبحار الأنوار ٣٥:٦٨، وفي شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٦٩ نحوه].

٥- وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي في ذيل الآية: 'فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ'

[سورة الحجر: ٩٤].

قال: فإنّها نزلت بمكّة بعد أن نُبّئ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بثلاث سنين؛ وذلك أنّ النبوّة نزلت على رسول اللَّه يوم الاثنين، وأسلم عليّ يوم الثلاثاء، ثمّ أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبيّ، ثمّ دخل أبو طالب إلى النبيّ وهو يصلّي وعليّ بجنبه، وكان مع أبو طالب جعفر، فقال له أبو طالب: صِلْ جناح ابن عمّك، فوقف جعفر على يسار رسول اللَّه "سلام اللَّه وصلواته عليهم أجمعين"، فبدر رسول اللَّه من بينهما، فكان رسول اللَّه يصلّي، وعليّ وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة يأتمّون به، فلمّا أتى لذلك ثلاث سنين أنزل اللَّه عليه: 'فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ' الآية.

[تفسير عليّ بن إبراهيم ١:٣٧٨، وبحار الأنوار ٣٥:٨٠].

٦- وفي "أمالي الصدوق" بسنده عن العبّاس، قال: قال أبو طالب لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: يابن أخي، اللَّه أرسلك؟ قال: 'نعم'، قال: فأرني آية، قال: ادع لي تلك الشجرة، فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه، ثمّ انصرفت، فقال أبو طالب: أشهد أنّك صادق يا جعفر، صِلْ جناح ابن عمّك.

[أمالي الصدوق: ٤٩١، حديث ١٠، بحار الأنوار ٣٥:٧١].

٧- وفي "شرح ابن أبي الحديد"، قال - في حديث -: إنّ العبّاس بن عبدالمطّلب قال لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بالمدينة: يا رسول اللّٰه، ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: 'أرجو له كلّ خير من اللّٰه عزّ وجلّ'.

[شرح ابن أبي الحديد ١٤:٦٨].

ما قيل في إثبات إيمان أبي طالب منذ بداية الإسلام

نرى من الأجدر والأوفق أن نذكر هنا لفظ ما ذكره السيّد المرتضى في كتاب "الفصول" عن شيخه المفيد "رضوان اللّٰه عليهما" أنّه قال: ممّا يدلّ على إيمان أبي طالب إخلاصه في الودّ لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله والنصرة له بقلبه ويده ولسانه، وأمر ولديه عليّاً وجعفراً باتّباعه، وقول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فيه عند وفاته: 'وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عمّ'، ثمّ أمره عليّاً خاصّة من بين أولاده الحاضرين بتغسيله وتكفينه وتوريته، دون عقيل ابنه وقد كان حاضراً، ودون طالب أيضاً، ولم يكن من أولاده من قد آمن في تلك الحال إلا أمير المؤمنين وجعفر، وكان جعفر غائباً في بلاد الحبشة، فلم يحضر من أولاده مؤمن إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فأمره بتولّي أمره دون من لم يكن على الإيمان.

ولو كان أبو طالب كافراً لما أمر ابنه المؤمن بتولية أمره، ولكان الكافر أحقّ به، مع أنّ الخبر قد ورد على الاستفاضة بأنّ جبرئيل نزل على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عند موت أبي طالب فقال له: 'يا محمّد، إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول لك: اخرج من مكّة فقد مات ناصرك'، وهذا يبرهن عن إيمانه لتحقّقه بنصرة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ويدلّ على ذلك قوله لعليّ عليه السلام - حين رآه يصلّي مع رسول اللّٰه -: ما هذا يا بني؟ فقال: 'دين دعاني إليه ابن عمّي'، فقال له: اتّبعه، فإنّه لا يدعو إلا إلى خير، فاعترف بصدق رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وذلك حقيقة الإيمان.

وقوله - وقد مرّ على أمير المؤمنين ثانية وهو يصلّي عن يمين رسول اللّٰه ومعه جعفر ابنه -: يا بنيّ، صِلْ جناح ابن عمّك، فصلّى جعفر معه، وتأخّر أمير المؤمنين حتّى صار هو وجعفر خلف رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فجاءت الرواية بأنّها أوّل صلاة جماعة صلّيت في الإسلام، ثمّ أنشأ أبو طالب يقول:

إنّ عليّاً وجعفراً ثقتي*** عند ملمّ الزمان والكرب

فاعترف بنبوّة النبيّ صلى الله عليه و آله اعترافاً صريحاً في قوله: 'واللّٰه لا أخذل النبيّ'، ولا فصل بين أن يصف رسول اللّٰه بالنبوّة في نظمه، وبين أن يقرّ بذلك في نثر كلامه، ويشهد عليه من حضره.

وممّا يدلّ على ذلك أيضاً قوله في قصيدته اللاميّة:

ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذّب*** لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل

فشهد بتصديق رسول اللّٰه شهادة ظاهرة لا تحتمل تأويلاً، ونفى عنه الكذب على كلّ وجه، وهذا هو حقيقة الإيمان، ومنه قوله:

ألم يعلموا أنّ النبيّ محمّداً*** رسول أمين خطّ في أوّل الكتب

وهذا إيمان لا شبهة فيه لشهادته له برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

[الفصول المختارة ٢٣١ - ٢٢٨ :٢، بحار الأنوار ١٧٧ - ١٧٣ :٣٥].

ممّا يدلّ على إيمانه باللّٰه تعالى وبرسوله أُمور

منها أبو طالب من الأصلاب الطاهرة

في "الكافي" بسنده عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "إنّ اللّٰه كان إذ لا كان، فخلق الكون والمكان، وخلق نور الأنوار الّذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الّذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الّذي خلق منه محمّداً وعليّاً، فلم يزالا نورين أوّلين؛ إذ لا شي ء كُوِّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة، حتّى افترقا في أطهر طاهرين في عبداللّٰه وأبي طالب".

[الكافي - باب مولد النبيّ صلى الله عليه و آله ١:٤٤٤، ح٩، وراجع في هذا المجال زيارات الأئمّة عليهم السلام في الكافي ٤:٥٥٩ و ٥٧٣].

منها سعيه في حفظ النبي بعد قصّة بحيراء

و ممّا يدلّ على ايمانه باللّٰه و بالرسول سعيه لحفظ النبي صلى الله عليه و آله بعد قصة بحيراء الراهب. حيث انّه عليه السلام لمّا عرّفه بحيراء الراهب أمره قال: إنّه سيكون لابن أخيك هذا شأن، فارجع به إلى موضعه واحفظه، فلم يزل حافظاً له إلى أن أعاده إلى مكّة، وقد ذكر ذلك في شعره، وقال:

إنّ ابن آمنة النبيّ محمّداً*** عندي بمثل منازل الأولاد

فأقرّ بنبوّته كماترى.*** ومنها: لمّا رأى بحيراء الغمامة على رأس رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال فيه:

فلمّا رآه مقبلاً نحو داره*** يوقّيه حرّ الشمس ظلّ غمام

حَنى رأسه شبه السجود وضمّه*** إلى نحره والصدر أيّ ضمام

إلى أن قال:

وذلك من أعلامه وبيانه*** وليس نهار واضح كظلام

فافتخاره بذلك وجعله من أعلامه دليل على إيمانه.

و ايضاً: قوله في رجوعه من عند بحيراء وذكر اليهود:

فما رجعوا حتّى رأوا من محمّد*** أحاديث تجلو غمّ كلّ فؤاد

وحتّى رأوا أحبار كلّ مدينة*** سجوداً له من عصبة

[العصبة: الجماعة].

وفراد

وهذا أدلّ دليل على فرحه وسروره بمعجزاته وأخباره.

[بحار الأنوار ٣٥:١٣٩].

منها ما جرى بينه وبين النبي في الشِّعب

وفي "المناقب" و"البحار" عن عكرمة، وعروة ابن الزبير، رأت قريش أنّه يفشو أمره في القبائل، وأنّ حمزة أسلم، وأنّ عمرو بن العاص رُدّ في حاجته عند النجاشي، فأجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله علانية؟! فلمّا رأى ذلك أبو طالب جمع بني عبدالمطّلب، فأجمع لهم أمرهم على أن يدخلوا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله شِعبهم، فاجتمع قريش في دار الندوة، وكتبوا صحيفة على بني هاشم أن لا يكلّموهم ولا يزوّجوهم ولا يتزوّجوا إليهم ولا يبايعوهم، أو يسلّموا إليهم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وختم عليها أربعين خاتماً، وعلّقوها في جوف الكعبة "في رواية زمعة بن الأسود"، فجمع أبو طالب بني هاشم وبني عبدالمطّلب في شِعبه، وكانوا أربعين رجلاً مؤمنهم وكافرهم، ما خلا أبا لهب وأبا سفيان فظاهرهم عليه، فحلف أبو طالب لئن شاكت محمّداً شوكة لآتينّ عليكم يا بني هاشم، وحصّن الشِّعب، وكان يحرسه بالليل والنهار.

[المناقب لابن شهرآشوب ١:٦٣، بحار الأنوار ٣٥:٩١].

و فى البحار ايضاً: وكان النبيّ إذا أخذ مضجعه في الشعب ونامت العيون جاءه أبو طالب فأنهضه عن مضجعه، وأضجع عليّاً عليه السلام مكانه، ووكّل عليه ولده وولد أخيه، فقال عليّ: 'يا أبتاه، إنّي مقتول ذات ليلة؟'، فقال أبو طالب:

اصبرن يا بُنيّ فالصبر أحجى* كلّ حيّ مصيره لشعوب**

قد بلوناك والبلاء شديد* لفداء النجيب وابن النجيب**

لفداء الأعزّ ذي الحسب الثا* قب والباع والفناء الرحيب**

فقال عليّ عليه السلام:

"أتأمرني بالصبر في نصر أحمد* فواللّه ما قلت الّذي قلت جازعا**

ولكنّني أحببت أن ترَ نصرتي* وتعلم أنّي لم أزل لك طائعا**

وسعيي لوجه اللّه في نصر أحمد* نبيّ الهُدى المحمود طفلاً ويافعاً"**

[بحار الأنوار ٣٥:٩٣].

فأيّ دليل أقوى من هذا على إيمان أبي طالب؟![* و فيه ايضاً عن كتاب شرف المصطفى، أنّه حينما بعث اللّه على صحيفتهم - الّتي كتبها الكفّار وختموها وعلّقوها في البيت - الأرضة**

[الأرضة: دويبة تأكل الخشب ونحوه].

فلحستها

[لحس الدود الصوفَ: أكله].

فنزل جبرئيل فأخبر النبيّ صلى الله عليه و آله بذلك، فأخبر النبيّ صلى الله عليه و آله أبا طالب، فدخل أبو طالب على قريش في المسجد فعظّموه، وقالوا: أردت مواصلتنا وأن تسلّم ابن أخيك إلينا؟ قال: واللّه، ما جئت لهذا، ولكنّ ابن أخي أخبرني ولم يكذّبني، أنّ اللّه قد أخبره بحال صحيفتكم، فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان حقّاً فاتّقوا اللّه وارجعوا عمّا أنتم عليه من الظلم وقطيعة الرحم، وإن كان باطلاً دفعته إليكم، فأتوا بها وفكّوا الخواتيم وإذا فيها "بسمك اللّهمّ" واسم "محمّد" فقط.

فقال لهم أبو طالب: اتّقوا اللّه، وكفّوا عمّا أنتم عليه، فسكتوا وتفرّقوا، فنزلت: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ"

[النحل: ١٢٥].

قال: كيف أدعوهم وقد صالحوا على ترك الدعوة؟ فنزلت: "يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ"

[سورة الرعد: ٣٩].

فسأل النبيّ صلى الله عليه و آله أبا طالب الخروج من الشعب، فاجتمع سبعة نفر من قريش على نقضها

[نقض ما كتب في الصحيفة من المعاهدة].

وقال هؤلاء السبعة: أحرقها اللّٰه، وعزموا أن يقطعوا يمين كاتبها، وهو منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار، فوجودها شلاء، فقالوا: قطعها اللّٰه، فأخذ النبيّ صلى الله عليه و آله في الدعوة، وفي ذلك يقول أبو طالب:

ألا هل أتى نجداً بنا صنع ربّنا*** على نأيهم واللّٰه بالنّاس أرفد

فيخبرهم أنّ الصحيفة مزّقت*** وأنّ كلّ ما لم يرضه اللّٰه يفسد

[بحار الأنوار ٣٥:٩٤].

ولا يصدر هذا الايثار والفداء إلا ممّن آمن باللّٰه وبرسوله حقّ إيمانه وصدّق بدعوته.

وفي هذا ما يكفي في الدلالة على أنّ أبا طالب آمن برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وإن طَرْح المعاندين لايرادات واهية للتشكيك بإيمانه، فإنّما طرحوها جهلاً وعناداً، أعاذنا اللّٰه من هذا الافتراء على أبي طالب عليه السلام.

[من أراد المزيد فليراجع بحار الأنوار ٣٥:١٥٥ و ١٧٧].

و ممّا يؤد ذلك ما دلّ فى الحديث على - ان النار حرام على أبي طالب عليه السلام - و في "الكافي" بسنده عن ابن فضال عن بعض رجاله، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "نزل جبريل على النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: يا محمّد، إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول: إنّي قد حرّمت النّار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبداللّٰه بن عبدالمطّلب، والبطن الّذي حملك فآمنة بنت وهب، وأمّا حجر كفلك فحجر أبي طالب".

وفي رواية ابن فضّال: وفاطمة بنت أسد.

[الكافي - باب مولد النبيّ صلى الله عليه و آله ١:٤٤٦، ح٢١].

كان أبو طالب أسرّ إيمانه

١- وفي "الكافي" وغيره في حسنة هشام بن سالم، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "إنّ مَثَلَ أبي طالب مَثَلُ أصحاب الكهف، أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم اللّٰه أجرهم

[في بيان الحديث: أظهروا الشرك، أي عند مَن تجب التقيّة عنده لا عند جميع النّاس. قوله: أجرهم مرّتين: يعني مرّة للإيمان، ومرّة للتقيّة عند وجوبها، فإنّها أفضل الطاعات، لا سيّما تقيّة أبي طالب؛ لأنّها صارت سبباً لشدّة اقتداره على إعانة الرسول "ص" - مرآة العقول ٥:٢٥٣].

مرّتين'

[أُصول الكافي ١:٤٤٨، بحار الأنوار ٣٥:٧٢، أمالي الصدوق - المجلس التاسع والثمانون: ح١٢].

٢- في "كمال الدين" للصدوق بسنده، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'إنّ أبا طالب أظهر الشرك وأسرّ الإيمان، فلمّا حضرته الوفاة أوحى الله إلى رسول الله صلى الله عليه و آله: اخرج منها فليس لك بها ناصر، فهاجر إلى المدينة'.

[كمال الدين: ١٧٤، ح ٣١، بحار الأنوار ٣٥:٨١].

٣- وفي "الأمالي" بسنده عن سعيد بن جبير، عن عبدالله بن عبّاس أنّه سأله رجل فقال له: يابن عمّ رسول الله، اخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ فقال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

وقد علموا أنّ ابننا لا مكذَّب*** لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل

إنّ أبا طالب كان مَثَلُه كَمَثَلِ أصحب الكهف حين أسرّوا الإيمان، وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرّتين.

[أمالي الصدوق: ٤٩١، ح١١، بحار الأنوار ٣٥:٧٢ "فى الكافى ٤٤٩: ١: بقيل الأباطل"].

كان أبو طالب وصيّاً من أوصياء الأنبياء

فيستفاد من بعض الاخبار ان اباطالب عليه السلام كان وصياً من اوصياء الانبياء و فيما يلي نذكر بعضها:

١- روى الكليني بسنده، عن عبدالله بن مسكان، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: 'إنّ فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب لتبشّره بمولد النبيّ صلى الله عليه و آله فقال أبو طالب: اصبري سبتاً، أُبشّرك بمثله إلا النبوّة'.

[أُصول الكافي ١:٤٥٢].

يدلّ هذا الحديث مضافاً على تقدّم إيمان أبي طالب، أنّه كان من الأوصياء وأميناً على أسرار الأنبياء، وكذا الحديث التالي. - و السبت: الدهر، أو بثلاثين سنة. و عنه السبت: ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة.

[المصدر السابق].

٢- وفي "روضة الكافي" عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبيّ، حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتّى وضعت، فقالت إحداهما للأُخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وماترين؟ قالت: هذا النور الّذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب! فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب، فقال لهما: ما لكما؟ من أيّ شي ء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الّذي قد رأت. فقال لها أبو طالب: ألا أُبشّرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنّك ستلدين غلاماً يكون وصيّ هذا المولود'.

[روضة الكافي: ٢٥٠، ح٤٦٠].

٣- وفي "الكافي" ايضاً، بسنده عن درست بن أبي منصور، أنّه سأل أبا الحسن الأوّل عليه السلام: أكان رسول اللّه صلى الله عليه و آله محجوجاً بأبي طالب؟ فقال عليه السلام: 'لا ولكنّه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه'، قال: قلت: فدفع إليه الوصايا على أنّه محجوج به؟ فقال: 'لو كان محجوباً به ما دفع إليه الوصيّة'، قال: قلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: 'أقرّ بالنبيّ، وبما جاء به، ودفع إليه الوصايا، ومات من يومه'.

[أُصول الكافي ١:٤٤٥، بحار الأنوار ٣٥:٧٣، وقوله عليه السلام: 'ومات من يومه' أي يوم الدفع لا يوم الإقرار، ويحتمل تعلّقه بهما، ويكون المراد الإقرار الظاهر الّذي اطّلع عليه غيره صلى الله عليه و آله، ويؤيّد احتمال الثاني ما ورد عن ابن عبّاس قال: 'أخبرني العبّاس بن عبدالمطّلب أنّ أبا طالب شهد عند الموت أن لا إله إلا اللّه، وأنّ محمّداً رسول اللّه' - بحار الأنوار ٣٥:١١٣].

توضيح و بيان من المجلسي

بيان: أي هل كان أبو طالب حجّة على رسول اللّه إماماً له؟ فأجاب عليه السلام بنفي ذلك، معلّلاً بأنّه كان مستودعاً للوصايا، دفعها إليه لا على أنّه أوصى إليه وجعله خليفة له ليكون حجّة عليه، بل كما يوصل المستودع الوديعة إلى صاحبها. فلم يفهم السائل ذلك وأعاد السؤال، وقال: 'دفع الوصايا مستلزم لكونه حجّة عليه؟'، فأجاب عليه السلام: 'بأنّه دفع إليه الوصايا على الوجه المذكور، وهذا لا يستلزم كونه حجّة، بل ينافيه.

وقوله: 'مات من يومه' اي يوم الدفع لا يوم الإقرار، و يحتمل تعلقه بهما، و يكون المراد الإقرار الظاهر الّذي اطّلع عليه غيره، هذا أظهر الوجوه عندي في حلّ الخبر و يحتمل وجوهاً أُخر: منها أن يكون المعنى: 'هل كان الرسول محجوجاً مغلوباً في الحجّة بسبب أبي طالب حيث قصّر في هدايته إلى الإيمان ولم يؤمن'. فقال

عليه السلام: "ليس الأمر كذلك؛ لأنّه كان قد آمن وأقرّ، وكيف لا يكون كذلك والحال أنّ أبا طالب كان من الأوصياء، وكان أميناً على وصايا الأنبياء وحاملاً لها إليه صلى الله عليه و آله، فقال السائل: 'هذا موجب لزيادة الحجّة عليهما حيث علم نبوّته بذلك ولم يقرّ'، فأجاب عليه السلام: 'بأنّه لو لم يكن مقرّاً لم يدفع الوصايا إليه' الى آخر كلامه.

[بحار الأنوار ٣٥: ٧٤، وممّا يؤيّد على أنّه وصيّ من أوصياء اللّٰه، ذكرنا في فصل: "عليّ عليه السلام وليد الكعبة" أنّ تسمية عليّ كان من عند اللّٰه، فراجعه].

ايمان أبي طالب على لسان المعصومين

١- في "الاحتجاج" بسنده عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام: 'أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً في الرحبة والنّاس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت بالمكان الّذي أنزلك اللّٰه به، وأبوك معذّب في النّار؟! فقال له عليّ: مه

[مه: اسم فعل بمعنى أكفف].

فضّ اللّٰه فاك، والّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه اللّٰه فيهم، أأبي معذّب في النّار وابنه قسيم الجنّة والنّار؟! والّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، إنّ نور أبي يوم القيامة يطفئ أنوار الخلائق كلّهم إلا خمسة أنوار: نور محمّد صلى الله عليه و آله، ونوري، ونور الحسن، ونور الحسين، ونور تسعة من ولد الحسين، فإنّ نوره من نورنا الّذي خلقه اللّٰه تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام'.

[الاحتجاج للطبرسي: ٢٣٠ - ٢٢٩، بحار الأنوار ٣٥: ٦٩ و في كنز الفوائد ١٨٣: ١ نحوه].

٢- وفي "كنز الفوائد" عن أبان بن محمّد، قال: كتبت إلى الإمام عليّ بن موسى عليه السلام: جعلت فداك، إنّي شككت في إيمان أبي طالب؟ قال: فكتب: 'بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، ومن يتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى، إنّك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب، كان مصيرك إلى النّار'.

[المصدر السابق بعينه وروى عنه في البحار ٣٥: ١١٠، وراجع: شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٧٠].

٣- وفيه أيضاً عن محمّد بن يونس، عن أبيه، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام أنّه قال: 'يا يونس، ما يقول النّاس في إيمان أبي طالب؟'، قلت: جعلت فداك، يقولون: هو في ضحضاح

[الضحضاح في الأصل: ما رقّ من الماء على وجه الأرض، وما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنّار].

من نار يغلي منها أمّ رأسه، فقال عليه السلام: 'كذب أعداء اللّه إنّ أبا طالب من رفقاء النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً'.

[كنز الفوائد ١:١٨٣، وعنه في البحار ٣٥:١١١].

٤- و في حديث آخر، قال ابو عبداللّه عليه السلام: 'كذبوا واللّه، إنّ إيمان أبى طالب لو وضع في كفّة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفّة ميزان، لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم'.

ثمّ قال: 'كان - واللّه - أمير المؤمنين يأمر أن يحجّ عن أب النبيّ وأُمّه، وعن أبي طالب في حياته، ولقد أوصى في وصيّته بالحجّ عنهم بعد مماته'.

[بحار الأنوار ٣٥:١١٢، و في شرح ابن أبي الحديد ١٤:٦٨ نحوه].

٥- وفيه أيضاً: عن جعفر بن محمّد عليهماالسلام قال: 'ما مات أبو طالب حتّى أعطى رسول اللّه صلى الله عليه و آله من نفسه الرضى'.

[بحار الأنوار ٣٥:١١٣].

٦- وفي "الكافي" عن أبي عبداللّه إسحاق بن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال: قيل له: إنّهم يزعمون أنّ أبا طالب كان كافراً؟ فقال: 'كذبوا، كيف يكون كافراً وهو يقول:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً*** نبيّاً كموسى خُطَّ في أوّل الكُتب'

وفي حديث آخر: 'كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول:

لقد علموا أنّ إبننا لا مكذّب*** لدينا ولا يعبأ بقيل

[في امالي الصدوق: ٤٩١ ح ١١ 'بقول الأباطل'].

الأباطل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه*** ثمال اليتامى عصمة للأرامل'

[أُصول الكافي ١:٤٤٩].

ونذكر في الختام ما هو مشهور عن عبداللّه المأمون أنّه كان يقول: أسلم أبو طالب واللّهِ، بقوله:

نصرتُ الرسولَ رسولَ المليك*** ببيضٍ تلألأ كلمعِ البروق

أذبُّ وأحمي رسولَ الإلهِ*** حماية حامٍ عليه شفيق

وما إن أذبُّ لأعدائِهِ*** دبيب البكار حذار الفنيق

ولكن أزيرُ لهم سامياً*** كما زار ليثٌ بغيلٍ مضيق

[شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٧٤].

و بالجمله كان للنبيّ صلى الله عليه و آله تعلّق شديد بأبي طالب، فقد عاش في كنفه نحو "٤٢" عاماً مُنذ الثامنة من عمره حينما توفّي عبدالمطّلب، وقد نشأ في حجر أبي طالب وكبر في بيته، كان أبو طالب موحّداً مؤمناً باللّه ومعتقداً بالإسلام أرسخ الاعتقاد، وبقي على حاله هذه حتّى وافاه الأجل، وإنّما أخفى إيمانه ليتمكّن أن يكون له شأن واتّصال مع كفّار مكّة، وليطّلع على مكائدهم ومؤامراتهم، فكان يعيش حالة التقيّة، وكان مَثله كمثل أصحاب الكهف في قومهم، وهو ممّن آتاهم اللّه أجرهم مرّتين: لإيمانه وتقيّته.

وفاة أبي طالب

قال ابن أثير في تاريخه: توفّي أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين وذلك بعد خروجهم من الشِّعب، وكانت وفاته في شوّال، أو في ذي القعدة، وعمره بضع وثمانون سنة و كانت خديجة ماتت قبل أبي طالب عليهماالسلام بخمسة وثلاثين يوماً، وقيل: كان بينهما خمسة وخمسون يوماً، وقيل: ثلاثة أيّام، فعظمت المصيبة على رسول اللّه صلى الله عليه و آله بوفاتهما، فقال صلى الله عليه و آله: ما نالت قريش منّي شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب.

[الكامل في التاريخ لابن الأثير ١: ٥٠٧].

و بالجملة أن أبا طالب عليه السلام غادر الدنيا وقلبه مفعم بالإيمان باللّه، وبنبوّة محمّد رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وكيانه يطفح بالعقيدة برسالة السماء ونداء الإسلام، وأودع جثمانه الثرى في مقبرة أبي طالب في مكّة، وبموته خيّم على نبيّ الإسلام وأمير المؤمنين وجميع المسلمين الذين لم يبلغوا الخمسين ليل الغمّ والحزن، فقد خسروا حامياً لهم، ومدافعاً عنهم، ومضحّياً في سبيلهم، وبفقده - وكذا بفقد خديجة في تلك السنة - هُدّ ركن من أركان الإسلام.

وأخيراً يعتبر مثل هذا الأب، بهذه الفضائل والمناقب، وفي عصر الكفر والإلحاد المظلم منقبة وفضيلة لولده عليّ عليه السلام، لا شكّ أنّه كان كذلك: "أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تُلبسك من مدلهمّات ثيابها".

امّه فاطمة بنت أسد

قال الصادق عليه السلام: إنّ فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين عليه السلام كانت أوّل امرأة هاجرت إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من مكّة إلى المدينة على قدميها، وكانت من أبرّ النّاس برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله. الكافي ١:٤٥٣

كانت فاطمة بنت أسد بمنزلة الأُمّ لرسول اللّٰه

يستفاد من الاحاديث و التاريخ ان فاطمة بنت اسد أُمّ عليّ عليه السلام بمنزلة الأُمّ لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله و يحبّها حبّاً شديداً كما أنّها تحبّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أشدّ حبّاً، فاليك بعض ما ورد في هذا المجال:

١- قال الشيخ المفيد في "الإرشاد": وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف، وكانت كالأُمّ لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ربّي في حجرها، وكان صلى الله عليه و آله شاكراً لبرّها، وآمنت به في الأوّلين، وهاجرت معه في جملة المهاجرين، ولمّا قبضها اللّٰه تعالى إليه، كفّنها النبيّ صلى الله عليه و آله بقميصه ليدرأ به عنها هوامّ الأرض، وتوسّد في قبرها لتأمن بذلك ضغطة القبر، ولقّنها الإقرار بولاية ابنها أمير المؤمنين، لتجيب به عند المسألة بعد الدفن، فخصّها بهذا الفضل العظيم لمنزلتها من اللّٰه عزّ وجلّ، ومنه صلى الله عليه و آله، والخبر بذلك مشهور.

[الإرشاد، ج ١، ص ٥].

٢- قال العلامة الإربلي في "كشف الغمّة": وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وكانت من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بمنزلة الأُمّ، ربّته في حجرها، وكانت من السابقات إلى الإيمان، وهاجرت معه إلى المدينة، وكفّنها النبيّ صلى الله عليه و آله بقميصه - الحديث.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٨٢].

٣- قال ابن عبدالبرّ المالكي في "الاستيعاب": وأُمّ عليّ بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أوّل هاشميّة ولدت لهاشمي، توفّيت مسلمة قبل الهجرة وقيل: إنّها هاجرت.

[الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٢٦].

٤- قال ابن الجوزي الحنفي في "تذكرة الخواصّ": وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتوفّيت بها سنة أربع من الهجرة، وشهد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله جنازتها، وصلّى عليها ودعا لها، ودفع لها قميصه فألبسها إيّاه عند تكفينها.

[تذكرة الخواص: ٢٠].

٥- أيضاً: عن الزهري: وكان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يزورها ويقيل عندها في بيتها، وكانت صالحة.

[المصدر السابق].

٦- و عنه أيضاً عن ابن عبّاس: وفيها نزلت "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ" الآية

[سورة الممتحنة: ١٢].

قال: وهي أوّل امرأة هاجرت من مكّة إلى المدينة ماشية حافية، وهي أوّل امرأة بايعت محمّداً رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بمكّة بعد خديجة.

[تذكرة الخواصّ: ٢٠].

٧- و عنه أيضاً عن الزهري: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "يحشر النّاس يوم القيامة عراة"، فقالت: واسوأتاه، فقال لها رسول اللّٰه: "فإنّي أسأل اللّٰه أن يبعثك كاسية"، قال: وسمعته يقول - أو يذكر - "عذاب القبر"، فقالت: واضعفاه، فقال: "إنّي أسأل اللّٰه أن يكفيك ذلك".

[المصدر السابق بعينه].

٨- قال ابن الصبّاغ المالكي في "الفصول المهمّة": أُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف تجتمع هي وأبو طالب في هاشم، أسلمت وهاجرت مع النبيّ صلى الله عليه و آله وكانت من السابقات إلى الإيمان بمنزلة الأُمّ من النبيّ صلى الله عليه و آله، فلمّا ماتت كفّنها النبيّ صلى الله عليه و آله بقميصه، وأمر أُسامة بن زيد وأبا أيّوب الأنصاري وعمر بن الخطّاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها، فلمّا بلغوا لحدها حفره رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بيديه وأخرج ترابه، فلمّا اضطجع فيه، قال: "اللّٰه الّذي يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، اللّهمّ اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك محمّد والأنبياء الذين من قبلي، فإنّك أرحم الراحمين"، فقيل: يا رسول اللّٰه، رأيناك وضعت شيئاً لم تكن وضعته بأحد قبلها؟ فقال: "ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنّة، واضطجعت في قبرها ليخفّف عنها من ضغطة القبر، إنّها كانت من أحسن خلق اللّٰه صنعاً إليَّ بعد أبي طالب". [الفصول المهمّة: ٣١].

وروى العلامة الجويني في "فرائد السمطين" نحوه. [فرائد السمطين ١:٣٢٨، ح ٣٠٨].

ما قاله جعفر بن محمّد الصادق في حقّها

وفي "الكافي" بسنده عن محمّد بن جمهور، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "إنّ فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين "سلام اللّٰه عليهما"، كانت أوّل امرأة هاجرت إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من مكّة إلى المدينة على قدميها، وكانت من أبرّ النّاس برسول اللّٰه، فسمعت "فاطمة" رسول اللّٰه وهو

يقول: "إنّ النّاس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا، فقالت: واسوأتاه، فقال لها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فإنّي أسأل اللّٰه أن يبعثك كاسية.

وسمعته يذكر ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه، فقال لها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: فإنّي أسأل اللّٰه أن يكفيك ذلك، وقالت لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوماً: إنّي أُريد أن أعتق جاريتي هذه، فقال لها: إن فعلت أعتق اللّٰه بكلّ عضو منها عضواً منك من النّار، فلمّا مرضت أوصت إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأمرت أن يعتق خادمها، واعتقل لسانها فجعلت تومي إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إيماءً، فقبل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وصيّتها.

فبينما هو صلى الله عليه و آله ذات يوم قاعدٌ إذ أتاه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي، فقال له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: ما يبكيك؟ فقال: ماتت أُمّي فاطمة، فقال رسول اللّٰه: وأُمّي واللّٰه، وقام مسرعاً حتّى دخل فنظر إليها وبكى، ثمّ أمر النساء أن يغسّلنها، وقال: إذا فرغتنّ فلا تحدثن شيئاً حتّى تعلمنني، فلمّا فرغن أعلمنه بذلك، فأعطاهنّ أحد قميصيه الّذي يلي جسده وأمرهنّ أن يكفّنها فيه، وقال للمسلمين: إذا رأيتموني قد فعلت شيئاً لم أفعله قبل ذلك فسلوني لِمَ فعلتُه، فلمّا فرغن من غسلها وكفننها دخل صلى الله عليه و آله فحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتّى أوردها قبرها، ثمّ وضعها ودخل القبر فاضطجع فيه، ثمّ قام فأخذها على يديه حتّى وضعها في القبر، ثمّ انكبّ عليها طويلاً يناجيها، ويقول لها: ابنك، ابنك، |ابنك|، ثمّ خرج وسوّى عليها، ثمّ انكبّ على قبرها فسمعوه يقول: لا إله إلا اللّٰه، اللّهمّ إنّي استودعها إيّاك، ثمّ انصرف، فقال له المسلمون: إنّا رأيناك فعلت أشياء لم تفعلها قبل اليوم؟ فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب، إن كانت ليكون عندها الشي ء فتؤثرني به على نفسها وولدها، وإنّي ذكرت القيامة وإنّ النّاس يحشرون عراة، فقالت: واسوأتاه، فضمنت لها أن يبعثها اللّٰه كاسية، وذكرت ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه، فضمنت لها أن يكفيها اللّٰه ذلك، فكفّنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك، وانكببت عليها فلقّنتها ما تسأل عنه، فإنّها سئلت عن ربّها، فقالت، وسئلت عن رسولها، فأجابت، وسئلت عن وليّها وإمامها، فارتجّ [ارتجّ الكلام: التبس] عليها، فقلت: ابنك، ابنك، |ابنك|.

[أُصول الكافي ١:٤٥٣].

ما صنع رسول اللّٰه يوم تشييعها وما قاله في حقها

في "مرآة العقول" بإسناد المخالفين عن أنس بن مالك، قال: لمّا ماتت فاطمة بنت أسد دخل إليها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فجلس عند رأسها، وقال: 'رحمك اللّٰه يا أُمّي، كنت أُمّي بعد أُمّي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدن بذلك وجه اللّٰه والآخرة'، وغمّضها، ثمّ أمر صلى الله عليه و آله أن تغسل بالماء ثلاثاً، فلمّا بلغ الماء الّذي فيه الكافور سكبه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بيده، ثمّ خلع قميصه فألبسه إيّاها وكفّنت، ودعا لها أُسامة بن زيد مولى رسول اللّٰه وأبا أيّوب الأنصاري وعمر بن الخطّاب وغلاماً أسود فحفروا لها قبرها، فلمّا بلغوا اللحد حفره رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بيده، وأخرج ترابه ودخل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قبرها فاضطجع فيه.

ثمّ قال: 'اللّٰه الّذي يحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، اللّهمّ اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد بن هاشم، ولقّنها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء من قبلي، فإنّك أرحم الراحمين'، وأدخلها رسول اللّٰه اللحد والعبّاس وأبو بكر. [مرآة العقول ٥:٢٧٨].

ولا شكّ أنّ فاطمة بنت أسد تعدُّ فضيلة ومنقبة لابنها عليّ عليه السلام كما نقرّ ونعترف بذلك في زيارتها المأثورة "رزقنا اللّٰه زيارتها وشفاعتها":

'السَّلَامُ عَلى فاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ الْهاشِمِيَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الصِّدِّيقَةُ الْمَرْضِيَّةُ، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ، السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْكَرِيمَةُ الرَّضِيَّةُ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يا كافِلَةَ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيّٖ ـِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يا والِدَةَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يا مَنْ ظَهَرَتْ شَفَقَتُها عَلى رَسُولِ اللّٰهِ خاتَمِ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكِ يا مَنْ تَرْبِيَتُها لِوَلِيِّ اللّٰهِ الْأَمِينِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ وَعَلى رُوحِكِ وَبَدَنِكِ الطّاهِرِ، السَّلَامُ عَلَيْكِ وَعَلى وَلَدِكِ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ' - الحديث.

في ذكر أولاد أبي طالب و فاطمة بنت أسد

جملة اخوة عليّ عليه السلام ثلاثة و هم: طالب و هو اكبر ولد أبي طالب و به كان يكنى، و عقيل، و جعفر الطيّار، و كان عليّ عليه السلام اصغرهم سنّاً و اعظمهم شرفاً، و كان جعفر أسنّ من عليّ بعشر سنين، و عقيل أسنّ من جعفر بعشر سنين، ذكر ذلك ابن قتيبه.

[ذخائر العقبى: ٢٠٧].

قال سبط ابن الجوزي في حالاتهم: و كنية طالب أبو يزيد، وكان عالماً بأنساب قريش، أخرجه المشركون يوم بدر لقتال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كرهاً فقال:

اللّهمّ أما يغزون طالب*** في مقنب من هذه المقانب

وليكن المغلوب غير غالب*** وليكن المسلوب غير السالب

فلمّا انهزم المشركون يوم بدر لم يوجد لا في القتلى ولا في الأسرى، ولا رجع إلى مكّة، ولا يدري ما حاله، وليس له عقب.

وأمّا عقيل رضى الله عنه، فقال ابن سعد: إنه أُخرج يوم بدر مع من أُخرج مكرهاً وأُسر يومئذٍ ولم يكن له مال، ففداه عمّه العبّاس - إلى أن قال: - ثمّ رجع إلى مكّة فأقام بها إلى سنة ثمان من الهجرة، ثمّ خرج مهاجراً إلى المدينة فشهد غزاة مؤتة، وأطعمه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من خيبر مائة وأربعين وتسعاً كلّ سنة.

[تذكرة الخواص: ٢١، وقد ذكرنا شرحاً مختصراً لعقيل في المجلّد الثاني آخر فصل: "عليّ عليه السلام والعدل"، وفي فصل: "عليّ عليه السلام وأصحابه الكرام"، فلاحظهما].

ونقل عن الواقدي: وعاش عقيل إلى سنة خمسين من الهجرة، وتوفّي فيها بعد ما ذهب بصره.

[تذكرة الخواص: ٢١، وقد ذكرنا شرحاً مختصراً لعقيل في المجلّد الثاني آخر فصل: "عليّ عليه السلام والعدل"، وفي فصل: "عليّ عليه السلام وأصحابه الكرام"، فلاحظهما].

و أمّا جعفر رضى الله عنه فإنّه كان أكبر من عليّ بعشر سنين، وإنّه أسلم قديماً، وأقام بالحبشة مهاجراً حتّى فتحت خيبر سنة سبع، وقدم على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فيها، فقام صلى الله عليه و آله إليه واعتنقه وقبّله بين عينيه، وقال: 'ما أدري بأيّهما أفرح؛ بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر'.

[تذكرة الخواص: ٢١، وقد ذكرنا شرحاً مختصراً لعقيل في المجلّد الثاني آخر فصل: "عليّ عليه السلام والعدل"، وفي فصل: "عليّ عليه السلام وأصحابه الكرام"، فلاحظهما].

و روي الحافظ القندوزي عن أبي نعيم عن أبي هريرة، قال: وقال النبيّ صلى الله عليه و آله لجعفر: 'أشبهت خُلقي وخَلقي'.

[ينابيع المودة: ١٨١].

و في تذكرة الخواص عن أبي غ هريرة، قال: وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يسمّيه - جعفر - أبا المساكين؛ لأنّه كان يحبّهم ويطعمهم ويجلس إليهم، ويرفق بهم، وكنيته المشهورة أبو عبداللَّه.

[تذكرة الخواصّ: ١٦٩].

وأمّا أخواته فإثنتان و هما: 'فاُمّ هاني' و اسمها جعدة، وقيل: فاختة، وقيل: هند، وهي الّتي صلّى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله صلاة الضحى في بيتها يوم الفتح، و الاُخرى 'جمانه'. قال ابن سعد: اسمها 'ريطة'، وقيل: 'أسماء'

[المصدر السابق: ٢٢ و ذخائر العقبى: ٢٠٧].

و تزوّجها ابن عمّها أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب و ولدت له.

[ذخائر العقبى: ٢٠٧].

علي وموضعه من رسول اللّٰه وتربيته في حجره

عن مجاهد بن جبر - في حديث -، قال: فلم يزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حتّى بعثه اللّٰه نبيّاً، فاتّبعه عليّ، فآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العبّاس حتّى أسلم واستغنى عنه.

تاريخ الطبري ٢:٥٧

ما قيل في قرابته

قول ابن أبي الحديد في قرابته

والقرابة القريبة بينه وبين رسول اللّٰه "سلام اللّٰه عليهما وعلى آلهما" دون غيره من الأعمام، كونه ربّاه في حجره، ثمّ حامى عنه ونصره عند إظهار الدعوة دون غيره من بني هاشم، ثمّ ما كان بينهما من المصاهرة الّتي أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار.

[شرح ابن ابى الحديد ١٩٨: ١٣].

قول ابن حجر العسقلاني الشافعي

وُلد عليّ عليه السلام قبل البعثة بعشر سنين، فَرُبّيَ في حجر النبيّ صلى الله عليه و آله ولم يفارقه، وشهد معه من المشاهد إلا غزوة تبوك.

[الإصابة بهامش الاستيعاب ٢:٥٠١].

قول مجاهد بن جبر أبي الحجّاج

كان من نعمة اللّٰه عزّ وجلّ على عليّ بن أبي طالب وما صنع اللّٰه له وأراده به من الخير، أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة

[الأزمة: الشدّة، وأراد بها سنة القحط والجوع].

وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله للعبّاس - وكان من أيسر بني هاشم -: 'يا عبّاس، إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال، وقد ترى ما أصاب النّاس من هذه الأزمة فانطلق بنا فلنخفّف عنه من عياله، آخذُ من بيته واحداً، وتأخذ واحداً فنكفيهما عنه'. قال العبّاس: نعم، فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب، فقالا له: 'إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن النّاس ما هم فيه'، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً فضمّه إليه، وأخذ العبّاس جعفراً، فلم يزل عليّ بن أبي طالب مع رسول اللّٰه حتّى بعثهُ اللّٰه نبيّاً فاتّبعه عليّ عليه السلام فآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العبّاس حتّى أسلم واستغنى عنه.

[شرح ابن أبي الحديد ١٣:١٩٨، وراجع تاريخ الطبري ٢:٥٧، والسيرة النبويّة ١:٢٦٢، و الكامل في التاريخ ١:٤٨٤].

وروى الحافظ القندوزي الحنفي في "ينابيع المودّة" نحوه مع اختصار فيه

[ينابيع المودّة: ٢٠٢].

وروى العلامة الإربلي، وكذا الكراجكي في كتابيهما نحوه.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:١٠٤، كنز الفوائد ١:٢٥٥].

وزاد ابن الصبّاغ في "الفصول المهمّة": وكان عليّ عليه السلام إذ ذاك في السنة الثالثة عشر من عمره لم يبلغ الحلم، وقيل غير ذلك، وأكثر الأقوال وأشهرها أنّه لم يبلغ الحلم، وأنّه أوّل من أسلم وآمن برسول اللّٰه من الذكور بعد خديجة، قاله الثعلبي في تفسير قوله تعالى: 'وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ'

[سورة التوبة: ١٠٠].

وهو قول ابن عبّاس، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وزيد بن أرقم، ومحمّد بن المنكدر، وربيعة المرائي، وقد أشار عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى شي ء من ذلك في أبيات قالها - رواها عنه الثقات الأثبات - وهي هذه الأبيات:

محمّد النبيّ أخي وصنوي*** وحمزة سيّد الشهداء عمّي

وبنت محمّد سكني وعرسي*** منوط لحمها بدمي ولحمي

سبقتكم إلى الإسلام طفلاً*** صغيراً ما بلغت أوان حلمي

فويل ثمّ ويل ثمّ ويل*** لمن يلقى الإله غداً بظلمي

[الفصول المهمّة: ٣٢].

قول المجلسي

وفي "البحار": ذكر أبو القاسم في أخبار أبي رافع من ثلاثة طرق: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله حين تزوّج خديجة قال لعمّه أبي طالب: 'إنّي أُحبّ أن تدفع إليَّ بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاءك عندي'، فقال أبو طالب: خذ أيّهم شئتَ، فأخذ عليّاً عليه السلام.

ثمّ قال: فمن استقى عروقه من منبع النبوّة، ورضعت شجرته ثدي الرسالة، وتهدّلت أغصانه

[تهدّلت أغصان الشجر: تدلّت].

عن تبعة الإمامة، ونشأ في دار الوحي، ورُبّي في بيت التنزيل، ولم يفارق النبيّ صلى الله عليه و آله في حال حياته إلى حال وفاته، لا يقاس بسائر النّاس، وإذا كان عليه السلام في أكرم أُرومة

[الأُرومة: الأصل].

وأطيب مغرس، والعرق الصالح ينمي، والشهاب الثاقب يسري، وتعليم الرسول ناجع

[نَجَعَ الشي ء نُجُوعاً: نَفَعَ وظَهَرَ أثرُه].

ولم يكن الرسول صلى الله عليه و آله ليتولّى تأديبه ويتضمّن حضانته وحسن تربيته إلا على ضربين؛ إمّا على التفرّس فيه، أو بالوحي من الله تعالى، فإن كان بالتفرّس فلا تخطأ فراسته ولا يخيّب ظنّه، وإن كان بالوحي فلا منزلة أعلى ولا حال أدلّ على الفضيلة والإمامة منه.

[بحار الأنوار ٣٨:٢٩٥].

قول أبي جعفر استاذ ابن أبي الحديد

و نقل ابن أبي الحديد عن أُستاذه أبي جعفر نقيب البصرة، أنّه قال: 'وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين، فما ظنّك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل، فواجب أن تكون أخلاق محمّد صلى الله عليه و آله كأخلاق أبي طالب أبيه، وتكون أخلاق عليّ عليه السلام كأخلاق أبي طالب أبيه، ومحمد صلى الله عليه و آله مربّيه، وأن يكون الكلّ شيمةً واحدةً وسوساً "أصلاً" واحداً، وطينة مشتركة، ونفساً غير منقسمة ولا متجزّئة، وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل، لولا أنّ اللّه تعالى اختصّ محمّداً صلى الله عليه و آله برسالته، واصطفاه لوحيه لما يَعلَمُهُ من مصالح البريّة في ذلك، ومن أنّ اللطف به أكمل، والنفع بمكانه أتمّ وأعمّ، وإلى هذا المعنى أشار بقوله: 'أخصمك [أخصمك: أغلبك] بالنبوّة فلا نبوّة بعدي، وتخصم النّاس بسبع'. و قال له أيضاً: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'، فأبان نفسه منه بالنبوّة، وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما.

[شرح ابن أبي الحديد ١٠:٢٢٢، وأعيان الشيعة ١:٣٣٥].

وفي ذلك يقول المؤلّف من قصيدة:

وربيت في حجر النبيّ محمّد*** فطوبى لمن من أحمد ضمّه حجر

وغذاك بالعلم الإلهي ناشئاً*** فلا علم إلا منك قد حاطه خبر

بآدابه أدّبت طفلاً ويافعاً*** وأكسبك الأخلاق أخلاقه الغرّ

[أعيان الشيعة ١:٣٣٩].

قوله في الخطبة القاصعة في موضعه من رسول اللّه

نذكر هنا ما ذكره عليّ عليه السلام في الخطبة القاصعة حول موضعه من رسول اللّه صلى الله عليه و آله وتربيته في حجره حيث قال:

'وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ.

[الخصيصة: الخاصّة].

وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَ نَا ولدٌ "وليدٌ"، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ.

[عرفه - بالفتح -: رائحته، وأكثر استعماله في الطيب].

وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْ ءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً

[خطلة: الخطأ ينشأ من عدم الرؤية].

فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ

[الفصيل: ولد الناقة].

أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً

[عَلَماً: فضلاً ظاهراً].

وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَة بِحِرَاءَ

[حراء: جبل قرب مكّة].

فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي. وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ وَخَدِيجَةَ وَأَ نَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ

[رنة الشيطان: صوته].

الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: 'هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَ نَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ' إلى آخر الخطبة.

[نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢].

شرح الخطبة

لقد ذكر الإمام عليّ عليه السلام في هذه الخطبة مناقبه الجميلة، ومفاخره الجليلة، وشرح تربية الرسول صلى الله عليه و آله له من أوّل عمره، وإعداده بتلك التربية للكمالات النفسانيّة من العلوم والأخلاق الفاضلة، وعدّ أحواله الّتي هي وجوه ذلك الاستعداد وأسبابه:

القرابة

وأشار إليها بقوله: 'وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ'؛ لأنّ أبويهما عبداللَّه وأبا طالب اخوان لأب وأُمّ دون غيرهما من بني عبدالمطّلب، فهما ابنا عمّ، مضافاً إلى علاقة المصاهرة، وكونه زوج ابنته فاطمة سلام اللَّه عليها.

منزلته الخصيصة به

وأشار إليها بقوله: 'وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ'، أي: الخاصّة والمخصوصة به، وشرحها بقوله: 'وضعني في حجره، وربّاني وأنا ولد' طفل صغير 'يضمّني إلى صدره، ويكنفني'، أي يضمّني إلى كنفه وحضنه 'في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه'، أي ريحه الطيّب 'وكان يمضغ الشي ء ثمّ يلقمنيه'، وهذا كلّه إشارة إلى عمق تربيته صلى الله عليه و آله وشدّة اهتمامه وقيامه بأمره، ويوضّحه ما رواه الطبري في تاريخه بإسناده إلى مجاهد بن جبر أبي الحجّاج - الحديث.

[قد تقدّم الحديث في هذا الفصل].

وقال العلامة الكراجكي: وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يلي أكثر تربيته عليه السلام ويراعيه في نومه ويقظته، ويحمله على صدره وكتفه، ويحبوه بألطافه وتحفه ويقول: 'هذا أخي وسيفي وناصري ووصيّي'.

[كنز الفوائد ١:٢٥٥].

وفي "شرح ابن أبي الحديد" عن الفضل بن عبّاس، قال: سألت أبي عن وُلد رسول اللَّه الذكور، أيّهم كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أشدّ حبّاً؟

[كذا في المصدر، والصواب: 'حبّاً له'].

فقال: عليّ بن أبي طالب، فقلت له: سألتك عن بنيه؟ فقال: إنّه كان أحبّ عليه من بنيه جميعاً وأرأف؛ ما رأيناه زايَلُه يوماً من الدهر منذ كان طفلاً إلا أن يكون في سفر لخديجة، وما رأينا أباً أبرّ بابنٍ منه لعليّ، ولا ابناً أطوع لأبٍ من عليّ له.

[شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٠٠ و ٢٠١].

وفيه أيضاً: عن جبير بن مُطعم، قال: قال أبي مطعم بن عدي لنا ونحن صبيان بمكّة: ألا ترون حبّ الغلام - يعني عليّاً - لمحمّد واتّباعه له دون أبيه!! واللات والعُزّى لوددت أنّ ابني بفتيان بني نوفل جميعاً!

[شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٠٠ و ٢٠١].

وفيه أيضاً: عن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: سمعت زيداً أبي يقول: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يمضغ اللحمة والتمرة حتّى تلين ويجعلهما في فم عليّ وهو صغير في حجره.

[شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٠ و ٢٠١].

لم يجد رسول اللّٰه له كذبةً في قول، ولا خطلةً في فعل

كما أشار إلى ذلك بقوله: 'وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ'؛ وذلك لما استمدّ من تربيته وسائر متمّمات الرياضة وأعراضها لاستيلاء قوّته العاقلة على القوّتين الشهويّة والغضبيّة، وقهر نفسه الأمّارة الّتي هي مبدأ خطأ الأقوال وخطل الأفعال، حتّى حصلت له من ذلك ملكة في ترك الرذائل واجتناب المآثم والمعاصي، فصار له ذلك خلقاً وطبعاً، وقد نبّه عليه السلام على منقبة عظيمة لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لتكون تمهيداً لمنقبته، فقال: 'ولقد قَرن اللّٰهُ به مِن لَدُن أن كان فَطيماً أعظَمَ مَلكٍ مِن ملائِكتِه يَسلُكُ به طريقَ المَكارِمِ ومَحاسِنَ أخلاقِ العالَمِ لَيلَهُ ونَهارَه'.

واقتران أمير المؤمنين به صلى الله عليه و آله إشارة إلى تولّيه بتربية نفسه القدسيّة بإفاضة العلوم ومكارم الأخلاق وسائر الطرق المؤدّية إلى اللّٰه سبحانه من حين صغره بحسب حسن استعداد مزاجه وقوّة عقله الطفولي.

اشار إلى اتّباعه له وملازمته إيّاه

بقوله: 'وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ' ولد الناقة، 'أَثَرَ أُمِّهِ'، وهو إشارة إلى شدّة ملازمته له، وعدم انفكاكه عنه، ليله ونهاره، سفراً وحضراً، في خلواته وبين النّاس، فيكون تالياً في سلوك مسالك مكارم الخصال، ومحامد الأفعال، مقتبساً من أنواره، مقتفياً لآثاره.

اشار إلى ثمرة ذلك الاتّباع

لقوله: 'يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً' راية 'من أخلاقه' ويأمرني بالاقتداء به، والمتابعة له، واستعار لفظ العلم لأخلاقه باعتبار كونه هادياً إلى سبيل اللّٰه، كما يهدي العلم.

انّه كان يجاور معه في كلّ سنة بحراء

فيراه دون غيره، وأشار إليه بقول: 'وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ' أحد 'غَيْرِي'.

وقال الشارح المعتزلي: وأمّا حديث مجاورته بحراء فمشهور، وقد ورد في الكتب الصحاح أنّه صلى الله عليه و آله كان يجاور في حراء من كلّ سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً، أو

ما شاء اللَّه من ذلك، ثمّ يرجع إلى بيته حتّى جاءت السنة الّتي أكرمه اللَّه فيها بالرسالة، فجاور في حراء شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعليّ بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرسالة.

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'جاءني وأنا نائم بنمط فيه كتاب فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ فَغَتّني [في النهاية لابن الأثير ٣:٣٤٢: 'الغتّ والغطّ سواء، كأنّه أراد: عصرني عصراً شديداً حتّى وجدت منه المشقّة، كما يجد مَن يُغمس في الماء قهراً'].

حتّى ظننت أنّه الموت، ثمّ أرسلني فقال: 'اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ' إلى قوله: 'عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ'، فقرأته ثمّ انصرف عنّي، فانتبهت من نومي، وكأنّما كتب في قلبي كتاب' الحديث.

[شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٠٨].

وروى العلامة الخوئي - في مجاورته صلى الله عليه و آله بحراء - من كتاب "حياة القلوب" عن عليّ بن إبراهيم، وابن شهرآشوب، والطبرسي، والراوندي، وغيرهم من المحدّثين والمفسّرين: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان قبل مبعثه يعتزل عن قومه ويجاور حراء، ويفرغ لعبادة ربّه سبحانه، وكان عزّ وجلّ يسدّده ويهديه ويرشده بالروح القدس، والرؤيا الصادقة، وأصوات الملائكة، والإلهامات الغيبيّة، فيدرج في مدارج المحبّة والمعرفة، ويعرج إلى معارج القرب والزلفى، وكان سبحانه يزيّنه بالفضل والعلم ومحامد الأخلاق ومحاسن الخصال، ولا يراه أحد في أيّام مجاورته به وخلال تلك الأحوال غير أمير المؤمنين وخديجة "صلوات اللَّه عليهما".

[شرح نهج البلاغة للخوئي ١٢:٣٩].

انه اول من اسلم من الذكور

ما أشار إليه بقوله: 'وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ وَخَدِيجَةَ وَأَ نَا ثَالِثُهُمَا'، وهذا الكلام صريح في سبقه جميع من سواه من الرجال بالإسلام.

[سيأتيك مفصّلاً في فصل: "عليّ عليه السلام أوّل من آمن باللَّه ورسوله"].

كونه يرى نور الوحي بالرسالة، ويشمّ ريح النبوّة ويسمع صوت الشيطان

بقوله: 'أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه و آله، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: 'هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ'، أي من أن يعبد

له، وهذه المنقبة له عليه السلام في صغره تمثّل أعلى مراتب الأولياء، وله ما للرسول صلى الله عليه و آله إلا النبوّة والوحي "سلام اللّٰه وصلواته عليهما".

انّه حقيق أن يكون خليفة رسول اللّٰه ووصيّه ووارثه

كما أشار إليه بقوله عن رسول اللّٰه: 'إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَ نَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ'.

وروى ابن أبي الحديد، عن جعفر بن محمّد الصادق عليهماالسلام، قال: 'كان عليّ عليه السلام يرى مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له: لولا إنّي خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوّة، فإن لا تكن نبيّاً فإنّك وصيّ نبيّ ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء، وإمام الأتقياء'، انتهى.

[شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢١٠].

وقد أخذنا شرح الخطبة المذكورة من شرح ابن أبي الحديد وشرح الخوئي وشرح المحقّق البحراني على نهج البلاغة.

علي أوّل من آمن باللّٰه و رسوله

قوله عليه السلام في الخطبة القاصعة: 'وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللّٰهِ وَخَدِيجَةَ وَأَ نَا ثَالِثُهُمَا'.

نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

حول مفهوم الإسلام والإيمان

نذكر هنا شيئاً موجزاً في بيان الإسلام والإيمان اللذين بهما ينال العبد غاية الرضوان، وعليهما يكون المدار، وبوجودهما تترتّب الآثار. قال الإمام شرف الدين "رضوان اللّٰه عليه" في كتابه المسمّى بالفصول المهمّة ما ملخّصه:

أجمع إخواننا أهل السنّه على أنّ الإسلام والإيمان عبارة عن الشهادتين، والتصديق بالبعث، والصلوات الخمس إلى القبلة، وحجّ البيت، وصيام الشهر، والزكاة والخمس المفروضَين، وبهذا تعلن الصحاح الستّة وغيرها.

وفي "صحيح البخاري" بسنده عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'من شهد أن لا إله إلا اللّٰه، واستقبل قبلتنا، وصلّى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم'.

[صحيح البخاري ١:١٧٥، حديث ٥٨، ط. عالم الكتب - بيروت].

و في الفصول المهمّة عن صحيح البخاري بإسناده إلى نافع، قال: إنّ رجلاً أتى ابن عمر، فقال: يا أبا عبدالرحمن، ما حملك على أن تحجّ عاماً وتعتمر عاماً، وتترك الجهاد في سبيل اللّٰه، وقد علمت ما رغّب اللّٰه فيه؟ قال: يابن أخي، بُني الإسلام على الخمس: إيمان باللّٰه ورسوله، والصلاة، والخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحجّ البيت.

[راجع: الفصول المهمّة للسيّد شرف الدين: ٩].

وعنه أيضاً في عدّة مواضع من صحيحه بالإسناد إلى ابن عبّاس: أنّ النبيّ قال لوفد عبد القيس - لمّا أمرهم بالإيمان باللّٰه وحده -: أتدرون ما الإيمان باللّٰه وحده؟ قالوا: اللّٰه ورسوله أعلم. قال: "شهادة أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّ محمّداً رسول اللّٰه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس".

[راجع: الفصول المهمّة للسيّد شرف الدين: ١٠].

وعندنا نحن الإماميّة فرق واضح بين الإسلام والإيمان، وليسا كلاهما أمراً واحداً كما سيأتيك عاجلاً توضيحه؛ إذ الإسلام أعمّ من الإيمان، والإيمان أخصّ منه، يعني كلّ من كان مؤمناً فهو مسلم، وليس كلّ من كان مسلماً كان مؤمناً، ودليل ذلك قوله تعالى: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا".

[سورة الحجرات: ١٤].

في الفرق بين الإسلام والإيمان

لقد اضطربت الأحاديث والروايات في معنى الإسلام والإيمان، ولكن يظهر من مجموعها أنّ الإيمان أفضل من الإسلام وأخصّ منه.

١- روى السيّد شرف الدين عن الكليني بسنده عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهماالسلام، قال: "الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل".

[الفصول المهمّة: ١٦٣].

٢- وفيه أيضاً: عن جميل بن صالح، قال: قلت لأبي عبداللّٰه: أخبرني عن الإسلام والإيمان، أهما مختلفان؟ قال عليه السلام: "إنّ الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان"، فقلت: فصفهما لي؟ فقال: "الإسلام شهادة أن لا إله إلا اللّٰه والتصديق برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، به حُقنتْ الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة النّاس، والإيمان الهدى وما ثبت في القلوب من صفة الاسلام، وما ظهر من العمل، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة" - الحديث.

[المصدر السابق: ١٦٥].

٣- وفي "الوسائل" عن "توحيد الصدوق" بسنده عن عبدالرحيم القصير، عن أبي عبداللَّه - في حديث - قال: "الإسلام قبل الإيمان، وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي الّتي نهى اللَّه عنها، كان خارجاً من الإيمان وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى الإيمان" - الحديث.

[وسائل الشيعة ١:٢٥، باب ٢ من أبواب مقدّمة العبادات، ح١٨].

٤- و روى الكليني بسنده عن جابر الجعفي، قال: قال لي أبو عبداللَّه عليه السلام: "يا أخا جعف، إنّ الإيمان أفضل من الإسلام، وإنّ اليقين أفضل من الإيمان، وما من شي ء أعزّ من اليقين".

[أُصول الكافي ٢:٥١، باب فضل الإيمان على الإسلام، ح١].

٥- و عنه أيضاً: بسنده عن يونس، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الإيمان والإسلام فقال: "قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما هو

[الضمير راجع إلى الدين في قوله تعالى: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ"].

الإسلام، والإيمان فوقه بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسّم بين النّاس شي ء أقلّ من اليقين". قال: قلت: فأيّ شي ء اليقين؟ قال: "التوكّل على اللَّه، والتسليم للَّه، والرضا بقضاء اللَّه، والتفويض إلى اللَّه"، قلت: فما تفسير ذلك؟ قال: "هكذا قال أبو جعفر".

[أُصول الكافي ٢:٥٢، باب فضل الإيمان على الإسلام، ح٥].

٦- وعنه أيضاً: بسنده عن حمران بن أعين، قال: سمعت أبا جعفر يقول: "إنّ اللَّه فضّل الإيمان على الإسلام بدرجة كما فضّل الكعبة على المسجد الحرام".

[المصدر السابق بعينه: ح٣].

٧- وفي "الوسائل" عن "عيون الأخبار" بأسانيده عن الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السلام في كتابه إلى المأمون قال: "الإيمان هو أداء الأمانة، واجتناب الكبائر، وهو معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان"

[وسائل الشيعة ١١:٢٦٠، باب ٤٦ من أبواب جهاد النفس، ح٣٣].

الحديث.

٨- وفي "الفصول المهمّة" عن عبدالسلام بن صالح، عن الرضا، عن آبائه، عن رسول اللّٰه "صلوات اللّٰه وسلامه عليهم أجمعين"، قال: 'الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان'.

[الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة للحرّ العاملي: ١٦٧، باب١٠٩، طبع بصيرتي - قم].

٩- و روى البرقي بسنده عن القاسم الصيرفي، قال: سمعت أبا عبداللّٰه عليه السلام يقول: 'الإسلام يحقن به الدم، وتؤدّى به الأمانة، ويستحلّ به الفرج، والثواب على الإيمان'.

[المحاسن: ٢٨٥، حديث ٤٢٣، وبحار الأنوار ٦٨:٢٤٣، وراجع الكافي ٢:٢٤، نحوه].

١٠- و روى الصدوق بسنده عن الأعمش، عن الصادق عليه السلام قال: 'الإسلام غير الإيمان، وكلّ مؤمن مسلم، وليس كلّ مسلم مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، وأصحاب الحدود مسلمون لا مؤمنون ولا كافرون. قال اللّٰه تعالى: لا يدخل النّار مؤمناً وقد أوعده الجنّة، ولا يخرج من النّار كافراً وقد أوعده النّار والخلود فيها، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأصحاب الحدود فسّاق لا مؤمنون ولا كافرون ولا يخلّدون في النّار، ويخرجون منها يوماً ما، والشفاعة جائزة لهم، وللمستضعفين إذا ارتضى اللّٰه عزّ وجلّ دينهم'.

[الخصال: ٦٠٨، ح٩، وبحار الأنوار ٦٨:٢٧٠].

الولاية من أركان الإيمان

لقد ظهر ممّا ذكرناه في الفرق بين الإيمان والإسلام، معنى الإيمان بوضوح، وفي اعتقادنا - نحن الإماميّة - كما يستفاد من الأخبار المأثورة أنّ الولاية من أركان الإيمان، وأنّ الإيمان الكامل مشروط بالولاية والإقرار بإمامة أمير المؤمنين وأولاده المعصومين "صلوات اللّٰه عليهم أجمعين"، بل منكر ولايتهم كافر بمقتضى الأخبار.

قال السيّد شرف الدين: 'والّذي يظهر من قوله تعالى: 'قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا' [سورة الحجرات: ١٤].

أنّ الإسلام عبارة عن مجرّد الدخول في الدين والتسليم لسيّد المرسلين، وأنّ الإيمان عبارة عن اليقين الثابت في قلوب المؤمنين مع الاعتراف به في اللسان، فيكون على هذا أخصّ من الإسلام، ونحن نعتبر فيه الولاية مضافاً إلى ذلك، فافهم، انتهى كلامه رفع مقامه.

[الفصول المهمّة للعلامة السيّد شرف الدين: ٨].

وإليك نصّ بعض الأخبار المأثورة في الباب:

١- في "الكافي" بسنده عن أبي حمزة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: 'إنّ عليّاً "صلوات اللّٰه عليه" باب فتحه اللّٰه، مَن دخله كان مؤمناً، ومَن خرج منه كان كافراً'.

[اصول الكافي ٣٨٨: ٢ - باب الايمان و الكفر، ح ١٦].

٢- وفيه أيضاً: بسنده عن إبراهيم بن أبي بكر، قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: 'إنّ عليّاً عليه السلام باب من أبواب الهدى، فَمَن دخل من باب عليّ كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً، ومَن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين للّٰه فيهم المشيئة'.

[المصدر السابق بعينه، ح ١٨].

٣- وفيه أيضاً: بسنده عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'إنّ اللّٰه عزّ وجلّ نصب عليّاً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالّاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنّة، ومن جاء بعداوته دخل النّار'.

[المصدر السابق بعينه، ح ٢٠].

٤- في "الفصول المهمّة" عن سفيان بن النمط، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام - في حديث - قال: 'والإسلام هو الظاهر الّذي عليه النّاس: شهادة أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّ محمّداً رسول اللّٰه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، وقال: الإيمان معرفة هذا الأمر

[معرفة هذا الأمر: أي الإمامة والولاية، واللّٰه العالم].

مع هذا، فإن أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً، وكان ضالّاً'.

و قال الشيخ الحرّ العاملي - في ذيل الحديث -: اعتبار العمل في الإسلام يدلّ على أنّ المراد به الإسلام الكامل في الجملة.

[الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة للحرّ العاملي: ١٦٣، باب ١٠٩].

أقول: فقد ظهر ممّا ذكرنا من الروايات أنّ الإيمان بلا ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام و أولاده المعصومين عليهم السلام لا ثمرة له، ولو كان مقروناً بجميع أحكام الإسلام، ويظهر ذلك واضحاً فيما ورد عن نبيّ صلى الله عليه و آله من طريق المخالف، قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لو أنّ عبداً عَبَد اللّٰه مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل اللّٰه، ومدّ في عمره حتّى حجّ ألف عامٍ على قدميه، ثمّ قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ولم يوال عليّاً، لم يَشُمَّ رائحةَ الجنّة ولم يدخلها".

[انظر المناقب للخوارزمي: ٢٨].

كلمة في إيمان عليّ وإسلامه

بعد ما ذكرنا من الفرق بين الاسلام و الايمان و ذكرنا ايضاً ان الولاية من شرايط الايمان نشير الى ايمان عليّ بن أبي طالب عليه السلام و اسلامه:

١- لقد كان عليّ عليه السلام سبق النّاس كلّهم إلى الإيمان باللَّه وبرسوله بعد خديجة، وأشار إلى ذلك بقوله: "فإنّي وُلِدْتُ عَلَى الفِطرةِ، وَسَبَقْتُ إلى الإيمان والهِجرة".

[نهج البلاغة: الخطبة ٥٧].

٢- وقال في الخطبة القاصعة: "وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ وَخَدِيجَةَ وَأَ نَا ثَالِثُهُمَا".

[نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢].

٣- وقال أيضاً: "اللّهمّ إنّي أوّلُ مَن أنابَ و سَمِعَ وأجابَ، لم يَسْبِقْني إلا رسولُ اللَّه صلى الله عليه و آله بالصلاة".

[المصدر السابق: الخطبة ١٣١].

٤- وقال عليه السلام في حديث: "أنا عبد اللَّه، وأخو رسول اللَّه، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذّاب، ولقد صلّيت قبل النّاس سبع سنين".

[ينابيع المودّة: ٦٠، وكشف الغمّة - باب المناقب ١:١٨. و انظر تاريخ الطبري٥٦: ٢].

٥- وفي "الاستيعاب" بسنده عن حبّة العرني، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: "لقد عبدتُ اللَّه قبل أن يعبده أحد من هذه الأُمّة قبلَ خمس سنين".

[الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة ٣:٣١].

والأخبار بهذا المضمون الصريح في سبق إيمانه عليه السلام على جميع من سواه من الرجال كثيرة، وسيأتي بعضها إن شاء اللَّه، وفي ذلك يقول الشاعر عن قوله عليه السلام:

سبقتُ إلى الإسلام كلّ مُوَحِّدٍ*** وقد عَمَّ أصنافَ الوَرى الشرك والكفر

فَكُنتُ وما في الأرضِ غير ثلاثة*** يُصلُّون للرحمن إذ أزف الظهر

عليّ وأُمّ المؤمنين خديجة*** وأحمد لا عُمر هناك ولا بكر

ولا يخفى أنّ إيمانه عليه السلام في ذروة مراتب الإيمان، وفيه تجسّد أكمل معانيه.

والمستفاد من بعض الروايات المأثورة عن النبيّ أنّ إيمانه وعمله في يوم أُحد يرجّح على إيمان جميع الخلائق، ففي "ينابيع المودّة" قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "يا أبا الحسن، لو وضع إيمان

الخلائق وأعمالهم في كفّة ميزان، ووضع عملك يوم أُحد على كفّة، لرجح عملك على جميع ما عمل الخلائق، وإنّ اللّٰه باهى بك يوم أُحد ملائكته المقرّبين، ورفع الحجب من السموات السبع، وأشرفت إليك الجنّة وما فيها، وابتهج بفعلك ربّ العالمين، وإنّ اللّٰه تعالى يعوّضك ذلك اليم ما يغبط كلّ نبيّ ورسول وصدّيق وشهيد".

[ينابيع المودّة: ٦٤].

ومن كان إيمانه وعمله في يوم أُحد في الثواب والأجر كذلك فإنّ الأجر والثواب على إيمانه وعمله في جميع غزوات الإسلام في ركاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وسائر أعماله في مدّة حياته الشريفة المباركة، لا يعدّه العادّون، اللّهمّ اجعلنا من محبّيه وشيعته في الدنيا، ومن مشفّعيه يوم القيامة.

قال العبدي في إيمانه عليه السلام:

أشهد باللّٰه لقد قال لنا*** محمّد والقول منه ما خفى

لو أنّ إيمان جميع الخلق ممّن*** سكن الأرض ومن حلّ السما

يجعل في كفّة ميزان لكي*** يوفي بإيمان عليّ ما وفى

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٩].

نبذة من الأخبار في أنّ عليّاً أوّل من آمن باللّٰه وبرسوله

وفي سبقه في الإسلام والإيمان روايات كثيرة تبلغ حدّ التواتر، ويصعب استقصاؤها، لذا نكتفي بجملة منها حتّى تعرف بأنّ هذه الفضيلة الفريدة له عليه السلام كسائر فضائله الّتي لا تعدّ ولا تحصى.

قال ابن شهرآشوب في "المناقب": استفاضت الرواية أنّ أوّل من أسلم عليّ، ثمّ خديجة

[ويستفاد من بعض الأخبار كما في المناقب لابن شهرآشوب ٢:٤، عن تاريخ الطبري: "أنّ أوّل من أسلمت هي خديجة، ثمّ أسلم عليّ عليه السلام"، ومهما يكن الأمر فإنّه أوّل رجال الأمّة إسلاماً].

ثمّ جعفر، ثمّ زيد، ثمّ أبو ذرّ، ثمّ عمرو بن عنبسة السلمي، ثمّ خالد بن سعيد بن العاص، ثمّ سميّة أمّ عمّار، ثمّ عبيدة بن الحارث، ثمّ حمزة، ثمّ خباب بن الأرتّ، ثم سلمان، ثمّ المقداد، ثمّ عمّار، ثمّ عبداللّٰه بن مسعود في جماعة، ثمّ أبو بكر [في المناقب لابن شهرآشوب ٢:٥: "أنّ عمر بن الخطّاب أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة"] وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقّاص، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن زيد، وصهيب، وبلال [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٤] وفيما يلي نذكر بعض الأخبار في هذا المضمون:

١- وروى شهاب الدين ابن حجر العسقلاني في "الإصابة"، بسنده عن ليلى الغفاريّة، قالت: كنت أغزو مع النبيّ صلى الله عليه و آله فأُداوي الجرحى، وأقوم على المرضى، فلمّا خرج عليّ عليه السلام إلى البصرة خرجت معه، فلمّا رأيت عائشة أتيتها، فقلت: هل سمعت من رسول اللَّه فضيلة في عليّ؟ قالت: نعم، دخل عليّ على رسول اللَّه وهو معي وعليه جرد قطيفة فجلس بيننا، فقلت: أما وجدت مكاناً هو أوسع لك من هذا؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا عائشة، دعي لي أخي، فإنّه أوّل النّاس إسلاماً، وآخر النّاس بي عهداً، وأوّل النّاس لي لقياً يوم القيامة'.

[الإصابة ٤:٣٨٩ - الدار المصريّة، الإحقاق ٤:١٥٩].

٢- روى نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد" عن أبي ذرّ وسلمان قالا: أخذ النبيّ صلى الله عليه و آله بيد عليّ عليه السلام فقال: 'إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهذا أوّل من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدّيق الأكبر، وهذا فاروق الأُمّة يفرق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين'.

[مجمع الزوائد ٩:١٠٢].

٣- وعن "تفسير ابن الحجّام" في قوله تعالى: 'وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم'

[سورة النساء: ٦٩].

قال عليّ: 'يا رسول اللَّه، هل نقدر أن نزورك في الجنّة كلّما أردنا؟'، قال: 'يا عليّ، إنّ لكلّ نبيّ رفيقاً أوّل من أسلم من أُمّته، فنزلت هذه الآية: 'فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً'

[سورة النساء: ٦٩].

فدعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام فقال له: 'إنّ اللَّه قد أنزل بيان ما سألت، فجعلك رفيقي، فإنّك أوّل من أسلم، وأنت الصدّيق الأكبر'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:١١٦].

٤- روى المحدّث القمّي في "سفينة البحار"، عن موسى بن جعفر عليهماالسلام، قال: 'سألت أبي عن بدء الإسلام، كيف أسلم عليّ عليه السلام، وكيف أسلمت خديجة؟ فقال لي أبي: إنّهما لمّا دعاهما رسول اللَّه فقال: يا عليّ، ويا خديجة، إنّ جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الإسلام، فأسلما تسلَمَا، وأطيعا تهديا، فقالا: فعلنا وأطعنا، يا رسول اللَّه' - الحديث.

[سفينة البحار ١:٦٤٤، مادة 'سلم'].

٥- روى الكليني، عن سعيد بن المسيّب، قال: سألت عليّ بن الحسين عليه السلام: ابن كم كان عليّ بن أبي طالب يوم أسلم؟ فقال: "أوَكان كافراً قطّ، إنّما كان لعليّ حيث بعث اللّٰه عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه و آله عشر سنين، ولم يكن يومئذٍ كافراً، ولقد آمن باللّٰه تبارك وتعالى وبرسوله، وسبق النّاس كلّهم إلى الإيمان باللّٰه وبرسوله، وإلى الصلاة بثلاث سنين" - الحديث.

[روضة الكافي: ٢٧٩، حديث ٥٣٦].

إذن فليس ثمّة يوم للشرك في حياة عليّ عليه السلام، بل إنّه ولد في أحضان النبوّة، وتربّى على مبادئ الإسلام دفعةً واحدة، وذلك مثار إعجاب وإعجاز أبدي يشهد بفضيلة وصيّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

قول الصحابة وتابعيهم: في مسابقة ايمانه

فقد أعرف كثير من الصحابة و تابعيهم انّ ايمان عليّ بن أبي طالب عليه السلام في ذروة الايمان و كان ايمانه اسبق من جميع الاصحاب و هو اول من اسلم برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله و اليك بعض كلماتهم:

١- في المناقب لابن شهر آشوب عن أبي زرعة الدمشقي وأبي إسحاق الثعلبي في كتابيهما: أنّه قال أبو بكر: يا أسفي على ساعة تقدّمني فيها عليّ بن أبي طالب، فلو سبقته لكان لي سابقة الإسلام.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٤].

٢- و روى ابن عساكر الشافعي، عن عبداللّٰه بن عبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب وعنده جماعة، فتذاكروا السابقين إلى الإسلام، فقال عمر: أمّا عليٌّ فسمعتُ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول فيه ثلاث خصال لوددتُ أنّ لي واحدة منهنّ أحبّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنتُ أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة إذ ضرب النبيّ صلى الله عليه و آله بيده على منكب عليّ، فقال له: "يا عليّ، أنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأوّل المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى".

[تاريخ دمشق لابن عساكر - ترجمة الإمام عليّ ١:٣٣١، ح ٤٠١، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٢٦].

٣- روى القندوزي الحنفي عن ابن عبّاس، في قوله تعالى: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ"، قال: سبق يوشع بن نون، وسبق مؤمن آل فرعون إلى موسى، وسبق صاحب يس إلى عيسى، وسبق عليّ إلى محمّد صلى الله عليه و آله.

[ينابيع المودّة: ٦٠].

٤- و عنه ايضاً، عن ابن عبّاس، قال: أوّل مَن أسلم من النّاس بعد خديجة عليّ بن أبي طالب.

[فى المصدر السابق بعينه].

٥- وفي "المناقب" عن مالك بن أنس، عن سُمَيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، قال: 'وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ'

[سورة التوبة: ١٠٠].

نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام سبق النّاس كلّهم بالإيمان، وصلّى إلى القبلتين، وبايع البيعتين: بيعة بدر، وبيعة الرضوان - الحديث.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٥].

٦- و عن ابن عبدالبرّ المالكي، قال: وروي عن سلمان أنّه قال: أوّل هذه الأُمّة وروداً على نبيّها الحوض، أوّلها إسلاماً عليّ بن أبي طالب.

[الاستيعاب لابن عبدالبرّ المالكي بهامش الإصابة ٣:٢٩].

٧- وفي "تاريخ دمشق" عن أنس بن مالك، قال: أُنزلت النبوّة على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، وأسلمت خديجة يوم الاثنين، وأسلم عليّ يوم الثلاثاء ليس بينهما إلا ليلة.

[تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي - ترجمة الإمام عليّ ١:٤١، ح ٧٤].

٨- روى الحاكم النيشابوري بسنده عن زيد بن أرقم، قال: ان أوّل من اسلم مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد و انّما الخلاف في هذا الحرف أن أبابكر الصديق كان اوّل الرجل البالغين اسلاماً و عليّ بن أبي طالب عليه السلام تقدّم اسلامه قبل البلوغ.

[مستدرك الحاكم ١٤٧: ٣، ح ٢٦١ / ٤٦٦٣].

٩- وفي "تاريخ الطبري" عن أبي حمزة مولى الأنصار، عن زيد بن أرقم، قال: أوّل مَن أسلم مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب.

[تاريخ الطبري ٢:٥٥].

١٠- وفيه أيضاً: عن ابن إسحاق، قال: كان أوّل ذَكر آمن برسول اللّٰه وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند اللّٰه عليّ بن أبي طالب، وهو يومئذٍ ابن عشر سنين، وكان ممّا أنعم اللّٰه به على عليّ بن أبي طالب أنّه كان في حجر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قبل الإسلام.

[تاريخ الطبري ٢:٥٧، والكامل في التاريخ ١:٤٨٤].

١١- وفي "تاريخ دمشق" لابن عساكر الشافعي، عن عروة بن الزبير: أنّ عليّاً أسلم وهو ابن ثمان سنين.

[تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي - ترجمة الإمام عليّ ١:٣٢، ح ٦١].

١٢- وفيه أيضاً: عن قتادة، عن الحسن البصري، وغيره، قالوا: كان أوّل من آمن به عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو ابن خمس عشرة، أو ستّ عشرة.

[المصدر السابق: ٣٦، ح ٦٨، وينابيع المودّة: ٦٠].

١٣- وفيه أيضاً: عن أبي مالك بن الحويرث، قال: كان عليّ أوّل من أسلم من الرجال، وخديجة أوّل من أسلم من النساء.

[المصدر السابق: ٦٥، ح ١٠٤].

١٤- وفيه أيضاً: عن عبدالرحمن بن عوف، في قوله عزّ وجلّ: 'وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ'، قال: هم عشرة من قريش، كان أوّلهم إسلاماً عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[المصدر السابق: ٨٠، ح ١٢٩].

١٥- وفيه أيضاً: عن عمرو بن عبدالله بن يعلى بن مرّة الثقفي الصحابي، عن أبيه، عن جدّه، قال: أوّل مَن أسلم عليّ عليه السلام.

[المصدر السابق: ح ١٣٠].

١٦- و روى ابن اثير عن ابن إسحاق، قال: أوّل مَن أسلم عليّ وعمره إحدى عشرة سنة.

[الكامل في التاريخ ١:٤٨٤].

١٧- وفي "المناقب" في رواية: سمع أبو رجاء العطاردي قوماً يسبّون عليّاً عليه السلام فقال: مهلاً ويلكم، أتسبّون أخا رسول الله، وابن عمّه، وأوّل مَن صدّقه وآمن به، وإنّه لمقام عليّ مع رسول الله صلى الله عليه و آله ساعة من نهار خيرٌ من أعماركم بأجمعها.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٩].

١٨- و روى الكليني بسنده عن أُسيد بن صفوان صاحب رسول الله، في حديث طويل، قال فيه: لمّا كان اليوم الّذي قُبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتجّ

[ارتجّ: أي اضطرب].

الموضع بالبكاء، ودهش النّاس كيوم قُبض النبيّ صلى الله عليه و آله، وجاء رجل باكياً وهو مسرع مسترجع، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوّة، حتّى وقف على باب البيت الّذي فيه أمير المؤمنين عليه

السلام فقال: رحمك اللَّه يا أبا الحسن، كنتَ أوّل القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم للَّه، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم

[أي أشدّهم حياطة وحفظاً وصيانة وتعهّداً].

على رسول اللَّه، وآمنهم على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول اللَّه، وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً

[السمت: هيئة أهل الخير].

وفعلاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك اللَّه عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً،... وسكت القوم حتّى انقضى كلامه، وبكى، وبكى أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ثمّ طلبوه، فلم يصادفوه.

[أُصول الكافي ١: ٤٥٤].

١٩- في "أمالي الصدوق" بسنده عن عمران بن ميثم، عن أبي سخيلة، قال: أتيت أبا ذرّ رضى الله عنه فقلت: يا ابا ذرّ، قد رأيت اختلافاً فبماذا تأمرني؟ قال: عليك بهاتين الخصلتين: كتاب اللَّه، والشيخ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّي سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: 'هذا أوّل مَن آمن بي، وأوّل مَن يُصافحني يومَ القيامة، وهو الصدّيق أكبر، وهو الفاروق الّذي يفرق بين الحقّ والباطل'.

[أمالي الصدوق - المجلس السابع والثلاثون: ح ٥].

٢٠- وروى المحدّث القمّي في "سفينة البحار": دخل أبو أُمامة الباهلي - وهو من أصحاب عليّ - على معاوية فقرّبه وأدناه، ثمّ دعا بالطعام، فجعل يطعم أبا أُمامة بيده، ثمّ أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده، وأمر له ببدرة من دنانير فدفعها إليه، ثمّ قال: يا أبا أُمامة، باللَّه أنا خيرٌ أم عليّ بن أبي طالب؟ فقال أبو أُمامة: نعم ولا كذب، ولو بغير اللَّه سألتني لصدقتُ: عليّ عليه السلام واللَّهِ خيرٌ منك وأكرم، وأقدم إسلاماً، وأقرب إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قرابةً، وأشدّ في المشركين نكايةً، وأعظم عند اللَّه عناءً، أتدري مَن عليّ يا معاوية؟ ابن عمّ رسول اللَّه، وزوج ابنته سيّدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، وابن أخي حمزة سيّد الشهداء، وأخو جعفر ذي الجناحين، فأين تقع أنت مِن هذا يا معاوية؟

ثمّ قال: أظننت أنّي سأختارك على عليّ عليه السلام بألطافك وطعامك وعطائك، فأدخل إليك مؤمناً وأخرج منك كافراً؟ بئسما سوّلت لك نفسك يا معاوية، ثمّ نهض وخرج من عنده فأتبعه بالمال، فقال: لا واللَّه، لا أقبل منك ديناراً واحداً.

[سفينة البحار ١: ٦٦٩، مادة 'سور'].

وقال أبو الأسود الدؤلي يهدّد طلحة والزبير:

وإنّ عليّاً لكم مَفْخَرٌ*** يماثله الأسد الأسود

أما إنّه أوّل العابدين*** بمكّة واللَّه لا يعبد

[راجع الغدير ٣:٢٣٢].

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفّين:

هذا عليّ وابن عمّ المصطفى*** أوّلُ مَن أجابه فيما روى

هو الإمام لا يبالي مَن غَوى*** وأنشأ أبو الأسود الدؤلي:

وإنّ عليّاً لكم مفخر*** يشبه بالأسد الأسود

أما إنّه ثاني العابدين*** بمكّة واللَّهِ لم يُعبَد

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٥].

اتفاق الشيعة وجمهور أهل السنّة على أنّه أوّل من آمن باللَّه و رسوله

يستفاد من صريح كلام أصحابنا الإماميّة وجمهور أهل السنّة أنّ عليّاً عليه السلام سابق في الإيمان لجميع النّاس بعد خديجة، وكان النبيّ صلى الله عليه و آله بعث يوم الاثنين، وأسلم عليّ عليه السلام يوم الثلاثاء

[راجع: المناقب لابن شهرآشوب، شرح نهج البلاغة ٢:٧، رسالة الاسكافي ٢:٢٧٨].

ولم يخالف في ذلك إلا شرذمة قليلة لا يعتدّ بخلافهم، فالموضوع اتّفاقي بين الشيعة والجمهور، و إن كان ما ذكرناه من الأخبار و الأقوال آنفاً يثبت ذلك، ولكن فيما يلي ننقل نزراً من كلماتهم تأييداً لذلك، فنقول:

١- قال العلامة الخوئي: لا خلاف بين المسلمين - إلا شرذمة من العامّة العثمانيّة - في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سبق النّاس كلّاً إلى الإسلام والتوحيد، كما صرّح به في هذا الكلام بقوله: "اللّهمّ إنّي أوّل من أناب وسمع وأجاب" - الحديث.

[منهاج البراعة ٨:٢٦٦].

٢- قال ابن أبي الحديد: وما أقول في رجل سبق النّاس إلى الهدى، وآمن باللَّه وعبده، وكلّ مَن في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كلّ خير محمّد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ثمّ قال: ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنّه أوّل النّاس اتّباعاً لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله إيماناً، ولم يخالف في ذلك إلا الأقلّون، وقد قال هو: "أنا الصدّيق الأكبر، وأنا الفاروق الأوّل، أسلمتُ قبل إسلام النّاس، وصلّيتُ قبل صلاتهم".

ثمّ قال: ومَن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقّق من ذلك وعلمه واضحاً، وإليه ذهب الواقدي وابن جرير الطبري، وهو القول الّذي رجّحه ونصره صاحب كتاب الاستيعاب.

[شرح ابن أبي الحديد ١:٣٠].

٣- روى ابن عبدالبرّ المالكي عن سلمان وأبي ذرّ والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد وزيد بن أرقم: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أوّل من أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره، وقال ابن إسحاق: أوّل من آمن باللّه ورسوله محمّد صلى الله عليه و آله من الرجال عليّ بن أبي طالب، وهو قول ابن هشام إلا أنّه قال من الرجال بعد خديجة.

[الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٢٢].

٤- وقال ابن الجوزي الحنفي: وتكلّم العلماء في قوله عليه السلام: 'سبقتكم إلى الإسلام طرّاً'، فقال قوم: أسلم وهو ابن سبع سنين، وقيل: ابن ثمان، وقيل: ابن عشر، وقيل: ابن خمس عشرة، وبهذا يحتجّ أبو حنيفة على الشافعي في صحّة إسلام الصبي العاقل إذا لم يبلغ.

[تذكرة الخواصّ: ١٠٣].

أقول: ومن هذا الاستدلال يستفاد بيّناً أنّ أبا حنيفة اعترف بأنّ عليّاً عليه السلام أوّل مَن آمن باللّه وبرسوله.

٥- و روى الطبري عن محمّد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبدالرحمن وأبي حازم المدني والكلبي، قالوا: عليّ أوّل مَن أسلم. وقال الكلبي: أسلم وهو ابن تسع سنين.

[تاريخ الطبري ٢:٥٧].

٦- و عنه أيضاً عن الواقدي، قال: واجتمع أصحابنا أنّ عليّاً عليه السلام أسلم بعد ما تُنبئ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بسنة - الحديث.

[المصدر السابق: ٥٨].

٧- و عنه أيضاً عن أبي جعفر، قال: ثمّ اختلف السلف فيمن اتّبع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وآمن به وصدّقه على ما جاء به من عند اللّه من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد وصلّى معه، فقال بعضهم: كان أوّل ذكر آمن برسول اللّه وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند اللّه عليّ بن أبي طالب.

[المصدر السابق: ٥٥].

٨- و في "المناقب" وغيره، عن ابن البيع في "معرفة أُصول الحديث": لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أنّ عليّ بن أبي طالب أوّل النّاس إسلاماً، وإنّما اختلفوا في بلوغه.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١١، رسالة الإسكافي: ٢٢، نقلاً عن الغدير ٣:٢٣٨].

٩- و قال ابن حجر العسقلاني الشافعي: عليّ بن أبي طالب أوّل النّاس إسلاماً.

[الإصابة ٢:٥٠١، حرف العين].

١٠- و قال ابن الصبّاغ المالكي: وأكثر الأقوال وأشهرها أنّه عليه السلام لم يبلغ الحلم، وأنّه أوّل مَن أسلم وآمن برسوله صلى الله عليه و آله من الذكور بعد خديجة، قاله الثعالبي في تفسير قوله تعالى: 'وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ'، وهو قول ابن عبّاس، وجابر بن عبداللّٰه الأنصاري، وزيد بن أرقم، ومحمّد بن المنكدر، وربيعة الرأي، وقد أشار عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى شي ء من ذلك في أبيات قالها رواها عنه الثقات الأثبات، وهي:

محمّد النبيّ أخي وصنوي*** وحمزة سيّد الشهداء عمّي

وبنت محمّد سكني وعرسي*** منوط لحمها بدمي ولحمي

سبقتكم إلى الإسلام طُرّاً*** صغيراً ما بلغت أوان حلمي

فويل ثمّ ويل ثمّ ويل*** لمن يلقى الإله غداً بظلمي

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٣٢].

١١- و قال المسعودي: والأشياء الّتي استحقّ بها أصحاب رسول اللّٰه الفضل هي: السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله و... كلّ ذلك لعليّ عليه السلام منه النصيب الأوفر والحظّ الأكبر.

[مروج الذهب ٢:٤٣٧].

١٢- و قال الشيخ المفيد في "الإرشاد": وعليّ هو أوّل مَن آمن باللّٰه ورسوله من أهل البيت والأصحاب، وأوّل ذكر دعاه النبيّ صلى الله عليه و آله إلى الإسلام، فأجاب، ولم يزل ينصر الدين ويجاهد المشركين، ويذبّ عن الإيمان، ويقتل أهل الزيغ والطغيان، وينشر معالم السنّة والقرآن، ويحكم بالعدل، ويأمر بالإحسان.

[إرشاد المفيد: ٩، الباب١، الفصل ١].

وفي هذا الباب كثير من كلمات الحفّاظ الثقات وأهل التفسير والتاريخ، نكتفي بهذا القدر إعراضاً عن الإطالة.

احتجاج المأمون على الفقهاء في أنّ عليّاً أوْلى النّاس بالخلافة

للمأمون الخليفة العبّاسي مناظرة لطيفة - قلّ نظيرها، وندر مثلها - مع فقهاء العامّة، ذكرها ابن عبد ربّه الأندلسي في "العقد الفريد"، وفيما يلي نذكر بعض ما يتعلّق منها بإسلام أمير المؤمنين عليه السلام:

قال المأمون: يا إسحاق

[هو إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حمّاد بن زيد].

أي الأعمال أفضل يوم بعث اللَّه رسوله؟

قال إسحاق: قلت: الإخلاص بالشهادة.

قال المأمون: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم، قال: اقرأ ذلك في كتاب اللَّه، يقول: 'وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ'

[سورة الواقعة: ١٠ و ١١].

إنّما عنى مَن سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق عليّاً إلى الإسلام؟

قلت: يا أمير المؤمنين، إنّ عليّاً أسلم وهو حديث السنّ، لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال: اخبرني أيّهما أسلم قبل؟ ثمّ أُناظرك من بعده في الحداثة والكمال؟

قلت: عليّ عليه السلام أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة، فقال: نعم، فأخبرني عن إسلام عليّ حين أسلم، لا يخلو من أن يكون رسول اللَّه صلى الله عليه و آله دعاه إلى الإسلام، أو يكون إلهاماً من اللَّه؟

قال: فأطرقت، فقال لي: يا إسحاق، لا تقل إلهاماً فتقدّمه على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لم يعرف الإسلام حتّى أتاه جبرئيل عن اللَّه تعالى، قلت: أجل، بل دعاه رسول اللَّه إلى الإسلام.

قال: يا إسحاق، فهل يخلو رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر اللَّه، أو تكلّف ذلك من نفسه؟ قال: فأطرقت، فقال: يا إسحاق، لا تنسب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى التكلّف، فإنّ اللَّه يقول: 'وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ'

[سورة ص: ٨٦].

قلت: أجل، يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر اللَّه.

قال: فهل من صفة الجبّار جلّ ذكره أن يكلّف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت: أعوذ باللَّه، فقال: أفتراه في قياس قولك - يا إسحاق - إنّ عليّاً أسلم صبيّاً لا يجوز عليه الحكم، قد كلّف رسول اللَّه صلى الله

عليه و آله من دعاء الصبيان ما لا يطيقونه، فهل يدعوهم الساعة ويرتدّون بعد ساعة؟ فلا يجب عليهم في ارتدادهم شي ء، ولا يجوز عليهم حكم الرسول صلى الله عليه و آله، أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول اللَّه؟ قلت: أعوذ باللَّه.

قال: يا إسحاق، فأراك إنّما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّاً على هذا الخلق، أبانه بها منهم ليعرفوا فضله، ولو كان اللَّه أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليّاً، قلت: بلى.

قال: فهل بلغك أنّ الرسول صلى الله عليه و آله دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول: إنّ عليّاً ابن عمّه، قلت: لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل؟ قال: يا إسحاق، أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه؟ قلت: لا، قال: فدع ما قد وضعه اللَّه عنّا وعنك.

[العقد الفريد ٥:٩٢، دار الكتاب العربي - بيروت، الإحقاق ٣:١٨٤].

انتهى محلّ الشاهد من مناظرته مع إسحاق في هذا الفصل، وسيأتيك إن شاء اللَّه بعض آخر من مناظرته بما يناسب الفصول الآتية.

علي منذ وُلد كان مسلماً

لقد أثبتنا بتواتر الأخبار المأثورة عن الفريقين، وكذا بأقوال الأصحاب والتابعين، وأقوال علماء العامّة والخاصّة أنّ عليّاً عليه السلام أوّل من آمن باللَّه وبرسوله، ولا يرتاب فيه ذو مسكة، ومن خالف بعدم سبقه في الإسلام كان مخالفاً للواضحات ومرتاباً في البديهيّات.

هذا وإنّ الخوض في سبق إسلامه وهو ابن عشر سنين أو تسع أو ثمان أو غير ذلك ما اقتضته المسالمة مع القوم والمماشاة لهم في تحديد بدء إسلامه، ولكن نحن نقول: إنّ عليّاً عليه السلام متى كفر حتّى يُسلم، ومتى أشرك حتّى يُؤمن؟ بل نعتقد أنّه قد انعقدت نطفته على الحنيفيّة البيضاء كما قال عليه السلام: "وُلدت على الفطرة"، وكان الإسلام في أعماق قلبه، واحتضنه حجر الرسالة، وغذّته يد النبوّة، وهذّبه الخلق النبويّ العظيم.

وبالجملة فهو في كنف رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يستضي ء منه هدياً وإيماناً تماماً كما يستضي ء القمر من الشمس نوراً وضياءً. نعم كان عليه السلام هو أوّل النّاس إعلاناً لإسلامه وجهراً بإيمانه، ولاطّلاع القارئ المحترم نشير إلى نزر من مقال بعض العلماء من العامّة والخاصّة في هذا المجال، حتّى يظهر لك ظهوراً جليّاً بأنّه لا يليق بخلافة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلا عليّ عليه السلام؛ لأنّه لم يكفر باللَّه طرفة عين أبداً، بل كان مسلماً منذ ولادته.

إليك بعض ما ورد في الباب:

١- عن سفيان الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، في قوله تعالى: 'الَّذِين آمَنُوا'

[سورة الأنعام: ٨٢].

يا محمّد، الذين صدقوا بالتوحيد، قال: هو أمير المؤمنين، 'وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ'

[سورة الأنعام: ٨٢].

أي ولم يخلطوا، نظيرها: 'لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ'

[سورة آل عمران: ٧١].

يعني الشرك؛ لقوله: 'إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ'.

[سورة لقمان: ١٣].

قال ابن عبّاس: واللَّه! ما من أحد إلا أسلم بعد شرك ما خلا أمير المؤمنين 'أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ'

[سورة الأنعام: ٨٢].

يعني عليّاً عليه السلام.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٨٠].

٢- و قال عبدالكريم الخطيب في كتابه: وأكثر الذين ينازعون في أسبقيّة عليّ عليه السلام في الإسلام لا يعتدّون بالسبق الزمني، وإنّما نراهم قد يسلّمون به، ولكنّهم لا يرون إسلام عليّ إسلاماً يعتدّ به في تلك السنّ المبكّرة؛ إذ لم يكن عن نظر وتدبّر، فقد أسلم عليّ عليه السلام حين كان صبيّاً لم يبلغ مبلغ الإدراك والتمييز، والّذي نقوله هنا هو ما قلناه من قبل وهو: أنّ عليّاً ولد مسلماً على الفطرة؛ إذ كان مربّاه منذ طفولته في بيت الرسول، عصمه اللَّه وعصم مَن كان في بيته من شرك الجاهليّة وظلالها.

[عليّ بن أبي طالب بقيّة النبوّة وخاتم الخلافة: ١٠٠، نقلاً عن كتاب الإمام عليّ: ٤٠٤].

٣- وروى العلامة الأميني: عن المقريزي في الإمتاع - ما ملخّصه -: وأمّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلم يشرك باللَّه قطّ؛ وذلك أنّ اللَّه تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمّه سيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه و آله، فعندما أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الوحي وأخبر خديجة وصدّقت، كانت هي وعليّ بن أبي طالب وزيد بن حارثة يُصلّون معه.

إلى أن قال: فلم يحتج عليّ عليه السلام أن يُدعى، ولا كان مشركاً حتّى يُوحِّد، فيقال: أسلم، بل كان عندما أوحى اللّٰه إلى رسوله عمره ثمان سنين، وقيل: سبع، وقيل: إحدى عشرة سنة، وكان مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في منزله بين أهله كأحد أولاده يتّبعه في جميع أحواله.

[الغدير ٣: ٢٣٠، عن الامتاع للمقريزي: ١٦].

٤- وفي "تاريخ دمشق" بسنده عن جابر، عن النبيّ أنّه قال: "ثلاثة ما كفروا باللّٰه قطّ: مؤمن آل ياسين، وعليّ بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون".

[تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي - ترجمة الإمام عليّ ٢: ٢٨٢، ح ٨٠٦].

٥- قال العقّاد المصري: وُلد عليّ عليه السلام في داخل الكعبة، وكرّم اللّٰه وجهه عن السجود لأصنامها، فكأنّما كان ميلاده ثمّة إيذاناً بعهدٍ جديد للكعبة وللعبادة فيها، وكاد عليّ أن يولد مسلماً، بل لقد وُلد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح؛ لأنّه فتح عينيه على الإسلام، ولم يعرف قطّ عبادة الأصنام، فهو قد تربّى في البيت الّذي خرجت منه الدعوة الإسلاميّة، وعرف العبادة من صلاة النبيّ وزوجته الطاهرة قبل أن يعرفها من صلاة أبيه وأُمّه، وجمعت بينه وبين صاحب الدعوة قرابة مضاعفة، ومحبّة أوثق من محبّة القرابة، فكان ابن عمّ محمّد صلى الله عليه و آله وربيبه الّذي نشأ في بيته، ونَعِم بعطفه وبرّه.

[عبقرية الإمام عليّ: ٤٣].

٦- و قال العلامة الشيخ خليل: و يوم جهر النبيّ صلى الله عليه و آله بدعوته، كان عليّ عليه السلام أوّل النّاس إسلاماً، وأسبقهم إيماناً، بل الواقع الصحيح أنّه عليه السلام لم يكن أوّل النّاس إسلاماً وأسبقهم إيماناً، بل كان أوّل النّاس إعلاناً لإسلامه وجهراً بإيمانه؛ لأنّ ذينك الإسلام والإيمان كانا كامنين في أعماق قلبه في كلّ كيانه، يعيشهما بعمق وتأمّل، وهو في كنف الرسول صلى الله عليه و آله يستمدّ منه هدياً وإيماناً تماماً كما يستمدّ القمر من الشمس نوراً وضياءً، فإذن لعليّ عليه السلام قدر ما لم يقدّر لسواه من البشر.

[الإمام عليّ رسالة وعدالة: ٢٥؛ نقلاً عن كتاب الإمام عليّ بن أبي طالب للرحماني: ٤٠٦].

٧- وقال العلامة الأميني قدس سره: هذا - أي سبق إسلامه، وهو ابن تسع، أو ثمان، أو غير ذلك - ما اقتضته المسالمة مع القوم في تحديد مبدأ إسلامه عليه السلام، وأمّا نحن فلا نقول: إنّه أوّل مَن أسلم بالمعنى الّذي يحاوله ابن كثير وقومه؛ لأنّ البدأة به تستدعي سبقاً من الكفر، ومتى كفر أمير المؤمنين حتّى يسلم؟! ومتى أشرك باللّٰه حتّى يؤمن؟! وقد انعقدت نطفته على الحنيفيّة البيضاء، واحتضنه حجر الرسالة، وغذّته يد النبوّة، وهذّبه الخُلق النبويّ العظيم، فلم يزل مقتصّاً أثر الرسول قبل أن يصدع بالدين الحنيف وبعده، فلم يكن

له هوى غير هواه، ولا نزعة غير نزعته، وكيف يمكن للخصم أن يقذفه بكفر قبل الدعوة... وإنّه كان يمنع أمّه من السجود للصنم وهو حمل، أيكون إمام الأُمّة هكذا في عالم الأجنّة ثمّ يُدنّسه درن الكفر في عالم التكليف؟! فلقد كان عليه السلام مؤمناً جنيناً ورضيعاً وفطيماً ويافعاً وغلاماً وكهلاً وخليفةً.

ولولا أبو طالب وابنه* لما مثّل الدين شخصاً وقاما**

بل نحن نقول: إنّ المراد من إسلامه وإيمانه وأوّليّته فيهما وسبقه إلى النبيّ في الإسلام، هو المعنى المراد من قوله تعالى عن إبراهيم الخليل: 'وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ' [الأنعام: ١٦٣].

وفيما قال سبحانه عنه: 'إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ' [البقرة: ١٣١].

وفيما قال سبحانه عن موسى عليه السلام: 'وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ' [الأعراف: ١٤٣].

وفيما قال تعالى عن نبيّه الأعظم صلى الله عليه و آله: 'آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ' [البقرة: ٢٨٥].

وفيما قال: 'قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ' [الأنعام: ١٤].

وفي قوله: 'وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ'. [غافر: ٦٦].[الغدير ٢٣٩: ٣].

ليس اسلام أبي بكر ولا زيد قبل إيمان عليّ

عن ابن أبي الحديد في "شرحه" في فصل "فيما قيل مَن سبق عليّ عليه السلام إلى الإسلام"، قال: إن يقال: كيف قال عليّ عليه السلام: 'وسبقتُ إلى الإيمان' وقد قال قوم من النّاس: إنّ أبا بكر سبقه، وقال قوم: إنّ زيد بن حارثة سبقه؟

قال في الجواب: إنّ أكثر أهل الحديث، وأكثر المحقّقين من أهل السيرة، رووا أنّه عليه السلام أوّل من أسلم، ونحن نذكر كلام أبي عمر يوسف بن عبدالبرّ المحدّث في كتابه المعروف بالاستيعاب.

قال أبو عمر في ترجمة عليّ عليه السلام: المرويّ عن سلمان وأبي ذرّ والمقداد وخبّاب وأبي سعيد الخدري وزيد بن أسلم، أنّ عليّاً أوّل من أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره.

قال أبو عمر: وقال ابن إسحاق: أوّل من آمن باللّه وبمحمّد رسول اللّه عليّ بن أبي طالب، وهو قول ابن شهاب، إلا أنّه قال: من الرجال بعد خديجة.

ثمّ روي عن أبي عمر، بسنده عن ابن عبّاس، قال: لعليّ عليه السلام أربع خصال، ليست لأحد غيره.

الأوّل: هو أوّل عربيّ وعجميّ صلّى مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

الثاني: وهو الّذي كان معه لواؤه في كلّ زحف.

الثالث: وهو الّذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره.

الرابع: وهو الّذي غسّله وأدخله قبره.

وساق كلامه في نقل أخبار متعدّدة عن أبي عمر، ثمّ قال: فهذه الروايات والأخبار كلّها ذكرها أبو عمر يوسف بن عبدالبرّ في الكتاب المذكور "الاستيعاب"، وهي كما تراها تكاد تكون إجماعاً.

ثمّ قال: واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ما زال يدّعي ذلك لنفسه، ويفتخر به، ويجعله في أفضليّته على غيره، ويصرّح بذلك وقد قال غير مرّة: 'أنا الصدِّيق الأكبر، والفاروق الأوّل، أسلمت قبل إسلام أبى بكر، وصلّيت قبل صلاته'.

وروى عنه عليه السلام هذا الكلام بعينه أبو محمّد بن قتيبة في كتاب "المعارف" وهو غير متّهم في أمره...

ومن الشعر المرويّ في هذا المعنى الأبيات الّتي أوّلها:

محمّدٌ النبيّ أخي وصهري*** وحمزة سيّد الشهداء عمّي

ومن جملتها:

سبقتكم إلى الإسلام طُرّاً*** غلاماً ما بلغت أوان حلمي

ثمّ قال: والأخبار في هذا الباب كثيرة جدّاً لا يتّسع هذا الكتاب لذكرها، فلتُطلب من مظانّها، ومن تأمّل كتب السير والتواريخ عرف من ذلك ما قلناه: عليّ أوّل مَن أسلم.

ثمّ قال: فأمّا الذاهبون إلى أنّ أبا بكر أقدمهما إسلاماً فنفر قليلون، ونحن نذكر ما أورده ابن عبدالبرّ أيضاً في كتاب "الاستيعاب" في ترجمة أبي بكر، ثمّ روى حديث أبي عمر بطرق أربعة: أنّ أبا بكر أوّل من أسلم.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: هذا مجموع ما ذكره أبو عمر بن عبدالبرّ في هذا الباب في ترجمة أبي بكر، ومعلوم أنّه لا نسبة لهذه الروايات إلى الروايات الّتي ذكرها في ترجمة عليّ عليه السلام الدالّة على سبقه، ولا ريب أنّ الصحيح ما ذكره أبو عمر: أنّ عليّاً عليه السلام كان هو السابق، وأنّ أبا بكر هو أوّل من أظهر إسلامه فظنّ أنّ السبق له.

وقد استدلّ العلامة الأميني في تقدّم إيمان عليّ عليه السلام على أبي بكر، "ما ملخّصه": أمّا ما احتجّ به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أوّل النّاس إيماناً، فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً؟ لاحتجّ به أبو بكر يوم السقيفة، وما رأيناه صنع ذلك،... لما قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وَقَى اللّه شرّها، ولو كان احتجاجاً صحيحاً؟ لأدّعى واحدٌ من النّاس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام، وما عرفنا أحداً ادّعى له ذلك، على أنّ جمهور المحدّثين لم يذكروا أنّ أبا بكر أسلم إلا بعد عدّة من الرجال، الى ان قال: فأمّا رواية ابن عباس: أن أبابكر أوّلهم اسلاماً، فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر ممّا رووا و أشهر، الى آخر كلامه رفع مقامه.

[الغدير ٣: ٢٤٠].

قال ابن أبي الحديد: أمّا إسلام زيد بن حارثة، فإنّ أبا عمر بن عبدالبرّ ذكر في كتاب "الاستيعاب" أيضاً في ترجمة زيد بن حارثة، قال: ذكر معمر بن شبّة في جامعه عن الزهري، أنّه قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة.

وقال عبدالرزّاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري، ولم يذكر صاحب الاستيعاب ما يدلّ على سبق زيد إلا هذه الرواية، واستغربها.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: فدلّ مجموع ما ذكرناه أنّ عليّاً عليه السلام أوّل النّاس إسلاماً، وأنّ المخالف في ذلك شاذّ، والشاذّ لا يعتدّ به.

[شرح ابن أبي الحديد ٤: ١١٦].

فيما يمكن ان يرد على سبق إسلامه

بعد أن ثبت من الأخبار والإجماع أنّ عليّاً عليه السلام أوّل من آمن باللّه وبرسوله، وأنّه منذ ولد كان مسلماً وعلى الفطرة الحنيفيّة البيضاء، وأنّه لائق بالخلافة والوصاية لرسول اللّه "صلوات اللّه وسلامه عليهما"، جدير أن نذكر هنا ما أورده بعض المخالفين والمعاندين على سبق إسلامه عليه السلام، ولا يصدر عنهم إلا عن عناد وبغضاء لأهل البيت عليهم السلام ولإطفاء فضائلهم، ولكنّ ضوء الشمس لا يغطّى بغربال، وكلّما ازداد المعاندون عناداً ازداد أهل البيت عليهم السلام فضلاً وكمالاً؛ إذ يتمسّكون بإيرادات سخيفة ضعيفة مضحكة يظهر لك حالها طيّ طرحها مع جوابها، وخلاصة الايرادات في هذا الفصل تدور على ثلاثة محاور:

الأوّل: إنكار صحّة إيمان عليّ وإسلامه، والادّعاء أنّ إيمانه كان بتلقين ظئره ومربّيه، يعني محمّداً صلى الله عليه و آله، لا عن عرفان وشعور؟!

الثاني: أنّ إسلامه وإيمانه لم يكن معتبراً لكونه دون البلوغ؟!

الثالث: أن لا دليل معتبر على سبق إسلامه، وجميع ما ورد من الأخبار على سبق إسلامه ضعاف مطرودة؟!

وإليك نصّ الاشكالات مع جوابها

الاشكال ١

استشكل الجاحظ بقوله: إنّ عليّاً أسلم عن تربية الحاضن وتلقين القيّم ورياضة السائس.

[شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٣٩].

أمّا الجواب:

فقد قال ابن أبي الحديد في ردّه: أوّلاً: أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله كان حاضن عليّ عليه السلام وقيّمه وسائسه، ولكن لم يكن منقطعاً عن أبيه ولا عن إخوته: طالب وعقيل وجعفر وأُختيه، ولا عن عمومته وأهل بيته، وما زال مخالطاً لهم، ممتزجاً بهم مع خدمته لمحمّد صلى الله عليه و آله، فما باله لم يمل إلى الشرك وعبادة الأصنام لمخالطته لهم، وهم كثير ومحمّد صلى الله عليه و آله واحد، وأنت تعلم أنّ الصبي إذا كان له أهل ذوو كثرة وفيهم واحد يذهب إلى رأي مفرد لا يوافقه عليه غيره منهم، خصوصاً في المسائل الاعتقادية الّتي هي خلاف ما شاهد في تلك الأعصار من الأصنام والأوثان.

ثانياً: أنّ عليّاً عليه السلام لم يولد في دار الإسلام، بل ولد في دار الشرك، وربّي بين المشركين، وعاين بعينه أهله ورهطه يعبدون الأصنام، فلو كان في دار الإسلام لكان في القول محال، ولو قيل إنّه ولد بين المسلمين

فإسلامه عن تلقين الظنر، وعن سماع كلمة الإسلام ومشاهدة شعاره؛ لأنّه لم يسمع غيره، ولا خطر بباله سواه، فلمّا لم يكن ولد كذلك ثبت أنّ إسلامه إسلام المميّز العارف بما دخل عليه.

ثالثاً: لولا أنّه كذلك لما مدحه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بذلك، ولا أرضى ابنته فاطمة لمّا وجدت من تزويجه بقوله لها: "زوّجتك أقدمهم سلماً".

فلولا أنّه أسلم إسلام

[كذا في المصدر، والصحيح: "فلولا أنّه لم يسلم إسلام..."].

عارف مميّز لما ضمّ إسلامه إلى العلم والحلم اللذين وصفه بهما بقوله: "زوّجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً".

رابعاً: لو كان إسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام به على رؤوس الأشهاد، ولا خطب على المنبر بين عدوّ ومحارب، وخاذل منافق، فقال: "أنا عبداللّٰه، وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، صلّيت قبل النّاس سبع سنين، وأسلمت قبل إسلام أبي بكر، وآمنت قبل إيمانه"، فهل بلغكم أنّ أحداً من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أو عابه أو ادّعاه لغيره، أو قال له: إنّما كنت طفلاً أسلمت على تربية محمّد وتلقينه إيّاك، خصوصاً في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والنهروان، فإسلامه عليه السلام عن تمييز وهو عارف عالم، وإسلامه مقبول قطعاً.

[راجع شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٣٩].

الاشكال ٢

قال المحقّق البحراني في "شرحه لنهج البلاغة": واعلم أنّه ربّما اعترض بعض الجهّال بأنّ إسلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يكن معتبراً؛ لأنّه كان دون البلوغ.

فقال: فجوابه من وجوه:

أحدها: لا نسلّم أنّه كان دون البلوغ، ومستند هذا المنع وجوه.

الأوّل: رواية شدّاد بن أوس، قال: سألت خبّاب بن الأرتّ عن سنّ عليّ عليه السلام يوم أسلم، وقال: أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو يومئذٍ بالغ مستحكم البلوغ.

الثاني: ما رواه أبو قتادة عن الحسن: أنّ أوّل مَن أسلم عليّ بن أبي طالب، وهو ابن خمس عشرة سنة.

الثالث: عن حذيفة بن اليمان، قال: كنّا نعبد الحجارة، ونشرب الخمر، وعليّ من أبناء أربع عشرة سنة، يصلّي مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ليلاً ونهاراً، وقريش يومئذٍ تسافهه، ما يذبّ عنه إلا عليّ عليه السلام.

ثانيها: أنّ المتبادر إلى الفهم من إطلاق لفظ المسلم والكافر إنّما هو البالغ دون الصبي، والمبادرة إلى الذهن دليل الحقيقة، فالواجب إذن أن يرجع إلى إطلاق قولهم أسلم عليّ عليه السلام، فإنّ ذلك يشهد بكونه بالغاً عاقلاً لما يفعله، خصوصاً في البلاد الحارّة مثل مكّة، فإنّ العادة في المزاج الصحيح فيها أن يبلغ صاحبه فيها دون خمس عشرة سنة، وربّما احتلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة.

الثالث: وهو الحاسم لمادّة الإشكال أنّه عليه السلام إمّا أن يكون أسلم وهو بالغ أو لم يكن، فإن كان الأوّل فقد حصل الغرض، وإن لم يكن فلا معنى للكفر في حقّه إذ كان مولوداً على الفطرة، فمعنى الإسلام في حقّه إذن دخوله في طاعة اللّٰه ورسوله والاستسلام لأوامرهما، فله إذن الإسلام الفطرى والإيمان الخالص الوارد على نفس قدسيّة لم تتدنّس بأدناس الجاهليّة وعبادة الأصنام والاعتقادات الباطلة المضادّة للحقّ الّتي صارت ملكات فى نفس من أسلم بعد علوّ السنّ، فكان إيمانه باللّٰه ورسوله وارداً على نفس صاف لوحها عن كدر الباطل، فهي المنتقشة بالحقّ متمثّلة به، وكانت غاية إسلام غيره أن يمحو على طول الرياضة من نفوسهم الآثار الباطلة وملكات السوء فأين أحدهما من الآخر؟!

[شرح النهج للمحقّق البحراني ٤:٣١٦].

فعلى هذا لا يصحّ إشكال مَن قال: "لا يقبل إسلامه لأنّه أسلم قبل بلوغه"؛ لأنّه مضافاً إلى ما مرّ مِنْ أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أمره بالإسلام وقَبِلَ إسلامَه، ولا ريب أنّ قبوله صلى الله عليه و آله إسلامه يدلّ على صحّة إسلامه، سواء أكان بالغاً أم لم يكن، فإنّ دلالة القرآن الكريم على نبوّة يحيى عليه السلام في صغره، "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ"

[سورة مريم: ١٢].

ونبوّة عيسى بن مريم عليهماالسلام حين ولادته قال: "إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً"

[سورة مريم: ٣٠].

أصحّ دليلٍ على قبول إسلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإن أسلم قبل بلوغه.

الاشكال ٣

ايراد ابن كثير الدمشقي، فإنّه ذكر في كتابه حديثاً صحيحاً بإسناد الإمام أحمد الترمذي في إسلام أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه أوّل مَن أسلم وصلّى، ثمّ أردفه بقوله: 'وهذا لا يصحّ من أي وجه كان روي عنه، وقد ورد في أنّه أوّل مَن أسلم من هذه الأُمّة أحاديث كثيرة لا يصحّ منها شي ء'.

[البداية والنهاية ٧:٣٣٤].

أمّا الجواب:

ذكر العلامة الأميني رحمه الله جواباً عن هذا الإشكال في كتابه القيّم "الغدير" هذا ملخّصه: لِمَ لا يصحّ شي ء منها، من أيّ وجه كان والطرق صحيحة، والرجال ثقات، والحفّاظ حكموا بصحّته، وأرباب السير أطبقوا عليه، وكان من المتسالم عليه بين الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان، فيهمّنا ذكر نزر ممّا يدلّ على المدّعى روماً للاختصار، ثمّ ذكر أخباراً كثيرة من النصوص النبويّة، والمأثورة عن أمير المؤمنين والصحابة والتابعين "في أنّ عليّاً عليه السلام أوّل مَن أسلم"، وهي تربو على مائة كلمة.

ونتبرّك هنا بذكر بعض ما رواه العلامة الأميني رحمه الله في "خاتمة الفصل"، وإذا أراد القرّاء الأعزاء التوسّع في البحث، فليراجعوا كتاب "الغدير" ٢٣٦ - ٢١٩ :٣.

خاتمة الفصل في نقل بعض الأخبار الواردة في المقام

نذكر في ختام هذا الفصل ما ورد في الروايات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام والصحابة والتابعين، مضافاً إلى ما مرّ منّا في تضاعيف الفصل.

١- قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'أوّل هذه الأُمّة وروداً على الحوض أوّلهم إسلاماً عليّ بن أبي طالب'.

[الخطيب في تاريخه ٢:٨١، وابن عبدالبرّ في الاستيعاب ٢:٤٥٧، وابن أبي الحديد في شرحه ٣:٢٥٨].

٢- عن سلمان رضى الله عنه قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أوّلكم وارداً على الحوض اسلاماً عليّ بن أبي طالب'.

[المستدرك الحاكم ١٤٧: ٣، ح ٢٦٠ / ٤٦٦٢].

٣- وقال النبيّ لفاطمة: 'زوّجتكِ خير أُمّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم سلماً'.

[أخرجه الخطيب في المتّفق، والسيوطي في جمع الجوامع، كما في ترتيبه ٦:٣٩٨].

٤- إنّ أبا بكر وعمر خطبا فاطمة عليهاالسلام فردّهما رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وقال: 'لم أُومر بذلك'، فخطبها عليّ عليه السلام فزوّجه إيّاها، وقال لها: 'زوّجتك أقدم الأُمّةِ إسلاماً'.

[رواه جماعة من الصحابة منهم: أسماء بنت عميس، وأمّ أيمن، وابن عبّاس، وجابر بن عبدالله، كما في شرح ابن أبي الحديد ٣:٢٥٧].

٥- عن عليّ عليه السلام أنّه قال: 'أنا أوّل مَن أسلم مع النبيّ صلى الله عليه و آله'.

[رواه الخطيب البغدادي في تاريخه ٤:٢٣٣].

٦- قال عليّ عليه السلام أيضاً: 'ما أعرف أحداً من هذه الأُمّة عبد الله بعد نبيّنا غيري، عبدت الله قبل أن يعبده أحد من الأُمّة تسع سنين'.

[خصائص النسائي: ٣].

٧- وعنه أيضاً: 'آمنت قبل النّاس سبع سنين'.

[المصدر السابق بعينه].

٨- أنّ عليّاً عليه السلام كتب إلى معاوية: 'أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله لمّا دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنّا أهل البيت أوّل مَن آمن به وصدّق بما جاء به، فلبثنا أحوالاً مجرّمة - أي كاملة - وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا'.

[رواه ابن مزاحم في كتاب صفّين: ١٠٠].

٩- قال عليّ عليه السلام أيضاً: 'بعث رسول الله صلى الله عليه و آله يوم الاثنين، وأسلمت يوم الثلاثاء'.

[رواه ابن حجر في الصواعق المحرقة: ٧٢، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ١١٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ٩:١٠٣].

١٠- ما ذكره ابن طلحة الشافعي في "مطالب السؤول" لعليّ عليه السلام:

'أنا أخو المصطفى لا شكّ في نسبي*** به رُبيت وسبطاه هما ولدي

صدّقته وجميع النّاس في بُهم*** من الضلالة والإشراك والنكد'

قال جابر: سمعت عليّاً عليه السلام ينشد بهذا ورسول الله صلى الله عليه و آله يسمع، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه و آله، وقال: 'صدقت يا عليّ'.

[رواه ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ١١].

١١- أنّ الحسن بن عليّ عليهماالسلام خطب خطبة في مجلس معاوية، فقال: 'أُنشدكم الله أيّها الرهط، أتعلمون أنّ الّذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين كلتيهما، وأنت - يا معاوية - بهما كافر، تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزّى غواية. وأُنشدكم الله، هل تعلمون أنّه بايع البيعتين كلتيهما: بيعة الفتح، وبيعة الرضوان،

وأنت - يا معاوية - بإحداهما كافر وبأُخرى ناكث؟ وأنشدكم اللّٰه، هل تعلمون أنّه أوّل النّاس إيماناً؟ وأنّك - يا معاوية - وأبّاك من المؤلّفة قلوبهم".

[شرح ابن أبي الحديد ٢:١٠١].

١٢- كان ابن عبّاس بمكّة يحدّث على شفير زمزم ونحن عنده، فلمّا قضى حديثه قام إليه رجل، فقال: يابن عبّاس، إنّي امرؤ من أهل الشام من أهل حمص، إنّهم يتبرّءون من عليّ بن أبي طالب ويلعنونه، فقال: بل لعنهم اللّٰه في الدنيا والآخرة، وأعدّ له عذاباً مهيناً، أ لِبُعد قرابته من رسول اللّٰه، وأنّه لم يكن أوّل ذكران العالمين إيماناً باللّٰه ورسوله، وأوّل من صلّى وركع وعمل بأعمال البر؟

قال الشامي: إنّهم واللّٰه ما ينكرون قرابته وسابقته، غير أنّهم يزعمون أنّه قتل النّاس - الحديث.

[رواه البيهقي في المحاسن والمساوي ١:٣٠].

١٣- عن عفيف الكندي، قال: جئت في الجاهلية إلى مكّة وأنا أُريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فأتيتُ العبّاس بن عبدالمطّلب، وكان رجلاً تاجراً، فأنا عنده جالس حيث أنظر إلى الكعبة، وقد حلّقت الشمس في السماء فارتفعت وذهبت، إذ جاء شابّ فرمى ببصره إلى السماء، ثمّ قام مستقبل الكعبة، ثمّ لم ألبث إلا يسيراً حتّى جاء غلام فقام على يمينه، ثمّ لم ألبث إلا يسيراً حتّى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فسجد الغلام والمرأة، فقلت: يا عبّاس، أمر عظيم! قال العبّاس: أمرٌ عظيم! أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال: هذا محمّد بن عبداللّٰه ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا عليّ ابن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته، إنّ ابن أخي هذا أخبرني أنّ ربّه ربّ السماء والأرض أمره بهذا الدين الّذي هو عليه، ولا واللّٰه ما على الأرض كلّها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

[انظر تاريخ الطبري ٢:٥٦، الرياض النضرة ٢:١٥٨، وابن عبدالبرّ في الاستيعاب فى هامش الاصاب ٢:٤٥٩، وابن الأثير في الكامل ٢:٢٣، والسيرة الحلبية ١:٢٨٨].

١٤- عن هاشم بن عتبة يوم صفّين، قال: إنّ صاحبنا هو أوّل من صلّى مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وأفقهه في دين اللّٰه، وأولاه برسول اللّٰه، ثمّ أنشد هذا الشعر:

مع ابن عمّ أحمد المُعلّى*** فيه الرسول بالهدى استهلا

أوّل مَن صدّقه وصلّى*** فجاهد الكفّار حتّى أبلى

[وقعة صفّين: ٤٠٣، تاريخ الطبري ٦:٢٤، الكامل في التاريخ ٣:١٥٣].

١٥- عن عدي بن حاتم، قال في خطبة له: إن كان له - أي لعليّ - عليكم فضل وليس لكم مثله فسلّموا، وإلا فنازعوا عليه، واللَّه لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنّة فإنّه لأعلم النّاس بهما، ولئن كان إلى الإسلام فإنّه لأخو نبيّ اللَّه والرّأس في الإسلام.

[الإمامة والسياسة ١:١٠٣].

١٦- في "كتاب صفّين": كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية كتاباً منه: فكان أوّل من أجاب وأناب، وصدّق ووافق، وأسلم وسلّم، أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إلى أن قال: أوّل النّاس إسلاماً، وأصدق النّاس نيّةً، وساق الكلام إلى أن قال: يا لك الويل، تعدل نفسك بعليّ وهو وارث رسول اللَّه، ووصيّه، وأبو ولده، وأوّل النّاس له اتّباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه، ويشركه في أمره.

[كتاب صفّين لنصر بن مزاحم: ١٣٣].

١٧- وفي "رسالة الإسكافي": أنّ عبداللَّه بن أبي سفيان قال - مجيباً الوليد بن عقبة بن أبي المُعيط -:

وإنّ وليّ الأمر بعد محمّدٍ* عليٌّ وفي كلّ المواطن صاحبه**

وصيّ رسول اللَّه حقّاً وصنوه* وأوّل مَن صلّى ومَن لان جانبه**

[رسالة الإسكافي، والحافظ الكنجي في الكفاية: ٤٨].

١٨- وفي "تاريخ دمشق" بسنده عن جنيد بن عبدالرحمن، قال: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي فصلّيت الجمعة ثمّ خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له: أبو شيبة القاصّ، يقصّ على النّاس، فرغّب فرغبنا وخوّف فبكينا، فلمّا انقضى حديثه، قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب!! فلعنوا أبا تراب، فالتفت إليَّ من على يميني، فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول اللَّه، وزوج ابنته، وأوّل النّاس إسلاماً، وأبو الحسن والحسين، فقلت: ما أصاب هذا القاصّ؟ فقمت إليه، وكان ذا وفرة، فأخذت وفرته بيدي، وجعلت ألطم وجهه، وأبطح برأسه الحائط، فصاح، فاجتمع أعوان المسجد، فوضعوا ردائي في رقبتي وساقوني حتّى أدخلوني على هشام بن عبدالملك وأبو شيبة يقدمني، فصاح: يا أمير المؤمنين، قاصّك وقاصّ آبائك وأجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم؟ قال: مَن فعل لك؟ فقال: هذا.

فالتفت إليَّ هشام وعنده أشراف النّاس فقال: يا أبا يحيى، متى قدمت؟ فقلت: أمس، وأنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني صلاة الجمعة فصلّيت وخرجت إلى باب الدرج، فإذا هذا الشيخ قائم يقصّ فجلست إليه، فقرأ فسمعنا، فرغّب من رغب، وخوّف من خوّف، ودعا فأمّنّا، وقال في آخر كلامه: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب، فسألت من أبو تراب؟ فقيل: عليّ بن أبي طالب، أوّل النّاس إسلاماً، وابن عمّ رسول اللَّه، وأبو

الحسن والحسين، وزوج بنت رسول اللّٰه، فواللّٰه - يا أمير المؤمنين - لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذِّكر ولعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الّذي أحللت، فكيف لا أغضب لصهر رسول اللّٰه وزوج ابنته؟ فقال هشام: بئس ما صنع.

[تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ٣:٤٠٧].

وذكر العلامة الأميني قدس سره جملة من النصوص النبويّة والكلم المأثورة عن أمير المؤمنين والصحابة والتابعين "في أنّ عليّاً أوّل مَن أسلم"، وهي تربو على مائة كلمة، مضافاً إلى ما مرّ منه في "الغدير ٢:٢٧٦": من أنّ أمير المؤمنين سبّاق هذه الأُمّة.

فهل تجد عندئذٍ مساغاً لمكابرة ابن كثير تجاه هذه الحقيقة الراهنة وقوله: 'وقد ورد في أنّه أوّل مَن أسلم...'، فإذا لا يصح مثل هذا فما الّذي يصحّ؟

وإن كان لا يصحّ شي ء منها، فما قيمة تلك الكتب المشحونة بها؟ 'كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ'

[سورة المؤمنون: ١٠٠].

وأنت ترى الرجل يزيّف هذه الكلم والنصوص الكثيرة الصحيحة بحكم الحفّاظ الأثبات بكلمة واحدة قارصة، ويعتمد في إثبات أيّ أمر يروقه في تاريخه على المراسيل والمقاطيع والآحاد ونقل المجاهيل وأفناء النّاس.

[الغدير ٣:٢٣٦].

علي أوّل مَن صلّى مع رسول اللّٰه

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليّ عليه السلام سبع سنين؛ وذلك أنّه لم يصلِّ معي أحد غيره'.

ينابيع المودّة: ٦١، والمناقب لابن المغازلي: ١، ح١٧

و تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ ١:٧، ح١١٥

فضيلة الصلاة في الإسلام

إنّ الصلاة عبادة واجبة 'تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ'

[سورة العنكبوت: ٤٥].

حيث إنّها عملٌ عبادي توجد بإقامتها صفة روحيّة في الإنسان، تكون رادعة له عن الفحشاء والمنكر، فتنزّه النفس عن المنكر والرذائل، وتطهّرها عن قذارة الذنوب والآثام.

والأخبار المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام من طرق العامّة والخاصّة في أهمّية الصلاة لم ترد في سائر العبادات بهذه الكثرة، وذلك يدلّ على عِظم أهميّتها.

١- ذكر ابن قيّم الجوزية بسنده عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أنّه كان يقول: 'يا بلال، أرحنا بالصلاة'، وكان يقول: 'جعلت قرّة عيني في الصلاة'.

[زاد المعاد في هدى خير العباد: ج١ - باب الصلاة].

٢- و عن معاوية بن وهب، قال: سألت أبا عبداللّٰه عليه السلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم، وأحبّ ذلك إلى اللّٰه عزّ وجلّ، ما هو؟ فقال: ما أعلم بعد المعرفة هذه الصلاة، ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم قال: 'وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيّاً'.

[فروع الكافي ٣:٢٦٤، ووسائل الشيعة ٣:٢٥، والآية ٣١ من سورة مريم].

٣- عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء'.

[فروع الكافي ٣:٢٦٦].

٤- وفي "النهج": عن عليّ عليه السلام: 'الصلاة قربان كلّ تقي'.

[نهج البلاغة، الكلمات القصار ١٣٦ و نحوه في وسائل الشيعة ٣٠: ٣].

٥- و في حديث قال الصادق عليه السلام: 'إنّ طاعة اللّٰه عزّ وجلّ خدمته في الأرض، وليس شي ء من خدمته يعدل الصلاة، فمن ثمَّ نادت الملائكة زكريّا وهو قائم يصلّي في المحراب'.

[المصدر السابق: ٢٦].

وغير ذلك من الأخبار المتظافرة المتواترة في فضلها وشرائطها، وفضل المراقب لأوقاتها، ومن أرادها فليطلبها من مظانّها في كتب الأحاديث والتفاسير.

علي أوّل من صلّى بعد رسول اللّٰه

ظهر ممّا ذكرنا في فصل "عليّ عليه السلام أوّل مَن أسلم وآمن برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله" أنّ عليّاً عليه السلام أوّل من أسلم من الذكور، وحيث كانت الصلاة من العبادات الّتي شرّعت منذ بداية الإسلام، فيكون

عليّ عليه السلام أوّل من صلّى مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قطعاً، ولا اختلاف فيه، وهو أمر متّفق عليه بين الشيعة والسنّة، إلا من شذّ كما مرّ إشكالهم في إسلامه عليه السلام مع جوابه، ولا نكرّره، أمّا ما دلّ على أنّه أوّل مَن صلّى فروايات كثيرة متواترة من طرق العامّة والخاصّة، نذكر يسيراً منها هاهنا إعراضاً عن الإطالة.

١- قال عليّ عليه السلام في خطبة له: "لم يسبقني إلا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالصلاة".

[نهج البلاغة، الخطبة ١٣١].

٢- و عن ابن عبّاس، قوله تعالى: "وَارْكَعُوا مَعَ الرّاكِعِينَ"

[سورة البقرة: ٤٣].

نزلت في رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهما أوّل من صلّى وركع.

[شواهد التنزيل ١:٨٥].

٣- و عن عبّاد بن عبداللَّه الأسدي، قال: قال عليّ عليه السلام: "أنا عبد اللَّه، وأخو رسول اللَّه، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب، صلّيت قبل النّاس بسبع سنين".

[فرائد السمطين ١:٢٤٨، ح١٩٢، وتاريخ الطبري ٢:٥٥].

٤- و عن عليّ عليه السلام، قال: "صلّيت مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كذا وكذا لا يصلّي معه غيري إلا خديجة".

[الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٣].

٥- و عن ابن عبّاس، قال: "أوّل من صلّى عليّ".

[تاريخ الطبري ٢:٥٥].

٦- و عن أبي حمزة، عن زيد قال: أوّل من صلّى مع النبيّ صلى الله عليه و آله عليّ عليه السلام.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ ١:٦٦، ح١٠٦].

٧- و عن عمرو بن مرّة، قال: سمعت أبا حمزة - رجلاً من الأنصار - يقول: سمعت زيد بن أرقم يقول: أوّل رجل صلّى مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، عليّ عليه السلام.

[تاريخ الطبري ٢:٥٦].

٨- و عن أبي عمر، قال: ولقد قال عليّ عليه السلام: "صلّيت مع رسول اللَّه كذا وكذا، لا يصلّي معه غيري إلا خديجة".

[شرح ابن أبي الحديد ٤:١٢٠].

٩- و عن أبي رافع، قال: صلّى النبيّ صلى الله عليه و آله أوّل يوم الاثنين، وصلّت خديجة آخر يوم الاثنين، وصلّى عليّ عليه السلام يوم الثلاثاء من الغد، وصلّى مستخفياً قبل أن يصلّي مع النبيّ صلى الله عليه و آله أحدٌ سبع سنين وأشهراً.

[فرائد السمطين ١:٢٤٦، وتاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ ١:٣٩، ح٧٢].

١٠- و عن جابر، قال: بعث النبيّ صلى الله عليه و آله يوم الاثنين، وصلّى عليّ عليه السلام يوم الثلاثاء.

[تاريخ الطبري ٢:٥٥، والكامل في التاريخ ١:٤٨٣، و روى الترمذي في سننه].

١١- عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ثمّ اختلف السلف فيمن اتّبع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وآمن به وصدّقه على ما جاء به من عند اللّٰه من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد، وصلّى معه، فقال بعضهم: كان أوّل ذكر آمن برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند اللّٰه عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[تاريخ الطبري ٢:٥٥].

١٢- و عن أبي أيّوب الأنصاري، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليّ سبع سنين؛ وذلك أنّه لم يصلِّ معي أحد غيره".

[المناقب لابن المغازلي: ١٤، ح١٧، وينابيع المودّة: ٦١].

١٣- و عن صالح المروزي، قال: سمعت أبا معمر عباد بن عبدالصمد يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليّ سبعاً؛ وذلك أنّه لم يرفع إلى السماء شهادة لا إله إلا اللّٰه، وأنّ محمّداً عبده ورسوله إلا منّي ومنه".

[المناقب لابن المغازلي: ١٤، ح١٩. و فى الارشاد ٣٠: ١ و نحوه].

١٤- و عن حبّة العرني، قال: رأيت عليّاً عليه السلام يوماً ضحك ضحكاً - لم أره ضحك ضحكاً أشدّ منه - حتّى أبدى ناجذه

[ناجذ: جمعه نواجد، أي الضرس].

ثمّ قال: "اللّهمّ لا أعرف أنّ عبداً من هذه الأُمّة عبدك قبلي غير نبيّها صلى الله عليه و آله" - الحديث.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ ١:٤٩، حديث ٨٨].

١٥- و عن ابن عبّاس، قال: لعليّ عليه السلام أربع خصال ليست لأحد: هو أوّل عربي وأعجميّ صلّى مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وهو الّذي كان لواؤه معه في كلّ زحف، وهو الّذي صبر معه يوم المهراس [يوم المهراس: يوم أُحد، حيث انهزم النّاس غير عليّ عليه السلام].

وهو الّذي غسّله وأدخله قبره.

[مستدرك الحاكم ٣:١١، الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٢، شرح ابن أبي الحديد ٤:١١٦، الخصال ١:٢١٠، باب الأربعة، ح ٣٣].

وروى المعتزلي في شرحه، قال: قال عبداللّٰه بن أبي سفيان للوليد بن عقبة بن أبي معيط في شعر:

وإنّ وليّ الأمر بعد محمّدٍ*** عليٌّ وفي كلّ المواطن صاحبُه

وصيُّ رسولِ اللّٰه حقّاً وصنوه*** وأوّل من صلّى ومَن لانَ جانبُه

[شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٣١].

علي أوّل من صلّى جماعةً مع رسول اللّٰه

قال الصادق عليه السلام: أوّل جماعة كانت أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله كان يصلّي وأمير المؤمنين معه؛ إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه، فقال: يا بُنيّ، صِل جناح ابن عمّك، فلمّا أحسّ به رسول اللّٰه تقدّمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إنّ عليّاً وجعفراً ثقتي*** عند مُلمّ الزمان والكرب

واللّٰه لا أخذل النبيّ ولا*** يخذله من بنيّ ذو حسب

لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما*** أخي لأُمّي من بينهم وأبي

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٩].

نذكر ذيلاً بعض ما ورد من الاخبار فى الباب

حديث ابن الصباغ المالكي

وفي "الفصول المهمّة" لابن الصبّاغ المالكي، قال: ربّاه النبيّ صلى الله عليه و آله - يعني عليّاً - وأزلفه وهداه إلى مكارم الأخلاق والفقه، وكان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قبل بدء أمره إذا أراد الصلاة خرج إلى شعاب مكّة مستخفياً وأخرج عليّاً عليه السلام معه فيصلّيان ما شاء اللّٰه، فإذا قضيا رجعا إلى مكانهما.

وذكر في هامشه: وقال محمّد بن طلحة الشافعي في كتابه "مطالب السؤول" بعد ذلك: فمكثا يصلّيان على استخفاء من أبي طالب وسائر عمومتها وقومها، ثمّ إنّ أبا طالب مرّ عليهما فقال لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: ما هذا الّذي أراك تدين به؟ قال: 'هذا دين اللّٰه، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني اللّٰه به نبيّاً إلى العباد، وأنت - يا عمّ - أحقّ من أبديت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحقّ من أجابني إليه وأعانني عليه'، وقال عليّ عليه السلام: 'قد آمنت برسول اللّٰه، واتّبعته، وصلّيت معه للّٰه'. فقال له: يا بُنيّ، أما إنّه لم يدعُك إلا إلى الخير، فالزمه'.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٣٣، و اخرج الطبري في تاريخه ٥٨: ٢ نحوه].

حديث المحقق الاربلي

في "كشف الغمّة" عن عليّ بن إبراهيم القمّي: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأنّ آتياً أتاه فيقول: يا رسول اللّٰه، فينكر ذلك، فلمّا طال عليه الأمر وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب فنظر إلى شخص يقول له: يا رسول اللّٰه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرئيل أرسلني اللّٰه إليك ليتّخذك رسولاً، فأخبر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله خديجة بذلك، وكانت خديجة قد انتهى إليها خبر اليهودي وخبر بحيراء وما حدثت به آمنة أُمّه، فقالت: يا محمّد، إنّي لأرجو أن تكون كذلك.

وكان رسول اللّٰه يكتم ذلك، فنزل عليه جبرئيل وأنزل عليه ماءً من المساء، فقال له: يا محمّد، قم للصلاة، فعلّمه جبرئيل الوضوء على الوجه واليدين من المرفقين ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين، وعلّمه السجود والركوع، فلمّا تمّ له أربعون سنة أمره بالصلاة وعلّمه حدودها ولم ينزل عليه أوقاتها، فكان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يصلّي ركعتين ركعتين في كلّ وقت، وكان عليّ بن أبي طالب يألفه ويكون معه في مجيئه وذهابه، لا يفارقه، فدخل عليّ عليه السلام إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو يصلّي، فلمّا نظر إليه يصلّي قال: 'يا أبا القاسم، ما هذا؟'، قال: 'هذه الصلاة الّتي أمرني اللّٰه بها'، فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وصلّى معه، وأسلمت خديجة، وكان لا يصلّي إلا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعليّ وخديجة خلفه، فلمّا أتى لذلك أيّام دخل أبو طالب إلى منزل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ومعه جعفر، فنظر إلى رسول اللّٰه وعليّ بجنبه يصلّيان، فقال لجعفر: صِل جناح ابن عمّك، فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر، فلمّا وقف جعفر على يساره بدر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من بينهما وتقدّم، وأنشأ أبو طالب في ذلك الأبيات الّتي تقدّمت آنفاً.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:١١٦، وأشعار أبي طالب مرّت آنفاً في هذا الفصل].

حديث الكليني

عن سعيد بن المسيّب، قال: سألت عليّ بن الحسين عليهماالسلام: ابن كم كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم أسلم؟ فقال: '...وسبق النّاس كلُّهم إلى الإيمان باللَّه وبرسوله وإلى الصلاة بثلاث سنين، وكانت أوّل صلاة صلاها مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الظهر ركعتين، وكذلك فرضها اللَّه تعالى على من أسلم بمكّة ركعتين ركعتين، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يصلّيها بمكّة ركعتين ويصلّيها عليّ عليه السلام معه بمكّة ركعتين مدّة عشر سنين حتّى هاجر رسول اللَّه إلى المدينة' - الحديث.

[روضة الكافي: ٢٧٩، ح٥٣٦].

حديث عبداللَّه بن مسعود

روى القندوزي الحنفي في "ينابيع المودّة" و"ابن أبي الحديد في شرحه" عن شريك بن عبداللَّه، عن سليمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب، عن عبداللَّه بن مسعود، أنّه قال: أوّل شي ء علمته من أمر رسول اللَّه أنّي قدمت مكّة مع عمومة لي وناس من قومي، وكان من أنفسنا شراء عطر، فأرشدونا إلى العبّاس بن عبدالمطّلب، فانتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم، فبينا نحن عنده؛ إذ أقبل رجل من باب الصفا، وعليه ثوبان أبيضان، وله وفرة إلى أنصاف أُذنيه جعدة أشمّ أقنى، أدعج العينين، كثّ اللحية، برّاق الثنايا، أبيض تعلوه حمرة، كأنّه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم، حسن الوجه، تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها، حتّى قصدوا نحو الحجر، فاستلمه واستلمه الغلام، ثمّ استلمته المرأة، ثمّ طاف بالبيت سبعاً، والغلام والمرأة يطوفان معه، ثمّ استقبل الحجر فقام ورفع يديه وكبّر، وقام الغلام إلى جانبه، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها، وكبّرت فأطال القنوت، ثمّ ركع وركع الغلام والمرأة، ثمّ رفع رأسه فأطا، ورفع الغلام والمرأة معه يصنعان مثل ما يصنع، فلمّا رأينا شيئاً ننكره، لا نعرفه بمكّة أقبلنا على العبّاس، فقلنا: يا أبا الفضل، إنّ هذا الدين ما كنّا نعرفه فيكم، قال: أجل واللَّه، قلنا: فمن هذا؟ قال: هذا ابن أخي، هذا محمّد بن عبداللَّه، وهذا الغلام ابن أخي أيضاً، هذا عليّ بن أبي طالب، وهذه المرأة زوجة محمّد، هذه خديجة بنت خويلد، واللَّه ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

[ينابيع المودّة: ٦١، وشرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٢٥].

وروى المحقّق البحراني في شرحه عن ابن مسعود نحوه.

[شرح النهج للمحقّق البحراني ٤:٣١٥].

حديث يحيى بن عُفيف

روى "ابن أبي الحديد في شرحه"، وكذا ابن عبدالبرّ المالكي في "الاستيعاب" و غيرهما عن يحيى بن عُفيف بن قيس، عن أبيه، قال: كنت امرءاً تاجراً فقدمت الحجّ، فأتيت العبّاس بن عبدالمطّلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرءاً تاجراً، فواللّه إنّي لعنده بمنى إذ خرج رجل من خِباء قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلمّا رآها قد مالت قام يصلّي، ثمّ خرجت امرأة من ذلك الخباء الّذي خرج منه ذلك الرجل، فقامت خلفه تصلّي، ثمّ خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخِباء فقام معه يصلّي، فقلت للعبّاس: ما هذا يا عبّاس؟ قال: هذا محمّد بن عبداللّه بن عبدالمطّلب ابن أخي، قلنا: من هذه المرأة؟ قال: امرأته خديجة بنت خويلد، قلت: ما هذا الفتى؟ قال: عليّ بن أبي طالب ابن عمّه، قلت: ما هذا الّذي يصنع؟ قال: يصلّي، وهو يزعم أنّه نبيّ، ولم يتّبعه على أمره إلا امرأته وابن عمّه هذا الغلام، وهو يزعم أنّه سيفتح على أُمّته كنوزَ كسرى.

قال: فكان عفيف الكندي يقول - وقد أسلم بعد ذلك وحَسُن إسلامه -: لو كان اللّه رزقني الإسلام يومئذٍ كنت أكون ثانياً مع عليّ عليه السلام.

[شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٢٦، والاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٢، والمناقب لابن شهرآشوب ٢:١٨ والفصول المهمّة: ٣٢، وتاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ ١:٥٧، ح٩٥، والإرشاد ٣٠: ١، وكنز الفوائد ١:٢٦٤].

صورة أُخرى

في "تاريخ الطبري" عن عفيف، قال: جئتُ في الجاهليّة إلى مكّة فنزلتُ على العبّاس بن عبدالمطّلب، قال: فلمّا طلعت الشمس وحلّقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثمّ استقبل الكعبة فقام مستقبلها، فلم يلبث حتّى جاء غلام فقام عن يمينه، قال: فلم يلبث حتّى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب، فرفع الغلام والمرأة، فخرّ الشاب ساجداً، فسجدا معه، فقلت: يا عبّاس، أمرٌ عظيم؟! فقال: أمرٌ عظيم: أتدري من هذا؟ فقلت: لا، قال: هذا محمّد بن عبداللّه بن عبدالمطّلب ابن أخي، أتدري من هذا الّذي معه؟ قلت: لا، قال: هذا عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب ابن أخي، أتدري من هذه المرأة الّتي خلفهما؟ قلت: لا، قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي، وهذا حدّثني

أنّ ربّك ربّ السماء أمرهم بهذا الّذي تراهم، وأيم اللّه! ما أعلم على ظهر الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

[تاريخ الطبري ٢:٥٦].

وفي "الكامل لابن الأثير" - بعد نقل قصّة عفيف الكندي نحو ما مضى - قال: فقال عبّاس: هذا محمّد بن عبداللّه ابن أخي، زعم أنّ اللّه أرسله، وأنّ كنوز كسرى وقيصر ستُفتح عليه، وهذه امرأته خديجة آمنت به، وهذا الغلام عليّ بن أبي طالب آمن به، وأيمُ اللّه! ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على هذا الدين إلا هؤلاءِ الثلاثة! قال عفيف: ليتني كنتُ رابعاً.

[الكامل في التاريخ ٤٨٤: ١].

فاتضح ممّا ذكرناه من الروايات و الأقوال انّ هذه الفضيلة مخصوصة بعليّ ابن أبي طالب عليه السلام ولا يشترك معه في هذه الفضيلة أحدٌ من الناس.

علي يوم الإنذار

قال عليّ عليه السلام: "لمّا نزلت 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ' جمع النبيّ صلى الله عليه و آله أهل بيته، فاجتمع ثلاثون نفراً "أو أربعون"، فأكلوا وشربوا ثلاثاً، ثمّ قال لهم: مَن يضمن عنّي ديني ومواعيدي يكون معي في الجنّة و يكون خليفتي في أهلي؟ فقلت: انا يا رسول اللّه".

ينابيع المودّة: ١٠٥. والآية ٢١٤ من سورة الشعراء

امر اللّه تعالى نبيّه بإظهار دعوته

في "الكامل في التاريخ" لابن الأثير قال ما ملخّصه: ثمّ إنّ اللّه تعالى أمر النبيّ صلى الله عليه و آله بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما يؤمر، وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستتراً بدعوته لا يُظهرها إلا لمن يثق به، فكان أصحابه إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعاب فاستخفوا، فبينما سعد بن أبي وقّاص وعمّار وابن مسعود وخَبّاب وسعيد بن زيد يصلّون في شِعب اطّلع عليهم نفر من المشركين، منهم: أبو سفيان بن حرب والأخنس بن شريف وغيرهما، فسبّوهم وعابوهم حتّى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي جمل فشجّه، فكان أوّل دم أُريق في الإسلام في قول.

قال ابن عبّاس: لمّا نزلت: 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ'

[سورة الشعراء: ٢١٤].

خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فصعد على الصفا فهتف: يا صباحاه! فاجتمعوا إليه، فقال: 'يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبدالمطّلب، يا بني عبدمناف'، فاجتمعوا إليه، فقال: 'أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدّقيَّ؟'، قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك كذباً. قال: 'فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد'، فقال أبو لهب: تبّاً لك! أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثمّ قام، فنزلت: 'تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ'. [سورة المسد: ١].

كلمة حول علي يوم الانذار

وقال عليّ بن أبي طالب: لمّا نزلت: 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ' دعاني النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: يا عليّ، إنّ اللَّه أمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين فضقتُ ذرعاً، وعلمتُ أنّي متى أُبادرهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره، فصمتُّ عليه حتّى جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد، إلا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عُسّاً من لبن، واجمع لي بني عبدالمطّلب حتّى أُكلّمهم وأُبلّغهم ما أُمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثمّ دعوتهم، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب، فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الّذي صنعتُه لهم، فلمّا وضعتُه تناول رسول اللَّه حِزّة من اللحم فنتفها بأسنانه ثمّ ألقاها في نواحي الصفحة، ثمّ قال: خذوا باسم اللَّه، فأكل القومُ حتّى ما لهم بشي ء من حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم، وأيمُ اللَّه الّذي نفس عليّ بيده، إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم! ثمّ قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا منه حتّى رووا جميعاً، وأيمُ اللَّه إن كان الرجل الواحد ليشرب مثله! فلمّا أراد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن يُكلّمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لَهَدَّ ما سحركم به صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم فقال: الغد يا عليّ، إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرّقوا قبل أن أُكلّمهم، فعُدَّ لنا من الطعام بمثل ما صنعتَ، ثمّ اجمعهم إليَّ، ففعل مثل ما فعل بالأمس، فأكلوا، وسقيتُهم ذلك العُسّ، فشربوا حتّى رووا جميعاً وشبعوا، ثمّ تكلّم رسولُ اللَّه فقال: يا بني عبدالمطّلب، إنّي واللَّه ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني اللَّه تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلتُ - وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً -: أنا يا نبيّ اللَّه أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون فيقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع'.

[الكامل في التاريخ ١:٤٨٦، و انظر الطبري في تاريخه ٢:٦٢، و في تاريخ دمشق ١:٨٦ و ٨٨ ح ١٣٩ و ١٤٢؛ في الدرّ المنثور ٥:٩٧، و في فرائد السمطين ١:٨٥، ح٦٥، و في مجمع البيان ٧:٢٠٦، و في الإرشاد: ١:٤٩، وغيرهم من المؤرّخين والمفسّرين].

قال العلامة الأميني قدس سره: وبهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الإسكافي المتكلّم المعتزلي البغدادي "المتوفّى ٢٤٠"، في كتابه "نقض العثمانية"، وقال: إنّه روي في الخبر الصحيح. [راجع الغدير ٢:٢٧٩].

توضيح في آية: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"

عشيرة الرجل: قرابته، سمّوا بذلك لأنّه يعاشرهم وهم يعاشرونه، فقد نهى النبيّ صلى الله عليه و آله نفسه عن الشرك "فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ" [سورة الشعراء: ٢١٣].

وإن كان القصد منه الإخبار بأنّ كلّ من يدعو مع اللّه إلهاً آخر فهو من المعذّبين كائناً مَن كان، ثمّ خصّ عشيرته وقرابته الأقربين بالإنذار؛ لأنّ المؤدّب يبدأ بنفسه، ثمّ بأهله وعشيرته، ثمّ بالآخرين، تنبيهاً على أنّه لا استثناء في الدعوة الدينيّة ولا مداهنة ومصانعة، كما هو معهود في السنن الملوكيّة، فلا فرق في تعلّق الإنذار بين النبيّ وأُمّته، ولا بين الأقارب والأجانب، فالجميع عبيد، واللّه تعالى مولاهم، نِعْم المولى ونِعم النصير، هذا أوّلاً.

وثانياً: أنّ عشيرته إذا صدّقوه وآمنوا به، كانوا عوناً على بثّ الدعوة وانتشارها.

[انظر تفسير الكاشف ٥:٥٢١، وتفسير الميزان ١٥:٣٥٩، ومجمع البيان ٧:٢٠٦].

وقد كثر الكلام حول هذه الآية، فقال جماعة من السنّة: إنّه حين نزلت، قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "يا فاطمة ابنة محمّد، يا صفيّة ابنة عبدالمطّلب، يا بني عبداللّه، اعملوا فإنّي لا أملك لكم من اللّه شيئاً".

وقال الشيعة وجماعة آخرون من السنّة، منهم الإمام أحمد بن حنبل، والنسائي، والسيوطي، وأبو نعيم، والبغوي، والثعلبي، وصاحب السيرة الحلبيّة، وصاحب كنز العمّال وغيرهم "كابن عساكر الشافعي والزمخشري والطنطاوي": إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله عندما نزلت هذه الآية دعا بني عبدالمطّلب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً فيهم أعمامه، الحديث [تفسير الكاشف ٥:٥٢١] وقد تقدّم.

يوم الإنذار ما آمن أحدٌ إلا عليّ

حديث يوم الإنذار هو الحديث الخاصّ باجتماع عشيرة النبيّ ودعوتهم إلى الإسلام، وكان أوّل من آمن برسول اللّه ذلك اليوم في ملأ من الناس عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد أخرجه غير واحد من الأئمّة وحفّاظ الحديث من الفريقين في الصحاح والمسانيد والتفاسير، ومرّ عليه آخرون منهم من يقرّبه ويذعن إليه من دون أي غمز في الإسناد أو توقّف في متنه، وتلقّاه المؤرّخون من الأُمّة الإسلاميّة وغيرها بالقبول، وأُرسل في صحيفة التاريخ إرسال مسلّم، وجاء منظوماً في أسلاك الشعر والقريض.

من الذين روي من العامة ان عليا آمن وحده يوم الانذار

و هناك الكثير من علماء العامّة الذين رووا أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام آمن يوم الإنذار وحسب، ولم يؤمن غيره، نذكر هنا بعضاً لرعاية الاختصار:

١- أحمد بن محمّد بن حنبل في مسنده "١:١٥٩".

٢- العلامة الطبري في تفسيره "١٩:٦٨".

٣- العلامة الطبري أيضاً في تاريخ الأُمم والملوك "٢:٦٢".

٤- أبو سعيد الخركوشي في شرف النبيّ "على ما في مناقب الكاشي" "ص٧٠ - مخطوط".

٥- العلامة الثعلبي في تفسيره "ص٧٥ - مخطوط".

٦- محمّد بن أحمد الحنفي الموصلي في درّ بحر المناقب "ص٣٩ - مخطوط".

٧- العلامة سبط ابن الجوزي في التذكرة "ص٤٤".

٨- العلامة محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة "ص١٦٨".

٩- العلامة الجويني في فرائد السمطين "ج١".

١٠- محمّد بن يوسف الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين "ص٨٦".

١١- المؤرّخ محمّد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد في الطبقات الكبرى "١:١٨٧".

١٢- أبو الفداء الدمشقي في تفسيره المطبوع بهامش فتح البيان "٧:١٩٣".

١٣- الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر في مجمع الزوائد "٨:٣٠٢".

١٤- العلامة الهندي في منتخب كنز العمّال المطبوع بهامش المسند "٥:٤١".

١٥- العلامة المجلسي الشافعي في إنسان العيون "١:٢٨٦".

١٦- العلامة القندوزي في ينابيع المودّة "ص١٠٥".

١٧- السيوطي في تفسير الدرّ المنثور "٥:٩٧".

١٨- الطنطاوي في تفسيره "١٣:١١١".

١٩- الحافظ ابن عساكر الشافعي في تاريخ دمشق "١:١٨٨".

٢٠- ابن الأثير في الكامل "٢:٦٢"، وغيرهم من علماء العامّة.

[من أراد تفصيل الحديث فليراجع كتبهم أو الإحقاق ٧٠ - ٦٠ :٤].

وكذا اتّفق علماء الإماميّة على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله جمع خاصّة أهله وعشيرته في ابتداء الدعوة إلى الإسلام، فعرض عليهم الإيمان، واستنصرهم على أهل الكفر والعدوان، وضمن لهم على ذلك الحظوة في الدنيا، والشرف وثواب الجنان، فلم يجبه أحدٌ منهم إلا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكان بذلك أخوه، ووزيره، ووصيّه، ووارثه، وخليفته، وأوجب له الجنّة.

وممّا يؤيّد الحديث ما رواه أبو رافع

روى ابن عساكر الشافعي بسنده عن أبي رافع، قال: كنت قاعداً بعد ما بايع النّاس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعبّاس: أنشدك اللّه، هل تعلم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله جمع بني عبدالمطّلب وأولادهم وأنت فيهم، وجمعكم دون قريش، فقال: 'يا بني عبدالمطّلب، إنّه لم يبعث اللّه نبيّاً إلا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفةً في أهله، فمن منكم يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أهلي' لم يقم منكم أحد؟ فقال: يا بني عبدالمطّلب، كونوا في الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناباً، واللّه ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ في غيركم ثمّ لتندمن!'. فقام عليّ من بينكم فبايعه على ما شرط له ودعاه إليه، أتعلم هذا له من رسول اللّه؟ قال: نعم.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ ١:٨٩، ح١٤٣].

تنبيه وتكملة في الأحاديث المخالفة لما مضى، وجوابها

وقد وردت في بعض كتب التفسير ذيل الآية: 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ'، وفي قصّة الإنذار أخبار خلاف ما ذكرناه، ونحن نذكر أربع روايات مذكورة في تفسير الدر المنثور، ثمّ ما هو الحقّ في حديث الإنذار؟

الحديث الاول ما رواه السيوطي عن أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذ،ر وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان وفي الدلائل، عن أبي هريرة، قال: لمّا

نزلت هذه الآية: 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ' دعا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قريشاً وعمّ وخصّ، فقال: 'يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النّار، فإنّي لا أملك لكم ضرّاً ولا نفعاً. يا معشر بني كعب بن لؤيّ، أنقذوا أنفسكم من النّار، فإنّي لا أملك لكم ضرّاً ولا نفعاً. يا معشر بني عبدمناف، أنقذوا أنفسكم من النّار، فإنّي لا أملك لكم ضرّاً ولا نفعاً. يا بني عبدالمطّلب، أنقذوا أنفسكم من النّار، فإنّي لا أملك لكم ضرّاً ولا نفعاً. يا فاطمة بنت محمّد، أنقذي نفسكِ من النّار، فإنّي لا أملك لكِ ضرّاً ولا نفعاً، ألا إنّ لكم رحماً وسأبلّها ببلالها'.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:٩٥].

الحديث الثاني أيضاً عن السيوطي عن عبد بن حميد وابن مردويه، عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت: 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ' جعل يدعوهم قبائل.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:٩٦].

الحديث الثالث ايضاً روى السيوطي عن سعيد بن منصور، والبخاري، وابن مردويه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ' ورهطك منهم المخلصين

[قوله: 'ورهطك منهم المخلصين' ليس من الآية، بل من الراوي].

خرج النبيّ حتّى صعد على الصفا فنادى: يا صباحاه، فقالوا: مَن هذا الّذي يهتف؟ قالوا: محمّد، فاجتمعوا إليه، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: 'أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدّقيّ؟'، قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقاً، قال: 'فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد'.

فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: 'تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ'.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:٩٦].

الحديث الرابع ايضاً رواه السيوطي عن الطبراني وابن مردويه عن أبي أُمامة، قال: لمّا نزلت: 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ' جمع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بني هاشم فأجلسهم على الباب، وجمع نساءه وأهله، فأجلسهم في البيت، ثمّ اطّلع عليهم، فقال: 'يا بني هاشم، اشتروا أنفسكم من النّار، واسعوا في فكاك رقابكم، وافتكّوها بأنفسكم من اللّٰه، فإنّي لا أملك لكم من اللّٰه شيئاً'، ثمّ أقبل على أهل بيته، فقال: 'يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أُمّ سلمة، ويا فاطمة بنت محمّد، ويا أُمّ الزبير عمّة رسول اللّٰه، اشتروا أنفسكم من اللّٰه، واسعوا في فكاك رقابكم، فإنّي لا أملك لكم من اللّٰه شيئاً، ولا أُغني'، فبكت عائشة وقالت: وهل يكون

ذلك يوم لا تغني عنّا شيئاً؟ قال: "نعم، في ثلاثة مواطن يقول اللّه عزّ وجلّ: "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ" الآية

[سورة الأنبياء: ٤٧].

فعند ذلك لا أغني عنكم من اللّه شيئاً، ولا أملك لكم من اللّه شيئاً، وعند النور من شاء اللّه أتمّ له نوره، ومن شاء أكبّه في الظلمات يغمّه فيها، فلا أملك لكم من اللّه شيئاً، ولا أُغني عنكم من اللّه شيئاً، وعند الصراط مَن شاء اللّه سلّمه، ومَن شاء أجازه، ومَن شاء كبكبه في النّار" - الحديث.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:٩٦].

أقول: في معنى هذه الروايات وبعض الروايات الأُخر أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله خصّ بني عبد مناف بالإنذار، فيشمل بني أُميّة وبني هاشم جميعاً.

[انظر المصدر السابق ٩٧ - ٩٥ :٥].

اما الجواب عن الروايات المذكورة:

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره القيّم الشريف المسمّى بالميزان:

أمّا الرواية الرابعة، فقوله تعالى: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" آية مكّيّة في سورة مكّيّة

[وهي سورة الشعراء].

ولم يقل أحد بنزول الآية بالمدينة، وأين كانت يوم نزولها عائشة وحفصة وأُمّ سلمة، ولم يتزوّج النبيّ صلى الله عليه و آله بهنّ إلا في المدينة؟!

وأمّا الروايات الثلاث الأُول فلا تنطبق عليها الآية "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"؛ لأنّها تعمّم الإنذار قريشاً عامّة، والآية تصرّح بالعشيرة الأقربين، وهم إمّا بنو عبدالمطّلب أو بنو هاشم، وأبعد ما يكون من الآية الرواية الثانية حيث تقول: جعل يدعوهم قبائل قبائل؟!

قال معتمد من الروايات ما يدلّ على أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله خصّ بالإنذار يوم نزول الآية بني هاشم أو عبدالمطّلب، ومن عجيب الكلام قول الآلوسي بعد نقل الروايات: وإذا صحّ الكلّ فطريق الجمع أن يقال بتعدّد الإنذار

[راجع تفسير الميزان ١٥:٣٦٥].

وكما ترى لا يصحّ هذا الجمع؛ لأنّ الإنذار اتّفق مرّة واحدة، وهو أوّل بداية الإسلام لا أكثر.

هذه المنقبة مختصّة بعلي لم يشركه فيها أحد

والحقّ ما قاله الشيخ المفيد رحمه الله ذيل قصّة الدار وإيمان عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حيث قال: و هذه منقبة جليلة اختصّ بها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأوّلين ولا الأنصار "رضي اللَّه عنهم"، ولا أحد من أهل الإسلام، وليس لغيره عدل لها من الفضل، ولا مقارب على حال، وفي الخبر بها ما يفيد أنّ به تمكّن النبيّ صلى الله عليه و آله من تبليغ الرسالة، وإظهار الدعوة، والصدع بالإسلام، ولولاه لم تثبت الملّة، ولا استقرّت الشريعة، ولا ظَهَرت الدعوة، فهو عليه السلام ناصر الإسلام، ووزيره الداعي إليه من قِبل اللَّه عزّوجلّ، وبضمانه لنبيّ الهدى النصرة، تمّ له في النبوّة ما أراد، وفي ذلك من الفضل ما لا توازنه الجبال فضلاً، ولا تعادله الفضائل كلّها محلّاً وقدراً. [الإرشاد ١: ص ٥٠].

علي و المؤاخاة بينه و بين رسول اللَّه

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله - لمّا عقد المؤاخاة بين أصحابه -: 'هذا عليّ أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي ووصيّي في أُمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، ماله منّي، ومالي منه، نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني'. ينابيع المودّة: ٢٥١

اقسام الاخوّة في الإسلام

الاخوّة في الإسلام على قسمين: الاخوّة العامّة، والاخوّة الخاصّة

كلمة في الاخوّة العامّة في الإسلام

آخى الإسلام بين عموم معتنقيه، قريبهم وبعيدهم، عربيّهم وأعجميّهم، شريفهم ووضيعهم، ملوكهم وسوقتهم، رجالهم ونسائهم، من وجد منهم ومن سيوجد إلى يوم القيامة، أعلن اللَّه ذلك في كتابه العزيز على لسان نبيّه الّذي أرسله بهذا الدين، وتلاه النبيّ صلى الله عليه و آله جهاراً على المسلمين، فسمعوه وقرؤوه وحفظوه وكرّروا تلاوته مجتمعين ومنفردين، فقال: 'إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ'

[سورة الحجرات: ١٠].

أي أنّ المؤمنين إخوة في الدين، ولفظ 'إنّما' يفيد الحصر، وبمقتضى ذلك أصبح المسلم الّذي في أقصى المغرب أخاً للمسلم الّذي في أقصى المشرق.

وينبغي أن يكونوا بمنزلة الاخوّة في التراحم والتعاطف، ولذا أكّد الإمام الصادق عليه السلام ذلك بقوله: 'إنّما المؤمنون اخوة بنو أب وأُمّ'، يعني ينبغي أن يكونوا كهذا النوع من الاخوّة، ثمّ قال عليه السلام: 'وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون'

[أصول الكافي ٢:١٦٥].

أي ينبغي أن يصبحوا في ترابطهم كالجسد الواحد، فلو ضرب أخ منهم في أقصى نقاط العالم، حزن سائر المسلمين لذلك، ولم يناموا ليلهم لأجله.

وبهذه الاخوّة، وعلى أساسها المتين والمحافظة عليها، قام الإسلام وظهر وانتشر، وبالتهاون فيها ضعف المسلمون وتقهقروا، وقد سنّ الإسلام لهذه الاخوّة حقوقاً وحدوداً وشروطاً ولوازم وموانع

[راجع: المحجّة البيضاء ٣٤٤ - ٣٣٢ :٣].

لما فيها من فوائد ومنافع ومصالح سياسيّة واجتماعيّة وأخلاقيّة، وما فيها من تأليف للقلوب وحفظ للنظام الاجتماعي.

نبذة ممّا جاء في الكتاب والسنّة في الترغيب في الاخوّة والأُلفة

وردت في القرآن الكريم إضافة إلى آية الاخوّة، آيات أُخر، وكذا وردت في السنّة الشريفة روايات عن النبيّ والأئمّة المعصومين "صلوات اللّه عليهم أجمعين"، تحثّ على ذلك.

آيات من القرآن الكريم

و امّا الآيات: فمنها قوله تعالى: 'وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَولِياءُ بَعْضٍ'.

[سورة التوبة: ٧١].

و منها قوله تعالى: 'وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِمَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ'.

[سورة آل عمران: ١٠٥].

و منها قوله تعالى: 'وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا'.

[سورة آل عمران: ١٠٣].

و منها قوله تعالى: 'إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْ ءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ'.

[سورة الأنعام: ١٥٩].

و أمّا الأخبار

فمنها قول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان اللَّه في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرّج اللَّه بها عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً يستره اللَّه يوم القيامة".

[صحيح البخاري ٣:٢٥٧، ح١٥، طبع عالم الكتب - بيروت، وصحيح مسلم ١:٧٤، ح٩٥، طبع دار الفكر - بيروت].

و منها قول الصادق عليه السلام: "المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشّه ولا يعده عدة فيخلفه".

[أُصول الكافي ٢:١٦٦].

و منها عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبداللَّه عليه السلام يقول: "المؤمن أخو المؤمن، كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنّ روح المؤمن لأشدُّ اتّصالاً بروح اللَّه من اتّصال شعاع الشمس بها". [أُصول الكافي ٢:١٦٦].

كلمة في الاخوّة الخاصّة في الإسلام

[أعيان الشيعة ١:٢٢٧].

سمّيت مؤاخاة خاصّة باعتبار أنّها بين جماعة معدودين من المهاجرين، أو بين المهاجرين والأنصار، وإن كانت عامّة باعتبار أنّها بين جميع المسلمين الموجودين يومئذٍ، بخلاف المؤاخاة العامّة الماضية، فإنّها بين المسلمين الموجودين، ومن سيوجد إلى يوم القيامة، وأراد النبيّ صلى الله عليه و آله بها بناء الإسلام على أساس ثابت وطيد هو تأليف القلوب، ورفع الشحناء من النفوس، والتناصر والتعاون في الأعمال؛ لأنّ ذلك هو السبب الوحيد في نجاح الأعمال ورقيّ الأُمم.

و أوّل مؤاخاة وقعت في الإسلام كانت في مكّة قبل الهجرة، حيث آخى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بين المهاجرين خاصّة، والثانية هي الّتي وقعت في المدينة بعد الهجرة بخمسة أشهر، وقد آخى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بين المهاجرين والأنصار، ووقعت المؤاخاة فيه بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة الجرّاح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين أُبيّ بن كعب وابن مسعود، وبين معاذ وثوبان، وبين أبي طلحة وبلال، وبين عمّار وحذيفة، وبين أبي الدرداء وسلمان، وبين سعد بن أبي وقّاص وصُهيب، وبين أبي ذرّ والمقداد بن عمرو، وبين أبي أيّوب الأنصاري وعبداللَّه بن سلام،

وبين أُسامة وهند حجّام النبيّ، وبين معاوية والحبّاب المجاشعي، وبين فاطمة بنت النبيّ وأمّ سلمة، وبين عائشة وامرأة أبي أيّوب.

[الغدير ٣:١١٢، ورواه عن تاريخ ابن عساكر ٦:٩].

وفي كلتا المرّتين أخّر رسول اللّه صلى الله عليه و آله منهم عليّاً لنفسه، فيتّخذه - دونهم - أخاه تفضيلاً له على مَن سواه، ويقول له: 'والّذي بعثني بالحقّ، ما أخرّتك إلا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي، أنت أخي ووارثي، أنت أخي ورفيقي، أنت أخي في الدنيا والآخرة'.

[اقتباس من أحاديث مختلفة في هذا المقام، وسيأتي ذكرها].

وقال العلامة الحلبي الشافعي: المعروف المشهور أنّ المؤاخاة "إنّما وقعت مرّتين"، مرّة بين المهاجرين قبل الهجرة، ومرّة بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، واللّه أعلم.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢:٩٠].

الحديث في المؤاخاة الأُولى

فقد ورد من طرق العامّة والخاصة في المؤاخاة الأُولى روايات كثيرة نذكر هنا بعضها:

منها: حديث زيد بن أبي أوفى، والحديث طويل قد اشتمل على كيفيّة المؤاخاة، و جاء في آخره ما هذا لفظه: لمّا آخى النبيّ صلى الله عليه و آله بين أصحابه وآخى بين عمر وأبي بكر - إلى أن قال: - فقال عليّ عليه السلام: 'يا رسول اللّه، لقد ذهب روحي، وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخط عليَّ فلك العتبى والكرامة'. فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'والّذي بعثني بالحقّ، ما أخّرتك إلا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي'، فقال: 'وما أرث منك؟'، قال: 'ما ورث الأنبياء من قبلي: كتاب ربّهم، وسنّة نبيّهم، وأنت معي في قصري في الجنّة مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي'، ثمّ تلا رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ' [سورة الحجر: ٤٧].

المتحابّون في اللّه ينظر بعضهم إلى بعض'.

[أخرجه أحمد بن حنبل في مناقب عليّ عليه السلام وابن عساكر في تاريخه ٦:٢٠١، وابن الجوزي في التذكرة: ١٤، والطبراني والبغوي في مجمعيهما، والبارودي في المعرفة وغيرهم، نقلاً عن كتاب المراجعات: ١٤٧، والغدير ٣:١١٥].

و منها: عن جابر وسعيد بن المسيّب، قالا: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله آخى بين أصحابه، فبقي رسول اللّٰه وأبو بكر وعمر وعليّ، فآخى بين أبي بكر وعمر، وقال لعليّ: "أنت أخي وأنا أخوك، فإنّ ناكرك أحدٌ فقل: أنا عبد اللّٰه، وأخو رسول اللّٰه، لا يدّعيها بعدك إلا كذّاب".

[مناقب أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ١:٥٩٧، وتاريخ ابن عساكر ١:١٣٦، وكفاية الكنجي: ١٩٤، وتذكرة الخواصّ: ٢٢، والغدير ٣:١١٥].

و منها: عن سعيد بن المسيب، قال: آخى بين أصحابه في مكّة، فآخى بين أبي بكر وعمر، وقال لعليّ: "أنت أخي".

[ينابيع المودّة: ٥٧].

ولا يخفى أنّ هذه الاخوّة بالمعنى الخاصّ، وكذا في المؤاخاة الثانية، ثابتة لأمير مؤمنين عليه السلام، ولا يدّعيها بعده إلا كذّاب.

الحديث في المؤاخاة الثانية

أمّا الروايات الواردة في المؤاخاة الثانية من طرق العترة الطاهرة، ومن طرق العامّة، فكثيرة أيضاً بلغت حدّ التواتر، نذكر هنا بعضها:

١- روى ابن الصبّاغ المالكي عن مناقب ضياء الدين الخوارزمي، عن ابن عبّاس رضى الله عنه، قال: لمّا آخى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار - وهو أنّه صلى الله عليه و آله آخى بين أبي بكر وعمر، وآخى بين عثمان وعبدالرحمن بن عوف، وآخى بين طلحة والزبير، وآخى بين أبي ذرّ الغفاري والمقداد، ولم يؤاخ بين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبين أحد منهم - خرج عليّ عليه السلام مغضباً حتّى أتى جدولاً من الأرض وتوسّد ذراعه ونام فيه تسفي الريح عليه، فطلبه النبيّ صلى الله عليه و آله فوجده على تلك الصفة، فقال له: "قم، فما صلحت أن تكون إلا أبا تراب، أغضبت حين آخيت بين المهاجرين والأنصار، ولم أوّاخ بينك وبين أحد منهم؟ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي؟! ألا من أحبّك فقد حفّ بالأمن والإيمان، ومن أبغضك أماته اللّٰه ميتةً جاهليّة".

[الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي: ٣٨].

٢- روى الحلبي الشافعي: لمّا آخى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بين أصحابه، جاء عليّ عليه السلام تدمع عيناه فقال: 'يا رسول اللّٰه، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟'، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أنت أخي في الدنيا والآخرة'.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢:٩١].

٣- روى الترمذي بسنده عن ابن عمر، قال: آخى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمع عيناه، فقال: يا رسول اللّٰه، آخيت بين أصحابك، ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟'، فقال له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أنت أخي في الدنيا والآخرة'.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

[سنن الترمذي ٥:٥٩٥، ح٣٧٢٠].

٤- و روى القندوزي عن محمّد الكلبي بن إسحاق المطّلبي، قال: وآخى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بين المهاجرين والأنصار، وقال: 'تآخوا في اللّٰه أخوين'، ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: 'هذا أخي'، فكان رسول اللّٰه وعليّ أخوين.

[ينابيع المودّة: ٥٧].

٥- و رواه أيضاً: لمّا آخى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بين أصحابه فقال عليّ: 'يا رسول اللّٰه، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟'، فقال: 'والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، ما أخّرتك إلا لنفسي، فأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي، وأنت معي في قصري في الجنّة مع ابنتي فاطمة، وأنت أخي ورفيقي، ثمّ تلا: 'إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ' المتحابّون في اللّٰه ينظر بعضهم إلى بعض'.

[ينابيع المودّة: ٥٦، والآية اقتباس من الآية ٤٧ من سورة الحجر].

٦- و روى ابن عبدالبرّ المالكي: آخى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بين المهاجرين، ثمّ آخى بين المهاجرين والأنصار، وقال صلى الله عليه و آله في كلّ واحد منهما لعليّ: 'أنت أخي في الدنيا والآخرة'، وآخى بينه وبين نفسه.

[الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٥].

٧- ما روى العلامة الاربلي عن زيد بن أرقم، قال: دخلت على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: 'إنّي مؤاخ بينكم كما آخى اللّٰه تعالى بين الملائكة'، ثمّ قال لعليّ: 'أنت أخي و رفيقي، ثمّ تلا: 'إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ' الأخلاء في اللّٰه ينظر بعضهم إلى بعض'.

[كشف الغمّة ١:٤٤٨].

تكملة

لا تنحصر الأخبار الواردة في اخوّة عليّ عليه السلام ورسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في يومي المؤاخاة خاصّة، بل ورد في بعض الأخبار ما يدلّ على أنّه عليه السلام أخو رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وأنّ النبيّ كان يخاطب عليّاً بالاخوّة في مناسبات عدّة، ليعرف المسلمون فضائله، ويعلموا منزلته ومقامه عند رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

قال ابن شهرآشوب في "المناقب": صار عليّ أخا النبيّ صلى الله عليه و آله من ثلاثة أوجه:

أوّلها: لقوله عليه السلام: 'لا زال ينقله من الآباء الأخاير'.

والثاني: أنّ فاطمة بنت أسد "أُمّ عليّ بن أبي طالب" ربّته حتّى قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'هذه أُمّي'، وكان عند أبي طالب من أعزّ أولاده، ربّاه في صغره، وحماه في كبره، ونصره باللسان والمال والسيف والأولاد والهجرة، والأب أبوان: أبُ ولادة، وأب إفادة، ثمّ إنّ العمّ والد، قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: 'إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلـهَكَ وَإِله آبائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ'

[سورة البقرة: ١٣٣].

وإسماعيل كان عمّه، وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: 'وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ'.

[سورة الأنعام: ٧٤].

قال الزجّاج: أجمع النسّابة أنّ اسم أبي إبراهيم تارخ "وكان آزر عمّه".

والثالث: آخاه في عدّة مواضع: يوم بيعة العشيرة

[يعني يوم الدار، وآية: 'وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ'].

حين لم يبايعه أحد، بايعه عليّ عليه السلام على أن يكون له أخاً في الدارين، و منها يوم خيبر قال صلى الله عليه و آله: 'أنت أخي ووصيّي'، وفي يوم المؤاخاة ما ظهر عند الخاصّ والعامّ صحّته، وقد رواه ابن بطّة من ستّة طرق، وروي أنّه كان النبيّ صلى الله عليه و آله بالنخيلة وحوله سبعمائة وأربعون رجلاً وبين إسرافيل وبين عزرائيل وبين دردائيل وبين راحيل'، فآخى النبيّ صلى الله عليه و آله بين أصحابه.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٨٥].

نبذة من الأخبار في أُخوّة عليّ و رسول اللّٰه في غير يومي المؤاخاة

١- في "الاستيعاب" لابن عبدالبرّ المالكي، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'أنت أخي وصاحبي'.

[الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٥].

٢- في "كتاب الغدير" عن العرائس للثعلبي، قال: قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار: إنّ اللّٰه أهبط تابوتاً على آدم عليه السلام من الجنّة حين أُهبط إلى الأرض فيه صور الأنبياء من أولاده، وفيه بيوت بعدد الرسل منهم، وآخر البيوت بيت محمّد صلى الله عليه و آله من ياقوتة حمراء - إلى أن قال: - وبين يديه عليّ بن أبي طالب عليه السلام شاهر سيفه على عاتقه، ومكتوبٌ على جبهه: هذا أخوه، وابن عمّه، المؤيّد بالنصر من عند اللّٰه.

[الغدير ٣:١٢٤، عن العرائس: ١٤٩].

٣- و فيه ايضاً عن فرائد السمطين، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في حديث: 'اشتقّ اللّٰه لنا من أسمائه أسماءً، فاللّٰه عزّ وجلّ محمود وأنا محمّد، واللّٰه الأعلى وأخي عليّ'.

[المصدر السابق: ١٢٠، عن فرائد السمطين].

٤- وفي "أمالي الصدوق" بسنده عن عطيّة، عن جابر، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مكتوب على باب الجنّة: لا إله إلا اللّٰه، محمّد رسول اللّٰه، عليّ أخو رسول اللّٰه قبل أن يخلق اللّٰه السموات والأرض بألفي عام'.

[أمالي الصدوق - المجلس الثامن عشر: ح١].

٥- وفيه أيضاً: عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، قال: 'كان لي عشر من رسول اللّٰه لم يعطهنّ أحد قبلي، ولا يعطاهنّ أحد بعدي، قال لي: يا عليّ أنت أخي في الدنيا وأخي في الآخرة، وأنت أقرب النّاس منّي موقفاً يوم القيامة، ومنزلي منزلك في الجنّة متواجهان كمنزل الأخوين، وأنت الوصيّ، وأنت الوليّ، وأنت الوزير، عدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ اللّٰه، وليّك وليّي ووليّي وليّ اللّٰه عزّ وجلّ'.

[المصدر السابق: ح٨].

٦- وفيه أيضاً: بسنده عن سليمان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، أنت أخي، ووارثي، ووصيّي، وخليفتي في أهلي وأمّتي في حياتي وبعد مماتي، محبّك محبّي، ومبغضك مبغضي. يا عليّ، أنا وأنت أبوا هذه الأمّة. يا

عليّ، أنا وأنت والأئمّة من ولدك سادة في الدنيا، وملوك في الآخرة، ومن عرفنا فقد عرف اللّٰه، ومن أنكرنا فقد أنكر اللّٰه عزّوجلّ".

[المصدر السابق - المجلس الرابع والتسعون: ح٦].

٧- وفي "صحيفة الإمام الرضا عليه السلام"، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إذا كان يوم القيامة نُوديتُ من بطنان العرش: "يا محمّد"، نِعْم الأب أبوك إبراهيم، ونِعْم الأخ أخوك عليّ بن أبي طالب".

[صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ١٣٣، جزء ٨٣، نشر مدرسة الإمام المهدي "عج"].

٨- وفي "المناقب" لابن المغازلي و"الأمالي" للصدوق، عن مسلم السكوني، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أحبّ إخواني إليَّ عليّ بن أبي طالب، وأحبّ أعمامي إليَّ حمزة".

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٢٩٩، ح٣٤٢، وأمالي الصدوق - المجلس الثاني والثمانون: ح٧].

٩- وروى الحاكم النيشابوري وغيره، عن ابن عبّاس، قال: إنّ عليّاً عليه السلام كان يقول في حياة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إنّ اللّٰه تعالى يقول: "أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ" لأقاتلنّ على ما قاتل عليه حتّى أموت، واللّٰه إنّي لأخوه ووليّه ووارثه وابن عمّه، فمن أحقّ به منّي؟".

[مستدرك الحاكم ٣:١٢٦، مجمع الزوائد ٩:١٣٤، والرياض النضرة ٢:٢٢٦].

وغير ذلك من الأخبار في هذا المجال.

دلالة حديث المؤاخاة على إمامة عليّ

لا ريب أنّ حديث المؤاخاة قد دلّ بوضوح على إمامة عليّ عليه السلام، وأنّه مقدّم على جميع البشر ممّن تقدّم أو تأخّر، غير النبيّ صلى الله عليه و آله؛ لأنّ المؤاخاة كانت على أساس المماثلة والمشاكلة بين الأشخاص في الكمالات النفسانيّة والدرجات الروحيّة، وإن شئت زيادة بصيرة فأمعن النظر في كلام الحافظ الكنجي الشافعي، حيث قال: فإذا أردتَ قرب منزلته عليه السلام من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله تأمّل صنعه صلى الله عليه و آله في المؤاخاة بين الصحابة، جعل يضمّ الشكل إلى الشكل، والمثل إلى المثل، فيؤلّف بينهم إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر، وادّخر عليّاً عليه السلام لنفسه، واختصّه باخوّته، وناهيك بها من فضيلة وشرف، إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

[كفاية الطالب: الباب٤٧، ص١٩٤].

فيدلّ الحديث على أنّ عليّاً عليه السلام نظير النبيّ صلى الله عليه و آله، ومثله الا انه ليس بنبيّ، كما لاحظت ذلك في الأخبار السالفة، وقال الأزري الشاعر قدس سره:

لك ذات كذاته حيث ولولا*** إنّها مثلها لما آخاها

اللّهم اجعلنا من المتمسّكين بولاية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، آمين يا ربّ العالمين.

ما أورده ابن تيميّة على حديث المؤاخاة، وجوابه

قال ابن تيميّة - في كتابه المسمّى "منهاج السنّة" -:

[عن العلامة الأميني "قدّه" في ردّ "منهاج السنّة لابن تيميّة"، قال: إذا أردت أن تنظر إلى كتاب سمّي بضدّ معناه، فانظر إلى هذا الكتاب الّذي أُستعير له اسم "منهاج السنّة"، وهو الحريّ بأن يسمّى "منهاج البدعة"، وهو كتاب حشوه ضلالات، وأكاذيب، وتحكّمات، وإنكار المسلّمات، وتكفير المسلمين، وآخذ بناصر المبدعين، ونصب وعداء على أهل بيت الوحي عليهم السلام، فليس فيه إلا تدجيل محض، وتمويه على الحقائق، وتحريف الكلم عن مواضعه، وقول بالبذاء، ورمي بالمقذعات، وقذف بالفواحش، تحكّك بالوقيعة، وتحرّش بالسباب، انتهى كلامه رفع مقامه].

أمّا حديث المؤاخاة: "أنّ عليّاً آخاه رسول اللّه صلى الله عليه و آله"، فباطل موضوع، فإنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لم يؤاخ أحداً، ولا آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض، ولا بين الأنصار بعضهم مع بعض، ولكن آخى بين المهاجرين والأنصار، كما آخى بين سعد بن الربيع وعبدالرحمن بن عوف، وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، كما ثبت ذلك في الصحيح.

[منهاج السنّة ٢:١٩، نقلاً عن الغدير ٣:١٧٤].

وأمّا الجواب:

فأقول: كأن ابن تيميّة آلى على نفسه أن لا يمرّ على فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام إلا وأنكرها، ولو بادّعاء صرف لا دليل عليه، فقد ذكرنا أنّ قصّة المؤاخاة وقعت بين أفراد الصحابة قبل الهجرة مرّة، وبين المهاجرين والأنصار بعدها مرّة أُخرى، وفي كلّ منهما آخى هو صلى الله عليه و آله أمير المؤمنين عليه السلام، ويكفيك في جوابه، مضافاً إلى ما مرّ من الأخبار الكثيرة ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه قال:

روى أبان بن عيّاش، قال: سألتُ الحسن البصري عن عليّ عليه السلام، فقال: ما أقول فيه؟ كانت له السابقة والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة، إنّ عليّاً عليه السلام كان في أمره عليّاً، رحم اللّه عليّاً وصلّى عليه! فقلت: يا أبا سعيد، أتقول: "صلّى عليه" لغير النبيّ؟!

فقال: ترحّم على المسلمين إذا ذكروا وصلِّ على النبيّ وآله وعلى خير آله، فقلت: أهو خير من حمزة وجعفر؟ قال: نعم، قلت: وخير من فاطمة وابنيها؟ قال: نعم والله، إنّه خير آل محمّد كلّهم، ومن يَشكّ أنّه خير منهم وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'وأبوهما خير منهما'، ولم يجر عليه اسمُ شرك، ولا شرب خمر، وقد قال رسول اللَّه لفاطمة: 'زوّجتُك خيرَ أُمّتي'، فلو كان في أُمّته خير منه لاستثناه، ولقد آخى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بين أصحابه، فآخى بين عليّ ونفسه، فرسول اللَّه خيرُ النّاس نفساً وخيرهم أخاً. فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الّذي يقال عنك إنّك قلته في عليّ؟ فقال: يابن أخي، احقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لسالت بي الخُشُب.

[شرح ابن أبي الحديد ٤:٩٦].

شبهة من ابن حزم ودفعها

قال ابن حزم الأندلسي في "الملل والنِّحل"

[عن العلامة الأميني قدس سره في كتاب الغدير ٣٢٣: ١، في وصف كتاب "الملل والنِّحل" لابن حزم الأندلسي، قال: ما عساني أن أكتب عن شخصيّته، أجمع فقهاء عصره على تضليله والتشنيع عليه، ونهى العوام عن الاقتراب منه، وحكموا بإحراق تأليفه ومدوّناته مهما وجدوا الضلال في طيّاتها، كما في لسان الميزان ٤:٢٠٠ويُعرّفه الآلوسي عند ذكره بقوله: الضالّ المضلّ، "كما في تفسيره ٢١:٧٦" ثمّ قال: ما عساني أن أقول في مؤلَّف لا يتحاشا عن الكذب على اللَّه ورسوله، ولا يبالي بالجرأة على مقدّسات الشرع النبويّ، وقذف المسلمين بكلّ فاحشة، والأخذ بمخاريق القول وسقطات الرأي].

في ردّ اخوّة عليّ عليه السلام مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، قوله صلى الله عليه و آله: 'لو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي'.

قال ابن حزم: وهذا الّذي لا يصحُّ غيره، وأمّا أُخوّة عليّ، فلا تصحُّ إلا مع سهل بن حنيف.

أمّا الجواب عنه فواضح، حيث إنّ الروايات وردت بطرق عديدة أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله آخى بين أبي بكر وعمر، لا بين أبي بكر ونفسه، بل المؤاخاة في ذلك اليوم وقعت بينه وبين عليّ عليه السلام، كما مرّت بعض ما ورد من الروايات في هذا الباب.

وقال العلامة الأميني "غفر اللَّه له" في جواب الشبهة المذكورة: هذه الاخوّة بالمعنى الخاصّ الثابتة لأمير المؤمنين ممّا يخصّ به عليه السلام، ولا يدّعيها بعده إلا كذّاب على ما ورد في الصحيح، وكانت مطّردة بين

الصحابة كلقب يعرف به، تداولته الأندية، وحوته المحاورات، ووقع الحجاج به، وتضمّنه الشعر السائر، ولو ذهبنا إلى جمع شوارد هذا الباب لجاء منه كتابٌ ضخم، غير أنّا نختار منها نبذاً:

فمنها: آخى رسول اللَّه بين أصحابه، فآخى بين أبي بكر وعمر، وفلان وفلان، فجاءه عليّ، فقال: 'آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟'، فقال رسول اللَّه: 'أنت أخي في الدنيا والآخر'.

قال الأميني قدس سره: ينتهي سند هذا الحديث إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، عمر بن الخطّاب، أنس بن مالك، زيد بن أبي أوفى، عبداللَّه بن أبي أوفى، ابن عبّاس، مخدوج بن زيد، جابر بن عبداللَّه، أبي ذرّ الغفاري، عامر بن ربيعة، عبداللَّه بن عمر، أبي أُمامة، زيد بن أرقم، وسعيد بن المسيّب.

[هذا الحديث بوحدته متواتر على رأي ابن حزم "الملعون" في التواتر].

ثمّ قال: راجع: جامع الترمذي "٢:٢١٣"، مصابيح البغوي "٢:١٩٩"، مستدرك الحاكم "٣:١٤"، الاستيعاب "٢:٤٦٠"، وعدّ حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة، وتيسير الوصول "٣:٢٧١"، مشكاة المصابيح هامش المرقاة "٥:٥٦٩"، الرياض النضرة "٢:١٦٧"، وقال في الرياض النضرة "٢:٢١٢": ومن أدلّ دليل على عظم منزلة عليّ عليه السلام من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صنيعه في المؤاخاة، فإنّه جعل يضمّ الشكل إلى الشكل، يؤلّف بينهما إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر، وادّخر عليّاً لنفسه وخصّه بذلك، فيا لها مفخرة وفضيلة.

ثمّ ذكر العلامة الأميني خمسين حديثاً في اخوّة عليّ عليه السلام مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بطرق عديدة من رواة العامّة. ونحن نصفح عن ذكرها توخّياً للاختصار؛ ولأنّا ذكرنا بعضاً منها في الفصل.

و أيضاً - بعد ذكر الأخبار المتكثّرة - قال: ولشهرة هذه الآثارة وثبوتها لأمير المؤمنين عليه السلام؛ ولأهمّيتها الكبرى عند الأُمّة، وإعرابها عن المماثلة والمشاكلة في الفضيلة بينه وبين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أخذها رجال القريش من الصحابة والتابعين كحسّان بن ثابت والنجاشي وتبعهم شعراء القرون من الفريقين حتّى اليوم فصبّوها في بوتقة النظم.

[من أراد التفصيل فليراجع الغدير ١٢٥ - ١١٢ :٣].

علي في ليلة المبيت

عن عليّ بن الحسين عليه السلام: 'إنّ أوّل مَن شرى نَفْسَهُ ابتغاء مرضاةِ اللَّه عليّ بن أبي طالب'.

عن ابن عبّاس: بات عليّ عليه السلام على فراش رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ليلة خروجه من مكّة، ونزلت: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ'. ينابيع المودّة: ٩٢، والآية ٢٠٧ من سورة البقرة

بذل عليّ نفسه حفاظاً على رسول اللَّه ونزلت الآية في شأنه

أرفع درجات الجود والسخاء هو الإيثار، والإيثار هو أن يجود المرء بماله مع الحاجة إليه، وأفضل الإيثار وأحسنه أن يجود المرء بنفسه، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في إيثار المال معروف، وذلك متداول على لسان المحبّ والمبغض، حتّى نزلت في شأنه آيات وسور كسورة هل أتى، وآية الولاية، وآية المودّة، وآية الإيثار: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ'

[سورة الحشر: ٩].

وغير ذلك من الآيات، كما يأتي بحثه إن شاء اللَّه.

أمّا إيثاره بنفسه حفاظاً على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فإنّه آثر بها في موارد كثيرة: في غزوة بدر، وغزوة أُحد، وغزوة الخندق، وغزوة حنين وغيرها، ونام على فراش النبيّ صلى الله عليه و آله ليلة المبيت، وفداه بنفسه حتّى نزلت في شأنه الآية: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ'.

[الإرشاد: ٤٥، الفصل ١، الباب ٢، وينابيع المودّة: ٩٢، والآية من سورة البقرة: ٢٠٧].

وروى المفسّرون كلّهم أصحاب الرأي والحديث من العامّة والخاصّة، على أنّ الآية المذكورة نزلت في عليّ عليه السلام ليلة المبيت على الفراش، أورد ذلك جمع كثير من أعلام العامّة في كتبهم.

[راجع: احقاق الحقّ ٣٣ - ٢٤ :٣].

و فيما يلي نذكر سبب لتحقق ليلة المبيت و نزول الآية في شأن عليّ عليه السلام:

هجرة النبي الى الطائف ثم الى المدينة

منذ أن بعث النبيّ صلى الله عليه و آله دأب كفّار قريش على توجيه الضغوط الروحيّة والجسديّة والاقتصاديّة إليه، وكلّما مرّت فترة يرون خلالها ازدياد عدد من يعتنق الإسلام كان أذاهم يتضاعف.

وكان للنبيّ صلى الله عليه و آله سند وملجأ يلجأ إليه ويعتمد عليه، ألا وهو أبو طالب عليه السلام، فقد كان النبيّ صلى الله عليه و آله بمأمن ما دام أبو طالب حيّاً، وكان المشركون يحسبون له ألف حساب، إلا أنّ أبا

طالب وخديجة قد فارقا الحياة معاً في سنة واحدة، وهي الثالثة قبل الهجرة، أي في السنة العاشرة للبعثة، وبذلك فقد النبيّ دعامة وسنداً مهمّاً

[في الكافي "١:٤٤٩": عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: 'لمّا توفّي أبو طالب رحمه الله نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: يا محمّد، اخرج من مكّة، فليس لك بها ناصر، وثارت قريش بالنبيّ صلى الله عليه و آله، فخرج هارباً حتّى جاء إلى جبل مكّة يقال له الحجون فصار إليه'].

فهاجر بعد وفاتهما إلى الطائف مع عليّ عليه السلام حسب قول زيد ليبتعد عن ضغوط أهل مكّة من ناحية، ولدعوة بني ثقيف لعلّها تؤمن به من ناحية أُخرى، غير أنّ أهل الطائف لم يكتفوا بعدم الإيمان به، بل أخرجوه من مدينتهم بتحريك من أراذلهم وسفلتهم.

وقد آوى النبيّ صلى الله عليه و آله إلى ظلّ كرم ليستريح قليلاً، فأتاه غلام نصراني اسمه عداس بشي ء من العنب، فلمّا تناوله النبيّ صلى الله عليه و آله ذكر اسم الله، فكلّمه عداس في ذلك، فلم تمض فترة حتّى أسلم عداس.

[انظر: تاريخ اليعقوبي ٢:٢٦، وسيرة ابن هشام ٢:٢٨].

ورجع النبيّ صلى الله عليه و آله من الطائف، وكان أذى المشركين يزداد يوماً بعد يوم

[راجع: البحار ١٩:٦ و ٧].

وكان النبيّ صلى الله عليه و آله يستغلّ أدنى فرصة للدعوة إلى الإسلام، فعندما كان النّاس يأتون مكّة في الأشهر الحرم، كان النبيّ صلى الله عليه و آله يعرض عليهم الإسلام، وفي تلك السنة ورد مكّة ستّة نفر

[وذكر ابن الأثير في تاريخه: 'سبعة نفر'].

منهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث بن رفاعة، ورافع بن مالك، وعامر بن عبد حارثة وغيرهم، وهم من الخزرج، ليطلبوا العون من كفّار مكّة، فرأوا النبيّ صلى الله عليه و آله إلى جنب الكعبة، وهو يبيّن مبادئ الإسلام، فلمّا سمعوا تلك الحقائق آمنوا بالنبيّ "صلوات الله عليه"، ورجوا أن يزول الخلاف القائم بن الأوس والخزرج ببركة النبيّ صلى الله عليه و آله، وعاد هؤلاء إلى يثرب وبدؤوا ببثّ دعوة الرسول، فلم يبق بيت في المدينة لم يذكر فيه اسم محمّد صلى الله عليه و آله.

[راجع: سيرة ابن هشام: ٤٩ - ٦٢، والبحار ١٩:٨، والكامل في التاريخ ١:٥١١].

فلمّا كان في العام القابل أقبل أُولئك الستّة، ومعهم ستّة آخرون، منهم: أسعد بن زرارة، وعوف، ومعاذ، وذكران بن قيس، وعُبادة بن الصلت... فلقوا النبيّ صلى الله عليه و آله عند العقبة، وبايعوه على أن لا

يشركوا باللّه شيئاً... وقالوا: فابعث معنا رجلاً من أصحابك يقرأ علينا القرآن، ويعلّمنا شرائع الإسلام، فبعث معهم النبيّ صلى الله عليه و آله مُصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، وسمّيت هذه البيعة بيعة العقبة الاولى.

فلمّا كان في العام الثالث - بعد ما شارع الإسلام في الأنصار - جاء من المدينة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان إلى مكّة في الموسم من ذي الحجّة، وبايعوا رسول اللّه صلى الله عليه و آله في دار عبدالمطّلب عند العقبة، على أن يمنعوه ممّا يمنعون نساءهم وأبناءهم وأنفسهم، وأن يصبروا على حرّ السيف، فاختار رسول اللّه صلى الله عليه و آله منهم اثنى عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، منهم: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور وثلاثة من الأوس، وهم: أبو الهيثم بن التيهان، وأُسيد بن حضير، وسعد بن خثيمة، وانصرفوا إلى المدينة، فكان كلّما اشتدّ البلاء على المؤمنين بمكّة استأذنوا رسول اللّه صلى الله عليه و آله في الهجرة إلى المدينة، فأذن لهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله بأن يخرجوا إلى المدينة. وعند قدومهم المدينة على الأنصار أكرموهم وأنزلوهم في دورهم وآووهم ونصروهم وواسوهم، وسمّيت هذه البيعة بيعة العقبة الثانية.

ثم أمر رسول اللّه "صلوات اللّه عليه" أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكان أوّل من قدم المدينة أبو سلمة بن عبدالأسد، فلمّا علم المشركون بذلك، وأنّه صار للمسلمين ملجأٌ ودارٌ للهجرة، شقّ عليهم ذلك، فاجتمع رؤساؤهم بدار الندوة لينظروا ما يصنعون بالنبيّ على قول، فكانوا عشرة، منهم: شيبة، وعتبة، وأبو جهل، وعقبة بن أبي معيط... فجاءهم إبليس في صورة الشيخ النجدي، وكانت آراؤهم في ذلك مختلفة حتّى قال أبو جهل: ورأيي أن تأخذوا من كلّ بطن من قريش غلاماً، وتدفعوا إليهم سيفاً، فيضربوا محمّداً ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرّق دمه في قبائل قريش كلّها، فلا يقدر بنو هاشم على حرب قريش كلّها، فيرضون بالديّة، فقال إبليس: هذا هو الرأي، فتفرّقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتل محمّد صلى الله عليه و آله، فأتى جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه و آله وأخبره بذلك، وأمره بالهجرة في الليلة الّتي اجتمعوا على قتله فيها، وأمره أن يبيت عليّاً عليه السلام في مضجعه، فصار هذا سبباً لهجرته إلى المدينة، وسبباً لقوّة الإسلام وشوكته ومبدأ تاريخ المسلمين صلوات اللّه وسلامه عليه وعلى المهاجرين معه.

[راجع: سيرة ابن هشام ٢:٤٩، والفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي: ٤٥، والمناقب لابن شهرآشوب ١:١٨١، والبحار ١٩:٨، والكامل في التاريخ ١:٥١٥].

ليلة الهجرة و نوم عليّ على فراش رسول اللّه

لقد كان عليّ عليه السلام يفدي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بنفسه منذ بدء الإسلام، سواء في حياة أبيه أبي طالب أم بعده، بل فدى أبو طالب النبيّ صلى الله عليه و آله بعليّ عليه السلام؛ إذ كان يقيم النبيّ صلى الله عليه و آله من مرقده خوفاً عليه من اغتيال المشركين، ويُنيم ولده عليّاً عليه السلام مكانه؛ ليكون فداءً له لو قصد المشركون اغتياله، وكذلك فدى عليّ عليه السلام النبيّ صلى الله عليه و آله بنفسه بعد وفاة أبيه، فنام على فراشه ليلة المبيت، وقد سنّ له أبوه في حياته سنّة المحافظة على النبيّ صلى الله عليه و آله إلى حدّ التضحية بالنفس، فاتّبعها عليّ عليه السلام بعد وفاة أبيه، ووطّن نفسه عليها، واستهان بالموت في سبيلها.

فلمّا ائتمرت قريش برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في دار الندوة، وأسرّوا ذلك بينهم، فاجتمع رأيهم على اغتياله ليلاً وهو صلى الله عليه و آله في فراشه، وانتخبوا من قبائلهم من كلّ قبيلة رجلاً شجاعاً، ليهجموا عليه ليلاً فيقتلوه، ويضيع في دمه القبائل، ويرضى قومه بالدية، فنزل جبرئيل على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأخبره الخبر، فتلا عليه هذه الآية: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" [سورة الأنفال: ٣٠].

فلمّا أخبره جبرئيل بأمر اللّٰه في ذلك ووحيه، وما عزم له من الهجرة، دعا رسول اللّٰه عليّ بن أبي طالب لوقته، فقال له: يا عليّ، إنّ الروح هبط عليَّ بهذه الآية آنفاً يخبرني أن قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي، وإنّه أوحى إليَّ ربّي عزّ وجلّ أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأنّه أمرني أن أمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل وصانع؟".

فقال عليّ عليه السلام: "أوَتسلمنّ بمبيتي هناك يا نبيّ اللّٰه؟"، قال: "نعم"، فتبسّم عليّ ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لما أنبأه به رسول اللّٰه من سلامته، فكان عليّ أوّل من سجد للّٰه شكراً، وأوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأُمّة بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فلمّا رفع رأسه قال له: "امض لما أُمرت، فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه لمشيئتك وأقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقي إلا باللّٰه"، قال: "فارقد على فراشي، واشتمل ببردي الحضرميّ، ثمّ إنّي أُخبرك - يا عليّ - أنّ اللّٰه تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ النّاس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك بابن عمّ، وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل عليهماالسلام، فصبراً صبراً، فإنّ رحمة اللّٰه قريب من المحسنين"، ثمّ ضمّه النبيّ صلى الله عليه و آله إلى صدره وبكى إليه وجداً به، وبكى عليّ عليه السلام جزعاً لفراق رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

[راجع: البحار ١٩: ٦٠].

ومضى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ونام عليّ عليه السلام على فراش رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حافظاً له، وموطّناً نفسه على القتل، واجتمعت قريش على بابه صلى الله عليه و آله، ثمّ جعلوا يطّلعون فيرون أنّ عليّاً على الفراش متلبّساً ببرده الحضرمي، فيقولون: إنّ هذا لمحمّد نائم عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتّى أصبحوا، فلمّا أصبحوا قام عليّ عليه السلام من الفراش، فقالوا: أين محمّد؟ فقال عليّ: "لا علم لي به". ومضوا وتحسّسوا عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. [البحار ١٩:٣٩].

وروى: أنّهم ضربوا عليّاً عليه السلام وحبسوه ساعة، ثمّ تركوه. وفي ذلك نزلت الآية: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ'.

[المصدر السابق بعينه، و الآية ٢٠٧ من سورة البقرة].

نبذة من الأخبار الواردة في ليلة الهجرة

لقد روى أصحاب الحديث والتفسير والتاريخ هذه الواقعة بألفاظ مختلفة مع تقارب المعنى، ونحن نذكر هنا لرعاية الاختصار ما رواه ابن الصبّاغ المالكي في "الفصول المهمّة" و ما رواه المفيد في "الارشاد".

قال ابن الصبّاغ: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا بايع طائفة من الأنصار بيعة العقبة الأُولى، وكانوا ستّة أنفس، منهم: بشير بن سعد، وحارثة بن النعمان، وسعد بن عبادة، وعبداللَّه بن رواحة، فلمّا كان في العالم القابل، أقبل أُولئك الستّة ومعهم ستّة آخرون، وهم: بشير بن زيد، والبراء بن معرور، وعبداللَّه بن أنيس، وسهل بن زيد، وعبادة بن الصامت، والهيثم فلقوا النبيّ صلى الله عليه و آله عند العقبة، وبايعوه عى أنّهم لا يشركون باللَّه شيئاً، ولا يسرقون، ولا يزنون، ولا يقتلون النفس الّتي حرّم اللَّه إلا بالحقّ، ولا يأتون ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه في معروف، فقالوا: يا رسول اللَّه، إن تركنا من هذه الشرائع واحدة، ماذا يكون؟

فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يكون الأمر في ذلك إلى اللَّه تعالى، إن شاء عفا، وإن شاء عذّب'، فقالوا: رضينا يا رسول اللَّه، فابعث معنا رجلاً من أصحابك يقرأ علينا القرآن، ويعلّمنا شرائع الإسلام، فبعث معهم النبيّ صلى الله عليه و آله مصعب بن عمرو بن هاشم، ليقرئهم القرآن، ويعلّمهم شرائع الإسلام، والنّاس يؤمنون الواحد بعد الواحد، والرجل بعد الرجل، والمرأة بعد المرأة.

فلمّا كان في العام الثالث، ومن البيعة الأخيرة الّتي بايعه فيها منهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، بايعوا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على أن يمنعوه ممّا يمنعون نساءهم وأبناءهم وأنفسهم، فاختار رسول اللَّه صلى الله عليه و آله منهم اثني عشر نقيباً، وانصروا إلى المدينة، فصار كلّما اشتدّ البلاء على المؤمنين بمكّة

يستأذنون رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في الهجرة إلى المدينة فيأذن لهم، فيخرجون أرسالاً متسلّلين، أوّلهم فيما قيل: أبو سلمة بن عبدالأسد المخزومي، وقيل: أوّلهم مصعب بن عمير، فعند قدومهم المدينة على الأنصار أكرموهم، وأنزلوهم في دورهم، وآووهم، ونصروهم، وواسوهم.

فلمّا علم المشركون بذلك وأنّه صار للمسلمين دار هجرة، وأنّ أكثر من أسلم قد هاجر إليها، شقّ عليهم ذلك، فاجتمع رؤساء قريش بدار الندوة، وكانت موضع مشورتهم لينظروا ما يصنعون بالنبيّ، فكانوا عشرة، وهم: شيبة وعتبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج، وأُبيّ وأُميّة ابنا خلف، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، فهؤلاء العشرة [وهؤء تسعة سقط العاشر من المصدر] اجتمعوا للمشورة.

فجاءهم إبليس في صورة الشيخ النجدي عليه جبّة صوف وبرنس أخضر، وفي يده عكّاز يتوكّأ عليه، فقال لهم: قد بلغني اجتماعكم لمشورتكم، فأحببت أن أحضركم فما تعدمون منّى رأياً حسناً، فأدخلوه معهم، وأوّل من تكلّم عتبة بن ربيعة، فقال: الرأي أن تحبسوا محمّداً في بيت مغلق، ليس له غير طاقة واحدة، يدخل منها طعامه وشرابه، وتربّصون به ريب المنون.

فقال الشيخ النجدي "إبليس": ليس هذا برأي، فإنّ له عشيرة فتحملهم الحميّة على أن لا يمكّنوا من ذلك فتقاتلوا، فقالوا: صدق الشيخ.

فقال شيبة بن ربيعة: الرأي أن تركبوا محمّداً جملاً شروداً، قد شدّدتموه عليه، وتطلقوه نحو البادية، فيقع على أعراب جفاة، فيكدر عليهم بما يقول، فيكون هلاكه على يد غيركم، فتستريحون منه.

فقال الشيخ النجدي "إبليس": بئس الرأي، تعمدون إلى رجل قد أفسد سفهاءكم وجهّالكم فتخرجوه إلى غيركم، فيفسدهم ويستتبعهم بعذوبة لفظه وطلاقة لسانه، لئن فعلتم ليجمعنّ النّاس عليكم جمعاً، ويقاتلكم بهم، ويخرجكم من دياركم، فقالوا: صدق الشيخ "إبليس".

فقال أبو جهل: لأشيرنّ عليكم برأي لا رأي غيره، وهو أن تأخذوا من كلّ بطن من قريش غلاماً وسطاً، وتدفعوا إلى كلّ غلام سيفاً، فيضربوا محمّداً ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه يفرّق دمه في قبائل قريش كلّها، فلا يقدر بنو هاشم على حرب قريش كلّها، فيرضون بالعقل، فتعطونهم عقله، وتخلصون منه.

فقال الشيخ النجدي "إبليس": هذا هو الرأي، قد صدق فيما قال وأشار به، وهو أجود آرائكم، فلا تعدلوا عنه، فتفرّقوا على رأي أبي جهل، مجتمعين على قتل النبيّ، فأتى جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه و آله وأخبره بذلك، وأمره أن يبيت عليّاً في موضعه الّذي كان ينام فيه، وأذِنَ اللّٰه تعالى في الهجرة، فعند ذلك أخبر عليّاً بأمورهم، وأمره أن ينام عوضه في مضجعه على فراشه الّذي كان ينام فيه، وقال له: "لن يصل إليك منهم

أمر تكرهه'، ووصّاه بحفظ ذمّته، وأداء أمانته ظاهراً على أعين النّاس، وكانت قريش تدعو النبيّ في الجاهلية بالأمين، وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم: فاطمة بنت النبيّ، وفاطمة بنت أسد أُمّ عليّ، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطّلب، ولم يهاجر معه من بني هاشم ومن ضعفاء المؤمنين أحد، وقال لعليّ: 'إذا أبرمت ما أمرتك به، كن على أُهبة الهجرة إلى اللَّه ورسوله، وسِر لقدوم كتابي عليك'، ثمّ خرج عنه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال له: 'إذا جاءك أبو بكر فوجّهه خلفي نحو بئر أُمّ ميمون'، وكان ذلك في فحمة العشاء.

[فحمة العشاء: هي إقباله، وأوّل سواده، يقال للظلمة الّتي بين صلاتي العشاء: الفحمة].

والرصد من قريش قد أطافوا بالدار، ينتظرون أن ينتصف الليل، وينام النّاس، فأخذ النبيّ صلى الله عليه و آله قبضة من تراب وقرأ عليها وحثاها في وجوههم، فخرج فلم يروه، ونام عليّ عليه السلام على فراشه، فدخل عليه أبو بكر وهو يظنّه رسول اللَّه فقال له عليّ: 'إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خرج نحو بئر أُمّ ميمون، وهو يقول لك أدركني'، فلحقه أبو بكر، وعليّ عليه السلام نائم على فراش رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والمشركون يرجمونه، فلم يضطرب ولم يكترث، ثمّ إنّهم تسوّروا عليه ودخلوا شاهرين سيوفهم، فثار في وجوههم، فعرفوه، فقالوا: هو أنت أين صاحبك؟ فقال: لا أدري، فخرجوا عنه وتركوه ولم يصل إليه منهم مكروه وكفاه اللَّه شرّهم.

قال بعض أصحاب الحديث: وأوحى اللَّه تعالى إلى جبرئيل وميكائيل أن أنزلا إلى عليّ عليه السلام واحرساه في هذه الليلة إلى الصباح، فنزلا إليه وهما يقولان: بخٍ بخٍ من مثلك - يا عليّ - قد باهى اللَّه تعالى بك ملائكته، ثمّ قال: فهذا ممّا يشهد له بقوّة جنانه، وثبات أركانه، وتبريزه على نظائره وأقرانه من أبطال الحرب وشجعانه.. وأصبحت قريش وقد خرجوا في طلب النبيّ صلى الله عليه و آله يقصّون أثره في شعاب مكّة وجبالها، فلم يتركوا موضعاً، حتّى إنّهم وقفوا على باب الغار الّذي فيه النبيّ صلى الله عليه و آله، فوجدوا العنكبوت ناسجاً على بابه، ووجدوا حمامتين وحشيّتين قد نزلتا بباب الغار، وباضتا وفرّختا، فقال له عتبة بن ربيعة: ما وقوفكم هاهنا، لو دخل محمّد هذا الغار لخرق هذا النسج الّذي ترون، ولطارت الحمامتان، وجعل القوم يتكلّمون.

فحزن أبو بكر وخاف، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا أبا بكر، نحن اثنان، واللَّه ثالثنا، فما ظنّك باثنين اللَّه ثالثهما؟ لا تحزن إنّ اللَّه معنا، وسيقتل عامّة من ترى ببدر إن شاء اللَّه تعالى'، فضرب اللَّه على وجوه القوم فانصرفوا - إلى أن قال: - وأقام رسول اللَّه ثلاثة أيّام بلياليها في الغار، وقريش يطلبونه فلا يقدرون عليه، ولا يدرون أين هو، وأسماء بنت أبي بكر تأتيهما ليلاً بطعامهما وشرابهما. قال الراوي: فلمّا كان بعد

ثلاثة أيّام أمرها النبيّ صلى الله عليه و آله إلى عليّ بن أبي طالب فقال لها: أخبريه بموضعنا، وقولي له يستأجر لنا دليلاً، ويأتينا معه بثلاثة من الإبل بعد مضيّ من الليلة الآتية، فجاءت أسماء إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأخبرته بذلك، فاستأجر لهما عليّ عند ذلك رجلاً يقال لها: الأُريقط بن عبدالله الليثي، وأرسل معه بثلاثة من الإبل، فجاء بهنّ إلى أسفل الجبل ليلاً، قال: وسمع النبيّ صلى الله عليه و آله برغاء الإبل، فنزل من الغار هو وأبو بكر إليه فعرفاه، فعرض عليه النبيّ "سلام الله عليه" الإسلام، فقيل: أسلم، وقيل: إنّه لم يسلم، وجعل يشدّ على الإبل أحلاسها "أرحالها"، وهو يرتجز ويقول:

شُدّا العرى على المطي وأخّرا*** وودّعا غاركما والحرما

وشمّرا هديتما وسلّما*** لله هذا الأمر حقّاً فاعلما

سينصر الله النبيّ المسلما

قال: وركب النبيّ صلى الله عليه و آله وركب أبو بكر، وركب الدليل، وساروا، فأخذ بهما الدليل أسفل مكّة، ومضى بهما على طريق الساحل، فاتّصل الخبر بأبي جهل ثاني يوم، فنادى في أهل مكّة فجمعهم، وقال: إنّه بلغني أنّ محمّداً قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان آخران، فأيّكم يأتيني بخبره، فوثب سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي أحد بني كنانة، فقال: أنا لمحمّد يا أبا الحكم، ثمّ إنّه راكب راحلته واستجنب فرسه، وأخذ معه عبداً له أسود، كان من الشجعان المشهورين، فسار في أثر النبيّ صلى الله عليه و آله سيراً عنيفاً نحو الساحل، فلحقا به، فالتفت أبو بكر فنظر إلى سراقة بن مالك مقبلاً، فقال: يا رسول الله، قد دهينا، هذا سراقة بن مالك قد أقبل في طلبنا ومعه غلامه الأسود المشهور فلان، فلمّا أبصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه، وتناول رمحه، وأقبل نحوهم، فلمّا قرب منهم، قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ أكفنا أمر سراقة بما شئت، وكيف شئت، وأنّى شئت".

وحفظ الله تعالى محمّداً من سراقة، ومضى النبيّ صلى الله عليه و آله وأبو بكر، والدليل بين أيديهما حتّى وصل رسول الله صلى الله عليه و آله إلى قبا يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل - الحديث.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٤٥، وراجع: السيرة الحلبيّة ٢:٢٨، أمالي الطوسي ٨٠ - ٧٩ :٢، الخرائج والجرائح ١:١٤٣، ح٢٣١، إحقاق الحقّ ٣:٤٥].

و قال الشيخ المفيد: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا أُمر بالهجرة - عند اجتماع الملأ من قريش على قتله، لم يتمكّن من مظاهرتهم - بالخروج عن مكّة، وأراد صلى الله عليه و آله الاستسراء بذلك وتعمية خبره عنهم؛

ليتمّ له الخروج على السلامة منهم، فألقى خبره إلى أمير المؤمنين واستكتمه إيّاه، وكلّفه الدفاع عنه بالمبيت على فراشه، من حيث لا يعلمون أنّه هو البائت على الفراش، ويظنّون أنّه النبيّ بائتاً على حالته الّتي كان يكون عليها فيما سلف من الليالي، فوهب أمير المؤمنين عليه السلام نفسه للّه، وشراها من اللّه تعالى في طاعته، وبذلها دون نبيّه صلى الله عليه و آله لينجو به من كيد الأعداء، ويتمّ له بذلك السلامة والبقاء، وينتظم له به الغرض في الدعاء إلى الملّة وإقامة الدين وإظهار الشريعة، فبات عليه السلام على فراش رسول اللّه مستتراً بإزاره، وجاءه القوم الذين تمالؤوا على قتل النبيّ صلى الله عليه و آله، فأحدقوا به وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهراً، فيذهب دمه فرغاً

[أي هدراً].

بمشاهدة بني هاشم قاتليه من جميع القبائل، ولا يتمّ الأخذ بثأره منهم؛ لاشتراك الجماعة في دمه، وقعود كلّ قبيل عن قتال رهطه ومباينة هله، فكان ذلك سبب نجاة النبيّ صلى الله عليه و آله وحفظ دمه وبقائه حتّى صدع بأمر ربّه، ولولا أمير المؤمنين عليه السلام وما فعله من ذلك، لما تمّ لرسول اللّه صلى الله عليه و آله التبليغ والأداء، ولا استدام له العمر والبقاء، ولظفر به الحسدة والأعداء.

فلمّا أصبح القوم وأرادوا الفتك به عليه السلام ثار إليهم، وتفرّقوا عنه حين عرفوه. وانصرفوا وقد ضلّت حيلهم في النبيّ صلى الله عليه و آله، وانتقض ما بنوه من التدبير في قتله، وخابت ظنونهم وبطلت آمالهم، وكان بذلك انتظام الإيمان وإرغام الشيطان، وخذلان أهل الكفر والعدوان، ولم يشرك أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المنقبة أحد من أهل الإسلام، ولا أُحيط بنظير لها على حال، ولا مقارب لها في الفضل بصحيح الاعتبار، وفي أمير المؤمنين عليه السلام ومبيته على الفراش أنزل اللّه سبحانه: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ'. [الإرشاد ٥١: ١].

ونقل العلامة المجلسي "رضوان اللّه عليه" قصّة مبيت عليّ عليه السلام على فراش النبيّ صلى الله عليه و آله من العامّة والخاصّة وبألفاظ مختلفة، ومن أراد المزيد فليراجعها. [بحارالانوار ٢٨: ١٩].

ولا شبهة في أنّ هذا العمل الّذي قام به الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقع من أهل السماء موقع الإعجاب والتعظيم والتقدير، ومباهاة اللّه تعالى بعمله ملائكته؛ إذ هذه المواساة هي الفريدة من نوعها في تاريخ البشريّة والإسلام، ولا عجب إذا طأطأ العلماء رؤوسهم إجلالاً لعليّ عليه السلام ونثروا عليه الثناء الجميل نظماً ونثراً.

اشعار في قصّة المبيت

في "فرائد السمطين"، بسنده عن حكيم بن جبير، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: 'إنّ أوّل من شرى نفسه ابتغاء رضوان اللّٰه هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام'.

"قال": 'وقال عليّ عند مبيته على فراش رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى*** ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول اللّٰه خاف أن يمكروا به*** فنجّاه ذو الطول الإله من المكر

وبات رسول اللّٰه في الغار آمناً*** موقىً وفي حفظ الإله وفي ستر

وبتّ أراعيهم وما يثبتونني*** وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر

[المناقب للخوارزمي: ١٣٧، فرائد السمطين ١:٣٣٠، رقم ٢٥٦، روى ابن شهرآشوب في المناقب "٢:٦٠" هذه الأبيات مع زيادة، والزيادة هي:

وبات رسول اللّٰه في الغار آمناً*** وذلك في حفظ الإله وفي ستر

أردت به نصر الإله تبتّلاً*** وأضمرته حتّى أُوسّد في قبر]

وأنشأ الحميري في ذلك:

ومَن ذا الّذي قد بات فوق فراشه*** وأدنى وساد المصطفى فتوسّدا

وخمَّر منه وجهه بلحافه*** ليدفع عنه كيد من كان أكيدا

فلمّا بدا صبح يلوح تكشّفت*** له قطع من حالك اللون أسودا

ودارت به أحراسهم يطلبونه*** وبالأمس ما سبّ النبيّ وأوعدا

أتوا طاهراً والطيب والطهر قد مضى*** إلى الغار يخشى فيه أن يتورّدا

فهمّوا به أن يقتلوه وقد سطوا*** بأيديهم ضرباً مقيماً ومقعدا

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٦٠].

وله أيضاً:

باتوا وبات على الفراش ملفّقاً*** فيرون أنّ محمّداً لم يذهب

حتّى إذا اطّلع الشميط

[الشميط: الصبح].

كأنّه*** في الليل صفحة خدادهم معرب

ثاروا لأحداج الفراش

[ثاروا: أي هاجروا. والحدج: الجمل، ومركب من مراكب النساء كالهودج].

فصادفت*** غير الّذي طلبت أكفّ الخيّب

فوقاه بادرة الحتوف بنفسه*** حذراً عليه من العدوّ المجلب

حتّى تغيب عنهم في مدخل*** صلّى الإله عليه من متغيّب

[المصدر السابق ٢:٦١].

وأنشأ دعبل:

وهو المقيم على فراش محمّد*** حتّى وقاه كايداً ومكيدا

وهو المقدّم عند حومات الندى*** ما ليس ينكر طارفاً وتليدا

[المصدر السابق ٢:٦٣، الحومة:البحر، والطارف: المال الحديث أو المستحدث، ويقابله التليد].

وأنشأ ابن حمّاد:

باهى به الرحمن أملاك العلى*** لما انثنى من فرش أحمد يهجع

يا جبرئيل وميكائيل فإنّني*** آخيت بينكما وفضلي أوسع

أفنن بدا في واحد أمري فمن*** يفدي أخاه من المنون ويقنع

فتوثّقا كلّ يضنّ بنفسه*** قال الإله أنا الأعزّ الأرفع

إنّ الوصيّ فدى أخاه بنفسه*** ولفعله زلفى لديّ وموضع

فتلهبطا ولتمنعا من رامه*** أم من له بمكيده يتسرّع

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٦٥].

وهناك مزيد من الأشعار في هذا المجال، والطالب يرجع إلى مظانّها.

احتجاج المأمون على الفقهاء بقصّة ليلة المبيت في فضيلة عليّ

نشير إلى هذا الاحتجاج تكميلاً لإثبات الحديث، وقد مرّ صدر الاحتجاج في فصل "عليّ عليه السلام أوّل من آمن باللّه وبرسوله"، وساق الكلام في إثبات إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالآيات القرآنية إلى أن قال: أجل، لولا أنّ له فضلاً لما قيل: إنّ علياً أفضل منه، فما فضله الّذي قصدت له الساعة؟

قلت: قول اللّه عزّ وجلّ: "ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"

[سورة التوبة: ٤٠].

فنسبه إلى صحبته.

قال: يا إسحاق، أما إنّي لا أحملك على الوعر من طريقك، إنّي وجدت اللّٰه تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً، وهو قوله سبحانه: "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً".

[سورة الكهف: ٣٧ و ٣٨].

قلت: إنّ ذلك صاحباً كان كافراً وأبو بكر مؤمن.

قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافراً، جاز أن ينسب إلى صحبة نبيّه مؤمناً، وليس بأفضل المؤمنين، ولا الثاني، ولا الثالث.

قلت: يا أمير المؤمنين: "إنّ قدر الآية عظيم، إنّ اللّٰه عزّ وجلّ يقول: "ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"؟

قال: يا إسحاق، تأبى الآن إلا أُخرجك إلى الاستقصاء عليك، أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضىً أم سخطاً؟

قلت: إنّ أبا بكر لمّا حزن من أجل رسول اللّٰه خوفاً عليه وغمّاً أن يصل إلى رسول اللّٰه شي ء من المكروه.

قال: ليس هذا جوابي، إنّما كان جوابى أن تقول رضىً أم سخط؟ قلت: بل كان رضىً للّٰه تعالى.

قال: فكان اللّٰه جلّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضى اللّٰه عزّ وجلّ وعن طاعته، قلت: أعوذ باللّٰه.

قال: أوَليس قد زعمت أنّ حزن أبي بكر رضىً للّٰه؟ قلت: بلى، قال: أوَلم نجد أنّ القرآن يشهد أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: "لا تحزن" نهياً له عن الحزن؟! قلت: أعوذ باللّٰه.

قال: يا إسحاق، إنّ مذهبي الرفق بك، لعلّ اللّٰه يدرّك إلى الحقّ، ويعدل بك عن الباطل، لكثرة ما تستعيذُ به، وحدّثني عن قول اللّٰه عزّ وجلّ: "فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ"

[التوبة ٤٠].

مَن عنى بذلك: رسول اللّٰه أم أبا بكر؟ قلت: بل رسول اللّٰه. قال: صدقت، قال: فحدّثني عن قول اللّٰه عزّ وجلّ: "وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ" إلى قوله: "ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ"

[سورة التوبة ٢٥ و ٢٦].

أتعلم من المؤمنين الذين أراد اللّٰه في هذا الموضع؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين؟ قال: النّاس جميعاً انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلا سبعة نفر - وفي بعض الأخبار تسعة نفر - من بني هاشم، عليّ يضرب بسيفه بين يدي رسول اللّٰه، والعبّاس آخذ بلجام بلغة رسول اللّٰه، والخمسة - أو

السبعة ـ محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شي ء حتّى أعطى اللّٰه لرسوله الظفر، فالمؤمنون في هذا الموضع عليّ خاصّة، ثمّ من حضره من بني هاشم، قال: فمن أفضل، من كان مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في ذلك الوقت، أم من انهزم عنه، ولم يره اللّٰه موضعاً لينزلها عليه؟ قلت: بل ما أُنزلت عليه السكينة.

قال: يا إسحاق، من أفضل: من كان معه في الغار، أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتّى تمّ لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ما أراد من الهجرة؟ إنّ اللّٰه تعالى أمر رسوله أن يأمر عليّاً بالنوم على فراشه، وأن يقي رسول اللّٰه بنفسه، فأمره رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بذلك فبكى عليّ، فقال له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'ما يبكيك يا عليّ، أجزعاً من الموت؟'، قال: لا، والّذي بعثك بالحقّ يا رسول اللّٰه، ولكن خوفاً عليك، أفتسلم يا رسول اللّٰه؟'، قال: 'نعم'، قال: 'سمعاً وطاعةً وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول اللّٰه'، ثمّ أتى مضجعه واضطجع وتسجّى بثوبه، وجاء المشركون من قريش فحفّوا به، لا يشكّون أنّه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وقد أجمعوا أن يضربه من كلّ بطن من بطون قريش رجل ضربةً بالسيف، لئلا يطلب الهاشميّون من البطون بطناً بدمه، وعليّ يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه، ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار، ولم يزل عليّ عليه السلام صابراً محتسباً، فبعث اللّٰه ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتّى أصبح، فلمّا أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا: أين محمّد؟ قال: 'وما علمي بمحمّد، أين هو؟'، قالوا: فلا نراك إلا مغرّراً بنفسك منذ ليلتنا.

فلم يزل عليّ أفضل ما بدأ به، يزيد ولا ينقص حتّى قبضه اللّٰه إليه. [العقد الفريد ٥:٩٨، الإحقاق ٣:١٨٩].

اقامة عليّ بمكّة ثلاثة أيّام بعد ردّ الودائع

روى ابن شهر آشوب عن محمّد بن سلام، في حديث طويل، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: 'ومضى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله واضطجعتُ في مضجعه انتظر مجي ء القوم حتّى دخلوا عليّ، فلمّا استوى بي وبهم البيت نهضتُ إليهم بسيفي، فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه النّاس'، فلمّا أصبح امتنع ببأسه وله عشرون سنة وأقام بمكّة وحده مراغماً عليه السلام لأهلها حتّى أدّى إلى كلّ ذي حقّ حقّه.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٥٩].

فلمّا أدّاها قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع: "يا أيّها النّاس، هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصيّة؟ هل من صاحب عدّة له قِبل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فلمّا لم يأت أحد لحق بالنبيّ صلى الله عليه و آله، وكان في ذلك دلالة على خلافته وأمانته وشجاعته.

[المصدر المتقدّم: ٥٨].

وقال المسعودي: وكان مُقام عليّ بن أبي طالب بعده بمكّة ثلاثة أيّام إلى أن أدّى ما أُمر بأدائه، ثمّ لحق بالرسول صلى الله عليه و آله.

[مروج الذهب ٢:٢٨٥].

لحوق عليّ برسول اللّٰه بعد ردّ الودائع

بعد أن نام عليّ عليه السلام ليلة المبيت على فراش رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أقام بمكّة ثلاثة أيّام، وردّ الودائع كلّها، ثمّ كتب إليه رسول اللّٰه كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه وقلّة التلوّم

[التلوم: الانتظار والتمكّث].

وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي، فلمّا أتاه كتاب رسول اللّٰه تهيّأ للخروج والهجرة، فأذن لمن كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسلّلوا

[يتسلّلوا: يذهبوا خفية].

ويتخفّفوا

[يتخفّفوا: لا يحملوا معهم شيئاً يثقل عليهم].

إذا ملأ الليل بطن كلّ وادٍ إلى ذي طوى

[ذو طوى: موضع قرب مكّة].

وخرج عليّ عليه السلام بفاطمة بنت رسول اللّٰه، وأُمّة فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطّلب، وتبعهم أيمن بن أُمّ أيمن مولى رسول اللّٰه وأبو واقد رسول رسول اللّٰه، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال عليّ عليه السلام: "ارفق بالنسوة أبا واقد، إنهنّ من الضعائف"، قال: إنّي أخاف أن يدركنا الطلب؟ فقال عليّ عليه السلام: "أربع عليك

[أربع عليك: انتظر واجلس].

فإنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال لي: يا عليّ، إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه'، ثمّ جعل - يعني عليّاً ليه السلام - يسوق بهنّ سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:

أليس إلا اللّٰه فارفع ظنّكا*** يكفيك ربّ النّاس ما أهمّكا

وجرت في الطريق حوادث تجاوزها عليّ عليه السلام ومن معه حتّى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: 'الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً' إلى قوله: 'فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى'

[سورة آل عمران: ١٩٥ - ١٩١].

الذكر عليّ، والأُنثى فاطمة "سلام اللّٰه عليهما": 'بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ' يقول: عليّ من فاطمة أو قال: الفواطم، وهنّ من عليّ، وآية: 'فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ' إلى قوله: 'حُسْنُ الثَّوَابِ'

[سورة آل عمران: ١٩٥ - ١٩١].

وتلا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى' الآية

[سورة التوبة: ١١١].

ثمّ قال: 'يا عليّ، أنت أوّل هذه الأُمّة إيماناً باللّٰه ورسوله، وأوّلهم هجرة إلى اللّٰه ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبّك - والّذي نفسي بيده - إلا مؤمن قد امتحن اللّٰه قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر'.

[انظر: البحار ١٩:٦٤، والمناقب لابن شهرآشوب ١:١٨٢].

وفي "الكامل لابن الأثير"، قال: لمّا فرغ عليّ عليه السلام من الّذي أمره به رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله هاجر إلى المدينة، فكان يسير الليل ويكمن النّار، حتّى قدم المدينة، وقد تفطّرت قدماه، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'ادعوا لي عليّاً'، قيل: لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبيّ صلى الله عليه و آله، واعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه، وأمرّهما على قدميه فلم يشتكهما بعدُ حتّى قُتل.

[الكامل في التاريخ: ٥١٩، طبع دار إحياء التراث - بيروت].

وروى العلامة الإربلي عن "تفسير الكشّاف للزمخشري" ما ملخّصه: وكتب النبيّ صلى الله عليه و آله إلى عليّ عليه السلام يأمره بالتوجّه إليه، فلمّا وصله الكتاب تهيّأ للخروج والهجرة، وخرج فنزل بالفواطم، وخرج معه أيمن بن أُمّ أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين، فانطلق حتّى ضجنان، فأقام بها قدر يومه، فصلّى ليلته تلك هو والفواطم، وباتوا يذكرون اللّٰه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فما زالوا كذلك حتّى طلع الفجر، فصلّى بهم صلاة الفجر وسار وهم يصنعون ذلك منزلاً فمنزلاً يعبدون اللّٰه ويرغبون إليه حتّى قدم المدينة، وقد نزل

الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ" الآية، وقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: "يا عليّ، أنت أوّل هذه الأُمّة إيماناً" - الحديث.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٥٣٩].

ثمّ إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله بعد أن أقام في الغار ثلاثة أيّام، أذن الله له في الهجرة

[راجع البحار ١٩:٦٩].

وقدم المدينة في شهر ربيع الأوّل لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم الاثنين سنة ثلاث عشر من المبعث، وبقي رسول الله خمسة عشر يوماً في قبا، نازلاً على كلثوم بن الهدم

[وفي روضة الكافي - كما سيأتي -: "نزل صلى الله عليه و آله على عمرو بن عوف"].

وفارقه أبوبكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار، فرجع عن المدينة عند رسول الله صلى الله عليه و آله، فقال: يا رسول الله تدخل المدينة، فإنّ القوم متشوّقون إلى نزولك عليهم؟ فقال: لا أُريم من هذا المكان حتّى يوافي أخي عليّ"، فقال أبو بكر: ما أحسب عليّاً يوافي، قال: "بلى، ما أسرعه إن شاء الله!"، فبقى خمسة عشر يوماً، فوافى عليّ عليه السلام بعياله، وبقي بعد قدوم عليّ يوماً أو يومين، ثمّ ركب راحلته، فاجتمع إليه بنو عمرو بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، أقم عندنا، فإنّا أهل الجدّ والجلد والحلقة والمنعة، فقال: "خلّوا عنها فإنّها مأمورة"، حتّى مرّ ببني سالم، ونزل في مسجدهم وصلّى بهم صلاة الجمعة حيث إنّ خروجه صلى الله عليه و آله من قبا كان يوم الجمعة، ثمّركب ناقته وأرخى زمامها إلى أن انتهت ناقته إلى باب المسجد الّذي هو اليوم ولم يكن مسجداً، فبركت الناقة على باب أبي أيّوب، خالد بن زيد، فنزل عنها رسول الله - الحديث.

[انظر: بحار الأنوار ١٠٨ - ١٠٥ :١٩].

١- روى الكليني عن عليّ بن الحسين عليه السلام في جواب سعيد بن المسيّب - في حديث - قال: "حتّى هاجر رسول الله صلى الله عليه و آله إلى المدينة وخلّف عليّاً عليه السلام في أُمور لم يكن يقوم بها أحد غيره، وكان خروج رسول الله من مكّة في أوّل من ربيع الأوّل، وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث، وقدم المدينة لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل مع زوال الشمس، فنزل بقبا، فصلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، ثمّ لم يزل مقيماً ينتظر عليّاً عليه السلام يصلّي الخمس صلوات ركعتين ركعتين، وكان نازلاً على عمرو بن عوف، فاقام عندهم بضعة عشر يوماً، يقولون: أتقيم عندنا فنتّخذ لك منزلاً ومسجداً؟ فيقول صلى الله عليه و آله: لا، إنّي أنتظر عليّ بن أبي طالب، وقد أمرته أن يلحقني، ولست

مستوطناً منزلاً حتّى يقدم عليّ، وما أسرعه إن شاء اللّه، فقدم عليّ عليه السلام، والنبيّ صلى الله عليه و آله في بيت عمرو بن عوف، فنزل معه.

ثمّ إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لمّا قدم عليه عليّ عليه السلام تحوّل من قبا إلى بني سالم بن عوف وعليّ معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس، فخطّ لهم مسجداً ونصب قبلته، فصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين، وخطب خطبتين، ثمّ راح من يومه إلى المدينة على ناقته الّتي كان قدم عليها، وعليّ عليه السلام لا يفارقه يمشي بمشيه، وليس يمرّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله ببطن من بطون الأنصار، إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم، فيقول لهم: خلّوا سبيل الناقة، فإنّها مأمورة، فانطلقت به، ورسول اللّه صلى الله عليه و آله واضع لها زمامها حتّى انتهت إلى الموضع الّذي ترى - وأشار بيده إلى باب مسجد رسول اللّه الّذي يصلّي عنده بالجنائز - فوقفت عنده وبركت ووضعت جرانها على الأرض، فنزل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأقبل أبو أيّوب مبادراً حتّى احتمل رحله، فأدخله منزله، ونزل رسول اللّه وعليّ عليهماالسلام معه حتّى بنى له مسجده، وبنيت له مساكنه، ومنزل عليّ فتحوّلا إلى منازلهما".

فقال سعيد بن المسيّب لعليّ بن الحسين عليه السلام: جعلت فداك، كان أبو بكر مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله حين أقبل إلى المدينة، فأين فارقه؟ فقال: "إنّ أبا بكر لمّا قدم رسول اللّه إلى قبا، فنزل بهم ينتظر قدوم عليّ عليه السلام فقال له أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة، فإنّ القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستبشرون إقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر عليّاً إلى شهر، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله: كلا، ما أسرعه، ولست أُريم حتّى يقدم ابن عمّي وأخي في اللّه عزّ وجلّ، وأحبّ أهل بيتي إليَّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين، قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأزّ، وداخله من ذلك حسد لعليّ عليه السلام، وكان ذلك أوّل عداوة بدت منه لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وأوّل خلاف على رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فانطلق حتّى دخل المدينة وتخلّف رسول اللّه بقبا، ينتظر عليّاً "صلوات اللّه عليهما" - الحديث.

[روضة الكافي: ٨٢٠، ح ٥٣٦].

هذه منقبة لعليّ لم يشركه فيها أحدٌ، وبعض ما ورد في فضيلته

كان مبيت عليّ عليه السلام على فراش رسول اللّه صلى الله عليه و آله خذلاناً لأهل الكفر والعدوان، حيث بطلت آمالهم في قتل رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وكان فيها إرغام الشيطان وانتظام الإيمان، وقد ضلّت حيلهم، وانقض ما بنوه من التدبير في قتل النبيّ صلى الله عليه و آله، ولم يكن للمبيت نظير في الثواب على

حال ولا مقارب له في الفضل مع التعقّل والتفكّر، ولذا ورد في القرآن الكريم في شأنه: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ' [سورة البقرة: ٢٠٧].

وجدير أن نذكر هنا نبذة من الأخبار المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه و آله من الفريقين، الدالّة على فضيلة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وإليك لفظ الأحاديث:

روى ابن الجوزي الحنفي، و غيره من العلماء العامة و بعض علماء الشيعة، رووا: أنّه ليلة بات عليّ بن أبي طالب عليه السلام على فراش رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، أوحى اللَّه تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: أني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأحبّاها، فأوحى اللَّه تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب حين آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفديه نفسه ويؤثره بالحياة؟! اهبطا إلى الأرض، فاحفظاه من عدوّه، وكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، ينادي ويقول: بخٍ بخٍ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي اللَّه بك الملائكة، فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي' الآية، وفي تلك الليلة أنشأ عليّ عليه السلام يقول:

وقيتُ بنفسي خير من وطئ الثرى*** ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

[تذكرة الخواصّ: ٤١، والسيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢٧:٢، والفصول المهمّة: ٤٨، وينابيع المودّة: ٩٢، والمناقب لابن شهرآشوب ٦٥:٢، وكنز الفوائد ٥٥:١، والبحار ٣٩:١٩ و ٦٤].

إلى آخر الأبيات، وقد تقدّمت تمام اشعاره في قصة المبيت.

وفي "البحار" عن أخطب خوارزم: روى حديثاً يرفعه بإسناده قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'نزل عليَّ جبرئيل صبيحة يوم الغار، فقلت: حبيبي جبرئيل، أراك فرحاً؟ فقال: يا محمّد، وكيف لا أكون كذلك، وقد قرّت عيني بما أكرم اللَّه به أخاك ووصيّك وإمام أُمّتك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: بماذا أكرمه اللَّه؟ قال: باهى بعبادته البارحة ملائكته، وقال: ملائكتي، انظروا إلى حجّتي في أرضي بعد نبيّي، وقد بذل نفسه وعفّر خدّه في التراب تواضعاً لعظمتي، أُشهدكم أنّه إمام خلقي ومولى بريّتي'.

[بحار الأنوار ٨٧:١٩، و روى مثله يعقوبي في تاريخه ٣٩: ٢، و ابن الصباغ فى الفصول المهمّه: ٤٨، و الحلبي فى السيره ١٩٢: ٢، و الفخر الرازي في تفسيره ١٧٤: ٥].

روى ابن شهرآشوب، عن أبى الفضل الشيباني بإسناده عن مجاهد، قال: فخرت عائشة بأبيها ومكانه مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وسلّم في الغار، فقال عبداللَّه بن شدّاد بن الهاد: فأين أنت من عليّ بن أبي طالب، حيث نام في مكانه، وهو يرى أنّه يقتل؟! فسكتت ولم تحر جواباً.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٥٧].

ثمّ قال ابن شهر آشوب: وشتّان بين قوله: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ' وبين قوله: "لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"، وكان النبيّ صلى الله عليه و آله معه يقوّي قلبه، ولم يكن مع عليّ، وهو لم يصبه وجع، وعليّ يرمى بالحجارة، وهو مختفٍ في الغار، وعليّ ظاهر للكفّار.

[المصدر السابق: ٥٨].

وعنه أيضاً: عن الطبري والخطيب القزويني والثعلبي: ونجّى اللَّه رسوله من مكرهم، وكان اللَّه تعالى بيّت عليّ على فراشه "صلوات اللَّه وسلامه عليهما".

[المصدر السابق: ٥٩].

ومن فضائله: أنّ اللَّه تعالى زاد مولانا عليّاً عليه السلام من القوّة الإلهيّة والقدرة الربّانيّة إلى أنّه ما قنع له أن يفدي النبيّ صلى الله عليه و آله بنفسه الشريفة حتّى أمره أن يكون مقيماً بعده في مكّة مهاجراً للأعداء قد هرّبه منهم وستره بالمبيت على الفراش وغطّاه عنهم، وهذا ما لا يحتمله قوّة البشر إلا بآيات باهرة من واهب النفع ودافع الضرر.

[البحار ١٩:٩٦].

ومن فضائله ايضاً: أنّ اللَّه جلّ جلاله لم يقنع لمولانا عليّ عليه السلام بهذه الغاية الجليلة حتّى زاده من المناقب الجميلة وجعله أهلاً أن يقيم ثلاثة أيّام بمكّة لحفظ عيال سيّدنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأن يسير بهم ظاهراً على رغم الأعداء وهو وحيد من رجاله ومن يساعده على ما بلغ من المخاطرة إليه.

[البحار ١٩:٩٦].

علي والزواج من فاطمة

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "أتاني مَلكٌ، فقال: يا محمّد، إنّ اللَّه عزّوجلّ يقرأ عليك السلام ويقول: قد زوّجت فاطمة من عليّ عليه السلام، فزوّجها منه، وقد أمرتُ شجرة طوبى أن تحمل الدرّ والمرجان والياقوت، وإنّ أهل السماء قد فرحوا بذلك، وسيولد لهما ولدان سيّدا شباب أهل الجنّة، وبهم يتزيّن أهل الجنّة، فابشر - يا محمّد - فإنّك خير الأوّلين والآخرين'.

صحيفة الإمام الرضا "ع": ١٧٢، رقم ١٠٨

و انظر كشف الغمّة - باب المناقب ١:٤٦٧ .

فاطمة الزهراء الطاهرة

يدور بحثنا في هذا الفصل حول زواج فاطمة من عليّ بن أبي طالب "سلام اللّٰه عليهما" وحسب ما اتّبعناه في الكتاب فإنّنا نورد ما يناسب هذا الفصل، لكن رأينا أنّ من الجفاء أن نمرّ على هذا الزواج من دون أن نتطرّق إلى حياة بضعة رسول اللّٰه وزوجة عليّ عليهماالسلام الوفيّة، ولذلك فإنّنا نذكر هنا قبساً من حياة سيّدة الدارين وفضائلها ومناقبها، ونضعها بين يدي القرّاء الكرام، ثمّ نحيل الكلام إلى ما يتعلّق بزواجها من أمير المؤمنين عليهماالسلام.

عمرها الشريف

اختلف العامّة والخاصّة في تاريخ ولادتها ووفاتها وفي عمرها الشريف.

والمشهور بين علماء الخاصّة أنّ ولادتها كانت في جمادى الآخرة يوم العشرين منه سنة خمس وأربعين من مولد النبيّ صلى الله عليه و آله - يعني سنة خمس من المبعث -، فأقامت فاطمة مع أبيها بمكّة ثماني سنين، وهاجرت إلى المدينة مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وعاشت في المدينة عشر سنين، وبعد أبيها خمسة وسبعين أو تسعين يوماً، وكان عمرها الشريف ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعين، أو تسعين، يوماً، أو أربعين يوماً.

[راجع: أُصول الكافي ١:٤٥٩، المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣٥٧، كشف الغمّة ٣:٤، دلائل الإمامة: ١٠ - ٩].

وذكر أغلب علماء العامّة أنّها عليهاالسلام ولدت قبل النبوّة والبعث بخمس سنين، وقريش تبني البيت، وتزوّجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام في شهر رمضان المعظّم قدره من السنة الثانية من الهجرة، ودخل بها في ذي الحجّة من السنة المذكورة.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٤٤].

منشؤها

روى المجلسي عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، قال: "قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة، فناولني من رطبها فأكلته، فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، فلمّا

هطبت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة" "صلوات اللّٰه وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها".

[بحار الأنوار ٤٣:٤، وفي ذلك أخبار أُخر تدور حول هذا المعنى، راجع: الدرّ المنثور ٥:٢١٨، المعجم الكبير ٢٢:٤٠٠، ح ١٠٠٠، مستدرك الحاكم ٣:١٥٦، تاريخ بغداد ٥:٨٧، وغيرها].

كراماتها عند الحمل والولادة

روى ابن شهر آشوب في "المناقب" عن الصادق عليه السلام - في حديث - قال: "إنّ خديجة لمّا تزوّج بها رسول اللّٰه هجرها نساء مكّة فاستوحشت لذلك، فلمّا حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدّثها من بطنها، فسمع ذلك يوماً رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: يا خديجة، هذا جبرئيل يبشّرني أنّها ابنتي، وأنّها النسمة الطاهرة الميمونة، وأنّ اللّٰه سيجعل نسلي منها"، قال: "فلمّا حضرت ولادتها اغتمّت، فدخل عليها أربع نسوة سُمْر طوال، فقالت إحداهنّ: لا تحزني يا خديجة، فإنّا رسل ربّك ونحن أخواتك، وأنا سارة، وهذه آسية، وهذه مريم، وهذه كلثم أخت موسى، فجلسن عندها، فوضعت فاطمة طاهرة فأشرق منها النور، حتّى دخل بيوتات مكّة، ودخل عشر من الحور العين معهنّ الأباريق والطاس، وفي الأباريق ماء من الكوثر فغسلنها به ولفّفنها في خرقتين بيضاوين أشدّ بياضاً من اللبن، وأطيب ريحاً من المسك، فنطقت فاطمة، وقالت: أشهد أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّ أبي رسول اللّٰه سيّد الأنبياء، وأنّ بعلي سيّد الأوصياء، وولدي سادة الأسباط، ثمّ سلّمت عليهنّ وسمّت كلّ واحدة باسمها، وتباشرت الحور العين، فقلن: خذيها - يا خديجة - طاهرة مطهّرة، زكيّة ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فكانت تنمو في اليوم كما ينمو الصبيّ في الشهر".

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣٤٠].

لم سمّيت فاطمة فاطمة

روى الكليني وغيره، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "لمّا ولدت فاطمة عليهاالسلام أوحى اللّٰه إلى ملك فانطق به لسان محمّد فسمّاها فاطمة ثمّ قال: "إنّي فطمتك بالعلم، وفطمتك من الطمث"

[الفطام: فصل الولد عن الرضاع، والطمث: الدنس والفساد، طمثت المرأة أي حاضت، ومعنى قوله صلى الله عليه و آله: "فطمها اللّٰه بالعلم"، أي أرضعها بالعلم، أو قطعها عن الجهل بسبب العلم، أو كناية عن كونها في بدو فطرتها عالمة بالعلوم الربّانيّة، وقوله صلى الله عليه و آله: "وعن الطمث"، كناية عن الأخلاق والأفعال

الذميمة، أو عن الحيض كما هو معنى البتول، وهي لم ترَ حمرة قطّ أي لم تحض. راجع: بحار الأنوار ١٥٠:٤٣].

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: 'واللّه، لقد فطمها اللّه بالعلم وعن الطمث في الميثاق'.

[أُصول الكافي ٤٦٠:١، وكشف الغمّة - باب المناقب ١٩:٢].

و في المناقب عن الكلبي، عن جعفر بن محمّد عليهماالسلام، قال: 'قال النبيّ لعليّ "سلام اللّه عليهما": هل تدري لِمَ سمّيت فاطمة؟ قال عليّ: لِمَ سمّيت فاطمة يا رسول اللّه، قال: لأنّها فطمت هي وشيعتها من النّار'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣٢٩:٣، كشف الغمّة ٢٠:٢].

وفيه أيضاً عن جابر بن عبداللّه الأنصاري، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ اللّه فطمها وفطم محبّيها عن النّار'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣٣٠:٣، وفي البحار ١٥:٤٣ نحوه، وينابيع المودّة: ٢٥٩].

وفيه أيضاً عن الصادق عليه السلام: 'أتدري أي شي ء تفسير فاطمة؟'، قلت: اخبرني يا سيّدي، قال: 'فطمت من الشرّ'. [المناقب ٣٣٠:٣].

ويقال: إنّها سمّيت فاطمة لأنّها فطمت عن الطمث. [المناقب ٣٣٠:٣].

لم سمّيت فاطمة الزهراء

عن الحسن بن يزيد، قال: قلت لأبي عبداللّه عليه السلام: لِمَ سمّيت فاطمة الزهراء؟ قال: "لأنّ لها في الجنّة قبّة من ياقوت حمراء، ارتفاعها في الهواء مسيرة سنة، معلّقة بقدرة الجبّار، لا علاقة لها من فوقها فتمسكها، ولا دعامة لها من تحتها فتلزمها، لها مائة ألف باب، على كلّ باب ألف من الملائكة، يراها أهل الجنّة كما يرى أحدكم الكوكب الدرّي الزاهر في أفق السماء فيقولون: هذه الزهراء لفاطمة عليهاالسلام'.

[بحار الأنوار ١٦:٤٣].

وفي "كشف الغمّة": سئل أبو جعفر عليه السلام: لِمَ سمّيت الزهراء؟ قال: 'لأنّ اللّه تعالى خلقها من نور عظمته، فلمّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرّت الملائكة للّه ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيّدنا، ما هذا النور؟ فأوحى اللّه إليهم: هذا نور من نوري، أسكنته في سمائي، وخلقته من عظمتي، أُخرجه من صلب نبيّ من أنبيائي أفضّله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمّة يقومون بأمري ويهدون إلى حقّي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ٢١:٢].

فاطمة سيّدة نساء العالمين

١- في "البحار": عن الحسن بن زياد العطّار، قال: قلت لأبي عبداللّٰه عليه السلام: قول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة'، أسيّدة نساء عالمها؟ قال الصادق عليه السلام: 'تلك مريم، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين'.

[بحار الأنوار ٤٣:٢١].

٢- وفي "المناقب": روت عائشة وغيرها عن النبيّ صلى الله عليه و آله: 'أنّه قال: يا فاطمة، ابشري، فإنّ اللّٰه تعالى اصطفاك على نساء العالمين وعلى نساء الإسلام وهو خير دين'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣٢٢، والبحار ٤٣:٣٦].

٣- وفيه أيضاً عن حذيفة، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'أتاني ملك فبشّرني أنّ فاطمة سيّدة نساء الجنّة، أو نساء أمّتي'.

[المصدر السابق ٣:٣٢٣].

٤- وفي "صحيح البخاري" في باب مناقب فاطمة عليهاالسلام، قال: وقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة'.

[صحيح البخاري ٥:٩٦، طبع دار العلم - بيروت].

كانت فاطمة عالمة

روى ابن شهر آشوب عن جعفر بن محمّد عن الصادق عليه السلام: 'أنّ اللّٰه تعالى أعطى عشرة أشياء لعشرة من النساء: التوبة لحواء زوجة آدم، والجمال لسارة زوجة إبراهيم، والحفاظ لرحيمة زوجة أيّوب، والحرمة لآسية بزوجة فرعون، والحكمة لزليخا زوجة يوسف، والعقل لبلقيس زوجة سليمان، والصبر لبرحانة أمّ موسى، والصفوة لمريم أمّ عيسى، والرضى لخديجة زوجة المصطفى، والعلم لفاطمة زوجة المرتضى'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣٢١، وبحار الأنوار ٤٣:٣٦].

فاطمة وعبادتها وسيرتها

١- عن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: 'رأيت أمّي فاطمة عليهاالسلام قامت في محرابها ليلة جمعة فلم تزل راكعة وساجدة حتّى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمّيهم وتكثر الدعاء

لهم، ولا تدعو لنفسها بشي ء، فقلت لها: يا أُمّاه، لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُنيّ، الجار ثمّ الدار'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ٢:٢٥].

٢- عن الحسن البصري، قال: ما كان هذه الأُمّة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتّى تورّم قدماها، وقال النبيّ صلى الله عليه و آله لها: 'أيّ شي ء خيرٌ للمرأة؟'، فقالت: 'أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل'، فضمّها إليه وقال: 'ذرّيّة بعضها من بعض'.

برّة طيّبة طاهرة*** مريم الكبرى عفافاً وورع

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣٤١].

٣- عن عليّ عليه السلام، قال: 'إنّ فاطمة بنت رسول اللّٰه عليهماالسلام استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبيّ صلى الله عليه و آله: لِمَ حجبتيه وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول اللّٰه، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: أشهد أنّكِ بضعة منّي'.

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٣٨١، ح ٤٢٨].

جلالها يوم القيامة

١- عن ابن عبّاس، وعن أبي أيّوب، وعن أبي هريرة، كلّهم، عن النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: 'إذا كان يوم القيامة ووقف الخلائق بين يدي اللّٰه تعالى، نادى منادٍ من وراء الحجاب: أيّها النّاس، غضّوا أبصاركم، ونكّسوا من رؤوسكم، فإنّ فاطمة بنت محمّد تجوز على الصراط'.

وفي حديث أبي أيّوب: 'فيمرّ معها سبعون جارية من الحور العين كالبرق اللامع'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣٢٦، وفي كشف الغمّة - باب المناقب ٢:١٣ نحوه].

٢- عن أبي أيّوب، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إذا كان يوم القيامة جمع اللّٰه الأوّلين والآخرين في صعيد واحد ثمّ ينادي منادٍ من بطنان العرش: إنّ الجليل جلّ جلاله يقول: نكّسوا وغضّوا أبصاركم، فإنّ هذه فاطمة بنت رسول اللّٰه تريد أن تمرّ على الصراط'.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٤٧، و نحوه في ينابيع المودّة: ٢٦٠].

في حبّ النبيّ إيّاها

١- في "المناقب": عن عبداللّٰه بن بريدة، عن أبيه، قال: سألت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: أي النساء أحبّ إليك؟ قال: 'فاطمة'، قلت: من الرجال؟ قال: 'زوجها'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣٣٢].

٢- وفي "ينابيع المودّة" عن عائشة، قالت: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'فاطمة بضعة منّي، فمن آذاها فقد آذاني'.

[ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ٢٦٠].

٣- وفي "صحيح مسلم" و "حلية الأولياء" بسندهما عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قال: 'إنّما فاطمة ابنتي بضعة منّي، يريبني ما أرابها

[أي يسوئني ما يسوءها].

ويؤذيني من آذاها'.

[صحيح مسلم ٤:١٩٠٣، ح٩٤، حلية الأولياء ٢:٤٠، والمناقب لابن شهرآشوب ٣:٣٣٢].

٤- عن سعد بن أبي وقّاص، قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه و آله يقول: 'فاطمة بضعة منّي، من سرّها فقد سرّني، ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعزّ البريّة عليَّ'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣٠:٣٣٢].

٥- عن المسور بن مخرمة: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: 'فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني'.

[صحيح البخاري ٥:٩٦، ح٢٧٨].

٦- عن مجاهد، قال: خرج النبيّ صلى الله عليه و آله وهو آخذ بيد فاطمة عليهاالسلام فقال: 'من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي وروحي الّتي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّٰه'.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٤٦، بحار الأنوار ٤٣:٥٦].

الكلام في زواجها من عليّ

كلمة حول النكاح

لا شكّ أنّ النكاح من سنن اللّه تعالى في عباده. قال اللّه تعالى: "وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ".

[سورة النور: ٣٢].

والمقصود منه التناسل والتكاثر تحت ظلّ القانون الإلهي، وليس الهدف منه إشباع الغريزة الجنسيّة فقط، بل هو من ضمنه، وإنّما هو كالحصن يحفظ الإنسان من فساد الخلاعة وويلات الفجور، والهدف الأصلي من النكاح تأسيس بيت عائلي لتكوين جيل يزيد من ارتباط الوالدين، ويحملهما على تحمّل المسؤوليات الّتي يتطلّبها الجيل من بدء إيجاده إلى أن يقطع أدوار الحياة وأطوارها من جنين ووليد ورضيع وفطيم وصبي وغلام ومراهق وشابّ ويافع، أو بنت وشابة وفتاة وامرأة.

فالنسل بحاجة ماسّة في أدواره إلى الكفيل والمربّي والمنفق والمؤدّب والوليّ إلى جانب حاجته إلى الرضاعة والحضنة والتربية والعناية والخدمة، وتأمين لوازم الحياة من المأكل والملبس وغير ذلك، ولا نحتاج إلى الدليل والبرهان في هذا البحث.

وللأسف الشديد فإنّ المشاكل الّتي سدّت على شبابنا طرق الزواج، وجعلتهم يهابون النكاح ولا يخافون السفاح، ويفضّلون الكبت والضغط على غرائزهم، أو يُرجّحون الفساد والمجون على انتخاب زوجة تشاركهم حلو الحياة ومرّها، وأفراحها وأتراحها، هذه المشاكل كانت موجودة في الجاهلية ولكن بصورة أُخرى، كغلاء المهر والعصبيات القبلية، وما يشاكلها، والّتي تخلق لهم الأزمات بجميع أقسامها، واشتدّت الحالة حتّى أدّت إلى دفن البنات وهنّ على قيد الحياة. قال اللّه تعالى: "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ".

[سورة التكوير: ٨ و ٩].

وقال اللّه تعالى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".

[سورة النحل: ٥٨ و ٥٩].

فكان من جملة الخطوات الإصلاحيّة الّتي قام بها الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله هو القضاء على هذه العادات الجهنميّة والتقاليد الجاهليّة، وإلى هذه الناحية أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ".

[سورة الأعراف: ١٥٧].

ولم يكتف الرسول الأقدس صلى الله عليه و آله بمكافحة هذه السلبيات عن طريق اللسان، فالكلام وحده لا يجدي نفعاً، وإنّما قام الرسول صلى الله عليه و آله بفكّ هذه الأغلال من طريق العمل، فمن جملة ذلك: أنّه زوّج ابنته الطاهرة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليهاالسلام بأبسط ما يمكن، وتجسّم التساهل في ذلك الزواج المبارك بخفّة المؤونة، وانتهاء الأمر بكلّ بساطة، بعيداً عن التكاليف المجهدة المتعبة التى يفرّ من تبعاتها الشباب المغلول بسلاسل التقاليد، فيفضّل العزوبة على الزواج المقرون بالمشاكل.

تاريخ الزواج، ومهرها، و اذن اللّٰه في ذلك

رُوي أنّه كان بين تزويج أمير المؤمنين وفاطمة "سلام اللّٰه عليها" في السماء إلى تزويجهما في الأرض أربعين يوماً، زوّجها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من عليّ أوّل يوم من ذي الحجّة، وروي أنّه كان يوم السادس منه بعد مقدمها المدينة بسنتين بعد بدر.

[انظر: المناقب لابن شهرآشوب ٣:٣٤٩ و ٣٥٧، وبحار الأنوار ٤٣:٩٢].

وفي "الاستيعاب" لابن عبدالبرّ: وزوّجه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله و سلم في سنة ثنتين من الهجرة ابنته فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة ما خلا مريم، وقال لها: 'زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة، وإنّه لأوّل أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، قالت أسماء بنت عميس: فرمقت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حين اجتمعا جعل يدعو لهما ولا يشرك في دعائهما أحداً غيرهما، وجعل يدعو له كما دعا لها.

[الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٦].

و قد وردت هنا روايات على مقدار مهرها و ايضاً اخبار تدلّ على اذن اللّٰه تعالى و رضاية النبي صلى الله عليه و آله في تزويج فاطمة و علي عليهماالسلام فنذكر فيما يلي بعضاً منها:

١- روى في "المناقب": عن أبي بكر مردويه فى "فضائل أمير المؤمنين" بالإسناد عن أنس بن مالك، و"كتاب أبي القاسم سليمان الطبري" بالإسناد عن ابن مسعود كلاهما أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: 'إنّ اللّٰه تعالى أمرنى أن أزوّج فاطمة من عليّ'. [المصدر السابق ٣٥١ - ٣٥٠ :٣].

٢- وفيه أيضاً: رُوي في حديث عنه صلى الله عليه و آله: 'وقد زوّجتها إيّاك على أربعمائة مثقال فضّة إن رضيت يا عليّ؟'، قال: 'رضيت، يا رسول اللّٰه'. [المصدر السابق ٣٥١ - ٣٥٠ :٣].

٣- وفيه أيضاً عن الحسين بن عليّ عليهماالسلام: 'زوّج النبيّ صلى الله عليه و آله فاطمة عليّاً عليه السلام على أربعمائة وثمانين درهماً'. [المصدر السابق ٣٥١ - ٣٥٠ :٣].

٤- وروي أنّ مهرها أربعمائة مثقال فضّة'. [المصدر السابق ٣٥١ - ٣٥٠ :٣].

٥- وفيه أيضاً، وفي "ينابيع المودّة": عن أنس، وعن ابن عبّاس، والقاضي النطنزي، عن سفيان بن عيينة، عن جعفر الصادق عليه السلام، واللفظ له في قوله: 'مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ' [سورة الرحمن: ١٩].

قال: 'عليّ وفاطمة بحران عميقان، لا يبغي أحدهما على صاحبه'. [المناقب ٣:٣١٨، وينابيع المودّة: ١١٨].

٦- وفي رواية أُخرى: 'بينهما برزخ: رسول اللّٰه، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين عليهماالسلام'.

[المناقب ٣:٣١٨، وينابيع المودّة: ١١٨].

٧- روى القندوزي الحنفي أخرجه أبو حاتم، عن أنس، قال: جاء عليّ عليه السلام إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بعد ما خطب أبو بكر وعمر فاطمة، قال لي عليّ: 'قلت: يا رسول اللّٰه، تزوّجني من فاطمة؟ قال: هل عندك شي ء؟ قلت: عندي فرس ودرع، قال: أمّا فرسك فلا بدّ لك منها، وأمّا درعك فَبِعْها، فبعتها بأربعمائة وثمانين درهماً، فجئته بها، فقبض منها قبضة، فقال: أي بلال، اشترِ لنا بها طيباً، واجعل لها سريرة من شرط، ووسادة من أدم حشوها ليف، وقال لي: لا تُحدث شيئاً حتّى آتيك، فجاء مع أُمّ أيمن، وقال: هاهنا أخي؟ فقالت أُمّ أيمن: نعم، أخوك وقد زوّجته ابنتك. قال صلى الله عليه و آله: نعم، ودخل البيت فقال لفاطمة: 'ائتيني بماء، فقامت إلى قعب في البيت فأتت بماء فأخذه، ومجّ فيه، ثمّ قال: يا فاطمة، تقدّمي، فتقدّمت، فنضح الماء بين يديها وعلى رأسها، وقال: اللّهمّ، إنّي أُعيذها بك وذرّيّتها من الشيطان الرجيم، ثمّ قال لها: ائتيني بماء، فقمت فملأت القعب ماء. وأتيته به، فأخذه ومجّ فيه، ونضح الماء بين يديّ وعلى رأسي، وقال: اللّهمّ إنّي أُعيذه بك وذرّيّته من الشيطان الرجيم، ثمّ قال لي: أُدخل بأهلك، باسم اللّٰه والبركة'.

[ينابيع المودّة: ١٩٦].

حضور الملائكة في زواج عليّ من فاطمة

١- عن ابن عبّاس، قال: لمّا كانت الليلة الّتي زفّت فيها فاطمة إلى عليّ "صلوات اللّٰه عليهما" كان النبيّ صلى الله عليه و آله قدّامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من ورائها، يسبّحون اللّٰه ويقدّسونه'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٤٧٦، وفرائد السمطين ١:٩٦، ح٦٥].

٢- وروى الكليني بسنده عن عليّ بن جعفر، قال: 'سمعت أبا الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: بينا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً، فقال له رسول اللّٰه: حبيبي جبرئيل، لم أرك في مثل هذه الصورة؟

قال الملك: لست بجبرئيل - يا محمّد -، بعثني اللّٰه عزّ وجلّ أن أزوّج النور من النور، قال: من ممّن؟ قال: فاطمة من عليّ، قال: فلمّا ولّى الملك إذا بين كتفيه: محمّد رسول اللّٰه، عليّ وصيّه، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: منذ كم كُتب هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق اللّٰه آدم باثنين وعشرين ألف عام'

[أُصول الكافي ١: ٤٦٠].

٣- و في "غاية المرام": عن أبي المؤيّد موفّق بن أحمد من أعيان علماء العامّة في "كتاب فضائل عليّ عليه السلام" بسنده عن سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي جعفر المنصور الدوانيقي خليفة بني العبّاس، قال: حدّثني والدي، عن أبيه، عن جدّه، قال: كنّا عند رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قعوداً، فأقبلت فاطمة عليهاالسلام وقد حملت الحسن على كتفها، وهي تبكي بكاءً شديداً، وتشهق في بكائها، فقال لها رسول اللّٰه: 'ما يبكيك يا فاطمة لا أبكى اللّٰه عينيك'، قالت: 'يا أبه، وكيف لا أبكي ونساء قريش قد عيّرنني وقلن لي: إنّ أباك قد زوّجك برجل فقير مُعدم لا ماله له'، فقال لها رسول اللّٰه: 'لا تبكي - يا فاطمة - فواللّٰه ما أنا زوّجتك، بل اللّٰه عزّ وجلّ زوّجك من فوق سبع سماواته، وأشهد على ذلك جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، ثمّ إنّ اللّٰه عزّ وجلّ اطّلع على أهل الأرض اطلاعةً، فاختار من الخلائق عليّاً فزوّجك إيّاه، واتّخذته وصيّاً، وعليٌّ منّي وأنا منه، وعليّ أشجع النّاس قلباً، وأعلم النّاس علماً، وأحلم النّاس حلماً، وأقدم النّاس سلماً، والحسن والحسين ابناه سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين، وسمّاها اللّٰه في التوراة على لسان موسى شبّر وشبير لكرامتهما على اللّٰه تعالى. يا فاطمة، لا تبكي، فإنّي إذا دعيت إلى ربّ العالمين فيكون عليّ معي، وإذا بعثت غداً بعث عليّ معي. يا فاطمة، لا تبكي فإنّ عليّاً وشيعته غداً هم الفائزون يدخلون الجنّة'.

[غاية المرام: ١٥٥، باب٢٢ من المقصد الأوّل، حديث ١٥].

لولا عليّ لما كان لفاطمة كفؤ

روى الكليني بسنده عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: سمعته يقول: "لولا أنّ اللّٰه تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين لفاطمة عليهماالسلام ما كان لها كفوٌ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه".

[أُصول الكافي ١: ٤٦١، وفي المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١٨١ نحوه].

وفي "المناقب": عوتب النبيّ صلى الله عليه و آله في أمر فاطمة، فقال: "لو لم يخلق اللّٰه عليّ بن أبي طالب لما كان لفاطمة كفؤ".

[المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١٨١].

قال الصاحب:

كفؤ البتول ولا كفؤ سواه لها*** والأمر يكشفه أمر يوازيه

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٨١].

وله أيضاً:

يا كفؤ بنت محمّد لولاك ما*** زفّت إلى بشر مدى الأحقاب

يا أصل عدّة أحمد لولاك لم*** يك أحمد المبعوث ذا أعقاب

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٨١].

تفصيل كيفيّة زواج عليّ من فاطمة

نشير هنا إلى بعض تفاصيل الواقعة كما رواها العلامة الشيخ عبدالله الحنفي في كتاب "الرقائق" المعروف بالاخوانيّات، قال: لقد خطبها - فاطمة - أبو بكر وعمر، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه و آله: 'إنّ أمرها إلى الله تعالى'، ثمّ إنّ أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ كانوا جلوساً في مسجد رسول الله فتذاكروا أمر فاطمة عليهاالسلام، فقال أبو بكر: قد خطبها الأشراف فردّهم رسول الله صلى الله عليه و آله، وقال: 'أمرها إلى الله تعالى'.

إلى أن قال: ثمّ إنّ عليّاً أقبل إلى منزل رسول الله عند أمّ سلمة فطرق الباب، فقالت: من بالباب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: 'قومي وافتحي الباب له، هذا رجل يحبّه الله ورسولهُ ويحبّهما'، فقالت: فداك أبي وأمّي، مَن هذا؟ فقال: 'هذا أخي، وأحبّ الخلق إليّ'.

قالت أمّ سلمة: فقمتُ مبادرةً أكاد أعثر في مرطي، ففتحت الباب فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب عليه السلام: فوالله ما دخل عليّ حتّى علم أنّي قد رجعت إلى خدري، فدخل فسلّم فردّ عليه النبيّ صلى الله عليه و آله، ثمّ قال له: 'اجلس'، فجلس بين يدي النبيّ صلى الله عليه و آله وجعل يطرق إلى الأرض كأنّه قاصد حاجة يستحي منه، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، كأنّك قاصد حاجة، فابدأ بما في نفسك فكلّ حاجتك عندي مقضيّة؟'.

فقال عليّ عليه السلام: 'فداك أبي وأمّي يا رسول الله، إنّك لتعلم أنّك أخذتني من عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد، وأنا صبي لا عقل لي، فهديتني وأدّبتني، فكنت لي أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة، وإنّ الله عزّ وجلّ هداني بك، وإنّك - يا رسول الله - ذخري ووسيلتي في الدنيا والآخرة، وقد أحببت مع ما شدّ الله عزّ وجلّ بك عضدي أن يكون لي بيت زوجة أسكن إليها، وقد أتيت خاطباً ابنتك فاطمة، فهل تزوّجني يا رسول الله؟'.

قالت أمّ سلمة: فرأيت وجه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قد تهلّل فرحاً وسروراً، ثمّ تبسّم في وجه عليّ، وقال: 'يا عليّ، هل معك شي ء تصدقها إيّاه؟'، قال: 'واللَّه! ما يخفى عليك حالي، ولا من أمري شي ء، ما أملك غير درعي وسيفي وناضحي'.

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، أمّا سيفك فلا غنى لك عنه، تجاهد به في سبيل اللَّه، وأمّا ناضحك فتنضح على أهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكن أُزوّجك على درعك، ورضيت به منك، وأبشر - يا أبا الحسن - فإنّ اللَّه قد زوّجك بها في السماء قبل أن أُزوّجك بها في الأرض، ولقد هبط عليَّ ملك من السماء قبل أن تأتيني، لم أرَ قبله في الملائكة مثله بوجوه شتّى وأجنحة شتّى، فقال لي: السلام عليك - يا رسول اللَّه - أبشر باجتماع الشمل وطهارة النسل، فقلت: وما ذاك أيّها الملك؟ فقال: يا محمّد، أنا الملك الموكّل بإحدى قوائم العرش سألت اللَّه أن يأذن لي ببشارتك، وهذا جبرئيل عليه السلام على أثري يخبرك عن ربّك بكرامة اللَّه عزّ وجلّ لك' قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'فما استتمّ الملك كلامه حتّى هبط جبرئيل فقال: السلام عليك - يا رسول اللَّه - ورحمة اللَّه وبركاته، ثمّ وضع في يدي حريرة بيضاء، فيها سطران مكتوبان بالنور، فقلت: حبيبي جبرئيل، ما هذه الخطوط؟ قال: إنّ اللَّه عزّ وجلّ قد اطّلع على الأرض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالته، ثمّ اطّلع إليه ثانية واختار منها لك أخاً ووزيراً وصاحباً وحبيباً، فزوّجه ابنتك فاطمة، فقلت: حبيبي جبرئيل، ومن هذا الرجل؟ فقال: أخوك في الدين، وابن عمّك في النسب عليّ بن أبي طالب، وإنّ اللَّه تعالى أوحى إلى الجنان أن تزخرفي

[زخرفه: حسّنه وزيّنه، وتزخرف الرجل: تزيّن].

وإلى الحور العين أن تزيّني، وإلى شجرة طوبى أن احملي الحليّ والحُلل، وأمر الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور، فهبطت ملائكة الصفح الأعلى، وأمر اللَّه تعالى رضوان أن ينصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور، وهو المنبر الّذي خطب عليه آدم عليه السلام حين علّمه الأسماء، وأمر اللَّه عزّ وجلّ ملكاً من ملائكة الحجب يقال له: راحيل فعلا على ذلك المنبر، فحمد اللَّه تعالى بجميع محامده، وأثنى عليه بما هو أهله، فارتجّت السماوات فرحاً وسروراً.

قال جبرئيل عليه السلام: وأوحى اللَّه تعالى إليَّ أن أعقد عقدة النكاح، فإنّي زوّجت عليّاً وليّي بفاطمة أمتي بنت رسولي وصفوتي من خلقي محمّد، فعقدت عقدة النكاح، وأشهد ذلك الملائكة وكتب شهادتهم في هذه الحريرة، وقد أمرني ربّي أن أعرضها واختمها بخاتم مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان، إنّ اللَّه تعالى لمّا أشهد على تزويج فاطمة ملائكته، أمر شجرة طوبى أن تنثر ما فيها من الحُلل، فنثرت ذلك،

والتقطته الحور العين والملائكة، وإنّ الحور العين ليتهادينه إلى يوم القيامة، وقد أمرني أن آمرك بتزويجها عليّاً في الأرض، وأن أُبشّرها بغلامين زكيّين نجيبين فاضلين جيّدين في الدنيا والآخرة".

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "فواللَّه! ما عرج الملك - يا أبا الحسن - حتّى طرقت الباب، ألا وإنّي مستنفذ فيك أمر ربّي، فامض - يا أبا الحسن - أمامي فإنّي ذاهب إلى المسجد، ومزوّجك على رؤوس النّاس، وذاكر من فضلك ما تقرّ به عينك"، قال عليّ: "فخرجت من عنده مسرعاً وأنا لا أعقل من شدّة الفرح، فاستقبلني أبو بكر وعمر، فقالا لي: ما وراءك يا أبا الحسن، قلت: زوّجني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فاطمة، وأخبرني أنّ اللَّه تعالى زوّجني بها في السماء، وهذا رسول اللَّه آت على أثري إلى المسجد، فيقول ذلك في محضر من النّاس، فدخلا المسجد، فواللَّه! ما توسّطاه حتّى لحق بنا رسول اللَّه ووجهه يتهلّل سروراً".

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "يا بلال، اجمع المهاجرين والأنصار"، فانطلق بلال لأمر رسول اللَّه، وجلس النبيّ صلى الله عليه و آله قريباً من منبره حتّى اجتمع النّاس، ثمّ قام فوق المنبر، وحمد اللَّه وأثنى عليه، ثمّ قال: "معاشر المسلمين، إنّ جبرئيل أتاني آنفاً، فأخبرني أنّ اللَّه تعالى استشهد الملائكة عند البيت المعمور، أنّه زوّج أمته فاطمة ابنتي من عليّ".

ثمّ قام عليّ عليه السلام وحمد اللَّه وأثنى عليه، فقال: "الحمد للَّه شكراً لأنعمه وأياديه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له ولا شبيه، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ونبيّه النبيه، وحبيبه الوجيه، صلّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه، وأزواجه وبنيه، صلاة دائمة ترضيه، وبعد: فإنّ النكاح سُنّة أمر اللَّه به وأذن فيه، وقد زوّجني رسول اللَّه ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعي هذا، وقد رضي ورضيت، فاسألوه واشهدوا"، فقال المسلمون لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟: زوّجته يا رسول اللَّه؟ قال: "نعم"، فقال المسلمون: بارك اللَّه لهما وعليهما وجمع شملهما.

ثمّ قال عليّ عليه السلام: "فأخذت درعي ومضيت به إلى السوق، فبعته بأربعمائة درهم". ثمّ إنّه عليه السلام أخذ الدراهم وأتى بها إلى النبيّ صلى الله عليه و آله، فقبض النبيّ صلى الله عليه و آله قبضة من الدراهم، ثمّ دعا بأبي بكر، فقال: يا أبا بكر، اشترِ بهذه الدراهم ما يصلح لفاطمة في بيتها، وأرسل معه سلمان وبلال يعينانه على حمل ما يشتريه.

قال أبو بكر: وكانت الدراهم الّتي دفعها إليَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ثلاث وستّون درهماً، فاشتريت فراشاً من خيش محشو بالصوف، وقطعاً من أديم، ووسادة من أديم حشوها ليف النخل، وقربة للماء، وكيزاناً

وستراً صوفه رقيق، فحملت أنا بعضه وسلمان بعضه وبلال بعضه، وأقبلنا فوضعناه بين يدي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فلمّا نظر إليه بكى، ثمّ رفع رأسه إلى السماء، وقال: 'اللّهمّ بارك لقوم شعارهم الخوف منك'.

[وفي بحار الأنوار "٤٣: ١٣٠": ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: 'اللّهمّ بارك لقوم جُلّ آنيتهم الخزف'].

قال عليّ عليه السلام: 'ودفع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله باقي ثمن الدرع إلى اُمّ سلمة، وقال: ارفعي هذه الدراهم عندك، فمكثت بعد ذلك شهراً، لا اُعاود رسول اللَّه شيئاً منه، غير أنّي كنتُ إذا خلوت برسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول لي: يا أبا الحسن، زوّجتك سيّدة نساء العالمين'.

قال عليّ عليه السلام: 'فلمّا كان بعد شهر، دخل عليَّ أخي عقيل، فقال: يا أخي، واللَّه ما فرت قطّ بشي ء كفرحي بتزويجك فاطمة بنت رسول اللَّه "صلوات اللَّه وسلامه عليهما"، فإن تدخل قرّت أعيننا باجتماع شملكما، فقلت: واللَّه! إنّي لاُحبّ ذلك وما يمنعني منه إلا الحياء من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال: أقسمت عليك إلا ما قمت معي، فقمت معه نريد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فلقينا في طريقنا اُمّ أيمن مولاة رسول اللَّه، فذكرنا لها ذلك، فقالت: أمهلا ودعنا حتّى نكلّمه في أمرها، فإنّ كلام النساء أوقع في النفس من كلام الرجال، ثمّ أتيت إلى اُمّ سلمة، فأعلمتها بذلك، وأعلمت نساء رسول اللَّه، فاجتمعن اُمّهات المؤمنين إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فكان في بيت عائشة فأحدقن وقلن: يا رسول اللَّه، فديناك بآبائنا وأجدادنا، إنّا قد اجتمعنا لأمر لو أنّ خديجة في الحياة لقرّت بذلك عيناها'، قالت اُمّ سلمة، فلمّا ذكرنا خديجة بكى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وقال: 'أين مثل خديجة؟ صدّقتني حين كذّبني النّاس، وأعانتني على ديني ودنياي بمالها'.

فقالت اُمّ سلمة: يا رسول اللَّه، إنّ خديجة كانت كذلك، غير أنّها مضت إلى ربّها عزّوجلّ، فاسأل اللَّه أن يجمع بيننا وبينها في درجات الجنّة، وهذا أخوك في الدين، وابن عمّك في النسب عليّ بن أبي طالب يريد أن يدخل على زوجته فاطمة، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا اُمّ سلمة، أرسلي إلى اُمّ أيمن، وأمريها أن تنطلق إلى عليّ فتأتيني به'، فخرجت اُمّ أيمن فإذا عليّ عليه السلام ينتظرها، فقالت له: أجب رسول اللَّه.

قال عليّ عليه السلام: 'فانطلقت معها إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وهو في حجرة عائشة، فقمن أزواجه، فدخلن البيت، فجلست بين يديه مطرقاً، فقال: 'أتحبّ أن تدخل على زوجتك؟ فقلت: نعم، فداك أبي واُمّي يا رسول اللَّه، فقال: حبّاً وكرامةً، تدخل عليها في ليلتنا هذه إن شاء اللَّه'.

قال عليّ: 'ثمّ قمت من عنده فرحاً مسروراً، فأمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن تزيّن فاطمة وتطيّب ويفرش لها'، ودفع النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عشرة من الدراهم الّتي كانت عند اُمّ سلمة، وقال له:

'اشتر بهذه تمراً وسمناً وأقطاً'. قال عليّ عليه السلام: 'فاشتريت ذلك وأتيت إلى النبيّ، فحسر عن ذراعه ودعا بسفرة من أدم، فجعل يشدخ التمر بالسمن، ويخلطهما بالأقط حتّى جعله حيساً، ثمّ قال: يا عليّ، ادع من أحببت، فخرجت إلى المسجد فوجدت أصحاب رسول اللَّه، فقلت: أجيبوا رسول اللَّه، فقام القوم بأجمعهم، فأقبلوا نحوه، فأخبرته أنّ القوم كثير، فجلّل السفرة بمنديل، ثمّ قال: ليدخل عشرة عشرة، ففعلت ذلك، فجعلوا يأكلون ويخرجون، والسفرة لا تنقص حتّى أكل من ذلك الحيس سبعمائة رجل ببركة النبيّ صلى الله عليه و آله'.

ثمّ دعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بفاطمة وعليّ فأخذ عليّاً بيمينه، وأخذ فاطمة بشماله وجعلهما إلى صدره، وقبّل بين عينيهما، ثمّ رفعهما إليه، وقال: 'يا أبا الحسن، نِعْمَ الزوجة زوجتك'، ثمّ قام يمشي معهما إلى البيت الّذي لهما، ثمّ خرج وأخذ بعضادتي الباب، وقال: 'جمع اللَّه شملكما، واستودعكما اللَّه، وأستخلفه عليكما'.

[كتاب الرقائق المعروف بالاخوانيّات للشيخ عبداللَّه الحنفي: ٢٥٠، نقلاً عن الإحقاق ٤:٤٧٤، وراجع البحار أيضاً ٤٣:١٢٤].

وفي بعض التواريخ: بعدما رجعت اُمّ أيمن إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، قالت اُمّ أيمن: فقال لي رسول اللَّه: 'انطلقي إلى عليّ فآتيني به'، فخرجت من عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فإذا عليّ عليه السلام ينتظرني ليسألني عن جواب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وحضر عليّ عند رسول اللَّه، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: هَيّ ء منزلاً حتّى تحوّل فاطمة إليه'.

فقال عليّ عليه السلام: 'يا رسول اللَّه، ما هاهنا منزل إلا منزل حارثة بن النعمان'، وكان لفاطمة عليهاالسلام يوم بنى بها أمير المؤمنين عليه السلام تسع سنين، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'واللَّه! لقد استحينا من حارثة بن النعمان، قد أخذنا عامّة منازله'، فبلغ ذلك حارثة، فجاء إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: يا رسول اللَّه، أنا ومالي للَّه ولرسوله، واللَّه ما شي ء أحبّ إليَّ ممّا تأخذه، والّذي تأخذه أحبّ إليَّ ممّا تتركه، فجزاه رسول اللَّه خيراً، فحوّلت فاطمة إلى عليّ عليه السلام في منزل حارثة، وبسطوا في بيت عليّ كثيباً - وهو الرمل - ونصبوا عوداً يوضع عليه السقاء "القربة"، وستروه بكساء، ونصبوا خشبة من حائط إلى حائط للثياب، وبسط جلد كبش ومخدّة ليف.

[عليّ من المهد إلى اللحد: ٧٢، وراجع البحار ٤٣:١٣١].

وعن ابن بابويه الصدوق بسنده، قال: أمر النبيّ صلى الله عليه و آله بنات عبدالمطّلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة عليهاالسلام، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن ولا يقولنّ ما لا يرضي اللَّه.

قال جابر: فأركبها على ناقته - وفي رواية على بغلته الشهباء - وأخذ سلمان زمامها، والنبيّ صلى الله عليه و آله وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها، مشهرين سيوفهم، ونساء النبيّ قدّامها يرجزن فأنشأت أُمّ سلمة:

سرن بعون اللَّه جاراتي*** واشكرنه في كلّ حالات

واذكرن ما أنعم ربّ العلى*** من كشف مكروه وآفات

وكان النسوة يرجعن أوّل بيت من كلّ رجز، ثمّ يكبّرن ودخلن الدار، ثمّ أنفذ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى عليّ، ثمّ دعا فاطمة فأخذ يدها ووضعها في يده، وقال: 'بارك ا للَّه في ابنة رسول اللَّه، يا عليّ، نِعْم الزوجة فاطمة. يا فاطمة، نِعْمَ الزوج عليّ'، ثمّ قال: 'يا عليّ، هذه فاطمة وديعتي عندك'، ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'اللّهمّ اجمع شملهما، وألّف بين قلوبهما، واجعلهما وذرّيّتهما من ورثة جنّة النعيم، وارزقهما ذرّيّة طاهرة طيّبة مباركة، واجعل في ذرّيّتهما البركة، واجعلهم أئمّة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك، اللّهمّ إنّهما أحبّ خلقك إليَّ فأحبّهما واجعل عليهما منك حافظاً، وإنّي أُعيذها بك وذرّيّتهما من الشيطان الرجيم'.

ثمّ خرج إلى الباب وهو يقول: 'طهّركما وطهّر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، وحرب لمن حاربكما، وأستودعكما اللَّه واستخلفه عليكما'، وباتت أسماء عندهما في البيت، وأصبح الصباح وجاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى زيارة العروسين، قال: 'السلام عليكما، أأدخل؟ ففتحت أسماء الباب، فدخل النبيّ صلى الله عليه و آله فسأل عليّاً: 'كيف وجدت أهلك؟'، قال: 'نِعْم العون على طاعة اللَّه، وسأل فاطمة، فقالت: 'خير بعل'، وجاء النبيّ بعس "قدح" فيه لبن فقال لفاطمة: 'اشربي، فداك أبوك'، وقال لعليّ: 'اشرب، فداك ابن عمّك'.

ثمّ قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، ائتني بكوز من ماء'، فجاء عليّ عليه السلام بكوز من ماء، فتفل فيه ثلاثاً، وقرأ عليه آيات من كتاب اللَّه تعالى، ثمّ قال: يا عليّ، اشربه واترك فيه قليلاً، ففعل عليّ ذلك، فرشّ النبيّ صلى الله عليه و آله باقي الماء على رأسه وصدره، ثمّ قال: 'أذهب اللَّه عنك الرجس يا عليّ وطهّرك تطهيراً'، وأمره بالخروج من البيت، وخلى بابنته فاطمة، وقال: 'كيف أنت يا بنيّه، وكيف رأيت

زوجك؟'، قالت: 'يا أبه، خير زوج، إلا أنّه دخل عليَّ نساءٌ من قريش، وقلن لي: زوّجك رسول اللّٰه من فقير لا مال له'، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا بنيّه، ما أبوك بفقير، ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت عليَّ خزائن الأرض من الذهب والفضّة فاخترت ما عند ربّي عزّ وجلّ. يا بنيّة، لو تعلمين ما علم أبوك لسَمُجَتِ الدنيا في عينيك. واللّٰه! يا بنيّة ما ألوتك نُصحاً، إنّي زوّجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. يا بنيّة، إنّ اللّٰه عزّ وجلّ اطّلع إلى الأرض اطلاعة، فاختار من أهلها رجلين، فجعل أحدهما أباكِ والآخر بعلك. يا بنيّه، نِعْم الزوج زوجك، لا تعصي له أمراً'.

[عليّ من المهد إلى اللحد: ٧٣، وراجع البحار ٤٣:١٣٢].

علي في غزوة بدر الكبرى

قال ابن عبّاس: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله دفع الراية إلى عليّ عليه السلام يوم بدر وهو ابن عشرين سنة.

تاريخ دمشق، ترجمة الإمام عليّ ١:١٤٢، ح ١٩٨

تمهيد

للإمام عليّ عليه السلام دورٌ مشرّفٌ في سرايا وغزوات وحروب المسلمين في صدر الإسلام، وقد كُتب النصر في أغلبها للمسلمين على يديه، وأدلّة ذلك كثيرة في كتب التاريخ والسِّير.

ووعده الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فكانت الجمل وصفّين والنهروان، فقاتل فيها أمير المؤمنين عليه السلام على تأويل القرآن، كما قاتل الرسول صلى الله عليه و آله على تنزيله، ونشير هنا إلى بعض الغزوات الّتي كان دوره عليه السلام فيها مميّزاً عن سائر الصحابة "رضوان اللّٰه عليهم" في عهد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ونحيل القرّاء الأعزّاء في هذا المجال إلى الكتب المفصّلة، ونذكر هنا أيضاً قتاله عليه السلام في الجمل وصفّين والنهروان.

ذكر غزوة بدر الكبرى

ويقال لها: بدر العظمى، ويقال: بدر القتال، ويقال: بدر الفرقان

[بدر الكبرى مقابل بدر الصغرى، وهي غزوة سفوان، ويقال لها بدر القتال؛ لأنّ سفوان المعروفة ببدر الأُولى لم يقع فيها قتال، ويقال لها بدر الفرقان لأنّ اللّٰه تعالى فرّق فيها بين الحقّ والباطل.

وبدر: ما بين مكّةوالمدينة، وقال الشعبي: 'بئر منسوبة إلى بدر الغفاري'، وقال الواقدي: 'هو اسم الموضع؛ وذلك أنّ النبي خرج سابع عشر شهر رمضان'. راجع: المناقب لابن شهرآشوب ١:١٨٧].

وكانت الواقعة في السنة الثانية من الهجرة في السابع عشر - وقيل: التاسع عشر - من شهر رمضان المبارك، وكانت يوم الجمعة.

وكان سبب ذلك: أنّه أقبل أبو سفيان بن حرب في عِير لقريش عظيمة من الشام، وفيها أموال كثيرة، ومعها أربعون رجلاً، منهم مُخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص، فلمّا سمع بهم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ندب المسلمين إليهم وقال: هذه عِير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلّ اللّٰه أن ينفّلكموها، فانتدب النّاس، فخفّ بعضهم وثقل بعضهم، ولم يظنّوا أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ينوي حرباً مع قريش.

[راجع: أعيان الشيعة ١:٣٤٦، والسيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢:١٤٣، والكامل في التاريخ ٢:١١٦، وغيرها].

قال ابن الأثير في "تاريخه" ما ملخّصه: وكان أبو سفيان قد سمع أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله يريده، فحذّر واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكّة يستنفر قريشاً ويخبرهم الخبر، فخرج ضمضم فوصل بعد أيّام إلى مكّة وهو يصرخ ببطن الوادي واقعاً على بعيره - قد جدع

[يعني قطع أنفه وأُذناه].

بعيره، وحوّل رحله، وشقّ قميصه - وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة

[أي أدركوا العِير التي تحمل الطيب والبز].

اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمّد وأصحابه، لا أدري إن تدركها، الغوثَ الغوث. فتجهّز النّاس سراعاً ولم يتخلّف من أشراف قريش أحدٌ إلا أبا لهب، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، فخرجوا وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وقيل: كانوا ألف رجل، وكانت خيلهم مائة فرس، فنجا منها سبعون فرساً، وغنم المسلمون ثلاثين فرساً، وكان مع المشركين سبعمائة بعير، وكان مسير رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ولم يكن فيهم إلا فارسين: أحدهما المقداد بن عمرو الكندي، والثاني الزبير بن العوّام، وقيل: مَرثد بن أبي مَرثد، وكانت الإبل سبعين بعيراً، فكانوا يتعاقبون عليها، البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين النبيّ وعليّ وزيد بن حارثة بعير، وبين أبي بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف بعير، وعلى مثل هذا، وكان فرس المقداد اسمه سبحة،

وفرس الزبير اسمه السَّبل، وكان لواؤه مع مُصعب بن عمير بن عبدالدار، ورايته مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعلى الساقة قيس بن أبي صعصعة الأنصاري...

[الكامل في التاريخ ١:٥٢٥، وفي السيرة الحلبية بهامشه السيرة النبويّة ٢:١٤٣ نحوه].

كانت غزوة بدر غزوة أعزّ اللَّه بها الإسلام وأهله

وهي أوّل غزوات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله المهمّة، وبها تمهّدت قواعد الدين، وأعزّ اللَّه الإسلام، وأذلّ جبابرة قريش، وقُتل فيها رؤساؤهم، ووقعت الهيبة للمسلمين في قلوب العرب واليهود وغيرهم، وأنزل اللَّه تعالى فيها أكثر سورة الأنفال وغيرها من السور.

روى الكيني بسنده عن أبان بن عثمان، قال: حدّثني فضيل البرجمي، قال: كنت بمكّة وخالد بن عبداللَّه أمير، وكان في المسجد عند زمزم، فقال: ادعوا لي قتادة، قال: فجاء شيخ أحمر الرأس واللحية، فدنوت لأسمع، فقال خالد: يا قتادة، اخبرني بأكرم وقعة كانت في العرب، وأعزّ وقعة كانت في العرب، وأذلّ وقعة كانت في العرب؟ فقال: أصلح اللَّه الأمير، أخبرك بأكرم وقعة كانت في العرب، وأعزّ وقعة كانت في العرب، وأذلّ وقعة كانت في العرب واحدة؟ قال خالد: ويحك واحدة! قال: نعم أصلح اللَّه الأمير، قال: أخبرني؟ قال: بدر. قال: وكيف ذا؟ قال: إنّ بدراً أكرم وقعة كانت في العرب، بها أكرم اللَّه عزّ وجلّ الإسلام وأهله، وهي أعزّ وقعة كانت في العرب، بها أعزّ اللَّه الإسلام وأهله، وهي أذلّ وقعة كانت في العرب، فلمّا قتلت قريش يومئذٍ ذلّت العرب... [روضة الكافي: ٩٥، حديث ٩١].

كان عليّ صاحب راية رسول اللَّه يوم بدر

أثبت أهل السير والتاريخ واتّفق علماء الحديث من الفريقين أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أعطى عليّاً رايته يوم بدر، كما يظهر ذلك ممّا ورد من أصحاب الحديث، وإليك نصّ الحديث:

١- في "تاريخ الطبري": بإسناده عن ابن عبّاس، قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً، وكان الأنصار مائتين وستّة وثلاثين رجلاً، وكان صاحب راية رسول اللَّه عليّ بن أبي طالب، وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة. [تاريخ الطبري ٢:١٣٨].

٢- وفي "الاستيعاب": وأجمعوا على أنّ عليّاً عليه السلام صلّى القبلتين، وهاجر وشهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد، وأنّه أبلى ببدر وبأُحد وبالخندق وبخيبر بلاءً عظيماً، وأنّه أغنى في تلك المشاهد، وقام فيها

المقام الكريم، وكان لواء رسول اللّٰه بيده في مواطن كثيرة، وكان يوم بدر بيده. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٣].

٣- و عن ابن عساكر الشافعي عن ابن عباس ايضاً: دفع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الراية يوم بدر إلى عليّ وهو ابن عشرين سنة. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٣].

٤- و عنه ايضاً: قال: إنّ راية المهاجرين كانت مع عليّ عليه السلام في المواقف كلّها يوم بدر ويوم أُحد ويوم خيبر ويوم الأحزاب ويوم فتح مكّة، ولم تزل معه في المواقف كلّها. [تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي - ترجمة الإمام عليّ ١:١٤٢، ح ٢٠٠].

٥- و عنه أيضاً: عن قتادة، قال: إنّ عليّ بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم بدر، وفي كلّ مشهد.

[المصدر السابق ١:١٤٥، ح ٢٠٨].

٦- و عنه أيضاً عن ابن عبّاس، قال: لعليّ عليه السلام أربع خصال: هو أوّل عربيّ وعجمي صلّى مع النبيّ صلى الله عليه و آله، وهو الّذي كان معه لواؤه في كلّ زحف، وهو الّذي صبر معه يوم المهراس

[المهراس: ماء بأُحد، وهو كناية عن المعركة].

انهزم النّاس كلّهم غيره، وهو الّذي غسّله وأدخله قبره.

[تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي - ترجمة الإمام عليّ ١:١٤٣، ح ٢٠٢. وكذا في "السيرة الحلبيّة" و"الكامل" لابن الأثير، و"السيرة النبويّة" وغير ذلك من كتب التاريخ والحديث، فراجعها].

تفصيل واقعة بدر

لمّا أصبح رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم بدر عبّأ أصحابه، فكان في عسكره فرسان، فرس للزبير بن العوّام، وفرس للمقداد بن الأسود، وكان في عسكره سبعون جملاً، كانوا يتعاقبون عليها، وكان رسول اللّٰه وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد بن أبي مرثد.

وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس، وقيل: مائتا فرس، فلمّا نظرت قريش إلى قلّة أصحاب رسول اللّٰه قال أبو جهل: ما هم إلا أكلة رأس

[أي يُشبعهم رأس واحد لقتلهم].

لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد، وقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً أو مدداً؟ فبعثوا عمر بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتّى طاف على عسكر رسول اللّٰه، ثمّ رجع فقال: ما لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرساً لا يتكلّمون، يتلمّظون تلمّظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يولّون حتّى يُقْتَلوا، ولا يُقْتَلُون حتّى يَقْتُلُوا بعددهم، إلى أن قال: ولمّا استعدّ الفريقان للحرب، وبرز من صفّ المشركين عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة فقالوا: يا محمّد، اخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم، فقالوا: ارجعوا إنّما نريد الأكفاء من قريش، ثمّ نادوا: يا محمّد، اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فنظر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلى عبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب، وكان له يومئذٍ سبعون سنة، فقال: "قم، يا عبيدة"، ونظر إلى حمزة، فقال: قم، يا عمّ"، ثمّ نظر إلى عليّ عليه السلام فقال: "قم، يا عليّ"، وكان أصغر القوم

[حيث لم يتجاوز العشرين من عمره عند وقوع هذه المعركة].

"فاطلبوا بحقّكم الّذي جعله اللّٰه لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تُطفئ نور اللّٰه، ويأبى اللّٰه إلا أن يتمّ نوره"، ثمّ قال: "يا عبيدة، عليك بعتبة بن ربيعة"، وقال لحمزة: "عليك بشيبة"، وقال لعليّ: "عليك بالوليد"، فمرّوا حتّى انتهوا إلى القوم فقالوا: أكفاء كرام.

فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنّها [أي قطعها] فسقطا جميعاً، وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتّى انثلما، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه.

قال عليّ عليه السلام: "لقد أخذ الوليد يمينه بشماله، فضرب بها هامتي، فظننت أنّ السماء وقعت على الأرض"، ثمّ اعتنق حمزة وشيبة، فقال المسلمون: يا عليّ، أما ترى الكلب نهز عمّك [نهزه: دفعه وضربه]

فحمل عليه عليّ عليه السلام فقال: يا عمّ، طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره، فضربه عليّ عليه السلام فطرح نصفه، ثمّ جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه. [راجع: البحار ١٩:٢٢٣، ودائرة المعارف الإسلاميّة لحسن الأمين: ج١ - فصل في غزوة بدر].

وروى الشيخ المفيد رحمه الله عن شعبة عن أبي إسحاق، عن حارث بن مضرب، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يقول: "لقد حضرنا بدراً وما فينا فارس غير المقداد بن الأسود، ولقد رأينا ليلة بدر وما فينا إلا من نام غير رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فإنّه كان منتصباً في أصل شجرة، يصلّي فيها، ويدعو حتّى الصباح".

ثمّ روى المفيد عن أبي رافع مولى رسول اللّٰه، قال: لمّا أصبح النّاس يوم بدر اصطفّت قريش أمامها عتبة بن ربيعة، واخوة شيبة، وابنه الوليد، فنادى عتبة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: يا محمّد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبدر إليهم ثلاثة من شبّان الأنصار، فقال لهم عتبة: من أنتم؟ فانتسبوا له، فقال لهم: لا حاجة بنا إلى مبارزتكم، إنّما طلبنا بني عمّنا، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله للأنصار: "ارجعوا إلى مواقفكم"، ثمّ قال: "قم يا عليّ، قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قاتلوا على حقّكم الّذي بعث اللّٰه به نبيّكم؛ إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور اللّٰه"، فقاموا فصفّوا للقوم، وكان عليهم البيض، فلم يعرفوا.

فقال لهم عتبة: تكلّموا، فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم.

فقال حمزة: أنا حمزة بن عبدالمطّلب أسد اللّٰه وأسد رسوله، فقال عتبة: كفوٌ كريم. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: "أنا عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب"، وقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب.

فقال عتبة لابنه الوليد: قم يا وليد، فبرز إليه أمير المؤمنين، وكانا إذ ذاك أصغر الجماعة سنّاً، فاختلفا ضربتين، اخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام، واتّقى بيده اليسرى ضربة أمير المؤمنين فأبانتها. فروي أنّ عليّاً عليه السلام كان يذكر بدراً وقتله الوليد، فقال في حديثه: "كأنّي أنظر إلى وميض خاتمه في شماله، ثمّ ضربته ضربة أُخرى فصرعته وسلبته، فرأيت به درعاً من خلوق، فعلمت أنّه قريب عهد بعرس".

ثمّ بارز عتبة حمزة رضى الله عنه فقتله حمزة، ومشى عبيدة - وكان أسنّ القوم - إلى شيبة، فاختلفا ضربتين، فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها، واستنقذه أمير المؤمنين وحمزة منه وقتلا شيبة، وحمل عبيدة من مكانه فمات بالصفراء، في قتل عتبة وشيبة والوليد تقول هند بنت عتبة:

أيا عين جودي بدمع سرب*** على خير خندف لم ينقلب

تداعا له رهطه غدوة*** بنو هاشم وبنو المطّلب

يذيقونه حدّ أسيافهم*** يعرّونه بعد ما قد شجب

وروى الحسن بن حميد: بإسناده إلى جابر، عن أبى جعفر عليه السلام، قال: "قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد تعجّبت يوم بدر من جرأة القوم، وقد قتلت الوليد بن عتبة، وقتل حمزة عتبة، وشركته في قتل شيبة، إذ أقبل إليَّ حنظلة بن أبي سفيان، فلمّا دنا منّي ضربته ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً".

[الإرشاد ٧٣: ١].

اثبت اللّٰه بجهاد عليّ يوم بدر قواعد الإسلام

قال الشيخ المفيد في أهميّة جهاد أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام: إنّ المشركين حضروا بدراً مصرّين على القتال، مستظهرين فيه بكثرة الأموال و العدد و العُدّة و الرّجال، و المسلمون إذ ذاك نفر قليل عددهم هناك و حضرته طوائف منهم بغير اختيار، و شهدته على الكراهة منها له و الاضطرار، فتحدّتهم قريش بالبراز، ودعتهم إلى المصافة و النزال، و اقترحت في لقاء منهم الأكفاء، و تطاولت الأنصار لمبارزتهم، فمنعهم النبيّ صلى الله عليه و آله من ذلك، فقال لهم: "إنّ القوم دعوا الأكفاء منهم" ثمّ أمر عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام بالبروز إليهم، و دعا حمزة بن عبدالمطّلب، و عبيدة بن الحارث أن يبرزا معه، فلمّا اصطفوا لهم لم يثبتهم القوم، لأنّهم كانوا قد تغفّروا، فسألوهم: من أنتم؟ فانتسبوا لهم، فقالوا: أكفاء كرام، و نشبت الحرب بينهم، و بارز الوليد أميرالمؤمنين عليه السلام، فلم يلبثه حتّى قتله، و بارز عتبة حمزة رضى الله عنه فقتله حمزة، و بارز شيبة عبيدة رحمه الله فاختلف بينهما ضربتان، قطعت إحداهما فخذ عبيدة، فاستنقذه أميرالمؤمنين عليه السلام بضربة بَدَرَ بها شيبة فقتله، و شركه في ذلك حمزة رضى الله عنه، فكان قتل هؤلاء الثلاثة أوّل وهن لحق المشركين، و ذلّ دخل عليهم، و رهبة اعتراهم بها الرعب من المسلمين، و ظهرت بذلك أمارت نصر المسلمين.

ثمّ بارز أميرالمؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بعد أن أحجم عنه من سواه، فلم يلبثه أن قتله، و برز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله، و برز إليه طعيمة بن عديّ فقتله، و قتل بعده نوفل بن خويلد، و كان من شياطين قريش، و لم يزل عليه السلام يقتل واحداً منهم بعد واحد حتّى أتى على شطر المقتولين منهم، و كانوا سبعين رجلاً، تولّى كافّة من حضر بدراً من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسوّمين قتل الشطر منهم، و تولّى أميرالمؤمنين عليه السلام قتل الشطر الآخر وحده بمعونة اللّٰه له و تأييده و توفيقه و نصره، و كان الفتح له بذلك على يديه، و ختم الأمر بمناولة النبيّ صلى الله عليه و آله كفّاً من الحصى فرمى بها في وجوههم، و قال: "شاهت الوجوه" فلم يبق أحد منهم إلا ولّى الدبر بذلك منهزماً، و كفى اللّٰه المؤمنين القتال

بأمير المؤمنين عليه السلام و شركائه في نصرة الدّين من خاصّة آل الرسول و من أيّدهم به من الملائكة الكرام، كما قال اللّه تعالى: 'و كَفَى اللَّهُ الْمُؤمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً'.

[ارشاد المفيد: ٦١ الفصل ١٨ من الباب ٢ و الآية: ٢٥ من سورة الأحزاب].

من تولّى عليّ قتلهم من المشركين يوم بدر

قال الشيخ المفيد رحمه الله أيضاً في "الإرشاد": وقد أثبتت رواة العامّة والخاصّة معاً أسماء الذين تولّى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين على اتّفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح، فكان ممّن سموّه:

١ - الوليد بن عتبة، كما قدّمناه، وكان شجاعاً جريئاً وقاحاً فاتكاً، يهابه الرجال.

٢ - العاص بن سعيد، وكان امرءاً عظيماً في شجاعته، تهابه الأبطال، وهو الّذي حاد عنه عمر بن الخطّاب، وقصّته فيما ذكرناه مشهورة.

٣ - [ذكر المفيد في الإرشاد قصّة العاص بن سعيد فراجعه].

طعيمة بن عديّ بن نوفل، وكان من رؤوس أهل الضلال ٤.

[ذكر المفيد في المصدر السابق: عن عروة بن الزبير: أنّ عليّاً عليه السلام أقبل يوم بدرنحو طعيمة بن نوفل فشجره بالرمح، وقال له: 'واللّه لا تخاصمنا في اللّه بعد اليوم أبداً'].

نوفل بن خويلد، وكان من أشدّ المشركين عداوة لرسول اللّه صلى الله عليه و آله، وكانت قريش تقدّمه وتعظّمه وتطيعه، وهو الّذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بمكّة، أوثقهما بحبل، وعذّبهما يوماً إلى الليل، حتّى سئل في أمرهما، ولمّا عرف رسول اللّه صلى الله عليه و آله حضوره بدراً سأل اللّه أن يكفيه أمره، فقال: 'اللّهمّ اكفني نوفل بن خويلد'، فقتله أمير المؤمنين عليه السلام، [فكبّر النبيّ صلى الله عليه و آله، وقال: 'الحمد للّه الّذي أجاب دعوتي فيه'].

٥ - زمعة بن الأسود "وعقيل بن الأسود". ٦ - الحارث بن زمعة. ٧ - النضر بن الحارث بن عبدالدار. ٨ - عمير بن عثمان بن كعب بن تيم عمّ طلحة بن عبيداللّه. ٩ و ١٠ - عثمان ومالك ابنا عبيداللّه، أخوا طلحة بن عبيداللّه. ١١ - مسعود بن أبي أُميّة بن المغيرة. ١٢ - قيس بن الفاكه بن المغيرة. ١٣ - حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة. ١٤ - أبو قيس بن الوليد بن المغيرة. ١٥ - حنظلة بن أبي سفيان. ١٦ - عمرو بن مخزوم. ١٧ - أبو المنذر بن أبي رفاعة. ١٨ - منبّه بن الحجّاج السهمي. ١٩ - العاص بن منبّه. ٢٠ - علقمة بن كلدة. ٢١ - أبو العاص بن قيس بن عدي. ٢٢ - معاوية بن المغيرة بن أبي العاص. ٢٣ - لوذان بن ربيعة. ٢٤ - عبداللّه بن المنذر بن أبي رفاعة. ٢٥ - مسعود بن أُميّة بن المغيرة. ٢٦ - حاجب بن السائب بن عويمر، ٢٧ - أوس بن المغيرة بن لوذان. ٢٨ - زيد بن مليص. ٢٩ - عاصم بن

أبي عوف. ٣٠ - سعيد بن وهب حليف بني عامر. ٣١ - معاوية بن عامر بن عبدالقيس. ٣٢ - عبدالله بن جميل بن زهير بن الحارث بن الأسد. ٣٣ - السايب بن مالك. ٣٤ - أبو الحكم بن الأخنس. ٣٥ - هشام بن أبي أُميّة بن المغيرة.

فذلك خمسة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين عليه السلام فيه غيره، وهم أكثر من شطر [الشطر: النصف] المقتولين ببدر على ما قدّمناه. [الإرشاد ٧٠: ١].

وفي "كشف الغمّة": عن الواقدي في كتاب المغازي، قال: وجميع من يحصى قتله من المشركين ببدر تسعة وأربعون رجلاً، منهم من قتله عليّ عليه السلام، وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً، شرك في أربعة وقتل بانفراده ثمانية عشر، وقيل: إنّه قتل مبارزة، والعاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة، وعامر بن عبدالله، ونوفل بن خويلد بن أسد، وكان من شياطين قريش، ومسعود بن أُميّة بن المغيرة، وقيس بن الفاكه، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة، والعاص بن منبّة بن الحجّاج، وحاجب بن السائب.

وأمّا الذين شاركهم في قتلهم غيره، فهم: حنظلة بن أبي سفيان أخو معاوية، وعبيدة بن الحارث، وزمعة وعقل ابنا الأسود بن المطّلب، وأمّا في غيرهم من قتلى مشركي بدر فهناك اختلاف في أنّه عليه السلام قتلهم أو قتل غيرهم. [راجع: كشف الغمّة - باب المناقب ١: ٢٤١].

و روى في البحار: كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين، قتل منهم عليّ بن أبي طالب سبعة وعشرين، وكان الأسرى أيضاً سبعين، ولم يؤسر أحد من أصحاب رسول الله، فجمعوا الأُسارى وقرنوهم في الحبال، وساقوهم على أقدامهم.

[بحار الأنوار ١٩: ٢٤٠، وللتفصيل في غزوة بدر راجع: البحار ٣٦٧ - ٢٠٢ :١٩].

علي في غزوة أُحد

قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: "يا أبا الحسن، لو وُضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفّة ميزان، ووُضع عملك يوم أُحد على كفّةٍ أُخرى، لرجح عملك على جميع الخلائق، وإنّ الله باهى بك يوم أُحد ملائكته المقرّبين". ينابيع المودّة: ٦٤

غزوة أُحد

أُحد اسم جبل من جبال المدينة غير بعيد عنها، سُمّيت باسمه المعركة المشهورة بين قريش والمسلمين.

وكانت هذه الغزوة محاولة لانتقام المشركين لما لحقهم في بدر، وانتصر المسلمون في أوّلها، ثمّ تضعضعوا في نهايتها لمخالفة بعضهم أوامر النبيّ صلى الله عليه و آله، وقتل فيمن قتل فيها من زعماء المسلمين حمزة رضى الله عنه عمّ النبيّ صلى الله عليه و آله، ومصعب بن عمير، وعبدالله بن جبير وغيرهم "رضي الله عنهم"..

تفصيل الواقعة وسببها

كانت غزوة أُحد في شوّال لسبع خلون منه، أو للنصف منه، يوم السبت سنة ثلاث من الهجرة على رأس اثنين وثلاثين شهراً منها، وخرج رسول الله صلى الله عليه و آله إليهم عصر يوم الجمعة، وكان القتال يوم السبت.

وكان سبب ذلك: أنّ المشركين اجتمعوا وقرّروا غزو المدينة للأخذ بالثأر لما أصابهم يوم بدر، فكتب العبّاس كتاباً وأرسله مع رجل من غفّار إلى النبيّ صلى الله عليه و آله يخبره بخبرهم، استأجره وشرط عليه أن يصل المدينة في ثلاث، فوصلها وسلّم الكتاب، وأقبل المشركون في ثلاثة آلاف.

وفي "الكامل لابن اثير" وغيره: وكان قائدهم أبو سفيان، فخرج بزوجته هند بنت عتبة، وغيره من رؤساء قريش خرجوا بنسائهم، وكان مع النساء الدفوف يبكين على قتلى بدر يحرِّضن بذلك المشركين ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير - فنزلوا أوّلاً بذي الحليفة على نحو مسير أربع ساعات من المدينة، ثمّ ساروا حتّى مرّوا بالعقيق وساروا منه حتّى نزلوا ببطن الوادي من قِبَل أُحد مقابل المدينة، وكان وصولهم يوم الأربعاء ثاني عشر شوّال [قيل: كانت الغزوة في النصف من شهر شوّال]. فأقاموا الأربعاء والخميس والجمعة.

وبات رؤساء الأنصار منهم: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وأُسيد بن حضير بالسلاح بباب رسول الله ليلة الجمعة خوفاً عليه من البيات حتّى أصبحوا، وحرست المدينة تلك الليلة، فلمّا أصبح النبيّ صلى الله عليه و آله يوم الجمعة خطب أصحابه، وبعد الحمد والثناء قال: 'فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا بشرّ مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها، فأنا أعلم بها منهم'.

فكان رأيه صلى الله عليه و آله البقاء بالمدينة، واختلف رأي أصحابه، فكان رأي أكثر وجوههم موافقاً لرأيه، وكان رأي الشبّان الذين لم يحضروا بدراً، وبعض الشيوخ، الخروج، فلمّا رأى النبيّ صلى الله عليه و آله أكثرهم يريد الخروج وافقهم؛ لأنّ المصلحة تقتضي ذلك، وإن كانت من وجه آخر تقتضي خلافه، ومع ذلك كان النصر فيها مضموناً لولا مخالفة الرماة، وعقد رسول الله ثلاثة ألوية على ثلاثة رماح: لواء المهاجرين

بيد عليّ بن أبي طالب، ولواء الأوس بيد أُسيدر بن حضير، ولواء الخزرج بيد الحبّاب بن المنذر، أو سعد بن عبادة، وأعطى الراية - وهي العلم الأكبر، واللواء دونها - عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وسار من المدينة بعد العصر في ألف رجل، واستخلف على المدينة ابن أُمّ مكتوم. فلمّا وصل النبيّ صلى الله عليه و آله إلى مكان يسمّى الشيخين عرض عسكره وبات هناك، ثمّ سار سحراً حتّى وصل إلى بستان يسمّى الشوط - بين المدينة وأُحد - فصلّى فيه صلاة الصبح، ومن هناك رجع عبدالله بن أُبيّ بن سلول في ثلاثمائة من المنافقين وبقي النبيّ صلى الله عليه و آله في سبعمائة فوصل إلى أُحد فجعل أُحد خلف ظهره.

وجاء المشركون واستدبروا المدينة واستقبلوا أُحداً، وأعطى المشركون لواءهم إلى طلحة بن أبي طلحة من بني عبدالدار، وصفّ المشركون صفوفهم، وصفّ النبيّ صلى الله عليه و آله أصحابه، وجعل الرماة خلف العسكر عند فم الشعب الّذي في جبل أُحد، وكانوا خمسين رجلاً، وأمّر عليهم عبدالله بن جبير، وقال له: "أثبت على مكانك إن كانت لنا أو علينا، فإنّا لا نزال غالبين ما ملكتم مكانكم، فإن أدخلناهم مكّة فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتّى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا، والزموا مراكزكم"، ولمّا علم رسول الله صلى الله عليه و آله أنّ لواء المشركين مع طلحة من بني عبدالدار أخذ اللواء من عليّ عليه السلام ودفعه إلى رجل من بني عبدالدار - يعني مصعب بن عمير - وقال: "نحن أحقّ بالوفاء منهم".

[انظر الكامل في التاريخ ١:٥٤٨، وأعيان الشيعة ١:٣٨٥، ودائرة المعارف الإسلامية ١ - معركة أُحد].

وفي رواية: وجعل رسول الله صلى الله عليه و آله الرماة خلف العسكر على جبل هناك عند فم الشعب، وكانوا خمسين رجلاً، وأمّر عليهم عبدالله بن جبير وقال: "انضح الخيل عنّا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا، إنّ الخيل لا تقدم على النبل، وأثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا، فإنّا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم".

وفي رواية قال: "إن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا".

[راجع: تفسير القمّي ١:١١١، وأعيان الشيعة ١:٢٥٤].

قول أبي سفيان: لنا عُزّى... وإجابة رسول الله

روى أصحاب التفسير والحديث والتاريخ، عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا كان يوم أُحد صعد أبو سفيان الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ إنّه ليس لهم أن يعلونا"، فمكث أبو سفيان ساعة، وقال: يوماً بيوم، إنّ الأيّام دولٌ

[وتلك الأيّام نداولها: نصرفها مرّة لفرقة، ومرّة عليها].

وإنّ الحرب سجال

[الحرب سجال: تارة لهم، وتارة عليهم].

فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "أجيبوه"، فقالوا: لا سواء، قتلانا في الجنّة، وقتلاكم في النّار. فقال أبو سفيان: لنا عُزّى، و لا عزّى لكم. فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "اللّه مولانا ولا مولى لكم". فقال أبو سفيان: أُعْلُ هُبَل، أُعْلُ هُبَل.

[عُزّى وهبل صنمان كبيران لقريش في مكّة، وقوله: "أُعْلُ"، أي أظهر دينك أو ازدد علوّاً].

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "اللّه أعلى وأجلّ".

[راجع: تفسير القمّي ١:١١١، والبحار ٢٠:٢٣، والكامل في التاريخ ١:٥٥٦].

وصفّ المشركون صفوفهم وكان لهم ميمنة وميسرة فيهما مائتا فرس، وخالد بن الوليد في الميمنة، وعكرمة بن أبي جهل في الميسرة

[دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة: ج١ - باب معركة أُحد].

والتقى المسلمون المشركين واشتعلت نار الحرب، وقامت على قدم وساق - الخبر.

ونحن نقتطف من الواقعة موقف عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيها، ودوره في القتال، وما أصابه من العناء.

مقاتلة عليّ لطلحة ورجال من بني عبدالدار يوم أُحد

ذكرت مصادر التاريخ والحديث أنّه كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبدالدار، فبرز ونادى: يا محمّد، تزعمون أنّكم تجهّزونا بأسيافكم إلى النّار، ونجهّزكم بأسيافنا إلى الجنّة، فمن شاء أن يلحق بجنّته فليبرز إليَّ، فلم يجبه أحدٌ، فبرز إليه أمير المؤمنين وهو يقول:

يا طلح إن كنتم كما تقول*** لكم خيول ولنا نصول

فاثبت للنظر أيّنا المقتول*** وأيّنا أوْلى بما تقول

فقد أتاك الأسد الصؤول*** بصارم ليس به فلول

ينصره القاهر والرسول*** فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: "أنا عليّ بن أبي طالب"، قال: قد علمت يا قضم [أي الّذي يقضم النّاس فيهلكهم].

أنّه لا يجسر عَلَيَّ أحدٌ غيرك، فشدّ عليه طلحة فضربه فاتّقاه أمير المؤمنين بالحجفة

[الحجفة: الترس].

ثمّ ضربه أمير المؤمنين على فخذيه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره، وسقطت الراية، فذهب عليّ عليه السلام ليجهز عليه، فحلّفه بالرحم، فانصرف عنه - وفي خبر فانكشفت عورته، فقال: أُنشدك اللّٰه والرحم يا بن عمّ - فتركه، فكبّر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: "قد ضربته ضربةً لا يعيش منها أبداً".

ثمّ أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة، فقتله عليّ عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض، فأخذها عثمان بن أبي طلحة، فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها مسافع بن أبي طلحة، فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها الحارث بن أبي طلحة، فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها عزيز بن عثمان، فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها عبداللّٰه بن جميلة بن زهير، فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فقتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبدالدار، وهو أرطأة بن شرحبيل مبارزة وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مولاهم صوأب، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين على شماله فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثمّ قال: يا بني عبدالدار، هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأس فقتله، وسقطت الراية على الأرض.

فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثيّة فنصبتها... وكما ترى فإنّ هذا اللواء كان شؤماً على بني عبدالدار، فقد قتلت رجالهم ووقع على الأرض حتّى رفعته امرأة.

[راجع: البحار ٢٠:٥٠، وفي السيرة الحلبيّة للعلامة الحلبي المالكي بهامشه السيرة النبويّة ٢:٢٢٣ نحوه، وكذلك في السيرة النبويّة لسيّد زيني دحلان الشافعي بهامش السيرة الحلبيّة ٢:٢٧، ودائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة ١: باب معركة أُحد، وأعيان الشيعة ١:٣٨٧].

وفي "السيرة الحلبيّة" عن ابن قتيبة، قال: ويقال: إنّ هذه الآية نزلت في بني عبدالدار "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ".

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢:٢٢٤، والآية ٢٢ من سورة الأنفال].

فلمّا قتل أصحاب اللواء صاروا منهزمين لا يلوون على شي ء، وانتقضت صفوفهم، ونساؤهم يدعين بالويل بعد الفرح والدفوف.

قال الزبير: واللّٰه لقد رأيتني أنظر إلى خدم

[الخدم - بفتح الخاء والدال - جمع خدمة، محرّكة: وهي الخلخال والساق - المنجد].

هند بنت عتبة وصواحبها مشمّرات هوارب ما دون أخذهنّ قليل ولا كثير.

قال الواقدي: وقالوا: ما ظفر اللَّه تعالى نبيّه في موطن قطّ ما ظفره وأصحابه يوم أُحد حتّى عصوا الرسول صلى الله عليه و آله؛ ولمّا انهزم المشركون تبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا حتّى أخرجوهم عن المعسكر، ووقعوا ينتهبونه ويأخذون ما فيه من الغنائم، فلمّا رآهم الرماة قال بعض لبعض: لِمَ تقيمون هاهنا في غير شي ء؟ قد هزم اللَّه العدوّ، وهؤلاء اخوانكم ينتهبون عسكركم، فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا معهم.

فقال بعضهم: ألم تعلموا أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لكم: "احموا ظهورنا، وإن غنمنا فلا تشركونا؟!".

فقال الآخرون: لم يرد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هذا وقد أذلّ اللَّه المشركين وهزمهم، فلمّا اختلفوا خطبهم أميرهم عبداللَّه بن جبير وأمرهم بطاعة الرسول صلى الله عليه و آله فعصوه، وانطلقوا فلم يبق معه إلا نفر ما يبلغون العشرة منهم: الحارث بن أنس، يقول: يا قوم، اذكروا عهد نبيّكم إليكم وأطيعوا أميركم، فأبوا وذهبوا إلى عسكر المشركين ينهبون وخلّوا الجبل؛ وذلك قوله تعالى: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ".

[سورة آل عمران: ١٥٢].

فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلّة أهله فكرّ بالخيل، وتبعه عكرمة فانطلقا إلى موضع الرماة فحملوا عليهم، فراماهم القوم حتّى أُصيبوا، وراماهم عبداللَّه بن جبير حتّى فنيت نبله، ثمّ طاعن بالرمح حتّى انكسر، ثمّ كسر جفن سيفه فقاتل حتّى قُتل.

ولمّا رأى المشركون خيلهم تقاتل رجعوا من هزيمتهم، وكرّوا على المسلمين من أمامهم، وهم غارّون آمنون مشتغلون بالنهب، وجعلوا المسلمين في مثل الحلقة، وانتقضت صفوف المسلمين... وقتل المسلمون قتلاً ذريعاً حتّى قتل منهم سبعون رجلاً بعدد من قُتِل من المشركين يوم بدر أو أكثر، وتفرّقوا في كلّ وجه، وتركوا ما انتهبوا فأخذه المشركون، وتركوا ما بأيديهم من أُسراء المشركين. [اعيان الشيعة ٢٥٧: ١].

مقتل مصعب بن عمير، وإعطاء النبيّ اللواء لعليّ

قال الطبري وابن الأثير في تاريخهما: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومعه لواؤه حتّى قُتِل، وكان الّذي أصابه وقتله ابن قمينة الليثي، وهو يظنّ أنّه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فرجع إلى قريش، فقال: قتلتُ محمّداً، فجعل النّاس يقولون قُتِل محمّد، قُتِل محمّد، فلمّا قُتِل مصعب بن عمير أعطى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله اللواء عليّ بن أبي طالب...

[راجع: تاريخ الطبري ٢:١٩٩، والكامل في التاريخ ١:٥٥٢، وأعيان الشيعة ١:٢٥٧].

وتفرّق أكثر أصحاب رسول اللَّه عنه، وقصده المشركون، وجعلوا يحملون عليه يريدون قتله، وثبت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وما يزال يرمي عن قوسه حتّى تكسّرت.

قال ابن الأثير: وقاتل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم أُحد قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتّى فَنيَ نبله، وانكسرت سية قوسه، وانقطع وتره.

[الكامل في التاريخ ١:٥٥٤].

مقتل حمزة وتفرّق النّاس غير عليّ

قال حسن الأمين في "دائرة المعارف": وكانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وأمّ معاوية، جعلت جعلاً لوحشي بن حرب إن هو قتل رسول اللَّه أو حمزة أو عليّاً، فقال لها: أمّا محمّد فلا حيلة لي فيه؛ لأنّ أصحابه يطيفون به، وأمّا عليّ فإنّه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأمّا حمزة فإنّي أطمع فيه؛ لأنّه إذا غضب لم يبصر بين يديه، فرمى حمزة بحربته فقتله.

وتفرّق النّاس كلّهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأسلموه إلى أعدائه، ولم يبق معه أحد إلا عليّ عليه السلام، فبعضهم ذهبوا إلى المدينة، وبعضهم صعدوا فوق الصخرة الّتي في جبل أُحد.

وقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى عبداللَّه بن أُبيّ فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فقتلوكم.

وبعضهم ذهبوا إلى جبل بناحية المدينة فأقاموا به ثلاثاً، ثمّ عاد جماعة من أصحاب الصخرة أربعة أو خمسة، فحاموا عن النبيّ مع عليّ عليه السلام، وكان عودهم بسبب ثبات عليّ عليه السلام، وكان عليّ هو المتميّز وحده بالمحاماة عن النبيّ صلى الله عليه و آله، فكان كلّما أقبلت إليه جماعة من المشركين عازمين على أن يقتلوه مجتهدين في ذلك، يقول له: "يا عليّ، احمل عليهم، فيحمل عليه السلام عليهم ويفرّقهم ويقتل فيهم، وهكذا حتّى نجّاه اللَّه من كيدهم وسلم منهم.

[دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة: ج١، معركة أُحد، الكامل في التاريخ ١:٥٥٤، مختصراً].

وعن ابن أبي الحديد: وقد روى كثير من المحدّثين: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال لعليّ - حين سقط ثمّ أُقيم -: "اكفني هؤلاء الجماعة - قصدت نحوه -"، فحمل عليهم فهزمهم وقتل منهم عبداللّٰه بن حميد من بني أسد بن عبدالعزّى، ثمّ حملت عليه طائفة أُخرى، فقال صلى الله عليه و آله له: "اكفني هؤلاء"، فحمل عليهم فانهزموا من بين يديه وقتل منهم أُميّة بن حذيفة بن المغيرة المخزومي.

[راجع أعيان الشيعة ١:٣٨٨].

وقال أيضاً في شرحه: روى أبو عمر الزاهد محمّد بن عبدالواحد اللغوي غلام ثعلب، ورواه أيضاً محمّد بن حبيب في أماليه: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لمّا فرّ معظم أصحابه عنه يوم أُحد، كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بني كنانة، فيها بنو سفيان بن عويف، وهم خالد وأبو الشعثاء وأبو الحمراء وغراب، فقال: "يا عليّ، أكفني هذه الكتيبة"، فحمل عليها وإنّها لتقارب خمسين فارساً، وهو عليه السلام راجل، فما زال يضرب فيها بالسيف حتّى تتفرّق عنه، ثمّ تجتمع عليه هكذا مراراً حتّى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة، وتمام العشرة منها ممّن لا يعرفون بأسمائهم.

ثمّ قال: ولمّا انهزم النّاس عن النبيّ صلى الله عليه و آله في يوم أُحد وثبت أمير المؤمنين عليه السلام قال له النبيّ: "ما لَكَ لا تذهب مع القوم؟"، قال أمير المؤمنين عليه السلام: "اذهب وأَدَعُكَ، يا رسول اللّٰه؟! واللّٰه لا برحت حتّى أُقتل أو ينجز اللّٰه لك ما وعدك من النصرة"، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: "أبشر يا عليّ، فإنّ اللّٰه منجز وعده ولن ينالوا منّا مثلها أبداً".

ثمّ نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال: "لو حملت على هذه يا عليّ"، فحمل أمير المؤمنين عليه السلام عليها"، فقتل منها هشام بن أُميّة المخزومي، وانهزم القوم.

ثمّ أقبلت كتيبة أُخرى، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: "احمل على هذه"، فحمل عليهم فقتل منها عمرو بن عبداللّٰه الجمحي، وانهزمت أيضاً.

ثمّ أقبلت كتيبة أُخرى، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: "احمل على هذه"، فحمل عليها، فقتل بشر بن مالك العامري، وانهزمت الكتيبة، ولم يعد بعدها منهم، وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبيّ صلى الله عليه و آله.

[شرح ابن أبي الحديد ١٤:٢٥٠، أعيان الشيعة ١:٣٨٨، وراجع: الإرشاد ٨٣: ١].

علي يواصل جهاده وتصيبه جراحات وينادى من السماء: لا فتى...

جاء في الرواية أنّه كلّما حملت طائفة على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله "يوم أُحد" استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام، فيدفعهم عن رسول اللَّه ويقتلهم حتّى انقطع سيفه، فلمّا انقطع سيفه جاء إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: 'يا رسول اللَّه، إنّ الرجل يقاتل بالسلاح، وقد انقطع سيفي'، فدفع إليه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سيفه ذا الفقار، فقال: 'قاتل بهذا'، ولم يكن يحمل على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أحد إلا استقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا رأوه رجعوا، فانحاز رسول اللَّه إلى ناحية أُحد، فوقف وكان القتال من وجه واحد، وقد انهزم أصحابه، فلم يزل أمير المؤمنين يقاتلهم حتّى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة، فتحاموه وسمعوا منادياً من السماء:

لا سيف إلا ذو الفقار*** ولا فتى إلا عليّ

فنزل جبرئيل على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: يا محمّد، هذه واللَّه المواساة، فقال رسول اللَّه: 'لأنّي منه وهو منّي'، فقال جبرئيل: وأنا منكما.

[انظر البحار ٥٤ - ٥٣ :٢٠].

وفي حديث: قال عليّ عليه السلام: 'فما ضربت به أحداً إلا وقدّه نصفين'.

[المصدر السابق: ٧٨].

وفي "الكافي" بسنده عن نعمان الرازي، عن أبي عبداللَّه عليه السلام، قال: 'انهزم النّاس يوم أُحد عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فغضب غضباً شديداً'، قال: 'وكان إذا غضب انحدر عن جبينيه مثل اللؤلؤ من العرق'، قال: 'فنظر فإذا عليّ عليه السلام إلى جنبه'، فقال له: 'الحق ببني أبيك مع من انهزم عن رسول اللَّه'، فقال: 'يا رسول اللَّه، لي بك أُسوة'، قال: 'فاكفني هؤلاء'، فحمل فضرب أوّل من لقي منهم، فقال: جبرئيل عليه السلام: إنّ هذه لهي المواساة يا محمّد، فقال: 'إنّه منّي وأنا منه'، فقال جبرئيل: 'وأنا منكما يا محمّد'، فقال أبو عبداللَّه عليه السلام: 'فنظر رسول اللَّه إلى جبرئيل على كرسيّ من ذهب بين السماء والأرض وهو يقول:

لا سيف إلا ذو الفقا*** ر ولا فتى إلا عليّ'

[روضة الكافي: ٩٥، حديث ٩٠].

وفي "فرائد السمطين" بسنده عن أبي رافع، قال: لمّا قتل عليّ عليه السلام أصحاب الألوية يوم أُحد أبصر النبيّ صلى الله عليه و آله جماعة من مشركي قريش فقال لعليّ: 'احمل عليهم'، فحمل عليهم وفرّق جماعتهم، وقتل هشام بن أُميّة المخزومي، ثمّ أبصر النبيّ صلى الله عليه و آله جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ: 'احمل عليهم'، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، وقتل عمروبن عبداللَّه الجمحي، ثمّ أبصر النبيّ صلى

الله عليه و آله جماعة - أو جمعاً - من مشركي قريش، فقال لعليّ: 'احمل عليهم'، فحمل عليهم وفرّق جماعتهم وقتل يشكر بن مالك، فأتى جبرئيل عليه السلام النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: إنّ هذه لهي المواساة، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'إنّه منّي وأنا منه'، فقال جبرئيل: وأنا منكما!! فسمعوا صوتاً ينادي:

لا سيف إلا ذو الفقا*** ر ولا فتى إلا عليّ

[فرائد السمطين ١:٢٥٧، ح١٩٨].

و عن عكرمة، عن عليّ عليه السلام: 'قال لي النبيّ صلى الله عليه و آله يوم أُحد: أما تسمع مديحك في السماء إنّ ملكاً اسمه رضوان ينادي:

لا سيف إلا ذو الفقا*** ر ولا فتى إلا عليّ

قال: ويقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله نودي في هذا اليوم:

نادِ عليّاً مظهر العجائب*** تجده عوناً لك في النوائب

كلّ غمّ وهمّ سينجلي*** بولايتك يا عليّ يا عليّ يا عليّ

[بحار الأنوار ٢٠:٧٣].

ثبات علي يوم أُحد وفرار الصحابة كلّهم

على ما رووا اهل السيرة و التاريخ: أنّ راية رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم أُحد بيد أمير المؤمنين عليه السلام، كما كانت يوم بدر، وكان الفتح له أيضاً في هذه الغزوة، وخصّ بحسن البلاء فيها والصبر، وثبوت القدم عندما زلّت الأقدام، وكان له من العناء ما لم يكن لسواه من أهل الإسلام، وقتل اللّٰه بسيفه رؤوس أهل الشرك والضلال، وفرّج اللّٰه به الكرب عن نبيّه صلى الله عليه و آله وخطب بفضله جبرئيل عليه السلام في ملائكة الأرض والسماء، وأبان نبيّ الهدى من اختصاصه به ما كان مستوراً عن عامّة النّاس.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٥٩، الارشاد ٧٨: ١].

و عن زيد بن وهب، قال: قلت لابن مسعود: انهزم النّاس عن رسول اللّٰه حتّى لم يبق معه إلا عليّ وأبو دجانة وسهل؟ قال ابن مسعود: انهزم النّاس إلا عليّ وحده، وثاب إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله نفر كان أوّلهم عاصم بن ثابت وأبو دجانة وسهل بن حنيف، ولحقهم طلحة بن عبيداللّٰه.

فقلت له: فأين كان أبو بكر وعمر؟ قال: كانا فيمن تنحّى، فقلت: فأين كان عثمان؟ قال: جاء بعد ثلاثة من الوقعة [وفي الكامل في التاريخ "١:٥٥٤": 'وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين في أُحد - فيهم: عثمان بن

عفّان وغيره - إلى الأعوص، فأقاموا به ثلاثاً، ثمّ أتوا النبيّ صلى الله عليه و آله، فقال لهم حين رآهم: "لقد ذهبتم فيها عريضة"].

فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "لقد ذهبت فيها عريضة"، قلت: فأين كنت أنت؟ قال: فيمن تنحّى، قلت: فمن حدّثك بهذا؟ قال: عاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، قلت: إنّ ثبوت عليّ في ذلك المقام لعجب؟ قال: إن تعجب منه فقد تعجّبت منه الملائكة، أما علمت أنّ جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: "لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ".

فقلنا: ومن أين علم أنّ جبرئيل قال ذلك؟ فقال: سمع النّاس النداء بذلك وأخبرهم به النبيّ صلى الله عليه و آله.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٥٩].

وفيه أيضاً عن عمران بن حصين، قال: لمّا تفرّق النّاس عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جاء عليّ متقلّداً بسيفه حتّى قام بين يديه، فرفع رأسه إليه، وقال: "ما لَكَ لم تفرّ مع النّاس؟". فقال: "يا رسول اللَّه، أرجع كافراً بعد إسلامي"، فأشار إلى قوم انحدروا من الجبل، فحمل عليهم فهزمهم، فجاء جبرئيل، وقال: يا رسول اللَّه، قد عجبت الملائكة من حسن مواساة عليّ لك بنفسه، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "ما يمنعه من ذلك، وهو منّي وأنا منه"، فقال جبرئيل: وأنا منكما.

[المصدر السابق بعينه].

وروى الطبري بسنده، عن أنس بن النضر - عم أنس بن مالك -: أنّه انتهى إلى عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيداللَّه في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمّد رسول اللَّه، قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّى قُتِل.

[تاريخ الطبري ٢:١٩٩].

و أصعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في الجبل مع جماعة من أصحابه فيهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهم الذين رجعوا بعد فرارهم، أمّا عليّ عليه السلام فلم يفارق النبيّ صلى الله عليه و آله. [أعيان الشيعة ١:٣٨٩].

استمرار حضوره مع رسول اللَّه حتّى غسل عن وجهه الدم

وفي "السيرة النبويّة" لابن هشام، قال: وقع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بعد غزوة أُحد في حفرة فشجّت ركبته، فأخذ عليّ بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيداللّٰه حتّى استوى قائماً. ثمّ قال: ولمّا انتهى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلى فم الشعب خرج عليّ بن أبي طالب حتّى ملأ درقته ماءً من المهراس، فجاء به إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ليشرب منه، فوجود له ريحاً فعافه، وغسل عن وجهه الدم وصبّ على رأسه.

[السيرة النبويّة لابن هشام ٩٠ - ٣:٨٥].

وقال ابن الأثير: لمّا جُرح رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله جعل عليّ عليه السلام ينقل له الماء في درقته من المهراس [المهراس: ماء بجبل أُحد].

ويغسله فلم ينقطع الدم، فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي وأحرقت حصيراً وجعلت على الجرح من رماده فانقطع الدم. [الكامل في التاريخ ١:٥٥٤].

وقال السيّد زيني دحلان: و عطش النبيّ صلى الله عليه و آله عطشاً شديداً وقد جاء عليّ بماء في درقته ليغسل به جرح النبيّ صلى الله عليه و آله، فلم يشرب من ذلك لتغيّر وجده به من طول المكث.

[السيرة النبويّة بهامش السيرة الحلبيّة ٢:٤٥].

و عنه أيضاً: وجاء أنّ نساء المدينة خرجن ومعهنّ فاطمة بنت النبيّ "سلام اللّٰه عليها"، فلمّا لقيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعليّ عليه السلام يسكب الماء فيتزايد الدم، فلمّا رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنّار حتّى صار رماداً، فأخذت ذلك الرماد وكمدته به حتّى لصق بالجرح فاستمسك الدم.

[السيرة النبويّة بهامش السيرة الحلبيّة ٢:٤٥].

وقال الواقدي: خرجت فاطمة عليهاالسلام في نساء وقد رأت الّذي بوجه أبيها فاعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه، وذهب عليّ عليه السلام فأتى بماء من المهراس وقال لفاطمة: 'امسكي هذا السيف غير ذميم'، قال: فلمّا أحضر عليّ عليه السلام الماء أراد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أن يشرب منه، فلم يستطع، وكان عطشاً ووجد ريحاً من الماء كرهها، فقال: 'هذا ماء آجن'، فتمضمض من الدم الّذي كان بفيه ثمّ مجّه، وغسلت فاطمة به الدم عن أبيها.

[كتاب المغازي ١:٢٤٩، وراجع الكامل في التاريخ ١:٥٥٧، وأعيان الشيعة ١:٣٨٨].

روى المفيد في حديث: ولمّا انهزم النّاس عن النبيّ صلى الله عليه و آله في يوم أُحد، وثبت أمير المؤمنين عليه السلام قال له النبيّ: 'ما لك لا تذهب مع القوم؟'. قال أمير المؤمنين: 'أذهب وأدعك يا رسول اللّٰه؟ واللّٰهِ! لا برحتُ حتّى أُقتل أو ينجز اللّٰه لك ما وعدك من النصر؟'، فقال له النبيّ: 'أبشر يا عليّ، فإنّ اللّٰه منجزٌ وعده، ولن ينالوا منّا مثلها أبداً'.

فبعد انهزام المشركين بحملات أمير المؤمنين عليه السلام عليهم قال: ولم يعد بعدها أحد منهم "أي من المشركين"، وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبيّ صلى الله عليه و آله وانصرف المشركون إلى مكّة، وانصرف المسلمون مع النبيّ صلى الله عليه و آله إلى المدينة. فاستقبلته فاطمة عليهاالسلام ومعها إناء فيه ماء، فغسل به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد خضب الدم يده إلى كتفه ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة وقال لها: 'خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم، وأنشأ يقول:

أفاطِم هاكِ السيفَ غيرَ ذَميم*** فلست برعديد ولا بِمُليم

لَعمَري لقد أعذَرتُ في نصر أحمدٍ*** وطاعة ربٍّ بالعبادِ عليم

أَميطي دِماءَ القوم عنه فإنّه*** سقى آلَ عبدالدار كأسَ حميم

وقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'خذيه يا فاطمة، فقد أدّى بعلك ما عليه، وقد قتل اللّٰه بسيفه صناديد قريش'. [الإرشاد ٨١: ١].

ارسال النبيّ ايّاه بعد المعركة لينظر ما يصنعون

ولمّا انصرف أبو سفيان ومن معه، بعث رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: 'اخرج في آثار القوم ماذا يصنعون، فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنّهم يريدون مكّة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فهم يريدون المدينة'، قال عليّ عليه السلام: 'فخرجت في آثارهم فرأيتهم اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل، يريدون مكّة'. [أعيان الشيعة ١:٣٨٩].

جمهور قتلى أُحد من المشركين قتلى عليّ

وعن المفيد - بعد ذكر واقعة أُحد - قال: وقد ذكر أهل السير قتلى أُحد من المشركين، وكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام، فروى عبدالملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبداللّٰه بن محمّد بن إسحاق، قال: ١ - كان صاحب لواء قريش يوم أُحد طلحة بن عبدالعزّى بن عثمان بن عبدالدار قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ٢ - وقتل ابنه أبا سعيد بن طلحة. ٣ - وقتل أخاه كلدة بن أبي طلحة. ٤ - وقتل عبداللّٰه بن حميد بن

زهرة بن الحارث بن أسد بن عبدالعزّى. ٥ - وقتل أبا الحكم ابن الأخنس بن شريق الثقفي. ٦ - وقتل الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة. ٧ - وقتل أخاه أُميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة. ٨ - وقتل أرطأة بن شرحبيل. ٩ - وقتل هشام بن أُميّة. ١٠ - وعمرو بن عبدالله الجمحيّ. ١١ - وبشر بن مالك. ١٢ - وقتل صوأباً مولى بني الدارّ.

وكان الفتح له، ورجوع النّاس من هزيمتهم إلى النبيّ صلى الله عليه و آله بمقامه يذبّ عنه دونهم، وتوجّه العتاب من الله تعالى إلى كافّتهم لهزيمتهم يومئذٍ سواه، ومن ثبت معه من رجال الأنصار وكانوا ثمانية نفر، وقيل: أربعة أو خمسة، وفي قتله عليه السلام من قتل يوم أُحد وعنائه في الحرب وحسن بلائه. يقول الحجّاج بن عِلاط السلميّ:

لله أيُّ مُذَبِّبٍ عن حِزبه*** أعني ابنَ فاطمة المُعِمَّ المُخُولا.

[المعم المخول: الكثير الإمام و الأخوال و كريمهم].

جادَتْ يداك له بعاجل طَعنة*** تَركت طُلَيحةَ للجَبين مُجدَّلا

وشددت شدَّة باسل فكشفتهم*** بالسَّفح إذ يهوون أسفل أسفلا

وعلّلت سيفك بالدماءِ ولم تكن*** لتردَّه حرّان حتّى ينهلا

[الإرشاد: ٨٢، الفصل ٢٣، الباب٢].

عيادة رسول الله عليّاً بعد واقعة أُحد

روى المجلسي في "البحار"، عن الشعبي، قال: انصرف عليّ بن أبي طالب عليه السلام من وقعة أُحد وبه ثمانون جراحة تدخل فيها الفتائل، فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه و آله وهو على نطع [النطع: بساط من الجلد] فلمّا رآه بكى، وقال: 'إنّ رجلاً يُصيبه هذا في سبيل الله لحقٌّ على الله أن يفعل به ويفعل'، فقال عليّ عليه السلام مجيباً له - وبكى ثانية - 'وأمّا أنت يا رسول الله، فالحمد لله الّذي لم يرني ولّيتُ عنك ولا فررتُ، ولكنّي كيف حرمتُ الشهادة؟'، فقال له: 'إنّها من ورائك إن شاء الله تعالى'. [البحار ٢٠:٥٥، ودائرة المعارف لحسن الأمين: ج١ - معركة أُحد].

بعض ما ورد من الأخبار في فضل عليّ يوم أُحد

روى القندوزي عن "مناقب ابن المغازلي" بسنده عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليهم السلام، قال: 'قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعليّ بن أبي طالب: يا أبا الحسن، لو وضع إيمان الخلائق

وأعمالهم في كفّة ميزان، ووضع عملك يوم أُحد على كفّة أُخرى لرجح عملك على جميع ما عمل الخلائق، وأنّ اللّٰه باهى بك يوم أُحد ملائكته المقرّبين، ورفع الحجب من السموات السبع، وأشرقت إليك الجنّة وما فيها، وابتهج بفعلك ربّ العالمين، وإنّ اللّٰه تعالى يعوّضك ذلك اليوم ما يغبط كلّ نبيّ ورسول وصدّيق وشهيد".

[ينابيع المودّة: ٦٤].

روى ابن عساكر الشافعي، عن أبي رافع، قال: لمّا كان يوم أُحد نظر النبيّ صلى الله عليه و آله إلى نفر من قريش، فقال لعليّ: "احمل عليهم"، فحمل عليهم، فقتل هاشم بن أُميّة المخزومي، وفرّق جماعتهم، ثمّ نظر النبيّ صلى الله عليه و آله إلى جماعة من قريش فقال لعليّ: "احمل عليهم"، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، فقتل فلاناً الجمحي، ثمّ نظر إلى نفر من قريش، فقال لعليّ: "احمل عليهم"، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، وقتل أحد بني عامر بن لؤي، فقال له جبرئيل: "إنّ هذه المواساة"، فقال صلى الله عليه و آله: "إنّه منّي وأنا منه"، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول اللّٰه.

[تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي - ترجمة الإمام عليّ ١: ١٥٠، ح ٢١٥].

امتياز عليّ في هذه الغزوة بأُمور لم يشاركه فيها أحد

وممّا ذكرنا آنفاً في "تفاصيل هذه الغزوة وكذا ممّا لم نذكرها توخّياً عن الإطالة"، تظهر امتيازات لعليّ عليه السلام لم يشاركه فيها أحدٌ من الأصحاب، ولن تحصل هذه الامتيازات لأحد بعده أيضاً، نذكر هنا بعضها:

منها: أنّه عليه السلام كان صاحب راية رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فيها كما كان يوم بدر صاحب لواء [الراية هي العلم الأكبر، واللواء دونها] المهاجرين.

ومنها: قتله عليه السلام أصحاب لواء المشركين، وهم سبعة أو تسعة، أوّلهم طلحة بن أبي طلحة الّذي كان يسمّى كبش الكتيبة لشجاعته، ولذلك كبّر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عند قتله تكبيراً عالياً إظهاراً للسرور بقتله، وكبّر معه المسلمون، فكان قتله أوّل فتح شدّ قلوب المسلمين وأوهن المشركين.

ومنها: ثباته عليه السلام مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعدم فراره بعد ما فرّ عنه النّاس جميعهم، أو أكثرهم، وأسلموه إلى عدوّه، فمنهم من صعد في الجبل، ومنهم من فرّ إلى المدينة، ومنهم إلى خارجها، كان عود من عاد منهم بسبب ثباته عليه السلام وتوجّه العتاب من اللّٰه تعالى إلى كافّتهم لهزيمتهم يومئذٍ سواه، ومن ثبت معه من رجال الأنصار وكانوا ثمانية، وقيل خمسة، وقيل: أربعة، وقيل: لم يثبت معه أحدٌ إلا عليّ عليه السلام.

ومنها: أنّه عليه السلام كان هو المحامي عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله والدافع عنه كتائب المشركين الذين صمدوا لقتله.

ومنها: أنّ أكثر المقتولين يومئذٍ قتلاه.

ومنها: تركه عليه السلام الإجهاز على طلحة بن أبي طلحة حياءً وكرماً وعدم سلبه كما لم يسلب عمر بن عبد ودّ يوم الخندق.

ومنها: أنّه عليه السلام أخذ بيد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لمّا سقط في إحدى الحفر الّتي كان حفرها أبو عامر الراهب ليقع فيها المسلمون، ممّا دلّ على ملازمته للنبيّ صلى الله عليه و آله أينما كان وأينما ذهب، وحبس نفسه على حمايته.

ومنها: أنّه عليه السلام حمل الماء بدرقته من المهراس إلى النبيّ صلى الله عليه و آله.

ومنها: أنّه عليه السلام أرسله إلى النبيّ صلى الله عليه و آله بعد انصراف قريش عن المعركة لينظر ما يصنعون، هل قصدوا المدينة أو مكّة.

[راجع في هذا المجال أعيان الشيعة ١: ٣٩٠].

علي في غزوة الخندق

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال أُمّتي إلى يوم القيامة.

مستدرك الحاكم ٣: ٣٢

في غزوة الخندق وسببها

ويقال لها غزوة الأحزاب، وهي الغزوة الّتي ابتلى اللّٰه تعالى فيها عباده المؤمنين، وثبت الإيمان في قلوب أوليائه المتّقين، وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق والشقاق المعاندين.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢: ٣٠٩].

وقعت هذه الغزوة في شوّال سنة خمسة من الهجرة، وكانت غزوة الخندق بعد غزاة بني النضير.

عن العلامة السيّد محسن الأمين "ما ملخّصه": وتسمّى أيضاً غزوة الأحزاب، وقعت في ذي القعدة، وقيل: في شوّال سنة خمس من مهاجره صلى الله عليه و آله. قال المؤرّخون: لمّا أجلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بني النضير من المدينة ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرافهم إلى مكّة منهم: حييّ بن أخطب، وسلام بن

مِشكَم، وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم، فألّبوا قريشاً ودعوهم إلى الخروج إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعلمهم بعداوة أبي سفيان للنبيّ صلى الله عليه و آله وتسرّعه إلى قتاله، فذكروا ما نالهم منه صلى الله عليه و آله وسألوه المعونة على قتاله، فقال لهم أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، أحبّ النّاس إلينا من أعاننا على عداوة محمّد، وقالت لهم قريش: أنتم أهل الكتاب الأوّل والعلم، أخبرونا أديننا خير أم دين محمّد؟ فقالوا: بل دينكم؛ وذلك قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاَءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً"

[سورة النساء: ٥١].

الآية، وعاهدوهم على قتاله صلى الله عليه و آله ووعدوهم لذلك موعداً، ثمّ أتوا غطفان وسليماً ففارقوهم على مثل ذلك، وتجهّزت قريش وجمعوا أحابيشهم، ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف من قريش واليهود، وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب بن أُميّة، وخرجت غطفان وقائدها عُيينة بن حصين في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مرّة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع

[أشجع طائفة من قبائل قريش].

ورئيس الكلّ أبو سفيان، ولمّا تهيّأوا للخروج أتى ركبٌ من خُزاعة في أربع ليال، فأخبروا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فأخبر النّاس وندبهم وشاورهم، فأشار سلمان الفارسي بالخندق، وقال: إنّا كُنّا بفارس إذا حُوصرنا خندقنا علينا، فأعجب ذلك المسلمين، فقطعه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أربعين ذراعاً بين كلّ عشرة، فاختلفت المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، - وكان رجلاً قويّاً - كلّ يقول: منّا، فقالت الأنصار: سلمان منّا، وقالت المهاجرون: سلمان منّا

[الكامل في التاريخ ١:٥٦٩، والبحار ٢٠:١٨٩].

فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "سلمان منّا أهل البيت"، وجعلوا يعملون في الخندق مستعجلين يبادرون قدوم عدوّهم، وعمل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله معهم بيده

[في الكامل في التاريخ "١:٥٦٩": "فكان سلمان، وحذيفة، والنعمان بن مُقرن، وعمرو بن عوف وستّة من الأنصار يعملون، فخرجت عليهم صخرة كسرت المعول، فأعلموا النبيّ صلى الله عليه و آله فهبط إليها ومعه سلمان، فأخذ المعول وضرب الصخرة ضربة صدّعتها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة، فكبّر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله والمسلمون، ثمّ الثانية كذلك، ثمّ الثالثة كذلك، ثمّ خرج وقد صدّعها، فسأله سلمان عمّا رأى من البرق؟ فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة

الأُولى، وأخبرني جبرئيل أنّ أُمّتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم، وأخبرني أنّ أُمّتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء، وأخبرني أنّ أُمّتي ظاهرة عليها، فابشروا، فاستبشر المسلمون". وراجع نحوه في تاريخ الطبري ٢:٢٣٤، والبحار ٢٠:١٨٩].

تنشيطاً لهم، ووكّل بكلّ جانب قوماً، وفرغوا من حفره في ستّة أيّام، وقيل: أكثر، وكان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول - وهم يحفرون -:

اللّهمّ لا خير إلا خير الآخرة*** فارحم الأنصار والمهاجره

فيجيبونه قائلين:

نحن الذين بايعوا محمّداً*** على الجهاد ما بقينا أبدا

ففرغ رسول اللّه صلى الله عليه و آله من حفر الخندق من قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام، وأقبلت قريش من فوق المسلمين ومن أسفلهم كما قال اللّه تعالى: "إِذْ جَاؤُوكُمْ مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ"

[سورة الأحزاب: ١٠].

فلمّا نظروا إلى الخندق قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك؟ فقيل لهم: هذا من تدبير الفارسي الّذي معه.

ثمّ قال السيّد محسن الأمين: ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام

[الآطام: جمع أطم - بالضمّ -: بناء مرتفع كالحصن، وهذه الآطام كانت بين بيوت المدينة].

وكانت المدينة مشبّكة بالبنيان، والنخيل من سائر جوانبها إلا جانباً واحداً، وهو الّذي فيه الخندق، ولا يتمكّن أحد من الدخول إليها إلا من ذلك الجانب، فلذلك جعلوا النساء والذراري في الآطام، ومنه يعلم أنّ الخندق لم يكن على جميع جوانب المدينة، بل على بعض جوانبها، وأقبلت قريش بعد حفر الخندق فنزلت بمجتمع الأسيال، ونزلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد إلى جانب أُحد، وخرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله في ثلاثة آلاف، فعسكر إلى سفح سلع - وهو جبل فوق المدينة - فجعل سلعاً خلف ظهره والخندق بينه و بين القوم.

وساق الكلام إلى أن قال: وبقي المشركون محاصرين المدينة قريباً من شهر، ولم يكن بينهم إلا الترامي بالنبل والحصى، فلمّا اشتدّ البلاء على النّاس أرسل رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى قائدي غطفان، فبذل لهما ثلث ثمار المدينة ليرجعا بمن معهما، فلم يرض بذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة لمّا أخبرهما أنّه صلى الله عليه و آله من باب الرأي، وليس بأمر سماوي.

[أعيان الشيعة ١:٣٩٤، وراجع نحوه في الكامل في التاريخ ١:٥٦٨، وتاريخ الطبري ٢:٢٣٤، وكشف الغمّة ١:٢٦٧، والبحار ٢٠:١٨٨].

تقدّم عليّ إلى عمرو بن عبد ودّ وأحجم عن ذلك المسلمون

روى المؤرخين و اهل السير و الحديث و قالوا: وجاء فوارس من قريش - بعد محاصرتهم وعدم قتال بينهم وبين المسلمين - منم عمرو بن عبدودّ بن قيس، وعكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبداللّٰه بن المغيرة، وهبيرة بن أبي وهب، وضِرار بن الخطّاب الفهري وغيرهم، قد تلبّسوا للقتال، ثمّ مرّوا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيّأوا - يا بني كنانة - للحرب، ثمّ أقبلوا تعنق

[أعنقت الدابّة: سارت سيراً واسعاً فسيحاً مُسبطرّاً ممتدّاً].

بهم خيلهم حتّى وقفوا على الخندق فصاروا إلى مكان ضيّق فيه، كان أغفله المسلمون، فأكرهوا خيولهم فطفرت

[طفر: وثبت في ارتفاع].

بهم فوق الخندق، وجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وصاروا هم والمسلمون على صعيد واحد.

وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر من المسلمين حتّى أخذ عليهم الثغرة

[الثغرة: الثلمة التي كانت في الخندق].

الّتي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تُعنق نحوهم، وقد كان عمرو بن عبد ودّ قاتل يوم بدر حتّى أثبته الجراحة، فلم يشهد أحداً، فلمّا كان يوم الخندق خرج مُعْلِماً لِيُرى مكانه، فلمّا وقف هو وخيله، وقال هل من مبارز؟ فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "من لهذا الكلب؟" فلم يجبه أحدٌ، فجبن عنه النّاس، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: "أنا له، يا رسول اللّٰه"، وهو مقنّعٌ بالحديد، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إنّه عمرو! اجلس".

ونادى عمرو: ألا رجلٌ، ويؤنّبهم ويسبّهم، ويقول: أيْنَ جَنّتكم الّتي تزعمون أنّ من قتل منكم دخلها؟! والمسلمون كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو بن عبدودّ والخوف منه ومن معه، فقام عليّ عليه السلام فقال: "أنا له، يا رسول اللّٰه اللّٰه".

ثمّ نادى الثالثة، فقال:

ولقد بححت من الندا*** ء بجمعكم: هل من مبارز

ووقفت إذ جبن المشجّ*** ع موقف البطل المناجز

إنّ السماحة والشجا*** عة في الفتى خير الغرائز

فقام عليّ عليه السلام فقال: 'يا رسول اللّٰه، أنا له'، فقال صلى الله عليه و آله: 'إنّه عمرو!'، فقال عليّ: 'وإن كان عمرو!'، فاستأذن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فأذن له.

[راجع تاريخ الطبري ٢:٢٣٩، والسيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢:٣١٨، والكامل في التاريخ١:٥٧٠، والبحار ٢٠:٢٠٣ و ٢٢٦، وأعيان الشيعة ١:٣٩٥، وتاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ ١:١٥١].

و روى في "البحار" عن حذيفة أنّه قال: فألبسه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعمّمه عمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار

[الكور: الدور من العمامة].

ثمّ قال له: 'تقدّم'، فقال لمّا ولّى: 'اللّهمّ احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدمه'.

[البحار ٢٠:٢٠٣ و روى نحوه في السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢:٣١٩].

ملخّص قصّة غزوة الخندق عن الواقدي وابن إسحاق

روى في السيرة الحلبية: خرج عمرو بن عبدودّ يوم الخندق وقد كان شهد بدراً فارتُثَّ

[ارتث: حمل من المعركة جريحاً وبه رمق].

جريحاً ولم يشهد أُحداً، فحضر الخندق شاهراً سيفه معلّماً مُدِلّاً بشجاعته وبأسه، وخرج معه ضرار بن الخطّاب الفهري، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبداللّٰه بن المغيرة المخزوميّون، فطافوا بخيولهم على الخندق إصعاداً وانحداراً يطلبون موضعاً ضيّقاً يَعبُرونه، حتّى وقفوا على أضيق موضع فيه في المكان المعروف بالمزار، فأكرهوا خيولهم على العبور فعبرت، وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة، ورسول اللّٰه صلى الله عليه و آله جالس وأصحابه قيام على رأسه.

فتقدّم عمرو بن عبدودّ، فدعا إلى البراز مراراً، فلم يقم إليه أحد، فلمّا أكثر، قام عليٌّ عليه السلام فقال: 'أنا أُبارزه يا رسول اللّٰه'، فأمره صلى الله عليه و آله بالجلوس، وأعاد عمرو النداء، والنّاسُ سكوت كأنّ على رؤوسهم الطير.

فقال عمرو: أيّها النّاس، إنّكم تزعمون أنّ قتلاكم في الجنّة وقتلانا في النّار، أفما يحبّ أحدكم أن يقدم على الجنّة، أو يُقدّم عدوّاً له إلى النّار؟ فلم يقم إليه أحد.

فقام عليّ عليه السلام دفعة ثانية، وقال: 'أنا، يا رسول اللَّه'، فأمره بالجلوس، فجال عمرو بفرسه مقبلاً ومدبراً وجاءت عظماء الأحزاب فوقفت من وراء الخندق ومدّت أعناقها تنظر، فلمّا رأى عمرو أنّ أحداً لا يُجيبه، قال:

ولقد بحُحْتُ من النداء إلى آخره أشعاره.

فقام عليّ عليه السلام فقال: 'يا رسول اللَّه، ائذن لي في مبارزته'، فقال: 'اُدن'، فدنا فقلّده سيفه، وعمّمه بعمامته، وقال: 'امض لشأنك'، فلمّا انصرف قال: 'اللّهمّ أعنه عليه'، فلمّا قرب منه، قال له مجيباً إيّاه عن شعره:

لا تعجلنّ فقد أتاك*** مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيّة وبصيرة*** يرجو بذاك نجاة فائز

إنّي لآمُل أن اُقي*** مَ عليك نائحة الجنائز

من ضربة فوهاءَ يب*** قى ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو: مَن أنت؟ وكان عمرو شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين، وكان نديم أبي طالب بن عبدالمطّلب في الجاهلية، فانتسب عليّ عليه السلام له وقال: 'أنا عليّ بن أبي طالب'، فقال: أجل، لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً، فارجع فإنّي لا اُحبّ أن أقتلك

[قال ابن أبي الحديد في شرحه "١٩:٦١": 'وكان شيخنا أبو الخير يقول: إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع: واللَّه ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه، بل خوفاً منه، فقد عَرَفَ قتلاه ببدر واُحد، وعلم أنّه إن ناهضه قتله، فاستحيا أن يُظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والإرعاء، وإنّه لكاذبٌ فيهما'].

قالوا: فقال له عليّ عليه السلام: 'لكنّي اُحبُّ أن أقتلك'، فقال عمرو: يابن أخي، إنّي لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، فارجع وراءك خيرٌ لك، فقال عليّ عليه السلام: 'إنّ قريشاً تتحدّث عنك أنّك قلت: لا يدعوني أحدٌ إلى ثلاث إلا أجبتُ، ولو إلى واحدة منها؟'. قال: أجل، فقال عليّ عليه السلام: 'فإنّي أدعوك إلى الإسلام'، قال: دع عنك هذه، قال: 'فإنّي أدعوك إلى أن ترجع بمن تبعك من قريش إلى مكّة'، قال: إذن تتحدّث نساء قريش عنّي إنّ غلاماً خدعَني، قال: 'فإنّي أدعوك إلى البراز'، فحمى عمرو

[في السيرة الحلبية بهامشه السيرة النبويّة "٢:٣١٩"، قال: 'فحمى عمرو عند ذلك، أي أخذته الحميّة'].

وقال: ما كنت أظنّ أنّ أحداً من العرب يرومُها منّي، ثمّ نزل فعقر فرسه - وقيل ضرب وجهه ففرّ - وتجاوَلا فثارت لهما غبرة وارتهما عن العيون، إلى أن سمع النّاس التكبير عالياً من تحت الغبرة، فعلموا أنّ عليّاً عليه

السلام قتله، وانجلت الغبرة عنهما وعليّ راكبٌ على صدره يحزّ رأسه، وفرّ أصحابه ليعبروا الخندق، فطفرت بهم خيلهم إلا نوفل بن عبداللّٰه، فإنّه قصر فرسه فوقع في الخندق فرماه المسلمون بالحجارة، فقال: يا معاشر النّاس، قتلة أكرم من هذه، فنزل إليه عليّ عليه السلام فقتله.

[راجع المغازي ٢:٤٧١، وسيرة ابن هشام ٣:٢٣٥، وشرح ابن أبي الحديد ١٩:٦١].

كان رسول اللّٰه ما زال داعياً ربّه

عن ابن أبي الحديد في شرحه قال: وفي الحديث مرفوعاً: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لمّا بارز عليّ عليه السلام عَمرواً ما زال رافعاً يديه مقمحاً

[قمح رأسه: كشفها].

رأسه نحو السماء داعياً ربّه، قائلاً: "اللّهمّ إنّك أخذت منّي عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم اُحد، فاحفظ علَيَّ اليوم عليّاً، ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين".

[شرح ابن أبي الحديد ١٩:٦١. وروى في "البحار ٢١٥: ٢٠" هذا الدعاء عن أبي جعفر الباقر، عن آبائه عليهم السلام عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مع تفاوت يسير].

ما ورد في شأنه بعد أن قتل عمرو بن عبدودّ

١- عن المجلسي في "البحار"، قال: جلس عليّ عليه السلام على صدره، فلمّا همّ أن يذبحه وهو يكبّر اللّٰه ويمُجّده، قال له عمرو: يا عليّ، قد جلست مجلساً عظيماً، فإذا قتلتني فلا تسلبني حُلّتي؟ فقال عليّ عليه السلام: "هي أهون عليَّ من ذلك"، وذبحه وأتى برأسه وهو يخطر

[أي يتبختر].

في مشيته، فقال عمر: ألا ترى - يا رسول اللّٰه - إلى عليّ كيف يمشي؟ فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إنّها لمشية لا يمقتها اللّٰه في هذا المقام"، فتلقّاه ومسح الغبار عن عينيه.

[المصدر السابق: ٢١٥].

٢- و عنه أيضاً: حينما أقبل إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله والدماء تسيل على رأسه عليه السلام من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم والرأس بيده، وهو يقول:

أنا عليّ بن عبدالمطّلب*** الموت خيرٌ للفتى من الهرب

[المصدر السابق: ٢٢٨].

فلمّا وصل إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فألقى رأس عمرو بن عبدودّ بين يدي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقام أبو بكر وعمر فقبّلا رأس عليّ "صلوات اللّٰه وسلامه عليه.

[المصدر السابق: ٢٥٨].

٣- وفيه أيضاً: وقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لو وزن اليوم عملك بعمل جميع اُمّة محمّد لرجح عملك على عملهم"؛ وذاك أنّه لم يبق بيت من المشركين إلا وقد دخله ذلّ بقتل عمرو، ولم يبق بيت من المسلمين إلا وقد دخله عزّ بقتل عمرو، ولمّا قتل عليّ عليه السلام عَمراً، سمع منادياً ينادي ولا يرى شخصه:

قتل عليٌّ عمرواً قصم عليٌّ ظهراً أبرم عليٌّ أمراً

ووقعت الجفلة "الهزيمة" بالمشركين، فانهزموا أجمعين، وتفرّقت الأحزاب خائفين مرعوبين.

[المصدر السابق: ٢١٦].

٤- و قال ابن عساكر الشافعي في تاريخه: ثمّ أقبل عليّ عليه السلام نحو رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ووجهه يتهلّل، فقال عمر بن الخطّاب: هلا سلبته درعه، فإنّه ليس للعرب درع خيرٌ منها؟! فقال عليّ: "ضربته فاتّقاني بسوأته، فاستحييت ابن عمّي أن أسلبه، وخرجت خيله منهزمة حتّى اقتحمت من الخندق".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ ١:١٥٤، ح ٢١٧].

٥- وفي "البحار" رواه بعينه إلا أنّه روى في ذيله: "إنّي استحييتُ أن أكشف سوأة ابن عمّي".

[بحار الأنوار ٢٠:٢٥٧].

٦- وفي "شواهد التنزيل" بإسناده إلى حذيفة - في حديث طويل - قال فيه: فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ: "ما منعك من سلبه؟"، فقال: "يا رسول اللّٰه، تلقّاني بعورته".

[شواهد التنزيل ٢:٥].

جملة من الأخبار الواردة في فضل عليّ يوم الخندق

١- في "شرح ابن أبي الحديد" جاء في الحديث المرفوع: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال ذلك اليوم حين برز إليه "برز عليّ عليه السلام إلى عمرو": "برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه".

[شرح ابن أبي الحديد ١٩:٦١].

٢- وقال العلامة الايجي عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال يوم الأحزاب: "لضربة عليّ خير من عبادة الثقلين".

[المواقف: ٦١٧، نقلاً عن الإحقاق ٦:٤].

٣- وروى العلامة الفخر الرازي: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'لضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين'.

[نهاية العقول في دراية الأُصول: ١١٤، نقلاً عن الإحقاق ٦:٥].

٤- وفي "السيرة الحلبيّة"، قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'قتل عليّ لعمرو بن عبدودّ أفضل من عبادة الثقلين'.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢:٣٢٠].

٥- وفي "شرح ابن أبي الحديد": وقال أبو بكر بن عيّاش: لقد ضرب عليّ بن أبي طالب ضربةً ما كان في الإسلام أيمن منها ضربته يوم الخندق، ولقد ضُرب عليٌّ ضربةً ما كان في الإسلام أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم لعنه اللّٰه.

[شرح ابن أبي الحديد ١٩:٦١، بحار الأنوار ٢٠:٢٥٨].

٦- و روى الحاكم النيسابوري: عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمروبن عبدودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أُمّتي إلى يوم القيامة'.

[مستدرك الحاكم ٣:٣٢ فقد مرّ في أوّل الفصل بعينه].

٧- وفي "شواهد التنزيل" عن حذيفة - في حديث - قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أبشر يا عليّ، فلو وزن اليوم عملك بعمل أُمّة محمّد لرجح عملك بعملهم؛ وذلك أنّه لم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عزّ بقتل عمرو'.

[شواهد التنزيل ٢:٦٣٤].

٨- وفيه أيضاً: عن قيس بن الربيع، قال: حدّثنا أبو هارون العبدي، عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت له: يا أبا عبداللّٰه، إنّا لنتحدّث عن عليّ ومناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنّكم تفرطون في عليّ، فهل أنت محدّثني بحديث فيه؟ فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن عليّ عليه السلام فوالّذي نفسي بيده، لو وضع جميع أعمال أصحاب محمّد في كفّة الميزان منذ بعث محمّداً إلى يوم القيامة، ووضع عمل عليّ في الكفّة الأُخرى لرجح عمل عليّ على جميع أعمالهم، فقال ربيعة: هذا الّذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، فقال حذيفة: يا لكع، وكيف لا يحمل؟ وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمّد يوم عمرو بن عبدودّ، وقد دعا إلى المبارزة، فأحجم النّاس كلّهم ما خلا عليّاً عليه السلام، فإنّه برز إليه وقتله اللّٰه على يده؟ والّذي

نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمّد إلى يوم القيامة. [المصدر السابق: ٢٥٦].

ايراد ابن تيميّة على الحديث وجوابه

عن ابن تيمية - على عادته المعلومة في إنكار ما يثبت فضل عليّ عليه السلام وأهل بيته ولو كان متواتراً مسلّماً - قال: وهذا الحديث "أي ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين" من الأحاديث الموضوعة الّتي لم ترد في شي ء من الكتب الّتي يعتمد عليها ولا بسند ضعيف، وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الإنس والجنّ ومنهم الأنبياء؟ قال: بل إنّ عمرو بن عبدودّ هذا لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢: ٣٢٠، وراجع أعيان الشيعة أيضاً ١: ٣٩٧].

الجواب:

قال برهان الدين الحلبي الشافعي في السيرة في معرض ردّه على قول ابن تيميّة:

أوّلاً: يردّه قوله: "إنّ عمرو بن عبدودّ هذا لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة"، قول ليس له أصل، وكان عمرو بن عبدودّ قد قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أُحد، فلمّا كان يوم الخندق خرج معلماً، أي جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه.

ويردّه أيضاً: أنّه نذر لا يمسّ رأسه دهناً حتّى يقتل محمّداً صلى الله عليه و آله!!

وأمّا ثانياً: فاستدلاله بقوله: 'وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين؟'، وفيه نظر؛ لأنّ قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين، روي في تفسير الفخر: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام - بعد قتله لعمرو بن عبدودّ -: 'كيف وجدت نفسك معه يا عليّ'، قال: 'وجدته لو كان أهل المدينة كلّهم في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم'.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٢: ٣٢٠، وراجع أعيان الشيعة أيضاً ١: ٣٩٧].

انتهى.

وثالثاً: أنّ هذا الحديث مرويّ في كتب كثير من أهل السنّة، كما أشرنا إلى بعضها، فإيراده مطروح بدءاً.

ما جرى للفرسان الذين كانوا مع عمرو بن عبدودّ

وكان الفرسان الذين كانوا مع عمرو والذين ذكرت أسماؤهم ستّة، وهم: ١ - منبه بن عثمان. ٢ - نوفل بن عبدالله المخزومي. ٣ - هبيرة بن أبي وهب المخزومي. ٤ - عكرمة بن أبي جهل. ٥ - ضرار بن الخطّاب الفهري. ٦ - وحسل بن عمرو بن عبدودّ.

أمّا الخمسة الأوّلون منهم فإنّهم لمّا رأوا ما جرى على عمرو هربوا راجعين لا يلوون على شيء؛ لأنّهم علموا أنّهم لو بقوا كان نصيبهم نصيب عمرو، فإنّه كان أشجعهم ومقدّمهم، واشتغل عليّ عليه السلام عنهم بأخذه رأس عمرو إلى النبيّ صلى الله عليه و آله، فلمّا عاد مسرعاً ليلحقهم ويحمي الثغرة، وجدهم قد هربوا، فبعضهم أسرع فطفر الخندق وسلم وهما: عكرمة، ألقى رمحه وهرب، وضرار. وقتل منهم رجلان: منبه، أصابه سهم فمات منه بمكّة، ونوفل اقتحم الخندق فتورّط فيه، فرموه بالحجارة، فقال: يا معشر العرب، قتلة أحسن من هذه، فنزل إليه عليّ عليه السلام فقتله - وفي رواية: ضربه بالسيف فقطعه نصفين - ولحق عليّ عليه السلام هبيرة فأعجزه وضرب قربوس سرجه فسقطت درع له كان قد احتقبها، وقد لحقه قبل أن يعبر الخندق، وهبيرة فارس وعليٌّ راجل، فلذلك فاته هرباً ولم يقدر إلا على ضرب قربوس سرجه، ولو وقف له لقتله، فطفر الخندق وسلم.

وأمّا حسل بن عمرو "وهو سادسهم"، فروى ابن هشام في سيرته عن ابن شهاب الزهري، قال: كان مع عمرو وابنه حسل فقتله عليّ عليه السلام ولعلّه قتله قبل أن يهرب ولذلك قالوا: إنّ من قتل من الهاربين اثنان ولو كان معهم لكانوا ثلاثة، ولا شكّ أنّ منبهاً، وعكرمة، وضراراً بعد ما وصلوا من هزيمتهم إلى عسكر المشركين أخبروهم بما جرى لعمرو وبما أوجب هزيمتهم، ففتّ ذلك في أعضادهم. [انظر: أعيان الشيعة ١:٣٩٦].

وفي "البحار": ووقعت الجفلة [الجفلة: الهرب والهزيمة].

بالمشركين، فانهزموا أجمعين، وتفرّقت الأحزاب خائفين مرعوبين. [بحار الأنوار ٢٠:٢١٦].

ما قالته أُخت عمرو في فضل عليّ

كان لعمرو أُخت اسمها عمرة، وكنيتها أُمّ كلثوم.

[أعيان الشيعة ١:٣٩٨].

عن الشيخ المفيد عن أبي الحسن المدائني أنّه قال: لمّا قَتَلَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن عبدودّ، نُعي إلى أُخته فقالت: مَن ذا الّذي اجترأ عليه؟ فقالوا: ابن أبي طالب، فقالت: لم يَعْدُ يومه إلا على يد كفوٍ كريم، لا رقأت [رقأ الدم أو الدمع: جفّ وانقطع] دمعتي إن هرقتها [أهرق الماء: صبّه] عليه، قتل الأبطال

وبارز الأقران، وكان منيّته على يد كفوٍ كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر، ثمّ أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله*** لكنتُ أبكي عليه آخر الأبد

لكن قاتل عمرو لا يُعاب به*** من كان يُدعى قديماً ببيضة البلد

قالت في قتل أخيها، وذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

أسدان في ضيق المكر تصاولا*** وكلاهما كفوٌ كريم باسلُ

فتخالسا مهج النفوس كلاهما*** وسط المذاد مخاتل ومقاتل

وكلاهما حضر القراع حفيظة*** لم يثنه عن ذاك شغل شاغلُ

[المذاد: ساحة القتال].

ثمّ قالت: "واللّه لا ثأرت قريش بأخي ما حنّت النيّب".

[راجع: الإرشاد: ٩٧، الفصل ٢٥، الباب ٢، وأعيان الشيعة ١:٣٩٨، والنيّب: المسنّة من الإبل].

امتياز عليّ عن جميع من حضر غزوة الخندق بأُمور

وقد امتاز عليّ عليه السلام في غزوة الخندق بأُمور لم يشاركه فيها أحد ممّن حضر الخندق:

الأوّل: مبادرته لحماية الثغرة الّتي عبر منها عمرو وأصحابه.

الثاني: وهو أعظمّها: مبارزته عمراً وقتله، حتّى قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمرو بن عبدودّ يوم الخندق أفضل من عمل أمّتي إلى يوم القيامة".

الثالث: لحوقه بالمنهزمين وهو راجل وهم فرسان لم يمنعه ما به من التعب بمبارة عمرو بن عبدود ومجاولته الّتي أثارت غباراً حجبهما عن الأنظار كأنّه غبار جيش عرمرم.

الرابع: نزوله إلى نوفل إلى الخندق وقتله بضربة قسمته نصفين من ضرباته المشهورة الّتي إذا علا بها قدّ، وإذا اعترض قطّ.

الخامس: لحوقه بهبيرة، وعليّ راجل وهبيرة فارس، فلم يثبت له هبيرة مع أنّه فارس، وما نجّاه إلى الهرب على فرسه، ومع ذلك فقد كاد أن يقتله وأسقط منه درعه الّتي احتقبها.

السادس: قتله حسل بن عمرو، ولم يكن في الثلاثة الآلاف الذين حضروا الخندق من يقوم ا ليه فيقتله حتّى جاءه عليّ عليه السلام فألحقه بأبيه.

السابع: أنّه لم يسلب عَمراً درعه مع أنّها من الدروع الممتازة بين دروع العرب.

الثامن: ما وجده في نفسه من القوّة والثبات حين بارزه بحيث لو كان أمامه جميع أهل المدينة لقدر عليهم، ولم يأخذه خوف منه ولا رهبة مع اشتهاره بالشجاعة والفروسية ومع إحجام النّاس عن مبارزته الّذي يوجب عادة وقوع الهيبة منه في نفس من يريد مبارزته.

قال الرازي في تفسيره: إنّه صلى الله عليه و آله قال لعليّ - بعد قتله لعمرو بن عبدودّ -: "كيف وجدت نفسك معه يا عليّ"، قال عليّ عليه السلام: "وجدتها لو كان أهل المدينة كلّهم في جانب، وأنا في جانب لقدرت عليهم".

التاسع: أنّ قتله عَمراً ونوفلاً كان سبب هزيمة المشركين مع ما أصابهم من الريح والبرد وسبب خوفهم من أن يعاودوا إلى الغزو.

العاشر: أنّه توجّه اللّوم والعتاب يوم الأحزاب إلى المسلمين، كما قال اللّه تعالى: "وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا"

[سورة الأحزاب: ١٠].

الآية، ولم ينج من هذا التوبيخ والعتاب إلا أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ كان الفتح له وعلى يديه.

الحادي عشر: قول النبيّ صلى الله عليه و آله في حقّه عليه السلام: "برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه". [راجع أعيان الشيعة ١:٣٩٧].

علي و صلح الحديبيّة

قال جابر الأنصاري: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول يوم الحديبية - وهو آخذ بيد عليّ عليه السلام -: "هذا إمام البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله" يمدّها بصوته. ينابيع المودّة: ٢٥٠

صلح الحديبيّة وسببها

الحديبية: تصغير حدباء، أهل العراق يشدّدونها، وأهل الحجاز يخفّفون، وهي بئر، وقيل: شجرة، سمّي المكان باسمها، وقيل: قرية قريبة من مكّة أكثرها في الحرم.

وسببها أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله رأى في النوم أنّه دخل مكّة هو وأصحابه آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصّرين، أي بعضهم محلّق وبعضهم مقصّر، وأنّه صلى الله عليه و آله دخل البيت وأخذ مفتاحه، وطاف هو وأصحابه، واعتمر، وأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، ثمّ أخبر أصحابه أنّه يريد الخروج للعمرة، فتجهّزوا للسفر،

فخرج صلى الله عليه و آله معتمراً ليأمن النّاس، أي أهل مكّة ومن حولهم من حربه، وليعلموا أنّه إنّما خرج زائراً للبيت، ومعظّماً له، وكان إحرامه بالعمرة من ذي الحليفة بعد أن صلّى بالمسجد الّذي بها ركعتين، وركب من باب المسجد. وأحرم، وأحرم معه غالب أصحابه، ومنهم من لم يحرم إلا بالجحفة.

وكان خروجه من ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة، واستعمل على المدينة أبا رُهْم كلثوم بن حصين، مع ابن أُمّ مكتوم جميعاً، فكان ابن مكتوم على الصلاة، وكان أبا رُهْم حافظاً للمدينة، وقيل: غير ذلك، وخرج النبيّ صلى الله عليه و آله بعد أن اغتسل ببيته، ولبس ثوبين، وركب راحلته القصوى من عند بابه، وخرجت معه أُمّ سلمة، وأُمّ عمارة، وأُمّ منيع، وأُمّ عامر الأشهليّة من زوجاته، ومعه المهاجرون والأنصار ومن لحق بهم من العرب، كانوا سبعمائة رجل، وقيل: أربع عشرة مائة، وقيل: خمس عشرة، وقيل: ستّ عشرة، وقيل غير ذلك، وليس معهم سلاح إلا السيوف في القرب، وقال له عمر بن الخطّاب: أتخشى - يا رسول اللّٰه - من أبي سفيان وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدّتها؟! فقال صلى الله عليه و آله: "لست أُحبّ أن أحمل السلاح معتمراً"، وساق معه الهدي سبعين بدنة، وقد جلّلها في ذي الحليفة بعد أن صلّى بها الظهر، ثمّ أشعر منها عدّة، وهي موجّهة للقبلة في الشقّ الأيمن من سنامها، وقلّدهن نعلاً نعلاً، وأشعر المسلمون بدنهم وقلّدوها

[الإشعار: جرح بصفحة سنامها، والتقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد ا و نعل بالية ليعلم أنه هدي].

وكان معه مائتا فرس، فأقبل النّاس نحو رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في بعض المحالّ، وكان بين يديه ركوة يتوضّأ منها، فقال: "ما لكم؟"، قالوا: يا رسول اللّٰه، ليس عندنا ماء نشربه ولا ماء نتوضّأ منه إلا ما في ركوتك، فوضع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة أمثال العيون. قال جابر رضى الله عنه: فشربنا وتوضّأنا ولو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا خمس عشرة مائة.

[راجع السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٨، والكامل في التاريخ ٢:٢٠٠ نحوه].

قال المفيد قدس سره: وكان اللواء يومئذٍ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان إليه في المشاهد قبلها. [الإرشاد ١١٩: ١].

وروى الطبري بإسناده عن ابن إسحاق، قال: خرج النبيّ صلى الله عليه و آله معتمراً في ذي القعدة لا يريد حرباً، وقد استنفر العرب من حوله من أهل البوادي من الأعراب أن يخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذين صنعوا به أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب وخرج رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ومن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدي، وأحرم

بالعمرة ليأمن النّاس من حربه، وليعلم النّاس أنّه إنّما جاء زائراً لهذا البيت معظّماً له. [تاريخ الطبري ٢:٢٧٠].

ورواه أيضاً عن المسوّر بن مخرمة، ومروان بن الحكم أنّهما قالا: خرج رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عام الحديبيّة يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً، وساق معه سبعين بدنة، وكان النّاس سبعمائة رجل، كانت كلّ بدنة عن عشرة نفر. [المصدر السابق: ٢٧١].

ما جرى بينه وبين أصحابه في هذه الواقعة

روى في "البحار" عن الزهري وعروة بن الزبير والمسوّر بن مخرمة قالوا: خرج رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من المدينة في بضع عشرة مائة من أصحابه، حتّى إذا كانوا بذي الحليفة قلّد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حتّى إذا كان بغدير الأشطاط قريباً من عسفان أتاه عينه الخزاعي، فقال: إنّي تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعاً وهم قاتلوك أو مقاتلوك، وصادّوك عن البيت فقال: 'روّحوا' فراحوا حتّى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'إنّ خالد بن الوليد بالغميم في خيل قريش طليعة، فخذوا ذات اليمين'، وسار صلى الله عليه و آله حتّى إذا كان بالثنيّة بركت راحلته فقال: 'ما خلأت القصوى

[القصوى: ناقة النبيّ صلى الله عليه و آله].

ولكن حبسها حابس الفيل'.

ثمّ قال: 'واللّٰه! لا يسألوني خطّة يعظّمون فيها حرمات اللّٰه إلا أعطيتهم إيّاها'، ثمّ زجرها فوثبت به، قال: فعدل حتّى نزل بأقصى الحديبيّة على ثمد قليل الماء، إنّما يتبرّضه النّاس تبرّضاً، فشكوا إليه العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثمّ أمرهم أن يجعلوه في الماء، فواللّٰه! ما زال يجيش لهم بالريّ حتّى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول اللّٰه من أهل تهامة، فقال: إنّي تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك، وصادّوك عن البيت.

فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّا لم نجئ لقتال أحد ولكنّا جئنا معتمرين، وإنّ قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدّة، ويخلّوا بيني وبين النّاس، وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه النّاس فعلوا، وإلا فقد جمّوا، وإن أبوا فوالّذي نفسي بيده لأُقاتلنّهم على أمري هذا حتّى تنفرد سالفتي، أو لينفذنّ اللّٰه تعالى أمره'.

فقال بديل: سأُبلغهم ما تقول، فانطلق حتّى أتى قريشاً، فقال: إنّا قد جئناكم من عند هذا الرجل وإنّه يقول كذا وكذا، فقام عروة بن مسعود الثقفي، فقال: إنّه قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها ودعوني آته، فقالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلّم النبيّ صلى الله عليه و آله وقال له رسول اللّٰه نحواً من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمّد، أرأيت استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله

[اجتاح أهله خ ل].

قبلك؟ وإن تكن الأُخرى فواللَّه إنّي لأرى وجوهاً وأرى أوباشاً

[أوباش النّاس: أخلاطهم].

من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك، فقال له بو بكر: أمصص بظر اللات، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ فقال: مَن ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والّذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك.

قال: وجعل يكلّم النبيّ صلى الله عليه و آله، وكلّما كلّمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبيّ صلى الله عليه و آله ومعه السيف وعليه المغفر، فكلّما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخِّر يدك عن لحية رسول اللَّه قبل أن لا ترجع إليك، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، قال: أي غدر، أوَلست أسعى في غدرتك؟ قال: وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثمّ جاء فأسلم، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "أمّا الإسلام فقد قبلنا، وأمّا المال فإنّه مال غدر لا حاجة لنا فيه"، ثمّ إنّ عروة جعل يرمق صحابة النبيّ إذ أمرهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ابتدروا أمره، وإذا توضّأ ثاروا [صاروا خ ل] يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له.

قال: فرجع عروة إلى أصحابه، وقال: أي قوم، واللَّه لقد وَفدتُ على الملوك، ووَفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، واللَّه إن رأيتُ ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحابُ محمّدٍ محمّداً؛ إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له، وإنّه قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلمّا أشرف عليهم قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "هذا فلان، وهو من قوم يعظّمون البدن فابعثوها"، فبعثت له واستقبله القوم يلبّون، فلمّا رأى ذلك، قال: سبحان اللَّه ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البى.

فقام رجل منهم، يقال له: مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلمّا أشرف عليهم، قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "هذا مكرز، وهو رجل فاجر"، فجعل يكلّم النبيّ صلى الله عليه و آله، فبينا هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه و آله: "قد سهّل اللَّه عليكم أمركم"، فقال: اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب فقال له: "اكتب بسم اللَّه الرحمن الرحيم" - الحديث.

[بحار الأنوار ٢٠: ٣٣٠، وسيأتيك قريباً متن الكتاب].

ما جرى من الحوادث في هذه الواقعة

وروى الطبري في تاريخ، عن عكرمة مولى ابن عبّاس، قال: إنّ قريشاً بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ليصيبوا لهم من أصحابه، فأخذوا أخذاً، فأتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول اللَّه بالحجارة والنبل، ثمّ دعا النبيّ صلى الله عليه و آله عمر بن الخطّاب ليبعثه إلى مكّة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له؟ فقال: يا رسول اللَّه، إنّي أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكّة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها وغلظتي عليها، ولكنّي أدلّك على رجل هو أعزّ بها منّي: عثمان بن عفّان، فدعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنّه لم يأت لحرب، وإنّما جاء زائراً لهذا البيت، معظّماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكّة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكّة، أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابّته فحمله بين يديه، ثمّ أردفه وأجاره حتّى بلّغ رسالة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فانطلق عثمان حتّى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلّغهم عن رسول اللَّه ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول اللَّه إليهم: إن شئت أن تطوف البيت، فطف به؟ قال: ما كنتُ لأفعل حتّى يطوف به رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول اللَّه والمسلمين أنّ عثمان قد قُتِل.

[تاريخ الطبري ٢:٢٧٨].

وفيه أيضاً عن عبداللَّه بن أبي بكر، قال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين بلغه أنّ عثمان قد قتل قال: لا نبرح حتّى نناجز القوم، ودعا النّاس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة؛ وذلك قول اللَّه تعالى: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ"

[سورة الفتح: ١٨].

وقال جابر: بايعنا رسول اللَّه على أن لا نفرّ، ولم نبايعه على الموت.

[تاريخ الطبري ٢:٢٧٩].

وفيه أيضاً عن ابن إسحاق قال: فبايع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله النّاس، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجدُّ بن قيس أخو بني سلمة، إلى أن قال: ثمّ أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، إنّ الّذي كان من أمر عثمان باطل.

[المصدر السابق: ٢٨٠].

وفيه أيضاً عن الزهري، قال: ثمّ بعثت قريش سهيل بن عمر وأخا بني عامر بن لؤي إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقالوا له: ائت محمّداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنّا عامه هذا، فواللَّه لا تحدّث العرب أنّه دخل علينا عنوة أبداً.

قال: فأقبل سهيل بن عمرو، فلمّا رآه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مقبلاً قال: "قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل"، فلمّا انتهى سهيل إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تكلّم فأطال الكلام وتراجعا، ثمّ جرى بينهما الصلح، فلمّا التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثبت عمر بن الخطّاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول اللَّه؟ قال: بلى، قال: أوَلسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوَليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال فَعَلامَ نُعطي الدنيّة في ديننا؟! قال: أبو بكر: يا عمر، الزم غَرزه، فإنّي أشهد أنّه رسول اللَّه. قال عمر: وأنا أشهد أنّه رسول اللَّه، قال: ثمّ أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: ألستَ برسول اللَّه؟ قال: "بلى"، قال: أوَلسنا بالمسلمين؟ قال: "بلى"، قال: أوَليسوا بالمشركين؟ قال: "بلى"، قال: فَعَلامَ نُعطي الدنيّة في ديننا؟ فقال: "أنا عبد اللَّه ورسوله لن أُخالف أمره ولن يُضيّعني".

[المصدر السابق بعينه في الكامل في التاريخ ٥٨٥ ـ ٥٨٢ :١، والبحار ٢٠:٣٢٩ نحوه].

ما صالح عليه رسول اللَّه سهيل بن عمرو وكان الكاتب عليّاً

بعثت قريش سهيل بن عمرو ـ أخا عامر بن لؤي ـ إلى النبيّ صلى الله عليه و آله ليصالحه على أن يرجع عنهم عامَه ذلك، فأقبل سهيل إلى النبيّ، فقال رسول اللَّه: "قد سهّل اللَّه عليكم أمركم"، فأطال معه الكلام وتراجعا، ثمّ جرى بينهم الصلح، فدعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب فقال: "اكتب يا عليّ": بسم اللَّه الرحمن الرحيم

فقال: سهيل أمّا الرحمن، فواللَّه ما أدري ما هو لكن اكتب، باسمك اللّهمّ. فقال المسلمون: واللَّه لا نكتبها إلا بسم اللَّه الرحمن الرحيم. فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "اكتب باسمك اللّهم، هذا ما قاضى على محمّد رسول اللَّه"، فقال سهيل: لو كنّا نعلم أنّك رسول اللَّه ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمّد بن عبداللَّه. فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "إنّي لرسول اللَّه، وإن كذّبتموني"، ثمّ قال لعليّ: "امح رسول اللَّه"، فقال: "يا رسول اللَّه، إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة"، فأخذه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فمحاه، وقال لعليّ: "لتبلين بمثلها".

[الكامل في التاريخ ١:٥٨٦].

ثمّ قال: 'اكتب هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبدالله سهيل بن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب عن النّاس عشر سنين، يأمن فيهنّ النّاس، ويكفّ بعضهم عن بعض، وعلى أنّه من قدم مكّة من أصحاب محمّد حاجّاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه وماله، فإنّ بيننا عيبة مكفوفة وإنّه لا أسلال ولا أغلال، وإنّه من أحبّ أن يدخل في عقد محمّد وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل'، فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن في عقد محمّد وعهده، وتواثبت بنو خزاعة، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: 'على أن يخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف'.

فقال سهيل: والله ما تتحدّث العرب أنّا أُخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: على أنّه لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاءنا ممّن معك نردّه عليك.

فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: 'من جاءهم منّا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً'.

فقال سهيل: وعلى أنّك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكّة، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القرب وسلاح الراكب، وعلى أنّ هذا الهدي حيث ما حبسناه محلّه لا تقدّمه علينا، فقال: 'نحن نسوق وأنتم تردّون؟'.

فبينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكّة حتّى رمه بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا - يا محمّد - أوّل ما أُقاضيك عليه أن تردّه، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'إنّا لم نقض بالكتاب بعد'.

قال: والله إذن لا أُصالحك على شي ء أبداً، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'فأجره لي'، قال: ما أنا بمجيره لك، قال: 'بلى فافعل'، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بلى قد أجرناه.

قال أبو جندل بن سهيل: معاشر المسلمين، أُردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟

[في السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة "٣:٢٢": فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: 'يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله أن لا نغدر بهم'].

وكان قد عذّب عذاباً شديداً.

فقال عمر بن الخطّاب: واللَّه ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذٍ، فأتيت النبيّ فقلت: ألست نبيّ اللَّه؟! قال: 'بلى'، قلت: ألسنا على الحقّ، وعدوّنا على الباطل؟! قال: 'بلى'، قلت: فلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذن؟ قال: 'إنّي رسول اللَّه، ولست أعصيه، وهو ناصري'، قلت: أوَلست تحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف حقّاً؟! قال: 'بلى، أفأخبرتك أنّا نأتيه العام؟'، قلت: لا قال: 'فانّك تأتيه وتطوف به'، فنحر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بدنة ودعا بحالقه فحلق شعره.

[راجع: الكامل في التاريخ ١:٥٨٥، وتاريخ الطبري ٢:٢٨١، وسيرة ابن هشام ٣:٣٣١، وغير ذلك، ولفظ الحديث في المتن من البحار ٢٠:٣٢٠، وما بعدها إلى ص٣٣٥].

وروى ابن الأثير: وشهد على الصلح جماعة من المسلمين فيهم: أبو بكر، وعمر، وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم، وجماعة من المشركين - الحديث.

[الكامل في التاريخ ١:٥٨٦].

امتياز عليّ في هذه الواقعة عن غيره

قال الشيخ المفيد في "الإرشاد": فكان نظام تدبير هذه الغزاة معلّقاً بأمير المؤمنين عليه السلام، وكان ما جرى فيها من البيعة وصفت النّاس للحرب ثمّ الهدنة والكتاب كلّه لأمير المؤمنين عليه السلام، وكان فيما هيّأه اللَّه له من ذلك حقن الدماء وصلاح أمر الإسلام، وقد روى الناس له عليه السلام في هذه الغزاة بعد الّذي ذكرناه فضيلتين اختصّ بهما وانضافتا إلى فضائله العظام، ومناقبه الجسام.

ثمّ قال: فروى إبراهيم بن عمرو، عن رجاله، عن قائد مولى عبداللَّه بن سالم، قال: لمّا خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في عُمرة الحديبية نزل الجحفة، فلم يجد بها ماءً، فبعث سعد بن مالك بالروايا حتّى إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا وقال: يا رسول اللَّه، ما استطيع أن أمضي ولقد وقفت قدماي رعباً من القوم، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: 'اجلس'، ثمّ بعث رجلاً آخر فخرج بالروايا حتّى إذا كان بالمكان الّذي انتهى إليه الأوّل رجع، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'لِمَ رجعت؟'، فقال: يا رسول اللَّه، والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً، ما استطعتُ أن أمضي رعباً، فدعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أمير المؤمنين عليه السلام فأرسله بالروايا وخرج السقاة وهم لا يشكّون في رجوعه لمّا رأوا من رجوع من تقدّمه، فخرج عليّ بالروايا حتّى ورد الحرار واستقى، ثمّ أقبل بها إلى النبيّ صلى الله عليه و آله ولها زَجَل، فلمّا دخل كبّر النبيّ صلى الله عليه و آله ودعا له بخير.

ثمّ قال: وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فقال له: يا محمّد، إن أرقّاءنا لحقوا بك فأرددهم علينا، فغضب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حتّى تبيّن الغضب في وجهه، ثمّ قال: "لتنتهنّ يا معاشر قريش، أو ليبعثنّ اللَّه عليكم رجلاً امتحن اللَّه قلبه بالإيمان، يضرب رقابكم على الدين"، فقال بعض من حضر: يا رسول اللَّه، أبو بكر ذلك الرجل؟ قال: "لا"، قيل: فعمر؟ قال: "لا، ولكنّه خاصف النعل في الحجرة"، فتبادر النّاس إلى الحجرة ينظرون مَن الرجل، فإذا هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال: وقد روى هذا الحديث جماعة، عن عليّ عليه السلام، وقالوا فيه:

[ينابيع المودّة: ٥٩، عن الترمذي، وتاريخ بغداد ١:١٣٣، وكفاية الطالب: ٩٦، وسنن الترمذي ٥:٢٩٧].

إنّ عليّاً قصّ هذه القصّة ثمّ قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: "مَن كَذَبَ عَليَّ متعمّداً فَلْيَتَبَوأ مَقعدَهُ مِن النّار"، وكان الّذي أصلحه أمير المؤمنين عليه السلام من نعل النبيّ شسعها

[الشسع: زمام النعل بين الاصبع الوسطى والّتي تليها].

فإنّه كان قد انقطع فخصف موضعه وأصلحه.

ثمّ قال: وروى جابر بن يزيد، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ، عن أبيه عليهم السلام، قال: "انقطع شسع نعل النبيّ فدفعها إلى عليّ عليه السلام يصلحها، ثمّ مشى في نعل واحدة غلوة أو نحوها، وأقبل أصحابه وقال: "إنّ منكم من يقاتل على التأويل كما قاتل معي على التنزيل". فقال أبو بكر: أنا ذاك يا رسول اللَّه؟ فقال: "لا"، فقال عمر: فأنا يا رسول اللَّه؟ قال: "لا"، فأمسك القوم ونظر بعضهم إلى بعض. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "لكنّه خاصف النعل - وأومأ بيده إلى عليّ بن أبي طالب - وإنّه يقاتل على التأويل إذا تُركتْ سنّتي، وَنُبِذَتْ وَحُرِّف كتاب اللَّه، وتكلّم في الدين من ليس له ذلك، فيقاتلهم عليّ على إحياء دين اللَّه تعالى".

[الإرشاد: ١:١٢١ و في كشف الغمّة ١:٢٨٠ بعض ما في الإرشاد].

و روى الحاكم النيسابوري عن أبي سعيد، قال: كنّا مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فانقطعت نعله، فتخلّف عليّ يخصفها، فمشى قليلاً ثمّ قال: "إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله"، فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: "لا"، قال عمر: أنا هو؟ قال: "لا، ولكن خاصف النعل - يعني عليّاً عليه السلام -" فأتيناه فبشّرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنّه قد كان سمعه من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

[المستدرك للحاكم ٣:١٢٢، وصحّحه على شرط الشيخين و مسند أبي يعلى الموصلي ٢:٣٤١، و مسند أحمد ٣:٨٢].

علي في غزوة خيبر

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "لأعطين الراية رجلاً يُحبّ اللَّه ورسولَه، ويُحبّه اللَّهُ ورسولُه، فدعا عليّاً عليه السلام فأعطاه إيّاها، وقال: "اذهب، فإنّ اللَّه يفتح عليك"، فذهب بها، ففتح اللَّه عليه".

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ ١:١٥٧، ح ٢٢٠

شرح غزوة خيبر

خيبر على وزن جعفر، سمّيت باسم رجل من العماليق نزلها، يقال له: خيبر، وقيل: الخيبر بلسان اليهود: الحصن، ومن ثمّ قيل لها: خيابر؛ لاشتمالها على الحصون، وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثيرة، بينها وبين المدينة الشريفة ثمانية برد.

[البريد: أربعةفراسخ، وكلّ فرسخ ثلاثة أميال].

جاء فى مصادر التاريخ و الحديث: أنّه لمّا عاد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من الحديبية أقام بالمدينة ذا الحجّة "ختام سنة ستّ" ومن المحرّم "افتتاح سنة سبع"، أيّاماً، واستخلف على المدينة سِباعَ بن عُرفطة الغِفاري - وكان اللَّه وعده بمغانم عند منصرفه من الحديبية في سورة الفتح بقوله: "وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا"

[سورة الفتح: ٢٠].

أي مغانم خيبر -، ثمّ خرج صلى الله عليه و آله منها غازياً إلى خيبر، وكان المسلمون في هذه الغزوة ألفاً وأربعمائة، والخيل مائتي فرس، وكانت الراية يومئذٍ لأمير المؤمنين عليه السلام، فمضى حتّى نزل بجيشه بالرجيع [الرجيع: وادٍ قريب خيبر].

ليحول بين أهل خيبر وغطفان؛ لأنّهم كانوا مظاهرين لهم على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وقصدت غطفان خيبر ليظاهروا اليهود عليه، ولمّا أشرف رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على خيبر وكان وقت الصبح، قال للنّاس: "قفوا"، فوقف النّاس فرفع يديه إلى السماء وقال: "اللّهمّ ربّ السماواتِ السبعِ وما أظللن، وربِّ الأرضين السبع وما أقللن، وربِّ الشياطين وما أضللن، أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها، وأعوذ بك مِن شرِّها وشرّ ما فيها"، ونزل على خيبر ليلاً ولم يعلم أهلها، فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمساحيهم،

فلمّا رأوه عادوا وقالوا: محمّد والجيش؟! فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "اللَّه أكبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم "فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ" [سورة الصافّات: ١٧٧].

ثمّ حصرهم وضيّق عليهم بضعاً وعشرين ليلة، وبدأ بالأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً، فكان أوّل حصن افتتحه حصن ناعم، وعنده قُتل محمود بن سلمة، أُلقي عليه رحىً فقتله، ثمّ القموص حصن بني أبي الحُقَيق، وأصحاب منهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سَبايا، منهم صفيّة بنت حُييّ بن أخطب، وكانت عند كنانة بين الربيع بن أبي الحُقيق، فاصطفاها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لنفسه، وفشت السبايا في المسلمين، ثمّ افتتح حصن الصعب وهو أكثرها طعاماً وودكاً

[الودك: الدسم والسمن - المنجد].

ثمّ قصد حصنهم الوطيح والسُّلالم، وكانا آخر ما افتتح، فخرج منه مرحب اليهودي صاحب الحصن وعليه مغفر يمانيّ قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد عَلِمتْ خيبرُ أنّي مَرحَبُ*** شاكي السّلاح بطل مجرّب

أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ*** إذا الليوثُ أقبلت تَلْهَّبُ

كان حمايَ كالحِمَى لا يُقْرَبُ

[شاكي السلاح: ذو الشوكة والحدّة في سلاحه - لسان العرب].

[مجرَّب: معروف بالشجاعة].

فسأل المبارزة، وخرج إليه محمّد بن مسلمة وأخوه والزبير و... فرجعوا حتّى خرج إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقتله.

[راجع: الكامل في التاريخ ١: ٥٩٤، والسيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣: ٣١].

كان عليّ فيها صاحب الراية، وكان الفتح على يديه

روى العامّة والخاصّة كلّهم على أنّ عليّاً عليه السلام كان صاحب الراية في غزوة خيبر، وكان الفتح على يديه.

قال المفيد: وكان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السلام بلا ارتياب، وظهر من فضله في هذه الغزاة ما أجمع على نقله الرواة، وتفرّد فيها من المناقب بما لم يشركه فيها أحد من النّاس.

[الإرشاد ١٢٤: ١].

وحيث إنّ في نقل كلماتهم، العامّة والخاصّة فائدة كثيرة، نتعرّض لذكر بعضها:

١- نقل ابن الجوزي الحنفي عن "مسند أحمد" بسنده عن مصعب بن سعد، وعن البخاري ومسلم في "الصحيحين"، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم خيبر: "لأعطينّ الراية - أو هذه الراية - غداً رجلاً يحبّ اللَّه ورسوله، ويحبّه اللَّه ورسوله، يفتح اللَّه على يديه'، فبات النّاس يدوكون

[الدوك: الاختلاط].

ليلتهم أيّهم يعطاها، فلمّا أصبحوا غدوا على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يرجو كلّ أن يعطاها، فقال: "أين عليّ بن أبي طالب؟' فقيل: يا رسول اللَّه، هو أرمد، أو يشتكي عينيه، قال: 'فأرسلوا إليه'، فجاء فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: 'يا رسول اللَّه، على ما أقاتلهم؟'، فقال: 'أنفذ على رِسلك حتّى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ اللَّه تعالى فيه، فوالّذي نفسي بيده، لئن يهدي بهداك - أو لئن يهدي اللَّه بهداك - رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم'.

[وإنّما مثّل بحُمُرِ النِّعم؛ لأنّها من أعزّ أموال العرب، وتجد هذا الحديث أيضاً في السيرة النبويّة لأحمد زيني دحلان ٢:١٩٨، وفرائد السمطين ١:٢٥٣، ح ١٩٦].

ثمّ قال ابن الجوزي: والمسلّم أنّ عمر بن الخطّاب قال في ذلك اليوم: ما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ، فتساورت

[فتساورت: أي تطلّعت].

لها رجاء أن أُدعى لها، فدعا رسول اللَّه عليّاً، فدفعها إليه، وقال: 'امش حتّى يفتح اللَّه عليك، ولا تلتفت'، فسار قليلاً ثمّ وقف ولم يلتفت عليه السلام، وصرخ: 'يا رسول اللَّه، على ماذا أقاتلهم؟'، فقال صلى الله عليه و آله: 'حتّى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه، وأنّ محمّداً رسول اللَّه، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقّها، وحسابهم على اللَّه'.

[تذكرة الخواصّ، وراجع: صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٦:٩٨، ح ٣٩٣٥، وصحيح مسلم ٧:١٢١، طبع دار المعرفة - بيروت، وترجمة الإمام عليّ في تاريخ دمشق ١:١٦٦، ح ٢٢٩، وقد راجعت صحيح البخاري "٥:٧٩" بتحقيق الشمائي الرفاعي، طبع دار العلم - بيروت، سنة ١٤٠٧ه، مع الأسف أسقط المحقّق المذكور من الحديث قوله صلى الله عليه و آله: 'يحبّ اللَّه ورسوله، ويحبّه اللَّه ورسوله'، و لعله ليس هذا إلا بغضاً وعناداً وتعصّباً نعوذ باللَّه من و سبات العقل].

٢- و عنه ايضاً عن الفضائل لأحمد بن حنبل، بسنده عن عطية، عن ابن بريدة، قال: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فلم يفتح له، ثمّ أخذه عمر من الغد فرجع ولم يفتح له، وأصاب النّاس شدّة وجهد، فقال رسول

اللَّه صلى الله عليه و آله: "إنّي دافع اللواء غداً إلى رجل يحبّه اللَّه ورسوله، لا يرجع حتّى يفتح اللَّه على يديه"، قال: فبتنا طيبة أنفسنا أنّ الفتح غداً، فلمّا صلّى رسول اللَّه الفجر قام قائماً، فدعا اللواء والنّاس على مصافّهم، ثمّ دعا عليّاً - الحديث.

[تذكرة الخواصّ: ٣٣].

٣- وقال في "السيرة الحلبيّة": وفي رواية: أنّه صلى الله عليه و آله كان يعطي الراية كلّ يوم واحداً من أصحابه ويبعثه، فبعث أبا بكر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثمّ بعث عمر بن الخطّاب من الغد برايته فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثمّ بعث رجلاً من الأنصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "لأعطينّ الراية غداً رجلاً يُحبُّ اللَّه ورسوله، يفتح اللَّه على يديه، فليس بفرّار - وفي لفظ كرّارٍ غير فرّار -، فدعا عليّاً عليه السلام وهو أرمد، فتفل في عينيه ثمّ قال: "خذ هذه الراية فامض بها حتّى يفتح اللَّه عليك"، ودعا له ولمن معه بالنصر.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٣٧، والسيرة النبويّة لأحمد زيني دحلان ٢:٢٠٠].

٤- و فيه ايضاً: فخرج عليّ عليه السلام يهرول حتّى ركزها تحت الحصن، فاطّلع عليه يهودي من رأس الحصين، فقال: مَن أنت؟ قال: "عليّ بن أبي طالب"، قال اليهودي: علوتهم والتوراة الّتي أنزل اللَّه على موسى. ثمّ خرج إليه أهل الحصن، وكان أوّل من خرج إليه الحارث أخو مرحب - وكان معروفاً بالشجاعة - فانكشف المسلمون ووثب عليّ عليه السلام عليه فتضاربا وتقاتلا، فقتله عليّ وانهزم اليهود إلى الحصن، ثمّ خرج إليه مرحب وقد لبس درعين، وتقلّد بسيفين، واعتمّ بعمامتين، ولبس فوقهما مغفراً وحجراً قد ثقبه قدر البيضة، ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب*** شاكي السلاح بطل مجرّب

إذا الحروب أقبلت تلهّب*** فبرز له عليّ عليه السلام وهو يقول:

"أنا الّذي سمّتني أُمّي حيدرة*** كليث غابات كريه المنظرة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة"*** ثمّ حمل مرحب على عليّ عليه السلام وضربه فطرح ترسه في يده، فتناول عليّ عليه السلام باباً كان عند الحصن فتترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى فتح اللَّه عليه الحصن، ثمّ ألقاه من يده وراء ظهره، وكان طول الباب ثمانين شبراً، ولم يحرّكه بعد ذلك سبعون رجلاً إلا بعد جهد.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٨٣، وفي الإرشاد ١:١٢٦، وكشف الغمّة ١:٢٨٥، والبحار ٢١:٥، نحوه].

٥- وفي "السيرة النبويّة": عن أبي رافع، قال: لقد رأيتني في سبعة نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر.

[السيرة النبويّة بهامش السيرة الحلبيّة ٢:٢٠١، كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٨٢].

٦- وفي إرشاد المفيد: و لمّا قتل أميرالمؤمنين عليه السلام مرحباً، ورجع من كان معه، وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إليه فعالجه حتّى فتحه، وأكثر النّاس من جانب الخندق لم يعبروا معه، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام باب الحصن، فجعله على الخندق جسراً لهم حتّى عبروا، وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم، فلمّا انصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين عليه السلام بيمناه، فدحا به أذرعاً من الأرض، وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً منهم.

[الارشاد ١٢٧: ١؛ بحارالانوار ١٦: ٢١].

٧- وفي "الإصابة" لابن حجر العسقلاني الشافعي، عن مسند أحمد بن حنبل، من حديث جابر، قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا دفع الراية لعليّ عليه السلام يوم خيبر أسرع، فجعلوا يقولون أرفق، حتّى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض، ثمّ اجتمع عليه سبعون رجلاً حتّى أعادوه.

[الإصابة في هامش الاستيعاب ٢:٥٠٢].

ولمّا فتح أمير المؤمنين عليه السلام الحصن وقتل مرحباً، وأغنم اللّه المسلمين أموالهم استأذن حسّان بن ثابت الأنصاري رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن يقول فيه شعراً، فقال له: "قل"، فأنشأ يقول:

وكان عليٌّ أرمدُ العين يَبتغَي*** دَواءً فلمّا لم يُحسّ مُداوِيا

شفاهُ رسولُ اللّه مِنه بِتفلةٍ*** فَبُورك مَرقِيّاً وبُورِك راقيا

وقال سَأُعطي الراية اليومَ صارِماً*** كَمِيّاً مُحبَّاً للرسولِ مُواليا

يُحبُّ إلهي والإلهُ يُحبُّه*** به يُفتَحُ اللّه الحصونَ الأَوابيا

فأصفى بها دونَ البَرِيَّةِ كلِّها*** عليّاً وسمّاهُ الوزير المُؤاخيا

[الارشاد ١٢٨: ١، بحار الأنوار ٢١:٥].

ثمّ لم يزل رسول اللّه يفتح الحصون حصناً فحصناً، ويحوز الأموال حتّى انتهوا إلى حصن الوطيح والسُّلالم، وكان آخر حصون خيبر افتتح، وحاصرهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله بضع عشر ليلة. [المصدرين السابقين: ٥].

نبذة من الروايات الواردة في شأنه في غزوة خيبر

١- روى ابن المغازلي الشافعي، بسنده عن أياس بن سلمة، عن أبيه، قال: خرجنا إلى خيبر فكان عامر يرتجز ويقول:

واللّه لولا اللّه ما اهتدينا*** ولا تصدّقنا ولا صلّينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا*** فثبّت الأقدام إن لاقينا

وأنزلن سكينةً علينا*** ثمّ أرسلني رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى عليّ بن أبي طالب، فأتاه وهو أرمد، فقال: "لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبّ اللّه ورسوله، ويحبّه اللّهُ ورسوله"، فجئت به أقوده وهو أرمد حتّى أتيت به النبيّ صلى الله عليه و آله، فبصق في عينيه فبرأ، ثمّ أعطاه الراية، وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أنّي مرحب*** شاكي السلاح بطلٌ مجرّب

فقال عليّ عليه السلام:

"أنا الّذي سمّتني أُمّي حيدرة*** كليث غابات كريه المنظرة

اوفيكم بالسيف كيل السندرة"*** قال: فضربه ففلق رأس مرحب، فقتله، وكان الفتح على يد عليّ عليه السلام.

[المناقب لابن المغازلي: ١٧٦، ح ٢١٣].

و قال في توضيح الشعر عن أبي محمّد عبداللّه بن مسلم، قال: سألت بعض آل أبي طالب عن قوله: "أنا الّذي سمّتني أُمّي حيدرة"، فذكر أنّ أُمّ عليّ عليه السلام كانت فاطمة بنت أسد، فلمّا ولدت عليّاً وأبو طالب غائب، سمّته أسداً باسم أبيها، فلمّا قدم أبو طالب كره هذا الاسم الّذي سمّته به أُمّه وسمّاه عليّاً، فلمّا رجز عليّ عليه السلام يوم خيبر ذكر الاسم الّذي سمّته أُمّه.

قال: وحيدرة: اسم من أسماء الأسد، والسندرة: شجرة يعمل منها القسيّ، ويحتمل أن يكون مكيالاً يُتّخذ من هذه الشجرة، وتحتمل السندرة أيضاً أن تكون امرأة تكيل كيلاً وافياً.

[المصدر السابق: ١٧٩].

٢- وفيه أيضاً: بسنده عن المغيرة، عن أُمّ موسى، قالت: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: "ما رمدت ولا صُدعت منذ مسح رسول اللّه صلى الله عليه و آله وجهي، وتفل في عيني يوم خيبر، وأعطاني الراية".

[المصدر السابق: ح ٢١٤].

٣- و فيه أيضاً: بسنده عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: بعث رسول اللَّه أبا بكر إلى خيبر، فلم يُفتح عليه، ثمّ بعث عمر فلم يُفتح عليه، فقال: "لأعطينّ الراية رجلاً كرّاراً غير فرّار، يحبُّ اللَّه ورسوله، ويحبّه اللَّه ورسوله"، فدعا عليّ بن أبي طالب وهو أرمد العين، فتفل في عينيه ففتح عينه، وكأنّه لم يرمد قطّ، قال صلى الله عليه و آله: "خُذ هذه الراية، فامض بها حتّى يفتح اللَّه عليك"، فخرج يُهرول وأنا خلف أثره حتّى ركز رايته في رَضم

[الرضم والرضام: صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض].

تحت الحصن، فاطّلع رجل يهودي من رأس الحصن وقال: من أنت؟ قال: "عليّ بن أبي طالب"، فالتفت إلى أصحابه وقال: غُلبتم والّذي أنزل التوراة على موسى، قال: فواللَّه ما رجع حتّى فتح اللَّه عليه.

[المناقب لابن المغازلي: ١٧٩، ح ٢١٧].

٤- و روى ابن عبدالبرّ المالكي، عن جمع كثير من الصحابة، منهم: سعد بن أبي وقّاص، وأبي سعيد الخدري، وعبداللَّه بن عمرو... عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال يوم خيبر: "لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويحبّه اللَّهُ ورسولُه، ليس بفرّار، يفتح اللَّه عليه يديه"، ثمّ دعا بعليّ وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه الراية، ففتح عليه، ثمّ قال: وهذه كلّها آثار ثابتة.

[الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٦، ونحوه في الإصابة لابن حجر ٢:٥٠٢].

٥- وفي "السيرة النبويّة": يروى أنّ عليّاً عليه السلام بلغه مقالة النبيّ صلى الله عليه و آله، يعني قوله: "لأعطينّ الراية"، فقال عليه السلام: "اللّهمّ لا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت"... فلم يتطاول ولم يستشرف.

[السيرة النبويّة بهامش السيرة الحلبيّة ٢:١٩٩].

٦- وروى الطبري بإسناده عن عبداللَّه بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ربّما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلمّا نزل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خيبر، أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى النّاس، وأنّ أبا بكر أخذ راية رسول اللَّه، ثمّ نهض فقاتل قتالاً شديداً ثمّ رجع، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشدّ من القتال الأوّل ثمّ رجع، فأُخبر بذلك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال: "أما واللَّه لأعطينّها غداً رجلاً يحبّ اللَّه ورسوله، ويحبّه اللَّه ورسوله، يأخذها عنوة"، وليس ثمّ عليّ عليه السلام، فتطاولت لها قريش، ورجا كلّ واحد منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح فجاء عليّ عليه السلام على بعير له حتّى أناخ قريباً من خباء رسول اللَّه وهو أرمد، وقد عصب بشقّة برد قطري، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و

آله: 'أدن منّي؟'، فدنا منه فتفل في عينيه فما وجعته حتّى مضى لسبيله، ثمّ أعطاه الراية فنهض بها معه وعليه حلّة أُرجوان حمراء، قد أخرج خَملها، فأتى خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفر يمان، وحجرٌ قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب*** شاكي السلاح بطل مجرّب

فقال عليّ عليه السلام:

أنا الّذي سمّتني أُمّي حَيدره*** أكيلكم بالسيفِ كيلَ السَّنْدُرَه

ليثُ بغابات شديدٌ قسوره*** فاختلفا ضربتين، فبدره عليّ فضربه فقدّ الحجر والمغفر ورأسه حتّى وقع في الأضراس وأخذ المدينة.

[تاريخ الطبري ٢:٣٠٠].

وروى ابن الأثير بعين ما تقدّم عن تاريخ الطبري، وزاد في ذيله: عن أبى رافع مولى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله انّه قال: خرجنا مع عليّ عليه السلام حين بعثه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله برايته إلى خيبر، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترسه من يده، فتناول عليّ عليه السلام باباً كان عند الحصن، فتترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى فتح اللّٰه عليه، ثمّ ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه وكان فتحها في صفر.

[الكامل في التاريخ ٥٩٧ - ٥٩٦ :١].

٧- وروى الحاكم في "المستدرك" بالإسناد عن عليّ عليه السلام، قال: 'سار النبيّ صلى الله عليه و آله إلى خيبر، فلمّا أتاها بعث عمر وبعث معه النّاس إلى مدينتهم أو قصرهم، فقاتلوهم، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه، فجاءوا يجبّنونه ويجبّنهم، فسار النبيّ صلى الله عليه و آله... الحديث.

[مستدرك الحاكم ٣:٣٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصحّحه الذهبي أيضاً].

٨- و روى الصدوق بسنده عن عبداللّٰه بن عمرو بن العاص، قال: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله دفع الراية يوم خيبر إلى رجل من أصحابه - أبي بكر - فرجع منهزماً، فدفعها إلى آخر - عمر - فرجع يجبّن أصحابه ويجبّونه، قد ردّ الراية منهزماً، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللّٰه ورسوله، ويحبّه اللّٰه ورسوله، لا يرجع حتّى يفتح اللّٰه على يديه'، فلمّا أصبح قال: 'ادعوا لي عليّاً'، فقيل له: يا رسول اللّٰه، هو أرمد. فقال: 'ادعوه'، فلمّا جاء تفل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في عينيه، وقال:

"اللّهمّ ادفع عنه الحرّ والبرد"، ثمّ دفع الراية إليه ومضى، فما رجع إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلا بفتح خيبر.

ثمّ قال: إنّه لمّا دنا من الغموص أقبل أعداء اللّٰه من اليهود يرمونه بالنبل والحجارة، فحمل عليهم عليّ عليه السلام حتّى دنا من الباب فثنى رجله، ثمّ نزل مغضباً إلى أصل عتبة الباب فاقتلعه، ثمّ رمى به خلف ظهره أربعين ذراعاً.

قال ابن عمرو: ما عجبنا من فتح اللّٰه خيبر على يدي عليّ عليه السلام، ولكنّا عجبنا من قلعه الباب ورميه خلفه أربعين ذراعاً، ولقد تكلّف حمله أربعون رجلاً فما أطاقوه، فأُخبر النبيّ صلى الله عليه و آله بذلك، فقال: "والّذي نفسي بيده، لقد أعانه عليه أربعون ملكاً".

ثمّ قال: فروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في رسالته إلى سهل بن حنيف: "واللّٰه! ما قلعتُ باب خيبر ورميتُ به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوّة جسديّة، ولا حركة غذائيّة، لكنّي أُيّدتُ بقوّة ملكوتيّة، ونفس بنور ربّها مضيئة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء، واللّٰه! لو تظاهرت العرب على قتالي لما وَلّيتُ، ولو مكّنتني الفرصة من رِقابها لما بقيّتُ، ومَن لم يُبال متى حتفه عليه ساقط فجانه في الملمّات رابط".

[أمالي الصدوق - المجلس السابع والسبعون: ح ١٠].

كرامة ممدودٌ ظلّها، ومنقبة تنمو بها الفضائل كلّها

١- في "تذكرة الخواصّ": قال: وفي رواية: فجاء عليّ عليه السلام وهو أرمد لا يبصر موضع قدميه، قال عليّ عليه السلام: "فما رمدتْ عيني بعد ذلك اليوم، وما وجدت ألم البرد ولا شدّة الحرّ منذ دعا لي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله"، وكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء، وثياب الشتاء في الصيف.

[تذكرة الخواص: ٣٢].

٢- وفي "فرائد السمطين" بسنده عن أُمّ موسى، قالت: "سمعت عليّاً عليه السلام يقول: ما رمدتْ عيني، ولا صدعتْ منذ مسح النبيّ صلى الله عليه و آله وجهي، وتفل في عيني يوم خيبر حين أعطاني الراية".

[فرائد السمطين ١: ٢٦٢، ح ٢٠٣].

٣- وفيه أيضاً عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: كان عليّ عليه السلام يلبس ثياب الشتاء في الصيف، وثياب الصيف في الشتاء، فقيل لابن أبي ليلى: لو سألته عن هذا، فسأله فقال: "إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله بعث إليَّ وكنتُ أرمد يوم خيبر، فقلت: يا رسول اللّٰه، إنّي أرمد العين، فتفل في عيني، وقال: اللّهمّ اذهب عنه الحرّ والبرد، فما وجدتُ حرّاً ولا برداً منذ يومئذٍ"، وقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "لأعطينّ الراية غداً رجلاً

يحبّه اللَّهُ ورسولُه، ويحبّ اللَّهَ ورسوله، ليس بفرّار"، فشرف لها النّاس، قال: فبعث إلى عليّ عليه السلام فأعطاه الراية.

[المصدر السابق: ١٦٤، ح ٢٠٥].

٤- وفيه أيضاً بسنده عن سويد بن غفلة، قال: لقينا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو في ثوبين في شدّة الشتاء، فقلنا: لا تغترّ بأرضنا هذه، فإنّها أرض مقرّة، وليست مثل أرضك، فقال: "أما إنّي قد كنت مقروراً، فلمّا بعثني النبيّ صلى الله عليه و آله إلى خيبر، قلت: إنّي كما ترى لا تدفعها لي، وإنّي لأرمد، فتفل في عيني، ودعا لي، فما وجدتُ برداً بعدُ ولا رمدتْ عيناي".

[المصدر السابق: ٢٦٤، ح ٢٠٦].

امتيازات أمير المؤمنين في غزوة خيبر

وقد تميّز أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة كغيرها من الغزوات أُمور لم يشاركه فيها أحد:

١ - أنّه كان صاحب الراية فيها كسائر الغزوات، وإنّما أخذ الراية غيره لمّا كان أرمد، فلمّا عادوا منهزمين واحداً بعد واحد، وشفاه اللَّه تعالى من الرمد ببركة الرسول صلى الله عليه و آله كان هو صاحبها.

٢- قول النبيّ صلى الله عليه و آله: "لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللَّه ورسولَه، ويحبّه اللَّهُ ورسولُه، كرّارً غير فرّار، يفتح اللَّه على يديه".

٣ - أنّه به كشفت الشدّة والهمّ والجهد عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعن المسلمين لمّا انكشفت الأنصار حتّى انتهوا إليه في موقفه، فاشتدّ ذلك عليه، وأمسى مهموماً وأصاب النّاس شدّة وجهد، ثمّ ثابت أنفسهم أنّ الفتح غداً.

٤ - أنّه لمّا خرج بالراية لم يمش الهوينا، بل أسرع وهرول هرولة فعل الشجاع الباسل الّذي لا يُبالي بشي ء، فجعلوا يقولون له: أرفق، فلم يقف حتّى ركز الراية في أصل الحصن.

٥ - شدّة خوف اليهود وإيقانهم مغلوبون لمّا سمعوا باسمه.

٦ - قتله مرحباً بضربة سمع العسكر صوتها.

٧ - قتله مرحباً وفتحه الحصن قبل أن يتتام لحاق النّاس به، فإنّه ما تتامّ آخر النّاس معه حتّى فتح اللَّه لأوّلهم.

٨ - أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله ألبسه درعه، وعمّمه بيده، وألبسه ثيابه، وشدّ ذا الفقار في وسطه بيده، وأركبه بغلته.

٩ - قتله الحارث أخا مرحب، وكان معروفاً بالشجاعة.

١٠ - ثباته حين خروج الحارث وانهزام المسلمين.

١١ - أنّه لمّا بلغه قول النبيّ صلى الله عليه و آله: "لأعطينّ الراية"، قال: "اللّهمّ لا معطي لما منعتَ، ولا مانع لما أعطيت"، فلم يتطاول ولم يتصادر ولم يتساور ولم يستشرف ولم يظهر حبّ الإمارة.

١٢ - أمر النبيّ صلى الله عليه و آله له أن يخبرهم بما يجب عليهم من حقّ اللّه وقوله له: "لئن يهدي اللّه بك...".

١٣ - دعاء النبيّ صلى الله عليه و آله له أن يكفيه الحرّ والبرد، فاستجاب اللّه له ذلك.

١٤ - تترّسه بباب لم يستطيع قلبه ثمانية نفر أو أكثر.

١٥ - قلعه باب الحصن وإلقاؤه على الأرض، وجعله جسراً على الخندق، واجتماع سبعين رجل حتّى أعادوه.

علي في فتح مكّة

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "يا عليّ، اصعد منكبي"، قال عليّ عليه السلام: "فصعدت منكبيه، ثمّ نهض بي، فقال لي: اذهب إلى صنمهم الأكبر صنم قريش...، فلم أزل أعالجه حتّى استمكنت منه، فقال لي: اقذفه، فقذفت به". فرائد السمطين ١:٢٤٩، رقم ١٩٣

فتح مكّة شرّفها اللّه تعالى

كان فتح مكّة في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة، وبه توطّد أمر الإسلام، ورست قواعد الدين بما منّ اللّه سبحانه على نبيّه فيها، وكان الوعد بها قد تقدّم في قوله تعالى: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً"

[سورة النصر: ١ و ٢].

وقوله تعالى: "لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ" الآية

[سورة الفتح: ٢٧].

وكانت الأعين إلى مكّة ممتدّة والرقاب متطاولة.

[الإرشاد: ١١٦، الفصل ٣٢، الباب ٢].

قال الحلبي في سيرته "ما ملخّصه": وكان السبب في ذلك أنّه لمّا كان صلح الحديبيّة بين رسول اللّه صلى الله عليه و آله وبين قريش "في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة عشر سنين"، وكان في الصلح أنّ من أحبّ أن يدخل في عقد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعهده فليدخل، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم

فليدخل فيه، فدخلت بنو بكر في عهد قريش، ودخلت خزاعة في عهد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وكان قبل ذلك في الجاهلية بينهما ثار ودماء، فلمّا كانت الهدنة والصلح وترك القتال في الحديبيّة، اغتنمها بنو بكر، أي طائفة منهم يقال لهم: بنو نفاثة. ثمّ روى عن الامتاع والكامل لابن الأثير: وسببها أنّ شخصاً من بني بكر هجا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وصار يتغنّى به، فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجّه، فثار الشرّ بين الطائفتين "خزاعة وبني بكر" ممّا كان بينهم من العداوة، فطلب بن ونفاثة "من بني بكر" من أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة؟ فأمدّوهم بذلك فبيّتوا

[بيّته: جاءه ليلاً بغتة].

خزاعة وهم آمنون على ماء يقال له: الوتير، فقتلوا منهم عشرين أو ثلاثة وعشرين، وقاتل معهم جمع من قريش مستخفياً ولا زالوا بهم إلى أن أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكّة، وظنّوا أنّهم لم يعرفوا، وأنّ هذا لا يبلغ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٧٠، وراجع الكامل في التاريخ ١:٦٠٩].

قدوم خزاعة إلى المدينة لتخبر رسول اللّٰه الخبر

فلمّا ناصرت قريش بني بكر على خزاعة، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من العهد والميثاق، ندموا، وجاء الحارث بن هشام إلى أبي سفيان وأخبره بما فعل القوم، فقال: هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه، وإنّه لشرّ واللّٰه ليغزونا محمّد، وعند ذلك خرج عمرو - وقيل: عُمر - بن سالم الخزاعي سيّد خزاعة في أربعين راكباً من خزاعة، فيهم بديل بن ورقاء الخزاعي حتّى قدم على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله المدينة ودخل المسجد، ووقف على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو جالس في المسجد بين النّاس، وقال في أبيات:

يا ربّ إنّي ناشد محمّداً*** حلف أبينا وأبيه الأتلدا

إنّ قريشاً أخلفوك الموعدا*** ونقضوا ميثاقك المؤكّدا

هم بيّتونا بالوتير هجّدا*** وقتلونا رُكّعاً وسُجّدا

فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "نصرت يا عمرو بن سالم"، ودمعتْ عينا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وقال: "لا نصرت إن لم أنصر بني كعب - يعني خزاعة - ممّا أنصر به نفسي".

[السيرة الحلبيّة ٣:٧١، وراجع: الكامل في التاريخ ١:٦١٠].

قالت عائشة: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله صبيحة الواقعة قال لها: "لقد حدث في خزاعة حدث"، قالت: فقلت: يا رسول اللّٰه، أترى قريشاً يجترئون على نقض العهد الّذي بينك وبينهم؟ فقال: "ينقضون العهد لأمر يريده اللّٰه"، فقلت: خير؟ قال صلى الله عليه و آله: "خير".

[السيرة الحلبيّة ٣: ٧١].

وفي رواية: وقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعمرو بن سالم وأصحابه: "ارجعوا وتفرّقوا في الأودية" ليخفى مجيئهم للنبيّ صلى الله عليه و آله. فرجعوا وتفرّقوا، فذهبت فرقة إلى الساحل وفيهم عمرو بن سالم، وفرقة فيهم بديل بن ورقاء لزمت الطريق. [المصدر السابق: ٧٢].

قدوم أبي سفيان المدينة لتأكيد العهد

ولمّا ندمت قريش على ما صنعت، وعلمت أنّه نقض العهد، أرسلوا أبا سفيان ليشدّ العقد ويزيد في المدّة، فقالوا له: ما لها سواك، اخرج إلى محمّد فكلّمه في تجديد العهد وزيادة المدّة، فخرج أبو سفيان ومولى له على راحلتين، فأسرع السير لأنّه يرى أنّه أوّل من خرج من مكّة إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ولكن لقي بديل بن ورقاء بعسفان، فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل جاء إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في المدينة، فقال للقوم: أخبرونا عن يثرب، متى عهدكم بها؟ فقالوا: لا علم لنا بها، وإنّما كنّا في الساحل نصلح بين النّاس في قتل.

ثمّ صبر أبو سفيان حتّى ذهب أولئك القوم، وقدم إلى المدينة، ودخل على ابنته أمّ حبيبة زوج النبيّ صلى الله عليه و آله، ولمّا أراد أن يجلس على فراش رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله طوته عنه، فقال: يا بنيّة، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عنّي؟ قالت: بل هو فراش النبيّ صلى الله عليه و آله وأنت مشرك نجس "فلم أحبّ أن تجلس عليه"

[بين القوسين من الكامل في التاريخ ١: ٦١١].

قال: واللّٰه قد أصابك بعدي شرّ، فقالت: بل هداني اللّٰه تعالى للإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر.

إلى أن قال: ثمّ خرج أبو سفيان حتّى أتى النبيّ صلى الله عليه و آله وقال له: إنّي كنت غائباً في صلح الحديبية، فامدد العهد وزدنا في المدّة، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لذلك جئت يا أبا سفيان؟"، قال: نعم، فقال: "هل كان فيكم من حديث؟" قال: معاذ اللّٰه، نحن على عهدنا وصلحنا لا نغيّر ولا نبدّل، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "فنحن على مدّتنا وصلحنا"، فأعاد أبو سفيان القول على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فلم يرد عليه شيئاً.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٧٢، وراجع: الكامل في التاريخ ١:٦١١. تاريخ الطبرى ٣٢٦:٢].

قال الطبري في "تاريخه"، بعد نقل ما مرّ آنفاً قال: ثم ذهب الى أبي بكر فكلّمه أن يكلّم له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: ما أنا بفاعل، ثمّ أتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول اللَّه؟ فو اللَّه لو لم أجد الا الذرّ لجاهدتكم، ثمّ خرج فدخل أبو سفيان على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة ابنة رسول اللَّه "سلام اللَّه عليهم"، وعندها الحسن بن عليّ يدبّ بين يديها، فقال: يا عليّ، إنّك أمسّ القوم بي رحماً، وأقربهم منّي قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجعنّ خائباً، اشفع لنا إلى رسول اللَّه؟ قال: 'ويحك يا أبا سفيان، واللَّه لقد عزم رسول اللَّه على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه'، فالتفت إلى فاطمة "سلام اللَّه عليها"، فقال: يا ابنة محمّد، هل لك أن تأمرني بُنيّك هذا فيجير بين النّاس، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر، فقالت عليهاالسلام: 'واللَّه! ما بلغ بُنيّ ذلك أن يجير بين النّاس، وما يُجير على رسول اللَّه أحد'، قال: يا أبا الحسن، إنّي أرى الأُمور قد اشتدّت عليَّ فانصحني، فقال له عليه السلام: 'واللَّه ما أعلم شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنّك سيّد بني كنانة، فقم وأجر بين النّاس، ثمّ الحق بأرضك'، قال: أوترى ذلك مغنياً عنّي شيئاً؟ قال: 'لا، واللَّه ما أظنّ، ولكن لا أجد لك غير ذلك'.

فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيّها النّاس، إنّي قد أجرت بين النّاس، ثمّ ركب بعيره فانطلق، فلمّا قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمّداً فكلّمته، فواللَّه ما ردّ عليّ شيئاً، ثمّ جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيراً، ثمّ جئت ابن الخطّاب فوجدته أعدى القوم، ثمّ جئت عليّ بن أبي طالب فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليَّ بشي ء صنعته، فواللَّه ما أدري هل ينبغي شيئاً أم لا؟ قالوا: وبماذا أمرك، قال: أمرني أن أُجير بين النّاس، ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمّد؟ قال: لا، قالوا: ويلك، واللَّه ما زاد الرجل على أن لعب بك فما يغني عنك؟ قال أبو سفيان: لا واللَّه، ما وجدت غير ذلك - الحديث.

[تاريخ الطبري ٢:٣٢٦، و فى الإرشاد: ١٣٢: ١ مع تفاوت يسيرٌ و في السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٧٣، بتفصيل أكثر].

قصد رسول اللَّه مكّة خفاءً وقصّة كتاب حاطب الّذي أخذه عليّ

قال الحلبي في السيرة "ما ملخّصه": وأمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله - بعد مراجعة أبي سفيان - النّاس بالجهاز وأمر أهله أن يجهّزوه، وأمر بأن يخفي الأمر على قريش وأهل مكّة، ثمّ قال: 'خذ العيون والأخبار عن قريش حتّى نبغتها في بلادها'.

وفي رواية قال: "اللّهمّ خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتةً، ولا يسمعون بنا إلا فجأة"، وأخذ بالأنقاب - أي الطرق - فأوقف بكلّ طريق جماعة ليعرف من يمرّ بها، وقال لهم: "لا تدعوا أحداً يمرّ بكم تنكرونه إلا رددتموه".

ولمّا أجمع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله المسير إلى قريش وعلم بذلك النّاس، كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى ثلاثة من كبرائهم وهم: سهيل بن عمرو، وصفوان بن أُميّة، وعكرمة بن أبي جهل، "فإنّهم أسلموا بعد ذلك" كتاباً يخبرهم بذلك، "صورة الكتاب كذا: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قد توجّه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأُقسم باللّٰه لو سار إليكم وحده لينصرنّه اللّٰه تعالى عليكم، فإنّه منجز له ما وعده فيكم، فإنّ اللّٰه تعالى ناصره ووليّه" ثمّ أعطاه امرأة

[وتلك المرأة هي سارة مولاة لبعض بني عبدالمطّلب، وكانت مغنية بمكّة، وكانت قدمة على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله المدينة وأسلمت وطلبت منه الميرة، وشكت الحاجة، فقال لها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "ما كان في غنائك ما يغنيك؟"، فقالت: إنّ قريشاً منذ قتل منهم من قُتل ببدر تركوا الغناء، فوصلها صلى الله عليه و آله وأوقر لها بعيراً طعاماً، فرجعت إلى قريش وارتدّت عن الإسلام، وكان ابن خطل يلقي عليها هجاءً لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فتغنّي به - السيرة الحلبيّة بهامش السيرة النبويّة ٣:٧٥، وروى نحوه تفسير المجمع ٩:٢٦٩، وتفسير الكشّاف للزمخشري ٤:٨٨].

وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، ويقال: أعطاها عشرة دنانير، وكساها برداً، وقال لها: اخفيه ما استطعت، ولا تمرّي على الطريق، فإنّ عليه حرساً، فسلكت غير الطريق، فجعلت الكتاب في قرون رأسها - أي ضفائرها - خوفاً أن يطّلع عليها أحد، ثمّ خرجت به.

وأتى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الخبر من السماءِ بما صنع حاطب، فبعث عليّاً والزبير وطلحة والمقداد، وقيل: عليّاً وعمّاراً والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد، واقتصر بعض الرواة على عليّ عليه السلام، فقال: "أدركا امرأةً بمحلّ كذا، قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذّرهم ما قد أجمعنا في أمرهم فخذوه منها وخلّوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها".

فخرج عليّ عليه السلام ومن معه حتّى أدركاها في ذلك المحلّ الّذي ذكره صلى الله عليه و آله، فقالا لها: أين الكتاب؟ فحلفت باللّٰه ما معها من كتاب، فاستنزلاها وفتّشاها والتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها عليّ عليه السلام: "إنّي أحلف باللّٰه ما كذب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ولا كذبنا، ولتخرجنّ هذا الكتاب أو لنكشفنّك أو أضرب عنقك"، فلمّا رأت الجدّ منه قالت: أعرض؟ فأعرض، فحلّت قرون رأسها فاستخرجت

الكتاب منه، "وفي البخاري: أخرجته من عقاصها"، فدفعته إليه فأتى رسول اللّٰه بذلك الكتاب، فدعا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حاطباً فقال له: 'أتعرف هذا الكتاب'، قال: نعم، فقال: 'ما حملك على هذا؟'، فقال: واللّٰه، إنّي لمؤمن باللّٰه ورسوله، ما غيّرت ولا بدّلت. وفي لفظ: ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششت منذ نصحت، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكنّي ليس لي في القوم أهل ولا عشيرة، ولي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه. وفي لفظ: ولم يكن لي بمكّة قرابة، فأحببت أن أتّخذ فيهم يداً أحمي بها أهلي، وما فعلت ذلك كفراً بعد إسلام، وقد علمت أنّ اللّٰه تعالى منزل بهم بأسه لا يغني عنهم كتابي شيئاً. فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّه قد صدقكم'، فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول اللّٰه، دعني لأضرب عنقه، فإنّ الرجل قد نافق - الحديث.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٧٥].

وفي "الإرشاد" بعد نقل قصّة حاطب بن أبي بلتعة نحو ما مرّ في "السيرة الحلبيّة"، قال: فأمر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أن ينادي بالصلاة جامعة، فنودي في النّاس، فاجتمعوا إلى المسجد حتّى امتلأ بهم، ثمّ صعد النبيّ صلى الله عليه و آله المنبر وأخذ الكتاب بيده، وقال: 'أيّها النّاس، إنّي كنت سألت اللّٰه عزّ وجلّ أن يخفي أخبارنا عن قريش، وإنّ رجلاً منكم كتب إلى أهل مكّة ويخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي'، فلم يقم أحد، فأعاد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مقالته ثانية، وقال: 'ليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي'.

فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف، فقال: أنا يا رسول اللّٰه صاحب الكتاب، وما أحدثتُ نفاقاً بعد إسلامي ولا شكّاً بعد يقيني، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: 'فما الّذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب؟'، قال: يا رسول اللّٰه، إنّ لي أهلاً بمكّة فأشفقتُ أن يكون الدائرة لهم علينا، فيكون كتابي هذا كفّاً لهم عن أهلي ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك لشكٍّ منّي في الدين.

فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول اللّٰه، مُرني بقتله، فإنّه قد نافق؟!

فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّه من أهل بدر، ولعلّ اللّٰه أطّلع عليهم فغفر لهم، أخرجوه من المسجد'، قال: فجعل النّاس يدفعون في ظهره، حتّى أخرجوه وهو يلتفت إلى النبيّ صلى الله عليه و آله ليرقّ عليه، فأمر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بردّه، وقال له: 'قد عفوت عنك وعن جرمك، فاستغفر ربّك ولا تعد بمثل ما جنيت'.

[الإرشاد ٥٦: ١، و روي عنه في البحار ٢١:٩٣ و ١١٩].

وزاد الطبري في آخره: إنّ قوله تعالى: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ' الآية، نزلت في حاطب بن أبي بلتعة.

[تاريخ الطبري ٢:٣٢٨، والآية ١ من سورة الممتحنة].

خروج رسول اللّٰه إلى مكّة ومعه عشرة آلاف من الأصحاب

روى أهل السير والتاريخ منهم: الطبري، والحلبي، وابن الأثير "ما ملخّصه": أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مضى لسفر مكّة واستخلف على المدينة أبا رُهم كلثوم بن حُصين الغفاريّ، وقيل: ابن أُمّ مكتوم، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان، وكان صلى الله عليه و آله في عشرة آلاف باعتبار من لحقه في الطريق من القبائل كبني أسد وسليم، ولم يتخلّف عنه أحد من المهاجرين والأنصار، وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس، وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس، وكانت مزينة ألفاً، وكانت جُهينة ثمانمائة، وقيل كان صلى الله عليه و آله في اثني عشر ألفاً.

وفي سفره صلى الله عليه و آله صام، وصام الناس معه حتّى إذا كانوا بالكديد

[الكديد: محلّ بين عسفان وقديد].

وأفطر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله والنّاس معه وعقد الألوية والرايات في قديد، ودفعها للقبائل، ثمّ سار حتّى نزل بمرّ الظهران، وقد أعمى اللّٰه الأخبار عن قريش إجابة لدعائه له، فلم يعلموا بوصوله إليهم، ولم يبلغهم حرف واحد من مسيره إليهم، فأمر النبيّ صلى الله عليه و آله أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، وكان العبّاس رضى الله عنه قد خرج قبل ذلك بعياله مظهراً للإسلام مهاجراً، فلقي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بالجحفة، وقيل بذي الحليفة، فرجع معه إلى مكّة وأرسل أهله وثقله إلى المدينة، وقال له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'هجرتك - يا عمّ - آخر هجرة'، كما أنّ نبوّتي آخر نبوّة.

قال العبّاس: ورقّت نفسي لأهل مكّة، وقال: واصباح قريش، واللّٰه لئن دخل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مكّة عنوةً قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال العبّاس: فجلست على بغلة رسول اللّٰه البيضاء، فخرجتُ عليها حتّى جئتُ الأراك، فقلت لعليّ عليه السلام: أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكّة يخبرهم بمكان رسول اللّٰه ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوةً.

وفي تلك الليلة خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسّسون الأخبار، هل يجدون خبراً أو يسمعون به.

[راجع: السيرة الحلبية بهامشه السيرة النبويّة ٣:٧٨، وتاريخ الطبري ٢:٣٢٨، والكامل في التاريخ ١:٦١١].

روى الحلبي في "السيرة" عن العبّاس، أنّه قال: فواللَّه! إنّي لأسير إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قطّ، ولا عسكراً، هذه كنيران عرفة، وبديل يقول له: هذه واللَّه خزاعة حمشتها الحرب، وأبو سفيان يقول: خزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

قال العبّاس: فعرفت صوت أبي سفيان، فقلت: يا أبا حنظلة؟ فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأُمّي؟ قلت: واللَّه هذا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في النّاس قد جاءكم بما لا قِبل لكم به، قد جاءكم بعشرة آلاف، فقال: واصباح قريش، واللَّه فما الحيلة؟ قلت: واللَّه، لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتّى آتيك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فأستأمنه لك؟ فركب خلفي ورجع صاحباه، فجئت به كلّما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: مَن هذا؟ وإذا رأوا بغلة رسول اللَّه وأنا عليها؟ قالوا: عمّ رسول اللَّه على بغلته، ودخلت على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال لي رسول اللَّه: 'اذهب به يا عبّاس إلى رحلك'، فذهبت به، فلمّا أصبح غدوت على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بعد أن نودي بالصلاة وثار النّاس، ففزع أبو سفيان، وقال للعبّاس: يا أبا الفضل، ما يريدون؟ قال: الصلاة، ورأى المسلمين يتلقّون وضوء رسول اللَّه ثمّ رآهم يركعون إذا ركع، ويسجدون إذا سجد، فقال أبو سفيان: يا عبّاس، ما يأمرهم بشي ء إلا فعلوه، فقال له العبّاس: لو نهاهم عن الطعام والشراب لأطاعوه، فقال ما رأيتُ ملكاً مثل هذا؟ لا ملك كسرى، ولا ملك قيصر، ولا ملك بني الأصفر، ثمّ قال للعبّاس: كلّمه في قومك، هل عنده من عفو عنهم، فانطلق العبّاس بأبي سفيان حتّى أدخله على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنّه لا إله إلا اللَّه'، قال: بأبي وأُمّي أنت، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، لقد ظننت أنّه لو كان مع اللَّه إله غيره لما أغنى عنّي شيئاً بعد، قال: 'ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول اللَّه؟'، قال: بأبي أنت وأُمّي، أما واللَّه هذه، فإنّ في النفس حتّى الآن منها شيئاً.

وفي رواية: أنّ بديلاً وحكيم بن حزام لم يرجعا، بل جاء بهم العبّاس عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فمكثوا عنده عامّة الليل يستخبرهم عن أهل مكّة، ودعاهم إلى الإسلام فقالوا: نشهد أن لا إله إلا اللَّه، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'اشهدوا أنّي رسول اللَّه'، فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام، فقال أبو سفيان: ما أعلم ذلك واللَّه أنّ في النفس من هذا شيئاً.

[راجع السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٧٨].

وفي الكامل كذا: قيل: إنّ عليّاً عليه السلام قال لأبي سفيان بن الحارث: "إئت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من قِبل وجهه، فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف: "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ"

[سورة يوسف: ٩١].

فإنّه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه فعلاً ولا قولاً، ففعل ذلك، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"

[سورة يوسف: ٩٢].

وقرّبهما، فأسلما، وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره ممّا مضى:

لعمرُكَ إنّي يومَ أحملُ رايةً* لِتَغْلِبَ خَيلُ اللاتِ خَيلَ مُحَمّدِ**

لَكا لمدلج الحَيران أظْلَم لَيلُهُ* فهذا أواني حين أُهدي وأهتدي**

وهادٍ هداني غير نفسي ونالني* مع اللَّه من طرّدتُ كلَّ مُطَرّدِ**

[الكامل في التاريخ ١:٦١٢].

و روى الطبري في تاريخه: بعد نقل ركوب أبي سفيان عجز البغلة، وجاء به عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأسلم وقَبِل رسول اللَّه إسلامه، قال: فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله للعبّاس حين تشهّد أبو سفيان: "انصرف يا عبّاس، فاحبسه عند خَطم الجبل بمضيق الوادي حتّى تمرّ عليه جنود اللَّه"، فقلت له: يا رسول اللَّه، إنّ أبا سفيان رجل يحبّ الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه، فقال: "نعم، مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن"، فخرجت حتّى حبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي، فمرّت القبائل، فيقول: مَن هؤلاء يا عبّاس؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لي ولسليم، فتمرّ به قبيلة، فيقول: مَن هؤلاء؟ فأقول: أسلم، فيقول: ما لي ولأسلم، وتمرّ جهينة فيقول: ما لي ولجهينة، حتّى مرّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في الخضراء كتيبة رسول اللَّه من المهاجرين والأنصار في الحديد، لا يُرى منهم إلا الحدق، فقال: مَن هؤلاء يا أبا الفضل، فقلت: هذا رسول للَّه في المهاجرين والأنصار، فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقلت: ويحك، إنّها النبوّة، فقال: نعم إذن، فقلت: الحق الآن بقومك فحذّرهم؟ فخرج سريعاً حتّى أتى مكّة فصرخ في المسجد: يا معشر قريش، هذا محمّد قد جاءكم بما لا قِبل لكم به، قالوا: فمه؟ فقال: مَن دخل داري هو آمن، فقالوا: ويحك وما تغني عنّا دارك؟ فقال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

[تاريخ الطبري ٢:٣٣١].

وفي "السيرة الحلبيّة": كذا فتفرّق النّاس إلى دورهم وإلى المسجد، وبهذا استُدِلّ على أنّ مكّة فتحت صلحاً لا عنوة.

وفي رواية: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله وجّه حكيم بن حزام مع أبي سفيان بعد إسلامهما إلى مكّة، وقال: 'من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن - وكانت بأسفل مكّة - ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلى مكّة - الحديث.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٨١].

و فيه أيضاً: أنّ سعد بن عبادة كان معه راية رسول اللّٰه على الأنصار، ولمّا مرّ على أبي سفيان وهو واقف بمضيق الوادي، قال أبو سفيان: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فلمّا حاذاه سعد، قال: يا أبا سفيان.

اليوم يوم الملحمة

[الملحمة: أي الحرب والقتال].

اليوم تستحلّ الحرمة اليوم أذلّ اللّٰه قريشاً

فلمّا مرّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بأبي سفيان وحاذاه أبو سفيان، ناداه: يا رسول اللّٰه، أمرت بقتل قومك، فإنّه زعم سعد ومن معه حين مرّ بنا أنّه قاتلنا، فإنّه قال: 'اليوم يوم الملحمة...'، أُنشدك اللّٰه في قومك فأنت أبرّ النّاس وأرحمهم وأوصلهم، فقال صلى الله عليه و آله: 'كذب سعد، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزّ اللّٰه فيه قريشاً، اليوم يعظّم اللّٰه فيه الكعبة، تكسى فيه الكعبة'. وأرسل رسول اللّٰه إلى سعد بن عبادة، أرسل عليّاً عليه السلام أن ينزع اللواء منه - الحديث.

[المصدر السابق ٣:٨٢].

وفي "البحار": في حديث قال: فجعلت الجنود تمرّ به حتّى مرّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في الأنصار، ثمّ انتهى إليه سعد بن عبادة بيده راية رسول اللّٰه فقال: يا أبا حنظة:

اليوم يوم الملحمة* اليوم تسبى الحرمة

يا معشر الأوس والخزرج ثاركم يوم الجبل، فلمّا سمعها "أبو سفيان" من سعد خلّى العبّاس وسعى إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وزاحم حتّى مرّ تحت الرماح، فأخذ غرزة فقبّلها، ثمّ قال: بأبي أنت وأُمّي أما تسمع

ما يقول سعد؟ وذكر ذلك القول فقال صلى الله عليه و آله: "ليس ممّا قال سعد شي ء"، ثمّ قال لعليّ عليه السلام: "أدرك سعداً فخذ الراية منه وأدخلها إدخالاً رفيقاً"، وأخذها عليّ عليه السلام وأدخلها كما أمر.

[البحار ٢١: ١٣٠].

دخل رسول اللّٰه مكّة هاتفاً بقوله: "جاء الحقّ و..."

روى الحلبي في السيرة: دخل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم الفتح من كداء "من أعلى مكّة" وهو راكب على ناقته القصواء، مردفاً أُسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة واضعاً رأسه الشريف على رحله تواضعاً للّٰه تعالى حين رأى ما رأى من فتح اللّٰه تعالى مكّة وكثرة المسلمين، ثمّ قال: "اللّهمّ إنّ العيش عيش الآخرة"، وكان لواء رسول اللّٰه أبيض، ولمّا نزل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مكّة ورأى بيوت مكّة وقف، فحمد اللّٰه وأثنى عليه وقرأ سورة الفتح حتّى جاء البيت، وطاف به سبعاً على راحلته.

وقال ابن عبّاس: دخل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مكّة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستّون صنماً، لكلّ حيٍّ من أحياء العرب صنم، شدّ إبليس أقدامها بالرصاص، فجاء صلى الله عليه و آله ومعه قضيب فجعل يهوي به إلى كلّ صنم منها فيخرّ لوجهه، ويقول: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً"

[سورة الإسراء: ٨١].

حتّى مرّ عليها كلّها، وانتهى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلى المقام، وهو يومئذٍ لاصق بالكعبة.

[راجع: السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣: ٨٤ و ٨٥].

و روى في "البحار": عن أبي عبداللّٰه عليه السلام أنّه قال: لمّا قدم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مكّة يوم افتتحها، فتح باب الكعبه فأمر بصور في الكعبة فطمست، ثمّ أخذ بعضادتي الباب، فقال: "لا إله إلا اللّٰه، وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ماذا تقولون؟ وماذا تظنّون؟" قالوا: نظنّ خيراً ونقول خيراً، أخٌ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت، قال: "فإنّي أقول كما قال يوسف: "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ..." - الحديث. [بحار الأنوار ٢١: ١٣٥].

فضائل عليّ بن أبي طالب في فتح مكّة أُمور

منها قصّة أبي سفيان في المدينة

قال الشيخ المفيد: وكان الّذي فعله أمير المؤمنين عليه السلام بأبي سفيان حينما جاء إلى المدينة ليؤكّد العهد - كما مرّ شرحه - من أصوب رأي لتمام أمر المسلمين، وأصحّ تدبير، وتمّ به لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في القوم ما تمّ، ألا يرى وأنّه صدق أبا سفيان عن الحال، ثمّ لان له بعض اللين حتّى خرج عن المدينة وهو يظنّ أنّه على شي ء، فانقطع بخروجه على تلك الحال موادّ كيده الّتي كان يتشعّث بها الأمر على النبيّ صلى الله عليه و آله؛ وذلك أنّه لو خرج آيساً حسب ما آيسه الرجلان لتجدّد للقوم من الرأي في حربه، والتحرّز منه ما لم يخطر ببال، مع مجي ء أبي سفيان إليهم بما جاء، إذ كان يقيم بالمدينة على التمحّل لتمام مراده بالاستشفاع إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فيتجدّد بذلك أمر يصدّ النبيّ صلى الله عليه و آله عن قصد قريش، أو يثبّطه عنهم تثبيطاً يفوته معه المراد، وكان التوفيق من اللّٰه تعالى مقارناً لرأي أمير المؤمنين "سلام اللّٰه عليه"، فيما رآه من تدبير الأمر مع أبي سفيان، حتّى انتظم بذلك للنبيّ "صلوات اللّٰه عليه" من فتح مكّة ما أراد. [راجع الإرشاد ١٣٤: ١].

ومنها قصّة حاطب وأخذ الكتاب من المرأة

ومن فضائله عليه السلام في فتح مكّة أخذ كتاب حاطب بن أبي بلتعة من امرأة سوداء في طريق المدينة ومكّة، وجاء به إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله كما مرّ شرحه في هذا الفصل، فراجعه.

[راجع أيضاً تفسير مجمع البيان ٩:٢٦٩، وتفسير الكشّاف ٤:٨٨].

قال المفيد "قدّس اللّٰه روحه": وهذه المنقبة لاحقة بما سلف من مناقبه، وفيها أنّ به تمّ لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله التدبير في دخول مكّة وكفى مؤونة القوم، وما كان يكرهه من معرفتهم بقصده إليهم حتّى فجأهم بغتةً، ولم يثق في استخراج الكتاب من المرأة إلا بأمير المؤمنين عليه السلام، ولا أستنصح في ذلك سواه، ولا عوّل على غيره، وكان به كفايته المهمّ وبلوغه المراد وانتظام تدبيره، وصلاح أمر المسلمين وظهور الدين، ولم يكن في إنفاذ الزبير مع أمير المؤمنين عليه السلام فضل يعتدّ به لأنّه لم يكف مُهمّاً، ولا أغنى بمضيّه شيئاً، وإنّما أنفذه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لأنّه في عِداد بني هاشم من جهة أمّه صفيّة بنت عبدالمطّلب، فأراد أن يتولّى العمل بما استسرّ به من تدبيره خاصّ بأهله، وكان الزبير شجاعاً، وفيه إقدام مع النسب الّذي بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام، فعلم أنّه يساعده على ما بعثه له؛ إذ كان تمام الأمر لهما،

فراجع إليهما بما يخصّهما ممّا يعمّ بني هاشم من خير أو شرّ، وكان الزبير تابعاً لأمير المؤمنين عليه السلام ووقع منه فيما أنفذه فيه ما لم يوافق صواب الرأي، فتداركه أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ قال: وفيما شرحناه في هذه القصّة بيان اختصاص أمير المؤمنين من المنقبة والفضيلة بما لم يشركه فيه غيره، ولا داناه سواه بفضل يقاربه فضلاً عن أن يكافئه، والله المحمود. [الإرشاد ٥٩: ١].

ومنها أخذ الراية يوم فتح مكّة من سعد

ومن فضائله يوم فتح مكّة على ما رواه في كتب السير والتاريخ: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أعطى الراية في يوم الفتح سعد بن عبادة، وأمره أن يدخل بها مكّة أمامه، فأخذ سعد وغلظ على القوم وأظهر ما في نفسه من الحنق عليهم، ودخل وهو يقول:

اليوم يوم الملحمة*** اليوم تُسبَى الحرمة

فسمعها العبّاس، فقال للنبيّ: أما تسمع - يا رسول الله - ما يقول سعد بن عبادة؟ وإنّي لا آمن أن يكون له في قريش صولة، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله لأمير المؤمنين: "أدرك - يا عليّ - سعداً، فخذ الراية منه، وكن أنت الّذي تدخل بها مكّة".

[الإرشاد: ١٢١، الفصل ٣٤، الباب ٢، وفي تاريخ الطبري ٢:٣٣٤، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، وفي كشف الغمّة - باب المناقب: ٢٨٩ نحوه].

قال المفيد: فأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذها منه، ولم يمتنع عليه سعد من دفعها إليه، وكان تلافي الفارط من سعد في هذا الأمر بأمير المؤمنين عليه السلام، ولم يرَ رسول الله صلى الله عليه و آله أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من سيّد الأنصار سوى أمير المؤمنين عليه السلام، وعلم أنّه لو رام ذلك غيره لامتنع سعد عليه، وكان في امتناعه فساد التدبير واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين، ولمّا لم يكن سعد يخفض جناحه لأحد من المسلمين وكافّة النّاس سوى النبيّ صلى الله عليه و آله، ولم يكن وجه الرأي تولّى رسول الله صلى الله عليه و آله أخذ الراية منه بنفسه، ولّى ذلك مَن يقوم مقامه، ولا يتميّز عنه، ولا يتعظّم أحد من المقرّين بالملّة عن الطاقة له، ولا يراه دونه في الرتبة، وفي هذا الفضل الّذي تخصّص به أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يشركه فيه أحد، ولا ساواه في نظير له مساوٍ، وكان علم الله ورسوله في تمام المصلحة بإنفاذ أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ما كشف به عن اصطفائه لجسيم الأُمور، كما كان علم الله تعالى فيمن اختاره للنبوّة وكمال المصلحة ببعثه كاشفاً عن كونه أفضل الخلق أجمعين. [الإرشاد ١٣٥: ١].

ومنها من قتله عليّ في مكّة بأمر رسول اللّٰه

قال المفيد: وكان عهد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلى المسلمين عند توجّهه إلى مكّة أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم، وأمن من تعلّق بأستار الكعبة سوى نفر كانوا يؤذونه منهم: مقيّس بن صبابة، وابن خطل، وابن أبي سرح، وقينتان كانتا تغنّيان بهجاء رسول اللّٰه وبمراثي أهل بدر، فقتل أمير المؤمنين عليه السلام أحد القينتين، وأفلتت الأُخرى حتّى استؤمن لها بعد، فضربها فرس بالأبطح في إمارة عمر بن الخطّاب فقتلها، وقتل أمير المؤمنين عليه السلام الحويرث بن نفيل بن كعب، وكان ممّن يؤذي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بمكّة. [المصدر السابق بعينه].

ومنها صعوده على منكبي رسول اللّٰه وإلقاء الصنم من فوق الكعبة

روى الحلبي و السيرة: عن عليّ، قال: "انطلق بي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ليلاً حتّى أتى الكعبة، فقال: اجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد رسول اللّٰه على منكبي، ثمّ قال: انهض، فنهضتُ، فلمّا رأى ضعفي تحته، قال: اجلس، فجلست، ثمّ قال: يا عليّ، اصعد على منكبي، ففعلت".

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٨٦].

وفي "مستدرك الحاكم" وغيره، بالإسناد عن أبي مريم الثقفي المدائني، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: "انطلق بي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حتّى أتى بي الكعبة، فقال لي: اجلس، فجلستُ إلى جنب الكعبة، فصعد النبيّ على منكبي، ثمّ قال لي: انهض؟ فنهضتُ، فلمّا رأى ضعفي تحته، قال لي: اجلس، فجلستُ، فقال: يا عليّ، اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه، ثمّ نهض بي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فلمّا نهض بي خيّل إليَّ لو شئت نلت أُفق السماء، فصعدت فوق الكعبة، وتنحّى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقال لي: ألق صنمهم الأكبر؟ صنم قريش - وكان من نحاس موتّداً بأوتاد من حديد إلى الأرض - فقال لي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: عالجه، ورسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: إيهٍ إيهٍ "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً"

[سورة الإسراء: ٨١].

فلم أزل أُعالجه حتّى استمكنت منه، فقال: اقذفه، فقذفتُه وتكسّر، وتروّيت من فوق الكعبة، فانطلقت أنا والنبيّ صلى الله عليه و آله وخشينا أن يرانا أحدٌ من قريش أو غيرهم".

[مستدرك الحاكم ٢:٣٦٧، وفرائد السمطين ١:٢٤٩، ح ١٩٣، ونحوه في ينابيع المودّة: ٢٥٤].

وفي "السيرة الحلبيّة": قيل لعليّ عليه السلام: كيف كان حالك؟ وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟ فقال: "كان من حالي أنّي لو شئت أن أتناول الثريّا لفعلت".

[السيرة النبويّة بهامشه السيرة الحلبيّة ٣:٨٦ و نحوه تذكرة الخواصّ: ٣٤].

و قال المفيد: ولمّا دخل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله المسجد، وجد فيه ثلاثمائة وستّين صنماً، بعضها مشدود إلى بعض بالرصاص، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام أعطني - يا عليّ - كفّاً من الحصى، فقبض له أمير المؤمنين كفّاً، فناوله فرماها به، وهو يقول: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً"، فما بقي منها صنم إلا خرّ لوجهه، ثمّ أمر فأُخرجت من المسجد وطرحت وكسرت.

[الإرشاد: ١٢٤، الفصل ٢٤، الباب ٢، وكشف الغمّة - باب المناقب: ٢٩١].

ثمّ قال أيضاً: وفيما ذكرناه من أعمال أمير المؤمنين عليه السلام في قتل من قتل من أعداء اللّٰه بمكّة، وإخافة من أخاف، ومعونة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على تطهير المسجد من الأصنام، وشدّة بأسه في اللّٰه وقطع الأرحام في طاعة اللّٰه عزّ وجلّ، أدلّ دليل على تخصّصه من الفضل بما لم يكن لأحد منهم سهم فيه حسبما قدّمناه. [المصدر السابق: ١٢٤، الفصل ٣٦، الباب٢].

تعقيب وتتميم

روى الطبري، وابن الأثير في تاريخهما: لمّا دخل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مكّة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة، وقال: "لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كلّ دم أو مأثرة أو مال يدّعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاجّ، ألا وقتيل الخطأ مثل العمد، السوط والعصا فيهما الدية، مغلّظة منها أربعون في بطونها أولادها.

يا معشر قريش، إنّ اللّٰه قد أذهب عنكم نخوة الجاهليّة وتعظمها بالآباء، النّاس من آدم، وآدم خُلق من تراب"، ثمّ تلا رسول اللّٰه: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" الآية

[سورة الحجرات: ١٣].

"يا معشر قريش، ويا أهل مكّة، ما ترون إنّي فاعل بكم؟" قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم. ثمّ قالوا: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، فأعتقهم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وقد كان اللّٰه أمكنه من رقابهم عنوة، وكانوا له فيئاً، فبذلك يسمّى أهل مكّة الطلقاء.

ثمّ اجتمع النّاس بمكّة لبيعة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على الإسلام، فجلس له على الصفا... فبايع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على السمع والطاعة للَّه ولرسوله فيما استطاعوا، وكذلك كانت بيعته لمن بايع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من النّاس على الإسلام، فلمّا فرغ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من بيعة الرجال بايع النساء واجتمع إليه نساء من نساء قريش - الحديث.

[تاريخ الطبري ٢:٣٢٧، والكامل في التاريخ ١:٦١٨].

وقريب من هذا المضمون رواه المجلسي في "البحار" إلا أنّه زاد في ذيله قوله صلى الله عليه و آله: 'ألا إنّ مكّة محرّمة بتحريم اللَّه، لم تحلّ لأحد كان قبلي، ولم تحلّ لي إلا ساعة من نهار، وهي محرّمة إلى أن تقوم الساعة' - الحديث.

[راجع: البحار ٢١:١٠٥].

روى الشيخ المفيد و غيره: إنّ عليّاً عليه السلام بلغه أنّ أُخته أُمّ هاني قد آوت أُناساً من بني مخزوم، منهم: الحارث بن هشام، وقيس بن السائب، فقصد عليه السلام نحو دارها مقنّعاً بالحديد، فنادى: 'أخرجوا من آويتم!'، قال: فجعلوا يَذرُقون واللَّه كما تذرق الحبارى خوفاً منه، فخرجت أُمّ هاني وهي لا تعرفه، فقالت: يا عبد اللَّه، أنا أُمّ هاني بنت عمّ رسول اللَّه، وأُخت عليّ بن أبي طالب، انصرف عن داري.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'أخرجوهم'، فقالت: واللَّه، لأشكونّك إلى رسول اللَّه، فنزع المغفر عن رأسه فعرفته، فجاءت تشتدّ حتّى التزمته، وقالت: فديتك، حلفت لأشكونّك إلى رسول اللَّه؟ فَنزَع المغفر عن رأسه فعرفته، فجاءت تشتَدّ حتّى التَزَمَتْه و قالت: فديتك، حَلفتُ لأشكُوَنَّك الى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال لها: 'اذهبي فَبرِّي قسمك، فإنّه بأعلى الوادي'.

فقالت أُمّ هاني: فجئت إلى النبيّ صلى الله عليه و آله وهو في قبّة يغتسل وفاطمة "سلام اللَّه عليها" تستره، فلمّا سمع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كلامي، قال: 'مرحباً بِكِ يا ا/"ذ

مّ هاني وأهلاً'، قلت: بأبي أنت وأُمّى، أشكو إليك ما لقيتُ من عليّ اليوم. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'قد أجرتُ من أجرتِ'.

فقالت فاطمة: إنّما جئتِ - يا أُمّ هاني - تشكين عليّاً في أنّه أخاف أعداء اللَّه وأعداء رسوله؟'.

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'لقد شَكَر اللَّه لعليّ سعيه، وأجرتُ من أجارت أُمّ هاني لمكانها من عليّ بن أبي طالب'.

[الارشاد ١٣٧: ١؛ كشف الغمّة - باب المناقب: ٢٩٠، وفي بحار الأنوار ٤١:١٠، نحوه].

علي في غزوة حنين

عن عجلان أبي صالح، قال: سمعت أبا عبداللّٰه عليه السلام يقول: "قتل عليّ بن أبي طالب بيده يوم حنين أربعين".

روضة الكافي: ٣٠٨، الحديث ٥٦٦ .

غزوة حنين وسببها

حنين: اسم موضع قريب من الطائف، وفي كلام بعضهم: إلى جنب ذي المجاز، وقيل: اسم لما بين مكّة والطائف.

وتسمّى غزوته بغزوة حنين، وأيضاً بغزوة هوازن، ويقال لها أيضاً: غزوة أوطاس باسم الموضع الّذي كانت به الواقعة في آخر الأمر، واتّفقت في شوّال سنة ثمان للهجرة بعد فتح مكّة.

وسببها: أنّه لمّا فتح اللّٰه على رسوله مكّة أطاعت له قبائل العرب إلا هوازن وثقيفاً، فأهلهما كانوا طغاة عتادة مردة.

[راجع تفسير المنار ١٠:٢٤٥، وتفسير الكاشف ٤:٢٤، وتاريخ الطبري ٢:٣٤٤، والسيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:١٠٦].

في السيرة الحلبيّة "ما ملخّصه": لمّا فتح اللّٰه على رسوله صلى الله عليه و آله مكّة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض، فخافوا أن يغزوهم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وقالوا: قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا، فحشدوا وبغوا وجمعوا إلى مالك بن عوف النصري جموع كثيرة، فأمر النّاس بأخذ أموالهم ونسائهم وأبنائهم معهم ونزلوا بأوطاس.

ولمّا سمع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله باجتماعهم أرسل إليهم عبداللّٰه بن أبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه، فدخل فيهم ومكث فيهم يوماً أو يومين وسمع، ثمّ أتى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فأخبره الخبر، وخرج رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في اثني عشر ألفاً: ألفان من أهل مكّة والعشرة آلاف الذين فتح اللّٰه بهم مكّة، فلمّا قربوا من محل العدوّ صفّهم ووضع الألوية والرايات مع المهاجرين والأنصار، فلواء المهاجرين أعطاه عليّاً عليه السلام.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:١٠٦].

وروى الطبري في تاريخه، عن عروة أنّه قال: أقام النبيّ صلى الله عليه و آله بمكّة عام الفتح نصف شهر لم يزد على ذلك حتّى جاءت هوازن وثقيف، فنزلوا بحنين - وحنين واد إلى جنب ذي المجاز - وهم يومئذٍ عامدون يريدون قتال النبيّ صلى الله عليه و آله، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من المدينة، وهم يظنّون أنّه يريدهم حيث خرج من المدينة، فلمّا أتاهم أنّه قد نزل مكّة أقبلت هوازن عامدين إلى النبيّ صلى الله عليه و آله وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال، ورئيس هوازن يومئذٍ مالك بن عوف أحدُ بني نصر، وأقبلت معهم ثقيف حتّى نزلوا حنيناً يريدون النبيّ صلى الله عليه و آله، فلمّا حدّث النبيّ صلى الله عليه و آله وهو بمكّة أن قد نزلت هوازن وثقيف بحنين يسوقهم مالك بن عوف أحد بني نصر وهو رئيسهم يومئذٍ عمد النبيّ صلى الله عليه و آله حتّى قدم عليهم فوافاهم بحنين فهزمهم اللَّه عزّ وجلّ، وكان فيها ما ذكر اللَّه عزّوجلّ في الكتاب، وكان الّذي ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنيمة أغنمها اللَّه عزّوجلّ رسوله صلى الله عليه و آله، فقسّم أموالهم فيمن كان أسلم معه من قريش.

[تاريخ الطبري ٢:٣٤٤، وروى ابن هشام نحوه في السيرة ٤:٦٢٤، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت].

شرح واقعة حنين وهزيمة المسلمين عن رسول اللَّه

قال العلامة الطبرسي في تفسيره "ما ملخّصه": ذكر أهل التفسير وأصحاب السير: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لمّا فتح مكّة خرج منها متوجّهاً إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان أو في شوّال في سنة ثمان من الهجرة، وقد اجتمع رؤساء هوازن إلى مالك بن عوف النصري، وساقوا معهم أموالهم ونساءهم ونزلوا بأوطاس، وكان دريد بن الصمّة في القوم، وكان رئيس جشم، وكان شيخاً كبيراً قد ذهب بصره من الكبر، فقال: بأيّ واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل.

وعقد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لواءه الأكبر ودفعه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكلّ من دخل مكّة براية أمره أن يحملها، وخرج بعد أن أقام بمكّة خمسة عشر يوماً، وبعث إلى صفوان بن أُميّة فاستعار منه مائة درع، فقال صفوان: عارية أم غصب؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'عارية مضمونة مؤدّاة'، فأعاره صفوان مائة درع، وخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من مكّة في اثني عشر ألفاً، وبعث رجلاً من أصحابه [كما مرّ عن السيرة الحلبيّة: 'هو عبداللَّه بن أبي حدرد الأسلمي'].

فانتهى إلى مالك بن عوف وهو يقول لقومه: ليصيِّر كلّ رجل منكم أهله وماله خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم، واكمنوا في شِعاب هذا الوادي وفي الشجر، فإذا كان في غبش الصبح فاحملوا حملة رجل واحد، فهدّوا القوم فإنّ محمّداً لم يلق أحداً يحسن الحرب.

فرجع الرجل فأخبره صلى الله عليه و آله الخبر، ولمّا صلّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بأصحابه الغداة انحدر في وادي حنين، فخرجت عليهم كتائب هوازن من كلّ ناحية وانهزمت بنو سليم - وكانوا على المقدّمة - وانهزم ما وراءهم، وخلّى اللَّه تعالى بينهم وبين عدوّهم لإعجابهم بكثرتهم

[قال رشيد رضا صاحب تفسير المنار "١٠:٢٤٦": كان الكافرون أربعة آلاف فقال قائل من المسلمين معبّراً عن رأي الكثيرين الذين غرّتهم الكثرة: "لن نغلب اليوم من قلّة"، وقال الزمخشري صاحب تفسير الكشّاف "٢:١٨٢"، وفي الكامل في التاريخ "١:٦٢٥": وقيل: إنّما قالها رجل من بكر، وقيل: قائلها أبو بكر، وذلك قوله تعالى: "أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً" التوبة: ٢٥، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأدركت المسلمين كلمة الايجاب وزلّ عنهم أنّ اللَّه هو الناصر لا كثرة الجنود، وقال العلامة الحلبي الشافعي في السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة "٣:١١٠" عن سيرة الحافظ الدمياطي: إنّ أبا بكر قال:يا رسول اللَّه، لن نغلب اليوم من قلّة، وشقّ ذلك على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وساءته تلك الكلمة].

وبقي عليّ عليه السلام ومعه الراية يقاتلهم في نفر قليل، ومرّ المنهزمون برسول اللَّه صلى الله عليه و آله لا يلوون على شي ء.

وكان العبّاس بن عبدالمطّلب آخذ بلجام بغلة رسول اللَّه، والفضل عن يمينه، وأبو سفيان بن الحرث عن يساره، ونوفل بن الحرث في تسعة من بني هاشم، وعاشرهم أيمن بن أُمّ أيمن وقتل يومئذٍ، وفي ذلك يقول العبّاس:

نصرنا رسول اللَّه في الحرب تسعة*** وقد فرّ مَنْ قد فرّ عنه فأقشعوا

وقولي إذا ما الفضل كرّ بسيفه*** على القوم أُخرى يا بني ليرجعوا

وعاشرنا لاقى الحِمام بنفسه*** لما نالَه في اللَّه لا يتوجّعُ

ولمّا رأى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هزيمة القوم عنه، قال للعبّاس وكان جهوريّاً صيتاً:

[في السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة "٣:١٠٨": وإنّما خصّ صلى الله عليه و آله العبّاس بذلك؛ لأنّه كان عظيم الصوت، كان صوته يسمع من ثمانية أميال، غارت الخيل يوماً على المدينة فنادى: واصباحاه، فلم تسمع حامل إلا وضعت من عظم صوته].

'اصعد هذا الضرب

[الضرب: التلّ الصغير].

فنادِ: يا معشر المهاجرين والأنصار، يا أصحاب سورة البقرة

[لقد خصّ سورة البقرة بالذكر؛ لأنّها أوّل سورة نزلت في المدينة لأنّ فيها: 'كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ'، وفيها: 'وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ'، وفيها: 'وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ' انظر: السيرة الحلبيّة ٣:١٠٨].

يا أهل بيعة الشجرة، إلى أن تفرّون، هذا رسول اللَّه'، فلمّا سمع المسلمون صوت العبّاس تراجعوا، وقالوا: لبّيك لبّيك، وتبادر الأنصار خاصّة وقاتلوا المشركين حتّى قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'الآن حمى الوطيس

[وفي المصدر السابق "٣:١٠٩": حمى الوطيس: هو حجارة توقد العرب تحتها النّار يشوون عليها اللحم. والوطيس في الأصل التنّور، وهذه من الكلمات الّتي لم تسمع إلا منه صلى الله عليه و آله، وهي مثلٌ يضرب لشدّة الحرب].

أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبدالمطّلب'.

ونزل النصر من عند اللَّه تعالى، وانهزمت هوازن هزيمة قبيحة، فمرّوا في كلّ وجه ولم يزل المسلمون في آثارهم، ومرّ مالك بن عوف فدخل حصن الطائف وقتل منهم زهاء مائة رجل، وأغنم اللَّه المسلمين أموالهم ونساءهم، وأمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالذراري والأموال أن تحدر إلى الجعرانة، وولّى على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي، ومضى صلى الله عليه و آله في إثر القوم، فوافى الطائف في طلب مالك بن عوف، فحاصر أهل الطائف بقيّة الشهر، فلمّا دخل ذو القعدة انصرف وأتى الجعرانة وقسّم بها غنائم حنين وأوطاس.

[الطبرسى تفسير مجمع البيان ٥:١٨].

روى الشيخ المفيد و غيره: انه لمّا رأى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هزيمة القوم عنه، قال للعبّاس - وكان رجلاً جهوريّاً صيّتاً -: 'ناد بالقوم وذكّرهم العهد'، فنادى العبّاس بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلى أين تفرّون؟ اذكروا العهد الّذي عاهدتم عليه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والقوم على وجوههم قد ولّوا مدبرين، وكانت ليلة ظلماء ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله في الوادي، والمشركون قد خرجوا عليه من شِعاب الوادي وجنباته ومضائقه مصلتين سيوفهم وعمدهم وقسيّهم، قالوا: فنظر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى النّاس ببعض وجهه في الظلماء فأضاء كأنّه القمر في ليلة البدر، ثمّ نادى

المسلمين: "أين ما عاهدتم اللّه عليه؟"، فأسمع أوّلهم وآخرهم، فلم يسمعها رجل إلا رمى بنفسه إلى الأرض، فانحدروا إلى حيث كانوا من الوادي حتّى لحقوا بالعدوّ فقاتلوه، قالوا: وأقبل رجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم، إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبّ عليهم، وإذا فاته النّاس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتّبعوه وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرول لا براح*** حتّى نبيح اليوم أو نُباح

فصمد له أمير المؤمنين عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه، ثمّ ضربه فقطّره، ثمّ قال:

قد علم القوم لدى الصباح*** أنّي في الهيجاء ذو نضاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول، ثمّ التأم المسلمون وصفّوا للعدو فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ إنّك أذقت أوّل قريش نكالاً، فأذق آخرها نوالاً"، وتجالد المسلمون والمشركون، فلمّا رآهم النبيّ صلى الله عليه و آله قام في ركابي سرجه حتّى أشرف على جماعتهم، وقال: "الآن حمى الوطيس:

أنا النبيّ لا كذب*** أنا بن عبدالمطّلب"

فما كان بأسرع من أن ولّى القوم أدبارهم وجي ء بالأسرى مكتّفين، ولمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام أبا جرول وخذل القوم بقتله، وضع المسلمون سيوفهم فيهم، وأمير المؤمنين عليه السلام يقدمهم حتّى قتل بنفسه أربعين رجلاً من القوم، ثمّ كانت الهزيمة والأسر حينئذٍ... وما زال المسلمون يقتلون المشركين ويأسرون منهم حتّى ارتفع النهار، وكان أبو بكر الّذي عانهم، وعليّ عليه السلام الّذي أعانهم، وكان أبو سفيان صخر بن حرب في هذه الغزاة في جملة من انهزم من المسلمين.

[انظر: الإرشاد ١٤٢: ١، وكشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٩٧ و ٢٩٨، وبحار الأنوار ٢١:١٥٥ و ١٥٨].

وفي "كشف الغمّة"، قال: وفي هذه الغزاة قسّم النبيّ صلى الله عليه و آله الغنائم، وأجزل القسم للمؤلّفة قلوبهم كأبي سفيان، ومعاوية ابنه، وعكرمة بن أبي جهل، ورجال منهم، وأعطى الأنصار شيئاً يسيراً، فغضب ناس من الأنصار وبلغه عنهم، قال: فأسخطه، وقال: "اجلسوا ولا يجلس معكم أحدٌ غيركم"، فجاء النبيّ صلى الله عليه و آله ومعه أمير المؤمنين عليه السلام، فجلس وسطهم، فقال: "إنّي سائلكم فأجيبوني: ألم تكونوا ضالّين فهداكم اللّه بي؟"، قالوا: بلى، فللّه المنّة ولرسوله، قال: "ألم تكونوا على شفا حفرة من النّار فأنقذكم اللّه بي؟"، قالوا: بلى، فللّه المنّة ولرسوله، قال: "ألم تكونوا قليلاً فكثّركم بي؟"، قالوا: بلى، فللّه المنّة ولرسوله، قال: "ألم تكونوا أعداءً فألّف بين قلوبكم بي؟"، قالوا: بلى، فللّه المنّة ولرسوله، ثمّ سكت هنيئة، وقال: "ألا تجيبون بما عندكم؟" قالوا: بِمَ نجيبك؟ فداك آباؤنا وأمّهاتنا، قد أجبنا بأنّ لك المنّ والفضل والطول

علينا، قال: "أما لو شئتم لقلتم: وأنت جئتنا طريداً فآويناك، وخائفاً فآمنّاك، ومكذَّباً فصدّقناك؟"، فارتفعت أصواتهم بالبكاء، وقام شيوخهم وساداتهم فقبّلوا يديه ورجليه وقالوا: رضينا باللّه وعنه، وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك، فإن شئت فاقسمها على قومك، وإنّما قال من قال منّا على غير وغر صدر

[الوغر: شدّة توقّد الحرّ، ومنه قيل: في صدره عليَّ وغر بالتسكين: أي ضغن وعداوة وتوقّد من الغيظ].

وغلّ في قلب

[والغِلّ - بالكسر -: الغشّ والحقد].

ولكنّهم ظنّوا سخطاً عليهم وتقصيراً بهم، وقد استغفروا من ذنوبهم فاستغفر لهم يا رسول اللّه، فقال صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار. يا معشر الأنصار، أما ترضون أن يرجع غيركم بالثناء والنعم وترجعون أنتم وفي سهمكم رسول اللّه؟"، قالوا: بلى رضينا، قال صلى الله عليه و آله: "الأنصار كرشي وعيبتي

[الكرش: موضع السرّ. والعيبة: ما يجعل فيه الثياب].

لو سلك النّاس وادياً وسلكت الأنصار شِعباً لسلكتُ شِعب الأنصار" - الحديث.

[كشف الغمّة ١:٢٩٨].

ثبات علي مع رسول اللّه في هذه الغزاة

ورد في الأخبار والآثار أنّ عليّاً عليه السلام قد ثبت مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله مع نفر قليل من المسلمين، ولم يفرّوا عنه، وفرّ سائر المسلمين عنه، وأسلموا رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى المشركين.

وفيما يلي نذكر نزراً من الروايات والكلمات المأثورة في هذا الباب:

١- قال ابن قتيبة: وكان الذين ثبتوا مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوم حنين بعد هزيمة النّاس: عليّ بن أبي طالب، وأيمن بن عبيد وهو ابن أُمّ أيمن مولاة رسول اللّه وحاضنته، وقُتِل يومئذٍ، وربيعة بن الحارث بن عبدالمطّلب، وأُسامة بن زيد بن حارثة، وقال العبّاس:

نصرنا رسول اللّه في الحرب سبعة*** وقد فرّ مَن قد فرّ منهم واقشعوا

وثامننا لاقى الحمام بسيفه*** بما مسّه في اللّه لا يتوجّع

يعني أيمن بن عبيد.

[المعارف: ١٦٤].

٢- و قال الحلبي: وقد وصلت الهزيمة إلى مكّة، وسرّ بذلك قوم من مكّة وأظهروا الشماتة، وقال قائل منهم: ترجع العرب إلى دين آبائها.

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:١١١].

٣- وفي رواية: لمّا فرّ النّاس يوم حنين عن النبيّ صلى الله عليه و آله لم يبق معه إلا أربعة: ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: عليّ بن أبي طالب والعبّاس وهما بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، ولا يقبل أحد من المشركين جهته صلى الله عليه و آله إلا قُتِل.

[المصدر السابق ٣:١٠٩].

٤- وروى أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري في "تاريخه"، عن عبدالرحمن بن جابر، عن أبيه، "ما ملخّصه": فانطلق النّاس "أي في غزاة حنين" إلا أنّه قد بقي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، وممّن ثبت معه من أهل بيته: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والعبّاس بن عبدالمطّلب، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد، وهو أيمن ابن أُمّ أيمن، وأُسامة بن زيد بن حارثة - الخبر.

[تاريخ الطبري ٢:٣٤٧].

٥- وقال الشيخ المفيد، والعلامة الأربلي: ثمّ كانت غزوة حنين حين استظهر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فيها بكثرة الجمع، فخرج متوجّهاً إلى القوم في عشرة آلاف من المسلمين، ظنّ أكثرهم أنّهم لن يغلبوا لما شاهدوه من جمعهم وكثرة عدّتهم وسلاحهم، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذٍ، فقال: لن نغلب اليوم من قلّة، وكان الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّوا، وعانهم أبو بكر بعجبه بهم، فلمّا التقوا مع المشركين لم يلبثوا حتّى انهزموا بأجمعهم، ولم يبق منهم مع النبيّ صلى الله عليه و آله إلا عشرة أنفس: تسعة من بني هاشم خاصّة، وعاشرهم أيمن ابن أُمّ أيمن، فقتل أيمن رضى الله عنه وثبت التسعة الهاشميّون حتّى ثاب إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مَن كان انهزم، فرجعوا أوّلاً فأوّلاً حتّى تلاحقوا، وكانت لهم الكرّة على المشركين، وفي ذلك أنزل اللّٰه تعالى في إعجاب أبي بكر بالكثرة: 'وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ'

[سورة التوبة: ٢٥ و ٢٦].

يعني أمير المؤمنين تاسعهم، والعبّاس بن عبدالمطّلب عن يمين رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، والفضل بن العبّاس عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند ثفر بغلته، وأمير المؤمنين عليه السلام بين

يديه يضرب بالسيف، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبدالله بن الزبير بن عبدالمطّلب، وعتبة ومعتّب ابنا أبي لهب حوله، وقد ولّت الكافّة مدبرين سوى من ذكرناه، وفي ذلك يقول مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبيّ غير بني*** هاشم عند السيوف يوم حنين

هرب النّاس غير تسعة رهط*** فهم يهتفون بالنّاس أين

ثمّ قاموا مع النبيّ على الموت*** فآتوا زيناً لنا غير شين

وثوى أيمن الأمين من القوم*** شهيداً فاعتاض قرّة عين

ولمّا رأى رسول الله صلى الله عليه و آله هزيمة القوم عنه، قال للعبّاس - وكان رجلاً جهوريّاً صيّتاً -: "ناد بالقوم وذكّرهم العهد!"، فنادى العبّاس بأعلى صوته: يا أهل الشجرة، الحديث.

[الإرشاد ١٤٠: ١،وكشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٩٤].

انفراد عليّ في هذه الغزاة بمناقب لم يشاركه غيره من الأُمّة

قال الشيخ المفيد رحمه الله: فانظر الآن إلى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة وتأمّلها، وفكّر في معانيها، تجده عليه السلام قد تولّى كلّ فضل كان فيها، واختصّ من ذلك بما لم يشركه فيه أحد من الأُمّة.

وذلك أنّه عليه السلام ثبت مع النبي صلى الله عليه و آله عند انهزام كافّة النّاس، إلا النفر الذين كان ثبوتهم بثبوته عليه السلام وذلك أنّا قد أحطنا علماً بتقدّمه في الشجاعة والبأس والصبر والنجدة على العبّاس والفضل - ابنه - وأبي سفيان بن الحارث والنفر الباقين، لظهور أمره في المقامات الّتي لم يحضرها أحدٌ منهم، واشتهار خبره في منازلة الأقران وقتل الأبطال، ولم يُعرف لأحدٍ من هؤلاء مقام من مقاماته، ولا قتيل عُزي إليهم بالذِّكر.

فعلم بذلك أنّ ثبوتهم كان به عليه السلام، ولولاه كانت الجناية على الدين لا تتلافى، وأنّ بمقامه ذلك المقام وصبره مع النبيّ صلى الله عليه و آله كان رجوع المسلمين إلى الحرب، وتشجّعهم في لقاء العدوّ.

ثمّ كان من قتله أبا جرول متقدّم المشركين ما كان هو السبب في هزيمة القوم وظفر المسلمين بهم.

وكان من قتله عليه السلام الأربعين الذين تولّى قتلهم، الوهنُ على المشركين وسبب خذلانهم وهلعهم وظفر المسلمين بهم... [الإرشاد ١٤٩: ١].

و روى الكليني في ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام: قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده يوم حنين أربعين [روضة الكافي: ٣٠٨، ح ٥٦٦].

علي و غزوة تبوك

قال ابن إسحاق: وخلّف رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب عليه السلام على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فلمّا أرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالاً له وتخفّفاً منه. قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "فارجع واخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى - يا عليّ - أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي"، فرجع عليّ عليه السلام إلى المدينة ومضى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على سفره.تاريخ الطبري ٢:٣٦٨

غزوة تبوك وسببها

ويقال لها: غزوة العسيرة، ويقال لها: الفاضحة؛ لأنّها أظهرت حال كثير من المنافقين، ووقعت في شهر رجب سنة تسع من الهجرة.

وسبب ذلك: أنّه بلغ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّ الروم قد جمّعت جموعاً كثيرة بالشام، وأنّهم قدّموا مقدّماتهم إلى البلقاء، وكان ذلك في عسرة في النّاس، وجدب في البلاد، وشدّة من نحو الحرّ، وحين طابت الثمار والنّاس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم، ولذلك سمّي ذلك الجيش بجيش العسرة، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قلّما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها وورّى بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك؛ لبعد الشُّقّة، وشدّة الزمن، وكثرة العدوّ، وليأخذ النّاس أُهبتهم، وأمر النّاس بالجهاز، وبعث إلى مكّة وقبائل العرب ليستنفرهم، وخصّ أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل اللَّه، وأكّد عليهم في طلب ذلك، فتحمّلوا صدقات كثيرة في سبيل اللَّه من المسلمين من الرجال والنساء، وكانت تلك آخر غزوات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

فلمّا تجهّز رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سار بالنّاس وهم ثلاثون ألفاً، وقيل: أربعون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس، وخلّف على المدينة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وتخلّف عنه عبد اللَّه بن أُبيّ ابن سلول، ومن كان من المنافقين بعد أن خرج بهم، وعسكر عبداللَّه بن أُبيّ على ثنيّة الوداع أي أسفل منها؛ لأنّ معسكره صلى الله عليه و آله كان على ثنيّة الوداع، وكان عسكر عبداللَّه بن أُبيّ أسفل منه.

[راجع: السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:١٢٩، وأعيان الشيعة ١:٢٨٢، وتاريخ الطبري ٢:٣٦٦، والكامل في التاريخ ١:٦٣٥].

مؤامرة المنافقين

ولمّا ارتحل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عن ثنية الوداع متوجّهاً إلى تبوك عقد الألوية والرايات، ودفع صلى الله عليه و آله لكلّ بطن من الأنصار ومن قبائل العرب لواء وراية "يعني لبعضهم راية ولبعضهم لواء"، وكان قد اجتمع جمع من المنافقين في بيت سويلم اليهودي، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد [الجلاد: الضرب السيوف] بني الأصفر [بني الأصفر: كناية عن أهل الروم] كقتال العرب بعضهم بعضاً، واللّٰه لكأنّ الصحابة غداً مقرنون في الحبال، يقولون ذلك إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله - عند ذلك - لعمّار بن ياسر "رضي اللّٰه عليه": "أدرك القوم فإنّهم قد احترقوا، فاسألهم عمّا قالوا: فإن أنكروا فقل: بل قلتم: كذا وكذا". فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يعتذرون إليه، وقالوا: إنّما كنّا نخوض ونلعب، فأنزل اللّٰه تعالى: "وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ".

[السيرة الحلبيّة ٣:١٣١، والآية ٦٥ من سورة التوبة].

الاعذار الواهية للفرار من الحرب

لقد رأينا من خلال تصفّح التاريخ الكثير من الحوادث الّتي تدلّ على تزوير الحقائق وترك الواجبات المهمّة عبر طرح أمور جزئيّة غير مهمّة للتخلّص اللامشروع من الواجب الأصلي، فعلى سبيل المثال: أنّ الصيام واجب بأمر اللّٰه سبحانه وتعالى، أمّا الذين يريدون القعود عن الجهاد فإنّهم يقولون: إنّ الصيام واجب، وإنّ أبواب الرحمة الإلهيّة تتفتّح في هذا الشهر المبارك، ولا بدّ من إحياء ليلة القدر، ولا يمكن ترك إحيائها لأجل الهاد.

وتلاحظ مثل هذه الأعذار الواهية في غزوة تبوك، فعندما جمع الرسول صلى الله عليه و آله المسلمين لقتال الروم قال البعض ممّن لم يرغبوا في الجهاد: يا رسول اللّٰه، نحن لن نذهب إلى تبوك، وإنّ قلوبنا لا تتحمّل النظر إلى استرقاق جواري الروم البيض، وقد نهمّ بهنّ فنذنب، فاعفنا في أمر الجهاد؟ وقد غضب النبيّ لهذا الاستدلال غير المنطقي، ولم يفكّر حتّى في إجابتهم، ورضي بعدم التحاقهم بجيش المسلمين لئلا يثبّطوا من عزائم الباقين.

في "السيرة الحلبيّة" قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله للجد بن قيس: يا جد، هل لك في جلاد بني الأصفر؟"، قال: يا رسول اللّٰه، أوتَأذن لي في التخلّف ولا تَفتنّي، فواللّٰه لقد عرف قومي أنّه ما مِن رجلٍ أشدّ عجباً بالنساء منّي، وإنّي أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر أن لا أصبر؟ فأعرض عنه رسول اللّٰه صلى الله

عليه و آله، وقال: "قد أذنت لك"، فأنزل اللّه تعالى: "وَمِنْهُم مَن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي" [سورة التوبة: ٤٩] الآية.

وفي حديث آخر: قال صلى الله عليه و آله له: "واللّه ما يمنعك إلا النفاق"، فقال قوم من المنافقين: إئذن لنا ولا تفتنّا، فأنزل اللّه تعالى الآية: "أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا"

[سورة التوبة: ٤٩].

يعني الّتي هي التخلّف عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله والرغبة عنه.

وقال بعض المنافقين لبعض: لا تنفروا في الحرّ، فأنزل اللّه تعالى: "قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ"

[سورة التوبة: ٨١].

"وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ" [سورة التوبة:٩٠].

وهم الضعفاء والمقلّون من الأعراب، "لِيُؤْذَنَ لَهُمْ" [سورة التوبة: ٩٠].

في التخلّف، فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلاً، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علّة، جرأة على اللّه ورسوله، وقد عناهم اللّه تعالى بقوله: "وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" [سورة التوبة: ٩٠].

وتخلّف جمع من المسلمين، منهم: كعب بن مالك، وهلال بن أُميّة، ومرارة بن الربيع من غير عذر، وكانوا ممّن لا يتّهم في إسلامه، ولمّا خلّف رسول اللّه صلى الله عليه و آله عليّاً أرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالاً له، وحين قيل فيه ذلك، أخذ عليّ عليه السلام سلاحه ثمّ خرج حتّى لحق برسول اللّه صلى الله عليه و آله وهو نازل فيه ذلك، أخذ عليّ عليه السلام سلاحه ثمّ خرج حتّى لحق برسول اللّه صلى الله عليه و آله وهو نازل بالجرف فقال: "يا نبيّ اللّه، زعم المنافقون أنّك ما خلفتني إلا استثقلتني وتخفّفت منّي"، فقال: "كذبوا، ولكنّي خلّفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي" - الحديث.

[اقتباس من السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:٣٢].

ولنتعرّض لما يناسب موضوع هذا الفصل، ومن أراد تفاصيل غزوة تبوك فليطلبها من مظانّها.

استخلاف عليّ على المدينة وحسد المنافقين

قال الشيخ المفيد رحمه الله في "الإرشاد": فأوحى اللّه تبارك و تعالى اسمه إلى نبيّه صلى الله عليه و آله أن يسير إليها بنفسه، ويستنفر النّاس للخروج معه، وأعلمه أنّه لا يحتاج فيها إلى حرب ولا يمنى بقتال عدوّ،

وأنّ الأُمور تنقاد له بغير سيف، وتعبّده بامتحان أصحابه بالخروج، واختبارهم ليتميّزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم.

فاستنفرهم النبيّ صلى الله عليه و آله إلى بلاد الروم وقد أينعت ثمارهم، واشتدّ القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته رغبةً في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدّة القيظ وبُعدِ المسافة ولقاء العدوّ، ثُمّ نهض بعضهم على استثقال للنهوض وتخلّف آخرون.

ولمّا أراد النبيّ صلى الله عليه و آله الخروج استخلف أمير المؤمنين في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: "يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك".

وذلك أنّه صلى الله عليه و آله علم من خُبث نيّات الأعراب وكثير من أهل مكّة ومن حولها ممّن غزاهم وسفك دماءهم، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها، وحصوله ببلاد الروم أو نحوها، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمن من معرّتهم وإيقاع الفساد في دار هجرته، والتخطّي إلى ما يشين أهله ومخلّفيه، وعلم صلى الله عليه و آله أنّه لا يقوم مقامه في إرهاب العدوّ، وحراسة دار الهجرة، وحياطة من فيها إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونصّ عليه بالإمامة من بعده نصّاً جليّاً. وذلك فيما تظاهرت به الرواية: أنّ أهل النفاق لمّا علموا باستخلاف رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنّها تتحرّس به، ولا يكون فيها للعدوّ مطمع، فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عن المدينة، وخلوّها من مرهوب مخوف يحرسها، وغبطوه عليه السلام على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلّف من خرج منهم المشاقّ بالسفر والخَطَر، فأرجفوا به عليه السلام، وقالوا: لم يستخلفه رسول اللّٰه إكراماً له وإجلالاً ومودّة، وإنّما خلّفه استثقالاً له، فبهتوا بهذا الإرجاف كبهت قريش للنبيّ صلى الله عليه و آله بالجنّة تارةً، وبالشعر أُخرى، وبالسحر مرّة، وبالكهانة أُخرى، وهم يعلمون ضدّ ذلك ونقيضه، كما علم المنافقون ضدّ ما أرجفوا به على أمير المؤمنين عليه السلام وخلافه، وأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان أخصّ النّاس بأمير المؤمنين عليه السلام، وكان هو أحبّ النّاس إليه، وأسعدهم عنده، وأحظاهم عنده وأفضلهم لديه، فلمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبيّ صلى الله عليه و آله، فقال: "يا رسول اللّٰه، إنّ المنافقين يزعمون أنّك خلفتني استثقالاً ومقتاً"، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: "ارجع - يا أخي - إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت

خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'.

[الإرشاد ١٥٤: ١، ورواه الطبري في تاريخه ٣٦٨ - ٣٦٦ :٢، وابن هشام في السيرة ٦٦٢:٤، والعلامة الحلبي في السيرة ١٣٢:٣، وابن الأثير في الكامل ٦٣٦:١].

فرجع عليّ عليه السلام إلى المدينة، ومضى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على سفره.

الاستدلال على إمامة أمير المؤمنين

قال المفيد رحمه الله: فتضمّن هذا القول من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله نصّه عليه بالإمامة، وإبانته من الكافّة بالخلافة، ودلّ به على فضل لم يشركه فيه سواه، وأوجب له به عليه السلام جميع منازل هارون من موسى، إلا ما خصّه العرف من الأُخوّة، واستثناه هو عليه السلام من النبوّة، ألا ترى أنّه صلى الله عليه و آله جعل له عليه السلام كافّة منازل هارون من موسى عليهماالسلام إلا المستثنى منها لفظاً وعقلاً. وقد علم كلّ من تأمّل معاني القرآن، وتصفّح الروايات والأخبار أنّ هارون كان أخا موسى لأبيه وأمّه، وشريكه في أمره، ووزيره على نبوّته وتبليغه رسالات ربّه، وأنّ اللّٰه سبحانه شدّ به أزره، وأنّه كان خليفته على قومه، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطّاعة كإمامته وفرض طاعته، وأنّه كان أحبّ قومه إليه وأفضلهم لديه. قال اللّٰه عزّ وجلّ حاكياً عن موسى عليه السلام: 'رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِي وَزِيراً من أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي'

[سورة طه: ٣٣ - ٢٥].

فأجاب اللّٰه سبحانه تعالى مسألته وأعطاه سؤله في ذلك، و أُمنيّته حيث يقول: 'قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى'

[سورة طه: ٣٦].

وقال تعالى حاكياً عن موسى: 'وَقَالَ مُوسَى لْأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَتَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ'

[سورة الأعراف: ١٤٢].

فلمّا جعل النبي صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام منه بمنزلة هارون من موسى، أوجب له بذلك جميع ما عدّدناه، إلا ما خصّه العرف من الاخوّة، واستثناه هو من النبوّة لفظاً.

[الإرشاد: ١٥٦: ١].

بما ذكرنا ظهر رفع الإشكال الّذي أورده المؤرخ الشهير الحلبي الشافعي بالحديث: 'والّذي يقول فيه أنّه لا يدلّ على إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام"

[السيرة الحلبيّة بهامشه السيرة النبويّة ٣:١٣٣].

واتّضح أنّه يدلّ على إمامته بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فإيراده بعيد عن الإنصاف، ولعلّه من العناد والتعنّت، واللّٰه العالم.

فضيلة فريدة لعليّ لم يشاركه فيها أحد

وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين عليه السلام، ولا ساواه في معناها، ولا قاربه فيها على حال، ولو علم اللّٰه عزّ وجلّ أنّ لنبيّه صلى الله عليه و آله في هذه الغزاة حاجة إلى الحرب والأنصار، لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عنه حسب ما قدّمناه، بل علم أنّ المصلحة في استخلافه، وأنّ إقامته في دار هجرته مقامه أفضل الأعمال، فدبّر الخلق والدين بما قضاه في ذلك وأمضاه على ما بيّناه وشرحناه.

[الإرشاد ١٥٧: ١].

علي و ابتلاؤه بالحروب في خلافته

قال عليّ عليه السلام: "فَلمّا نهضتُ بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أُخرى، وقسط آخرون".

نهج البلاغة، الخطبة ٣ "الشقشقيّة"

نظرة في حروب أمير المؤمنين في خلافته

لا يخفى ان الحروب الواقعة في خلافة مولانا عليّ عليه السلام من حيث دور حياته عليه السلام تناسب ان يبحث في آخر زمان حياته المباركة و عصر حكومته، امّا حيث ان بحثنا في غزواته عليه السلام و مجاهدته نتعرض هنا في حروبه الّتي في خلافته من الجمل و صفين و النهروان:

فنقول إنّ حياة حياة عليّ عليه السلام في كلّ صورها الموزّعة بين الجهاد والعبادة والتقوى والصبر ومرافقة الرسول الأكرم ومئات، بل وآلاف، الصور الأُخرى، كانت جميعاً نموذجاً حيّاً للإنسان الحرّ المتفكّر، وكذا كانت حروبه الثلاث الّتي حدثت أثناء خلافته درساً آخر نستلهم منه العبر، ونحن نستضي ء بالتعرُّفِ على شخصيّته عليه السلام وقداسته من خلال مواقفه أوّلاً، ثمّ من خلال تصرّفات أعدائه ومواقفهم؛ لأنّ الأشياء تعرف بأضدادها، فالضوء يتجلّى في الظلمة، والبياض في السواد، والإسلام في الجاهلية.

كان عليّ عليه السلام نموذجاً للفضيلة والعدل وصفات الخير بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وكان أعداء عليّ عليه السلام نموذجاً للباطل والانحراف والجهل، ولم يواجه أيّ مصلح اجتماعي على طول التاريخ أعداءً

كالذين واجههم عليّ عليه السلام في خلافته من حيث التنوّع واختلاف الأهداف، وقد نبّه على ذلك رسول الإسلام صلى الله عليه و آله؛ إذ قال له: 'ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين'

[شرح ابن أبي الحديد ١:٢٠١].

وكذلك ذكر أمير المؤمنين هذه الطوائف في الخطبة المعروفة بالشقشقيّة بقوله: 'فَلَمّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ "أصحاب الجمل"، وَمَرَقَتْ أُخْرَى "أصحاب النهروان" وَقَسَطَ آخَرُونَ "أصحاب صفّين".

[نهج البلاغة، الخطبة ٣ "الشقشقيّة"].

مبايعة النّاس أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بعد قتل عثمان

بويع عليّ عليه السلام بالمدينة بالخلافة الظاهرية يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجّة في خمس وثلاثون سنة من الهجرة، وكان قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة، فكان بين قتل عثمان وبيعة عليّ عليه السلام سبعة أيّام، وقيل: إنّه بويع بعد خمسة أيّام من قتل عثمان، وقيل: بعد أربعة أيّام، وقيل: بعد ثلاثة أيّام.

وروى الحاكم في النيشابوري: أنّه استخلف عليّ بن أبي طالب عليه السلام خمس وثلاثين و هو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر.

[المستدرك ١٢٢: ٣].

و روى الطبري في تاريخه و غيره من المورخين: أنّه لمّا قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله من المهاجرين والأنصار، وفيهم: طلحة والزبير، فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا له: إنّه لا بدّ للنّاس من إمام؟ قال عليه السلام: 'لَا حاجَةَ لِي فِي أَمْرِكُم، فَمَن اخْتَرْتُمْ رَضِيتُ بِهِ..'، فقالوا: ما نختار غيرك، وتردّدوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنّا لا نعلم أحداً أحقّ به منك، لا أقدم سابقةً، ولا أقرب قرابة من رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فقال عليه السلام: 'لَا تَفْعَلُوا بي، فَإِنِّي أَكُونُ وَزِيراً خَيْراً مِنْ أَنْ أَكُونَ أَمِيراً'، قالوا: واللّه! ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك؟ قال عليه السلام: 'ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفيّةً، ولا تكون إلا في المسجد'، وكان عليه السلام في بيته، فخرج إلى المسجد وليه إزارٌ وعمامة خزّ ونعلاه في يده متوكّئاً على قوس، فبايعه النّاس، وكان أوّل من بايعه من النّاس طلحة بن عبيداللّه، فنظر إليه حبيب بن أبي ذؤيب فقال: إنّا للّه! أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاء، لا يتمّ هذا الأمر، ثمّ بايعه الزبير، ولمّا أراد طلحة والزبير أن يبايعا قال لهما عليّ عليه السلام: 'إن أحببتما أن تبايعاني، وإن أحببتما بايعتكما؟'، فقالا: بل نبايعك، وجاؤوا بسعد بن أبي وقّاص، فقال عليّ عليه السلام: 'بايع؟'، فقال: لا، حتّى يبايع النّاس، واللّه! ما عليك منّي بأس،

فقال: 'خلّوا سبيله'، وجاؤوا بعبدالله بن عمر، فقالوا: بايع؟ فقال: لا، حتّى يبايع النّاس، فقال عليه السلام: 'ائتني بكفيل؟'، قال: أرى كفيلاً، فقال الأشتر: دعني أضرب عنقه، فقال الإمام: 'دعوه أنا كفيله!'.

[راجع: الكامل في التاريخ ٢:٣٠٢، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٦٣، وتاريخ الطبري ٣:٤٥٠].

كلام عليّ للمتخلّفين عن بيعته

بايعت الأنصار والمهاجرون غير نفر يسير منهم، فإنّهم قعدوا عن بيعته لأنّهم كانوا عثمانيّة، وهم: حسّان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك، والنعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلّد، وأبو سعيد الخدري، ومحمّد بن مسلمة، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عُجْرَة وتركهم بيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمصلحة أنفسهم أو لأسباب أُخرى ذكرها ابن الأثير في "تاريخه"، حيث قال ما ملخّصه:

وأمّا حسّان بن ثابت فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع، وأمّا زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال، وأمّا كعب بن مالك فاستعمله عثمان على صدقة مُزينة وترك له ما أخذ منهم، وأمّا النعمان بن بشير فإنّه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان الّتي قُطعت، وقميص عثمان الّذي قُتل فيه وهرب به، فلحق بالشام، فكان معاوية يعلّق قميص عثمان وفيه الأصابع، فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظاً وجدّاً في أمرهم.

وساق الكلام في بيعة طلحة والزبير، ثمّ قال: ولمّا أصبحوا يوم البيعة وهو يوم الجمعة، حضر النّاس المسجد وجاء عليّ عليه السلام فصعد المنبر وقال: 'أيّها النّاس، عن مَلَإٍ وإذن، وإذن، إنّ هذا أمركم ليس لأحد فيه حقّ إلا من أمّرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر وكنتُ كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي دونكم إلا مفاتيح ما لكم معي وليس لي أن آخذ درهماً دونكم، فإن شئتم قعدت لكم وإلا فلا أجدُ على أحد'، فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس فقال: 'اللّهمّ اشهد'، وجاء طلحة وبايعه عليه السلام، ثمّ الزبير، ثمّ جي ء بعده بقوم كانوا قد تخلّفوا فقالوا: نبايع على إقامة كتاب اللّه في القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم، ثمّ قام العامّة فبايعوا، وصار الأمر أمر أهل المدينة، وكأنّهم كما كانوا فيه وتفرّقوا إلى منازلهم.

[الكامل في التاريخ ٢:٣٠٢].

و عن الشعبى، قال: لمّا اعتزل سعد و سمّيناه أمير المؤمنين عليه السلام وتوقّفوا عن بيعته، حمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: 'أيّها النّاس، إنّكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي، وإنّما الخيار للنّاس قبل أن يبايعوا، فإذا بايعوا فلا خيار لهم، وإنّ على الإمام الاستقامة، وعلى الرعيّة التسليم، وهذه بيعة عامّة من رغب عنها رَغب عن دين الإسلام، واتّبع غير سبيل أهله، ولم تكن بيعتكم إيّاي فلتة، وليس أمري وأمركم

واحد، وإنّي أُريدكم للّه وأنتم تريدوني لأنفسكم، وأيمُ اللّه لأنصحنّ للخصم، ولأنصفنّ للمظلوم، وقد بلغني عن سعد وابن سلمة وأُسامة وعبداللّه وحسّان بن ثابت أُمور كرهتها، والحقّ بيني وبينهم'.

[الإرشاد ٢٤٣: ١].

عليّ في حرب الجمل "فرقة الناكثين"

قال الشارح المعتزلي: وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وسبّوه ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: 'أ لا يُتْبَعُ مُوَلٍّ، وَلا يُجْهَزُ عَلى جَرِيحٍ، وَلا يُقْتَل مستأسر، ومَن ألقَى سلاحَهُ فهو آمِن، وَمَنْ تَحَيَّزَ إلى عسكرِ الإمام فهو آمِن'.

شرح ابن أبي الحديد ١:٢٣

من هم الناكثون؟

واجه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ثلاثة حروب دامية فرضت عليه في زمان خلافته، كانت تهدف القضاء على الإسلام المحمّدي الأصيل، وإضعاف حكومة الحقّ المتمثّلة بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، وكانت الجمل أوّل هذه الحروب المفروضة عليه.

النكث: نقض العهد والخيانة، ولسنا هنا في معرض الحديث عن عدوّ أجنبي، بل عن صديق ذي عهد وفي عنقه بيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، ولكن الأغراض الشخصيّة، وهوى النفس، والأحقاد، والضغائن، والقصور الفكري، وغير هذه العوامل، جعلت هؤلاء ينقضون العهد، ويكونون حجر عثرة في طريق المسيرة، ويرزعون بذور التفرقة بين المسلمين، بل وجعلوا قوّة المسلمين المسخّرة لقتال الأعداء الخارجين توجّه إلى الداخل، وبذلك هيّئوا الفرصة لكي يستعيد أعداء الإسلام قوّتهم، ووجهوا أكبر ضربة للقوّة الإسلاميّة العظمى المتمثّلة بحكومة أمير المؤمنين عليه السلام العادلة الحقّة... لمثل هؤلاء يقال: الناكثون، أو ناقضو العهد.

وأدّى اشتغال عليّ عليه السلام بالحروب الداخلية إلى عدم إتاحة الفرصة له لقتال أعداء الإسلام، وتطبيق الإسلام الحقيقي المحمّدي، كلّ ذلك فراراً من عدل الإمام عليّ عليه السلام، وتحقيقاً للأهداف والمنافع الشخصيّة، وانتهازاً محرّماً للفرصة.

كان طلحة والزبير أوّل من بايع عليّاً عليه السلام، وكانا يتوقّعان أن يفرّق الإمام عليه السلام بينهما وبين الآخرين في العطاء والصلاحيّات والجاه، وعندما تبيّن لهم أنّ الإمام لم يفرّق بينهما وبين غلام أسود - كما ذكرنا ذلك في فصل "عليّ عليه السلام والعدل" - نقضا عهده، وأعلنا التحاقهما بعائشة وتأييدها في موقفها

ضدّ خلافة الإمام عليه السلام، فكانت حرب الجمل أوّل فتنةٍ وقعت بين المسلمين بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ومع أنّها كانت درساً قاسياً لأُولئك الذين تآمروا على أمير المؤمنين عليه السلام لافتضاحهم، وللضرر الّذي ألحق بهم، إلا أنّ هذه الحرب كانت مقدّمة لحروب تلتها وقعت بين المسلمين فأدّت إلى تشتّتهم، وزادت من جُرأة الطامعين بالإمارة والخلافة على ولاية الحقّ والعدل المتمثّلة بالإمام عليّ عليه السلام، ولهذا فإنّنا نرى أنّ طلحة والزبير وعائشة ومن تابعهم كانوا من أسوأ معارضيه عليه السلام.

نكث طلحة والزبير عهدهما

قال ابن الأثير في تاريخه "ما ملخّصه": وكان أوّل مَن بايع عليّاً من النّاس، طلحة بن عبيداللّٰه، وبايعه الزبير، وقال لهما عليّ عليه السلام: 'إن أحببتما أن تبايعاني، وإن أحببتما بايعتكما'، فقالا: بل نبايعك، وقالا بعد ذلك: إنّما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا، وعرفنا أنّه لا يبايعنا، وهربا إلى مكّة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر - الحديث.

[الكامل في التاريخ ٢:٣٠٣].

وقال العلامة الأربلي: وخرج طلحة والزبير من المدينة على خفية ووصلا إليها "إلى عائشة" في مكّة، وأخرجاها إلى البصرة.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٣٢٣].

عليّ و إتمام الحجّة على طلحة و...

عن المفيد رحمه الله في "الإرشاد": ومن كلامه عليه السلام عند نكث طلحة والزبير بيعته وتوجّههما إلى مكّة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه

[تألّب: تجمّع وتحشّد، الإلب: القوم تجمعهم عداوة واحد - المنجد].

والتأليف على خلافه ما حفظه العلماء عنه عليه السلام أنّه بعد أن حمد للّٰه وأثنى عليه قال:

'أمّا بعد.. فإنّ اللّٰه بعث محمّداً صلى الله عليه و آله للنّاس كافّة، وجعله رحمة للعالمين، فصدع بما أُمر به، وبلّغ رسالات ربّه، فلمّ به الصدع، ورتق به الفتق، وآمن به السبيل، وحقن به الدماء، وألّف به بين ذوي الإحن والعداوة والوغر في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب، ثمّ قبضه اللّٰه إليه حميداً لم يقصّر في الغاية الّتي إليها أدّى الرسالة، ولا بلّغ شيئاً كان في التقصير عنه القصد، وكان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة، فتولّى أبو بكر وبعده عمر، ثمّ تولّى عثمان، فلمّا كان من أمره ما عرفتموه أتيتموني فقلت: بايعنا؟

فقلت: لا أفعل، فقلتم: لا، وقبضت يدي، فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموها، وتداككتم عليَّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتّى ظننتُ أنّكم قاتليّ، وأنّ بعضكم قاتلٌ بعضاً لديّ، فبسطتُ يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أوّلكم طلحة والزبير طائعَين غير مكرهَين، ثمّ لم يلبثا أن استأذناني في العمرة، واللّه يعلم أنّهما أرادا الغدرة، فجدّدت عليهما العهد في الطاعة وأن لا يَبغيا الأُمّة الغوائل، فعاهداني، ثمّ لم يَفِيا لي ونكثا بيعتي ونقضا عهدي، فعجباً لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي، ولستُ بدون أحد الرجلين، ولو شئت أن أقول لقلت: اللّهمّ احكم عليهما بما صنعا في حقّي، وصغّرا في أمري، وظفّرني بهما".

[الإرشاد ٢٤٤: ١].

و قال العلامة الإربلي: فلمّا قرب عليّ عليه السلام من البصرة كتب إلى طلحة والزبير:

"أمّا بعد.. فقد علمتما أنّي لم أرد النّاس حتّى أرادوني، ولم أُبايعهم حتّى أكرهوني، وأنتما ممّن أرادوا بيعتي وبايعوا، ولم تبايعا لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، فإن كنتما بايعتماني طائعين فتوبا إلى اللّه عزّ وجلّ عمّا أنتما عليه، وإن كنتما بايعتماني مكرهَين فقد جعلتما السبيل عليكم بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية، وأنت يا زبير فارس قريش، وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما به.

وأمّا قولكما: إنّي قتلت عثمان بن عفّان، فبيني وبينكما من تخلّف عنّي وعنكما من أهل المدينة، ثمّ يلزم كلّ امرئٍ بقدر ما احتمل، وهؤلاء بنو عثمان إن قتل مظلوماً كما تقولان أولياؤه.. وأنتما رجلان من المهاجرين، وقد بايعتماني ونقضتما بيعتي، وأخرجتما أُمّكما من بيتها الّذي أمرها اللّه أن تَقرّ فيه، واللّه حسبكم، والسلام".

[كشف الغمّة - باب المناقب ٣:٣٢٤].

عائشة ومنشأ حرب الجمل

وقعت حرب الجمل في جمادى الثانية سنة ٣٦ه، يعني ستّة أشهر بعد خلافة عليّ عليه السلام.

[أعيان الشيعة ١:٤٤٧، وفي الكامل في التاريخ ٢:٣١٢ نحوه].

ويتّضح لنا من كتب التاريخ والسِّير: أنّ عائشة زوج الرسول كانت سبباً لحرب الجمل، وهي الّتي أشعلت فتنة الجمل، وهي أساس الغيرة والحسد من تأمير الإمام عليّ عليه السلام، وأنّها كانت موافقة على مقتل عثمان، حيث كانت تقول: اقتلوا نعثلاً

[نعثل اسم يهودي، والنعثل: الكثير شعر اللحية والجسد، وفي شرح ابن أبي الحديد "٦:٢١٥": "قالوا: أوّل من سمّي عثمان نعثلاً، عائشة"].

وقتل اللّه نعثلاً.

[شرح ابن أبي الحديد ٦:٢١٥، وكشف الغمّة - باب المناقب ٣:٣٢٣].

قال ابن أبي الحديد: كلّ مَن صنّف في السِّير والأخبار: أنّ عائشة كانت من أشدّ النّاس على عثمان حتّى إنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول اللّه صلى الله عليه و آله فنصبته في منزلها، وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول اللّه لم يَبل، وعثمان قد أبلى سنّته. [شرح ابن أبي الحديد ٦:٢١٦].

فرح عايشه لمقتل عثمان ومطالبتها بدمه عندما بويع عليّ

روى ابن أبي الحديد في "شرحه": أنّ عائشة - لمّا بلغها قتل عثمان - قالت: أبعده اللّه قتله ذنبه، وأقاده اللّه بعمله. يا مشعر قريش، لا يسومنّكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود ناقة قومه، إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر ذو الاصبع "أي طلحة"، فلمّا جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام قالت: تَعِسوا، تَعِسوا! لا يَردّون الأمر في تيم أبداً.

[شرح ابن أبي الحديد ٦:٢١٦].

ثم نقل ابن ابى الحديد عن المدائني في "كتاب الجمل": لمّا قتل عثمان، كانت عائشة بمكّة، وبلغ قتله إليها وهي بشراف، فلم تشكّ في أنّ طلحة هو صاحب الأمر، وقالت: بُعداً لنعثل وسحقاً، إيه ذا الإصبع! إيه أبا شِنل! إيه يابن عمّ! لكأنّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له: حثّوا الإبل ودعدعوها، وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره، ثمّ فسد أمره، فدفعها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[المصدر السابق، وأعيان الشيعة ١:٤٤٧، والمناقب لابن شهرآشوب ٣:١٤٩].

وعندما سمعت عائشة أنّ طلحة لم يصل إلى خلافة المسلمين، وأنّهم بايعوا عليّاً عليه السلام تضايقت لهذا الأمر، وطالبت بدم عثمان، فانصرفت إلى مكّة وهي تقول: "قُتِل واللّه عثمان مظلوماً، واللّه! لأطلبنّ بدمه"، فقيل لها: ولِمَ؟ واللّه! إنّ أوّل من أمال حرفه لأنت؟ ولقد كنتِ تقولين: "اقتلوا نعثلاً فقد كفر؟"، قالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه، وقد قلت وقالوا: وقولي الأخير خير من قولي الأوّل.

[الكامل في التاريخ ٢:٣١٣].

فقال لها ابن أمّ كلاب:

فمنك البداء ونك الغَير*** ومنك الرِّياحُ ومنك المطر

وأنت أمرتِ بقتل الإمام*** وقلتِ لنا إنّه قد كفر

فهبنا أطعناك في قتله*** وقَاتِله عندنا من أمَر

وتلبسُ للحرب أثوابها*** وما من وفى مثلُ من قد غَدر

[المصدر السابق ٣١٣: ٢، هذا بعض أشعاره].

وقال ابن أبي الحديد عن أبي مخنف في كتابه: إنّ عائشة لمّا بلغها قتلُ عثمان وهي بمكّة أقبلت مسرعة وهي تقول: إيه ذا الاصبع، للَّهِ أبوك! أما أنّهم وجدوا طلحة لها كفواً، فلمّا انتهيت إلى شِراف، استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟ قال: قُتِل عثمان، قالت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ حارت به الأُمور إلى خير مَحارٍ بايعوا عليّاً عليه السلام.

ثمّ نقل عن عايشه، فقالت: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا، ويحك! انظر ما تقول؟ قال: هو ما قلت لك يا أُمّ المؤمنين، فولولت، فقال لها: ما شأنكِ يا أُمّ المؤمنين؟ واللَّه ما أعرف بين لابتيها أحداً أوْلى بها منه ولا أحقّ، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردّت عليه جواباً.

[شرح ابن أبي الحديد ٦:٢١٥. وروى الطبري عن الشعبي في "تاريخه" ٤٦٩: ٣، نحوه].

وروى ابن أبي الحديد أيضاً: عن قيس بن أبي حازم، مثله، إلا أنّه قال: ورأيتها في سيرها إلى مكّة تخاطب نفسها، كأنّها تخاطب أحداً: قتلوا ابن عفّان مظلوماً!! فقلت لها: يا أُمّ المؤمنين، ألم ا سمعكِ آنفاً تقولين: أبعده اللَّه، وقد رأيتكِ قبلُ أشدُّ النّاس عليه وأقبحهم فيه قولاً؟ فقالت: لقد كان ذلك ولكنّي نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه!!

[شرح ابن أبي الحديد ٦:٢١٦].

فهل تنظر ايها المسلم بان عائشة تعترف بأنّ عثمان لم يتب الى حين قتله، لكن غيرتها وحسدها لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام دفعها إلى اتّخاذ قتل عثمان ذريعة لقتال عليّ عليه السلام وإشعال نار الفتنة.

عائشة تتجهّز بالعدّة والعدد وتقصد البصرة

ولمّا انصرفت عائشة إلى مكّة قصدت الحَجَر، فاجتمع النّاس إليها فقالت: أيّها النّاس،إنّ الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حَدَث سنّه... فلمّا لم يجدوا حجّة ولا عذراً بادروا بالعدوان، فسفكوا الدم الحرام، واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام، واللَّه لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم!! واللَّه! إنّ الّذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه، والثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء.

فقال عبدالله بن عامر الحضرمي، وكان عامل عثمان على مكّة: ها أنا أوّل طالب بدمه، فكان أوّل مجيب وتبعه بنو أُميّة، وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكّة فرفعوا رؤوسهم، وكان أوّل ما تكلّموا بالحجار وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عتبة، وسائر بني أُميّة، وقدم عليهم عبدالله بن عامر من البصرة بمال كثير، ويَعلى بن مُنية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستّة آلاف دينار فأناخ بالأبطح.

وقدم طلحة والزبير من المدينة ولقيا عائشة فقالت: ما وراءكما؟ قالا: إنّا تحمّلنا هرباً من المدينة من غوغاءِ وأعارب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقّاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم، فقالت: انهضوا إلى هذه الغوغاء، فقالوا: نأتي الشام، فقال ابن عامر: كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة، فاستقام الرأي على البصرة..

وكانت أزواج النبيّ معها على قصد المدينة، فلمّا تغيّر رأيها إلى البصرة تركن ذلك، وأجابتهم حفصة إلى المسير معهم، فمنعها أخوها عبدالله، وجهّزهم يعلى بن مُنيّة بستّمائة بعير وستّمائة ألف درهم، وجهّزهم ابن عامر بمال كثير، ونادى مناديها: إنّ أُمّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن أراد إعزاز الإسلام وقتال المستحلّين والطلب بثأر عثمان وليس له مركب فليأت!! فحموا على ستّمائة بعير وساروا في ألف، وقيل: في تسعمائة من أهل المدينة ومكّة ولحقهم النّاس، فكانوا في ثلاثة آلاف رجل.

[راجع: بحار الأنوار ٣٢:١٤٤، والفصول المهمّة: ٦٨، وتاريخ الطبري ٣:٤٦٩].

وروى الشارح المعتزلي وغيره: لمّا عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة وطلبوا لها بعيراً أيّداً يحمل هودجها، فجاءهم يعلى بن مُنية ببعير يسمّى عسكراً، وكان عظم الخلق شديداً، فلمّا رأته أعجبها وأنشأ الجمّال يحدّثها بقوّته وشدّته ويقول في أثناء كلامه "عسكر"، فلمّا سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت: ردّوه لا حاجة لي فيه، وذكرت حيث سئلت أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه، وأمرت أن يطلب لها غيره، فلم يوجد لها ما يشبهه، فغيّر لها بجلال غير جلاله، وقيل لها: قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشدّ منه قوّة، وأتيت به فرضيت!!

[شرح ابن أبي الحديد ٦:٢٢٤، وبحار الأنوار ٣٢:١٣٨].

تذكير أُمّ سلمة عائشة بفضائل عليّ وتحذيرها من الخروج عليه

قال أبو مخنف: جاءت عائشة إلى أُمّ سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت عائشة لها: يا بنت أبي أُميّة، أنتِ أوّل مهاجرة من أزواج رسول الله، وأنتِ كبيرة أُمّهات المؤمنين، وكان رسول الله صلى الله عليه و آله يقسم لنا من بيتك، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك، فقالت أُمّ سلمة: لأمرٍ ما قلت هذه المقالة؟

فقالت عائشة: إنّ عبدالله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان، فلمّا تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمتُ على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة، فاخرجي معنا لعلّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا.

فقالت أُمّ سلمة: إنّك كنتِ بالأمس تُحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمهُ عندك إلا نعثلاً، وإنّك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله، أفأُذكّرك؟ قالت عائشة: نعم، قالت أُمّ سلمة: أتذكرين يومَ أقبل عليّ عليه السلام ونحن معه، حتّى إذا هبط من قديد ذات الشمال، خلا بعليّ يناجيه، فأطال، فأردت أن تَهجُمين عليهما، فنهيتك، فعصيتني فهجمتِ عليهما، فما لبثتِ أن رجعتِ باكية، فقلتُ: ما شأنك؟ فقلتِ: إنّي هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلتُ لعليّ: ليس لي من رسول الله صلى الله عليه و آله إلا يومٌ من تسعة أيّام، أفما تدعني يابنَ أبي طالب ويومي؟ فأقبل رسول الله صلى الله عليه و آله عليَّ وهو غضبان محمرّ الوجه، فقال: "ارجعي وراءكِ، والله! لا يبغضه أحدٌ من أهل بيتي، ولا من غيرهم من النّاس، إلا وهو خارجٌ من الإيمان"، فرجعت نادمة ساقطة! قالت عائشة: نعم، أذكر ذلك... قالت أُمّ سلمة: فأي خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت عايشه: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس، و أرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت: أنتِ ورأيكِ، فانصرفت عائشة عنها، وكتبت أُمّ سلمة بما قالت وقيل لها، إلى عليّ عليه السلام.

[شرح ابن أبي الحديد ٦:٢١٧].

روى المجلسي عن "احتجاج الطبرسي" بسنده: عن عبدالرحمن بن مسعود العبدي، نحوه، إلا أنّه قال في ذيله: فرجعت عائشة إلى منزلها وقالت: يابن الزبير، أبلغهما أنّي لستُ بخارجة بعد الّذي سمعته من أُمّ سلمة، فرجع فبلّغهما، قال: فما انتصف الليل حتّى سمعنا رغاء إبلها ترتحل، فارتحلت معهما.

[بحار الأنوار ٣٢:١٤٩].

ماء الحوأب وتذكير آخر لعائشة ثمّ في حفر أبي موسى

روى أصحاب السير والتاريخ، عن أبي مخنف أنّه قال: لمّا انتهت عائشة في مسيرها إلى الحوأب، وهو ماء لبني عامر بن صعصعة، نبحتها الكلاب حتّى نفرت صعاب إبلها، فقال قائل من أصحابها: ألا ترون ما أكثر كلاب الحوأب، و ما أشدّ بناحها؟ فامسكت "عايشه" زمام بعيرها و قالت: و انها لكلاب الحوأب ردّوني، ردّني، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: "كيف بإحداكنّ إذا نبحتها كلاب الحوأب"، وذكرت الخبر، فقال لها قائلٌ: مهلا يرحمكِ الله! فقد جُزنا ماء الحوأب، فقالت: فهل من شاهد؟ فلفّقوا لها خمسين أعرابيّاً، فجعلوا لهم جعلاً فحلفوا لها إنّ هذا ليس بماء الحوأب

[كانت هذه أوّل شهادة زور أُقيمت في الإسلام - مروج الذهب ٢:٣٦٧].

فسارت عائشة لوجهها.

[راجع: شرح ابن أبي الحديد ٦:٢٢٥، ومروج الذهب ٢:٣٦٦، وبحار الأنوار ٣٢:١٣٩، وأعيان الشيعة ١:٤٥١].

وفي "شرح بن أبي الحديد"، وغيره: ولمّا انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حَفر أبي موسى قريباً من البصرة أرسل عثمان بن حنيف، وهو يومئذٍ عامل عليّ عليه السلام على البصرة، إلى القوم أبا الأسود الدؤلي يعلم له علمهم، فجاء حتّى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها؟ فقالت: أطلب بدم عثمان؟ قال: إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد، قالت: صدقت، ولكنّهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت استنهضُ أهلَ البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟! فقال لها: ما أنت من السَّوط والسيف! إنّما أنتِ حبيس رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، أمركِ أن تقرِّي في بيتك، وتتلي كتاب ربّك، وليس على النساء قتال، ولا لهنّ الطلب بالدماء، وإنّ عليّاً عليه السلام لأوْلى بعثمان منكِ، وأمسُّ رحماً، فإنّهما ابنا عبدمناف، فقالت: لستُ بمنصرفةٍ حتّى أمضِيَ لما قدمتُ له، أفتظنّ - يا أبا الأسود - أنّ أحداً يقدم على قتالي؟ قال: أما واللّٰه لتقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد.

ثمّ قام فأتى الزبير، فقال: يا أبا عبداللّٰه، عهد النّاس بك، وأنت يوم بويع أبو بكر آخذٌ بقائم سيفك تقول: لا أحد أوْلى بهذا الأمر من ابن أبي طالب، وأين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له دمَ عثمان قال: أنت وصاحبك ولّيتماه فيما بلغنا؟! قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول: فذهب إلى طلحة فوجده سادراً في غيّه، مُصرّاً على الحرب والفتنة، فرجع إلى عثمان بن حنيف فقال: إنّها الحرب فتأهّب لها!

[راجع: شرح ابن أبي الحديد ٦:٢٢٥، وبحار الأنوار ٣٢:١٣٩، وأعيان الشيعة ١:٤٥١].

وروى الطبري بنحو آخر متقارب المعنى مع ما ذكرناه. [راجع: تاريخ الطبري ٣:٤٧٩].

قتل عائشة ومن معها رجالاً كثيرين بالبصرة ظلماً وصبراً

قال المسعودي: فأتوا البصرة فخرج إليهم عثمان بن حنيف فمانعهم وجرى بينهم قتال، ثمّ إنّهم اصطلحوا بعد ذلك على كفّ الحرب إلى قدوم عليّ عليه السلام، فلمّا كان في بعض الليالي بيّتوا عثمان بن حنيف، فأسروه وضربوه ونتفوا لحيته.

[مروج الذهب ٢:٣٦٧، وفي كتاب الجمل للمفيد: ١٥٣ نحوه].

و عن ابن الاثير هكذا: نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه، فضربوه أربعين سوطاً وحبسوه، ثمّ أطلقوه وجعلوا على بيت المال في البصرة عبدالرحمن بن أبي بكر.

[الكامل في التاريخ ٢:٣٢٣].

وقال المسعودي ايضاً: ثمّ إنّ القوم استرجعوا وخافوا على مخلّفيهم بالمدينة من أخيه سهل بن حنيف وغيره من الأنصار، فخلّوا عنه وأرادوا بيت المال فمانعهم الخُزّان والموكّلون به وهم السبابجة، فقتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح، وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبراً من بعد الأسر و هؤلاء أوّل من قُتل ظلماً فى الاسلام و صبراً و قتلوا حكيم بن جبلة العبدي وكان من سادات عبدالقيس وزُهّاد ربيعة ونُسّاكها، وتشاحّ طلحة والزبير في الصلاة بالنّاس، ثمّ اتّفقوا على أن يصلّي بالنّاس عبداللّٰه بن الزبير يوماً، ومحمّد بن طلحة يوماً. [مروج الذهب ٢:٣٦٧، وفي كتاب الجمل للمفيد: ١٥٣ نحوه].

مجيء ابن حنيف إلى عليّ

وروى المفيد رحمه الله: فخرج ابن حنيف حتّى جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو بذي قار، فلمّا نظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقد نكّل به القوم بكى وقال: 'يا عثمان، بعثتك شيخاً ملتحياً فرددت أمرداً لي. اللّهمّ إنّك تعلم أنّهم اجترأوا عليك، واستحلّوا حرماتك، اللّهمّ اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي، وعجّل لهم النقمة بما صنعوا بخليفتي'، ولمّا خرج عثمان بن حنيف من البصرة وعاد طلحة والزبير إلى بيت المال فتأمّلا إلى ما فيه من الذهب والفضّة قالوا: هذه الغنائم وعدنا اللّٰه بها، وأخبرنا أنّه يعجّلها لنا.

وقال أبو الأسود الدؤلي: وقد سمعت هذا منهما، ورأيت عليّاً عليه السلام بعد ذلك وقد دخل بيت مال البصرة، فلمّا رأى ما فيه قال: 'يا صفراء، يا بيضاء، غرّي غيري، المال يعسوب الظلمة، وأنا يعسوب المؤمنين'. فلا واللّٰه ما التفت إلى ما فيه ولا فكّر فيما رآه منه، وما وجدته عنده إلا كالتراب هواناً، فتعجّبتُ من القوم ومنه عليه السلام، فقلتُ: أُولئك ممّن يريد الدنيا، وهذا ممّن يريد الآخرة، وقويتْ بصيرتي فيه عليه السلام - الحديث.

[كتاب الجمل: ١٥٤].

و روى ابن الاثير أيضاً: ولحق عثمان بن حنيف إلى عليّ عليه السلام بذي قار أو بالربذة وقال: يا أمير المؤمنين، بعثتني ذا لحية وقد جئتك أمرد؟! فقال عليه السلام: 'أصبتَ أجراً وخيراً'. [راجع: الكامل في التاريخ ٢:٣٢٦].

ذكر مسير عليّ إلى العراق وواقعة الجمل

وفي كتب السير والتاريخ: أنّه لمّا أتى عليّاً عليه السلام الخبر وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير أنّهم توجّهوا مع ألف أو أكثر نفر نحو العراق، خرج عليّ عليه السلام من المدينة بعد أربعة أشهر في سبعمائة راكب، منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار، منهم سبعون بدرياً، وباقيهم من الصحابة.

وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري، وتبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردّهم فانتهى إلى الربذة بين الكوفة ومكّة من طريق الجادّة وفاته طلحة وأصحابه، وأقام بالربذة ولحق بعليّ عليه السلام من أهل المدينة جماعة من الأنصار، فيهم: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأتاه عليه السلام من طي ء ستّمائة راكب، وكاتب عليه السلام من الربذة أبا موسى الأشعري عامل الكوفة ليستنفر النّاس، فثبّطهم أبو موسى، وقال: إنّما هي فتنة، فنمي ذلك إلى عليّ، فولّى على الكوفة قرظة بن كعب الأنصاري، وسار عليّ عليه السلام بمن معه حتّى نزل بذي قار، وبعث بابنه الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر رضى الله عنه إلى الكوفة يستنفران النّاس، فسارا عنها ومعهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف رجل، منهم الأشتر و قيل: إن عدد من سار الى الكوفه اثنا عشر ألف رجل، فانتهى عليّ عليه السلام إلى البصرة وراسَلَ القوم وناشدهم اللّه، فأبوا إلا قتاله.

[راجع: مروج الذهب ٢:٣٦٧، والكامل في التاريخ ٢:٣٢٤، وتاريخ الطبري ٣:٤٩٣].

قدوم عليّ إلى البصرة

لمّا قدم عليّ عليه السلام البصرة دخل بما يلي الطفّ، فأتى الزاوية مع من معه عليه السلام من صحابة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وكثير من البدريّين وشجعان العراق، منهم: أبو أيّوب الأنصاري صاحب رسول اللّه، وخزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين، وأبو قتادة بن ربعي، وعمّار بن ياسر، وسعد بن عبادة، وعبداللّه بن العبّاس، وكلّ واحد منهم صاحب راية، ثمّ جاء عليّ عليه السلام وعن يمينه وشماله الحسن والحسين، وبين يديه محمّد بن الحنفيّة، وخلفه عبداللّه بن جعفر ومعه الراية العظمى، فساروا حتّى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية، فصلّى أربع ركعات وعفّر خدّيه على التراب، وقد خالط ذلك دموعه...

[اقتباس من مروج الذهب ٢:٣٧٠].

ومن كلامه عليه السلام حين دخل البصرة - بعد ما جمع أصحابه فحرّضهم على الجهاد - قال: 'عباد اللّه، انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم، فإنّهم نكثوا بيعتي، وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرِّح، والعقوبة الشديدة، وقتلوا السبابجة، ومثّلوا بحكيم بن جبلة العبدي، وقتلوا رجالاً صالحين'.

التقاء الجمعين وبدأ القتال وسيرة عليّ في القتال

تذكير عليّ أصحاب عائشة لمّا تواقف الجمعان

روى ابن ابى الحديد في شرحه: وركبت عائشة يوم الحرب الجملَ المسمّى عسكراً في هودجٍ، قد أُلبس الرفرف، ثمّ أُلبس جلود النِّمر، ثمّ أُلبس فوق ذلك دروع الحديد.

إلى أن قال: وخطبت عائشة والنّاس قد أخذوا مصافّهم للحرب، فقالت:

أمّا بعد.. فإنّا كنّا نقمنا على عثمان ضربَ السوط، وإمرة الفتيان، ومرتع السحابة المحميّة، ألا وإنّكم استعتبتموه فأعتبكم، فلمّا مُصتموه

[الموص: الغسل].

كما يماصّ الثوب الرحيض

[الرحيض: المغسول].

عَدضوتم عليه، فارتكبتم منه دماً حراماً، وأيمُ اللّه إن كان لأحصنَكم فَرْجاً وأتقاكم للّه.

[شرح ابن أبي الحديد ٦:٢٢٧].

وعن المسعودي - بعد نقل قدوم عليّ عليه السلام البصرة - قال: فسار حتّى نزل الموضع المعروف بالزاوية، فصلّى أربع ركعات، وعفّر خدّيه على التراب وقد خالط ذلك دموعه، ثمّ رفع يديه يدعو: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَواتِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَالْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، هذِهِ الْبَصْرَةُ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا. اللَّهُمَّ أَنْزِلْنَا فِيهَا خَيْرَ مُنْزَلٍ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ. اللَّهُمَّ "إِنَّ" هؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ خَلَعُوا طَاعَتِي، وَبَغَوا عَلَيَّ وَنَكَثُوا بَيْعَتِي. اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ".

[مروج الذهب ٢:٣٧٠].

وبعث إليهم مَن يناشدهم اللّه في الدماء، وقال: "عَلَامَ تقاتلونني؟"، فأبوا إلا الحرب، فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يقال له مسلم، معه مصحف يدعوهم إلى اللّه، فرموه بسهم فقتلوه، فحُمِل إلى عليّ عليه السلام وقالت أُمّه:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهم*** يتلو كتاب اللّه لا يخشاهم

فخضّبُوا من دمه لحاهم*** وأُمّه قائمة تراهم

وأمر عليّ عليه السلام أن يصافّوهم، ولا يبدأوهم بقتال، ولا يرموهم بسهم، ولا يضربوهم بسيف، ولا يطعنوهم برمح، حتّى جاء عبداللّه بن بديل بن ورقاء الخزاعي من الميمنة بأخٍ مقتول، وجاء قوم من الميسرة برجلٍ قد رُمي بسهمٍ فقُتِل، فقال عليّ عليه السلام: "اللّهم اشهد"، وأعذروا إلى القوم.

ثمّ قام عمّار بن ياسر بين الصفّين وخاطبهم وناصحهم لكن تواتر عليه الرمي واتّصل، فحرّك فرسه وزال عن موضعه وأتى عليّاً عليه السلام، فقال: ماذا تنتظر - يا أمير المؤمنين - وليس لك عند القوم إلا الحرب؟! [مروج الذهب ٢: ٣٧٠].

تذكير عليّ أصحابه

روى ابن أبي الحديد في شرحه: خطب عليّ عليه السلام لمّا تواقف الجمعان، فقال: "لا تقاتلوا القوم حتّى يبدءوكم، فإنّكم بحمد اللّٰه على حجّة، وكفّكم عنهم حتّى يبدءوكم حجّة أُخرى، وإذا قاتلتموهم فلا تُجهزوا على جريح، وإذا هزمتموهم فلا تتّبعوا مُدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال قوم فلا تهتكوا سِتراً، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تهيجوا امرأة أذى، وإن شتمنَ أعراضكم وسبَبن أُمراءكم وصلحاءكم، فإنّهنّ ضعاف القوم، والأنفس والعقول، لقد كنّا نؤمَر بالكفّ عنهنّ وإنّهنّ لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيُعيّر بها وعقبه من بعده".

[شرح ابن أبي الحديد ٦:٢٢٨، ونحوه في مروج الذهب ٢:٣٧١].

تذكير عليّ الزبير وانصرافه عن الحرب ثمّ مقتله

قال المسعودي: وخرج عليّ عليه السلام بنفسه حاسراً على بغلة رسول اللّٰه، لا سلاح عليه، فنادى: "يا زبير، اخرج إليَّ"، فخرج إليه الزبير شاكّاً بسلاحه... فقال له عليّ عليه السلام: "ويحك يا زبير! ما الّذي أخرجك؟"، قال: دم عثمان، قال عليه السلام: "قتل اللّٰه أولانا بدم عثمان، أما تذكر يوم لقيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في بني بياضة وهو راكب حماره، فضحك إليَّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وضحكتُ إليه وأنت معه، فقلتَ أنتَ: يا رسول اللّٰه، ما يدع عليٌّ زَهوه؟ فقال لك: "ليس به زهو، أتحبّه يا زبير؟"، فقلت: إنّي - واللّٰه - أُحبّه، فقال لك: "إنّك - واللّٰه - ستقاتله وأنت له ظالم"؟ فقال الزبير: أستغفر اللّٰه، واللّٰه لو ذكرتها ما خرجتُ، فقال عليه السلام له: "يا زبير، ارجع"، فقال: وكيف أرجعُ الآن وقد التقت حَلْقَتا البطان؟ هذا واللّٰه العار الّذي لا يُغسل، فقال عليه السلام: "يا زبير، ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنّار"، فرجع الزبير وهو يقول:

اخترتُ عاراً على نارٍ موَجَّجَةٍ*** ما أن يقوم لها خلق من الطين

نادى عليٌّ بأمر لستُ أجهله*** عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

فقلت: حسبك من عَذْل أبا حسن*** فبعضُ هذا الّذي قد قلت يكفيني

فقال ابنه عبداللّٰه: أين تذهب وتَدَعُنا؟ فقال: يا بُنيّ، أذكَرَني أبو الحسن بأمر كنتُ أنسيتُه، فقال: لا واللّٰه، ولكنّك فررتَ من سيوف بني عبدالمطّلب

[وفي المناقب لابن شهرآشوب ٣:١٥٥، قالت عائشة: بل خفت سيوف ابن أبي طالب].

فإنّها طوال حداد يحملها فتية أنجاد، قال: لا واللّه، ولكنّي ذكرتُ ما أنسانيه الدهر، فاخترتُ العار على النّار، أبالجبن تعيّرني لا أباً لك؟ ثمّ أمال سنانه وشدَّ في الميمنة.

فقال عليّ عليه السلام: "أفرجوا له فقد هاجوه"، ثمّ رجع فشدَّ في الميسرة، ثمّ رجع فشدَّ في القلب، ثمّ عاد إلى ابنه، فقال: أيفعل هذا جبان؟ ثمّ مضى منصرفاً حتّى أتى وادي السباع، والأحنف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم، فأتاه آتٍ فقال له: هذا الزبير مارّاً، فقال: ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من النّاس يقتل بعضهم بعضاً، وهو مارّ إلى منزله سالماً؟!

فلحقه نفر من بني تميم فسبقهم إليه عمرو بن جُرموز وقد نزل الزبير إلى الصلاة فقتله عمرو في الصلاة، وقُتِل الزبير وله خمس وسبعون سنة، وأتى عمرو عليّاً بسيف الزبير وخاتمه ورأسه، وقيل: إنّه لم يأت برأسه.

فقال عليّ عليه السلام: "سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول اللّه صلى الله عليه و آله لكنّه الحين ومصارع السوء، وقاتلُ ابن صفية "يعني قاتل الزبير" في النّار"، ففي ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمي في أبيات:

أتيتُ عليّاً برأس الزبير*** وقد كنتُ أرجو الزلفهْ

فبشّر بالنّار قبل العيان*** وبئس بشارة ذي التحفهْ

لَسيّان عندي قتلُ الزبير*** وضرطة عَنز بذي الجحفهْ

[راجع: مروج الذهب ٢:٢٧٠، وفي المناقب لابن شهرآشوب ٣:١٥٤، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٧٩، وقريب من هذا المضمون].

وفي "أعيان الشيعة": عن ابن أبي الحديد: وخرج ابن جُرموز على عليّ عليه السلام مع أهل النهروان، فقتله معهم فيمن قتل.

[أعيان الشيعة ١:٤٥٦].

تذكير عليّ طلحة

قال المسعودي: وحين رجع الزبير عن المعركة نادى عليّ عليه السلام طلحة وقال: "يا أبا محمّد، ما الّذي أخرجك؟"، قال طلحة: الطلب بعدم عثمان؟! قال عليّ عليه السلام: "قتل اللّه أولانا بدم عثمان، أما سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: "اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه"، وأنت أوّلُ من بايعني، ثمّ نكثتَ وقد قال اللّه عزّ وجلّ: "فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ"، فقال: أستغفر اللّه، ثمّ رجع.

[مروج الذهب ٢:٣٧٣، والآية ١٠ من سورة الفتح].

وعنه أيضاً عن مروان بن الحكم أنّه قال: رجع الزبير ويرجع طلحة، ما أبالي رميتُ هاهنا أم هاهنا، فرماه في أكْحَلِه فقتله، وقيل: قُتِل طلحة في ذلك اليوم ولم يُعرَف قاتله، فمرّ به عليّ عليه السلام بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قرّة، فوقف عليه فقال: "إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، واللّه لقد كنت كارهاً لهذا، أنتَ واللّه كما قال القائل:

فتىً كان يُدنيه الغنى من صديقه*** إذا ما هو استغنى ويُبعده الفقر

كأنّ الثُّريّا عُلّقت في يمينه*** وفي خدّه الشعرى وفي الآخر البدر

وهو عليه السلام يمسح عن جبينه الغُبار ويقول: "وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً".

[راجع: المصدر السابق ٢:٣٧٣، والآية ٣٨ من سورة الأحزاب].

التحام القتال واشتعال نار الحرب

عن العلامة الإربلي في "كشف الغمّة" ما ملخّصه: ثمّ التحم القتال، وقال عليّ عليه السلام: "وَإِن نَكَثُوا أَيْمَانَهُم مِن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ"

[سورة التوبة: ١٢].

ثمّ حلف حين قرأها أنّه ما قُوتِل عليها منذ نزلت حتّى اليوم، واتّصلت الحرب وكثر القتل والجرح... ولم يزل القتل يُؤجّج ناره والجمل يفنى حتّى خرج رجلٌ مدجّج يظهر بأساً ويُعرّض بذكر عليّ عليه السلام حتّى قال:

أضربكُم ولو أرى عليّا*** عَمّمتُه أبيض مشرفيا

فخرج إليه عليّ عليه السلام متنكّراً، وضربه على وجهه فرمى بنصف قحف رأسه، ثمّ انصرف، إلى أن قال: واستعرت الحرب حتّى عُقر الجمل فسقط، وقد احمرّت البيداء بالدماء، وخذل الجمل وحزبه، وقامت النوادب بالبصرة على القتلى، وكان عدّة مَن قتل من جند الجمل ستّة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعين إنساناً، وكانوا ثلاثين ألفاً، فأتى القتل على أكثر من نصفهم، وقُتل من أصحاب عليّ عليه السلام ألف وسبعون رجلاً، وكانوا عشرين ألفاً.

وكان محمّد بن طلحة ـ المعروف بالسجّاد ـ قد خرج مع أبيه وأوصى عليّ عليه السلام أن لا يقتله من عساه أن يظفر به، وكان شعار أصحاب عليّ: حم، فلقيه شريح بن أوفى العبسي من أصحاب عليّ عليه السلام فطعنه، فقال: حم، وقد سبق كما قيل السيف العذل، فأتى على نفسه، وجاء عليّ عليه السلام فوقف عليه وقال: "هذا رجل قتله برّه بأبيه".

[كشف الغمّة ـ باب المناقب ١:٣٢٨].

وفي "شرح ابن أبي الحديد": وقال عليّ عليه السلام - لمّا فنى النّاس على خِطام الجمل، وقطعت الأيدي وسالت النفوس -: 'ادعوا لي الأشتر وعمّاراً'، فجاءا، فقال: 'اذهبا فاعقرا هذا الجمل، فإنّ الحرب لا يبوخ [لا يبوخ: أي لا يخمد].

ضرامها ما دام حيّاً، إنّهم قد اتّخذوه قبلة، فذهبا ومعهما فتيان من مُراد يعرف أحدهما بعمر بن عبدالله، فما زالا يضربان النّاس حتّى خَلَصا إليه، فضربه المُراديّ على عرقوبيه، فأقعى وله رُغاء، ثمّ وقع لجنبه وفرّ النّاس من حوله، فنادى عليّ عليه السلام: 'اقطعوا أنساع الهودج'، ثمّ قال لمحمّد بن أبي بكر: 'أكفني أُختك "عائشة"'، فحملها محمّد حتّى أنزلها دار عبدالله بن خلف الخُزاعي، ثمّ بعث عليّ عليه السلام عبدالله بن عبّاس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة - الحديث.

[شرح ابن أبي الحديد ٦:٢٢٨، وفي الباب كلام طويل، فراجع مظانّه، وقد تعرّضنا لبعضٍ منه في الفصل ٩٩ "في مظلوميّة عليّ عليه السلام" في المجلّد الخامس، فلاحظه].

العفو العامّ بعد حرب الجمل وعدوته إلى الكوفة

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان كالرسول الأعظم صلى الله عليه و آله في التعامل مع أعدائه، فعندما تكون الغلبة والتمكّن له على أعدائه، وعندما يكون عدوّه كافاً عنه وليس له مردّ ولا ما يلجأ إليه ليستعيد قوّته مجدّداً، فإنّه يعفو عنه ويغضّ عنه النظر.

وهكذا كان الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله في فتح مكّة، إذ أصدر عفواً بإطلاقه جميع كفّار مكّة، وهكذا كان فعل عليّ عليه السلام في حرب الجمل، حيث أعفى عائشة وطلحة والزبير وصفح وتجاوز عن خطئهم، وكذا تعامل مع أهل البصرة وعامّة المشاركين في حرب الجمل.

ابن عبّاس والي البصرة

وروى المفيد رحمه الله عن الواقدي عن رجاله، قال: لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام الخروج من البصرة استخلف عليها عبدالله بن العبّاس ووصّاه، وكان من وصيّته له أن قال: 'يابن عبّاس، عليك بتقوى الله والعدل بمن ولّيت عليه، وأن تبسط للنّاس وجهك، وتوّسع عليهم مجلسك، وتسعهم بحلمك، وإيّاك والغضب فإنّه طيرة الشيطان، وإيّاك والهوى فإنّه يصدّك عن سبيل الله، واعلم أنّ ما قرّبك من الله فهو مباعدك من النّار، وما بعادك من الله فمقرّبك من النّار، واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين'.

[كتاب الجمل: ٢٢٣، طبع مكتبة الداوري - قم].

وروى أبو مخنف بن يحيى قال: لمّا استعمل أمير المؤمنين عليه السلام عبداللّٰه بن العبّاس على البصرة، خطب النّاس فحمد اللّٰه وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه و آله، ثمّ قال:

'معاشر النّاس، قد استخلفتُ عليكم عبداللّٰه بن العبّاس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع اللّٰه ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحقّ فاعلموا أنّي أعزله عنكم، فإنّي أرجو أن أجده عفيفاً تقيّاً ورعاً، وإنّي لم أولّه عليكم إلا وأنا أظنّ ذلك به، غفر اللّٰه لنا ولكم' - الحديث.

[كتاب الجمل: ٢٢٣، طبع مكتبة الداوري - قم].

وقال المسعودي: وولّى عليّ عليه السلام البصرة عبداللّٰه بن عبّاس وسار إلى الكوفة، فكان دخوله عليه السلام إلى الكوفة لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب.

[مروج الذهب ٢:٣٨١].

مسير عائشة إلى المدينة

ولمّا عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيّأت لذلك، وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهنّ العمائم والقلانس، وقلّدهنّ السيوف، وأمرهنّ أن يحفظنها، يكنّ عن يمينها وشمالها، ومن ورائها، فجعلت عائشة تقول في الطريق: اللّهمّ افعل بعليّ بن أبي طالب وافعل، بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول اللّٰه، فلمّا قدمن المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها، فلمّا رأتهنّ ندمت على ما فرّطت بذمّ أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه، وقالت: 'جزى اللّٰه ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله'.

[كتاب الجمل: ٢٢١].

ختام الفصل

روى في "كشف الغمّة" عن زرّ: أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: 'أنا فقأت عين الفتنة، ولولا أنا ما قتل أهل النهر وأهل الجمل، ولولا أنّني أخشى أن تتركوا العمل لأنبأتكم بالذي قضى اللّٰه على لسان نبيّكم صلى الله عليه و آله لمن قاتلهم، مستبصراً ضلالهم، عارفاً للهدى الّذي نحن فيه وعليه'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٣٣١].

عليّ في حرب صفّين

ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هذِهِ الْحُكُومَةِأَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ: نهج البلاغة: الخطبة ٣٥

نظرة في حرب صفّين

تعدّ حرب صفّين إحدى الحروب العظيمة الّتي وقعت في الإسلام، وخلّفت وراءها الخسائر الجسيمة في الأموال والأرواح، حيث سقط فيها على ما روي "١١٠ - ٧٠ ألف" قتيل... تلك الحرب الّتي دامت لأشهر وتركت من الجرحى ما يفوق القتلى، وشغلت الدولة الإسلاميّة بالمسائل الداخليّة والحرب الأهليّة المدمّرة، وهدرت القوى وبدّدتها، فهل كان معاوية والمخطّطون لهذه الحرب يطالبون بدم عثمان حقّاً؟! وهل إنّ المسلمين قد أثاروا حرب صفّين من أجل نصرة الإسلام والدفاع عن عثمان؟! وهل كان من الضروري أن يقتل ١١٠ آلاف مسلم من أجل المطالبة بدم عثمان؟!

ألم يكن عثمان ذلك الحاكم الّذي يعتبر بيت المال ملكاً شخصيّاً، ويدافع عن شاربي الخمور ويولّيهم الأُمور، ويضرب صاحب النبيّ ويطرده، وخلّف بعد موته عشرات الآلاف من الدراهم والدنانير - من بيت المال - لنفسه؟ أيصحّ أن يضحّى بكلّ هؤلاء المسلمين من أجل الأخذ بثأر مثل هذا الشخص؟!

كلا، فإنّ الطلب بدم عثمان كان ذريعة ليس إلا، وإلا فإنّ معاوية وأصحابه أثاروا حرب صفّين اتّباعاً للهوى، وعبادةً للدنيا، وطلباً للجاه، وحسداً لعليّ عليه السلام وبنيه، ووجّهوا من خلالها ضربة عنيفة للإسلام.

لو أنّ هذه الحروب قد قامت من أجل نصرة الإسلام فأيّة ثمار عظيمة كانت ستؤتي، وكم ستروي شجرة الإسلام وتعود بالنفع على المسلمين، ولحدثت روح جديدة في الإسلام ينفخها فيه عليّ عليه السلام بقوّته، ولعاد الحقّ يسير في مجراه الطبيعي؟

لكن وبناءً على قول جماعة من المؤرّخين فإنّ معركة صفّين قد وقعت بعد ستّة أشهر من معركة الجمل - أي أوّل ذي الحجّة سنة ٣٦ - وانتهت في ١٣ صفر سنة ٣٧، فلم تمض سنة على حكومة عليّ عليه السلام حتّى فرضت عليه حربان مهمّتان شعواءان: حرب الجمل وحرب صفّين، ولم تمض بعدهما فترة حتّى فرضت عليه معركة النهروان، ولذلك لم يدعوا عليّاً عليه السلام الّذي كان مع الحقّ والحقّ معه يطبّق الحقّ والمساواة في المجتمع، ويجري العدالة بحذافيرها بين النّاس.

مضى ما مضى، وألف أسف وغمّ، على أنّ الدنيا قد حرمت من أن تنهل من معين مثال الفضائل والتقوى - نعني عليّاً عليه السلام - وأخيراً قتلت تداعيات تلك الحروب عليّاً عليه السلام، وهو في محرابه لتسرق وإلى الأبد مثال العدل والمساواة والتقوى من المجتمع الإسلامي.

قال السيّد محسن الأمين في ذلك: صفّين هي من الحروب العظيمة الّتي وقعت في الإسلام، وقتل فيها من الفريقين مائة وعشرة آلاف على الأكثر، وسبعون ألفاً على الأقلّ، وكان الباعث عليها كالباعث على حرب الجمل، وهو حبّ الدنيا، والعداوة للرسول صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، ولو كانت هذه الحروب في نصرة الإسلام لجرّت على الإسلام خيراً كثيراً بقدر ما جرّت عليه من الضرر أو أكثر. [أعيان الشيعة ١:٤٦٥].

ما معنى القاسطين؟

سمّي أهل صفّين بالقاسطين في حديث رسول اللّٰه وعليّ عليهماالسلام.

[قال أمير المؤمنين عليه السلام: 'فَلَمّا نَهضتُ بالأمرِ نكثتْ طائفةٌ، ومَرَقَتْ أُخرى، وَقَسطَ آخرون' الخطبة ٣ من نهج البلاغة الخطبة ٣ "الشقشقية"].

والقسط: من مادة "قسط"، وهو العدل والمساواة، وفي لغة العرب قد تعطي الكلمة معنى مغايراً إذا تغيّرت صيغتها إلى باب آخر، فكلمة "نفق" - مثلاً - تعني الشقّ والحفرة والفاصلة، أمّا عندما تأتي على وزن "إفعال" أي كلمة "الإنفاق" فإنّها تعني طمّ الحفرة ومل ء الشقّ والفاصلة، والقاسط تعني الظالم والباغي، وهو يعاكس معنى العدل والقسط، فالظالم عدوّ العدالة.

وأهل صفّين الذين سمّوا بالقاسطين هم أُولئك الظالمون يظلمون جهراً ويسلبون حقوق النّاس، وكان كلّ همّهم القضاء على حقّ عليّ عليه السلام وعدالته، وهم الأعداء الذين يقابلون الخوارج.

كان معاوية هذا وعمرو بن العاص وأصحابهما يقاتلون الإسلام حتّى الأمس تحت راية هبل والعزّى، وواجهوا الإسلام المحمّدي بأحقاد الشرك والجاهلية، وهم اليوم يقاتلون عليّاً عليه السلام برفعهم المصاحف على رؤوس الرماح... هؤلاء هم نفس الأعداء لكنّهم حاربوا الإسلام بصور شتّى، ولمثل هؤلاء يقال: القاسطون.

سبب واقعة صفّين

لمّا انتهت حرب الجمل في البصرة ووضعت الحرب أوزارها، ورجع عليّ عليه السلام إلى الكوفة مظفّراً منصوراً، أرسل إلى جرير بن عبداللّٰه البجلي، وكان عاملاً على همدان استعمله عثمان، وإلى الأشعث بن

قيس، وكان على أذربيجان استعمله عثمان أيضاً، يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده، وحضر جرير والأشعث عند عليّ عليه السلام.

وأراد عليّ عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولاً، فقال له جرير بن عبدالله البجلي: ابعثني إليه، فإنّه لم يزل لي مستنصحاً، فأدعوه إلى أن يسلّم لك الأمر على أن يكون أميراً من أُمرائك، وعاملاً من عمّالك ما عمل بطاعة اللّه، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وجلّهم قومي وأهل بلادي، وقد رجوت أن لا يعصوني، فقال له الأشتر: لا تبعثه، فواللّه إنّي لأظنّ هواه هواهم، فقال له عليّ عليه السلام: "دعه حتّى ننظر ما يرجع به إلينا"، فبعثه وقال له: "إنّ حولي من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله من أهل الدين والرأي مَن قد رأيت، وقد اخترتك عليهم، ائت معاوية بكتابى، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ إليه وأعلمه أنّي لا أرضى به أميراً".

[أعيان الشيعة ١:٤٦٧].

و عنه أيضاً عن المبرّد أنّه قال: إنّ جريراً قال له: واللّه - يا أمير المؤمنين - ما ادّخرك من نصرتي شيئاً، وما أطمع لك في معاوية، فقال عليّ عليه السلام: "إنّما قصدي حجّة أُقيمها".

فانطلق جرير حتّى أتى الشام ودخل على معاوية فقال:

أمّا بعد - يا معاوية - فإنّه قد اجتمع لابن عمّك أهل الحرمين وأهل المصرين، وأهل الحجاز، واليمن، ومصر، وأهل العروض، وعمان، وأهل البحرين، واليمامة، ولم يبق إلا هذه الحصون الّتي أنت بها، لو سال عليها سيل من أوديته أغرقها، وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل، ودفع إليه كتاب عليّ بن أبي طالب، وفيه:

"بسم اللّه الرحمن الرحيم، أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنَّ بَيْعَتِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمَتْكَ وَأَنْتَ بِالشَّامِ؛ لِأَنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْر وَعُمَر وَعُثْمَان عَلى مَا بُويِعُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ... وَإِنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيرَ بَايَعَانِي ثُمَّ نَقَضَا بَيْعَتِي، وَكَانَ نَقْضُهُمَا كَرِدَّتِهِمَا، فَجَاهَدْتُهُمَا عَلى ذ لِكَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ.

فَادخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيَّ فِيكَ الْعَافِيَةَ، إِلَّا أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ، فَإِنْ تَعَرَّضْتَ لَهُ قَاتَلْتُكَ وَاسْتَعَنْتُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ...." إلى آخر الكتاب.

[أعيان الشيعة ١:٤٦٧].

وجمع معاوية بعض مشاهير قومه، وأمرهم بإشاعة هذا الخبر فيما بين النّاس: أنّ عليّاً قتل عثمان، ومعاوية وليّ دم عثمان، فيجب الطلب بثأر عثمان ودمه، وأعانه على هذه الفكرة عمرو بن العاص، واشترط على معاوية أنّه إذا بايعه وأعانه على حرب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخرجوا مصر من سلطة أمير المؤمنين عليه السلام يكون عمرو بن العاص والياً عليها، فبايعه على ذلك، وبايع أهل الشام معاوية أيضاً.

قال الطبري في رواية، فسار جرير إلى معاوية، فلمّا قدم عليه ماطله واستنظره واستشار عَمراً فأشار عليه أن يجمع أهل الشام، ويُلزم عليّاً دم عثمان ويقاتله بهم، ففعل معاوية ذلك، وكان أهل الشام لمّا قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الّذي قُتل فيه مخضوباً بالدم بأصابع زوجته - نائلة - إصبعان منها وشي ء من الكفّ وإصبعان مقطوعتان من أُصولهما ونصف الإبهام، وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الأجناد إليه، فبكوا على القميص مدّة، وهو على المنبر والأصابع معلّقة فيه، وأقسم رجال من أهل الشام أن لا يمسّهم الماء إلا للغسل من الجنابة، وأن يناموا على الفرش حتّى يقتلوا قتلة عثمان، ومن قام دونهم قتلوه، فلمّا عاد جرير بن عبدالله إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله، وأنّهم يبكون على عثمان ويقولون: إنّ عليّاً قتله وآوى قتلته، وإنّهم لا ينتهون عنه حتّى يقتلهم أو يقتلوه.

[تاريخ الطبري ٣:٥٦١، وفي الكامل في التاريخ ٢:٣٥٩، نحوه].

مسير عليّ إلى صفّين

قال المسعودي: وكان سير عليّ عليه السلام من الكوفة إلى صفّين

[صفّين: اسم أرض كبيرة واسعة].

لخمس خلون من شوّال سنة ستّ وثلاثين، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الأنصاري، فاجتاز في مسيره بالمدائن ثمّ أتى الأنبار وسار حتّى نزل الرقّة، فعُقد له هناك جسر فعبر إلى جانب الشام، وأمّا جيشه فقد تنوزع في مقدار ما كان معه من الجيش، فمكثّر ومقلّل، والمتّفق عليه من قول الجميع تسعون ألفاً.

[مروج الذهب ٢:٣٨٤].

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمّاله في الآفاق يأمرهم بالمسير إليه، وحثّ النّاس على الجهاد معه، فكتب إلى مخنف بن سليم عامله على اصبهان وهمدان، فاستعمل مخنف على اصبهان وهمدان رجلين من قومه، وأقبل حتّى شهد معه صفّين، وكتب إلى عبدالله بن عبّاس إلى البصرة:

"أَمَّا بَعْدُ، فَأَشْخِصْ إِلَيَّ مَنْ قِبَلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَذَكِّرْهُمْ بَلَائِي عِنْدَهُمْ وَعَفْوِي عَنْهُمْ، وَاسْتِبْقَائِي لَهُمْ، وَرَغِّبْهُمْ فِي الْجِهَادِ وَأَعْلِمْهُمُ الَّذِي فِي ذ لِكَ مِنَ الْفَضْلِ".

فقرأ عليهم ابن عبّاس كتاب عليّ عليه السلام وقال: أيّها النّاس، استعدّوا للمسير إلى إمامكم، وانفروا في سبيل اللّه خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فإنّكم تقاتلون المحلّين القاسطين الذين لا يقرؤون القرآن، ولا يعرفون حكم الكتاب، ولا يدينون دين الحقّ مع أمير المؤمنين، وابن عمّ رسول اللّه عليهماالسلام، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والصادع بالحقّ، والحاكم بحكم الكتاب، الّذي لا يداهن الفجّار، ولا تأخذه في اللّه لومة لائم... وأجاب النّاس إلى المسير، ونشطوا وخفّوا، فاستعمل ابن عبّاس على البصرة أبا الأسود الدؤلي، وقدم هو ومن معه على عليّ عليه السلام بالنخيلة.

وبقي عليّ عليه السلام بالنخيلة أيّاماً، وخطب النّاس ثمّ خرج من النخيلة لخمس مضين من شوّال يوم الأربعاء سنة ٣٦ه، حتّى نزل على شاطئ البرس

[البُرس - بالضمّ -: بلدة بين الكوفة والحلّة]. وخطب بالنّاس، ثمّ سار حتّى نزل صفّين. [راجع تفصيله في أعيان الشيعة ٤٧٩ - ١:٤٧٥].

مسير معاوية إلى صفّين وسبقه عليّاً واستيلاؤه على الفرات

قال المسعودي: وسار معاوية من الشام، وقد تنوزع في مقدار من كان معه، فمكثّر ومقلّل، والمتّفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفاً، فسبق عليّاً عليه السلام إلى صفّين، وعسكر في موضع سهل أفْيَح اختاره قبل قدوم عليّ عليه السلام، على شريعة لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها أخراق عالية، ومواضع على الماء وعرة، ووكّل أبا الأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفاً على مقدّمته، وبات عليّ عليه السلام وجيشه في البرّ عطاشى، قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إنّ عليّاً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم، ولكن دَعْهُم يشربون ونشرب؟ فقال معاوية: لا اللّه! أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان - الحديث.

[مروج الذهب ٢:٣٨٤].

ثمّ قال: ولمّا وصل معاوية وجيشه إلى صفّين، وكان ورودهم قبل جيش عليّ عليه السلام، وَكّل أبا الأعور السلمي على الفرات مع أربعين ألفاً.

[المصدر السابق: ٣٨٥].

ووصل مالك الاشتر ومعه أربعة آلاف رجل، وهم مقدّمة الجيش العلوي، فاصطدموا بأبي الأعور وأزالوهم عن الفرات، فوصل معاوية مع الجيش الجرّار، فانسحب الأشتر عن الفرات، فاستولى معاوي وأصحابه على شاطئ الفرات وصار الماء بأيديهم، فوصل الإمام ومعه مائة ألف إنسان ويزيدون، فأمر الإمام أن ينزلوا ويضعوا أثقالهم وأحمالهم، وتسرّع بعضهم إلى ناحية معاوية واقتتلوا قتالاً قليلاً.

[عليّ من المهد إلى اللحد: ٣٣٢].

وروى نصر بن مزاحم: لمّا غلب أهلُ الشام على الفرات فرحوا بالغلبة، وقال معاوية: يا أهل الشام، هذا - واللَّه - أوّل الظفر، لا سقاني اللَّه، ولا أبا سفيان، إن شربوا منه أبداً حتّى يُقتلوا بأجمعهم عليه، وتباشر أهل الشام - الحديث. [وقعة صفّين: ١٦٣].

ارسال عليّ صعصعة إلى معاوية ليُخَلِّيَ بينه وبين الفرات

روى جمع من اهل السير و التاريخ: عن يوسف بن يزيد، عن عبداللَّه بن عوف الأحمر، قال: لمّا قدمنا على معاوية وأهل الشام بصفّين وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واسعاً، وأخذوا الشريعة فهي في أيديهم... ففزعنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرناه بذلك، فدعا صعصعة بن صوحان، فقال: "ائت معاوية، وقل له: إنّا سرنا إليك مسيرنا هذا وإليكم، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنّك قدّمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالحرب، ونحن ممّن رأينا الكفَّ حتّى ندعوك ونحتجّ عليك، وهذه أُخرى قد فعلتموها، قد حُلْتُم بين النّاس وبين الماء، فخلِّ بينهم وبينه حتّى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم له، وإن كان أحبّ إليك أن ما جئتنا له وندع النّاس يقتتلون حتّى يكون الغالب هو الشارب، فعلنا".

فلمّا مضى صعصعة برسالته إلى معاوية، قال معاوية لأصحابه: ما ترون؟

فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفّان، حصروه أربعين يوماً يمنعونه بَرْدَ الماء ولين الطعام، اقتلهم عطشاً قتلهم اللَّه!

وقال عمرو بن العاص: خَلّ بين القوم وبين الماء فإنّهم لن يعطشوا وأنتَ رَيّان، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم، وأعاد الوليد مقالته.

وقال عبداللَّه بن سعيد بن أبي سرح - وكان أخا عثمان من الرضاعة -: امنعهم الماء إلى الليل، فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمتهم، امنع الماء، منعهم اللَّه يوم القيامة!

فقال صعصعة بن صوحان: إنّما يمنعه اللَّه يوم القيامة الفجرة الكفرة شربة الخمر، ضربك

[ضربك: أي مثلك].

و ضرب هذا الفاسق، يعني الوليد بن عقبة، فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه، فقال معاوية: كفّوا عن الرجل، فإنّما هو رسول، قال عبدالله بن عوف بن أحمر: إنّ صعصعة لمّا رجع إلينا حدّثنا بما قال معاوية، وما كان منه، وما ردّه عليه، قلنا: وما الّذي ردّه عليك معاوية؟ قال: لمّا أردتُ الانصراف من عنده، قلت: ما ترد عليَّ؟ قال: سيأتيكم رأيي، قال: فوالله ما راعنا إلا تسوية الرجال والصفوف والخيل، فأرسل إلى أبي الأعور، امنعهم الماء، فازدلفنا والله إليهم، فارتمينا واطّعنّا بالرماح، واضطربنا بالسيوف، فطال ذلك بيننا وبينهم حتّى صار الماء في أيدينا فقلنا: لا والله! لا نسقيهم، فارسل إلينا عليّ عليه السلام: أن خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى معسكركم، وخلّوا بينهم وبين الماء، فإنّ الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم.

[تاريخ الطبري ٣:٥٦٩، وشرح ابن أبي الحديد ٣:٣١٧، والكامل في التاريخ ٢:٣٦٤].

مبيت عليّ وجيشه عطاشى

روى نصر بن مزاحم: ومكث أصحاب عليّ عليه السلام بغير ماء، واغتمّ عليّ عليه السلام بما فيه أهل العراق.

[وقعة صفّين: ١٦٤].

روى المسعودي: وبات عليّ عليه السلام وجيشه في البرّ عطاشى، قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إنّ عليّاً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم، ولكن دعهم يشربون ونشرب؟ فقال معاوية: لا والله! أو يموتون عطشاً كما مات عثمان.

وخرج عليّ عليه السلام يدور في عسكره بالليل فسمع قائلاً وهو يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات*** وفينا عليّ وفينا الهدى

وفينا الصلاة وفينا الصيام*** وفينا المناجون تحت الدجى

ثمّ مرّ بآخر عند راية ربيعة وهو يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات*** وفينا الرماح وفينا الحَجف

[الحَجف: جمع حجفة، وهي الترس من جلود الإبل يطارق بعضها في بعض].

وفينا عليّ له صولة*** إذا خَوّفوه الردى لم يخف

ونحن غداة لقينا الزبير*** وطلحَة خُضنا غِمار التلف

[الغمار: جمع غمرة، وهي الشدّة، إشارة إلى وقعة الجمل].

فما بالنا أمس أُسد العرين*** وما بالنا اليوم شاء النّجف

[شاء: جمع شاة. والنجف: الحلب الجيّد].

قال الراوي: فحرّك ذلك عليّاً عليه السلام، ثمّ مضى إلى رايات كندة، فإذا إنسان يُنشد إلى جانب منزل الأشعث وهو يقول:

لئن لم يُحَلَّ اليومَ كُربَةً*** من الموت فيها للنفوس بقيَّةُ

فنشرب من ماء الفرات بسيفه*** فَهبنا أُناساً قبلَ ذاك فموَّتوا

قال: فلمّا سمع الأشعث قول الرجل قام فأتى عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنتَ فينا والسيوف في أيدينا، خلِّ عنّا وعن القوم، فوالله لا نرجع حتّى نرده أو نموت، ومُر الأشتر فيعلُوَ بخيله، ويقف حيث تأمره، فقال عليّ عليه السلام: 'ذلك إليكم'.

[راجع: مروج الذهب ٣:٣٨٥، وشرح ابن أبي الحديد ٣:٣٢٣].

خطبة عليّ لأجل إخلاء شريعة الفرات

عندما لاحظ الإمام عليه السلام شدّة العطش في أصحابه، ولم يوثّر ما قاله صعصعة بن صوحان في معاوية وأصحابه، ولاحظ التجاوب والاستعداد من قِبل رؤساء أصحابه للقتال، خطب فيهم خطبة مؤثّرة ومهيّجة وقال:

'قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ؛ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَالمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَ لَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ'. [نهج البلاغة، الخطبة ٥١].

وفي هذا الكلام من الحسن واللطف ما لا يخفى؛ إذ من المعلوم أنّ الإقرار بالعجز والثبات على الذلّة مكروه بالطبع، والتروّي من الماء للعطاش محبوب بالطبع، والعاقل لا يختار المكروه على المحبوب قطعاً بل يُرجّحه عليه ويتوصّل إليه ولو بتروية سيفه من الدماء، فيكون القتال محبوباً عنده أيضاً مع كونه مكروهاً بالطبع من أجل إيصاله إلى المطلوب.

مروءة عليّ بعد تسلّطه على الشريعة

لمّا حرّض عليّ عليه السلام أصحابه بأخذ الماء من العدوّ وألا يكون على المذلّة والموت، قام الأشعث فأتى عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا، والسيوف في أيدينا! خلّ عنّا وعن القوم، فوالله! لا نرجع حتّى نرده أو نموت ومُر الأشتر فيعلو ويقف حيث تأمر، فقال عليّ عليه السلام:

'ذلك إليكم'. فرجع الأشعث فنادى في النّاس: من كان يريد الماء أو الموت فميعاده موضع كذا فإنّي ناهض، فخرج اثنا عشر ألف رجل من قبيلة كندة وغيرهم واضعي سيوفهم على عواتقهم، وأقبل الأشتر بخيله، فحملوا على الفرات حملة واحدة، وأخذت أهل الشام السيوف، فولّوا مدبرين حتّى غمست خيل أمير المؤمنين سنابكها في الفرات واستولوا على الماء، وأزالوا أبا الأعور عن الشريعة، وأغرقوا منهم بشراً وخيلاً، وارتحل معاوية عن ذلك الموضع، ولمّا صار الماء بأيديهم قالوا: لا واللّه! لا نسقيهم، فأرسل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام: 'أن خذوا حاجتكم من الماء وارجعوا إلى معسكركم، وخلّوا بينهم وبين الماء، فإنّ اللّه قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم'، وقالوا له: امنعهم الماء كما منعوك.

قال عليه السلام: 'لا، خلّوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون'. واستأذنه معاوية في وروده المشرعة، واستقاء الناس من طريقه، ودخول رسله في عسكره، فأباحه عليّ عليه السلام كلّ ما سأل وطلب منه.

[راجع: شرح ابن أبي الحديد ٣:٣٢٣، ومروج الذهب ٢:٣٨٦].

سيرة عليّ في صفّين

كان عليّ عليه السلام بسيرته في صفّين يحاول المحافظة على السلم والسلام والأمان كما فعل في يوم الجمل، فلم يزل يرسل الأفراد إلى معاوية للتفاهم وحسم النزاع، وكان معاوية مصرّاً على الحرب والقتال.

روى المسعودي: ولمّا كان أوّل يوم من ذي الحجّة "بعد نزول عليّ عليه السلام على هذا الموضع بيومين" بعث إلى معاوية يدعوه إلى اتّحاد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين، وطالت المراسلة بينهما، فاتّفقوا على الموادعة إلى آخر المحرّم من سنة سبع وثلاثين، وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبرّ لشغلهم بالحروب، ولمّا كان في اليوم الآخر من المحرّم قبل غروب الشمس بعث عليّ عليه السلام إلى أهل الشام: 'إنّي قد احتججت عليكم بكتاب اللّه ودعوتكم إليه، وإنّي قد نبذت إليكم على سواء، إنّ اللّه لا يهدي كيد الخائنين'، فلم يردّوا عليه جواباً إلا السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منّا. [مروج الذهب ٢:٣٨٧].

بدء القتال، وما جرى بين عليّ وعمّار ومقتله

روى المسعودي في "مروج الذهب" قال "ما ملخّصه": وأصبح عليّ عليه السلام يوم الأربعاء - وكان أوّل يوم من صفر سنة ٣٧ه - فعبّأ الجيش، وأخرج الأشتر أمام النّاس، وأخرج إليه معاوية - وقد تصافّ أهل الشام وأهل العراق - حبيب بن مسلمة الفهري، وكان بينهم قتال شديد جلّ النهار وانصرفوا.

فلمّا كان يوم الخميس - وهو اليوم الثاني - أخرج عليّ عليه السلام هاشم بن عتبة، وكان من شيعة عليّ عليه السلام، وأخرج إليه معاوية أبا الأعور السلمي فكانت بينهم الحرب سجالاً، وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثيرة.

وأخرج عليّ عليه السلام في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - أبا اليقظان عمّار بن ياسر في عدّة من البدريّين وغيرهم من المهاجرين والأنصار، وأخرج إليه معاوية عمرو بن العاص في تَنوخ وبَهْرَاء وغيرهما من أهل الشام، فكانت بينهم الحرب سِجالاً إلى الظهر، ثمّ حمل عمّار بن ياسر فيمن ذكرنا، فأزال عَمراً عن موضعه وألحقَه بعكسر معاوية، وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق.

وأخرج عليّ عليه السلام في اليوم الرابع - وهو يوم السبت - ابنه محمّد بن الحنفيّة في همدان وغيرها، وأخرج إليه معاوية عبيدالله بن عمر بن الخطّاب، في حمير ولخم وجُذام فاقتتلوا في ذلك اليوم، وكانت على أهل الشام، ونجا ابن عمر في آخر النهار هرباً.

وأخرج عليّ عليه السلام يوم الأحد عبدالله بن العبّاس، وأخرج إليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي معيط و... حتّى خرج عليّ عليه السلام في اليوم الثامن بنفسه في الصحابة من البدريّين وغيرهم من المهاجرين والأنصار وربيعة وهمدان، وخرج معاوية في عدد أهل الشام فانصرفوا عند المساء وكلّ غير ظافر.

وكذا خرج عليّ عليه السلام يوم التاسع، وهو يوم الخميس، ومعاوية أيضاً، واقتتلوا وكثرت القتلى في ذلك اليوم... واشتعلت نار الحرب وقتل كثيرون من أصحاب عليّ وجنود معاوية في صفّين حتّى قتل عمّار بن ياسر. [راجع: مروج الذهب ٢: ٣٨٧ - ٣٩٢].

روى الطبري عن أبي مخنف: عن عبدالله بن أبي حرّ الحنفي، قال: إنّ عمّار بن ياسر خرج إلى النّاس فقال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أضع ظُبة سيفي في صدري ثمّ أنحني عليها حتّى تخرج من ظهري لفعلت، وإنّي لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أنّ عملاً من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته.

وقال الأزدي: سمعت عمّاراً يقول: والله! إنّي لأرى قوماً ليضربنّكم ضرباً يرتاب منه المبطلون، وأيم الله! لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر

[السعفات: جمع سعفة، وهي أغصان النخيل، وإنّما خصّ هَجَر للمباعدة في المسافة؛ ولأنّها موصوفة بكثرة النخيل - نهاية ابن الأثير ٢:٣٦٨].

لعلمنا أنّا على الحقّ، وأنّهم على الباطل. [تاريخ الطبري ٤:٢٦].

وروى المسعودي على نحو ما تقدّم، ثمّ قال: وتقدّم عمّار فقاتل، ثمّ رجع إلى موضعه فاستسقى، فأتته امرأة من نساء بني شيبان من مصافّهم بعُسٍّ فيه لبن فدفعته إليه، فقال: اللَّه أكبرُ، اليوم ألقى الأحبّة تحت الأسنّة، صدق الصادق، وبذلك أخبرني الناطق، وهو اليوم الّذي وُعدتُ فيه، ثمّ قال: أيّها النّاس، هل من رائح إلى اللَّه تحت العوالي؟ والّذي نفسي بيده، لنقاتلنّهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله، وتقدّم وهو يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله*** فاليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يُزيل الهام عن مَقيله*** ويُذهل الخليلَ عن خليله

أو يرجعَ الحقّ إلى سبيله*** فتوسّط القوم، واشتبكت عليه الأسنّة، فقتله أبو العادية العاملي، وابن جَون السكسكي، وختلفا في سلبه، فاحتكما إلى عبداللَّه بن عمرو بن العاص، فقال لهما: أُخرجا عنّي، فإنّي سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: 'ووَلَغَتْ قريش بعمّار، ما لهم ولعمّار؟ يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار'، وكان قتله عند المساء، وله ثلاث وتسعون سنة، وقبره بصفّين، وصلّى عليه عليّ عليه السلام ولم يغسّله.

[مروج الذهب ٢:٣٩١].

وفي "تاريخ الطبري": عن حبّة بن جوين العرني، قال: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفة بالمدائن، فدخلنا عليه، فقال: مرحباً بكما ما خلفتما من قبائل العرب أحداً أحبّ إليَّ منكما فأسندته إلى أبي مسعود، فقلنا: يا أبا عبداللَّه، حَدّثْنا فإنّا نخاف الفتن؟ فقال حذيفة: عليكما بالفتنة الّتي فيها ابن سميّة - يعني عمّار - إنّي سمعتُ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: 'قتلته الفئة الباغية، الناكبة عن الطريق، وإنّ آخر رزقه ضياح

[الضياح: اللبن الخاثِر، يُصبّ فيه الماء ثمّ يُخلط - نهاية ابن الأثير ٣:١٠٧].

من لبن'، قال حبّة: فشهدته يوم صفّين وهو يقول: ائتوني بآخر رزق لي من الدنيا، فأُتي بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء، فلمّا أخطأ حذيفة مقياس شعرة، فقال: اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه، واللَّه لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل، وجعل يقول: الموت تحت الأسل

[الأسل: الرماح الطوال، وقد جعلها كناية عن الرماح والنبل معاً - النهاية ١:٤٩].

والجنّة تحت البارقة. [تاريخ الطبري ٤:٢٧].

وقال السدّي: فبلغني أنّ معاوية قال: إنّما قتله من أخرجه، يخدع بذلك طغام أهل الشام.

[أعيان الشيعة ١:٤٩٨. في نهاية ابن الأثير: في حديث عن عليّ عليه السلام: 'يا طَغام الأحلام، أي يا من لا عقل له ولا معرفة، وقيل: هم أوغاد النّاس وأراذلهم'].

و روى ابن الأثير عن عبدالرحمن السُلمي، قال: لمّا قُتِل عمّار، دخلتُ عسكر معاوية لأنظر هل بلغ منهم قتل عمّار ما بلغ منّا، وكنّا إذا تركنا القتال تحدّثوا إلينا وتحدّثنا إليهم، فإذا معاوية وعمرو وأبو الأعور وعبدالله بن عمرو يتسايرون، فأدخلتُ فرسي بينهم لئلا يفوتني ما يقولون، فقال عبدالله لأبيه: يا أبه، قتلتم هذا الرجل في يومكن هذا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله ما قال، قال: وما قال رسول الله؟ قال: ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبيّ صلى الله عليه و آله لَبنة لَبنة، وعمّار لَبِنتين لَبِنتين فغشى عليه، فأتاه رسول الله صلى الله عليه و آله فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول لعمّار: 'ويحك - يابن سميّة - النّاس ينقلون لَبِنة لَبِنة وأنت تنقل لَبِنتين لَبِنتين رغبة في الأجر، وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أما تسمع ما يقول عبدالله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره.

فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنّما قتله من جاء به، فخرج النّاس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنّما قتل عمّار من جاء به، فلا أدري من كان أعجب، أهو أم هم.

[الكامل في التاريخ ٢:٣٨٢، وراجع نحوه في تذكرة الخواصّ: ٩٠].

وفي رواية: فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فقال: 'ونحن قتلنا حمزة؛ لأنّا أخرجناه إلى أُحد!!' [تذكرة الخواصّ: ٩٠].

نقل آخر من المجلسي

ولمّا كان يوم صفّين خرج عمّار بن ياسر رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا أخا رسول الله، أتأذن لي في القتال؟ فقال عليه السلام: 'مهلاً رحمك الله'، فلمّا كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام، فأجابه بمثله، فأعاد عليه ثالثاً، فبكى أمير المؤمنين عليه السلام، فنظر إليه عمّار فقال: يا أمير المؤمنين، إنّه اليوم الّذي وصفه رسول الله؟ ونزل أمير المؤمنين عليه السلام عن بغلته وعانق عمّاراً وودّعه، وقال: 'يا أبا اليقظان، جزاك الله عن نبيّك، وعن الإسلام خيراً، فنِعْمَ الأخ كنت، ونِعْم الصاحب كنت'، ثمّ بكى عليه السلام وبكى عمّار.

ثمّ قال: والله يا أمير المؤمنين، ما اتّبعتك إلا ببصيرة، فإنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه و آله يقول يوم خيبر "يوم حنين": 'يا عمّار، ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فاتّبع عليّاً عليه السلام وحزبه، فإنّه مع الحقّ والحقّ معه، وإنّك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين'، فجزاك الله - يا أمير المؤمنين - عن الإسلام أفضل الجزاء، لقد أدّيت وأبلغت ونصحت، ثمّ ركب وركب أمير المؤمنين، وبرز إلى القتال، ثمّ إنّه دعا بشربة من ماء، فقيل ما معنا ماء، فقام إليه رجل من الأنصار فأسقاه شربة من لبن، فشربه، ثمّ قال: هكذا عهد إليَّ

رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أن يكون آخر زادي شربة من لبن، ثمّ حمل على القوم فقتل ثماني عشرة نفساً، فخرج إليه رجلان من أهل الشام فطعناه، وقتل رحمه الله.

فلمّا كان في الليل، طاف أمير المؤمنين عليه السلام في القتلى فوجد عمّاراً ملقى بين القتلى، فجعل رأسه على فخذه، ثمّ بكى عليه السلام وأنشأ يقول:

"أَلا أَيُّها الْمَوْتُ الّذي لَيْس تاركي*** أَرِحْني فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَلِيلِ

أَراك بَصيراً بِالذينَ أُحِبُّهُم*** كَأَنَّكَ تَسْعى نَحْوَهُم بِدَلِيلِ"

[بحار الأنوار ٣٦:٣٢٧].

ليلة الهرير وانهزام جُند معاوية

[هرّ الكلب يهرُّ وراء أهله: أي يذبّ عنهم. وقد يطلق على صوت غير الكلب، ومنه هرير الرحى: صوت دورانها وهرير الحرب: شدّة زحامها، وهو هنا كناية عن شدّة القتال في تلك الليلة، وشدّة نباح جُند معاوية وضجّتهم من الخوف والكراهة، واللّٰه العالم.

[

روى ابن الجوزي: عن هشام بن محمّد أنّه قال: لمّا قتل عمّار وهاشم المرقال بعده، قال عليّ عليه السلام لربيعة همدان: "أنتم درعي ورمحي"، فانتدب له اثنا عشر ألفاً، وحمل القوم فانتقضت صفوف معاوية، وكان عليّ عليه السلام قد أخرج في ذلك اليوم لواء رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ولم يخرجه قبل ذلك، فدفعه إلى قيس بن سعد بن عبادة، فلمّا رآه المسلمون صرخوا وبكا، واجتمع تحته أهل بدر والأنصار والمهاجرين، وقيس بن سعد يقول:

هذا اللواء الّذي كنّا نحفّ به*** دون النبيّ وجبريل لنا مدد

ما ضرّ من كانت الأنصار عيبته *** أن لا يكون له من غيرهم عضد

[العيبة من الرجل: موضع السرّ].

ثمّ اتّصل القتال في الليل، وكانت ليلة الجمعة، فاقتتلوا طول الليل، وهي ليلة الهرير، الثامن والعشرون من صفر، تطاعنوا بالرماح حتّى تقصّفت، وكلّت السيوف، ونفد النبل، وخفيت الأصوات، وغابت الأخبار عن عليّ عليه السلام ومعاوية والأمراء، ولم يسمع إلا الهرير يهرّ بعضهم على بعض، وأصبح النّاس والقتال بحاله، وابن عبّاس في الميمنة، والأشتر في الميسرة، وعليّ عليه السلام في القلب، فبعث إلى الأشتر: "تقدّم"، وأمدّه بالرجال، فحمل حملة انتقضت منها صفوف معاوية وأيقن بالتلف، فالتفت إلى عمرو، وقال: هل من حيلة؟...

فقال: ارفع المصاحف على الرماح ونادِ: بيننا وبينكم كتاب اللّٰه، فما يزيدهم ذلك إلا فرقة ولا يزيدنا إلا اجتماعاً - الحديث. [تذكرة الخواصّ: ٩٤].

قال أبان بن أبي عيّاش: وسمعت سليم يقول، وسألته هل شهدت صفّين؟ فقال: نعم، قلت: هل شهدت يوم الهرير؟ قال: نعم، قلت: كم كان أتى عليك من السنّ؟ قال: أربعون سنة، قلت: فحدّثني رحمك اللّٰه؟ قال: نعم، مهما نسيت من شي ء من الأشياء فلا أنسى هذا الحديث، ثمّ بكى، وقال: صَفّوا وصففنا، فخرج مالك الأشتر على فرس أدهم وسلاحه معلّق على فرسه وبيده الرمح، وهو يقرع به رؤوسنا ويقول: أقيموا صفوفكم... فأقبل علينا بوجهه، فحمد اللّٰه وأثنى على النبيّ صلى الله عليه و آله... ثمّ التقى القوم فكان بينهم أمر عظيم، فتفرّقوا عن سبعين ألف قتيل من جحاجحة العرب، وكانت الرقعة يوم الخميس من حيث استقلّت الشمس حتّى ذهب ثلث الليل الأوّل، ما سجد للّٰه في ذينك العسكرين سجدة حتّى مرّت مواقيت الصلوات الأربعة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

قال سليم: ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام قام خطيباً فقال: "أيّها النّاس، إنّه قد بلغ بكم ما رأيتم وبعدوّكم كمثله، فلم يبق إلا آخر نفس، وإنّ الأُمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغوا فيكم ما قد بلغوا، وأنا غادٍ عليهم بالغداة إن شاء اللّٰه ومحاكمهم إلى اللّٰه".

فبلغ ذلك معاوية، ففزع فزعاً شديداً، وانكسر هو وجميع أصحابه وأهل الشام لذلك، فدعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو، إنّما هي الليلة حتّى يغدو علينا، فما ترى؟ قال: أرى الرجال قد قلّوا، وما بقي فلا يقومون لرجاله، ولست مثله، وإنّما يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء، وهو يريد الفناء، وليس يخاف أهل الشام عليّاً عليه السلام إن ظفر بهم ما يخاف أهل العراق إن ظفرت بهم، ولكن ألق إليهم أمراً، فإن ردّوه اختلفوا وإن قلبوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب اللّٰه، وارفع المصاحف على رؤوس الرماح، فإنّك بالغ حاجتك، فإنّي لم أزل ادّخرها لك، فعرفها معاوية وقال: صدقت - الحديث.

[كتاب سُليم بن قيس: ١٧٥٦، طبع مواسّسة البعثة].

خدعة معاوية ورفع المصاحف ونهاية القتال

اقترب الجيش العلوي من الفتح، ولاح لهم الظفر والنصر، وتوجّه الخطر إلى معاوية ولم يستطع المقاومة إلا عن طريق الخدعة والمكر، فأمر معاوية أصحابه في جوف الليل أن يربطوا المصاحف على رؤوس الرماح، وأصبح الصباح وإذا بأهل العراق يشاهدون خمسمائة مصحف على رؤوس الرماح، وأهل الشام ينادون بما

تقدّم من كلامهم، ويستعطفون أهل العراق ويطلبون منهم ترك الحرب، وكان آخر كلامهم: 'هذا كتاب اللَّه بيننا وبينكم'.

قال أبو مخنف: فلمّا رأى عمرو بن العاص أنّ أمر أهل العراق قد اشتدّ وخاف في ذلك الهلال، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم.

قال عمرو: نرفع المصاحف ثمّ نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: بلى ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنّا، وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين، فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتاب اللَّه عزّ وجلّ بيننا وبينكم، مَن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام؟ ومَن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق، فلمّا رأى النّاس المصاحف قد رفعت، قالوا: نجيب إلى كتاب اللَّه وننيب إليه. [تاريخ الطبري ٤:٣٤].

وروى المسعودي: وكان الأشتر في هذا اليوم - وهو يوم الجمعة - على ميمنة عليّ عليه السلام، وقد أشرف على الفتح، ونادت مشيخة أهل الشام: يا معشر العرب، اللَّه اللَّه في الحرمات والنساء والبنات، وقال معاوية: هلمّ مخبّاتك - يابن العاص - فقد هلكنا، وتذكّر ولاية مصر.

فقال عمرو: أيّها النّاس، مَن كان معه مصحف فليرفعه على رُمحه، فكثر في الجيش رفع المصاحف، وارتفعت الضجّة، ونادوا: كتاب اللَّه بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ ومَن لثغور العراق بعد أهل العراق؟ ومَن لجهاد الروم؟ ومَن للترك؟ ومَن للكفّار؟ ورفع في عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف، وفي ذلك يقول النجاشي بن الحارث:

فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنا*** عليها كتاب اللَّه خير قُرَان

ونادوا عليّاً! يابن عمّ محمّد*** أما تتّقي أن يَهلك الثقلانِ

فلمّا رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا: نُجيب إلى كتاب اللَّه ونُنيب إليه، وأحبّ القوم الموادعة.

وقيل لعليّ عليه السلام: قد أعطاك معاوية الحقّ، ودعاك إلى كتاب اللَّه فأقبل منه، وكان أشدّهم في ذلك الأشعث بن قيس.

[مروج الذهب ٣:٤٠٠، وفي الكامل ٢:٣٨٦، نحوه].

و روى الطبري: عن جندب الأزدي: إنّ عليّاً عليه السلام قال: 'عباد اللَّه، امضوا على حقّكم وصدقكم، وقتال عدوّكم، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحّاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثمّ رجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّرجال،

ويحكم إنّهم ما رفعوها ثمّ لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيه وما رفعوها لكم إلا خديعة ووهناً [في المصدر: 'دهناً'] ومكيدة'. [تاريخ الطبري ٤:٣٤].

وعن ابن الأثير بعد نقل خديعة معاوية ورفع المصاحف، قال: فقالوا لعليّ عليه السلام: ابعث إلى الأشتر فليأتك تستدعيه، فبعث عليّ يزيد بن هاني إلى الأشتر يستدعيه، فقال الأشتر: ليست هذه الساعة بالساعة الّتي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إنّي قد رجوتُ أن يفتح اللّه لي، فرجع يزيد فأخبره وارتفعت الأصوات، وارتفع الرهج من ناحية الأشتر، فقالوا: واللّه! ما نراك إلا أمرته أن يقاتل؟ فقال عليّ عليه السلام: 'هل رأيتموني ساررته؟ أليس كلّمتُه على رؤوسكم وأنتم تسمعون؟'، قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا واللّه اعتزلناك!! فقال له: 'ويلك - يا يزيد - قل له: أقبل إليَّ فإنّ الفتنة قد وقعت؟' فأبلغه ذلك، فقال الأشتر: ألرفع المصاحف؟ قال: نعم، قال: واللّه، لقد ظننت أنّما ستوقع اختلافاً وفرقة! إنّها مشورة ابن العاهر

[كذا في الكامل، وفي تاريخ الطبري: "ابن العاهرة"، وفي وقعة صفّين: 'ابن النابغة'، وهو عمرو بن العاص].

ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى ما يلقون؟ ألا ترى ما صنع اللّه لنا؟ لن ينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم.

فقال له يزيد: أتحبّ أن تظفر وأمير المؤمنين يسلّم إلى عدوّه أو يُقتل؟ قال: لا واللّه، سبحان اللّه، فأعلمه بقولهم، فأقبل إليهم الأشتر وقال: يا أهل العراق، يا أهل الذلّ والوهن! أحين علوتم القوم وظنّوا أنّكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وهم واللّه قد تركوا ما أمر اللّه به فيها، وسنّة من أُنزلت عليه؟ فأمهلوني فواقاً فإنّي أحسستُ بالفتح؟ قالوا: لا، قال: أمهلوني عدو الفرس، فإنّي قد طمعتُ في النصر؟ قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك - الحديث.

[الكامل في التاريخ ٢:٣٨٦، وفي تاريخ الطبري ٤:٣٤، نحوه].

عدة قتلى صفّين ومدة القتال

استمرّت الحرب من يوم شروعها إلى صبيحة ليلة الهرير مائة وعشرة أيّام، وبلغ عدد القتلى من أهل الشام تسعين ألفاً، ومن أهل العراق عشرين ألفاً، والمجموع مائة وعشرة آلاف. [مروج الذهب ٢:٤٠٤].

ذكر الحكمين وبدء التحكيم

نقل ابن الأثير في تاريخه: جاء الأشعث بن قيس إلى عليّ عليه السلام فقال: أرى النّاس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيتُ معاوية فسألته ما يريد؟

قال عليه السلام: "ائته"، فأتاه فقال لمعاوية: لأي شي ءٍ رفعتم هذه المصاحف؟ قال معاوية: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر اللَّه به في كتابه، تبعثون رجلاً ترضون به، ونبعث رجلاً نرضى به، نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب اللَّه لا يعدوانه، ثمّ نتّبع ما اتّفقنا عليه!! قال له الأشعث: هذا هو الحقّ، فعاد إلى عليّ عليه السلام فأخبره، فقال النّاس: قد رضينا وقبلنا. فقال أهل الشام: قد رضينا عَمراً. وقال الأشعث وأُولئك القوم الذين صاروا خوارج: إنّا قد رضينا بأبي موسى الأشعري.

فقال عليّ عليه السلام: "قد عصيتموني في أوّل الأمر فلا تعصوني الآن، لا أرى أنّ أُوَلّي أبا موسى".

فقال الأشعث وزيد بن حُصين ومِسعَر بن فَدكي: لا نرضى إلا به، فإنّه قد حذَّرنا ما وقعنا به.

قال عليّ عليه السلام: "فإنّه ليس بثقة، قد فارقني وخذَّل النّاس عنّي، ثمّ هرب منّي حتّى أمنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عبّاس أُوَلّيه ذلك"، قالوا: واللَّه لا نبالي أنت كنت أم ابن عبّاس! لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، قال عليّ عليه السلام: "فإنّي أجعل الأشتر"، قالوا: وهل سعّر الأرض غير الأشتر؟ فقال: "قد أبيتم إلا أبا موسى؟"، قالوا: نعم. قال: "فاصنعوا ما أردتم".

فبعثوا إلى أبي موسى الأشعري، وقد اعتزل القتال وهو بِعُرُضٍ، فأتاه مولى له فقال: إنّ النّاس قد اصطلحوا. فقال: الحمد للَّه، قال: قد جعلوك حكماً؟ قال: إنّا للَّه وإنّا إليه راجعون، وجاء أبو موسى حتّى دخل العسكر... وحضر عمرو بن العاص عند عليّ عليه السلام ليكتب القضيّة بحضوره، فكتبوا:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم: هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين، فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم وأمّا أميرنا فلا.

فقال الأحنف: لا تمح اسم إمارة المؤمنين، فإنّي أخافُ إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً، لا تمحها وإن قتل النّاس بعضهم بعضاً، فأبى ذلك عليّ عليه السلام مليّاً من النّهار، ثمّ إنّ الأشعث قال: امح هذا الاسم، فَمُحي.

فقال عليّ عليه السلام: "اللَّه أكبر! سنّة بسنّة، واللَّه إنّي لكاتب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم الحديبية فكتبتُ: محمّد رسول اللَّه، وقالوا: لستَ برسول اللَّه؟! ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فأمرني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بمحوه، فقلت: لا أستطيع، فقال: أرنيه؟ فأريته، فمحاه بيده وقال: إنّك ستدعى إلى مثلها فتجيب".

فقال عمرو بن العاص: سبحان اللَّه! أنُشَبَّه بالكفّار ونحن مؤمنون! فقال عليّ عليه السلام: "يابن النابغة، ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً، وللمؤمنين عدوّاً؟"، فقال عمرو "لعنه اللَّه": واللَّه! لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبداً، فقال عليّ عليه السلام: "إنّي لأرجو أن يطهّر اللَّه مجلسي منك ومن أشباهك".

وكُتب الكتاب: 'هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضي عليّ عليهماالسلام على أهل الكوفة ومَن معهم، وقاضي معاوية على أهل الشام ومَن معهم: إنّنا ننزل عند حكم اللّٰه وكتابه، وأن لا يجمع بيننا غيره، وأنّ كتاب اللّٰه بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا، ونميت ما أمات، فما وجد الحَكَمان في كتاب اللّٰه - وهما أبو موسى الأشعري عبداللّٰه بن قيس، وعمرو بن العاص - عملا به، وما لم يجداه في كتاب اللّٰه فالسنّة العادلة الجامعة غير المفرِّقة... وأجل القضاء إلى رمضان وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك أخّراه، وإنّ مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام'.

[الكامل في التاريخ ٢:٣٨٨].

ظهور مقالة الخوارج بعد صحيفة الصلح

روى المسعودي في "تاريخه" ما ملخّصه: وكان فيما كتب في الصحيفة أنّ يُحيي الحكمان ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن، ولا يتّبعان الهوى ولا يُداهنان في شي ء وصيّروا الأجل إلى شهر رمضان على اجتماع الحكمين في موضع بين الكوفة والشام، وكان الوقت الّذي كتبت فيه الصحيفة لأيّام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين [وفي الكامل في التاريخ "٢:٣٨٩"، وتاريخ الطبري "٤:٤٠"]: وكُتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ٣٧، واتّفقوا على أن يوافي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام موضع الحكمين بدومة الجندل أو بأذرح في شهر رمضان].

وقيل بعد هذا الشهر من سنة ٣٧ه.

ومرّ الأشعث بالصحيفة يقرؤها على النّاس فرحاً مسروراً حتّى انتهى إلى مجلس بني تميم، وفيه جماعة من زعمائهم فقرأها عليهم، فجرى بين الأشعث وأُناس منهم خطب طويلة، وإنّ الأشعث كان بدأ هذا الأمر والمانع لهم من قتال عدوّهم حتّى يفيئوا إلى أمر اللّٰه، قال له عروة بن أدَيه التميمي: أتحكّمون في دين اللّٰه وأمره ونهيه الرجال؟ لا حكم إلا للّٰه، فكان أوّل من قالها وحكم بها، وقد تنوزع في ذلك وشدّ بسيفه على الأشعث فضمّ فرسه عن الضربة، فوقعت في عجز الفرس ونجا الأشعث.

[مروج الذهب ٢:٤٠٤].

ومرّ على رايات بني راسب فقرأها عليهم فقال رجل منهم: لا حكم إلا للّٰه يقضي بالحقّ وهو خير الفاصلين، ومرّ برايات عنزة وكان منهم بصفّين مع عليّ أربعة آلاف مجفّف، فقرأها عليهم، فقال معدان وجعد العنزيان فتيان اخوان منهم: لا حكم إلا للّٰه.

ثمّ رجع الأشعث إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، قد عرضت الحكومة على صفوف أهل الشام وأهل العراق، فقالوا جميعاً: قد رضينا حتّى مررت برايات بني راسب ونبذ من النّاس سواهم، فقالوا: لا نرضى، لا حكم إلا للّه.

وظنّ عليّ عليه السلام أنّهم قليلون لا يعبأ بهم، فما راعه إلا نداء النّاس من كلّ جهة: لا حكم إلا للّه، الحكم للّه يا عليّ لا لك، لا نرضى بأن يحكم الرجال في دين اللّه، إنّ اللّه قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم - الخبر.

[راجع: أعيان الشيعة ١:٥١٤].

رجوع عليّ إلى الكوفة واعتزال الخوارج

روى المدائني في "وقعة صفّين" عن نصر بن مزاحم، عن عبدالرحمن بن جندب، قال: لمّا أقبل عليّ عليه السلام من صفّين أقبلنا معه. قال نصر: ورجع أمير المؤمنين إلى الكوفة، فأخذ طريقاً غير الطريق الّذي أقبلنا فيه، فقال عليه السلام: "آئبون عابدون، لربّنا حامدون، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في المال والأهل"، ثمّ أخذ بنا طريق البرّ على شاطئ الفرات، حتّى انتهينا إلى هيت، و أخذنا على صندوداء، فخرج الأنماريّون بنو سعيد بن حزيم، واستقبلوه فعرضوا عليه النزول فلم يقبل، فبات بها، ثمّ غدا حتّى جزنا النخيلة ورأينا بيوت الكوفة... فلم يزل يذكر اللّه حتّى دخل الكوفة.

[وقعة صفّين: ٥٢٨، وراجع أعيان الشيعة ١:٥١٥].

قال المسعودي: فلمّا دخل عليّ "سلام اللّه عليه" الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفاً من القرّاء وغيرهم، فلحقوا بحروراء - قرية من قرى الكوفة - وجعلوا عليهم شبث بن ربعي التميمي، وعلى صلاتهم عبداللّه بن الكوّاء اليشكري من بكر بن وائل، فخرج عليّ عليه السلام إليهم وكانت له معهم مناظرات، فدخلوا جميعاً الكوفة، وإنّما سمّوا الحرورية لاجتماعهم في هذه القرية وانحيازهم إليها.

[مروج الذهب ٢:٤٠٥].

وفي "الكامل لابن الأثير": ولمّا رجع عليّ عليه السلام من صفّين فارقه الخوارج وأتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: إنّ أمير القتال شبثُ بن ربعي التميمي، وأميرَ الصلاة عبدُاللّه بن الكوّاء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة للّه تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلمّا سمع عليّ عليه السلام ذلك وأصحابه قامت الشيعة فقالوا له: في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء مَن واليتَ، وأعداء مَن عاديتَ، فقالت خوارج: استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان، بايع أهلُ الشام معاويةَ على ما

أحبّوا وكرهوا، وبايعتم أنتم عليّاً على أنّكم أولياء من والى، وأعداء مَن عادى، فقال لهم زياد بن النضر: واللّه! ما بسط عليّ عليه السلام يَده فبايعناه قطّ، إلا على كتاب اللّه وسنّة نبيّه، ولكنّكم لمّا خالفتموه جاءته شيعة فقالوا له: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحقّ، والهدى مَن خالفه ضالّ مضلّ.

وبعث عليّ عليه السلام عبداللّه بن عبّاس إلى الخوارج، وقال: "لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتّى آتيك"، فخرج إليهم يكلّمونه، فلم يصبر حتى راجعهم...

[الكامل في التاريخ ٢:٣٩٣].

اجتماع الحكمين بدومة الجندل

روى الطبري و ابن مسعود: كان "اجتماع الحكمين بدومة الجندل" في شعبان سنة ٣٨ من الهجرة.

[تاريخ الطبري ٤:٥٢، ومروج الذهب ٢:٤٠٦، والصواب أنّه كان في شعبان ٣٧ه].

قال علماء السير والتاريخ: ولمّا جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل عليٌّ عليه السلام أربعمائة رجل، عليهم شريح بن هاني الحارثى، وبعث معهم عبداللّه بن عبّاس، وهو يصلّي بهم ويلي اُمورهم، وأبو موسى الأشعري معهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام حتّى توافدوا بدومة الجندل بأذرح.

[الكامل في التاريخ ٢:٣٩٤، وتاريخ الطبري ٤:٤٩، وتذكرة الخواصّ: ٩٧].

عليّ ونصيحته لعمرو بن العاص

على ما نقله بعض المورخين: أنّ عليّاً عليه السلام أوصى شريح بن هاني أن يقول لعمرو بن العاص: أنّ عليّاً يقول لك: "إنّ أفضل النّاس عند اللّه عزّ وجلّ مَن كان العملُ بالحقّ أحبّ إليه، وإن نقصه من الباطل وإن زاده، يا عمرو، واللّه إنّك لتعلم أين موضع الحقّ، فَلِمَ تتجاهل؟! وإن اُوتيتَ طمعاً يسيراً كنت للّه به ولأوليائه عدوّاً وكأنّ واللّه ما اُوتيتَ قد زال عنك، ويحك فلا تكن للخائنين خصيماً.

[الخصيم هنا بمعنى المدافع، أي لا تكن مدافعاً وحامياً للخائنين، وهو اقتباس من قوله تعالى في سورة النساء: ١٠٥: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً"].

وللظالمين ظهيراً، أما إنّي أعلم بيومك الّذي أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك، تتمنّى أنّك لم تُظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة"، فلمّا بلغه تغيّر وجهه، ثمّ قال: متى كنتُ أقبل مشورة عليّ، أو أنتهي إلى أمره، أو

أعتدّ برأيه؟ فقال له شريح: وما يمنعك - يابن النابغة - أن تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته؟ - الحديث. [راجع: تاريخ الطبري ٤: ٥٠، والكامل في التاريخ ٢: ٣٩٤].

نصيحة ابن عبّاس لأبي موسى الأشعري

روى ابن ابى الحديد عن المدائني: لمّا أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى، وأحضروه للتحكيم على كُرهٍ من عليّ عليه السلام، أتاه عبدالله بن عبّاس وعنده وجوه النّاس وأشرافهم، فقال له: يا أبا موسى، إنّ النّاس لم يرضوا بك، ولم يجتمعوا عليك لفضلٍ لا تشارك فيه، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار والمتقدّمين قبلك! ولكنّ أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحَكَمُ يمانيّاً، ورأوا أنّ معظم أهل الشام يمانٍ، وأيمُ الله إنّي لأظنّ ذلك شرّاً لك ولنا، فإنّه قد ضُمّ إليك داهية العرب، وليس في معاوية خلّة يستحقّ بها الخلافة، وساق الكلام في ذلك إلى أن قال: وإنّ عليّاً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وإنّها بيعة هدى، وإنّه لم يقاتل إلا العاصين والناكثين.

فقال أبو موسى: رحمك الله، والله ما لي إمامٌ غير عليّ، وإنّي لواقف عند ما رأى، وإنّ حقّ الله أحبُّ إليَّ من رضا معاوية وأهل الشام، وما أنت وأنا إلا بالله.

[شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٤٦].

نقاش الحكمين ونتيجة التحكيم وخدعة عمرو لأبي موسى

روى أهل السير والتاريخ: أنّه لمّا اجتمع الحكمان قال عمرو: يا أبا موسى، ألستتعلم أنّ عثمان قُتل مظلوماً؟ قال أبو موسى: أشهد. قال عمرو: ألست تعلم أنّ معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال أبو موسى: بلى، قال عمرو: فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمتَ؟ فإن خفت أن يقول النّاس: ليست له سابقة، فقل: وجدته وليّ عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه، الحسن السياسة والتدبير، وهو أخو أُمّ حبيبة زوج رسول الله وكاتبه، وقد صحبه وعرض له بسلطان.

فقال أبو موسى: يا عمرو، اتّق الله، فأمّا ما ذكرت من شرف معاوية، فإنّ هذا ليس على الشرف تولاه أهله، إلى أن يقال: وأمّا تعريضك لي بالسلطان، فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كلّه لما ولّيته، وما كنتُ لأرتشي في حكم الله، ولكنّك إن شئت أحييا اسم عمر بن الخطّاب؟ قال له عمرو: فما يمنعك من ابني وأنتم تعلم فضله وصلاحه؟ فقال: إنّ ابنك رجلُ صدق، ولكنّك قد غمسته في هذه الفتنة. فقال عمرو: إنّ هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل يأكل ويطعم، وكانت في ابن عمر غفلة، وكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه في الكلام

يقول له: أنت صاحب رسول اللّٰه، وأسنّ منّي، فتكلّم، وتعوّد ذلك أبو موسى، وأراد عمرو بذلك كلّه أن يقدّمه في خلع عليّ عليه السلام، فلمّا أراده عمرو على ابنه وعلى معاوية فأبى، وأراد أبو موسى ابن عمر فأبى عمرو، قال له عمرو: خبّرني ما رأيك؟ قال: أرى أن تخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم مَن أحبّوا، فقال عمرو: الرأي ما رأيت، فأقبلا إلى النّاس وهم مجتمعون، فقال عمرو: يا أبا موسى، أعلمهم إنّ رأينا قد اتّفق، فتكلّم أبو موسى، فقال: إنّ رأينا قد اتّفق على أمر نرجو أن يُصلح اللّٰهُ به أمر هذه الأمّة، فقال عمرو: صَدَقَ وبرّ، تقدّم يا أبا موسى فتكلّم، فتقدّم أبو موسى فقال له ابن عبّاس: ويحك! إنّي لأظنّه قد خدعك، إن كنتما اتّفقتما على أمرٍ فقدمه فليتكلّم به قبلك ثمّ تكلّم به بعده، فإنّه رجل غادر ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا بينكما، فإذا قمتَ في النّاس خالفك؟ وكان أبو موسى مغفّلاً، فقال: إنّا قد اتّفقنا.

ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأُمّة، فلم نرَ أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية، ويُولّي النّاس أمرهم مَن أحبّوا، وإنّي قد خلتُ عليّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولّوا عليكم من رأيتموه أهلاً، ثمّ تنحّى.

وأقبل عمرو بن العاص، فقام وقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتموه، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنّه ولي ابن عفّان، والطالبُ بدمه، وأحقّ النّاس بمقامه.

إلى أن قال: وقال عبدالرحمن بن أبي بكر: لو مات الأشعري قبل هذا اليوم لكان خيراً له.

وقال أبو موسى الأشعري لعمرو بن العاص: لا وفّقك اللّٰه، غدرتَ وفجرتَ، إنّما مثلك "كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ".

[سورة الأعراف: ١٧٦].

و قال عمرو لأبي موسى: إنّما مثلك "كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً"

[سورة الجمعة:٥].

فحمل شريح بن هاني على عمرو فضربه بالسوط، وحمل ابن عمرو على شريح فضربه بالسوط أيضاً، وحجز النّاس بينهم، وكان شريح يقول بعد ذلك: ما ندمتُ على شي ء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ولم أضربه بالسيف.

[الكامل في التاريخ ٢:٣٩٥، وراجع: مروج الذهب ٢:٤١١].

هرب أبي موسى إلى مكّة

ذكر ابن الاثير في تاريخه: والتمس أهل الشام أبا موسى، فهرب إلى مكّة، ثمّ انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلّموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عبّاس وشريح إلى عليّ. [الكامل في التاريخ ٢:٣٩٧].

ما جرى بين عليّ وأصحابه بعد قصّة التحكيم

لمّا بلغ عليّاً عليه السلام ما كان من أمر أبي موسى وعمرو، قال: 'إنّي كنتُ تقدّمت اليكم في هذه الحكومة، ونهيتكم عنها، فأبيتم إلا عصياني، فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذ أبيتم عليّ؟ واللَّه! إنّي لأعرف من حملكم على خلافي، والترك لأمري، ولو أشاء أخذه لفعلت، ولكنّ اللَّه من ورائه - يريد بذلك الأشعث بن قيس - واللَّه أعلم، وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني خثعم:

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى*** فَلَمْ تَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ

[وفي نهج البلاغة "الخطبة ٣٥": 'فلم يستبينوا النُّصح إلا ضحى الغدِ'].

إِلَّا ضُحى الْغَدِ'

من دعا إلى هذه الحكومة فاقتلوه قتله اللَّه، ولو كان تحت عمامتى هذه

[يعني: ولو كان الداعي إلى الحكومة أنا بنفسي أيضاً].

ألا إنّ هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم اللَّه وحكما بهوى أنفسهما بغير حجّة ولا حقّ معروفٍ، فأماتا ما أحيا القرآن، وأحييا ما أماته، واختلف في حكمهما كلامهما، ولم يرشدهما إليه ولم يوفّقهما، فبرئ اللَّه منهما ورسوله وصالح المؤمنين، فتأهّبوا للجهاد، واستعدوا للمسير، وأصبحوا في عساكركم إن شاء اللَّه'. [مروج الذهب ٢:٤١٢].

عليّ في حرب النهروان

'أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِى ء عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا "ظلمتها"، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا'.

نهج البلاغة، الخطبة ٩٣

من هم أهل النهروان؟

هم المارقون [كلمة المارق مأخذوة من حديث نبوي نقله مسلم بن الحجّاج في صحيحه وأبو داود، عن زيد بن وهب - كان في الجيش الّذي كان مع عليّ عليه السلام - فقال عليّ عليه السلام: 'أيّها النّاس، إنّي سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: يخرج قوم من اُمّتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشي ء،

ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشي ء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشي ء، يقرؤون القرآن يحسبون أنّه لهم وهو عليهم، ولا يجاوز قراءتهم تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" - راجع: شرح نهج البلاغة للخوسي ٤:١٢٠، وشرح ابن أبي الحديد ٢:٢٦٦ و ٢٦٩].

وهم الخوارج الذين خرجوا على إمام المسلمين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبغوا عليه، وكانوا إلى يوم النهروان من شيعة عليّ عليه السلام وجاهدوا في ركابه ولم يكونوا من الناكثين ولا من أيادي معاوية، بل كانوا في ركابه عليه السلام في الجمل وصفّين، يعتقدون بالإسلام والقرآن والإمامة، لكن منشأ هذا الانحراف فيهم أنّه كان من صفاتهم: الجهل، والتعصّب، والخشونة، والتحجّر، وعدم إدراك الواقع، وعدم تمييز الحقّ عن الباطل، وعدم البصيرة في الواقعيّات والمصالح الموجودة، ولا يستضيئون ممّن هو أهل لذلك، أعني عليّاً عليه السلام.

ومن صفاتهم الأُخرى أنّهم سريعو التأثّر، ويخدعون بالشائعات، ومَثَلُهُم كما في الحديث: "همجٌ رِعاع، يَمِيلونَ مع كلِّ رِيح".

ومن صفتهم الثالثة أنّه تتزلزل عقيدتهم بمجرّد رؤية شي ء يوجب الشكّ والترديد، ولذا رأيناهم في صفّين حين غلبة الأشتر على جيش معاوية وتقرّبه من مضرب معاوية، وتمسّك معاوية بحيلة رفع المصاحف الكريمة بالرماح، سلّموا وتردّدوا في اعتقادهم بعليّ عليه السلام، وأشاروا على عليّ عليه السلام بأنّه لا يجوز السيف على القرآن، ومهما أصرّ عليّ عليه السلام: "بأنّي أنا القرآن الناطق، وهذه حيلة أحدثها معاوية وعمرو بن العاص"، لم يقبلوا منه وأجبروا عليّاً عليه السلام بأن يأمر مالك الأشتر أن يرجع ويوقف الحرب.

ومن صفاتهم أيضاً التحجّر والتمسّك بالظواهر، ولم يتوجّهوا إلى بواطن الأُمور والحقائق، بل توجّهوا إلى ظاهر القرآن، ولم يتوجّهوا إلى حقيقة القرآن المتجسّدة في عليّ عليه السلام.

ونتيجة هذا العمل ضعف جانب عليّ عليه السلام وتقوية معاوية وجيشه، ثمّ أصروا على عليّ عليه السلام بقبول التحكيم وبعث أبي موسى الأشعري، وجرى ما جرى، وكان نتيجة ذلك عزل إمام المسلمين عن إمامته من قِبل أبي موسى، وتثبيت معاوية على حكومته من قِبل عمرو بن العاص.

ثمّ التفت الخوارج إلى أنّ حاصل التحكيم والحكومة كانت في ضررهم وضرر الإسلام، فهجموا على عليّ عليه السلام وقالوا: نحن لا نفهم، فلماذا أصغيت - يا عليّ - لنا؟ فيجب عليك أن تتوب ممّا عملت، ولم يكتفوا بذلك بل قالوا: لا بدّ أن تعترف بالذنب والكفر ثمّ تتوب!

ومعلوم أنّ هذا الاعتراف من عليّ عليه السلام لا يمكن أن يكون؛ لأنّه لم يذنب بل - كما وصفه هو - أنّه خطأ سياسي فُرض عليه ولم يرض به، وهو حاصل من إصرار نفس الخوارج لا بميل عليّ "صلوات اللّٰه عليه".

غير أنّ هؤلاء الحمقى المتعصّبين الجهلاء لم يقبلوا من عليّ ووقفوا بوجهه عليه السلام، وفرّقوا صفوف المسلمين، فأصبح أنصار عليّ عليه السلام بالأمس أعداءه اليوم، فصاروا سبباً لضعف الإسلام المحمّدي الأصيل وتقوية الكفر، أي معاوية ومَن بعده من الحُكّام الظلمة.

وأخيراً اجتمع أربعة آلاف نفر من المصلّين المتنسّكين في النهروان، وقال عليّ عليه السلام: 'واللّٰهِ لا يَفلُتْ مِنْهُمْ عَشْرة، وَلا يهلك مِنكم عشرة'

[نهج البلاغة، الخطبة ٥٨].

وكان الجهاد عليهم وقتلهم ثواباً وحسنة، ومن أفضل الجهال الشهادة في ركابه عليه السلام.

[في شرح ابن أبي الحديد "٢:٢٦٥ و ٢٦٧": قد تظافرت الأخبار حتّى بلغت حدّ التواتر بما وعد اللّٰه تعالى قاتلي الخوارج من الثواب على لسان رسوله صلى الله عليه و آله، وفي بعض الصحاح أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: 'يقتلهم أولى الفريقين بالحقّ'، وسيأتي كلام عليّ عليه السلام في ذلك].

اخبار رسول اللّٰه بالخوارج

كان النبيّ صلى الله عليه و آله يخبر عليّاً عليه السلام بما سيقع في المستقبل من حوادث لئلا يقع الناس في الانحراف، وكان يوضّح ذلك للنّاس ليكونوا على بيّنة من الصراط المستقيم، ولئلا ينحرفوا عن جادّة الصواب، وكان من جملة تلك القضايا قضيّة الخوارج، وقد أشار إليها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وفيما يلي نذكر بعض الأخبار في هذا الصدد:

١ - عن "صحيح البخاري"، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'يخرج في هذه الأُمّة - ولم يقل منها - قوم تحقّرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن ولا يجاوز حلوقهم - أو قال: حناجرهم - يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية'.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١١١].

٢ - روى بعض المحدّثين: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال لأصحابه يوماً: 'إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله'، فقال أبو بكر: أنا يا رسول اللّٰه؟ فقال صلى الله عليه و آله: 'لا'، فقال عمر: أنا يا رسول اللّٰه؟ فقال صلى الله عليه و آله: 'لا، بل خاصف النعل'، وأشار إلى عليّ.

[راجع: شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٧٧، وينابيع المودّة: ٥٩].

٣ - وروى ابن عساكر الشافعي: عن أبي سعيد، قال: خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من باب بيوت أزواجه فانقطع من نعله شسع أو غيره، قال: فرمى به إلى عليّ بن أبي طالب وقال: 'إنّ منكم مَن سيضرب على تأويله كما ضربتُ على تنزيله'، قال: فقال رجل من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أنا هو؟ قال: 'لا، هو صاحب النعل'.

قال أبوسعيد: أنا بشّرت بها عليّاً فما رأيته اكترث لذلك، كأنّه قد علم به قبل ذلك.

[تاريخ دمشق ٢:١٢٨، ح ١١٦٩، وراجع ح ١١٧٠ و ١١٧٢].

٤ - وفي المستدرك: عن "دعائم الإسلام"، عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه خطب بالكوفة، فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا للَّه، فسكت أمير المؤمنين، ثمّ قام آخر وآخر، فلمّا أكثروا، قال عليه السلام: 'كلمة حقّ يراد بها باطل'، لكم عندنا ثلاث خصال؛ لا نمنعكم مساجد اللَّه أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفي ء ما كانت أيديكم في أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتّى تبدؤونا، وأشهد لقد أخبرني النبيّ الصادق صلى الله عليه و آله عن الروح الأمين، عن ربّ العالمين، أنّه لا يخرج منكم من فئة قلّت أو كثرت إلى يوم القيامة إلا جعل اللَّه حتفها على أيدينا، وإنّ أفضل الجهاد جهادكم، وأفضل المجاهدين مَن قَتَلكم، وأفضل الشهداء مَن من قتلتموه، فاعملوا ما أنتم عاملون، فيوم القيامة يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مستقرّ فسوف تعلمون'.

[مستدرك الوسائل ٢:٢٥٤].

٥ - وفي الصحاح المتّفق عليها: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بينا هو يقسّم قَسْماً "غنائم حنين" جاء رجل من بني تميم يُدعى ذا الخُويصرة، فقال: اعدل يا محمّد! فقال صلى الله عليه و آله: 'قدعلت'، فقال له ثانية: اعدل يا محمّد فإنّك لم تعدل؟! فقال صلى الله عليه و آله: 'ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل!'، فقام عمر بن الخطّاب، فقال: يا رسول اللَّه، ائذن لي أن أضرب عُنُقَه، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'دعه، فسيخرج من ضئضئ هذا [ضئضئي هذا، أي من جنس هذا].

قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [مرق السهم من الرمية مروقاً: خرج من الجانب الآخر، والخوارج مارقة لخروجهم عن الدين] ينظر أحدكم إلى نصله [النصل: حديدة السهم والسيف] فلا يجد شيئاً، فينظر إلى نضيّه [النضي ءُ: القدح - بكسر فسكون -، وهو السهم قبل أن يتّصل ويريش] فلا يجد شيئاً، ثمّ ينظر إلى القُذذ [القذة: ريشة السهم] فكذلك سبق الفرث والدم، يخرجون على حين فرقة من النّاس، تُحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، وصومكم عند صومهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، آيتهم رجلٌ أسود - أو

قال: أدعج [الدعج: شدّة سواد العين مع اتّساعها] - مخدج اليد [مخدج اليد: من أخدجه اللّه، إذا نقص عضواً منه] إحدى يديه كأنّها ثدي امرأة أو بضعة تُدردر' [تدردر: تجيئ وتذهب].

ثمّ قال: وفي بعض الصحاح: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال لأبي بكر - وقد غاب الرجل عن عينه -: 'قم إلى هذا فاقتله'، فقام ثمّ عاد وقال: وجدته يصلّي، فقال لعمر مثل ذلك، فعاد وقال: وجدته يصلّي، فقال لعليّ مثل ذلك، فعاد فقال: لم أجده، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'لو قتل هذا لكان أوّل فتنة وآخرها، أما إنّه سيخرج من ضئضئى هذا قوم' - الحديث.

[شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٦٦].

٦ - و عن قتادة، قال: كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام في قتال أهل النهروان، وكنّا ستّين أو سبعين من الأنصار، وكنت على الرجّالة، فلمّا رجعنا إلى المدينة دخلنا على عائشة فسألتنا عن مقدمنا فأخبرناها بقتل الخوارج، فقالت: ما كانوا يقولون؟ قلنا: يسبّون أمير المؤمنين وعثمان بن عفّان وأنتِ ويكفّرونكم، فلم نزل نقاتلهم وعليّ عليه السلام بين أيدينا وتحته بغلة رسول اللّه صلى الله عليه و آله؛ إذ وقف عليّ عليه السلام على بعض القتلى، فقال: 'اقلبوهم؟'، فقلبناهم فإذا رجل أسود على كتفيه مثل حملة الثدي، فقال عليّ عليه السلام: 'اللّه أكبر'، واللّه ما كَذِبتُ ولا كُذِّبتُ، كنتُ مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهو يقسم غنائم حنين، فجاء هذا فقال: يا محمّد، اعدل، فواللّه ما عدلت منذ اليوم' - الحديث.

[تذكرة الخواصّ: ١٠٠].

امر عليّ بطلب المخدج "ذي الثدية" بين قتلى النهروان

بعد أن أتى عليّ عليه السلام على الخوارج، وهم أربعة آلاف، فيهم المخدج "ذوالثدية" إلا عشرة نفر منهم، فقال ابن مسعود: أمر عليّ عليه السلام بطلب المخدج فطلبوه، فلم يقدروا عليه، فقام عليّ عليه السلام وعليه أثر الحزن لفقد المخدج، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض، فقال: 'افرجوا' ففرّجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه، فقال عليّ عليه السلام: 'اللَّه أكبر، ما كَذِبْتُ على محمّد صلى الله عليه و آله، وإنّه لناقص اليد ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل ثدي المرأة عليها خمس شعرات أوسبع، رؤوسها معقّفة'، ثمّ قال: 'ائتوني به'، فنظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود، إذا مدّت اللحمة امتدّت حتّى تحاذي بطن يده الأُخرى، ثمّ تُترك فتعود إلى منكبه، فثنى رجله ونزل وخرّ للَّه ساجداً. [مروج الذهب ٢:٤١٧].

ما قاله بعض رؤوس الخوارج لعليّ

روى الطبري عن أبي مخنف، عن أبي المغفل، عن عون بن أبي جحيفة، قال: إنّ عليّاً عليه السلام لمّا أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي، فدخلا عليه فقالا له: لا حكم إلا للَّه، فقال عليّ عليه السلام: 'لا حكم إلا للَّه'، فقال له حرقوص: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيّتك، واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتّى نلقى ربّنا؟

فقال لهم عليّ عليه السلام: 'قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقدكتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا، وقد قال اللَّه عز وّجل: 'وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ'

[سورة النحل: ٩١].

فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه! فقال عليّ عليه السلام: 'ما هو ذنب، ولكنّه عجزٌ عن الرأي وضعف في الفعل، وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه'، فقال له زرعة: أما واللَّه - يا عليّ - لئن تدع تحكيم الرجال في كتاب اللَّه قاتلتك، أطلب بذلك وجه اللَّه ورضوانه؟! فقال عليّ عليه السلام: 'بؤساً لك ما أشقاك! كأنّي بك قتيلاً تُسفي عليك الريح'، قال: وودت أن قد كان ذلك، فقال عليّ عليه السلام: 'لو كنت محقّاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا، إنّ الشيطان قد استهواكم، فاتّقوا اللَّه إنّه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها'، فخرجا من عنده يحكّمان. [تاريخ الطبري ٤:٥٢].

وروى ابن الأثير في الكامل نحوه، فراجعه. [الكامل في التاريخ ٢:٣٩٨].

سبب نشأة الخوارج

لمّا تقرّر التحكيم غادر الإمام صفّين وقصد نحو الكوفة، وبقي في الكوفة، وكان من إفرازات التحكيم نشوء فرقة الخوارج، فبينما الإمام عليه السلام ينتظر انقضاء السنة، أي مدّة الهدنة الّتي بينه وبين معاوية ليرجع إلى المقاتلة والحرب، انعزلت عنه الخوارج.

قال هشام بن محمّد: ولمّا دخل عليّ عليه السلام الكوفة انعزلت عنه الخوارج، وكانوا اثني عشر ألفاً، وأتوا حروراء [حروراء قرية بالعراق بأرض النهروان] فنزلوا بها، نسب إليها الحروريّة، ونادى مناديهم: أنّ أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبداللّٰه بن الكوّاء اليشكري

[وفي شرح الخوئي "٤:١٢٦" زيادة: 'والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة للّٰه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر'] ونادوا: لا حكم إلا للّٰه، فقال عليّ عليه السلام: 'كلمةُ حقٍّ يُرادُ بها باطل'.

[تذكرةالخواصّ: ٩٥، ومروج الذهب ٢:٤٠٥].

قال المبرد: وبعث الإمام عليه السلام صعصعة بن صوحان العبدي مع زياد بن نصر الحارثي وعبداللّٰه بن العبّاس إلى القوم، فلم يرتدعوا.

[شرح نهج البلاغة للخوئي ٤:١٢٦].

مناظرة ابن عبّاس أهل النهروان

عن هشام بن محمّد، قال: عبداللّٰه بن عبّاس لعليّ عليه السلام: لا تعجل إلى قتالهم حتّى أخرج إليهم وأعود، فمضى إليهم فقالوا: ما الّذي جاء بك يابن عبّاس؟ قال: جئتكم من عند المهاجرين والأنصار وابن عمّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وصهره، والقرآن عليهم نزل، وهم أعلم منكم بتأويله، فما الّذي نقمتم علينا؟ قالوا: ثلاث خصال: أحدها: أنّكم حكّمتم الرجال في دين اللّٰه، وقد قال اللّٰه: 'إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ'.

[سورة الأنعام: ٥٧، وسورة يوسف: ٤٠ و ٦٧].

والثانية: أنّه قاتل ولم يسلب ولم يغنم، فما الّذي أباح دماءهم وحرّم أموالهم؟! والثالثة: أنّه محا اسمه من إمرة المؤمنين، وإذا لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

فقال ابن عبّاس: أنا أنقض قولكم من القرآن، أمّا قولكم: 'إنّه حكّم في دين اللّٰه'، ألستم تعلمون أنّ اللّٰه حكّم الرجال في قيمة أرنب ثمنه ربع درهم، فقال: 'يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنكُمْ'

[سورة المائدة: ٩٥].

وقال في المرأة وزوجها: "فَابْعَثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وَحَكَماً مِن أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا" [سورة النساء: ٣٥].

فأيّهما أفضل تحكيم الرجال في إصلاح ذات البين وحقن دماء الأُمة، أو تحكيم الرجال في أرنب قيمته ربع درهم وبضع امرأة؟! قالوا: لا، بل هذا.

وأمّا قولكم: "لم يسلب ولم يغنم"، فإن قلت: إنّ عائشة ليست بأُمّكم خرجتم من الإسلام، وإن قلتم هي أُمّنا فكيف تسلبون أُمّكم؟ وكذا الجواب في أهل صفّين، فإنّما قوتلوا ليرجعوا إلى الحقّ، لا لتحلّ أموالهم؟ قالوا: صدقت.

وأمّا قولكم: "محا نفسه من إمرة المؤمنين"، فقد فعل هذا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في غزاة الحديبية، فهل خرج بذلك من النبوّة؟! قالوا: صدقت.

فرجع منهم ألفان، وخرج الباقون فقتلوا بالنهر. [تذكرة الخواصّ: ٩٥].

مناظرة عليّ مع الخوارج

ولمّا خرج عليّ عليه السلام - بعد مناظرة ابن عبّاس إيّاهم - وقف بإزائهم وقال: "مَن زعيمكم؟"، قالوا: ابن الكوّاء، فقال عليّ: "فما الّذي أخرجكم علينا؟"، قالوا: حكومتكم يوم صفّين، فقال لهم: "ناشدتكم اللّٰه، أما قلت لكم يوم رفعوا المصاحف: لا تخالفوني فيهم؟ قلتم: نجيبهم إلى كتاب اللّٰه، فقلت: إنّما رفعوها مكيدة وخديعة؟ فقلتم: إن لم تجب إلى كتاب اللّٰه قتلناك أو سلّمناك إليهم، فلمّا أبيتم إلا الكتاب، اشترطت على الحكمين أن يحكما بكتاب اللّٰه، فإن حكما بغير حكم اللّٰه والقرآن فنحن بُراء منهم؟"، فقالوا: فكيف حكّمت الرجال؟ فقال: "واللّٰه! ما حكّمت مخلوقاً، وإنّما حكّمت القرآن؛ لأنّ القرآن هو خطٌّ بين الدفّتين لا ينطق، وإنّما ينطق به الرجال"، فقالوا: صدقت وكفرنا لما فعلنا ذلك، وقد تبنا منه إلى اللّٰه، فتب كما تبنا نبايعك وإلا قاتلناك؟!

[المصدر السابق: ٩٦].

عن أبي العبّاس، قال: وسبب تسميتهم الحروريّة، أنّ عليّاً عليه السلام لمّا ناظرهم بعد مناظرة ابن عبّاس إيّاهم، كان فيما قال لهم: "ألاتعلمون أنّ هؤلاء القوم لمّا رفعوا المصاحف قلت لكم: إنّ هذه مكيدة ووهن، وأنّهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لأتوني وسألوني التحكيم! أفتعلمون أنّ أحداً كان أكره للتحكيم منّي؟"، قالوا: صدقت، قال: "فهل تعلمون أنّكم استكرهتموني على ذلك حتّى أجبتكم إليه، فاشترطت أنّ حكمهما نافذ ما حكما بحكم اللّٰه، فمتى خالفاه، فأنا وأنتم من ذلك بُراء، وأنتم تعلمون أنّ حكم اللّٰه لا يعدوني". قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: وكان معهم في ذلك الوقت ابن الكوّاء، قال: 'وهذا من قبل أن يذبحوا عبدالله بن خباب'، وإنّما ذبحوه في الفرقة الثانية بكسكر.

[كسكر: كورة بين الكوفة والبصرة].

فقالوا له: حكّمت في دين الله برأينا، ونحن مقرّون بأنّا كنّا كفرنا، ولكنّا تائبون، فأقرّ بمثل ما أقررنا به وتب، ننهض معك إلى الشام، فقال: 'أما تعلمون أنّ الله تعالى قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامرأته، فقال سبحانه: 'فَابْعَثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وَحَكَماً مِن أَهْلِهَا'

[سورة النساء: ٣٥].

وفي صيد أُصيب كأرنب يساوي نصف درهم، فقال: 'يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنكُمْ'

[سورة المائدة: ٩٥].

فقالوا له: فإنّ عَمراً لمّا أبى عليك أن تقول في كتابك: "هذا ما كتبه عبدالله عليّ أمير المؤمنين" محوتَ اسمك من الخلافة، وكتبتَ: "عليّ بن أبي طالب"، فقد خلعت نفسك، فقال: 'لي في رسول الله صلى الله عليه و آله أُسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: هذا كتاب كتبه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو'، وقال له: لو أقررتُ بأنّك رسول الله ما خالفتك، ولكنّي أُقدمّك لفضلك، فاكتب: "محمّد بن عبدالله"، فقال لي: يا عليّ، امحُ "رسول الله"، فقلت: يا رسول الله، لا تشجّعني نفسي على محو اسمك من النبوّة'، قال: 'فقضى عليه فمحاه بيده، ثمّ قال: 'اكتب: "محمّد بن عبدالله"'، ثمّ تبسّم إليَّ، وقال: 'يا عليّ، أما أنّك ستسام مثلها فتعطى'.

فرجع معه منهم ألفان من حروراء، وقد كانوا تجمّعوا بها، فقال لهم عليّ عليه السلام: 'ما نسمّيكم؟'، ثمّ قال: 'أنتم الحرورية؛ لاجتماعكم بحروراء'.

[شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٧٤].

ظلم الخوارج و قتل عبدالله بن خبّاب

روى ابن أبي الحديد عن أبي العبّاس، قال: ثمّ مضى القوم إلى النهروان وقد كانوا أرادوا المضيّ إلى المدائن، فمن طريق أخبارهم أنّهم أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانيّاً، فقتلوا المسلم؛ لأنّه عندهم كافر؛ إذ كان على خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصراني وقالوا احفظوا ذمّة نبيّكم.

[منهاج البراعة ٤:١٢٧، وابن أبي الحديد ٢:٢٨٠].

وفيه أيضاً عن أبي العبّاس، قال: ولقيهم عبداللّٰه بن خبّاب صاحب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في عنقه مصحف على حمار ومعه امرأته وهي حامل، فقالوا له: إنّ هذا الّذي في عنقك ليأمرنا بقتلك، فقال لهم: ما أحياه القرآن فأحيوه، وما أماته فأميتوه؟ فوثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها تورّعاً، وعرض لرجل منهم خنزير فضبه وقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض وأنكروا قتل الخنزير.

ثمّ قالوا لابن خبّاب: حدّثنا عن أبيك، فقال: إنّي سمعت أبي يقول: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'ستكون بعدي فتنة، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، فكن عبدَ اللّٰه المقتول ولا تكون القاتل'.

قالوا: فماذا تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيراً، قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وفي عثمان في السنين الستّ الأخيرة؟ فأثنى خيراً، قالوا: فما تقول في عليّ عليه السلام بعد التحكيم والحكومة؟ قال: إنّ عليّاً عليه السلام أعلم باللّٰه، وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة.

فقالوا: إنّك لست تتّبع الهدى، إنّما تتّبع الرجال على أسمائهم، ثمّ قرّبوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه فذبحوه.

وقال أبوالعبّاس: وساوموا رجلاً نصرانيّاً بنخلة له، فقال: هي لكم، فقالوا: ما كنّا لنأخذها إلا بثمن، فقال النصراني: واعجباه، أتقتلون مثل عبداللّٰه بن خبّاب ولا تقبلون جنا نخلة إلا ثمن!!

[شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٨٢، وشرح الخوئي ٤:١٢٨].

قال أبو عبيدة: واستنطقهم عليّ عليه السلام بقتل ابن خبّاب، فأقرّوا به، فقال: 'انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة'، فكتّبوا كتائب وأقرّت كلّ كتيبة بمثل ما أقرّت به الأُخرى من قتل ابن خبّاب، وقالوا: لنقتلنّك كما قتلناه!!

فقال: 'واللّٰه لو أقرّ أهلُ الدنيا كلّهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم'، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال لهم: 'شدُّوا عليهم، فأنا أوّل من يشدّ عليهم'، فحمل الّذي بذي الفقار حملةً منكرة ثلاث مرّات كلّ حملة يضرب به حتّى يعوجّ متنه ثمّ يخرج فيسوّيه بركبتيه، ثمّ يحمل به حتّى أفناهم.

[شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٨٢، وشرح الخوئي ٤:١٢٨].

وروى قيس بن سعد بن عبادة: أنّ عليّاً عليه السلام لمّا انتهى إليهم قال لهم: 'أقيدونا بدم عبداللّٰه بن خبّاب'، فقالوا: كلّنا قتله، فقال: 'احملوا عليهم'.

[شرح الخوئي ٤:١٢٨].

رواية أُخرى في قصّة عبداللّٰه بن خبّاب

روى الطبري عن أبي مخنف، عن عطاء بن عجلان، عن حميد بن هلال، قال: إنّ الخارجة الّتي أقبلت من البصرة جاءت حتّى دنت من أخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه فدعوه فتهدّدوه وأفزعوه، وقالوا له: مَن أنت؟ قال: أنا عبداللّٰه بن خبّاب صاحب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ثمّ أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض، وكان سقط عنه لمّا أفزعوه، فقالوا له: أفزعناك؟ قال: نعم، قالوا له: لا روع عليك، فحدّثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبيّ صلى الله عليه و آله لعلّ اللّٰه ينفعنا به، قال: حدّثني أبي عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أنّ فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً، ويمسي فيها مؤمناً".

فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً. قالوا: ما تقول في عثمان في أوّل خلافته وفي آخرها؟ قال: إنّه كان محقّاً في أوّلها وفي آخرها، قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنّه أعلم باللّٰه منكم، وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة، فقالوا: إنّك تتّبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، واللّٰه! لنقتلنّك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه فكتّفوه ثمّ أقبلوا به وبامرأته - وهي حُبلى - متمٍّ حتّى نزلوا تحت نخل مواقر [أي كثير الحمل] فسقطت منه رطبة، فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه، فقال أحدهم: بغير حلّها وبغير ثمن؟ فلفَظها وألقاها من فمه، ثمّ أخذ سيفه فأخذ يمينه فمرّ به خنزير لأهل الذمّة فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره، فلمّا رأى ذلك منهم ابن خبّاب، قال: لئن كنتم صادقين فيما رأى، فما عليَّ منكم بأس، إنّي لمسلم ما أحدثتُ في الإسلام حدثاً، ولقد آمنتموني، قلتم: لا روع عليك؟ فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه، وسال دمه إلى الماء، وأقبلوا إلى المرأة فقالت: إنّي إنّما أنا امرأة، ألا تتّقون اللّٰه؟ فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طي، وقتلوا أُمّ سنان الصيداويّة.

فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام ومن معه من المسلمين من قتلهم عبداللّٰه بن خبّاب واعتراضهم النّاس، فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتمه، فخرج حتّى انتهى إلى النهر ليسائلهم، فخرج القوم اليه فقتلوه، و أتى الخبر اميرالمؤمنين عليه السلام و الناس معه فقام إليه النّاس، فقالوا: "يا أمير المؤمنين، عَلَام تدع هؤلاء وراءنا، يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سِر بنا إلى القوم فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم سرنا إلى عدوّنا من أهل الشام" - الحديث. [تاريخ الطبري ٤:٦٠].وروى ابن الأثير في تاريخه مثله. [الكامل في التاريخ ٢:٤٠٣].

ما وقع لعليّ وأصحابه في طريق النهروان

روى المؤرخين: أنّه أجمع عليّ عليه السلام على السير إلى الخوارج، وخرج فعبر الجسر وسار إليهم، فلقيه منجّم في مسيره، فأشار عليه أن يسير وقتاً من النهار، فقال له: إن أنت سرتَ في غيره لقيتَ أنت وأصحابك ضرّاً شديداً؟ فخالفه عليّ عليه السلام وسار في الوقت الّذي نهاه عنه، فلمّا فرغ من أهل النهر حمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: "لو سرنا في الساعة الّتي أمر بها المنجّم، لقال الجهّال الذين لا يعلمون شيئاً: سار في الساعة الّتي أمر بها المنجّم فظفر"، وكان المنجّم مسافر بن عفيف الأزدي.

[الكامل في التاريخ ٢:٤٠٤].

نقل ابن ابى الحديد عن كتاب الخوارج للمدائني، قال: لمّا خرج عليّ عليه السلام إلى أهل النهروان، أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مقدّمته يركض حتّى انتهى إلى عليّ عليه السلام، فقال: البشرى يا أمير المؤ'نين، قال: "ما بشراك؟"، قال: إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك، فأبشر فقد منحك اللّه أكتافهم

[المِنْحة: العطيّة، وأكتاف: جمع الكِتْف وَالكَتْف والكَتِف: عظم عريض خلف المنكب، ولعلّ هذا كناية عن سلطته عليه السلام على الخوارج].

فقال له: "اللّه أنت رأيتهم قد عبروا؟!"، قال: نعم، فأحلفه ثلاث مرّات في كلّها يقول: نعم، فقال عليّ عليه السلام: "واللّه! ما عبروه ولن يعبروه، وإنّ مصارعهم لدون النطفة

[أراد عليه السلام بالنطفة: ماء النهر "كما في الخطبة٥٨ من النهج": "مصارعهم دون النطفة"].

والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لن يبلغوا الأثلاث ولا قصر بوازن

[الأثلاث وقصر بوازن: موضعان بالقرب من النهروان].

حتّى يقتلهم اللّه، وقد خاب من افترى.

قال: ثمّ أقبل فارس آخر يركض: فقال كقول الأوّل، فلم يكترث عليّ عليه السلام بقوله

[اكترث بالأمر: بالى به، يقال: "وهو لا يكترث لهذا الأمر"، أي لا يعبأ به ولا يباليه].

وجاءت الفرسان تركض كلّها تقول مثل ذلك، فقام عليّ عليه السلام فجال في متن فرسه.

قال: فيقول شاب من النّاس: واللّه! لأكوننّ قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سِنانَ هذا الرمح في عينه، أيدّعي علم الغيب! فلمّا انتهى عليه السلام إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم

[الجَفن: جمع أجفان وجُفون وأجفن: غمد السيف].

وعرقبوا خيولهم، وجَثوا على رُكَبهم، وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل، فنزل ذلك الشاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي كنت شككت فيك آنفاً، وإنّي تائب إلى اللّه وإليك فاغفر لي، فقال عليّ عليه السلام: "إنّ اللّه هو الّذي يغفر الذنوب فاستغفره". [شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٧١].

التقاء العسكرين في الرميلة والقتال بينهما

قال المسعودي: واجتمعت الخوارج في أربعة آلاف، فبايعوا عبداللّه بن وهب الراسبي ولحقوا بالمدائن، وقتلوا عبداللّه بن خبّاب عامل عليّ عليه السلام عليها، ذبحوه ذبحاً، وبقروا بطن امرأته وكانت حاملاً، وقتلوا غيرها من النساء، وقد كان عليّ عليه السلام انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفاً، وأتاه من البصرة من قِبل ابن عبّاس - وكان عامله عليها - عشرة آلاف، وذلك في سنة ثمان وثلاثين، فنزل عليّ عليه السلام الأنبار والتأمت إليه العساكر، فخطب النّاس وحرّضهم على الجهاد... فساروا حتّى أتى النهروان، فبعث إليهم بالحارث بن مرّة العبدي رسولاً يدعوهم إلى الرجوع فقتلوه، وبعثوا إلى عليّ عليه السلام: إن تبت من حكومتك وشهدت على نفسك "بالكفر" بايعناك، وإن أبيت فاعتزلنا حتّى نختار لأنفسنا إماماً فإنّا منك بُراء، فبعث إليهم عليّ عليه السلام: "أن ابعثوا إليَّ بقتلة اخواني فأقتلهم، ثمّ أُتاركم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب، ولعلّ اللّه يقلّب قلوبكم"، فبعثوا إليه: كلّنا قتلة أصحابك، وكلّنا مستحلّ لدمائهم مشتركون في قتلهم، وأخبره الرسول - وكان من يهود السواد - أنّ القوم قد عبروا نهر طبرستان، وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان.

فقال عليّ عليه السلام: "واللّه ما عبروه ولا يقطعونه حتّى نقتلهم بالرميلة دونه"، ثمّ تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر، وعبورهم هذا الجسر، وهو يأبى ذلك ويحلف أنّهم لم يعبروه، وأنّ مصارعهم دونه، ثمّ قال: "سيروا إلى القوم فواللّه لا يفلت منهم إلا عشرة، ولا يُقتل منكم إلا عشرة".

فسار عليّ عليه السلام فأشرف عليهم، وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على "حسب" ما قال لأصحابه، فلمّا أشرف عليهم قال: "اللّه أكبر، صدق اللّه ورسول اللّه"، فتصافّ القوم، ووقف عليهم بنفسه، فدعاهم إلى الرجوع والتوبة، فأبوا ورموا أصحابه، فقيل له: قد رمونا، فقال: "كفّوا" فكرّروا القول عليه ثلاثاً، وهو يأمرهم بالكفّ حتّى أُتي برجل قتيل مشحّط بدمه، فقال عليّ: "اللّه أكبر، الآن حلّ قتالهم، احملوا على القوم"، فحمل رجل من الخوارج على أصحاب عليّ فجرح فيهم وجعل يغشى كلّ ناحية ويقول:

أضربهم ولو أرى عليّا*** ألبسته أبيض مشرفيا

فخرج إليه عليّ عليه السلام وهو يقول:

يا أيّهذا المبتغي عليّاً*** إنّي أراك جاهلاً شقيّا

قد كنت عن كفاية غنيّاً*** هَلُمَّ فابرز هاهنا إليّا

فحمل عليه عليّ عليه السلام فقتله، ثمّ خرج منهم آخر فحمل على النّاس ففتك فيهم، وجعل يكرّر عليهم وهو يقول:

أضربهم ولو أرى أبا حَسن*** ألبسته بصارمي ثوب غبن

فخرج إليه عليّ عليه السلام وهو يقول:

يا أيّهذا المبتغي أبا حَسن*** إليك فانظر أيّنا يلقي الغبن

وحمل عليه عليّ عليه السلام وشكّه بالرمح وترك الرمح فيه، فانصرف عليّ عليه السلام وهو يقول: "لقد رأيتَ أبا حسن فرأيتَ ما تكره".

وحمل أبوأيّوب الأنصاري على زيد بن حصين الطائي فقتله، وقُتل عبدالله بن وهب الراسبي قتله هاني بن خطّاب الأزدي وزياد بن خصفة، وقُتل حُرقوص بن زهير السعدي، وكان جملة مَن قُتل من أصحاب عليّ عليه السلام تسعة، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة، وأتى عليّ عليه السلام على القوم، وهم أربعة آلاف فيهم المخدج "ذو الثدية" إلا من ذكرنا من هؤلاء العشرة، وأمر عليّ عليه السلام بطلب المخدج، فطلبوه فلم يقدروا عليه، فقام عليّ عليه السلام وعليه أثر الحزن لفقد المخدج، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض فقال: "افرجوا"، ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه، فقال عليّ عليه السلام: "الله أكبر، ما كَذِبْتُ على محمّد صلى الله عليه و آله، وإنّه لناقص اليد ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل ثدي المرأة، عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معقّفة"، ثمّ قال: "ائتوني به"، فنظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود إذا مدّت اللحمة امتدّت حتّى تحاذي بطن يده الأُخرى، ثمّ تترك فتعود إلى منكبه، فثنى رجله ونزل وخرّ لله ساجداً، ثمّ ركب ومرّ بهم وهم صرعى، فقال: "لقد صَرعكم مَن غَرّكم"، قيل: ومَن غرّهم؟ قال: "الشيطان وأنفس السوء"، فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر، فقال: "كلاّ، والّذي نفسي بيده، وإنّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها حتّى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط "الأسمط" يخرج إليه رجل منّا أهل البيت فيقتله، ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة" - الحديث.

[مروج الذهب ٢:٤١٥، وفي الكامل في التاريخ ٤٠٧ - ٤٠٥ :٢ نحوه].

رجوع عليّ إلى الكوفة

قال ابن الأثير: ولمّا فرغ عليّ عليه السلام من أهل النهر، حمد اللَّه وأثنى عليه وقال: "إنّ اللَّه قد أحسن بكم، وأعزّ نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم".

قالوا: يا أمير المؤمنين، نفذت نبالنا، وكلّت سيوفنا، ونصلت أسنّة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً [قصداً، أي قِطعاً متكسّرة].

فارجع إلى مصرنا فلنستعدّ، ولعلّ أمير المؤمنين يُزيد في عدّتنا، فإنّه أقوى لنا على عدوّنا [كان الّذي تولّى كلامه: الأشعث بن قيس].

فأقبل حتّى نزل النُّخيلة، فأمر النّاس أن يلزموا عسكرهم، ويُوطّنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يُقلّوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتّى يسيروا إلى عدوّهم، فأقاموا فيه أيّاماً، ثمّ تسلّوا من معسكرهم فدخلوا إلا رجالاً من وجوه النّاس، وتُرك المعسكر خالياً، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير وقال لهم أيضاً: "أيّها النّاس، استعدّوا للمسير إلى عدوّكم ومَن في جهاده القُربة إلى اللَّه عزّ وجلّ، ودرك الوسيلة عنده، حيارى من الحقّ، جُفاة عن الكتاب، يعمهون في طغيانهم، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل، وتوكّلوا على اللَّه، وكفى باللَّه وكيلاً، وكفى باللَّه نصيراً"، فم ينفروا ولا تيسّروا.

فتركهم أيّاماً حتّى إذا آيس من أن يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الّذي يُبطئ بهم، فمنهم المعتلّ، ومنهم المتكرّه، وأقلّهم من نشط. فقام فيهم فقال: "عباد اللَّه، ما بالكم إذا أمرتم أن تنفروا "اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ" [سورة التوبة: ٣٨].

بالذلّ والهوان من العزّ خلفاً؟ وكلّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنّكم من الموت في سكرة، وكأنّ قلوبكم مألوسة، وأنتم لا تعقلون، فكأنّ أبصاركم كُمةٌ وأنتم لا تبصرون! للَّه أنتم، ما أنتم إلا أُسد الشرى في الدعة، وثعالب روّاغة حين تُدعون إلى البأس، ما أنتم لي بثقة سيجيس الليالي، ما أنتم بركب يُصال به، لعمر اللَّه لبئس حُشاشُ الحرب أنتم، إنّكم تُكادون ولا تكيدون، وتُنتقص أطرافكم وأنتم لا تتحاشون، ولا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون".

ثمّ قال: "أمّا بعد، فإنّ لي عليكم حقّاً، وإنّ لكم عليَّ حقّاً، فأمّا حقّكم عليَّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلّموا، وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنُّصحُ لي في المغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإن يُرد اللَّه بكم خيراً تنزعوا عمّا أكره، وترجعوا إلى ما أُحبُّ، فتنالوا ما تطلبون، وتدركوا ما تأملون". [الكامل في التاريخ ٢:٤٠٨].

عليّ في الكتاب و السنة

المقدمة:

لم ينزل في القرآن الكريم في شخصٍ ما نزل في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، سيّما في باب الإمامة والخلافة والفضائل والمناقب، كما لم يرد من السنّة المباركة في صحابيّ أو تابعي ما ورد فيه عليه السلام، وهذا يحكي لنا كونه عليه السلام القدوة والأُسوة بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، ولا يدانيه أحد في هذا المضمار.

وإذا لم يُصرّح باسمه المبارك في الآيات القرآنية النازلة بحقّه عليه السلام لمصالح ما

[في الكافي "١:٢٨٢": روي عن أبي بصير في حديث طويل، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: فقلت له: إنّ النّاس يقولون: فما له لم يسمّ عليّاً وأهل بيته في كتاب الله عزّ وجلّ؟ قال: فقال عليه السلام: 'قولوا لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله له ثلاثاً ولا أربعاً، حتّى كان رسول الله صلى الله عليه و آله هو الّذي فسّر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسمّ لهم من كلّ أربعين درهماً درهم حتّى كان رسول الله صلى الله عليه و آله هو الّذي فسّر ذلك لهم' - الحديث].

فإنّ الروايات والأخبار المتواترة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه و آله وعن صحابته المتّقين "رضي الله عنهم" تكشف عن هذه الحقيقة بشكل جليّ، وهي كثيرة جدّاً رغم تعرّض مناقبه عليه السلام للطمس والتحريف والتغيير.

روى الخطيب البغدادي بسنده، عن ابن عبّاس، قال: "نزلت في عليّ رضى الله عنه ثلاثمائة آية".

[تاريخ بغداد ٦:٢٢١].

ورواه ابن حجر في "الصواعق"

[الصواعق المحرقة: ٧٦].

وابن عساكر في "تاريخه.

[تاريخ دمشق: ح ٥٣٣، عنه في نور الأبصار: ٩٠].

وأخرج الشبلنجي عن ابن عبّاس، قال: ليست آية في كتاب الله تعالى: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا' إلا وعليّ عليه السلام أوّلها وأميرها وشريفها. قال: وأخرجه الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس.

[نور الأبصار: ٩٠ - ٨٧]. أقول: ورواه الحاكم الحسكاني [شواهد التنزيل: ٥٤ - ٤٨].والخوارزمي [مناقب الخوارزمي: ١٨٨، الفصل ١٧].وابن عساكر [تاريخ دمشق: ح ٩٢٨].والكنجي الشافعي.

[كفاية الطالب: ١٣٩، الباب ٣١].

وقال: أخرج ابن عساكر عن ابن عبّاس، قال: ما نزل في أحد من كتاب اللّٰه تعالى ما نزل في عليّ عليه السلام. [نور الأبصار: ٩٠].

وقد ألّف القدامى، كالطبراني، وأبي نعيم، ومحمّد بن مؤمن الشيرازي، وغيرهم رسائل خاصّة أفردوها لهذا الباب باسم "ما نزل من القرآن في عليّ عليه السلام"، أو "النازل في القرآن في عليّ عليه السلام"، أو نحوهما.

ويمكن القول إنّه لا يمكن تحديد عدد الآيات بثلاثمائة آية وحسب؛ لأ نّنا إذا راعينا الدقّة في أسباب النزول وتفسير القرآن فسنجد من الآيات النازلة بحقّ عليّ وأهل البيت عليهم السلام أكثر بكثير من العدد المذكور، وإذا أردنا توضيح جميع ما جاء في شأنه عليه السلام، فإنّنا سنكون بحاجة إلى مجلّدات قد يضيق بها الكتاب أو القارئ الكريم ذرعاً، لذا فقد اكتفينا بذكر نبذة من الآيات النازلة فيه عليه السلام، والروايات والأخبار الّتي تذكر سبب النزول، ونحيل القارئ العزيز إلى مظانّها الأصلية.

[كشواهد التنزيل، ونور الأبصار، وإحقاق الحقّ: ج١٤، و في تفاسير العيّاشي، القمّي، البرهان، نور الثقلين، وغيرها].

أمّا الروايات المتواترة الّتي جاءت في ولايته ووصايته وخلافته، أو في فضائله ومناقبه وكراماته، فهي كثيرة، مثل: حديث الغدير، وسدّ الأبواب، والطير المشوي، والثقلين، وردّ الشمس، وباب مدينة العلم، وغيرها.

روى الحاكم بإسناده عن أحمد بن حنبل، قال: ما جاء لأحد من أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من الفاضئل أكثر ما جاء لعليّ بن أبي طالب عليه السلام. [المستدرك ٣:١٠٧، شواهد التنزيل ١:١٨].

ورواه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ح ١١٠٨].وابن حجر، وكذا قال النسائي وغير واحد. [تهذيب التهذيب ٧:٢٩٨].

وقد أشرنا إلى الآيات النازلة في عليّ عليه السلام في فصول من هذا الجزء، وتعقبها بعض الفصول في الروايات الّتي وردت في هذا المجال، كما وسنشير أيضاً في نهاية هذا الجزء إلى خمسين آية أُخرى من القرآن الكريم نزلت بحقّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مع الروايات الدالّة على أسباب النزول.

المؤلّف

عليّ و آية التطهير، و حديث الكساء

قال ابن عبدالبرّ الشافعي: لمّا نزلت: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" دعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فاطمة، وعليّاً، وحسناً، وحسيناً في بيت أُمّ سلمة وقال: "اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً".

الاستيعاب بهامش الإصابة ٣:٣٧ . و الآية من سورة الأحزاب: ٣٣ .

آية التطهير فضيلة عظمى

إنّ نزول الآية في شأن الخمسة الطيّبين أهل الكساء وسائر الأئمّة عليهم السلام كان من فضائلهم الّتي يفتخرون بها في موارد متعدّدة، كما ذكرنا نبذة منها في مناشداتهم عليهم السلام، حتّى قال عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في مجلس المأمون في جواب قول العلماء الذين اجتمعوا هناك حين قال العلماء: فأخبرنا هل فسّر الاصطفاء في الكتاب؟

فقال عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: "... والآية الثانية في الاصطفاء قول عزّ وجلّ: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"، وهذا الفضل الّذي لا يجهله أحد إلا معانداً، ضلالاً منه، فضل بعد طهارة تنتظر".

[قوله: "بعد طهارة تنتظر" أي شملت الطهارة جماعة - وهم الأئمّة عليهم السلام - ينتظر حصولها لهم بعد ذلك أيضاً؛ لأنّ أهل البيت شامل للأئمّة الّتي تأتي بعد أُولئك من الذرّيّة الطيّبة].

وقال السيّد السمهودي: وإنّما أيّدت بهذه الآية "أي آية التطهير" لأنّي تأمّلتها مع ما ورد في الأخبار في شأنها، وما صنعه النبيّ صلى الله عليه و آله بعد نزولها، فظهر لي أنّها منبع فضائل أهل البيت النبويّ؛ لاشتمالها على أُمور عظيمة لم أرَ من تعرّض لها:

أحدها: اعتناء الباري تعالى بهم، وإشارته لعلوّ قدرهم، حيث أنزلها في حقّهم.

ثانيها: تصديره لذلك ب "إنّما" الّتي هي أداة الحصر؛ لإفادة أنّ إرادته في أمرهم مقصورة على ذلك الّذي هو منبع الخيرات لا تتجاوزه إلى غيره، ثمّ عدّ أُموراً عظيمة، ثمّ قال:

ومنها: شدّة اعتنائه صلى الله عليه و آله بهم، وإظهاره لاهتمامه وحرصه عليهم، مع إفادة الآية لحصوله، مع استعطافه صلى الله عليه و آله بقوله: "اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، وقد جعلت إرادتك في أهل بيتي مقصورة على إذهاب الرجس والتطهير، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً".

وعدّ منها أيضاً: دخوله صلى الله عليه و آله معهم في ذلك.

ثمّ قال - بعد أن أورد ما أثبت به ذلك -: وفيه - يعني دخوله معهم - من مزيد كرامتهم، وإنافة تطهيرهم، وإبعادهم عن الرجس الّذي هو الإثم، أو الشكّ فيما يجب الإيمان به، ما لا يخفى موقعه عند أُولي الألباب.

ومنها أيضاً: أنّ دعاءه صلى الله عليه و آله مجاب، سيّما في أمر الصلاة عليه، وقد دعا مولاه أن يخصّه بالصلاة عليه وعليهم، فتكون الصلاة عليه من ربّه كذلك.

ومنها أيضاً: أنّ قصر الإرادة الإلهيّة في أمرهم على إذهاب الرجس تشير إلى ما سيأتي في بعض الطرق من تحريمهم في الآخرة على النّار، فمن قارف منهم شيئاً من الأوزار يرجى أن يتدارك بالتطهير بإلهام الإنابات، وأسباب المثوبات، وأنواع المصائب المؤلمات، ونحو ذلك من المكفّرات للذنوب، وعدم إنالتهم ما لغيرهم من الحظوظ الدنيويّات، وكذا بما يقع من الشفاعات النبويّات، انتهى كلام السمهودي.

[جواهر النقدين في فضل الشرفين، نقلاً عن الإحقاق ٣:٥٣٤].

وبالجملة: ففي اختصاص النبيّ صلى الله عليه و آله آية التطهير بالخمسة الطاهرين، وعدم الإذن لدخول غيرهم في هذه المنقبة، والافتخار بهذه الفضيلة والاستدلال بها لأمر الخلافة في مواضع شتّى والمناشدة لذلك، ما فيه الكفاية للدلالة على عظمة هذه الفضيلة.

من شهد واقعة حديث الكساء هم أثنا عشر نفراً

إنّ نزول آية التطهير وواقعة الكساء تعدّ من الفضائل لأهل البيت الأئمّة المعصومين عليهم السلام؛ ولذلك طلبت بعض زوجات النبيّ صلى الله عليه و آله وغيرهنّ الدخول معهم تحت الكساء، فلم يؤذن لهم، وتأسّف هؤلاء على عدم دخولهم وهم خمسة نفر، والذين شاهدوا الواقعة ولم يرد عنهم طلب الدخول معهم تحت الكساء سبعة نفر نذكرهم على التوالي:

١ - أُمّ سلمة ٢ - ثوبان ٣ - زينب ٤ - عائشة ٥ - واثلة ٦ - جابر بن عبدالله الأنصاري ٧ - سعد بن أبي وقّاص ٨ - صبيح مولى أُمّ سلمة ٩ - عبدالله بن جعفر ١٠ - عبدالرحمن ابن سابط ١١ - عطيّة ١٢ - ابي سلمه ربيب النبي صلى الله عليه و آله، وسنذكر عاجلاً ما روي عنهم.

وورد في كثير من الروايات حضور جبرئيل وميكائيل عليهماالسلام مع أهل البيت عليهم السلام، فيكون الذين شهدوا سبب نزول الآية اثنا عشر نفراً وفقاً لتلك الروايات.

نزول آية التطهير في الخمسة الطيّبين باجماع الأُمة

أقول: إنّ كون نزول الآية في أهل البيت - أي الخمسة أهل الكساء - تثبته روايات متواترة بطرق عديدة عن الرسول صلى الله عليه و آله أخرجها العامّة في كتبهم، واستخرجها أصحابنا من صحاحهم وأُصولهم الّتي عليها مدارهم، واعترف بذلك جميع العلماء من العامّة والخاصّة.

قال السيّد شرف الدين: لا ريب في أنّ أهل البيت الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهّرهم في هذه الآية 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...' هم الخمسة "أصحاب الكساء"، وكفاك هذا برهاناً على أنّهم أفضل مَن أقلّته الأرض يومئذٍ ومَن أظلّته السماء، ألا وهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وصنوه الجاري بنصّ الذِّكر مجرى نفسه، وبضعته الّتي يغضب اللَّه لغضبها، ويرضى لرضاها، وريحانتاه من الدنيا، سبطاه الشهيدان، سيّدا شباب أهل الجنّة، فهؤلاء هم أصحابُ هذه الآية البيّنة، بحكم الأدلّة القاطعة والحجج الساطعة، لم يشاركهم فيها أحد من بني آدم، ولا زاحمهم تحت كسائهم واحد من هذا العالم... وحسبك في ذلك قول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'أُنزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام' ثمّ قال:

وقد أجمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الإسلاميّة كلّها على أنّه صلى الله عليه و آله لمّا نزل الوحي بها عليه ضمّ سبطيه وأباهما وأُمّهما إليه، ثمّ غشاهم ونفسه بذلك الكساء تمييزاً لهم عن سائر الأبناء والأنفس والنساء، فلمّا أنفردوا تحته عن كافّة أُسرته، واحتجبوا به عن بقيّة أُمّته، بلّغهم الآية وهم على تلك الحال حرصاً على أن لا يطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل، فقال مخاطباً لهم وهم معه في معزل عن كافّة النّاس: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...'، فأزاح صلى الله عليه و آله بحجبهم في كسائه حينئذٍ حجب الريب وهتك سدف الشبهات، فبرح الخفاء بحكمته البالغة، وسطعت أشعة الظهور ببلاغة المبين، إلى آخر كلامه.

[الفصول المهمّة للسيّد شرف الدين: ٢٠٣].

أخرج الحافظ الحسكاني الحنفي النيشابوري أكثر من مائتي طريق في أنّ الآية نزلت في رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعليّ والحسن والحسين وأُمّهما فاطمة عليهم السلام.

[شواهد التنزيل ٢: ١٠ إلى ٩٢].

وقال العلامة المجلسي: ذهب أصحابنا، وكثير من الجمهور إلى أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، لا يشاركهم فيها غيرهم.

[بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٥].

وقال ابن حجر في صواعقه: إنّ أكثر المفسّرين على أنّ الآية "آية التطهير" نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لتذكير ضمير 'عَنكُمُ'.

[الصواعق المحرقة: ١٤١، طبع مصر و راجع بحارالانوار ٢٣١: ٣٥ و ينابيع المودة ٤٢٩: ٢].

وقال الفخر الرازي: اختلفت الأقوال في أهل البيت، والأوْلى أن يقال: هم أولاده وأزواجه، والحسن والحسين منهم، وعليّ منهم؛ لأنّه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بيت النبيّ صلى الله عليه و آله، وملازمته للنبيّ صلى الله عليه و آله.

[التفسير الكبير ٦:٦١٥].

وقال شيخ الطائفة في تفسيره: روى أبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعائشة، وأمّ سلمة، وواثلة بن الأسقع: أنّ الآية نزلت في النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

[تفسير التبيان ٨:٣٠٧].

وقال الشيخ الجليل أبو عليّ الطبرسي في تفسيره: قال أبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وواثلة بن أسقع، وعائشة، وأمّ سلمة: أنّ الآية مختصّة برسول اللّٰه وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

[تفسير مجمع البيان ٨:٣٥٦].

وقال العلامة التستري في إحقاق الحقّ: أجمع المفسّرون، وروى الجمهور - كأحمد بن حنبل وغيره - أنّ آية "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ..." الآية، نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

[الإحقاق ٢:٥٠٢].

وقال العلامة الطباطبائي في تفسيره: ورد في أسباب النزول، أنّ الآية نزلت في النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام خاصّة، لا يشاركهم فيها غيرهم، وهي روايات جمّة تزيد على سبعين حديثاً، يربو ما ورد منها من طرق أهل السنّة على ما ورد منها من طرق الشيعة، فقد روتها أهل السنّة بطرق كثيرة عن أُمّ سلمة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري، وسعد بن وقاص، وواثلة بن الأسقع، وأبي الحمراء، وابن عبّاس، وثوبان مولى النبيّ، وعبداللّٰه بن جعفر، وعليّ، والحسن بن عليّ عليهماالسلام في قريب من أربعين طريقاً، ثمّ قال:

وروتها الشيعة عن عليّ عليه السلام، والسجّاد، والباقر، والصادق، والرضا عليهم السلام، وأُمّ سلمة، وأبي ذرّ، وأبي ليلى، وأبي الأسود الدؤلي، وعمرو بن ميمون الأودي، وسعد بن أبي وقّاص في بضع وثلاثين طريقاً.

فإن قيل: إنّ الروايات إنّما تدلّ على شمول الآية لعليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام، ولا ينافي ذلك شمولها لأزواج النبيّ صلى الله عليه و آله كما يفيده وقوع الآية في سياق خطابهنّ؟

قلنا: إنّ كثيراً من هذه الروايات - وخاصّة ما رويت عن أُمّ سلمة، وفي بيتها نزلت الآية - تصرّح باختصاصها بهم، وعدم شمولها لأزواج النبيّ صلى الله عليه و آله. [تفسير الميزان ١٦:٣٢٩].

نبذة ممّا ورد في هذا المجال عمّن شهد الواقعة

وقد تكرّرت منه صلى الله عليه و آله قضيّة الكساء، حتّى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الآية أيضاً، والصواب عندنا نزولها مرّة واحدة، ولكن حكمة الصادق الأمين في نصحه ببلاغه المبين اقتضت تكرير تلك القضيّة مرّة في بيت أُمّ سلمة عند نزول الآية، وأُخرى في بيت فاطمة عليهاالسلام، وفي كلّ مرّة يتلو عليهم الآية مخاطباً لهم بها، وهم في معزل عن النّاس تحت الكساء درءاً للشبهة في نحور أهل الزيغ والشبهة، ونتبرّك هنا بذكر بعض الأخبار الواردة ممّن شهد الواقعة:

حديث أُمّ سلمة

١- في خبر عمّار الدهني، عن عمرة، عن أُمّ سلمة، قالت: نزلت هذه الآية: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ" الآية في بيتي، يعني في سبعة: جبرئيل وميكائيل ورسول اللّه صلى الله عليه و آله، وعليّ، وفاطمة، والحسن والحسين، وما قال: إنّك من أهل البيت.

[مشكل الآثار ١:٣٣٣].

٢- وفي خبر ابن الصباغ المالكي عن الواحدي في كتابه المسمّى بأسباب النزول، يرفعه بسنده إلى أُمّ سلمة أنّها قالت: كان النبيّ صلى الله عليه و آله في بيتها يوماً فأتته فاطمة عليهاالسلام ببرمة فيها عصيدة، فدخلت بها عليه، فقال لها: "ادعي لي زوجك وابنيك"، فجاء عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، فدخلوا وجلسوا يأكلون والنبيّ صلى الله عليه و آله جالسٌ على دكّة وتحته كساء خيبريّ. قالت: وأنا في الحجرة قريباً منهم، فأخذ النبيّ صلى الله عليه و آله الكساء، فغشّاهم به، ثمّ قال: "اللّهمّ أهل بيتي وخاصّتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً". قالت أُمّ سلمة: فأدخلت رأسي، قلت: وأنا معكم يا رسول اللّه؟ قال صلى الله عليه و آله: "إنّك إلى خير، إنّك إلى خير"، فأنزل اللّه عزّ وجلّ: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً".

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٢٥].

وأنشأ بعضهم:

إنّ النبيّ محمّداً ووصيّه*** وابنيه وابنته البتول الطاهره

أهلُ العباء فإنّني بولائهم*** أرجو السلامة والنجا في الآخره

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٢٥].

٣- و اخرج السيوطي، بإسناده عن الطبراني، عن أُمّ سلمة: قالت أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لفاطمة: 'ائتيني بزوجك وابنيه'، فجاءت بهم، فألقى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليهم كساءً فدكيّاً، ثُمّ وضع يده عليهم، ثمّ قال: 'اللّهمّ إنّ هؤلاء أهل محمّد - وفي لفظ آخر: آل محمّد - فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد، كما جعلتها على إبراهيم، إنّك حميد مجيد'.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٨].

٤- وفي "مشكل الآثار" بسنده، عن عمرة الهمدانيّة، قالت: أتيت أُمّ سلمة فسلّمت عليها، فقالت: من أنت؟ فقلت: عمرة الهمدانيّة، فقالت عمرة: يا أُمّ المؤمنين، أخبريني عن هذا الرجل الّذي قتل بين أظهرنا، فمحبّ ومبغض، تريد عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قالت أُمّ سلمة: أتحبّينه أم تبغضينه؟ قلت: ما أُحبّه ولا أبغضه - إلى أن قالت -: فأنزل اللَّه هذه الآية: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ' الآية، وما في البيت إلا جبرئيل ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. فقلت: يا رسول اللَّه، أنا من أهل البيت؟ فقال: 'إنّ لك عند اللَّه خيراً'، فوددت أنّه قال: نعم، فكان أحبّ إليَّ ممّا تطلع عليه الشمس وتغرب.

[مشكل الآثار ١:٣٣٣، والإحقاق ٣:٥٢٨].

٥- في "الدرّ المنثور": أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، عن أُمّ سلمة زوج النبيّ: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان ببيتها على منامة له، عليه كساءٌ خيبري، فجاءت فاطمة عليهاالسلام ببرمة فيها خزيرة، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً'، فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'، فأخذ النبيّ صلى الله عليه و آله بفضلة إزاره فغشّاهم إيّاها، ثمّ أخرج يده من الكساء، وأومأ بها إلى السماء، ثمّ قال: 'اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً'، قالها ثلاث مرّات. قالت أُمّ سلمة: فأدخلت رأسي في الستر، فقلت: يا رسول اللَّه، وأنا معكم؟ فقال: 'إنّك إلى خير' مرّتين.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٨].

٦- وفيه أيضاً: أخرج ابن مردويه، عن أُمّ سلمة، قالت: نزلت هذه الآية في بيتي 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'، وفي البيت سبعة: جبرئيل، وميكائيل، وعليّ، وفاطمة، والحسن،

والحسين عليهم السلام، وأنا على باب البيت. قلت: يا رسول اللّٰه، ألست من أهل البيت؟ قال: 'إنّك إلى خير، إنّك من أزواج النبيّ'.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٨].

٧- و اخرج الترمذي: عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ، قال: لمّا نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه و آله 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ' الآية، في بيت أُمّ سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم

[أي غطّاهم].

بكساء، وعليٌّ خلفَ ظهره، ثمّ قال: 'اللّهمّ هؤلاء أهلُ بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً'، قالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ اللّٰه؟ قال: 'أنتِ على مكانكِ، وأنتِ على خير'.

[سنن الترمذي ٥:٣٢٧، ح٣٢٠٥، وقوله صلى الله عليه و آله: 'أنت على مكانك...' يحتمل أن يكون معناه: لستِ أنتِ من أهل البيت، ولكن أنتِ على خير].

حديث ثوبان

[ثوبان مولى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يكنى أبا عبداللّٰه من اصحاب النبي صلى الله عليه و آله "معجم رجال الحديث، ج ٣".

[

عن يوسف بن عبدالحميد، عن ثوبان: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله دعا لأهل بيته، فذكر عليّاً وفاطمة وغيرهما، فقلت: يا نبيّ اللّٰه أمِن أهل البيت أنا؟ قال: فسكت، ثمّ قلت: أمِن أهل البيت أنا؟ قال: فسكت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

[فضائل أحمد: ١٦٤ "مخطوط"، نقلاً عن الإحقاق ٣:٥١٥].

حديث زينب بنت أبي سلمة

١- عن عبداللّٰه بن جعفر، قال: لمّا نظر النبيّ صلى الله عليه و آله إلى جبرئيل هابطاً من السماء، قال: 'مَن يدعو لي؟ مَن يدعو لي؟'. فقالت زينب: أنا يا رسول اللّٰه، فقال: 'ادعي لي عليّاً، وفاطمة، وحسناً وحسيناً'، فجعل حسناً عن يمينه، وحسيناً عن يساره، وعليّاً وفاطمة تجاههم، ثمّ غشّاهم بكساء خيبري، وقال: 'اللّهمّ إنّ لكلّ نبيّ أهلاً، وأنّ هؤلاء أهلي'، فأنزل اللّٰه تعالى: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ' الآية، فقالت زينب: ألا أدخل معكم؟ قال: 'كانك، فإنّك على خير إن شاء اللّٰه'. [شواهد التنزيل ٢:٣٢].

٢- و روى القندوزي الحنفي: عن ابن عمرو، قال: حدّثتني زينب بنت أبي سلمة أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله ألقى على عليّ وفاطمة وحسن وحسين كساءً، وقال: 'رَحمةُ اللَّه وَبَرَكاته عَلَيْكُم أهلَ البيتِ إنّهُ حميدٌ مجِيدٌ'، وأنا وأُمّ سلمة كنّا جالستين - الحديث. [ينابيع المودّة: ٢٢٩].

حديث عائشة

١- عن عائشة، قالت: خرج النبيّ صلى الله عليه و آله ذات غداة عليه مرط [المرط يكون من صوف ومن خزّ أو غيره] مرّجل [المرّجل: هو الّذي نقش فيه تصاوير الرجال، و المرّجل بَرد من برد اليمن].

من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله فيه، ثمّ جاء الحسين فأدخله فيه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها فيه، ثمّ جاء عليّ فأدخله فيه، ثمّ قال: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'.

[صحيح مسلم ٤:١٨٨٣، ح ٢٤٢٤، ينابيع المودّة: ٢٢٩، بحار الأنوار ٣٥:٣٢٦].

و روى السيوطي عن ابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن عائشة مثله.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٨].

ورواه الزمخشري في تفسيره، ورواه الرازي أيضاً، وقال الرازي: اعلم أنّ هذه الرواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث.

[تفسير الرازي ٨:٨٠، عنه تفسير الآية ٦١ من آل عمران].

٢- وعن جميع بن عمير، قال: انطلقت مع أُمّي إلى عائشة، فسألتها أُمّي عن عليّ عليه السلام، قالت: ما ظنّك برجل كانت فاطمة تحته، والحسن والحسين ابنيه؟ ولقد رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله التفّ عليهم بثوبه، وقال: 'اللّهمّ هؤلاء أهلي، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً'. فقلت: يا رسول اللَّه، ألست من أهلك؟ قال صلى الله عليه و آله: 'إنّك على خير'

[شواهد التنزيل ٢:٣٧، وعلى فرض صحّة الخبر قوله صلى الله عليه و آله: 'انّها على خير' لا ينافي عدم كونها على خير بعد حرب الجمل].

حديث واثلة بن الأسقع

١- روى السيوطي: عن ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في سننه، عن واثلة بن الأسقع، قال: جاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى فاطمة ومعه حسن وحسين وعليّ عليهم السلام، حتّى دخل فأدنى عليّاً عليه السلام، وفاطمة عليهاالسلام،

فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً عليهماالسلام كلّ واحد منهما على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوبه، وأنا مستدبرهم، ثمّ تلا هذه الآية: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً".

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٩، المعجم الكبير ٤:٥٠].

٢- عن الأوزاعي، عن شدّاد أبي عمّار، قال: دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم، فذكروا عليّاً عليه السلام، فلمّا قاموا، قال لي: ألا أُخبرك بما رأيت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ قلت: بلى. قال: أتيت فاطمة عليهاالسلام أسألها عن عليّ، فقالت: توجّه إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. قال: فجلست أنتظره حتّى جاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومعه عليّ وحسن وحسين عليهم السلام، أخذ كلّ واحد منهما بيده، حتّى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة، فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحدٍ منهما على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوبه - أو قال: كساءه - ثمّ تلا هذه الآية "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"، ثمّ قال: "اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحقّ".

[فرائد السمطين ٢:٢٢، ح ٣٦٤].

٣- روى الخوارزمي عن أبي الأزهر، عن واثلة بن الأسقع، قال: لمّا جمع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تحت ثوبه، قال: "اللّهمّ قد جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على إبراهيم وآل إبراهيم، اللّهمّ إنّهم منّي وأنا منهم، فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليَّ وعليهم".

[مناقب الخوارزمي: ٢٥].

٤- و اخرج الطبري بإسناده عن أبي عمّار، قال: إنّي لجالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذُكروا عليّاً عليه السلام فشتموه، فلمّا قاموا، قال: اجلس حتّى أُخبرك عن هذا الّذي شتموه، إنّي عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذ جاءه عليّ وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام، فألقى عليهم كساءً له، ثمّ قال: "اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ أذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً". [تفسير جامع البيان للطبري ٢٢:٥].

حديث جابر بن عبداللَّه

في "البحار": عن جابر بن عبداللَّه الأنصاري، قال: كنت عند النبيّ صلى الله عليه و آله في بيت أُمّ سلمة، فأنزل اللَّه هذه الآية "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ" الآية، فدعا النبيّ صلى الله عليه و آله الحسن والحسين وفاطمة وأجلسهم بين يديه، ودعا عليّاً عليه السلام فأجلسه خلف ظهره، وقال: "اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً"، قالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول اللَّه؟ قال: "أنت على خير". فقلت: يا رسول اللَّه، لقد

أكرم اللَّه هذه العترة الطاهرة والذرّيّة المباركة بذهاب الرجس عنهم. قال صلى الله عليه و آله: 'يا جابر، لأنّهم عترتي من لحمي ودمي، فأخي سيّد الأوصياء، وابناي خير الأسباط، وابنتي سيّدة النسوان، ومنّا المهدي'. قلت: يا رسول اللَّه، ومَن المهدي؟ قال: 'تسعة من صلب الحسين أئمّة أبرار، والتاسع قائمهم' - الحديث. [بحار الأنوار ٣٦:٣٠٨].

حديث سعد بن أبي وقّاص

عن عامر بن سعد، عن سعد أنّه قال لمعاوية بالمدينة: لقد شهدت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في عليّ ثلاثاً، لئن يكون لي واحدة منها أحبّ إليَّ من حُمر النعم: شهدته وقد أخذ يدي ابنيه الحسن والحسين، وفاطمة وقد جأر إلى اللَّه عزّ وجلّ وهو يقول: 'اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً' - الحديث. [شواهد التنزيل ٢:١٩].

حديث صبيح مولى أُمّ سلمة

عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن صبيح مولى أُمّ سلمة، عن جدِّه صبيح، قال: كنت بباب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فجاء عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فجلسوا ناحية، فخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: 'إنّكم على خير'، وعليه كساء خيبري، فجلّلهم به، وقال: 'أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم'.

[مجمع الزوائد ٩:١٦٩].

حديث عبداللَّه بن جعفر

عن إسماعيل بن عبداللَّه بن جعفر الطيّار، عن أبيه، قال: لمّا نظر النبيّ صلى الله عليه و آله إلى الرحمة هابطة، قال: 'ادعوا لي؟ ادعوا لي؟'، فقالت صفيّة: مَن يا رسول اللَّه؟ قال: 'أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين'، فجي ء بهم، فألقى عليهم النبيّ كساءه، ثمّ رفع يديه وقال: 'اللّهمّ هؤلاء آلي، فصلِّ على محمّد وعلى آل محمّد'، وأنزل اللَّه عزّ وجلّ: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ...'.

[كتاب القول الفصل: ١٠٥، والإحقاق ٩:٥٢].

حديث عبدالرحمن بن سابط

أنّه قال: كنت جالساً، ولمّا نزلت: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ" الآية، دعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: "اللّهمّ هؤلاء أهلي". [مرآة المؤمنين في مناقب أهل بيت سيّد المرسلين: ٨٤، نقلاً عن الإحقاق ١٦:٣٥].

حديث عطيّة

[أورده الاسماعيلي في الصحابة. "اسد الغابة ٤١٣: ٣" الظاهر انّه غير عطية الّذي زار قبر الحسين عليه السلام مع جابر بن عبداللَّه الانصاري].

و عن الإسماعيلي بالإسناد عن عمير أبي عرفجة، عن عطيّة أنّه قال: دخل النبيّ صلى الله عليه و آله على فاطمة وهي تعصد عصيدة، فجلس حتّى بلغت وعندها الحسن والحسين، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "أرسلوا إلى عليّ"، فجاء فأكلوا، ثمّ اجترّ بساطاً كانوا عليه فجلّلهم به، ثمّ قال: "اللّهمّ هؤلاء بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً"، فسمعت أمّ سلمة فقالت: يا رسول، وأنا معهم؟ فقال: "إنّك على خير".

[أسد الغابة ٣:٤١٣، الإصابة ٢:٤٧٩، ط. مصر].

حديث أبي سلمة

أخرج الترمذي عن أبي سلمة ربيب النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه و آله: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" في بيت أُمّ سلمة، فدعا النبيّ صلى الله عليه و آله فاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّلهم بكساء، وعليّ خلف ظهره، فجلّله بكساء، ثمّ قال: "اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً"، قالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا نبي اللَّه؟ فقال: "أنتِ على مكانك، وعلى خير".

[سنن الترمذي ٥:٣٥١، ح ٣٢٠٥ و ٦٦٣، ح ٣٧٧٨].

احاديث أُخرى من أسباب النزول

١- أخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل، عن ابن عبّاس رضى الله عنه، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "إنّ اللَّه قسّم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، فذلك قوله: "وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ" [سورة الواقعة: ٢٧]."وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ" [سورة الواقعة: ٤١].

فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثمّ جعل القسمين أثلاثاً، فجعلني في خيرهما ثلثاً، فذلك قوله: "فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ"

[سورة الواقعة: ١٠ - ٨].

فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين. ثمّ جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله: 'وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ'

[سورة الحجرات: ١٣].

وأنا أتقى ولد آدم، وأكرمهم على اللّه تعالى ولا فخر. ثمّ جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'

[سورة الأحزاب: ٣٣].

فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٩ و روى الصدوق نحوه في أماليه، المجلس ٩٢ ح ١].

٢- و روى السيوطي عن ابن مردويه وابن أبي حاتم، عن قتادة، في قوله: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'، قال: هم أهل بيت طهّرهم اللّه من السوء، واختصّهم برحمته.

وقال: وحدّث الضحّاك بن مزاحم: أنّ نبيّ اللّه صلى الله عليه و آله كان يقول: 'نحن أهل بيت طهّرهم اللّه من شجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم'.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٩].

أقول: لا يخفى أنّ هذه الأوصاف الجميلة الشريفة منحصرة في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام على ما في الأخبار المأثورة.

٣- و عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'نزلت هذه الآية: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ' الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة'.

[تفسير جامع البيان ٢٢:٥، والمعجم الصغير: ١٣٥].

٤- وفيه أيضاً: عن أبي الديلم، قال: قال عليّ بن الحسين عليهماالسلام لرجل من أهل الشام: 'أما قرأت في الأحزاب: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'؟'، قال: ولأنتم هم؟ قال: عليه السلام: 'نعم' [المصدر السابق ٢٢:٥].

٥- و عن عليّ بن إبراهيم، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ...' الآية، قال: 'نزلت هذه الآية في رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وعليّ بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام، وذلك في بيت أمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه و آله، فدعا رسول اللّه

عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ ألبسهم كساءاً خيبريّاً ودخل معهم فيه، ثمّ قال: "اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني، اللّهمّ أذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً"، فنزلت هذه الآية، فقالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول اللّه؟ قال: "أبشري - يا أُم سلمة - إنّك إلى خير". ثمّ قال عليّ بن ابراهيم: وقال أبو الجارود: قال زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ جهّالاً من النّاس يَزعمون إنّما أراد بهذه الآية أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله، وقد كذبوا وأثموا، لو عنى بها أزواج النبيّ لقال: ليذهب عنكنّ الرجس ويطهّركنّ تطهيراً، ولكان الكلام كما قال: "وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ"، "وَلَا تَبَرَّجْنَ"، "لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ". [سورة الأحزاب: الآيات ٣٢ -٣٣ -٣٤].

قال عليّ بن إبراهيم: ثمّ انقطعت مخاطبة نساءِ النبيّ، وخاطب أهل بيت رسول اللّه، فقال: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...".

[تفسير عليّ بن إبراهيم ٢:١٩٣، البحار ٣٥:٢٠٦].

٦- ما رواه الكليني: بسنده عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ".

[سورة النساء: ٥٩].

فقال: "نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام - إلى أن قال: - لكنّ اللّه عزّ وجلّ أنزله في كتابه تصديقاً لنبيّه صلى الله عليه و آله "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ" الآية، فكان عليّ والحسن والحسين وفاطمة، فأدخلهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله تحت الكساء في بيت أُمّ سلمة، ثمّ قال: "اللّهمّ إنّ لكلّ نبيٍّ أهلاً وثقلاً، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي"، فقالت أُمّ سلمة: ألست من أهلك؟ فقال صلى الله عليه و آله: "إنّك إلى خير، ولكنّ هؤلاء أهلي وثقلي" - الحديث.

[أُصول الكافي ١:٢٨٧].

مرور النبيّ وقت الصلاة و تلاوة الآية بباب عليّ

واعلم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بلّغ في توضيح اختصاص الآية بالخمسة الطيّبين كلّ مبلغ، وسلك في إعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب، ولا يبقى بعدها أثر لهذيان النواصب، حتّى كان بعد نزول الآية كلّما خرج إلى الفجر يمرّ ببيت عليّ وفاطمة عليهماالسلام فيقول: "الصلاة يا أهل البيت، "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً". وقد استمرّ على هذا ستّة أشهر، وفي رواية: "سبعة أشهر"، وفي أُخرى: ثمانية أشهر، وفي رابعة: تسعة أشهر، فصرّح الحقّ عن محضه، وبدا الصبح لذي عينين.

ولا يخفى أنّ الأخبار الواردة في هذا المجال كثيرة، كما سنشير إليها، ولكن كلّها متّفقة على أنّه كان يأمر أهل البيت بالصلاة عملاً بقوله تعالى: 'وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ...'

[سورة طه: ١٣٢].

ولا ريب أنّ الصلاة قد شرّعت من قبل، وإنّهم كانوا يصلّون، فلم يكن هذا الأمر بالصلاة في كلّ مرّة يمرّ عليهم، وذكر آية التطهير تعليلاً للأمر بها إلا لبيان المصداق لأهل البيت في الآية المباركة، وللإرشاد إلى طهارتهم الجنانية، فكأنّه يقول: إنّما آمركم بالصلاة، وأعيد عليكم هذا الأمر كلّ يوم؛ لأنّ طهارتكم الباطنيّة مداومتكم على الطاعة وملازمتكم لامتثال الأوامر والقيام بوظائف العبوديّة؛ ولذلك كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بعد نزول آية التطهير يمرّ على بيت أمير المؤمنين وفاطمة عليهماالسلام ويقول: "الصلاة، الصلاة "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ' الآية. وهذا ممّا اتّفقت عليه الأحاديث الكثيرة من طرق مختلفة.

ولعلّ السبب في استمراره صلى الله عليه و آله على ذلك، هو الإعلان والافصاح عن اختصاص هذه الآية الكريمة بما لها من الفضل والمنقبة بهذا البيت، وانتشار ذلك بين المسلمين في داخل المدينة وخارجها، خصوصاً مع كثرة الوفود إلى المدينة في أواخر حياة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فلا يتوهّم بعد ذلك اختصاصها بغيرهم، أو مشاركة غيرهم لهم في هذه الفضيلة.

ومن هنا لم نجد في الأحاديث حتّى خبراً واحداً أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مرّ على بيت غير عليّ وفاطمة عليهماالسلام، ولو مرّة واحدة، ولم يدّع ذلك حتّى من سعى في إطفاء نورهم عليهم السلام، وإليك بعضاً من الأخبار في ذلك:

١- عن أنس بن مالك، وعن زيد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: كان النبيّ صلى الله عليه و آله يأتي كلّ يوم باب فاطمة عليهماالسلام عند صلاة الفجر، فيقول: "الصلاة يا أهل بيت النبوّة "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" تسعة أشهر بعد ما نزلت: 'وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا'.

[ينابيع المودّة: ١٧٤ و الآية من سورة طه: ١٣٢].

٢- وعن عليّ بن موسى الرضا عليهماالسلام: 'كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يجي ء إلى باب عليّ وفاطمة بعد نزول هذه الآية: 'وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ' تسعة أشهر، كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة، خمس مرّات، فيقول: الصلاة رحمكم اللّٰه، وما أكرم اللّٰه عزّ وجلّ أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة الّتي أكرمنا بها، وخصّنا من دون جميع أهل بيته'.

[عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٣٩].

٣- عن أبي سعيد الخدري: يجي ء إلى باب عليّ عليه السلام تسعة أشهر في كلّ صلاة، فيقول: الصلاة يرحمكم اللَّه 'إِنَّمَا يُرِيدُ...' الآية.

[المناقب لأخطب خوارزم: ٢٣].

و عنه أيضاً: كان نبيّ اللَّه صلى الله عليه و آله يجي ء إلى باب عليّ عليه السلام صلاة الغداة ثمانية أشهر، ويقول: 'الصلاة رحمكم اللَّه 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ' الآية.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٢٥٠، ح ٣٢٠].

و عنه أيضاً: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جاء إلى باب عليّ عليه السلام أربعين صباحاً بعد ما دخل على فاطمة عليهاالسلام، فقال: 'السلام عليكم أهل البيت ورحمة اللَّه وبركاته، الصلاة يرحمكم اللَّه 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ' الآية'.

[المناقب لأخطب خوارزم: ٢٣].

٤- وعن ابن عبّاس قال: شهدنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تسعة أشهر يأتي كلّ يومٍ باب عليّ بن أبي طالب عليه السلام عند وقت كلّ صلاةٍ فيقول: 'السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته أهل البيت 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ' الآية، الصلاة رحمكم اللَّه' كلّ يومٍ خمس مرّات.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٩].

٥- عن أبي الحمراء، قال: صحبت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تسعة أشهر، فكان إذا أصبح أتى باب عليّ وفاطمة عليهماالسلام، وهو يقول: 'يرحمكم اللَّه 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٢٥٢، ح ٣٢٢].

٦- و عن أبي الحمراء ايضاً، قال: خدمتُ النبيّ صلى الله عليه و آله نحواً من تسعة أشهر أو عشرة، وكان عند كلّ فجر لا يخرج من بيته حتّى يأخذ بعضادتي باب عليّ عليه السلام، ثمّ يقول: السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته'، فيقول عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: 'وعليك السلام يا نبيّ اللَّه ورحمة اللَّه وبركاته'. ثمّ يقول: 'الصلاة يرحمكم اللَّه 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'"، ثمّ ينصرف إلى مصلاه.

[الإحقاق ٢:٥٦٣].

٧- وعنه ايضاً، قال: حفظت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب عليّ عليه السلام، فوضع يده على جنبتي الباب، ثمّ قال: "الصلاة، الصلاة "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً".

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٩].

٨- واخرج الطبري: بسنده عن أبي الحمراء ايضاً، قال:... سبعة أشهر رأيت النبيّ إذا طلع الفجر جاء إلى باب عليّ وفاطمة عليهماالسلام فقال: "الصلاة الصلاة "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ".

[تفسير جامع البيان ٢٢:٥].

ورواه ابن عساكر و السيوطي عنه مثله.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٢٥١، ح ٣٢١؛ تفسير الدرّ المنثور ٥:١٩٩].

٩- وفي "سنن الترمذي": بسنده عن أنس بن مالك: قال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يمرّ بباب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: "الصلاة يا أهل البيت "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ" الآية.

[سنن الترمذي ٥:٣٥٢، ح ٣٢٠٦، وعنه ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة: ٢٦].

١٠- و روى المجلسي عن الحارث: عن عليّ عليه السلام: "كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يأتينا كلّ غداة فيقول: الصلاة رحمكم اللَّه، الصلاة "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ" الآية". [بحارالانوار ٢٥:٢١٥].

احتجاج أهل البيت بالآية

نزول هذه الآية في شأن الأئمّة المعصومين عليهم السلام كان أمراً مشهوراً بين أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وتابعيهم، بحيث كان الأئمّة المعصومون عليهم السلام يستشهدون بها، ويستدلّون بها، ولم نشاهد مورداً ينكر ذلك فيه أحد، ونذكر هنا بعضها:

احتجاج عليّ بالآية

١- عن أبي ذرّ الغفاري، عن أمير المؤمنين عليه السلام في الشورى

[الشورى الّتي عيّنها عمر بن خطاب كي تنهض بمهمّة تعيين الخليفة].

قال: "إنّي أُحبّ أن تسمعوا منّي ما أقول لكم، فإن يكن حقّاً فاقبلوه، وإن يكن باطلاً فأنكروه"، قالوا: قل، فذكر من فضائله عن اللَّه وعن رسوله صلى الله عليه و آله وهم يُوافقونه ويُصدّقونه فيما قال عليه السلام، وكان

فيما قال: "فهل فيكم أحد أنزل اللّه فيه آية التطهير، حيث يقول اللّه تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" غيري وغير زوجتي وابني؟". قالوا: لا.

[غاية المرام: ٢٩٦، ح ٢٣].

٢- و عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، في حديث قال: "قال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر: يا أبا بكر، تقرأ الكتاب؟ قال: نعم، قال: فاخبرني عن قول اللّه تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"، فيمن نزلت، فينا أم في غيرنا؟ قال أبو بكر: بل فيكم".

[تفسير البرهان ٣:٣١٢].

٣- و عن "سليم بن قيس" في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لرسول معاوية: أبي الدرداء وأبي هريرة، ومن حوله من النّاس في صفّين: "أيّها النّاس، أتعلمون أنّ اللّه تبارك وتعالى أنزل في كتابه "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ..." الآية، فجمعني رسول اللّه وفاطمة والحسن والحسين عليهماالسلام في كساء وقال: اللّهمّ هؤلاء عترتي وخاصّتي وأهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أُمّ سلمة: وأنا؟ فقال: إنّك إلى خير، وإنّما أُنزلت فيَّ، وفي أخي، وابنتي فاطمة، وابني الحسن والحسين خاصّة، ليس معنا غيرنا، وفي تسعة من وُلد الحسين من بعدي". فقام كلّهم فقالوا: نشهد أنّ أُمّ سلمة حدّثتنا بذلك، فسألنا عن ذلك رسول اللّه صلى الله عليه و آله فحدّثنا به كما حدّثتنا أُمّ سلمة" الحديث.

[كتاب سليم بن قيس: ١٥٠، وروي عنه في غيبة النعماني: ٦٨، والبحار ٣٣:١٤٩].

احتجاج فاطمة بالآية

في كتاب "سليم بن قيس" قالت فاطمة الزهراء في حديث لها مع أبي بكر وعمر: "أيّها النّاس، أما سمعتم رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: "إنّ ابنتي سيّدة نساء أهل الجنة" الى أن قالت: "إنّ من أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً لا يجوز عليهم شهادة؛ لأنّهم معصومون من كلّ سوء، مطهّرون من كلّ فاحشة" الحديث. [كتاب سليم بن قيس: ١٠٠].

احتجاج الحسن بن عليّ بالآية

وفي "البحار": لمّا أجمع الحسن بن عليّ عليه السلام على صلح معاوية خرج حتّى لقيه، فلمّا اجتمعا قام معاوية خطيباً... ثمّ قام الحسن عليه السلام، فخطب - إلى أن قال: - "وقد قال اللّه تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ" الآية، فلمّا نزلت آية التطهير جمعنا رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنا وأخي وأُمّي وأبي فجلّلنا

ونفسه في كساء لأمّ سلمة، خيبريّ؛ وذلك في حجرتها وفي يومها، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهل عترتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أمّ سلمة "رضي اللّه عنها": أدخل معهم يا رسول اللّه؟ قال لها رسول اللّه صلى الله عليه و آله: يرحمك اللّه، أنت على خير، وإلى خير، وما أرضاني عنك! ولكنّها خاصّة لي ولهم، ثمّ مكث رسول اللّه صلى الله عليه و آله بعد ذلك بقيّة عمره حتّى قبضه اللّه إليه، يأتينا في كلّ يوم عند طلوع الفجر فيقول: "الصلاة يرحمكم اللّه "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ" الآية... [البحار ١٠:١٣٨].

لفظ حديث الكساء

نذكر نصّاً لحديث الكساء متداول متعارف عليه في مجالس المؤمنين شيعة آل رسول اللّه صلى الله عليه و آله يستشفي المرضى بقراءته، ويُطلب به قضاء الحاجات، وأنقله من رسالة العالم الجليل الحجّة الزاهد الشيخ محمّدتقي اليزدي البافقي عن كتاب "العوالم" للشيخ عبداللّه البحراني، بإسناده إلى أبي بصير، عن أبان بن تغلب، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبداللّه الأنصاري رحمة اللّه عليه أنّه قال:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، سمعت فاطمة الزهراء عليهاالسلام بنت رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّها قالت: "دخل عليَّ أبي رسول اللّه صلى الله عليه و آله في بعض الأيام

[يظهر من هذا النقل و ما مرّ من الأخبار تكرر قضية الكساء، مرّة في بيت أمّ سلمة، و أُخرى في بيت فاطمة عليهاالسلام، و ان كان نزول الآية مرّة واحدة، كما سيأتي مع توضيحه في صفحات الآتية من كلام الامام السيّد شرف الدين رحمه الله].

فقال صلى الله عليه و آله: السلام عليكِ يا فاطمة، فقلت: وعليك السلام يا أبتاه، فقال صلى الله عليه و آله: إنّي لأجد في بدني ضعفاً، فقلت له: أعيذك باللّه يا أبتاه من الضعف، فقال صلى الله عليه و آله: يا فاطمة، ائتيني بالكساء اليماني وغطّيني به، فأتيته وغطّيته به، وصرت أنظر إليه، فإذا هو يتلألأ كأنّه البدر في ليلة تمامه وكماله.

فما كانت إلا ساعة، وإذا بولدي الحسن قد أقبل، فقال: السلام عليك يا أُمّاه، فقلت: وعليك السلام يا قرّة عيني، وثمرة فؤادي، فقال لي: يا أُمّاه، إنّي أشمّ عندك رائحة طيّبة، كأنّها رائحة جدّي رسول اللّه. فقلت: نعم - يا ولدي - إنّ جدّك تحت الكساء، فأقبل الحسن عليه السلام نحو الكساء، وقال: السلام عليك - يا جدّاه، يا رسول اللّه - أتأذن لي أن أدخل معك؟ فقال صلى الله عليه و آله: وعليك السلام - يا ولدي - وصاحب حوضي، قد أذنت لك، فدخل معه تحت الكساء.

فما كانت إلا ساعة فإذا بولدي الحسين قد أقبل، وقال: السلام عليكِ يا أُمّاه، فقلت: وعليك السلام يا قرّة عيني، وثمرة فؤادي، فقال لي: يا أُمّاه، إنّي أُشمّ عندك رائحة طيّبة، كأنّها رائحة جدّي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقلت: نعم - يا بُنيّ - إنّ جدّك وأخاك تحت الكساء. فدنا الحسين عليه السلام نحو الكساء، وقال: السلام عليك - يا جدّاه - السلام عليك يا من اختاره اللّٰه، أتأذن لي أن أكون معكما تحت هذا الكساء؟ فقال: وعليك السلام - يا ولدي - ويا شافع أُمّتي، قد أذنت لك، فدخل معهما تحت الكساء.

فأقبل عند ذلك أبو الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقال عليه السلام: السلام عليكِ يا فاطمة، يا بنت رسول اللّٰه، فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن، ويا أمير المؤمنين، فقال: يا فاطمة، إنّي أُشمّ عندك رائحة طيّبة كأنّها رائحة أخي وابن عمّي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقلت: نعم، ها هو مع ولديك تحت الكساء، فأقبل عليّ نحو الكساء، وقال: السلام عليك يا رسول اللّٰه، أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال له: وعليك السلام يا أخي، وخليفتي، وصاحب لوائي في الحشر، نعم قد أذنتُ لكَ، فدخل عليّ تحت الكساء.

ثمّ أتيت نحو الكساء، وقلت: السلام عليك - يا أبتاه يا رسول اللّٰه - أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال لي: وعليكِ السلام - يا بنتي ويا بضعتي - قد أذنتُ لكِ، فدخلتُ معهم. فلمّا اكتملنا، واجتمعنا جميعاً تحت الكساء، فأخذ أبي رسول اللّٰه بطرفي الكساء، وأومأ بيده اليمنى إلى السماء، وقال: اللّهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي وحامّتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، ومحبّ لمن أحبّهم، وإنّهم منّي وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليَّ وعليهم، وأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً.

فقال عزّ وجلّ: يا ملائكتي، ويا سُكّان سماواتي، إنّي ما خلقت سماءً مبنيّة، ولا أرضاً مدحيّة، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور، ولا فُلكاً تسري، ولا بحراً يجري، إلا لمحبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء.

فقال الأمين جبرئيل: يا ربّ، ومن تحت الكساء؟

فقال اللّٰه عزّ وجلّ: هم أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، وهم فاطمة وأبوها، وبعلها وبنوها.

فقال جبرئيل: يا ربّ، أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً؟ فقال اللّٰه عزّ وجلّ: قد أذنت لك، فهبط الأمين جبرئيل، وقال لأبي: السلام عليك يا رسول اللّٰه، العليّ الأعلى يقرئك السلام، ويخصّك بالتحية والإكرام، ويقول لك: وعزّتي وجلالي، إنّي ما خلقت سماءً مبنيّة، ولا أرضاً مدحيّة، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فَلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فُلكاً تسري، إلا لأجلكم ومحبّتكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم، فهل

تأذن لي أنت، يا رسول اللّٰه؟ فقال أبي: وعليك السلام يا أمين وحي اللّٰه، نعم، قد أذنتُ لك، فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء.

فقال جبرئيل لأبي: إنّ اللّٰه قد أوحى إليكم يقول: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً". فقال عليّ عليه السلام: يا رسول اللّٰه، اخبرني ما لجلوسنا هذا تحت هذا الكساء من الفضل عند اللّٰه؟ فقال صلى الله عليه و آله: والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، واصطفاني بالرسالة نجيّاً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبّينا إلا ونزلت عليهم الرحمة، وحفّت بهم الملائكة، واستغفرت لهم إلى أن يتفرّقوا.

فقال عليّ عليه السلام: إذن - واللّٰه - فزنا وفاز شيعتنا وربّ الكعبة.

فقال أبي: يا عليّ، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، واصطفاني بالرسالة نجيّاً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمعٌ من شيعتنا ومحبّينا وفيهم مهموم إلا وفرّج اللّٰه همّه، ولا مغمومٌ إلا وكشف اللّٰه غمّه، ولا طالب حاجة إلا وقضى اللّٰه حاجته".

فقال عليّ: "إذن - واللّٰه - فزنا وسعدنا، وكذلك شيعتنا، فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة، بربّ الكعبة".

[الإحقاق ٢: ٥٥٤].

توضيح في مفردات آية التطهير

بعد ما رأيت الأخبار والأحاديث المتواترة - من العامّة والخاصّة - في شأن نزول الآية في أصحاب الكساء، وهم: رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وابن عمّه عليّ المرتضى، الّذي هو بمنزلة روحه ونفسه، وابنته الّتي هي مهجة قلبه، وثمرة فؤاده، وسبطاه الحسن والحسين اللذان هما ريحانتاه من الدنيا، فهؤلاء هم أصحاب هذه الآية، وينبغي أن نشير إلى مفردات الآية حتّى يسهل لنا معرفة المقصود من الآية، وهو عصمة الأئمّة عليهم السلام، وطهارتهم الذاتيّة.

في معنى الارادة في الآية

إنّ الإرادة على قسمين: الإرادة التشريعيّة، والإرادة التكوينيّة، وفي القرآن جاءت بكلا المعنيين:

فمن الآيات الواردة بمعنى الإرادة التشريعيّة

١- "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ".

[سورة البقرة: ١٨٥].

٢- "مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِن حَرَجٍ وَلكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ".

[سورة المائدة: ٦].

فالإرادة في هاتين الآيتين - أو غيرهما من الآيات - بمعنى الإرادة التشريعيّة، وتعني طلب الشي ء من الغير، وإيجاد الشوق في الغير ببعثه نحو الفعل. وبعبارة أُخرى: الإرادة التشريعيّة هي جعل القانون والبعث، وإنشاء ما يصلح أن يكون داعياً أو زاجراً.

ومن الآيات بمعنى الإرادة التكوينيّة

١- "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ".

[سورة يس: ٨٢].

٢- "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْ ءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ".

[سورة النحل: ٤٠].

٣- "إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ".

[سورة هود: ١٠٧].

و بعد هذا فاعلم أنّ المراد من الإرادة في الآية "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ..."، هي الإرادة التكوينيّة؛ لأنّ الإرادة متى أُسندت إلى الباري تعالى كانت ظاهرة في التكوين؛ لعدم انفكاك إرادته سبحانه عن تحقّق إرادته من دون حالة انتظار، مضافاً إلى القرائن في الآية وغيرها الّتي تدلّ على أنّ المراد من الإرادة فيها هي الإرادة التكوينيّة.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: لفظ "إِنَّمَا" يجري مجرى ليس، فيكون تلخيص الكلام: ليس يريد اللَّه إلا إذهاب الرجس على هذا الحدّ عن أهل البيت.

[تفسير التبيان ٨:٣٠٨. وهناك توضيحات في القرائن الداخليّة والخارجيّة لآية التطهير، على أنّ الإرادة هي إرادة تكوينيّة، أعرضنا عنها لطولها، ومن أرادها فليراجع كتاب آية التطهير "١:١٠"].

دفع شبهة الجبر

فإن قيل: إنّ الإرادة التكوينيّة بطهارة أهل البيت تقتضي تحقّق امتثال الأوامر والنواهي منهم بلا اختيار، مع أنّهم مكلّفون بلا ريب.

قلنا: إنّ الجواب عن هذه الشبهة ونظائرها واضح؛ لأن الطهارة جاءت تارة بمعنى الطهارة الباطنيّة، وأُخرى بمعنى الطهارة الجوارحيّة، أمّا الطهارة الباطنيّة فهي خلوّ باطن الإنسان عن أي شكٍّ وغفلة عن مولاه، بحيث

يرى نفسه دائماً في حضور مولاه، ولا يُريد إلا ما أراد مولاه، والاجتناب عمّا لا يرضي مولاه، وهذه الطهارة حاصلة للأنبياء والأوصياء وأهل العصمة بعناية من اللّٰه.

وأمّا الطهارة الجوارحيّة، فهي جعل الإنسان حركاته وتمام شؤونه مطابقة لإرادات مولاه وتكاليفه، وكلّما زادت معرفته زادت طهارته.

ولا يخفى أنّ كلّ فرد من أفراد الإنسان معصومٌ بالنسبة إلى إدراكه؛ لحسن الأفعال وقبحها، فمن اجتنب الميتة لعلمه بضرر أكلها عدّ معصوماً من هذه الجهة، وإن لم يكن معصوماً بالنسبة إلى سائر الأفعال والتروك، ومن اجتنب الخمر والسرقة والكذب أيضاً لعلمه بمفاسد هذه الأُمور عدّ معصوماً عن اختيار بهذا المقدار، وليس جبراً، فمن ترك جميع المحرّمات لعلمه بمساوئها ومضارّها، وأتى بجميع الواجبات لعلمه برضى المولى فلا يعدّ مجبوراً، بل يكون فاعلاً لها عن اختيارٍ، فظهر أنّ الإنسان التارك للكلّ معصوم، كالإنسان التارك للبعض، وكلاهما معصوم عن اختيار، إلا أنّ عصمته في الأوّل حاصلة بالنسبة إلى كلّ القبائح دون الثاني، والثاني معصوم بالإضافة إلى بعض المعاصي.

والشاهد على عصمة نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله، وعليّ، وفاطمة، وذرّيّتهما أي الأئمة المعصومين الحسن و الحسين إلى المهدي عليهم السلام قوله تعالى: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ...' الآية، حيث شهد بطهارتهم، وكذا في آية المباهلة جعل عليّاً نفس النبيّ صلى الله عليه و آله، ويزيد عصمة الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام بما جاء في القرآن بقوله سبحانه: 'وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ'.

[سورة البقرة: ٨٨].

و قوله سبحانه أيضاً: 'أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنْهُ'.

[سورة المجادلة: ٢٢].

و الاخبار في ذلك كثيرة نذكر هنا ما رواه في "البحار": عن ابن عبّاس، قال: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله كان جالساً يوماً وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: "اللّهمّ إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي، وأكرم النّاس عليَّ، فأحبَّ مَن يُحبُّهم، وأبغض مَن يُبغضُهم، ووال مَن والاهم، وعاد مَن عاداهم، وأعِن من أعانهم، واجعلهُم مطهّرين من كلّ رجس، معصومين من كلّ ذنبٍ، وأيّدهم بروح القدس منك' - الحديث.

[البحار ٣٧: ٨٤].

في معنى الإذهاب في الآية

الإذهابُ على قسمين:

فمرّة يطلق ويراد منه إزالة الشي ء عن المحلّ بعد ثبوته، كما يقال: الماء يذهب القذارة والنجاسة. وتارةً يُطلق الإذهاب ويُراد منه دفع الشي ء عن المحلّ قبل عروضه، وإن كان ممكناً في حدّ ذاته لعروضه، كقوله: أذهب اللَّه عنك السوء والبلاء. والإذهابُ في الآية: 'لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ' بالمعنى الثاني، أي دفع الرجس عنهم قبل عروضه.

قال الشيخ المفيد "رحمة اللَّه عليه" في ذلك: إنّ الخبر عن إرادة اللَّه تعالى إذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام والتطهير لهم لا يفيد إرادة عزيمة أو ضميراً أو قصداً، على ما يظنّه جماعة ضلّوا عن السبيل في معنى إرادة اللَّه عزّ اسمه، وإنّما يفيد إيقاع الفعل الّذي يُذهِبُ الرجس، وهو العصمة في الدين، والتوفيق للطاعة الّتي يقرب بها العبد من ربّ العالمين، وليس يقتضي إذهاب الرجس وجودهُ من قبل، بل قد يذهب بما كان موجوداً، ويذهب بما لم يحصل له وجود للمنع منه. والإذهاب عبارة عن الصرف، وقد يصرف عن الإنسان ما لم يعتره كما يصرف عنه ما اعتراه. ألا ترى أنّه يقال في الدعاء: 'صرف اللَّه عنك السوء'، فيقصد إلى المسألة منه تعالى عصمته من السوء، دون أن يُراد بذلك الخبر من سوءٍ به، والمسألة في صرفه عنه، وإذا كان الإذهاب والصرف بمعنى واحد، فقد بطل ما توهّمه السائل فيه، وثبت أنّه قد يذهب بالرجس عمّن لم يعتره قطّ الرجس على معنى العصمة له منه، والتوفيق لما يبعده من حصوله به، فكان تقدير الآية حينئذٍ: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ...'، الّذي قد اعترى سواكم بعصمتكم منه، ويطهّركم أهل البيت من تعلّقه بكم على ما بيّناه.

[المسائل العكبرية للشيخ المفيد - المسألة الأُولى: ٢٦ و ٢٧].

في معنى "الرجس" في الآية

فقد يبحث عنه في اللغة و في التفسير و في القرآن و في الاحاديث.

اما الرّجس في اللغة

ففي "مجمع البحرين": الرِّجس - بالكسر -: القَذر، وقيل: العِقاب والغَضب، وقال بعضُ الأفاضلِ: الرِّجس وإن كان في اللغة بمعنى القذر، وهو أعمّ من النجاسة، إلا أنّ الشيخ قال في "التهذيب": إنّ الرجس هو النجس بلا خلاف، وظاهره أنّه لا خلاف بين علمائنا في أنّه في الآية بمعنى النجس، قوله تعالى: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ'، أي الأعمال القبيحة والمآثم، إلى آخره.

[مجمع البحرين ٤:٧٤].

وفي "نهاية ابن الأثير": والرجس: القذر، وقد يعبّر به عن الحرام، والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر.

[نهاية ابن الأثير ٢:٢٠٠، لسان العرب ١:١١٢٨، مادة "رجس"].

وفي "المفردات": الرجس: الشي ء القذر، والرجس يكون على أربعة أوجه: إمّا من حيث الطبع، وإمّا من جهة العقل، وإمّا من جهة الشرع، وإمّا من كلّ ذلك، كالميتة، فإنّ الميتة تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً، إلى آخره.

[مفردات الراغب: ١٨٨، مادة "رجس"].

اما الرجس في التفسير

ففي تفسير "مجمع البيان": عن ابن عبّاس: الرجس: عمل الشيطان، وما ليس للّٰه فيه رضى.

[تفسير مجمع البيان ٨:٣٥٦].

وفي تفسير "الكاشف": المراد بالرجس هنا الذنوب.

[تفسير الكاشف ٦:٢١٦].

وفي تفسير "الميزان": الرجس - بالكسر فالسكون -: صفة من الرجاسة والقذارة، والقذارة: هيئة في النفس توجب التجنّب والتنفّر منها، وتكون بحسب ظاهر الشي ء، كرجاسة الخنزير. قال اللّٰه تعالى: 'أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ'

[سورة الأنعام: ١٤٥].

وبحسب باطنه وهو الرجاسة والقذارة المعنوية، كالشرك والكفر، وأثر العمل السيّئ - إلى أن قال: - إذهابُ الرجس، واللام فيه للجنس: إزالة كلّ هيئة خبيثة في النفس تخطئ حقّ الاعتقاد والعمل، فتنطبق على العصمة الإلهيّة الّتي هي صورة علميّة نفسانيّة تحفظ الإنسان من باطل الاعتقاد وسيّئ العمل.

[تفسير الميزان ١٦:٣١٢].

اما الرجس في القرآن

فهو يستعمل في الأمر الخبيث، وما يجب الاجتناب عنه، كما هو ظاهر من آيات الذِّكر الحكيم، ومنها:

١- قوله تعالى: 'إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ'.

[سورة المائدة: ٩٠].

٢- 'إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ'.

[سورة الأنعام: ١٤٥].

٣- "فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ".

[سورة التوبة: ٩٥].

٤- "فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ".

[سورة الحجّ: ٣٠].

٥- "وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ".

[سورة التوبة: ١٢٥].

وغير ذلك من الآيات في هذا المجال، فاستعمل الرجس في الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير من الأدناس والقذارات الظاهريّة، وفي بعضها استعمل في الكفر والشرك والصفات الرذيلة الباطنيّة.

و امّا الرجس في الأحاديث

فقد جاء عن النبيّ صلى الله عليه و آله في خطبة له: "وهم الذين أذهب اللّٰه عنهم الرجس، وطهّرهم من النجس".

[توضيح الدلائل: ١٩٧، نقلاً من كتاب آية التطهير ١:١٩].

عن أبي هريرة، عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله - في حديث - قال: "فنحن أهل بيت أذهب اللّٰه عنّا الرجس، وطهّرنا تطهيراً من الدّنس".

[البحار ٣٦:٣١٥].

وعن ابن عباس: عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "وعاد من عاداهم، وأعِن من أعانهم، واجعلهم مطهّرين من كل رجس، معصومين من كلّ ذنب، وأيّدهم بروح القدس منك".

[البحار ٣٧:٨٤].

وقال عليّ عليه السلام في خطبة له: "أيّها النّاس، اعرفوا فضل من فضّل اللّٰه، واختاروا حيث اختار اللّٰه، واعلموا أنّ اللّٰه قد فضّلنا أهل البيت حيث يقول: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ" الآية، فقد طهّرنا اللّٰه من الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، ومن كلّ دنيّة، ومن كلّ رجاسة" إلى آخره.

[المسترشد: ٩٠، نقلاً عن آية التطهير ١:٣٠٦].

وعنه أيضاً: "نحن أهل بيت أذهب اللّٰه عنّا الفواحش، ما ظهر منها وما بطن".

[أرجح المطالب: ٣٢٦، نقلاً عن الإحقاق ٩:٤٧٩].

وعن فاطمة عليهاالسلام: "إنّ من أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً لا تجوز عليهم شهادة؛ لأنّهم معصومون من كلّ سوء، مطهّرون من كلّ فاحشة" - الحديث.

[كتاب سليم بن قيس: ١٠٠، نشر مؤسّسة البعثة].

وعن أبي بصير، عن جعفر بن محمّد الصادق عليهماالسلام - في حديث طويل - قال: "الرجس هو الشكّ، واللّه لا نشكّ في ربّنا أبداً".

[تفسير البرهان ٣:٣٠٩، في ذيل حديث طويل في أُصول الكافي ١:٢٨٤].

عن ابن عبّاس: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ" الآية، أُنزلت إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام، والرجس: الشكّ.

[تنزيل الآيات: ٢٤، نقلاً عن الإحقاق ١٤:٥٣].

وعنه: قال عمر: هيهات، أبت واللّهِ قلوبكم - يا بني هاشم - إلا حسداً ما يحول، وضغناً وغشاماً لا يزول، فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف قلوب قوم أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغشّ، فإنّ قلب رسول اللّه صلى الله عليه و آله من قلوب بني هاشم.

[الكامل لابن الأثير ٣:٣٠٤، الطبري ٤:٢٢٤، نقلاً عن آية التطهير ١:١١٤].

وعن عليّ بن موسى الرضا عليهماالسلام - في حديث طويل -: "الإمام المطهّر من الذنوب، والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم" إلى آخره.

[أُصول الكافي ١:٢٠٠، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، ح ١].

والأخبار في هذا المجال أكثر من أن تحصى، واكتفينا بهذا القليل منها روماً للاختصار.

نتيجة معاني "الرجس"

الرجس على ما يستفاد من القرآن والحديث واللغة والتفسير: هو القذارات الظاهريّة، والرذائل الخبيثة الباطنيّة، وعلى ما في آية التطهير أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام قد طهّروا من كلّ ما يصدق عليه عنوان الرجس من الدنس والرذيلة والنجس. ومن الشكّ والذنب والخطيئة، ومن الحسد والغشّ، ومن الأقذار والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهذا يعني حصول الطهارة بمعنى الكلمة، ولا تحصل هذه الطهارة وإذهاب الرجس إلا بتوفيق من اللّه وعناياته الخاصّة، وهذه حاصلة من اللّه تعالى للمعصومين عليهم السلام؛ رسول اللّه صلى الله عليه و آله و عليّ وفاطمة وذرّيّتهما الى قائمهم عليهم السلام خاصّة، ولا نصيب من هذه الطهارة لغيرهم عليهم السلام.

قال المفسّر الخبير الطبرسي: واستدلّ الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة عليهم السلام بأن قالوا: إنّ لفظة "إنّما" محقّقة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت، فإنّ قول القائل: إنّما لك عندي درهم، وإنّما في الدار زيد، يقتضي أنّه ليس له عنده سوى الدرهم، وليس في الدار سوى زيد.

وإذا تقرّر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة، أو الإرادة الّتي يتّبعها التطهير وإذهاب الرجس، ولا يجوز الوجه الأوّل؛ لأنّ اللّه تعالى قد أراد من كلّ مكلّف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت عليهم السلام دون سائر الخلق؛ ولأنّ هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شكّ، ولا شبهة، ولا مدح في الإرادة المجرّدة، فثبت الوجه الثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيّين بالآية من جميع القبائح.

قد علمنا أنّ من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته، فثبت أنّ الآية مختصّة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم.

[تفسير مجمع البيان ٨:٣٥٧].

وقال السيّد شرف الدين "قدّه": إنّ الآية دلّت على عصمة الخمسة عليه السلام؛ لأنّ الرجس فيها عبارة عن الذنوب، كما في الكشّاف وغيره، وقد تصدّرت بأداة الحصر، وهي "إنّما"، فأفادت إرادة اللّه تعالى في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها، وهذا كنه العصمة وحقيقتها.

[الفصول المهمّة للسيّد شرف الدين: ٢١٧].

في معنى "أهل البيت"

وفيه احتمالات:

الأوّل: أهل البيت العتيق ومكّة.

الثاني: أهل البيت المنسوب إلى بيت النبوّة، بحيث يكون شاملاً لأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء و... نساء النبيّ صلى الله عليه و آله.

الثالث: أن يكون "أهل البيت" كناية عن نساء النبيّ صلى الله عليه و آله.

الرابع: أن يكون "أهل البيت" إشارة إلى عدّة خاصّة، وهم المجتمعون تحت الكساء، فلا يشمل غيرهم.

الخامس: أن يكون المراد كلّ من كان على شاكلة النبيّ صلى الله عليه و آله، سواء كان من أفراد أُسرة النبيّ صلى الله عليه و آله نسباً أو لم يكن، وعلى هذا فمن لم يكن كذلك يخرج، ولو كان من أقرب الأقارب، كما قال اللّه تعالى: 'قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ'.

[سورة هود: ٤٦].

هذه هي الاحتمالات الممكنة ثبوتاً في هذه الآية الكريمة، أمّا في مقام الإثبات، فالمستفاد من الآيات والروايات هو الاحتمال الخامس من المعاني المحتملة، يعني مَن كان على شاكلة النبيّ صلى الله عليه و آله، كما يؤيّد هذا الاحتمال الآيات و الروايات. أمّا الآيات فقوله تعالى: 'فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ'.

[سورة الأعراف: ٨٣].

خطاباً للنبيّ لوط عليه السلام.

وقوله تعالى: 'وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ'

[سورة هود: ٤٥ و ٤٦].

والظاهر من الأهل في هاتين الآيتين - وغيرهما من الآيات المشتملة على لفظ الأهل - هو مَن كان على شاكلته.

ويؤيّد ذلك ما ورد في الحديث في تفسير الآية:

عن "العيون": باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة حديث طويل يقول فيه: 'أما علمتم أنّه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم'. قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ قال: 'قول الله عزّ وجلّ: 'وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ'

[سورة الحديد: ٢٦].

الآية، فصارت النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين، أما عَلِمتُم أنّ نوحاً حين سأل ربّه عزّ وجلّ فقال: 'رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ'؛ وذلك أنّ الله وعده أن ينجّيه وأهله، فقال له ربّه عزّ وجلّ: 'قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ' الآية.

[تفسير نور الثقلين: ج٤٥ و ٤٦].

وعن عمّار الدهني، عن عمرة بنت أفعى، قالت: سمعت أُمّ سلمة تقول:... إلى أن قالت لرسول الله صلى الله عليه و آله: قلت: ألستُ من أهل البيت؟ قال صلى الله عليه و آله: 'إنّك من أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله، وما قال: إنّك من أهل البيت.

[مستدرك الحاكم ٢:٤١٦ و ٣:١٤٦].

و أمّا الروايات: فمنها: ما دلّ على أنّ أهل البيت عِدل القرآن في أخبار الثقلين بقوله صلى الله عليه و آله: 'إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي' - الحديث.

[ذكرناه في فصل "عليّ وحديث الثقلين"].

ومنها: ما ورد من الأخبار في شأن آية المباهلة: 'فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ' الآية، فدعا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، ثمّ قال صلى الله عليه و آله: 'اللّهمّ هؤلاء أهلي'.

[صحيح مسلم ٤:١٨٧١، رقم ح ٢٤٠٤، سنن الترمذي ٥:٦٣٨، ح ٣٧٢٤].

وأفرد المحبّ الطبري باباً في "ذخائر العقبى" سمّاه باب في بيان أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين هم أهل البيت المشار إليهم في قوله تعالى: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'.

[ذخائر العقبى: ٢٤ - ٢١، مصابيح السنّة ٤:١٨٣، ح ٤٧٩٥].

وغير ذلك من الأخبار الّتي تدلّ - صراحةً أو كناية - على أنّ أهل البيت هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والمعصومون من ذرّيّتهم دون غيرهم.

عن ابن بابويه: بسنده عن موسى الهاشمي بسرّ من رأى، قال: حدّثني أبى، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ، عن عليّ عليهم السلام، قال: 'دخلت على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في بيت أُمّ سلمة وقد نزلت عليه هذه الآية: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ' الآية، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: يا عليّ، هذه الآية فيك، وفي سبطيّ، والأئمّة من ولدك. فقلت: يا رسول اللّٰه؟ كم الأئمّة بعدك؟ قال: أنت يا عليّ، ثمّ الحسن، والحسين، وبعد الحسين عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد عليّ ابنه، وبعد عليّ الحسن ابنه، والحجّة من ولد الحسن، هكذا أسماؤهم على ساق العرش، فسألت اللّٰه تعالى عن ذلك، فقال: يا محمّد، هذه الأئمّة بعدك مطهّرون، معصومون، وأعداؤهم ملعونون'.

[الإمامة والولاية في القرآن: ١٥٩].

وذهب بعض أهل السنّة إلى عدم اختصاص الآية بمن ذكرنا، بل قال بعضهم باختصاصها بغيرهم، وإنّ المراد زوجات النبيّ فقط، وهذا القول نسب إلى عكرمة، ومقاتل وعروة.

[تفسير الدرّ المنثور ٥:١٦٨].

وقال بعضهم: إنّ المراد من أهل البيت المجتمعون تحت الكساء مع النساء، وجميع ذلك مردود بما ذكرناه، وسيأتي في آخر الفصل إيراد حول انحصار الآية في الخمسة الطيّبين مع جوابه...

في معنى "التطهير" في الآية

قال الراغب: والطهارة ضربان: طهارة جسم، وطهارة نفس، وحُمل عليهما عامّة الآيات. يقال: طهّرته فطهُر وتطهّر واطّهّر، فهو طاهر ومتطهّر. قال تعالى: 'وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا'، أي استعملوا الماء، أو ما يقوم مقامه.

إلى أن قال: وعلى هذا: 'وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'، 'وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ'، 'ذَٰلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ' أطهر لقلوبكم، 'لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ'، أي إنّه لا يبلغ حقائق معرفته إلا من طهّر نفسه وتنقّى من درن الفساد، إلى آخره.

[مفردات الراغب: ٣٠٨، مادة "طهر"].

وقد ورد في الحديث: لمّا أجمع الحسن بن عليّ عليه السلام على صلح معاوية وخطب خطبة طويلة فقال فيها: 'معشر الخلائق، فاسمعوا ولكم أفئدة وأسماع فعوا، إنّا أهل بيتٍ أكرمنا اللّٰه بالإسلام، واختارنا واصطفانا واجتبانا، فأذهبَ عنّا الرجس، وطهّرنا تطهيراً، والرجس هو الشكّ، فلا نشكّ في اللّٰه الحقّ ودينه أبداً، وطهّرنا من كلّ أفن وغيّة' - الحديث. [البحار ١٠:١٣٩].

المستفاد من مجموع الآية الشريفة فضيلة أهل البيت وعصمتهم

بعد نقل الأخبار، وتوضيح معاني مفردات الآية يستفاد أنّ هذه الآية من كرائم الآيات الّتي تدلّ على أنّ عليّاً وفاطمة والحسنين عليهم السلام أفضل البشر، وخير البريّة من الأوّلين والآخرين، من الأنبياء والمرسلين، سوى خاتم النبيّين صلى الله عليه و آله، وتدلّ أيضاً على عصمتهم من جميع الذنوب والخطأ والسهو؛ إذ معنى الآية: يا أهل البيت، يا أصحاب الكساء، أنتم الذين أراد اللّٰه لكم فقط لا لغيركم أن يذهب عنكم الرجس ويطهّركم تطهيراً كاملاً شاملاً، ونذكر هنا بعض كلمات لعلماء الإماميّة "رضوان اللّٰه عليهم أجمعين":

١- قال العلامة الأميني في "الغدير" في توضيح المستفاد من الآية: إنّ سدّ الأبواب الشارعة في المسجد كان لتطهيره عن الأدناس الظاهريّة والمعنويّة، فلا يمرّ به أحدٌ جنباً، ولا يجنب فيه أحدٌ.

وأمّا ترك بابه صلى الله عليه و آله وباب أمير المؤمنين

[إشارة إلى حديث: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله سدّالأبواب إلاباب عليّ عليه السلام، وقد حرّرناه مفصّلاً في فصل سدّ الأبواب"].

عليه السلام، فلطهارتهما عن كلّ رجس ودنس بنصّ آية التطهير، حتّى إنّ الجنابة لا تحدث فيهما من الخبث المعنوي ما تحدث في غيرهما، كما يعطى ذلك التنظير بمسجد موسى الّذي سأل ربّه أن يطهّره لهارون وذرّيّته، أو أنّ ربّه أمره أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا هو وهارون، وليس المراد تطهيره من الأخباث فحسب، فإنّه حكم كلّ مسجد - إلى أن قال: - إنّ إبقاء ذلك الباب والإذن لأهله بما أذن اللّٰه لرسوله ممّا خصّ به، مبتنٍ على نزول آية التطهير النافية عنهم كلّ نوع من الرجاسة، ويشهد لذلك حديث مناشدته يوم الشورى، وفيه قال أمير المؤمنين عليه السلام: 'أفيكم أحد يطهّره كتاب اللّٰه غيري، حتّى سدّ النبيّ صلى الله عليه و آله أبواب المهاجرين جميعاً وفتح بابي إليه؟ حتّى قام إليه عمّاه حمزة والعبّاس، وقالا: يا رسول اللّٰه، سددت أبوابنا وفتحت باب عليّ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'ما أنا فتحت بابه ولا سددت أبوابكم، بل اللّٰه فتح بابه وسدّ أبوابكم'، فقالوا: لا. ثمّ قال الأميني "رضوان اللّٰه عليه": ولم يكن أبو بكر من أهل هذه الآية، حتّى أن يُفتح له بابٌ أو خوخةٌ، فالفضل مخصوص بمن طهّره الكتاب الكريم. [الغدير ٣:٢١١].

٢- وقال الإمام السيّد شرف الدين: فيا أهل البصائر برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، العارفين بمبلغه من الحكمة والعصمة، المقدّرين قدر أفعاله وأقواله، هل تجدون وجهاً لحصرهم تحت الكساء عند تبليغه الآية عن اللّٰه تعالى إلا المبالغة البليغة في توضيح ما قلناه من اختصاصها بهم وامتيازهم بها عن العالمين؟ وهل تفهمون من قوله: "اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً"، إلا الحصر بهم والقصر

عليهم؟ وهل ترون وجهاً لجذب الكساء من يد أُمّ سلمة ومنعها من الدخول معهم - على جلالة قدرها، وعظم شأنها - إلا الّذي ذكرنا؟

فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ 'إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ'

[سورة التكوير: ٢٢ - ١٩].

فيكون بحجبه إيّاهم في كسائه عابثاً؟ أو يكون بقوله: 'اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي' هاذياً؟! أو يكون بجذبه الكساء من أُمّ سلمة مجازفاً؟ حاشا اللّه: 'إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى'. [سورة النجم: ٤ و ٥].

وقد تكرّرت منه صلى الله عليه و آله قضيّة الكساء، حتّى احتمل بعض العلماء تكرار نزل الآية أيضاً، والصواب عندنا نزول الآية مرّة واحدة، لكن حكمة الصادق الأمين في نصحه ببلاغة المبين اقتضت تكرير القضيّة، مرّة في بيت أُمّ سلمة عند نزول الآية وتبليغها لأهل المخاطبين فيها، وأُخرى في بيت فاطمة، وفي كلّ مرّة يتلو عليهم الآية مخاطباً لهم بها، وهم في معزل عن النّاس تحت ذلك الكساء درءاً للشبهة في نحور أهل الزيغ، وقد بلغ - بأبي هو وأُمّي - في توضيح اختصاص الآية بهم كلّ مبلغ، وسلك في إعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب، ولا يبقى بعدها أثر لهذيان النواصب، حتّى كان بعد نزول الآية كلّما خرج إلى الفجر يمرّ ببيت فاطمة عليهاالسلام فيقول: 'الصلاة يا أهل البيت 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً". وقد استمرّ على هذا ستّة أشهر في رواية أنس، في "مسند أحمد بن حنبل ٣:٢٥٩"، وعن ابن عبّاس سبعة أشهر. وفي رواية ذكرها النبهاني وغيره ثمانية أشهر، فصرّح الحقّ عن محضه، وبدأ الصبح لذي عينين، انتهى كلامه رفع اللّه مقامه.

[الفصول المهمّة للسيّد شرف الدين: ٢٠٧].

وعنه أيضاً: أنّ الآية دلّت بالالتزام على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه ادّعى الخلافة لنفسه، وادّعاها له الحسنان وفاطمة، ولا يكونون كاذبين؛ لأنّ الكذب من الرجس الّذي أذهبه اللّه عنهم وطهّرهم منه تطهيراً.

[المصدر السابق: ٢١٧].

٣- وأنشد العلامة الشيخ يوسف النبهاني البيروتي قائلاً:

آل طاه يا آل خير نبيّ*** جدّكم خيرة وأنتم خيار

أذهب اللّه عنكم الرجس أهل البيت*** قدماً وأنتم الأخيار

لم يسل جدكم على الدين أجراً*** غير وُدِّ القربى ونعم الإجار

[الإحقاق ٢:٥٦٢].

٤- وقال آية اللّٰه السيّد شهاب الدين المرعشي في هامش الإحقاق في التتمّة: اعلم أنّ الآية صريحة في الدلالة على عصمة أهل البيت، توضيحه: أنّ الآية صريحة في تعلّق إرادته تعالى بتطهير أهل البيت، فيثبت تحقّقه لاستحالة تخلّف إرادته تعالى عن مراده؛ لكونها مرادة بالإرادة التكوينيّة لا محالة دون التشريعيّة، فإنّ الإرادة التشريعيّة لا تتعلّق إلا بفعل المكلّف، وهي مساوقة للأمر به، وقد تعلّق في الآية بفعل اللّٰه عزّ وجلّ، فقال: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...' الآية، مضافاً إلى أنّ إرادته تعالى بالإرادة التشريعيّة للطهارة لا تختصّ بأهل البيت، بل تعمّ جميع المكلّفين.

وبالجملة ما سمّوه في الاصطلاح بالإرادة التشريعيّة ليس إلا إرادة صدور الفعل عن العبد باختياره المستتبعة لمجرّد أمر المولى عبده بذلك الفعل، من غير أن يصدر من المولى ما يوقعه في الفعل ويلزمه عليه، بل العبد قد يختار عصيانه، وقد يختار طاعته باستقلال إرادته، من غير أن تتوجّه إليه قدرة تقوده إلى الفعل أو الترك.

ومن هنا يعلم أنّ الإرادة التشريعيّة ليست إرادة في الحقيقة، فإنّ الإرادة على ما عرّفوها: هي كيفيّة نفسانيّة مستتبعة لتحريك العضلات نحو الفعل، وإن كان يجب تجريدها بالنسبة إلى المبادئ العالية عن خصوصيّة كونها كيفيّة عارضة وتجريد فعله عن كونه بتحريك العضلات، فيكون ما يتحقّق من المولى عند التكليف مجرّد إرادة الأمر والإيجاب أو النهي والتحريم، ثمّ إنّ من البديهي أيضاً أنّه ليس المراد من الرجس في الآية الرجس البدني الظاهري، فالمراد منه: الرجس الباطني من الشرك والكفر ودنس الذنب ومعصية اللّٰه، وكلّ ما يعدّ رجساً.

فإن قلت: يحتمل أن يراد من التطهير أنّه تعالى غفر ذنوبهم.

قلت: إنّ المغفرة لا تطهّر الدنس الحادث في نفس العاصي، بل إنّما توجب رفع العقوبة عنه ضرورة أنّ مغفرة المعصية لا توجب إنقلابها عمّا وقعت عليها، ألا ترى أنّ مغفرة المظلوم لظلم من ظلمه لا يخرج فعله عن القبح، هذا مضافاً إلى أنّ حمل الآية عليها ينافي إطلاق الآية، فإنّ مغفرة الذنب لا تكون إلا بعد تحقّقه، فالمذنب عند صدور الذنب منه غير مطهّر لعدم إمكان مغفرة الذنب عند الارتكاب به، وإلا خرج عن كونه ذنباً ولم يصدق عليه عنوانه.

إلى أن قال: فالآية الكريمة دالّة على عصمتهم من الأرجاس بجميع أنواعها، بالتأكيدات من ذكر لفظة 'إِنَّمَا'، وإدخال اللام في الخبر 'لِيُذْهِبَ'، واختصاص الخطاب وتكرير المؤدّى، وإيراد المفعول المطلق بعده، وتنكيره

الدالّ على الاهتمام والتعظيم، وتقديم ما حقّه التأخّر، كتقديم 'عَنْكُمُ' على 'الرِّجْسَ'، فأنشدك - أيّها الأخ - أفبعد هذا يبقى لك ريب وشكّ في السند أو الدلالة أو الجهة؟ لا واللّه العليّ العظيم. [الإحقاق ٢:٥٦٢].

فيما أورد بعض المعاندين على الآية والجواب عنه

وممّا ورد عمّن اشتهر بالنصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام، كعكرمة مولى ابن عبّاس، ومقاتل بن سليمان، ومن يحذو حذوه "أخزاهم اللّه جميعاً" أنّ الآية نزلت في أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله، وحاصل قولهم: أمّا إجماع المفسّرين على أنّ الآية نزلت في عليّ عليه السلام فخلاف الواقع؟ ولم يجمعوا على ذلك، بل أكثر المفسّرين على أنّ الآية نزلت في شأن أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله، وهو المناسب لنظم القرآن؛ لقوله تعالى: 'يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً'.

[سورة الأحزاب: ٣٢ و ٣٣].

هذا نصّ القرآن يدلّ على أنّها نزلت في أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله؛ لأنّه مقرون بحكاياتهنّ والمخاطبة معهنّ، ولكن لمّا عدل عن صيغة خطاب المؤمنين إلى خطاب الذكور، فلا يبعد أن تكون نازلة في شأن كلّ أهل بيت النبيّ من الرجال والنساء، فشملت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين وأزواج النبيّ صلى الله عليه و آله.

وعلى هذا فليس الرجس هاهنا محمولاً على الطهارة من كلّ الذنوب، بل المراد من الرجس الشرك وكبائر الفواحش، كالزنا، كما يدلّ عليه سابق الآية، وهو قوله تعالى: 'فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ'.

ولو سلّمنا هذا، فلا نسلّم أنّ عليّاً عليه السلام ادّعى الإمامة لنفسه، ولو كان يدّعيها لما كان يدّعيها بالعجز والخفية لوجود القوّة والشجاعة والأعوان وكثرة القبائل والعشائر وشرف القوم، وغيرها من الفضائل.

ثمّ لو كان الرجس محمولاً على الذنب لما كانت عائشة مؤاخذة بذنبها في وقعة الجمل؛ لأنّ الآية نزلت فيها وفي أزواج النبيّ غيرها على قول أكثر المفسّرين، فلا يتمّ له الاستدلال بهذه الآية.

[الإحقاق ٢:٥٦٣].

هذا كلّ الإشكال على الاستدلال بالآية الشريفة على عصمة عليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام.

اما الجواب على الإيرادات

قال العلامة التستري في جوابه وجوه:

أوّلاً: فلما مرّ من أنّ مراد المصنّف من إجماع المفسّرين هاهنا، وفي أمثاله، اتّفاق المفسّرين من الشيعة والسنّة على ذلك، وأنّ هذا المعنى يتحقّق بموافقة بعض المفسّرين من أهل السنّة معهم، وأنّ ما ذهب إليه بعض من طائفة، ووافق فيه آخرون من خصومهم، حجّة على الكلّ.

وأيضاً قد قلنا سابقاً: إنّ مراد المصنّف دعوى إجماعهم على ذلك قبل ظهور المخالف، والمخالف حادث لا يعتدّ به، والّذي يدلّ على ذلك أنّ من المفسّرين من روى خلاف ذلك كانوا متأخّرين على الثعلبي وأحمد بن حنبل، ولهذا لم يذكر الناصب الرجس المارد من أكثر هؤلاء المفسّرين المخالفين الذين ادّعى وجودهم واحداً باسمه، بل قد كذّبه في ذلك مَن هو أعلم منه بالحديث والتفسير من مشايخ نحلته؛ إذ قال الشيخ ابن حجر في صواعقه: [الصواعق المحرقة: ١٤١].

إنّ أكثر المفسّرين على أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لتذكير ضمير 'عَنكُمُ'.

و ثانياً: فلأنّ ما ذكره من المناسبة إنّما تجب رعايتها إذا لم يمنع عنه مانع، ومن البيّن أنّ تذكير ضمير 'عَنكُمُ' و 'يُطَهِّرَكُمْ'، وبعض القرائن الخارجة الآتية مانع عن ذلك، فمن ذهب من المفسّرين إلى حمل الآية على خصوص الأزواج نظراً إلى تلك المناسبة قد جعل نفسه مورداً لقول الشاعر:

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء*** على أنّ في تغيير الأُسلوب في الآيات المتقاربة المسوقة لذكر أهل البيت والأزواج دقيقة، هي أنّ الأزواج في محلّ وأهل البيت في محلّ آخر عند اللّه.

و ثالثاً: فلأنّ قوله: هذا نصّ القرآن يدلّ... إلى آخر كلامه، إن أشار فيه بقوله: 'هذا' إلى الآيات الّتي ذكرها الناصب، وهي السابقة على آية التطهير الّتي ذكرها المصنّف، فمسلّم أنّها تدلّ على إرادة الأزواج، لكن لا يجديه نفعاً، وإن أشار به إلى ما يعمّها وآية والتطهير، فكون خصوص آية التطهير أيضاً دالّة على ذلك، ظاهر البطلان، بل هو نصّ في خلاف ذلك لما عرفت وستعرفه.

وأمّا استدلاله على ما فهمه من الدلالة بقوله: 'لأنّه مذكور في قَرْن حكاياتهنّ...' إلى آخره.

ففيه: أنّ كون الآية الأُولى في أزواجه صلى الله عليه و آله لا يمنع عن كون ما هو في قرنها متّصلاً بها [كذا في المصدر، والسياق: 'بما'].

بعدها في غيرهنّ، سيّما إذا قام الدليل على ذلك، وهو تذكير ضمير 'عَنكُمُ' و 'وَيُطَهِّرَكُمْ'، وما روي من أنّه لمّا نزلت هذه الآية جمع رسول اللّه صلى الله عليه و آله عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وجلّلهم بكساء فدكي، فقال: 'هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً'.

[قد مرّت الأحاديث في هذا الباب، فلا نعيدها رعاية للاختصار].

وأيضاً أهل بيت الرجل في العرف هم قرابته من عترته، لا أزواجه بدليل سبق الفهم إلى ذلك، وهو السابق إلى فهم كلّ عصر، فما أحد يذكر أهل بيت النبيّ صلى الله عليه و آله في شعر أو غيره، إلا وهو يريد من ذكرناه، لا أزواجة.

ثمّ أقول: إنّ مناقشة الجمهور في هذا المقام إنّما نشأت من حملهم البيت في الآية والحديث على البيت المبني من الطين والخشب المشتمل على الحجرات الّتي كان يسكنها النبيّ صلى الله عليه و آله مع أهل بيته وأزواجه؛ إذ لو أُريد بالبيت ذلك لاحتمل ما فهموه، ولكنّ الظاهر أنّ المراد بأهل البيت على طبق قولهم: أهل اللّه وأهل القرآن وأهل بيت النبوّة، ولا ريب أنّ هذا منوط بحصول كمال الأهليّة والاستعداد المستعقب للتنصيص والتعيين من اللّه ورسوله على المتّصف به، كما وقع في الآية والحديث، ولهذا احتاجت أُمّ سلمة إلى السؤال عن أهليّتها للدخول فيهم كما مرّ في الأخبار.

و رابعاً: فلأنّ قول الناصب المعاند: وعلى هذا، فليس الرجس هاهنا محمولاً على الطهارة من كلّ الذنب... إلى آخره، مردود بأنّ الرجس لا يحمل على الطهارة لظهور بطلان ذلك، وإنّما تحمل الطهارة على الطهارة عن الرجس، وأيضاً الّذي حمل الطهارة على الطهارة من كلّ الذنوب، إنّما حملها عليها على تقدير أن يكون المراد من أهل البيت المذكور في الآية، الخمسة من آل العباء، لا على تقدير أن يراد منها الأزواج، فنفي كون الطهارة محمولاً على الطهارة عن كلّ الذنوب على التقدير الثاني ظاهر لا حاجة إلى ذكره.

وأمّا ما ذكره من أنّا لا نسلّم أنّ عليّاً ادّعى الإمامة لنفسه، فقد ظهر بطلانه من مطاوي فصولنا في هذا الكتاب، حيث مرّت مناشدته في يوم الشورى، وعلى المنابر المتعدّدة، واحتجاجاته في مواطن كثيرة.

و خامساً: فلأنّ ما ذكره بقوله: "ثمّ لو كان الرجس محمولاً على الذنب لما كانت عائشة مأخوذة بذنبها في وقعة الجمل... الكلام"، ففيه مؤاخذة ظاهرة؛ لأنّ دخول عائشة في الآية فرض محال، وعلى فرض أنّها مذنبة كيف يمكن دخولها في الآية؟

فتلخّص ممّا ذكرنا أنّ الآية نزلت في عصمة أهل الكساء، وهم الخمسة الطيّبين، النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لا غيرهم.

فأرجو من اخواني المتديّنين بمذاهب السنّة أن ينبذوا اتّباع سلفهم، ويمعنوا النظر فيما تلونا عليهم، وربّي الواقف على الضمائر، والمطّلع على السرائر، يعلم أنّي مخلص لهم في هذه النصيحة ليس في ضميري مرض، ولا لي سوى الإرشاد غرض، هذا سبيل ربّي، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، إنّا هديناه السبيل، إمّا شاكراً وإمّا كفوراً:

على اللّه في كلّ الأُمور توكّلي*** وبالخمس أصحاب الكساء توسّلي

محمّد المبعوث وابنيه بعده*** وفاطمة الزهراء والمرتضى عليّ

[راجع: إحقاق الحقّ بتحقيق آية العظمى النجفي المرعشي "قدّه" ٢:٥٦٥، ولقد أجاد السيّد شرف الدين "قدّه" في الفصول المهمّة: ٢١٤ ـ ٢٠٩ في ردّ الإشكال، فراجعه فإنّه لا يخلو من فائدة].

اللّهمّ أحينا حياتهم، وأمتنا مماتهم، واحشرنا في زمرتهم، ولا تفرّق بيننا وبينهم طرفة عين أبداً. آمين يا ربّ العالمين

عليّ و آية المباهلة

قال تعالى: 'إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ'. سورة آل عمران: ٦١ ـ ٥٩

ذكر وفد نجران على النبيّ و واقعة المباهلة

من حوادث سنة عشر من الهجرة قدوم وفد نجران

[نجران: بلدة كبيرة على سبع مراحل من مكّة إلى جهة اليمين، وتشتمل على ثلاث وسبعين قرية، وكان أهلها نصارى].

على النبيّ صلى الله عليه و آله بالمدينة، وكانوا ثلاثين، وقيل ستّين راكباً، ومنهم السيّد والعاقب وعبد المسيح "ورأسهم أبو حارثة أُسقف نجران"، وجاءوه يجادلونه في شأن عيسى بن مريم عليه السلام، ودخلوا المسجد النبوي وعليهم ثياب الحبرة، وأردية الحرير، متختّمين بخواتيم الذهب، ومعهم هدية لرسول اللّه صلى الله عليه و آله، وهي بسط فيها تماثيل ومسوح، فصار الناس ينظرون للتماثيل. فقال صلى الله عليه و آله: "أمّا هذه البسط فلا حاجة لي فيها، وأمّا هذه المسوح فإن تعطونيها آخذها"، فقالوا: نعطيكها.

ولمّا رأى فقراء المسلمين ما عليه هؤلاء من الزينة والزيّ الحسن تشوّقت نفوسهم إلى الدنيا، فأنزل اللّه تعالى: 'قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَ لِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ'. [سورة آل عمران: ١٥].

وأمّا وفد نجران فإنّهم أرادوا أن يصلّوا بالمسجد بعد أن حان وقت صلاتهم وذلك بعد صلاة العصر، فأراد النّاس منعهم لما فيه من إظهار دينهم الباطل، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'دعوهم'؛ تألفاً لهم، ورجاءً لإسلامهم، ولدخولهم بالأمان، فأقرّهم على كفرهم سياسة، وليس فيه إقرار على الباطل، بل جعل ذلك وسيلة لدخولهم في الحقّ، فاستقبلوا المشرق فصلّوا صلاتهم، فعرض عليهم صلى الله عليه و آله الإسلام وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا، وقالوا: قد كُنّا مسلمين قبلك! فقال صلى الله عليه و آله: 'كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أنّ للّٰهِ ولداً'.

[لأنّ بعضهم يقول: المسيح هو ابن اللّٰه، وأنّه لا أب له، وقال آخر: المسيح هو اللّٰه؛ لأنّه أحيا الموتى، وأخبر عن الغيوب، وأبرأ من الادواء كلّها و..].

فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا، وتزعم أنّه عبد؟ فقال صلى الله عليه و آله: 'أجل، هو عبد اللّٰه، وكلمته ألقاها إلى مريم'، فغضبوا وقالوا: فهل رأيتَ مثل عيسى أو أُنبئت به؟ فسكت صلى الله عليه و آله، ثمّ خرجوا من عنده، فنزل جبرئيل وقال له: قل لهم: 'لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ'

[سورة المائدة: ١٧].

وقوله تعالى: 'إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ'.

[سورة آل عمران: ٦١ - ٥٩].

فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لهم: 'إنّ اللّٰه أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أن أُباهلكم'.

[أُباهلكم: أي ندعو ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذبين].

فقالوا له: يا أبا القاسم، نرجع فننظر في أمرنا، ثمّ نأتيك، فتشاوروا في أمرهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه.

وفي لفظ: أنّهم واعدوه على الغد، فلمّا أصبح صلى الله عليه و آله أقبل ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعليّ عليهم السلام، وقال: 'اللّهمّ هؤلاء أهلي'، وعند ذلك قال لهم الأُسقف: إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا اللّٰه تعالى أن يزيل لهم جبلاً لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ، فقالوا: لا نباهلك.

ويروى عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: 'أما والّذي نفسي بيده، لقد تدلّى العذاب على أهل نجران، ولو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير، ولأُضرم الوادي عليهم ناراً، ولاستأصل اللّٰه نجران وأهله حتّى الطير على الشجر، ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا'.

[راجع: السيرة الحلبيّة ٣:٤١١، وبهامشه السيرة النبويّة ٤:٤].

و قال ابن الأثير: وأمّا نصارى نجران فإنّهم أرسلوا العاقب والسيّد في نفر إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأرادوا مباهلته، فخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فلمّا رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على اللَّه أن يزيل الجبال لأزالها، ولم يباهلوا وصالحوه على ألفي حُلّة، ثمن كلّ حلّة أربعون درهماً، وعلى أن يضيفوا رسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وجعل لهم ذمّة اللَّه تعالى وعهده ألا يفتنوا عن دينهم، ولا يعشروا، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به، وكانوا باقون إلى عهد عمر بن الخطّاب، فإنّ عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران، فخرج بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى نجرانيّة الكوفة، واشترى منهم عقارهم وأموالهم.

[الكامل في التاريخ ٢:٢٩٤].

و للزمخشري - بعد نقل قصّة وفد نجران ودعوتهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى المباهلة وامتناعهم - قال: فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه، وذلك أمرٌ يختصّ به وبمن يكاذبه. فما معنى ضمّ الأبناء والنساء؟

قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته، وأفلاذ كبده، وأحبّ النّاس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك الاستئصال إن تمّت المباهلة، وخصّ الأبناء والنساء؛ لأنّهم أعزّ الأهل وألصقهم بالقلوب.

[تفسير الكشّاف ١:٤٣٤].

توضيح ذلك:

قال المفيد: ولمّا انتشر الإسلام بعد فتح مكّة وما يليه من الغزوات المذكورة وقوي سلطانه، وفد إلى النبيّ صلى الله عليه و آله الوفود، فمنهم من أسلم، ومنهم من استأمن؛ ليعود إلى قومه برأيه صلى الله عليه و آله فيهم، وكان ممّن وفد عليه أبو حارثة أُسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى منهم: العاقب، والسيّد، وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصُّلب، فصار إليهم اليهود وتساءلوا بينهم، فقالت النصارى لهم: لستم على شي ء، وقالت لهم اليهود: لستم على شي ء، وفى ذلك أنزل اللَّه سبحانه: 'وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْ ءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْ ءٍ'

[سورة البقرة: ١١٣].

الآية. فلمّا صلّى النبيّ صلى الله عليه و آله العصر، توجّهوا إليه يقدمهم الأُسقف فقال له: يا محمّد، ما تقول في السيّد المسيح؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'عبد اللّٰه، اصطفاه وانتجبه'، فقال له الأُسقف: أتعرف - يا محمّد - له أباً ولده؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'لم يكن عن نكاح فيكون له والد'. قال: فكيف قلت إنّه عبد مخلوق، وأنت لم ترَ عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد؟ فأنزل اللّٰه سبحانه وتعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله: 'إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ'.

[سورة آل عمران: ٦١ - ٥٩].

فتلاها النبيّ صلى الله عليه و آله على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة، وقال: 'اللّٰه عزّ وجلّ أخبرني أنّ العذاب ينزل على المبطل عقب المباهلة ويبيّن الحقّ من الباطل بذلك'.

فاجتمع الأُسقف مع عبد المسيح والعاقب على المشورة، واتّفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غدٍ من يومهم ذلك، فلمّا رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأُسقف: انظروا محمّداً في غدٍ، فإن جاء بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن جاء بأصحابه فباهلوه، فإنّه على غير شي ء.

فلمّا كان من الغد جاء النبيّ صلى الله عليه و آله آخذاً بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهماالسلام يمشيان بين يديه، وفاطمة عليهاالسلام تمشي خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أُسقفهم، فلمّا رأى الأُسقف النبيّ صلى الله عليه و آله قد أقبل بمن معه سأل عنهم، فقيل له: هذا ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو صهره وأبو ولديه، وأحبُّ الخلق إليه، وهذان الطفلان ولدا بنته من عليّ عليه السلام، وهما من أحبّ الخلق إليه، وهذه الجارية بنته فاطمة عليهاالسلام أعزّ النّاس عليه، وأقربهم إلى قلبه.

فنظر الأُسقف إلى العاقب والسيّد وعبد المسيح، وقال لهم: انظروا إليه قد جاء بخاصّته من ولده ليباهل بهم واثقاً بحقّه، واللّٰه! ما جاء بهم وهو يتخوّف الحجّة عليه، فاحذروا مباهلته، واللّٰه! لولا مكان قيصر لأسلمتُ له، ولكن صالحوه على ما يتّفق بينكم وبينه، وارجعوا إلى بلادكم، وارتؤوا لأنفسكم. فقالوا له: رأينا لرأيك تبع. فقال الأُسقف: يا أبا القاسم صلى الله عليه و آله، إنّا لا نُباهلك، ولكنّا نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به.

فصالحهم النبيّ صلى الله عليه و آله على ألفي حلّة من حلل الأواقي، قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً جياداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبيّ صلى الله عليه و آله كتاباً على ما صالحهم عليه، وكان الكتاب.

'بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمّدٍ النبيّ رسول اللَّه لنجران وحاشيتها في كلّ صفراء وبيضاء وثمرة ورقيق، لا يؤخذ منهم شي ء غير ألفي حلّة من حُلل الأواقي، ثمنُ كلِّ حلّةٍ أربعون درهماً، فما زاد أو نقص فبحساب ذلك، يؤدّون ألفاً منها في صفر، وألفاً منها في رجب، وعليهم أربعون ديناراً مثواة رسولي فما فوق ذلك، وعليهم في كلِّ حدث يكون باليمن من كلّ ذي عدن عارية مضمونة ثلاثون درعاً، وثلاثون فرساً، وثلاثون جملاً عارية مضمونة، لهم بذلك جوار اللَّه، وذمّة محمّد بن عبداللَّه، فمن أكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمّتي منه بريئة'، وأخذ القوم الكتاب وانصرفوا.

[إرشاد المفيد ١٦٩ - ١٦٦: ١، وفي كشف الغمّة - باب المناقب ١:٣١٣، مع تفاوت يسير في بعض ألفاظه].

في معنى ألفاظ الآية وتوضيحها

المحاجّة: هي تبادل الحجّة، وهي ما يقصد به إثبات المدّعى، سواء كان دليلاً حقّاً أو مغالطة باطلة.

في "المفردات": والمحاجّة: أن يطلب كلّ واحد أن يردّ الآخر عن حجّته ومحجّته.

[مفردات الراغب: ١٠٨].

وأمّا الابتهال: البهل والابتهال في الدعاء: الاسترسال فيه والتضرّع، نحو قوله: 'ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ'، ومن فسّر الابتهال باللعن، فلأجل أنّ الاسترسال في هذا المكان لأجل اللعن. قال الشاعر:

نظر الدهر إليهم فابتهل*** أي استرسل فيهم، فأفناهم

[مفردات الراغب: ٦٣].

وفي "النهاية" ما ملخّصه: البهل: التضرّع والمبالغة في السؤال، وفي حديث الدعاء: 'والابتهال أن تمدّ يديك جميعاً'، ويأتي بمعنى اللعن، والمباهلة: الملاعنة، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شي ء فيقولوا: لعنة اللَّه على الظالم منّا.

[نهاية ابن الأثير ١:١٦٧، مادة "بهل"].

وفي "تفسير الكشّاف": 'ثُمَّ نَبْتَهِلْ' ثمّ نتباهل، بأن نقول: بهلة اللَّه على الكاذب منّا ومنكم، والبهلة - بالفتح والضمّ -: اللعنة، وبهله اللَّه: لعنه وأبعده من رحمته، من قولك: أبهله إذا أهمله.

[تفسير الكشّاف ١: ٤٣٤].

ويسبق هذه الآية قوله تعالى: 'إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ...'، وهو احتجاج على النصارى الذين جعلوا ولادة المسيح عليه السلام من غير أب دليلاً على كونه ابن اللَّه!! فردّ اللَّه عليهم بأنّ مثله كمثل آدم عليه السلام؛ إذ خلقه من غير أب وأمّ، ولم يكن هذا دليلاً على بنوّته للَّه تعالى أو ألوهيّته، وكذلك الأمر في عيسى بن مريم عليه السلام.

وهذه الحجّة مع قطع النظر عن كونها وحياً إلهيّاً هي حجّة عقليّة لا تقبل المعارضة، إلا أنّ النصارى كانوا يجادلون ويبالغون في الجدال، ويصرّون على الضلال، فلم يكن ثمّة سبيل إلا بارجاع الأمر إلى اللَّه تعالى حتّى يحكم بالحقّ وهو خير الحاكمين.

ومن هنا فقد أمر اللَّه نبيّه صلى الله عليه و آله أن يعرض عليهم موضوع الابتهال إلى اللَّه حتّى يجعل لعنة اللَّه على الكاذبين، ويبيّن صدق الصادقين. وقد كان هذا التحدّي الحسّي الكبير يشكل حدّاً ومنعطفاً تاريخيّاً كبيراً للدعوة الإسلاميّة وموقفها من أعدائها...؛ لأنّه الدليل الحاسم الّذي لا يمكن تكذيبه.

ولكي يبدو بوضوح اطمئنان صاحب الدعوة المباهل بدعوته وصدقه، طلبت الآية أن يحضر كلّ من المتباهلين خاصّته من أهله وولده، ليبدو الحقّ جليّاً، وينكشف صدق النوايا، في حين يكون الإحجام عن ذلك دليل التزلزل والارتياب؛ إذ قد يحسم الأمر قبل الوصول إلى اللحظة الأخيرة، حيث يرى الخصم اطمئنان صاحب الدعوة بدعوته، وتعريض نفسه وأحبّائه لمثل هذا الأمر الخطير، فيكشف له أنّه على الحقّ، وقد يستسلم له ويرتدع عن ضلاله.

وقد عبّرت الآية بتعبير موجز عن هذه الدعوة، فقالت: 'تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ' الآية، بمعنى تعالوا كي ندعو نحن وأنتم خاصّتنا وأهلينا للمشاركة في الابتهال، ولعلّه لبيان شدّة الاطمئنان قدّمت الآية ذكر الأبناء، ثمّ ذكرت النساء، ثمّ ذكرت الخاصّة، باعتبار أنّ عناية الإنسان بحفظ ولده الصغير والغيرة على نسائه أشدّ منها بالنسبة لسائر خاصّته.

هذا وقد اتّفقت الروايات، وأجمع المفسّرون، وكذلك المؤرّخون، على أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله دعا وفد النصارى إلى المباهلة، وحضر بنفسه وأهل بيته عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، إلا أنّ النصارى أحجموا عن المباهلة عندما شاهدوا هؤلاء الصفوة، واقترحوا أن يعطوا الجزية، فقبل النبيّ صلى الله عليه و آله الجزية منهم.

[انظر: الولاية في القرآن: ١٣١].

وممّا لا ريب فيه أنّ نزول الآية الشريفة في حقّ أصحاب الكساء والخمسة النجباء الأطهار عليهم السلام، على درجة من الوضوح والاشتهار، بحيث كاد أن يعدّ من الضروريات الأوّليّة، فكم من مفسّر ومحدّث ومؤرّخ وفقيه، ذكروه في أسفارهم وكتبهم، وأرسلوه إرسال المسلّمات، بل ذهب جلّ أهل القبلة على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته فاطمة الزهراء عليهاالسلام، ومن الأبناء سوى سبطيه الحسن والحسين عليهماالسلام، ومن الأنفس إلا أخاه الّذي كان منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام، فهؤلاء أصحاب هذه الآية.

وبعبارة أُخرى: أجمع المفسّرون على أنّ "أَبْنَاءَنَا" إشارة إلى الحسن والحسين عليهماالسلام، "وَنِسَاءَنَا" إشارة إلى فاطمة عليهاالسلام، "وَأَنفُسَنَا" إشارة إلى عليّ عليه السلام، فجعل اللّه تعالى علياً عليه السلام نفس محمّد صلى الله عليه و آله، والمراد: المساواة، والمساوي للأكمل والأولى بالتصرّف يساويه في ذلك.

دلالة الآية على أفضلية أهل البيت على غيرهم

الآية تأمر بدعوة الأبناء والنساء والأنفس بصيغ الجمع، وامتثال هذا الأمر يقتضي إحضار ثلاثة نفر على الأقلّ من كلّ جنس تحقيقاً لمعنى الجمع، لكنّ الّذي أتى به النبيّ صلى الله عليه و آله في مقام امتثال هذا الأمر على ما تشهد به الأخبار الصحاح والتاريخ لم يكن كذلك، وليس لفعله صلى الله عليه و آله وجه إلا انحصار المصداق فيما أتى به، فالآية بالنظر إلى كيفيّة امتثالها بما فعل النبيّ صلى الله عليه و آله تدلّ على أنّ هؤلاء هم الذين كانوا صالحين للاشتراك معه في المباهلة، وأنّهم أحبّ الخلق إليه، وأعزّهم عليه، وأخصّ خاصّته لديه، وكفى بذلك فخراً وفضلاً.

ويؤكّد دلالتها على ذلك أنّه صلى الله عليه و آله كان له عدّة نساء، ولم يأت بواحدة منهنّ سوى بنت له، فعَلَام يحمل ذلك إلا على شدّة اختصاصها وحبّه لها؛ لأجل قربها إلى اللّه وكرامتها عليه؟

كما أنّ انطباق عنوان "النفس" على أمير المؤمنين عليه السلام لا غير، يدلّ على أعظم فضيلة، و أكرم مزيّة له عليه السلام، حيث نزل منزلة نفس النبيّ صلى الله عليه و آله.

[انظر الولاية في القرآن: ١٣٤].

و قال العلامة القاضي السيّد نور اللّه الحسيني المرعشي التستري: و هذه الآية من أدلّ دليل على علوّ مرتبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه تعالى حكم بالمساواة لنفس رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وأنّه عيّنه في استعانة النبيّ صلى الله عليه و آله في الدعاء، وأيّ فضيلة أعظم من أن يأمر اللّه تعالى نبيّه بأن يستعين به على الدعاء إليه، والتوسّل به، ولمن حصلت هذه المرتبة؟

[إحقاق الحقّ ٣:٦٢].

و الطبرسي في تفسيره ذيل الآية: 'إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ' الآية، - بعد نقل قصّة أهل نجران - قال ما ملخّصه: أجمع المفسّرون على أنّ المراد ب 'أَبْنَاءَنَا' الحسن والحسين عليهماالسلام، واتّفقوا على أنّ المراد ب 'نِسَاءَنا' فاطمة عليهاالسلام؛ لأنّه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء، وهذا يدلّ على تفضيل الزهراء عليهاالسلام على جميع النساء، و 'أَنفُسَنَا' يعني عليّاً عليه السلام خاصّة، ولا يجوز أن يكون المعنيّ به النبيّ صلى الله عليه و آله؛ لأنّه هو الداعي، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنّما يصحّ أن يدعو غيره. وإذا كان قوله: 'وَأَنفُسَنَا' لا بدّ أن يكون إشارة إلى غير الرسول صلى الله عليه و آله وجب أن يكون إشارة إلى عليّ عليه السلام؛ لأنّه لا أحد يدّعي دخول غير أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وزوجته وولديه في المباهلة.

وهذا يدلّ على غاية الفضل، وعلوّ الدرجة، والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد؛ إذ جعله اللّٰه نفس الرسول، وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه، ولذا ورد في الحديث أنّه صلى الله عليه و آله قال لبريدة الأسلمي: 'يا بريدة، لا تبغض عليّاً، فإنّه منّي وأنا منه، إنّ النّاس خُلقوا من شجر شتّى، وخُلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة'.

[مجمع البيان ٢:٤٥٢].

و عن المفيد بعد نقل قصّة أهل نجران و في فضل أمير المؤمنين عليه السلام مع ما فيه من الآية للنبيّ صلى الله عليه و آله، والمعجز الدالّ بنبوّته، قال: ألا ترى إلى اعتراف النصارى له بالنبوّة، وقطعه عليه السلام على امتناعهم من المباهلة، وعلمهم بأنّهم لو باهلوه لحلّ بهم العذاب، وثقته صلى الله عليه و آله بالظفر بهم، والفلج بالحجّة عليهم، وأنّ اللّٰه تعالى حكم في آية المباهلة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنّه نفس رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل، ومساواته للنبيّ في الكمال والعصمة من الآثام.

وأنّ اللّٰه تعالى جعله وزوجته وولديه مع تقارب سنّهما حجّة لنبيّه صلى الله عليه و آله، وبرهاناً على دينه، ونصّ على الحكم بأنّ الحسن والحسين عليهماالسلام أبناؤه، وأنّ فاطمة عليهاالسلام نساؤه المتوجّه إليهنّ الذِّكر والخطاب في الدعاء إلى المباهلة والاحتجاج.

وهذا فضلٌ لم يشركهم فيه أحد من الأُمّة، ولا قاربهم فيه، ولا ماثلهم في معناه، وهو لاحق بما تقدّم من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام الخاصّة له على ما ذكرناه.

[الإرشاد ١٦٩: ١].

ونذكر هنا ما استفاد الإمام السيّد شرف الدين من الآية الشريفة في فضل أهل الكساء، حيث قال: فباهل النبيّ صلى الله عليه و آله بأهل الكساء خصومه من أهل نجران، فبهلهم، وأُمّهات المؤمنين كنّ حينئذٍ في حجراته، ولم يدع واحدة منهنّ، وهنّ بمرأى منه ومسمع، ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والأنصار.

كما أنّه لم يدع مع سيّدي شباب أهل الجنّة أحداً من أبناء الهاشميّين على أنّهم كانوا، ولا دعا أحداً من أبناء الصحابة على كثرتهم ووفور فضلهم.

وكذلك لم يدع من الأنفس مع عليّ عليه السلام عمّه، وصنو أبيه، العبّاس بن عبدالمطّلب، وهو شيخ الهاشميّين، وأعظم النّاس عند رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، بل لم يدع أحداً من كافّة عشيرته الأقربين، ولا واحداً من السابقين الأوّلين، وكانوا بمرأى من المباهلة ومسمع، بل لم ينتدب واحداً منهم مع مَن انتدبهم إليها، وإنّما خرج صلى الله عليه و آله، كما نصّ عليه الرازي في تفسيره الكبير: وعليه مرط من شعر أسود وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفهما، وهو يقول: "إذا أنا دعوت فأمّنوا"، فقال أُسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا اللّٰه أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

[قال الرازي - بعد هذا في تفسيره الكبير ٨:٨٠ -: واعلم أنّ هذه الرواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث].

ثمّ قال السيّد شرف الدين: وهذا ليس إلا للجلالة الربّانيّة، والعظمة الروحانيّة الّتي أدركها خصمهم من أوّل نظرة إلى وجوههم المباركة، فكأنّ الجلالة والعظمة والمهابة والأُبّهة وقرب المنزلة من اللّٰه، والكرامة عليه مكتوبة بنوره تعالى في أسارير جباههم الميمونة، ومعنونة في صفحات وجناتهم الكريمة، وإنّي لأعجب واللّٰه من المسلم لا يقدّر هذا المقام قدره.

وأنت تعلم أنّ مباهلته صلى الله عليه و آله بهم، والتماسه منهم التأمين على دعائه بمجرّده فضل عظيم، وانتخابه إيّاهم لهذه المهمّة العظيمة، واختصاصهم بهذا الشأن الكبير، وإيثارهم فيه على مَن سواهم من أهل السوابق فضل على فضل لم يسبقهم إليه سابق، ولن يلحقهم فيه لاحق.

وهناك نكتةٌ يعرف كنهها علماء البلاغة، ويقدّر قدرها العارفون بأسرار القرآن، وهي أنّ الآية ظاهرة في عموم الأبناء والنساء والأنفس، كما يشهد به علماء البيان، وإنّما أُطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص تبياناً لكونهم ممثّلي الإسلام، وإعلاناً لكونهم أكمل الأنام، وآذاناً بكونهم صفوة العالم، وبرهاناً على أنّهم خيرة

الخيرة من بني آدم، وتنبيهاً إلى أنّ فيهم من الروحانيّة الإسلاميّة، والإخلاص للّٰه في العبودية ما ليس في جميع البريّة، وأنّ دعوتهم إلى المباهلة بحكم دعوة الجميع وحضورهم خاصّة فيها منزّل منزلة حضور الأُمّة، وتأمينهم على دعائه مغنٍ عن تأمين من عداهم، وبهذا جاز التجوّز بإطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص. ومن غاص في أسرار الكتاب الحكيم، ووقف على أغراضه يعلم أنّ إطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص إنّما هو على حدّ قول القائل:

ليس على اللّٰه بمستنكر*** أن يجمع العالم في واحد

بقيت نكتةٌ يجب التنبّه لها، وحاصلها: أنّ اختصاص الزهراء عليهاالسلام من النساء والمرتضى عليه السلام من الأنفس - مع عدم الاكتفاء بأحد السبطين عليهماالسلام من الأبناء - دليل على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام؛ لأنّ عليّاً وفاطمة عليهماالسلام لمّا لم يكن لهما نظير في الأنفس والنساء كان وجودهما مغنياً عن وجود من سواهما، بخلاف كلّ من السبطين، فإنّ وجود أحدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافئهما؛ ولذا دعاهما صلى الله عليه و آله جميعاً، ولو دعا أحدهما دون صنوه كان ترجيحاً بلا مرجّح، وهذا ينافي الحكمة والعدل. نعم، لو كان ثمّة من الأبناء من يساويهما لدعاه معهما، كما أنّه لو كان لعليّ عليه السلام نظير من الأنفس أو لفاطمة عليهاالسلام من النساء لما حاباهما، عملاً بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة.

ثمّ قال: وأنت هداك اللّٰه إذا عرفت أنّ اللّٰه تبارك وتعالى قد أنزل نفس عليّ عليه السلام منزلة نفس النبيّ صلى الله عليه و آله، وأجراها في محكم الذِّكر مجراها لا يرتاب حينئذٍ في أنّه أفضل الأُمّة وأولاها برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حيّاً وميّتاً، وقد صرّح أولياء أهل البيت، واعترف أعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل الخالد في القرآن ذكره، والطيّب في بيّنات الفرقان نشره، حتّى إنّ الرازي مع غرامه بنقض المحكمات، وهيامه في التشكيك والشبهات، لم يناقش في دلالتها على هذا المقدار من تفضّله عليه السلام، وإنّما ناقش محمود بن الحسن، حيث صرّح بدلالتها على تفضيله على من كان قبل محمّد من الأنبياء "عليه وعليهم السلام"، وإليك عبارة الرازي بعين لفظه، قال: كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي، وكان معلم الاثني عشريّة، وكان يزعم أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء، سوى محمّد صلى الله عليه و آله، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: 'وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ'؛ إذ ليس المراد بقوله: 'وَأَنفُسَنَا' نفس محمّد صلى الله عليه و آله؛ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد غيرها، وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدلّت الآية على أنّ نفس عليّ عليه السلام هي نفس محمّد صلى الله عليه و آله، ولا يمكن أن يكون المراد أنّ هذه النفس هي عين تلك، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي المساواة في

جميع الوجوه، تركنا العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة، وفي حقّ الفضل لقيام الدلائل على أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله كان نبيّاً، وما كان عليّ عليه السلام كذلك، ولانعقاد الإجماع على أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله كان أفضل من عليّ عليه السلام، فبقي فيما وراءه معمولاً به، ثمّ الإجماع دلّ على أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، فيلزم أن يكون عليّ عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء،...

[الفصول المهمّة للإمام السيّد شرف الدين: ٢٠١].

ويؤيّد ذلك احتجاج مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الفضيلة يوم الشورى، واعتراف القوم بها، وعدم إنكارهم عليه، حيث قال عليّ عليه السلام: "أنشدكم اللّٰه، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في الرحم منّي؟ ومن جعله نفسه، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه، غيري؟" قالوا: اللّهمّ لا.

[رواه في البحار ٣٥:٢٦٦، عن ابن حجر في صواعقه: ١٢٤].

و كذا يؤيّد ذلك احتجاج عليّ عليه السلام على أبي بكر، حيث قال عليه السلام: "فأنشدك اللّٰه، أَبِيَ برز رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وبأهلي وولدي في مباهلة المشركين من النصارى، أم بك وبأهلك وبولدك؟"، قال: بكم.

[روي في تفسير نور الثقلين ١:٣٤٩، عن كتاب الخصال للصدوق].

في لفظ الحديث

أمّا الأخبار الواردة في إحضار رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أهل بيته عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ليباهل بهم نصارى نجران، وجعله المباهلة بهم دليلاً على صدق نبوّته ورسالته، فكثيرة جدّاً من طرق العامّة والخاصّة.

ولقد قال الإمام السيّد شرف الدين: أجمع أهل القبلة، حتّى الخوارج منهم، على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء، ومن الأبناء سوى سبطيه وريحانتيه من الدنيا الحسن والحسين عليهماالسلام، ومن الأنفس إلا أخاه الّذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة الّتي لا يمكن جحودها، لم يشاركهم فيها أحد من العالمين، كما هو بديهي لكلّ من ألمّ بتاريخ المسلمين وبهم خاصّة نزلت لا بسواهم.

[الفصول المهمّة للإمام السيّد شرف الدين: ٢٠١ - ١٩٧].

ومن أخرجه من المسلمين من إخواننا أهل السنّة والإماميّة أعلى اللّٰه كلمتهم كثيرة جدّاً، نتبرّك بذكر نبذة منها احترازاً من الإطالة.

ممّا رواه علماء العامّة في كتبهم

ما رواه العلامة الجويني بسنده عن الشعبي

عن جابر، قال: قدم على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله العاقب والطيّب، فدعاهما إلى الإسلام، فقالا: أسلمنا - يا محمّد - قبلك. قال: 'كذبتما، إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام؟'، قالا: فهات أنبئنا، قال: 'حبّكما الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير'.

قال جابر: فدعاهما إلى الملاعنة، وواعداه على أن يغادياه بالغداة، فغدا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فأرسل إليهما، فأبيا أن يجيباه، وأقرّا له بالجزية.

فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'والّذي بعثني بالحقّ، لو فعلا لأمطر عليهما الوادي ناراً'.

قال الشعبي: قال جابر: وفيهم نزلت "هذه الآية": 'نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ'.

قال الشعبي: قال جابر: 'وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ' رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام، 'وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ' فاطمة عليهاالسلام، 'أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ' الحسن والحسين عليهماالسلام.

[فرائد السمطين ٢:٢٣، ح ٣٦٥].

ما رواه ابن الصبّاغ المالكي

و قال: أهل البيت على ما ذكر المفسّرون في تفسير آية المباهلة، وعلى ما روي عن أمّ سلمة هم النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ قال: أمّا آية المباهلة، وهي قوله تعالى: 'إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ' إلى قوله: 'ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ'.

[سورة آل عمران: ٦١ - ٥٩].

وسبب نزول هذه الآية: إنّه لمّا قدم وفد نجران على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر وعليهم ثياب الحبرات، وأردية الحرير، لابسين الحلل، متختّمين بخواتم الذهب، يقول من رآهم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله: ما رأينا مثلهم وفداً قبلهم، وفيهم ثلاثة من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم، وهم: العاقب، واسمه عبد المسيح، كان أمير القوم، وصاحب رأيهم، وصاحب مشورتهم، لا يصدرون إلا عن رأيه، والسيّد، وهو الأيهم، وكان ثمالهم، وصاحب رحابهم ومجتمعهم، وأبو حاتم بن علقمة، وكان أسقفهم، وحبرهم، وإمامهم، وصاحب مدارسهم، وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل، ولكنّه تنصّر فعظّمته الروم وملوكها وشرّفوه، وبنوا له الكنائس، وولّوه وأخدموه؛ لما علموه من صلابته في دينهم، وقد

كان يعرف أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وشأنه وصفته ممّا علمه من الكتب المتقدّمة، ولكن حمله جهله على الاستمرار في النصرانيّة لما رأى من تعظيمه ووجاهته عند أهلها.

فتكلّم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مع أبي حاتم بن علقمة والعاقب عبد المسيح وسألهما وسألاه، ثمّ إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لمّا تكلّم مع هذين الحبرين اللذين هما العاقب وعبد المسيح دعاهما إلى الإسلام، فقالوا: أسلمنا. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "كذبتم، إنّه يمنعكم من الإسلام ثلاثة أشياء: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وقولكم للَّه ولد"، فقالوا: هل رأيت ولداً بغير أب؟ فَمن أبو عيسى؟ فأنزل اللَّه تعالى: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ" الآية.

فلمّا نزلت هذه الآية مصرّحة بالمباهلة، دعا رسول اللَّه وفد نجران إلى المباهلة، وتلا عليهم الآية، فقالوا: حتّى ننظر في أمرنا ونأتيك غداً، فلمّا خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب صاحب مشورتهم: ما ترى من الرأي؟ فقال: واللَّه قد عرفتم - معشر النصارى - أنّ محمّداً نبيٌّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من عند صاحبكم، فواللَّه ما لاعن قوم قطّ نبيّهم إلا هلكوا عن آخرهم، فاحذروا كلّ الحذر أن تكون شأفة

[الشّأفَة: قَرْحَةٌ تَخْشُن فَتُسْتأْصَل بالكيّ، واستأصل اللَّه شأفته: أزاله من أصله].

الاستئصال منكم، وإن أبيتم إلا ودينكم والإقامة عليه، فوادعوا الرجل وأعطوه الجزية، ثمّ انصرفوا إلى مقرّكم.

فلمّا أصبحوا جاءوا إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فخرج وهو محتضن الحسين، وآخذ بيد الحسن، وفاطمة خلفه، وعليّ خلفهم، وهو يقول: "اللّهمّ هؤلاءِ أهلي، إذا أنا دعوت أمّنوا"، فلمّا رأى وفد نجران ذلك وسمعوا قوله، قال كبيرهم: يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألت اللَّه تعالى أن يزيل جبلاً لأزاله، لا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ منكم إلى يوم القيامة، فاقبلوا الجزية، فقبلوا الجزية وانصرفوا.

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "والّذي نفس محمّد بيده، إنّ العذاب قد نزل على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخهم اللَّه قردة وخنازير، ولاضطرم الوادي عليهم ناراً، ولاستأصل اللَّه تعالى نجران وأهله حتّى الطير على الشجر، ولم يحل الحول على النصارى حتّى هلكوا".

قال جابر بن عبدالله: "أَنفُسَنَا" محمّد رسول الله صلى الله عليه و آله، وعليّ عليه السلام، و "أَبْنَاءَكُمْ" الحسن والحسين، و "نِسَاءَنَا" فاطمة "سلام الله عليهم أجمعين"، هكذا رواه الحاكم في مستدركه عن عليّ بن عيسى. [الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٢٣].

ما رواه الزمخشري بسنده

- بعد ذكر قصّة مراجعة نجران -: ودعاهم الرسول صلى الله عليه و آله إلى المباهلة، قال: فأتوا رسول الله صلى الله عليه و آله وقد غدا محتضناً الحسين عليه السلام، آخذاً بيد الحسن عليه السلام، وفاطمة عليهاالسلام تمشي خلفه، وعليّ عليه السلام خلفهما، وهو يقول: "إذا أنا دعوت فأمّنوا".

فقال أُسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ إلى يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك، وأن نُقرّك على دينك ونثبت على ديننا، قال: "فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم"، فأبوا، قال: "فإنّي أُناجزكم". فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا، ولا تخيفنا، ولا تردّنا عن ديننا، على أن نؤدّي إليك كلّ عام ألفي حلّة: ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد. فصالحهم على ذلك وقال: "والّذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على رؤوس الشجر، ولمّا حال الحول على النصارى كلّهم حتّى يهلكوا".

[تفسير الكشّاف ١: ٤٣٤].

وفيه عن عائشة: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله خرج وعليه مرط مرجّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله، ثمّ فاطمة، ثمّ عليّ عليهم السلام، ثمّ قال: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ". [تفسير الكشّاف ١: ٤٣٤].

ما رواه السيوطي عن مستدرك الحاكم وصحّحه

وابن مردويه وأبي نعيم في "الدلائل" عن جابر الأنصاري، قال: قدم على النبيّ صلى الله عليه و آله العاقب والسيّد فدعاهما إلى الإسلام، فقالا: أسلمنا يا محمّد، قال: "كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام". قالا: فهات. قال: "حبّ الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير".

قال جابر: فدعاهما إلى الملاعنة فوعداه إلى الغد، فغدا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ أرسل إليهما، فأبيا أن يجيباه وأقرّا له. فقال: "والّذي بعثني بالحقّ، لو فعلا لأُمطر الوادي عليهما ناراً".

قال جابر: فيهم نزلت: "تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ" الآية. قال جابر: "أَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ" رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام، و "أَبْنَاءَنَا" الحسن والحسين، و "نِسَاءَنَا" فاطمة عليهاالسلام.

[الدرّ المنثور ٣٩ - ٣٨ :٢].

وعنه أيضاً: عن مسلم، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم، والبيهقي في سننه، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: لمّا نزلت هذه الآية: "فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ" دعا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: "اللّهمّ هؤلاء أهلي". [الدرّ المنثور ٣٩ - ٣٨ :٢].

ما رواه مسلم في صحيحه

بسنده عن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فلن أسبّه، لئن تكون لي واحدة أحبّ إليَّ من حمر النعم - إلى أن قال: - ولمّا نزلت هذه الآية: "فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ" دعا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: "اللهمّ هؤلاء أهلي". [صحيح مسلم ١٢٠:٧، نقلاً عن الإحقاق ٤٦:٣].

ما رواه الرازي

قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا أورد الدلائل على نصارى نجران، ثمّ إنّهم أصرّوا على جهلهم، فقال صلى الله عليه و آله: "إنّ اللّٰه أمرني إن لم تقبلوا الحجّة أن أُباهلكم".

فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا ثمّ نأتيك، فلمّا رجعوا قالوا للعاقب - وكان ذا رأيهم - يا عبد المسيح، ما ترى؟ فقال: واللّٰه! لقد عرفتم - يا معشر النصارى - أنّ محمّداً نبيّ مرسلٌ، ولقد جاءكم بالكلام الحقّ في أمر صاحبكم - إلى أن قال: - وكان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله خرج وعليه مرط

[المرط: ثوب غير مخيط].

من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ عليه السلام خلفها، وهو يقول: "إذا دعوت فأمّنوا".

فقال أُسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا اللّٰه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة". [التفسير الكبير ٨:٨٠].

قال العلامة الجصّاص

نقل رواة السير ونقلة الأثر أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أخذ بيد الحسن والحسين وعليّ وفاطمة عليهم السلام، ثمّ دعا النصارى الذين حاجّوه إلى المباهلة، فأحجموا عنها، وقال بعضهم لبعض: إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً، ولم يبق نصراني ولا نصرانيّة إلى يوم القيامة. [أحكام القرآن ٢:٢٩٥].

و عن محمّد بن عبده

قال: وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله اختار للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديهما عليهم السلام، وخرج بهم وقال: "إن أنا دعوت فأمّنوا أنتم".

[تفسير المنار ٣:٣٢٢].

وقال فيه أيضاً: في رواية مسلم والترمذي وغيرهما، عن سعد، قال: لمّا نزلت هذه الآية "فَقُلْ تَعَالَوْا" الآية دعا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: "اللّهمّ هؤلاء أهلي".

[المصدر السابق، وسنن الترمذي ٥:٢١٠، ح ٢٩٩٩].

ما رواه علماء الإماميّة

و ما رواه علماء الامامية عن المعصومين عليهم السلام كثيرة جداً و نشير الى بعض منها رعاية للاختصار:

منها: ما رواه عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره ذيل آية: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ" إلى قوله: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ" بسنده عن عبداللّٰه بن سنان، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام: "أنّ نصارى نجران لمّا وفدوا على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وكان سيّدهم الأهتم والعاقب والسيّد، وحضرت صلاتهم، فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلّوا، فقال أصحاب رسول اللّٰه: هذا وفي مسجدك؟ فقال صلى الله عليه و آله: "دعوهم"، فلمّا فرغوا دنوا من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقالوا: إلى ما تدعون؟ فقال: "إلى شهادة أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّي رسول اللّٰه، وأنّ عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث". قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: قل لهم ما تقولون في آدم، أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب وينكح؟ فسألهم النبيّ صلى الله عليه و آله فقالوا: نعم. فقال: "فمن أبوه"؟ فبهتوا، فبقوا ساكتين، فأنزل اللّٰه: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ".

وأمّا قوله: 'فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ' إلى قوله: 'فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ'، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'فباهلوني، فإن كنتُ صادقاً أُنزلت اللعنة عليكم، وإن كنتُ كاذباً نزلت عليَّ'، فقالوا: أنصفت، فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم، قال رؤساؤهم: السيّد والعاقب والأهتم: إن باهلنا بقومه باهلناه، فإنّه ليس بنبيّ، وإن باهلنا بأهل بيته خاصّة فلا نباهله، فإنّه لا يقدم على أهل بيته إلا وهو صادق، فلمّا أصبحوا جاءوا إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابن عمّه، ووصيّه، وختنه عليّ بن أبي طالب، وهذه بنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين عليهم السلام، فعرفوا وقالوا لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'نعطيك الرضى فأعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على الجزية، وانصرفوا'.

[تفسير القمّي ١:١٠٤].

و منها: ما في "تفسير نور الثقلين" عن "روضة الكافي" بسنده عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: 'يا أبا الجارود، ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهماالسلام؟' قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. قال: 'فبأيّ شي ء احتججتم عليهم؟'. قلت: احتججنا عليهم بقول اللَّه تعالى لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ' - الحديث.

[تفسير نور الثقلين ١:٣٤٨].

و منها: ما رواه عن "عيون أخبار الرضا عليه السلام" في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة، وهو حديث طويل: وفيه قالت العلماء: فأخبرنا هل فسّر اللَّه تعالى الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: 'فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً، - إلى أن قال: - وأمّا الثالثة حين ميّز اللَّه الطاهرين من خلقه، فأمر نبيّه صلى الله عليه و آله بالمباهلة بهم في آية الابتهال، فقال عزّ وجلّ: يا محمّد، 'فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ'، فأبرز النبيّ صلى الله عليه و آله عليّاً والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، وقرن أنفسهم بنفسه، فهل تدرون ما معنى قوله: 'وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ'؟' قالت العلماء: عنى به نفسه.

قال أبو الحسن عليه السلام: "غلطتم، إنّما عنى به عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وممّا يدلّ على ذلك قول النبيّ صلى الله عليه و آله حين قال: لينتهينّ بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي، يعني عليّ بن أبي طالب، وعنى بالأبناء الحسن والحسين، وعنى بالنساء فاطمة عليهم السلام، فهذه خصوصيّة لا يتقدّمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق؛ إذ جعل نفس عليّ كنفسه".

[تفسير نور الثقلين ١:٣٤٩].

و منها: ما رواه الصدوق في باب جمل من أخبار موسى بن جعفر عليهماالسلام مع هارون الرشيد: لمّا قال له: كيف تكونون ذرّيّة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأنتم أولاد ابنته؟ - وهو حديث طويل - ذكر فيه أدلّة كثيرة منها: قول اللّٰه تعالى: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ"

[سورة آل عمران: ٦١].

ولم يدّع أحد أنّه أدخل النبيّ صلى الله عليه و آله تحت الكساء عند المباهلة للنصاري إلا عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان تأويل قوله تعالى: "أَبْنَاءَنَا" الحسن والحسين عليهماالسلام، "وَنِسَاءَنَا" فاطمة عليهاالسلام، "وَأَنفُسَنَا" عليّ بن أبي طالب عليه السلام. على أنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل عليه السلام قال يوم أُحد: يا محمّد، إنّ هذه لهي المواساة من عليّ، قال: لأنّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول اللّٰه".

[عيون أخبار الرضا عليه السلام ١:٦٨، وكذا في تفسير نور الثقلين ١:٣٤٨].

ايراد واهٍ من محمّد بن عبده حول الآية وجوابه

ومن عجيب الكلام ما ذكره محمّد عبده على ما حكى عنه تلميذه السيّد محمّد رشيد رضا في المجلّد الثالث من تفسيره، حيث قال: إنّ الروايات متّفقة على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله اختار للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديهما، ويحملون كلمة "نِسَاءَنَا" على فاطمة عليهاالسلام، وكلمة "أَنفُسَنَا" على عليّ عليه السلام فقط، ومصادر هذه الروايات الشيعة، ومقصدهم منها معروف، وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا حتّى راجت على كثير من أهل السنّة، ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية، فإنّ كلمة "نِسَاءَنَا" لا يقولها العربيّ ويريد بها بنته، لا سيّما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم، وأبعد من ذلك أن يراد ب "أَنفُسَنَا" عليّ عليه السلام.

ثمّ إنّ وفد نجران الذين قالوا: إنّ الآية نزلت فيهم لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم. وكلّ ما يفهم من الآية أمر النبيّ صلى الله عليه و آله أن يدعو المحاجّين والمجادلين في عيسى من أهل الكتاب إلى الاجتماع رجالاً ونساءً وأطفالاً، ويجمع هو المؤمنين رجالاً ونساءً وأطفالاً، ويبتهلون إلى اللَّه تعالى بأن يلعن الكاذب فيما يقول عن عيسى.

وهذا الطلب يدلّ على قوّة يقين صاحبه وثقته بما يقول، كما يدلّ امتناع من دعوا إلى ذلك من أهل الكتاب، سواء كانوا نصارى نجران أو غيرهم على امترائهم في حجاجهم وممارتهم فيما يقولون، وزلزالهم فيما يعتقدون؛ وكونهم على غير بيّنة ولا يقين، وأنّى لمن يؤمن باللَّه أن يرضى بأن يجتمع مثل هذا الجمع من النّاس المحقّين والمبطلين في صعيد واحد، متوجّهين إلى اللَّه تعالى في طلب لعنه وإبعاده من رحمته، و أيّ جرأة على اللَّه واستهزاء بقدرته وعظمته من هذا! إلى آخر ما أورده.

[تفسير المنار ٣:٣٢٢].

أقول في الجواب: ما أقول في رجل اتّخذ إلهه هواه، وأضلّه اللَّه على علم، وختم على سمعه وقلبه؟ لست أدري ما يريد بقوله: "إنّ مصادر هذه الروايات الشيعة؟! فإنّ إمامهم فخر الدين الرازي مفسّر شهير ادّعى الاتّفاق على صحّة هذه الروايات، وهو مع كونه إمام المشكّكين يقول في تفسيره: لمّا خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في المِرط الأسود فجاء الحسن عليه السلام فأدخله، ثمّ جاء الحسين عليه السلام فأدخله، ثمّ فاطمة عليهاالسلام، ثمّ عليّ عليه السلام، ثمّ قال: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً". واعلم أنّ هذه الرواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث.

[التفسير الكبير ٨:٨٠].

وروى ابن طاووس في كتابه القيّم "سعد السعود" حديث المباهلة من كتاب "تفسير ما نزل من القرآن في النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته" لمحمّد بن العبّاس بن مروان، المعروف بابن الحجّام، أو ابن الماهيار، من واحد وخمسين طريقاً.

[راجع للاطّلاع على طرق الحديث: سعد السعود: ٩١].

وبعد كلّ هذا هل يعتقد محمّد عبده أنّ الشيعة كانوا مصدر هذه الروايات المتظافرة الّتي أجمع على نقلها وعدم طرحها المحدّثون، وليست بالواحدة والاثنين والثلاث، وأطبق على نقلها وتلقّيها بالقبول أهل الحديث، وأثبتها أرباب الجوامع ومنهم مسلم في صحيحه، والترمذي في صحيحه، وأيّدها أهل التاريخ. وأطبق

المفسّرون على إيرادها وإبداعها في تفاسيرهم من غير اعتراض أو ارتياب، وفيهم جمع من أهل الحديث والتاريخ، كالطبري وأبي الفداء وابن كثير والسيوطي في كتبه، وغيرهم.

[راجع: صحيح مسلم ٤:١٤٧١، سنن الترمذي ٥:٢٢٥، مصابيح السنّة ٤:١٨٣، الكامل في التاريخ ٢:٢٩٣، أسباب النزول للواحدي: ٦٠، تفسير الرازي ٨:٨١، تفسير أبي السعود ٢:٤٦، فتح القدير ١:٣٤٧ و ٣٤٨، معالم التنزيل ١:٤٨٠، جامع الأُصول ٩:٤٧٠، تفسير الآلوسي ٣:١٨٨، وغيرها. ومن أراد التوسّع في الاطّلاع على كتب العامّة الناقلة لحديث أهل نجران وآية المباهلة فليراجع إحقاق الحقّ ٣:٤٦، فإنّه روى عن كثير من كتب العامّة من التفسير والتاريخ والحديث بلغت ٥٣ كتاباً، كصحيح مسلم بن الحجّاج، ومسند أحمد بن حنبل، وتفسير الطبري، ومستدرك الحاكم، ومعرفة علوم الحديث للحاكم، ودلائل النبوّة لأحمد بن عبدالله الاصبهاني، وتفسير الثعلبي، وغيرها كثير].

وأعتقد أنّ المعترض - يعني محمّد عبده - ما قال هذا الإيراد إلا عناداً لأمير المؤمنين عليه السلام، وإلا فبعد ما عرفت من نقل الرواة الكثيرين عن الرسول صلى الله عليه و آله وضبط الحديث في كتبهم، وإجماع المفسّرين على نقلها في تفاسيرهم، لا يبقى شكّ ولا ريب في بطلان هذا الإيراد.

ولو سلّمنا أنّ مصادر هذه الروايات الشيعة، أيريد بهم الذين تنتهي إليهم سلاسل الإسناد في الروايات، أعني سعد بن أبي وقّاص، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن عبّاس، وعثمان بن عفّان، وغيرهم من الصحابة، أو التابعون، كأبي صالح، والكلبي، والسدّي، والشعبي، وغيرهم، وأنّهم تشيّعوا لنقلهم ما لا يرتضيه بهواه؟

فهؤلاء وأمثالهم ونظراؤهم هم الوسائط في نقل السنّة، ومع رفضهم لا تبقى سنّة مذكورة ولا سيرة مأثورة.

وكيف يمكن لمسلم أو باحث حتّى ممّن لا ينتحل الإسلام أن يبطل السنّة ثمّ يروم أن يطّلع على تفاصيل ما جاء به النبيّ صلى الله عليه و آله من تعليم وتشريع، والقرآن ناصّ بحجّيّة قول النبيّ صلى الله عليه و آله وسيرته، وناصّ ببقاء الدين حيّاً ما بقي الدهر، ولو جاز بطلان السنّة من رأس لم يبق للقرآن أثر ولا لإنزاله ثمر؟!

أو أنّه يريد أنّ الشيعة دسّوا هذه الأحاديث في جوامع الحديث وكتبهم وكتب التاريخ، فيعود محذور سقوط السنّة وبطلان الشيعة، بل تكون البلوى أعمّ، والفساد أتمّ.

قال محمّد عبده: ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية، فإنّ كلمة "نِسَاءَنَا" لا يقولها العربي ويريد بها بنته، سيّما إذا كان له أزواج ولا يفهم هذا من لغتهم، وأبعد من ذلك، أن يراد ب "أَنفُسَنَا" عليّ عليه السلام.

أقول في دفعه: فتلك كلمة واهية، وإنّي أتعجّب من رجل يعدّ من المفسّرين، وله تلامذة يأخذون منه التفسير، ومع ذلك يتكلّم بكلام ليس له قدر عند أهل التحقيق، أما قرأ هذه الآية الشريفة: 'وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ'.

[سورة النساء: ١٧٦].

يعني إذا كان ورثة الميّت إخوة أبناءً وبناتاً فللابن سهمان، وللبنت سهم واحد، ففي هذه الآية أُطلقت كلمة النساء على البنات بلا خلافٍ.

وأما قرأ هذه الآية الشريفة: 'يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ'

[سورة النساء: ١١].

فلماذا يقول "محمّد بن عبده": إنّ كلمة 'نِسَاءَنَا' لا يقولها العربي ويريد بها بنته؟ ألم ينزل القرآن بلسان عربيّ مبين؟!

وأمّا قوله: وأبعد من ذلك أن يراد ب 'أَنفُسَنَا' عليّ عليه السلام: فلاحظ كلام الواحدي النيشابوري، وهو من أعلام القرن الرابع، ومن أعاظم علماء العامّة، فإنّه قال: قال جابر بن عبداللّه: فنزلت فيهم "في أهل الكساء" هذه الآية 'فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ' الآية.

[سورة آل عمران: ٦١].

فاراد من لفظه 'أَنفُسَنَا' هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و لاحظ قول الشعبي: 'أَبْنَاءَنَا' الحسن والحسين، 'وَأَنفُسَنَا' فاطمة، 'وَأَنفُسَنَا' عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[عن أسباب النزول: ٦٠].

و لاحظ ايضاً قول البغوي: 'أَبْنَاءَنَا' أراد الحسن والحسين، 'وَنِسَاءَنَا' فاطمة، 'وَأَنفُسَنَا' عنى نفسه وعليّ.

[معالم التنزيل ١: ٤٨٠].

ايضاً ان قال ابن حجر الهيتمي المكّي: نقل عن عبدالرحمن بن عوف حديث، يدلّ على أنّ نفس النبي صلى الله عليه و آله هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: لمّا فتح رسول اللّه صلى الله عليه و آله مكّة انصرف إلى الطائف، فحصرها سبع عشرة ليلة أو تسع عشرة ليلة، ثمّ قام خطيباً، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: 'أوصيكم بعترتي خيراً، وإنّ موعدكم الحوض، والّذي نفسي بيده لتقيمنّ الصلاة ولتؤتنّ الزكاة، أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي كنفسي يضرب أعناقكم'، ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ قال: 'هو هذا'.

[الصواعق المحرقة: ١٢٦].

وقال الحافظ أخطب خوارزم: عن المطّلب بن عبداللّٰه بن حنطب، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لوفد ثقيف حين جاءوه: "لتسلمنّ أو ليبعثنّ اللّٰه رجلاً منّي - أو قال: مثل نفسي - فليضربنّ أعناقكم بالسيف".

[المناقب للخوارزمي: ٨١].

وقال أيضاً أن عائشة قالت: مَن خير النّاس بعدك، يا رسول اللّٰه؟ قال: "عليّ بن أبي طالب، هو نفسي، وأنا نفسه". [المناقب للخوارزمي: ٩٠].

وغير ذلك من الروايات المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه و آله، الدالّة على أنّ عليّاً عليه السلام كنفس محمّد صلى الله عليه و آله، ولا يمكن إنكاره.

[من أراد أكثر ممّا ذكرناه، فليراجع البحار ٣٨:٢٩٦ و ٣١١ و ٣٧:٤٩ و ٢٠:١٠٧، وليراجع أيضاً تذكرة الخواصّ وينابيع المودّة].

ثمّ إنّه مع الشكّ والترديد في استعمال لفظ النساء في فاطمة عليهاالسلام، والنفس في عليّ عليه السلام، هل يوجب ذلك أن يطرح هذه الروايات على كثرتها في أنّ الآية نزلت في عليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام، ثمّ يطعن على رواتها وكلّ مَن تلقّاها بالقبول ويرميهم بما ذكره؟!

[ومن أراد جواب إشكاله أكثر توضيحاً فليراجع كتاب تفسير الميزان ٢٦٤ - ٢٥٧ :٣، فقد أعرضنا عن ذكره هنا طلباً للاختصار].

ففق وبالجملة إيراد محمّد عبده واهٍ خالٍ عن الاعتبار والدقّة ولا يعتنى به.

خاتمة في انّ الحسن والحسين إبنا رسول اللّٰه

لا يخفى أنّ الحسن والحسين عليهماالسلام ابنا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وأنّ ابن البنت ابن حقيقة، ويؤيّده قوله صلى الله عليه و آله: "ابناي هذان، إمامان إن قاما، وإن قعدا".

وفي "تفسير الرازي": هذه الآية دالّة على أنّ الحسن والحسين عليهماالسلام كانا ابني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعد أن يدعو ابنيه فدعاهما فوجب أن يكونا ابنيه.

وقال: وممّا يؤكّد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام: "وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ" إلى قوله تعالى: "وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى" [سورة الأنعام: ٨٥ - ٨٤].

ومعلوم أنّ عيسى عليه السلام إنّما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأمّ لا بالأب، فثبت أنّ ابن البنت قد يسمّى ابناً. [تفسير الرازي ٨:٨٠].

عليّ و آية المودّة

لمّا نزل قوله تعالى: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"، قالوا: يا رسول اللَّه، مَن هؤلاءِ الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه و آله: "عليّ وفاطمة وابناهما، وإنّ اللَّه تعالى جعل أجري عليكم المودّة في أهل بيتي، وإنّي سائلكم غداً عنهم".

ينابيع المودّة: ١٩٤، والآية من سورة الشورى: ٢٣.

سبب نزول الآية

عند ما استقرّ النظام الإسلامي في المدينة جاء جمع من الأنصار إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقالوا: يا رسول اللَّه، لقد آويناكم ونصرناكم ونحن نضع أموالنا بين أيديكم.

والّذي يبدو من ظاهر كلامهم أنّهم إنّما كانوا يريدون إعلاء دين اللَّه وإعانة الرسول صلى الله عليه و آله، وربّما كانوا يقصدون تعويض الرسول صلى الله عليه و آله أتعابه، وما تحمّل من المشقّة في سبيل دين اللَّه تعالى؛ لذلك نزلت هذه الآية جواباً لهم: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"، فجعل اللَّه جلّ وعلا مودّة أهل البيت عليهم السلام الأجر الوحيد على هذه الرسالة السمحاء، وسنعرض مجموعة من الأخبار المنقولة عن السنّة والشيعة في سبب نزول الآية:

نذكر هنا بعض ما ورد من الروايات في شأن نزول الآية:

منها: ما روى الشيخ الطبرسي، بإسناده عن عبداللَّه بن عبّاس، قال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين قدم المدينة واستحكم الإسلام، قالت الأنصار فيما بينها: نأتي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فنقول له: إن تَعرُك أُمور فهذه أموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك، فأتوه في ذلك، فنزلت: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" [سورة الشورى: ٢٣].

فقرأها عليهم، وقال: "تودّون قرابتي من بعدي"، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله.

فقال المنافقون: إنّ هذا لشي ء افتراه في مجلسه، أراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده، فنزلت: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً" [سورة الشورى: ٢٤].

فأرسل إليهم فتلاها عليهم، فبكوا واشتدّ عليهم، فأنزل اللَّه سبحانه: "وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ" [سورة الشورى: ٢٥].

فأرسل في أثرهم فبشّرهم، وقال: "وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا" [سورة الشورى: ٢٦].

وهم الذين سلّموا لقوله، ثمّ قال سبحانه: "وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً" [سورة الشورى: الآية ٢٣].

أي مَن فعلَ طاعة نزد له في تلك الطاعة حُسناً بأن يوجب له الثواب. [مجمع البيان ٩:٢٩].

منها: قال الزمخشري في تفسيره: وقيل: أتت الأنصار رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بمال جمعوه، وقالوا: يا رسول اللَّه، قد هدانا اللَّه بك، وأنت ابن اختنا، وتعروك نوائب وحقوق، وما لك سعة، فاستعن بهذا على ما ينوبك، فنزلت الآية "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"، وردّه. [تفسير الكشّاف ٣:٤٦٨].

وفيه أيضاً أنّ الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا، كأنّهم افتخروا، فقال عبّاس - أو ابن عبّاس: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فأتاهم في مجالسهم، فقال: "يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلّة فأعزّكم اللَّه بي؟"، قالوا: بلى، يا رسول اللَّه، قال: "ألم تكونوا ضلالاً فهداكم اللَّه بي؟"، قالوا: بلى يا رسول اللَّه، قال: "أفلا تجيبونني؟"، قالوا: ما نقول، يا رسول اللَّه؟ قال: "ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أوَلم يكذّبوك فصدّقناك؟ أوَلم يخذلوك فنصرناك؟"، قال: فما زال يقول حتّى جثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا للَّه ولرسوله، فنزلت الآية: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى".

[المصدر السابق: ٤٦٧].

و منها: ما روى ابن المغازلي بسنده عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا نزلت: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" قالوا: يا رسول اللَّه، مَن هؤلاء الذين أمر بمودّتهم؟ قال صلى الله عليه و آله: "عليّ وفاطمة وولدهما".

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٣٠٧، ح ٣٥٢].

و منها: ما في تفسير القمّي، قال: حدّثني أبي، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول اللَّه: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"، "يعني في أهل بيته". قال: جاءت الأنصار إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقالوا: إنّا قد آوينا ونصرنا فخذ طائفة من أموالنا فاستعن بها على ما نابك [نابك: أي أصابك].

فأنزل اللَّه "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً"، يعني على النبوّة "إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"، يعني في أهل بيته. [تفسير القمّي ٢:٢٧٥].

اجر الرسالة هو مودّة ذى القُربى

إنّ التشريع الديني إنّما يكون من الخالق العزيز، وليس لأحد الحقّ في وضع القوانين والشرائع؛ إذ إنّ القانون الإلهي هو الّذي يضمن السعادة البشرية، وهذا القانون لا يمكن أن يصل بلا واسطة، بل لا بدّ من وجود الأنبياء كواسطة بين الخالق والمخلوق، ولا بدّ للرسول أن يبذل قصارى جهده في سبيل تطبيق هذا الدين وإعلاء كلمة اللَّه تعالى، وأن يتحمّل أشكال الأذى في سبيل هذا الهدف المقدّس.

وقد تحمّل الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أنواع الأذى، وبذل الدماء، وتحمّل ظلم قومه، والهجرة من الوطن، وتحمّل أعباء نشر الدين الإسلامي، حتّى أنّه كان يشارك المسلمين بسيفه في الغزوات والفتوحات، كلّ ذلك من أجل إسعاد البشرية، ولعلّ هذا كان سبباً في قدوم الأنصار على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

ومن الطبيعي أنّهم إنّما فعلوا ذلك من أجل تقوية دين الإسلام، ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه و آله وفقاً لمنطوق القرآن: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"، فأجري هو محبّة أهل البيت، وهذه المحبّة تعود إلى النّاس بالهداية والإرشاد؛ لأنّ الاقتداء بأهل البيت هو الاقتداء بالإسلام الأصيل، وفي الحديث المروي في "ينابيع المودّة" عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى: "قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ" [سورة سبأ: ٤٧].

يقول: "الأجر الّذي هو المودّة في القربى الّتي لم أسألكم غيرها فهي لكم تهتدون بها، وتسعدون بها، وتنجون من عذاب اللَّه يوم القيامة". [ينابيع المودّة: ١٠٦].

في معنى المودّة في القربى

وقع الاختلاف بين مفسّري الشيعة والسنّة في معنى المودّة في القربى على النحو التالي:

الأوّل: يعتقد الشيعة أنّ مودّة أهل البيت هي المودّة في الدين، وهي أجر الرسالة المقصودة في القرآن الكريم، وليست هذه المودّة هي مجرّد محبّة عادية كالتي بين الأصدقاء، بل هي تتناسب مع أجر الرسالة السمحاء؛ إذ تتطلّب الإيمان بإمامة المعصومين عليهم السلام والاعتقاد به، وكما سيجيئ، فإنّ مودّتهم هي وسيلة لتقوية الرسالة؛ إذ في الحقيقة لم تكن المودّة هنا غير الدعوة الدينيّة من حيث بقائها ودوامها.

إذن فإنّ مفاد الآية الشريفة لا يغاير مؤدّى سائر الآيات النافية لسؤال الأجر، وبذلك يظهر فساد ما أورد على هذا الوجه من أنّه لا يناسب شأن النبوّة لما فيه من التهمة، فإنّ أكثر طلاب الدنيا يفعلون شيئاً ويسألون عليه ما يكون فيه نفع لأولادهم وقراباتهم، وهذا الإيراد واضح البطلان ممّا ذكرناه.

وقد وردت بهذا المعنى روايات من طرق أهل السنّة، وتكاثرت الأخبار من طرق الشيعة في تفسير الآية بمودّتهم وموالاتهم.

و نكتفي هنا بما رواه الفخر الرازي في تفسير هذه الآية، عن صاحب الكشّاف أنّه قال: لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول اللَّه، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: "عليّ وفاطمة وابناهما"، فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ صلى الله عليه و آله، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: "إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى". الثاني: لا شكّ أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان يحبّ فاطمة عليهاالسلام. قال صلى الله عليه و آله: "فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها"، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأُمّة مثله؛ لقوله: "وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ": ولقوله تعالى: "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ"... الثالث: أنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة، وهو قوله: اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد واجب. [تفسير الرازي ٢٧:١٦٦].

الثاني: ما عن بعض اهل السنة في تفسير المودّة في القربى، يقول: إنّ الخطاب لقريش، والأجر المسؤول هو مودّتهم للنبيّ صلى الله عليه و آله؛ لأنّه له علاقة قرابة ونسب معهم، واللَّه يقول له: قل لهم: إنّني منكم لا تؤذوني.

وفيه: أنّ هذا التفسير واهٍ جدّاً؛ لأنّ المخاطب في هذه الآية هم المهاجرون والأنصار وسائر المسلمين ممّن آمن باللَّه ورسوله إلى يوم القيامة، وعلاوة على هذا فإنّ الرسول صلى الله عليه و آله كان بالمدينة ولم يكن يتعرّض للأذى فيها لكي يحتاج إلى مثل هذه الوصيّة.

الثالث: عن بعض آخر من مفسري أهل السنّة حيث يقولون: انّ المودّة بما يفعله العبد لأجل التقرّب إلى اللَّه سبحانه، وبعبارة أُخرى هي التودّد إليه بالطاعة والتقرّب، فالمعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تتودّدوا إليه تعالى بالتقرّب إليه.

وفيه: أنّ المخاطبين هم الأنصار والمهاجرين، وكلّهم يوادّون اللَّه تعالى، فلا يحتاج إلى التأكيد في حدّ أجر الرسالة، مضافاً إلى أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان يطلب من النّاس طاعة الخالق العزيز لا محبّته فقط؛ لأنّ المشرك يحاول التقرّب إلى اللَّه تعالى أيضاً.

الرابع: عن بعض المفسّرين منهم أنّه فسّر المودّة في القربى بعيال المسلمين وأقاربهم عامّة، أي أنّه صلى الله عليه و آله طلب التقرّب إليهم ووصل رحمهم، وهذا هو أجر الرسالة.

وفيه: أوّلاً: ما الأثر الّذي تتركه مودّة الأقارب على الرسالة الإسلاميّة؟

وثانياً: أنّ أجر الرسالة من المسائل الخطيرة الّتي يجب أن تعود بالفائدة على الرسالة.

ويظهر من جملة التفاسير المذكورة أنّ التفسير الأوّل هو الأرجح في أداء المعنى المراد.

مودّةُ ذوي القربى استمرار لدين الإسلام

إنّ المقصود من ذوي القربى في قوله تعالى: 'قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى' هو المعنى الّذي رجّحناه سابقاً، سيّما بعد ملاحظة الآيات الأُخرى في هذا الباب، وكذا آية 'وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً' الّتي تأتي بعد آية المودّة، فالمودّة المقصودة هي مودّة عليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وأبنائهم من الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ومن الطبيعي أنّ المودّة المقصودة في هذه الآية ليست المحبّة العادية، بل هي مودّة تُناسب حجم الرسالة السمحاء والمشاقّ الّتي تحمّلها الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله في سبيلها، وتلك المحبّة هي الّتي تكون وسيلة لقبول الولاية الإلهيّة، واستمرار الخطّ المحمّدي الأصيل وخلوده، فمودّة ذوي القربى في الآية الشريفة يُرادُ بها استمرار الإسلام بقيادة عليّ وأولاده عليهم السلام، وهم الخلفاء لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

وهذه الآية الشريفة تثبت الولاية والقيادة والخلافة لعليّ وأولاده عليهم السلام بعد الرسول صلى الله عليه و آله، ولا تعني المحبّة والصداقة السطحيّة والظاهريّة؛ لأنّ مجرّد محبّة أولاد الرسول صلى الله عليه و آله لم تكن تثبت أجر الرسالة، بل إنّ أجر الرسالة يجب أن يكون شيئاً ملموساً يُناسب موضوع الرسالة وحكمها، وهو حفظ قيادة عليّ وأولاده عليهم السلام بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

وإذا كان هناك ثمّة نفع فإنّه إنّما يكون للنّاس بأن يسلكوا طريق الحقّ ويحافظوا على دينهم، وإنّما يتحقّق ذلك بمودّة أهل البيت عليهم السلام "ذوي القربى" والتمسّك بقيادتهم الرساليّة.

إيضاح آخر:

تطالعنا في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن أنّ أنبياء اللّٰه كانوا يقولون لأُممهم: إنّنا لم نطلب أجراً مقابل هذه الرسالة إلا من اللّٰه جلّ وعلا 'وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ'. [سورة الشعراء: ١٠٩ و ١٢٧].

ونلمس من خلال القرآن الكريم الكثير من أقوال الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله الّتي تؤكّد هذا المعنى 'قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ'

[سورة سبأ: ٤٧].

ويقول عزّ وجلّ: 'قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً' [سورة الفرقان: ٥٧].

ويقول: 'قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ' [سورة ص: ٨٦].

وجاء في الآية مورد البحث 'قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى'.

ويتبيّن من خلال هذه الآيات ما قلناه، ففي الآية الأُولى ينفي وبشكل كامل أجر الرسالة إلا من اللّه تعالى. وفي الآية الثانية يقول: إنّه لا يطلب من أحد أي أجرٍ إلا العمل في سبيل اللّه، وأن يستجيب لدعوة اللّه تعالى. وفي الآية الثالثة يقول: إنّ أجر هذه الرسالة هو لكم. وفي الآية مورد البحث يقول: إنّ أجر رسالتي هو مودّة ذوي القربى وسلوك طريقهم الّذي يمثّل طريق الإسلام وطريق الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله. ولغرض توضيح هذه الحقائق بشكل جليّ في الآية التاليه: 'وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ'. [سورة الشورى: ٢٣].

وهل يتوخّى الإنسان قادةً ونماذج يقتدي بها أحسن من عليّ وفاطمة وأولادهما عليهم السلام؟! وما أجمل أن يتّخذ ذوي القربى "أهل البيت" عليهم السلام نموذجاً له ليحلّ معضلات وتعقيدات حياته، ويتّجه إلى توحيد الخالق...

وفي حديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'والّذي نفسي بيده، لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتّ يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن ماله ممّ كسبه، وفيم أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت'. [ينابيع المودّة: ١٠٦].

فكما أنّ السؤال في القيامة عن عمره وماله، فكذلك السؤال عن حبّ أهل البيت بمقدار اعتقاده بهم عليهم السلام، والعمل بما اعتقده.

نماذج من الأخبار

نشير هنا إلى بعض الروايات كنموذج لما جاء في هذا الباب من أحاديث، لكي يزال بها - إن شاء اللّه - ما يختلج أذهان البعض، ولكي يزدادوا مودّة لذوي القربى، واعتقاداً بأنّ ذوي القربى في الآية الكريمة، إنّما هم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

وقد وردت في ذلك روايات من طرق أهل السنّة، وتكاثرت الأخبار من طرق الشيعة كما مرّ بعضها على تفسير الآية بمودّة عترة النبيّ صلى الله عليه و آله من أهل بيته عليهم السلام وموالاتهم، وتؤيّده الأخبار المتواترة عن طريق الفريقين الدالّة على وجوب موالاة أهل البيت ومحبّتهم عليهم السلام، وفيما يلي بعضها الأُخر:

١- قال العلامة التستري في "الإحقاق": قوله تعالى: 'قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى'. [سورة الشورى: ٢٣].

روى الجمهور في الصحيحين وأحمد بن حنبل في مسنده، والثعلبي في تفسيره، عن ابن عبّاس رحمه الله، قال: لمّا نزلت: 'قُل لَا أَسْأَلُكُمْ' الآية، قالوا: يا رسول اللّٰه، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: 'عليّ وفاطمة وابناهما'، ووجوب المودّة يستلزم وجوب الطاعة.

[الإحقاق ٣:٢].

نقل عن الإمام الشافعي في وجوب إطاعتهم عليهم السلام شعراً وهو قوله:

يا أهل بيت رسول اللّٰه حبّكم*** فرض من اللّٰه في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنّكم*** من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

[مسند أحمد بن حنبل ٦:٣٢٣].

٢- روى الحافظ الكنجي الشافعي بسنده عن جابر بن عبداللّٰه، قال: جاء أعرابي إلى النبيّ صلى الله عليه و آله وقال: يا محمّد، اعرض عليَّ الإسلام؟ فقال: 'تشهد أن لا إله إلا اللّٰه، وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله'. قال: تسألني عليه أجراً؟ قال: 'لا، إلا المودّة في القربى'. قال: قرابتي أو قرابتك؟ قال صلى الله عليه و آله: 'قرابتي'، قال: هات أُبايعك، فعلى مَن لا يحبّك ولا يحبّ قرابتك لعنة اللّٰه، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'آمين'.

[الكفاية للكنجي: ٩٠].

٣- روى محيي الدين بن عربي في تفسيره: أنّ الآية "آية المودّة" لمّا نزلت، قيل: يا رسول اللّٰه، مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه و آله: 'عليّ وفاطمة والحسن والحسين وأبناؤهما'.

[تفسير القرآن ٢:٤٣٢].

٤- وفي "الغدير": أخرج أحمد في المناقب وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والواحدي والثعلبي وأبو نعيم والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب، بأسانيدهم عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول اللّٰه، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: 'عليّ وفاطمة وابناهما'.

[الغدير ٢:٣٠٧. ورواه محبّ الدين الطبري في الذخائر: ٢٥، والزمخشري في الكشّاف ٢:٣٣٩، والجويني في الفرائد، والنيشابوري في تفسيره، وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ٨ وصحّحه، والرازي في تفسيره، وأبو السعود في تفسيره "هامش تفسير الرازي" ٧:٦٦٥، وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة: ٢١٨، مخطوط، نقلاً عن الإحقاق ٣:٢، وأبو حيّان في تفسيره ٧:٥١٦، والنسفي في تفسيره "هامش تفسير

الخازن" ٤:٩٩، والحافظ الهيثمي في المجمع ٩:١٦٨، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة: ١٢، والحافظ الكنجي في الكفاية: ٣١، والقسطلاني في المواهب، وغير ذلك].

٥- وفي "الدرّ المنثور": أخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد، عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى، أن تحفظوني في أهل بيتي وتودّوهم بي".

[تفسير الدرّ المنثور ٦:٧].

٦- وفيه أيضاً: وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"، قالوا: يا رسول اللّٰه، مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودّتهم؟ قال صلى الله عليه و آله: "عليّ وفاطمة وولداها".

[تفسير الدرّ المنثور ٦:٧].

٧- وفيه أيضاً: عن ابن جرير، عن أبي الديلم، قال: لمّا جي ء بعليّ بن الحسين عليهماالسلام أسيراً فأُقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام، فقال له عليّ بن الحسين: "أقرأت القرآن؟"، قال: نعم، قال: "أقرأت آل حم؟"، قال: لا، قال: "أما قرأت "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"؟"، قال: فإنّكم لأنتم هم؟ قال عليه السلام: "نعم".

[تفسير الدرّ المنثور ٦:٧].

٨- و روى الطبرسي عن كتاب "شواهد التنزيل لقواعد التفضيل" مرفوعاً إلى أبي أُمامة الباهلي، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إنّ اللّٰه تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخُلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، "وفاطمة لقاحها"، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أنّ عبداً عبداللّٰه بين الصفا والمروة ألف عام، ثمّ ألف، ثمّ ألف عام، حتّى يصير كالشنّ البالي، ثمّ لم يدرك محبّتنا أكبّه اللّٰه على منخريه في النّار، ثمّ تلا: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى".

[تفسير مجمع البيان ٩:٢٨، وفي شواهد التنزيل ٢:١٤٠، ح ٨٣٧].

٩- وفيه أيضاً: وروى زاذان عن عليّ عليه السلام، قال: "فينا في آل حم آية لا يحفظ مودّتنا إلا كلّ مؤمن"، ثمّ قرأ هذه الآية: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ..."، وإلى هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في آل حم آية* تأوّلها مِنّا تقيٌّ ومُعرب**

[مجمع البيان ٩:٢٩].

١٠- روى البخاري، بسنده عن عبدالملك بن ميسرة، قال: سمعت طاووساً، عن ابن عبّاس أنّه سئل عن قوله: "إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمّد.

[صحيح البخاري ٥-٦:٥٠٢ ، باب ٤٦٧، ح ١٢٤٥].

١١- وروى أبو جعفر الطبري، عن سعيد بن جبير "إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"، قال: هي قربى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

[تفسير الطبري ٢٥:١٦].

١٢- وروى الحاكم النيسابوري بسنده عن عليّ بن الحسين عليهماالسلام، قال: خطب الحسن بن عليّ النّاس حين قتل عليّ عليه السلام، فحمد اللّٰه وأثنى عليه... إلى أن قال: "وأنا من أهل البيت الذين أذهب اللّٰه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض اللّٰه مودّتهم على كلّ مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه و آله: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً"، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت".

[المستدرك ٣:١٧٢].

١٣- عن أبي الطفيل، قال: خطبنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فحمد اللّٰه وأثنى عليه، وذكر أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام خاتم الأوصياء، ووصيّ الأنبياء، وأمين الصدّيقين والشهداء، ثمّ قال: أنا ابن النبيّ، أنا ابن الداعي إلى اللّٰه بإذنه، أنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الّذي أُرسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب اللّٰه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض اللّٰه تعالى مودّتهم وولايتهم، فقال فيما أُنزل على محمّد: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى".

[شرح ابن أبي الحديد ٤:١١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩:١٤٦، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة: ١٦٦، والكنجي في الكفاية: ٣٢، وغيرهم، نقلاً عن الغدير ٢:٣٠٨، ومقاتل الطالبيّين: ٣٢].

وفي لفظ الحافظ الزرندي في "نظم درر السمطين": قال الحسن بن عليّ عليه السلام: "وأنا من أهل البيت الذين كان جبريل عليه السلام ينزل فينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الّذي افترض اللّٰه تعالى مودّتهم على كلّ مسلم، وأنزل اللّٰه فيهم: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً...". [الغدير ٢:٣٠٩].

ايرادان على الآية وجوابهما

الايراد الأوّل: عن بعض علماء العامّة: الاستثناء منقطع، والمعنى كذا: "لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً، لكن المودّة في القربى حاصلة بيني وبينكم"، فلهذا أسعى واجتهد في هدايتكم وتبليغ الرسالة إليكم.

الايراد الثاني: انّ الاستثناء فى الآية متّصل، والمعنى: لا أسألكم عليه أجراً من الأُجور إلا المودّة في قرابتي، وظاهر الآية على هذا المعنى شامل لجميع قرابات النبيّ صلى الله عليه و آله، ولو خصّصناه بأهل البيت لا يدلّ على خلافة عليّ "ووجوب طاعته"، بل يدلّ على وجوب مودّته، ونحن نقول: إنّ مودّته واجبة على كلّ المسلمين، والمودّة على فرض أن تكون مع الطاعة، ولكن لا كلّ مطاع يجب أن يكون صاحب الزعامة الكبرى.

[هذان الايرادان اقتباس من الإحقاق ٣:١٩، وتفسير الزمخشري "الكشّاف" ٣:٤٦٦].

الجواب: أقول في دفع الإيراد الأوّل: إنّ الاستثناء المنقطع مجاز، واقع على خلاف الأصل، ولا يحمل الاستثناء على المنقطع إلا لتعذّر المتّصل، وقد صرّح به الشارح العضدي حيث قال: واعلم أنّ الحقّ إنّ المتّصل أظهر، فلا يكون مشتركاً ولا للمشترك، بل حقيقة فيه ومجاز في المنقطع، ولذلك لم يحمله علماء الأمصار على المنفصل إلا عند تعذّر المتّصل، حتّى عدلوا للحمل على المتّصل على الظاهر وخالفوه، ومن ثمّ قالوا في قوله: له عندي مائة درهم إلا ثوباً، وله عليَّ إبل إلا شاة، معناه: إلا قيمة ثوب، أو قيمة شاة، فيرتكبون الإضمار، وهو خلاف الظاهر ليصير متّصلاً، ولو كان في المنقطع ظاهراً لم يرتكبوا مخالفة ظاهر حذراً عنه، انتهى كلامه.

وأمّا الإيراد الثاني، وهو قوله: إنّ كون ظاهر الآية على هذا المعنى شاملاً لجميع قرابات النبيّ صلى الله عليه و آله فمسلّم، لكن الحديث الصحيح الّذي يبلغ حدّ التواتر خصّصها بعليّ وفاطمة وابنيهما عليهم السلام، كما ذكرناه.

وأمّا قوله: إنّه لا يدلّ على خلافة عليّ عليه السلام فجهل صرف أو تجاهل وعناد محض؛ لظهور الآية على أنّ مودّة عليّ عليه السلام واجبة، حيث جعل اللّٰه تعالى أجر الرسالة بما يستحقّ به الثواب الدائم مودّة ذوي القربى، وإنّما يجب ذلك مع عصمتهم؛ إذ مع وقوع الخطأ منهم يجب ترك مودّتهم لقوله تعالى: "لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"

[سورة المجادلة: ٢٢].

الآية...، وغير عليّ عليه السلام ليس بمعصوم بالاتّفاق

[وسيأتيك البحث في عصمته عليه السلام في فصل "عليّ عليه السلام والإمامة والحكومة"].

فتعيّن أن يكون هو الإمام صاحب الزعامة الكبرى.

وقد روى ابن حجر في الباب الحادي عشر من "الصواعق" عن إمامه الشافعي شعراً في وجوب ذلك، كما مرّ آنفاً وهو قوله:

يا أهل بيت رسول اللَّه حبّكم* فرض من اللَّه في القرآن أنزله**

كفاكم من عظيم الشأن أنّكم* من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له**

على أنّ إقامة الشيعة للدليل على إمامة عليّ عليه السلام على أهل السنّة غير واجب، بل تبرّعي؛ لاتّفاق أهل السنّة معهم على إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، غاية الأمر أنّ الشيعة ينفون الواسطة وأهل السنّة يثبتونها، والدليل على المثبت - يعني أهل السنّة - دون النافي - يعني الشيعة - إلا أن يرتكبوا خرق الإجماع بإنكار إمامته مطلقاً، فحينئذٍ يجب على الشيعة إقامة الدليل، واللَّه الهادي إلى سواء السبيل.

[انظر: الإحقاق ٣:٢١، والايرادات الواهية على الآية كثيرة، فمن أرادها بتفصيلها مع جوابها فليراجع الفصول المهمّة للسيّد شرف الدين: ٣٢٣، وتفسير الميزان ٤٨ - ٤٣ :١٨].

عليّ و آية الولاية

قوله تعالى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" "سورة المائدة: ٥٥" نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

المناقب لابن المغازلي: ٣١١، الرقم ٣٥٤، وتفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٣، وشواهد التنزيل ١:١٦١.

نظرة في آية الولاية

الولاية نوع من حكومة الشعب على الشعب، وهي تعني القيام بأمر الناس وتدبير شؤونهم، ومن هذا الباب وليّ اليتيم، ووليّ المرأة، ويقال للسلطان: وليّ الأمر، وقد جعل اللَّه تعالى مثل هذه الولاية للنبيّ صلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومين عليهم السلام إلى قيام الساعة.

وفي اعتقادنا ـ نحن الشيعة ـ أنّ الولاية والحكومة مختصّة باللَّه تعالى "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ" وهو تعالى قد فوّض هذه الولاية والحكومة إلى النبيّ "وَرَسُولُهُ" ومن بعده إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب باب علم رسول اللَّه "الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ".

[سورة المائدة: ٥٥].

ومع أنّ اسم عليّ عليه السلام لم يذكر صريحاً في هذه الآية الشريفة لحكم ومصالح، شأنها شأن كثير من الآيات النازلة في عليّ عليه السلام، إلا أنّ هذه الآية لمّا نزلت على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان عليّ عليه السلام مصداقها الوحيد؛ إذ طبقاً للروايات المستفيضة المتواترة من طرق الفريقين فإنّ عليّاً عليه السلام كان راكعاً في صلاته وتصدّق بخاتمه على الفقير، فنزلت هذه الآية على الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، فلما سمع من في المسجد بنزول الآية الشريفة؛ فكبّر بعد تكبير النبيّ صلى الله عليه و آله ولذلك ورد في الخبر التالي أنّ عمر بن الخطّاب قد تصدّق بأربعين خاتماً وهو في الركوع لعلّ آية تنزل فيه، فما نزلت.

و روى الصدوق عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قول اللَّه عزّ وجلّ: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا..." الآية، قال: "إنّ رهطاً من اليهود أسلموا منهم: عبداللَّه بن سلام، وأسد، وثعلبة، وابن يامين، وابن صوريا، فأتوا النبيّ صلى الله عليه و آله فقالوا: يا نبيّ اللَّه، إنّ موسى عليه السلام أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيّك يا رسول اللَّه، ومن وليّنا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" الآية. قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: قوموا، فقاموا، فأتوا المسجد فإذا سائلٌ خارجٌ فقال: يا سائل، أما أعطاك أحدٌ شيئاً؟ قال: نعم، هذا الخاتم. فقال: مَن أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الّذي يصلّي. قال: على أيّ حالٍ أعطاك؟

قال: راكعاً، فكبّر النبيّ صلى الله عليه و آله وكبّر أهل المسجد، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: عليّ بن أبي طالب وليُّكم بعدي. قالوا: رضينا باللّه ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد صلى الله عليه و آله نبيّاً، وبعليّ بن أبي طالب وليّاً، فأنزل اللّه عزّ وجلّ: 'وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ' [سورة المائدة: ٥٦].

فروي عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: واللّه لقد تصدّقتُ بأربعين خاتماً وأنا راكعٌ ليَنزل فيَّ ما نزل في عليّ بن أبي طالب، فما نزل'.

[أمالي الصدوق - المجلس السادس والعشرون: رقم ٤، وتفسير نور الثقلين ١:٦٤٨].

المستفاد من الآية أنّ الأئمّة هم أولياء الأمر

لا يخفى أنّه لم يكن نزول الآية من أجل التصدّق في حالة الركوع ليظنّ عمر وأمثاله بأنّهم إذا ما تصدّقوا بخاتم فستنزل فيهم آية! كلا، بل إنّ المقومات الذاتيّة لشخصيّة عليّ عليه السلام وامتلاكه الخصوصيّات المعنويّة هي الّتي أدّت إلى نزول الآية؛ إذ لا بدّ لنزول الآية من سبب، وكان التصدّق في الركوع سبباً لنزول الآية، ولذلك فإنّ عليّاً عليه السلام حتّى لو لم يتصدّق بخاتمه في الصلاة، فإنّه وليّ اللّه بعد النبيّ صلى الله عليه و آله على كلّ حال، ولهذا أيضاً فإنّ الأئمّة الآخرين لم يتصدّقوا بخاتم وهم في ركوعهم، لكنّهم داخلون في هذه الآية

[كما أشار إلى هذا المعنى ما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وسيأتيك لفظ الحديث عاجلاً، إن شاء اللّه].

فإنّ ضمائر الآية قد جاءت بصيغة الجمع "الذين، يقيمون، يؤتون، وهم، راكعون"، مع أنّ عليّاً عليه السلام كان فرداً واحداً، ولو كان المراد شخص عليّ عليه السلام لجاءت الضمائر بصيغة المفرد "الّذي، يقيم، يؤتي، وهو، راكع".

[ويحتمل أنّ مجي ء الضمائر بصيغة الجمع إنّما هو لأجل الاحترام والتعظيم، وسيأتي في آخر الفصل عند بحث الإشكالات الواردة على الآية توضيحه].

إذن يعلم من ذلك أنّ الضمائر جاءت بصيغة الجمع لتفهم النّاس أنّ عليّاً عليه السلام لا ينفرد بالولاية، بل إنّ كلّ من يمتلك خصوصيّات عليّ عليه السلام وكمالاته بعده فهو وليّ النّاس، كما أنّ اللّه ورسوله وليّاهم. ومن المتيقّن أنّ الأئمّة المعصومين هم أكمل النّاس وأفضلهم، ولهم مقام العصمة والطهارة، وعليه فالوليّ بعد عليّ، الحسن، ومن بعده الحسين و... وعلى هذا فحتّى لو لم تكن بين أيدينا الروايات الدالّة على أنّ الأئمّة

المعصومين عليهم السلام هم أولياء الأمر، فإنّ هذه الآية ترشدنا إلى هذه الحقيقة الإلهيّة الإسلاميّة المهمّة، ولذلك يمكن القول بأنّ هذه الآية الشريفة، وبملاحظة الروايات الكثيرة الواردة في شأن نزولها، تدلّ على خلافة عليّ لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله مباشرة، ومن بعده الأئمّة المعصومين عليهم السلام، خليفة اللَّه و وليّ الأمر للناس. ونشير هنا إلى رواية في هذا المقام:

ففي "تفسير العيّاشي": عن ابن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبداللَّه عليه السلام: أعرض عليك ديني الّذي أدين اللَّه به؟ قال: 'هاته'. قلت: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أنّ محمّداً رسول اللَّه، وأقرّ بما جاء به من عند اللَّه، قال: ثمّ وصفتُ له الأئمّة حتّى انتهيتُ إلى أبي جعفر، قلت: وأُقرّ بك

[وفي بعض النسخ: 'وأقول فيك'].

ما أقول فيهم. فقال: 'أنهاك أن تذهب باسمي في النّاس'.

قال أبان: قال ابن أبي يعفور: قلت له مع الكلام الأوّل: وأزعم أنّهم الذين قال اللَّه في القرآن: 'أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ'، فقال أبو عبداللَّه عليه السلام: 'والآية الأُخرى فاقرأ'؟ قال: قلت له: جُعلتُ فداك، أيُّ آيةٍ؟ قال: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ'. قال: فقال: 'رحمك اللَّه'، قال: قلت: تقول رحمك اللَّه على هذا الأمر؟ قال: فقال: 'رحمك اللَّه على هذا الأمر'. [تفسير العيّاشي ١:٣٢٧].

طرق الأحاديث الواردة في شأن نزول الآية

في المناقب لابن شهر آشوب قال: أجمعت الأُمّة أنّ هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام لمّا تصدّق بخاتمه وهو راكع، لا خلاف بين المفسّرين في ذلك، ذكره الثعلبي، والماوردي، والقشيري، والقزويني، والرازى، والنيسابوري، والفلكي، والطوسي، والطبري، في تفاسيرهم، عن السدّي، ومجاهد، والحسن، والأعمش، وعتبة بن أبي حكيم، وغالب بن عبداللَّه، وقيس بن الربيع، وعباية الربعي، وعبداللَّه بن عبّاس، وأبي ذرّ الغفاري، وذكره ابن الربيع في "معرفة أُصول الحديث" عن عبداللَّه بن عبيد اللَّه، عن عمر بن عليّ بن أبي طالب، والواحدي في "أسباب نزول القرآن"، عن الحلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، والسمعاني في "فضائل الصحابة"، عن حميد الطويل، عن أنس، وسلمان بن أحمد في "معجمه الأوسط"، عن عمّار، وأبو بكر البيهقي في "المصنّف"، ومحمّد الفتّال في "التنوير"، وفي "الروضة" عن عبداللَّه بن سلام، وأبي صالح، والشعبي، ومجاهد، وزرارة بن أعين، عن محمّد بن عليّ، والنطنزي في "الخصائص" عن ابن

عبّاس، و"الإبانة" عن الفلكي، عن جابر الأنصاري، وناصح التميمي وابن عبّاس، والكلبي في روايات مختلفة الألفاظ متّفقة المعاني.

ثمّ قال: وفي "أسباب النزول" عن الواحدي أنّ عبدالله بن سلام أقبل ومعه نفر من قومه، وشكوا بُعد المنزل عن المسجد وقالوا: إنّ قومنا لمّا رأونا أسلمنا رفضونا ولا يكلّمونا ولا يجالسونا ولا يناكحونا، فنزلت هذه الآية، فخرج النبيّ صلى الله عليه و آله إلى المسجد، فرأى سائلاً فقال: 'هل أعطاك أحد شيئاً؟'، قال: نعم، خاتم فضّة،... قال صلى الله عليه و آله: 'من أعطاكه؟'، قال: أعطانيه هذا الراكع | وأشار إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام|. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢].

و روى المجلسي: عن السيّد ابن طاووس في كتاب "سعد السعود": رأيت في تفسير محمّد بن العبّاس بن عليّ بن مروان أنّه روى نزول آية 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا' الآية

[سورة المائدة: ٥٤].

في عليّ عليه السلام من تسعين طريقاً بأسانيد متّصلة كلّها، أو جلّها من رجال المخالفين لأهل البيت عليهم السلام. [البحار ٣٥:٢٠١].

وقاله أيضاً ما ملخّصه: أنّ الآية نازلة في عليّ عليه السلام، وعليه إجماع المفسّرين، وقد رواها الزمخشري والبيضاوي والرازي في تفاسيرهم مع شدّة تعصّبهم، وكثرة اهتمامهم في إخفاء فضائله عليه السلام؛ إذ كان هذا في الاشتهار كالشمس في رائعة النهار، فإخفاء ذلك ممّا يكشف الأستار عن الّذي انطوت عليه ضمائرهم الخبيثة من بغض حيدر الكرّار.

[المصدر السابق: ٢٠٥].

نبذة من الأخبار في سبب نزول الآية

حديث أمير المؤمنين عليّ

اخرج السيوطي عن ابن مردويه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: "نزلت هذه الآية على رسول الله في بيته 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ' الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله: دخل المسجد وجاء النّاس يصلّون بين راكع وساجد وقائم يُصلّي فإذا سائل، فقال: يا سائل، هل أعطاك أحدٌ شيئاً؟ قال: لا، إلا ذاك الراكع "مشيراً إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام" أعطاني خاتمه'.

[تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٣، وشواهد التنزيل ١:١٧٥، ح ٢٣٣].

و روى البحراني عن "احتجاج الطبرسي" في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: 'قال المنافقون لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: هل بقي لربّك علينا بعد الذى فرض علينا شي ء آخر يفترضه فيذكر فتسكن أنفسنا إلى أنّه لم يبق غيره؟ فأنزل اللَّه في ذلك: 'قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ'

[سورة سبأ: ٤٦].

يعني الولاية، فأنزل اللَّه: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ'، وليس بين الأُمّة خلاف أنّه لم يؤت الزكاة يومئذٍ وهو راكعٌ غير رجل واحد، لو ذكر اسمه في الكتاب لأُسقط ما أُسقط من ذكره'.

[غاية المرام: ١٠٩، الباب ١٩ من المقصد الأوّل، رقم ٩].

حديث أبي ذرّ

روي بالإسناد عن أبي ذرّ رضى الله عنه بطرق متعدّدة أنّه قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بهاتين، وإلا صمتا، ورأيته بهاتين وإلا فعميتا، يقول: 'عليّ قائدُ البررة، وقاتلُ الكفرة، منصورٌ من نصره، ومخذول من خذله'، أما إنّي صلّيتُ مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوماً من الأيّام صلاة الظهر، فسأل سائر في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللّهمّ اشهد أنّي سألتُ في مسجد رسول اللَّه فلم يعطني أحدٌ شيئاً، وكان عليّ عليه السلام راكعاً، فأومأ بخنصره اليمنى إليه - وكان يتختّم فيها - فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فلمّا فرغ النبيّ صلى الله عليه و آله من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: 'اللّهمّ إنّ أخي موسى سألك فقال: 'رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي'

[سورة طه: ٣٢ - ٢٥].

فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: 'سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا'

[سورة القصص: ٣٥].

اللّهمّ وأنا محمّد نبيّك وصفيّك، اللّهمّ فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً، أشدد به ظَهري'.

قال أبو ذرّ: فوَاللَّه ما استتمّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الكلمة حتّى نزل عليه جبرئيل من عند اللَّه تعالى، فقال: يا محمّد، اقرأ، قال: 'وما أقرأ؟'. قال: اقرأ: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ'.

[تفسير مجمع البيان ٣:٢١٠، تفسير الميزان ٦:١٩، فرائد السمطين ٦:١٩١، كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٢٢، البحار ٣٥:١٩٤، شواهد التنزيل ١:١٧٧، ح ٢٣٥، تفسير الرازي ١٢:٢٦، فضائل الصحابة ٢:٦٧٨، ح ١١٥٨، تذكرة الخواصّ: ١٥، كنز العمّال ١١، ح ٣٢٩٠٩].

حديث الإمام الباقر

في "تفسير عليّ بن إبراهيم" في ذيل قوله تعالى: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ' الآية، قال: حدّثني أبي، عن صفوان، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: بينما رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جالسٌ وعنده قومٌ من اليهود وفيهم عبداللَّه بن سلام؛ إذ نزلت عليه هذه الآية، فخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى المسجد فاستقبله سائل، فقال: 'هل أعطاك أحدٌ شيئاً'؟ قال: نعم، ذاك المصلّي، فجاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فإذا هو عليّ أمير المؤمنين عليه السلام. [تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي ١:١٧٠، وتفسير نور الثقلين ١:٦٤٥].

حديث ابن عبّاس

روى السيوطي عن ابن عبّاس، قال: تصدّق عليّ عليه السلام بخاتمه وهو راكع، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله للسائل: 'من أعطاك هذا الخاتم؟'، قال: ذاك الراكع، فأنزل اللَّه: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ' الآية.

[تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٣].

وعنه أيضاً عن ابن عبّاس، في قوله تعالى: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ' الآية، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٣].

وعنه أيضاً: عن ابن عبّاس، قال: أتى عبداللَّه بن سلام ورهطٌ معه من أهل الكتاب، نبيّ اللَّه صلى الله عليه و آله عند الظهر فقال: يا رسول اللَّه، إنّ بيوتنا قاصيّة لا نجد من يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد، وإنّ قومنا لمّا رأونا قد صدقنا اللَّه ورسوله وتركنا دينهم أظهروا العداوة، وأقسموا أن لا يخالطونا ولا يؤاكلونا، فشقّ ذلك علينا، فبينا هم يشكون ذلك إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذ نزلت هذه الآية على رسول اللَّه، 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا' الآية، ونودي بالصلاة صلاة الظهر، وخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله

فإذا بسائل، فقال: "أعطاك أحدٌ شيئاً؟"، قال: نعم، قال: "مَن؟"، قال: ذاك الرجل القائم، قال: "على أيّ حال أعطاكه؟"، قال: وهو راكعٌ، قال: "وذاك عليّ بن أبي طالب"، فكبّر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عند ذلك وهو يقول: "وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ".

[المصدر السابق، وكذا في شواهد التنزيل ١:١٨١، والآية من سورة المائدة: ٥٦، و روى نحوه في فرائد السمطين ١:١٩٣، رقم ١٥٢، وكشف الغمّة - باب المناقب ١:٤١٢، روح المعاني ٦:١٦٧].

و عن ابن المغازلي الشافعي، بإسناده إلى ابن عبّاس، قال: مرّ سائل بالنبيّ صلى الله عليه و آله وفي يده خاتم، فقال صلى الله عليه و آله: "مَن أعطاك هذا الخاتم؟". قال: ذاك الراكع، وكان عليّ عليه السلام يصلّي، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "الحمد للّٰه الّذي جعلها فيَّ وفي أهل بيتي "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" الآية"، وكان على خاتمه الّذي تصدّق به "سبحان مَن فخري بأنّي له عبدٌ".

[المناقب لابن المغازلي: ٣١٢، ح ٣٥٦، وروى نحوه عن ابن عبّاس بسند آخر: ٣١٣، ح ٣٥٧].

حديث عمّار بن ياسر

روى السيوطي عن عمّار بن ياسر، قال: وقف بعليّ عليه السلام سائلٌ وهو راكعٌ في صلاة تطوّع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فأعلمه بذلك، فنزلت على النبيّ صلى الله عليه و آله هذه الآية: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" الآية، فقرأها رسول اللّٰه على أصحابه، ثمّ قال: "من كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ من عاداه".

[تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٣، ورواه العيّاشي في تفسيره ١:٣٢٧، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١:١٧٣، ح ٢٣١].

حديث سلمة بن كهيل

روى السيوطي عن سلمة بن كهيل، قال: تصدّق عليّ عليه السلام بخاتمه وهو راكعٌ، فنزلت "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" الآية.

[تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٣].

حديث مجاهد

و روى السيوطي عن مجاهد في قوله: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ..." الآية، نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام تصدّق وهو راكع.

[تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٣].

حديث ابن سلام

روى المجلسي عن "الطرائف" من كتاب "الجمع بين الصحاح الستّة" من صحيح النسائي، عن ابن سلام، قال: أتيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقلتُ: إنّ قومنا حادّونا لمّا صدّقنا اللَّه ورسوله، وأقسموا أن لا يُكلّمونا، فأنزل اللَّه تعالى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا" الآية. ثمّ أذّن بلال لصلاة الظهر، فقام النّاس يصلّون، فمن بين ساجدٍ وراكعٍ، وسائل إذا سأل، فأعطى عليّ عليه السلام خاتمه وهو راكعٌ، فأخبر السائل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقرأ علينا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" - إلى قوله تعالى: - "الْغَالِبُونَ".

[البحار ٣٥:١٩٩، وغاية المرام: ١٠٤، الباب ١٨ من المقصد الأوّل، رقم ٨].

حديث أبي رافع

وفي "تفسير الدرّ المنثور" بسنده عن أبي رافع، قال: دخلت على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو نائم يوحى إليه، فإذا حيّة في جانب البيت، فكرهت أن أبيت عليها فأُوقظ النبيّ صلى الله عليه و آله، وخفت أن يوحى إليه، فاضطجعت بين الحيّة وبين النبيّ لئن كان سوء كان فيَّ دونه، فمكث ساعة، فاستيقظ النبيّ وهو يقول: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ..." الحمد للَّه الّذي أتمّ لعليّ نعمه وحيّا لعليّ بفضل اللَّه إيّاه".

[تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٤].

حديث أنس بن مالك

روى الجويني بإسناده عن أنس بن مالك أنّه قال: إنّ سائلاً أتى المسجد وهو يقول: مَن يقرض المليّ الوفيّ؟ وعليّ عليه السلام راكع يقول بيده خلفه للسائل: خذه، أي اخلع الخاتم من يدي، قال: فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "يا عمر، وجبت"، قال عمر: بأبي أنت وأُمّي يا رسول اللَّه، ما وجبت؟ قال صلى الله عليه و آله: "وجبت له الجنّة، واللَّه ما خلعه من يده حتّى خلعه اللَّه من كلّ ذنب، ومن كلّ خديعة".

[فرائد السمطين ١:١٨٧، ح ١٤٩].

ونقل العلامة الأميني الحديث عن أنس، وزاد في آخره: فما خرج أحد من المسجد حتّى نزل جبرئيل بقول اللَّه عزّ وجلّ: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ" الآية. [الغدير ٣:١٦٢].

فيما قيل من الشعر في آية المودّة

أنشأ حسّان بن ثابت في هذه الفضيلة مشيراً إلى نزول الآية:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي*** وكلّ بطيئ في الهدى ومسارع

فأنتَ الّذي أعطيت إذ أنت راكع*** فدتك نفوس القوم يا خير راكع

بخاتمك الميمون يا خير سيّد*** ويا خير شارٍ ثمّ يا خير بايع

فأنزل فيك اللّٰه خير ولاية*** وبيّنها في محكمات الشرائع

[الغدير ٣:١٥٦، كشف الغمّة ١:٤١٢، فرائد السمطين ١:١٩٠، بحار الأنوار ٣٥:١٩٧، شواهد التنزيل ١:١٨٢، تذكرة الخواصّ: ١٥ و ١٦، كفاية الطالب: ٢٢٨، مناقب الخوارزمي: ١٨٦، تفسير روح المعاني ٦:١٦٧].

و عنه أيضاً ذلك قولة:

من ذا بخاتمه تصدّق راكعاً*** وأسرّها في نفسه إسرارا

من كان بات على فراش محمّد*** ومحمّد أسرى يؤمّ الغارا

من كان في القرآن سمّي مؤمناً*** في تسع آيات تلين غزارا

[الغدير ٢:٤٧].

وأنشأ ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت رضى الله عنه:

فديت عليّاً إمام الورى*** سراج البريّة مأوى التقى

وصيّ الرسول وزوج البتول*** إمام البريّة شمس الضحى

تصدّق خاتمه راكعاً*** فأحسِن بفعل إمام الورى

ففضّله اللّٰه ربّ العباد*** وأنزل في شأنه هل أتى

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٦].

وأنشأ السيّد الحميري:

من كان أوّل من تصدّق راكعاً*** يوماً بخاتمه وكان مشيرا

من ذاك قول اللّٰه إنّ وليّكم*** بعد الرسول ليعلم الجمهورا

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٦].

و عنه أيضاً:

وأوّل مؤمن صلّى وزكّى*** بخاتمه على رغم الكفور

وقد وجب الولاء له علينا*** بذلك في الجهار وفي الضمير

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٦].

تفسير ألفاظ الآية وتوضيحها

قوله تعالى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا" الآية، لا ريب في أنّ المراد بالولاية هنا ولاية اللَّه والرسول المطلقة، وأنّها التصرّف في شؤون المسلمين، وليس مجرّد المحبّة والنصرة، قال اللَّه تعالى: "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ"

[سورة الأحزاب: ٦].

والولاية في هذه الآية تفسير وتبيين للولاية في الآية "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"، وقوله: "وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" أي أنّ الولاية الّتي للَّه وللرسول ثابتة أيضاً لمن جمع بين الزكاة والركوع.

وقال الرازي: فسّرت الولاية هنا بمعنى الناصر، لا بمعنى المتصرّف، ولكنّ الإماميّة تقول: إنّ لفظ اللَّه تعالى والرسول، ومن جمع بين الزكاة والركوع في الصلاة جاء في آية واحدة، وولاية اللَّه والرسول معناها التصرّف، فيجب أيضاً أن يكون هذا المعنى بالذات مراداً من ولاية مَن جمع بين الوصفين، وإلا لزم أن يكون لفظ الولاية مستعملاً في مختلفين في آن واحد وهو غير جائز.

[أخذنا هذا الكلام من تفسير الكاشف ٣:٨١.

وفي الولاية بحيث مستوفٍ أوردناه في فصل "عليّ عليه السلام يوم الغدير"، فلاحظه].

قوله: "وَالَّذِينَ آمَنُوا" وإن كان عامّاً إلا أن إطلاق الجمع على إرادة الخاصّ - أي الواحد - تعظيماً، شائع في اللغة والعرف، وهو كثير في القرآن الكريم أيضاً، كقوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً" [سورة نوح: ١].

و"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ" [سورة الحجر: ٩].

و"وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ" [سورة الذاريات: ٤٧].

و"الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ" [سورة آل عمران: ١٧٣].

مع أنّ القائل كان واحداً وهو اللَّه تعالى في الآيات الأُول، وفي عرف العرب والعجم إذا خاطبوا واحداً يقولون فعلتم كذا، وقلتم كذا، تعظيماً له.

وقال الزمخشري: إن قلت: كيف صحّ أن يكون لعليّ واللفظ لفظ جماعة.

قلت: جي ء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب النّاس في مثل فعله، فينالوا مثل ثوابه، ولينبّه على أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان، وتفقّد الفقراء حتّى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخّروه إلى الفراغ منها.

[تفسير الكشّاف ١: ٦٢٤].

أقول: على أنّه يظهر من بعض الأخبار أنّ المراد به جميع الأئمّة عليهم السلام، وأنّ المعصومين عليهم السلام قد وفّقوا جميعاً لمثل تلك الفضيلة، أي كونهم ولاة الأمر والقادة الرساليّين بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وفيما يلى بعض الحديث الدالّ على ذلك.

و في تفسير "نور الثقلين": عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث قال: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا' الآية 'يعني الأئمّة منّا'.

[تفسير نور الثقلين ١: ٦٤٦].

وفيه أيضاً: عن الحسين بن أبي العلاء، قال: قلت لأبي عبداللّٰه عليه السلام: الأوصياء طاعتهم مفترضة؟ قال عليه السلام: 'نعم، هُم الذين قال اللّٰه عزّ وجل: 'أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ'، وهم الذين قال اللّٰه تعالى: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...' الآية. [المصدر السابق: ٦٤٧].

وكذلك استدلّ عليّ بن موسى الرضا عليهماالسلام في مجلسه مع المأمون بهذه الآية، فقال: 'وكذلك آية الولاية 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا' الآية، فجعل ولايتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته، كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقروناً بسهمه في الغنيمة والفي ء، فتبارك وتعالى ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت!'. [المصدر السابق: ٦٤٧].

وقال العلامة المجلسي: وأيضاً كلّ من قال: بأنّ المراد بالوليّ في هذه الآية ما يرجع إلى الإمامة قائل بأنّ المقصود بها عليّ عليه السلام ولا قائل بالفرق، فإذا ثبت الأوّل ثبت الثاني. [البحار ٣٥: ٢٠٦].

وأمّا قوله تعالى: 'وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ'، المراد من الزكاة فيه هي الصدقة؛ لأنّ الزكاة وإن اشتهرت في الشرع بأنّها الصدقة الواجبة لكنّها تطلق على المستحبّة أيضاً بكثرة. وقوله تعالى: 'وَهُمْ رَاكِعُونَ' حال لضمير يؤتون، أي ويؤتون الزكاة في حال ركوعهم.

ايرادات واهية على الآية نذكرها مع أجوبتها

ايراد الزمخشري على الاستدلال بالآية

بقوله:

"وَهُمْ رَاكِعُونَ" الواو فيها للحال، والركوع بمعنى الخشوع والخضوع، أي: يعلمون ذلك في حال الركوع، وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله تعالى، إذا صلّوا وإذا زكّوا.

[تفسير الكشّاف ١: ٦٢٤].

انتهى محلّ الشاهد من كلامه، وعلى هذا يكون معنى الآية: ليس أولياؤكم اليهود والنصارى والمنافقين، بل أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم في جميع هذه الأحوال خاضعون لساحة الربوبيّة بالسمع والطاعة، وإنّهم يؤتون الزكاة وهم فقراء معسرون.

وأقول في الجواب:

الركوع وإن كان في اللغة بمعنى مطلع الخشوع والخضوع، لكنّه صار في الشرع اسماً لركوع الصلاة، كما أنّ الصلاة كان معناها في اللغة مطلق الدعاء، ولكنّها صارت في عرف المتشرّعة والشرع حقيقة لذات الأركان، فقوله تعالى: "وَهُمْ رَاكِعُونَ" لا يصحّ أن يراد به وهم خاضعون؛ لأنّ الحقيقة الشرعيّة والعرفيّة مقدّمة على الحقيقة اللغوية، ولم يستعمل في القرآن إلا في ذلك المعنى كقوله: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ" [سورة المرسلات: ٤٨].

"يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ" [سورة آل عمران: ٤٣].

"الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ" [سورة التوبة: ١١٢].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة في القرآن المشتملة على لفظ الركوع الّذي هو ركوع الصلاة لا الخشوع والتواضع.

مضافاً إلى أنّ الروايات متكاثرة من طرق أهل السنّة والشيعة على أنّ الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام لمّا تصدّق بخاتمه وهو في الصلاة، كما مرّ نزر منها.

ما أورده الفخر الرازي على الاستدلال

بقوله:

انّ في قوله تعالى: "الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" قولان:

الأوّل: أنّ المراد عامّة المؤمنين؛ وذلك لأنّ عبادة بن الصامت لمّا تبرّأ من اليهود، وقال: أنا بري ء إلى الله من حلف قريظة والنضير، وأتولّى الله ورسوله، نزلت هذه الآية على وفق قوله. ثمّ قال: وروي أيضاً أنّ عبدالله بن سلام، قال: يا رسول الله، إنّ قومنا قد هجرونا، وأقسموا أن لا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة

أصحابك لبعد المنازل، فنزلت هذه الآية، فقال: رضينا باللّه ورسوله وبالمؤمنين أولياء، فعلى هذا الآية عامّة في حقّ كلّ المؤمنين، فكلّ من كان مؤمناً فهو وليّ كلّ المؤمنين، إلى آخره.

[تفسير الفخر الرازي ٣:٤١٦].

و ثانياً: أنّ المراد من هذه الآية شخص معيّن، وفي هذا جملة أقوال: منها: روى عكرمة: أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر، ومنها: روى عطاء، عن ابن عبّاس: أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

رُوي أنّ عبداللّه بن سلام قال: لمّا نزلت هذه الآية قلت: يا رسول اللّه، أنا رأيت عليّاً تصدّق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه، وروى حديث أبى ذرّ الّذي قدّمناه في سبب نزول الآية.

[تفسير الفخر الرازي ٣:٤١٧].

أقول في الجواب:

أولاً: علم من مجموع ما سلف أنّ احتمال إرادة عموم المؤمنين ضعيف، لا يعوّل عليه، ولا يرجع إلى مستند، ولا يعارض الأخبار الكثيرة الدالّة على أنّ نزولها في عليّ عليه السلام، وأنّ وجود القائل به غير متحقّق، مضافاً إلى أنّه على هذا الاحتمال تكون الواو في 'وَهُمْ رَاكِعُونَ' عاطفة من عطف الخاصّ على العامّ كما في 'وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ'

[سورة البقرة: ٤٣].

ولو كان كذلك لكان من مقتضى البلاغة أن يقول: 'وهم يركعون'؛ لأنّ الجُمل الّتي قبلها فعليّة، فلا يناسب عطف الجملة الاسميّة الصرفة عليها، بل المناسب أن يقول: 'وهم يركعون'، كما في قوله تعالى: 'الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ'

[سورة البقره: ٣ و ٤].

ولم يقل 'موقنون'.

ثانياً: و الاستشهاد بخبر عبداللّه بن سلام على أنّ المراد عامّة المؤمنين لا وجه له؛ لأنّه يدلّ على أنّ اللّه تعالى جعل لهم بدل هجر قومهم إيّاهم ولاية اللّه ورسوله والذين آمنوا، سواء أُريد بالذين آمنوا، العموم أو الخصوص، فإذا كان هناك ما يدلّ على الخصوص لم يكن فيه منافاة لهذا الخبر.

وأمّا رواية عكرمة فقد انفرد بها، ولا تعارض الروايات الكثيرة، مع أنّه كان متّهماً برأي الخوارج، وإذا كان المراد بهذه الآية شخصاً معيّناً - وهو عليّ بن أبي طالب - كانت دالّة على إمامته؛ لأنّ في اقتران ولايته بولاية اللَّه تعالى ورسوله صلى الله عليه و آله مع الحصر "إِنَّمَا" أقوى دليل على ذلك.

ما أورده الرازاي أيضاً

بقوله:

إنّ اللائق بمثل عليّ عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر اللَّه في الصلاة لا يتفرّع الاستماع كلام الغير وفهمه. [تفسير الفخر الرازي ٣:٤١٩].

وتفوّه بهذا الإيراد أيضاً شمس الدين الهروي الحنفي حيث قال: إنّكم تقولون إنّ عليّاً عليه السلام في حال صلاته في غاية ما يكون من الخشوع والخضوع واستغراق جميع حواسّه وقواه وتوجّهها شطر الحقّ حتّى انّكم تبالغون وتقولون: كان إذا أُريد إخراج السهام والنصول من جسمه الواقعة فيه وقت الحرب تركوه إلى وقت الصلاة فيخرجونها منه وهو لا يحسّ بذلك؛ لاستغراق نفسه وتوجّهها نحو الحقّ، فكيف مع ذلك أحسّ السائل حتّى أعطاه خاتمه فى حال صلاته؟!

[انظر الإحقاق ٢:٤١٤].

وأجاب عنه بعض علمائنا فقال:

يعطي ويمنع لا تلهيه سكرته*** عند النديم ولا يلهو من الكأس

أطاعه سكره حتّى تمكّن من*** فعل الصحاة وهذا أفضل النّاس

وحاصل الجواب:

أولاً: أنّه عليه السلام في تلك الحالة وإن كان كما ذكر لكنّه حصل منه التفات أدرك به السائل وسؤاله، لا يلزم منه التفاته إلى غير الحقّ؛ لأنّه فعل فعلاً تعود نهايته إلى الحقّ، فكان كالشارب الّذي فعل حال سكرته فعلاً موافقاً لفعل الصحاة، ولم يلهه ذلك عن نديمه ولا عن كأسه، ولا خرج بذلك عن سكرته.

[انظر الإحقاق ٢:٤١٤].

ثانياً: أنّه عليه السلام لمّا كان بكلّيّته متوجّهاً إلى اللَّه تعالى، مقبلاً إليه، معرضاً عمّا سواه، متمحّضاً في العبادة، نبّهه سبحانه بالإلهام والإلقاء في الروع في هذه العطيّة الكريمة؛ وذلك لعموم أفضاله جلّ وعزّ شأنه على عباده، فكيف بالمؤمن السائل في بيته، أعني المسجد النبويّ، فلا غرو أن يلقي في قلب وليّه إعانة

المسكين المفتاق، فالتصدّق طاعة في طاعة، وهذا الوجه ممّا يقبله الذوق السليم والفكر المستقيم، نبّهنا اللّٰه واخواننا من سِنة الغفلة، آمين آمين.

[انظر الإحقاق ٢:٤١٤].

ثالثاً: أنّ الاستماع إلى كلام السائل لا يخرجه عن ذلك، كما يحكى عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّ حين سمع صراخ الصبي في الصلاة اكتفى بواجبات صلاته، وأسرع في إتمام صلاته.

[في الكافي "٦:٤٨"- باب حقّ الأولاد، ح ٤: بسنده عن عبداللّٰه بن سنان، عن أبي عبداللّٰه الصادق عليه السلام، قال: "صلّى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بالنّاس الظهر فخفّف في الركعتين الأخيرتين، فلمّا انصرف قال له النّاس: هل حدث في الصلاة حدث؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: خفّفت في الركعتين الأخيرتين؟ فقال لهم: أما سمعتم صراخ الصبي"].

ما أورده الرواي أيضاً

أنّ دفع الخاتم في الصلاة للفقير عمل كثير، واللائق بحال عليّ عليه السلام أن لا يفعل ذلك.

[تفسير الفخر الرازي ٣:٤١٩].

أقول في الجواب:

إن أراد أنّه عمل كثير مبطل الصلاة، فقد أجاب عنه الزمخشري: كان الخاتم مرجاً في خنصره، فلم يتكلّف خلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته.

[تفسير الكشّاف ١:٦٢٤].

وأمّا عند فقهائنا أنّه لا يفسد الصلاة، إلا العمل الكثير الماحي لصورة الصلاة. وإن أراد الرازي أنّه عمل كثير يكره فعله، ففيه: أنّه كيف يكره التصدّق على الفقير الّذي هو من أفضل الطاعات، مضافاً إلى أنّه قد نزلت هذه الآية في فضله عليه السلام لتصدّقه في الصلاة.

ما أورده أيضاً

بقوله:

إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض، فلو كانت هذه الآية دالّة على إمامته لاحتجّ بها في محفل من المحافل، وليس للقوم أن يقولوا: إنّه عليه السلام تركه للتقيّة، فإنّهم ينقلون عنه عليه السلام أنّه تمسّك يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع فضائله ومناقبه، ولم يتمسّك البتّة بهذه الآية في إثبات إمامته، وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض.

[تفسير الفخر الرازي ٣:٤١٨].

أقول في الجواب:

إنّه علم عليه السلام أنّ احتجاجه بالآية لا تأثير له في الخصم، كما لم يؤثر فيه احتجاجه في الآيات الأُخر والسنن.

وثانياً: عدم الاحتجاج لا يدلّ على عدم كونه عليه السلام مصداقاً لآية الولاية.

وثالثاً: نجد من طرقنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام احتجّ بالآية أيضاً في إثبات أحقيّته.

و عن كتاب المجالس للشيخ الطوسي بإسناده عن أبي ذرّ في حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام عثمان والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص يوم الشورى، واحتجاجه عليه السلام عليهم بما فيه من النصوص من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، والكلّ منهم يصدّقه فيما يقوله عليه السلام، فكان ممّا ذكره عليه السلام: 'فهل فيكم أحد آتى الزكاة وهو راكع فنزلت فيه: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ' غيري؟' قالوا: لا.

[غاية المرام: ١٠٨، الباب ١٩ من المقصد الأوّل، ح ١٧].

و عن "الخصال" في احتجاج عليّ عليه السلام على أبي بكر، قال: 'فأنشدك باللّٰه، أليِ الولاية من اللّٰه مع ولاية رسوله في زكاة الخاتم أم لك؟'، قال: بل لك.

[تفسير نور الثقلين ١:٦٤٥].

ما أورده ابن تيميّة

قال ابن تيميّة الحنبلي في كتابه المسمّى ب "منهاج السنّة": قد وضع بعض الكذّابين حديثاً مفترى أنّ هذه الآية: 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا' نزلت في عليّ عليه السلام، لمّا تصدّق بخاتمه في الصلاة، وهذا كذب بإجماع أهل العلم، ثمّ استدلّ على كذب القول به بأوهام وتفاهات طالما يكرّر أمثالها تجاه النصوص.

أمّا الجواب عنه:

قال العلامة الأميني رحمه الله في جوابه ما ملخّصه: ما كنت أدري أنّ القحة تبلغ بالإنسان إلى أن يُنكر الحقائق الثابتة، ويزعم أنّ ما خرّجته الأئمّة والحفّاظ وأنهوا أسانيده إلى مثل أمير المؤمنين عليه السلام، وابن عبّاس، وأبي ذرّ، وعمّار، وجابر الأنصاري، وأبي رافع، وأنس بن مالك، وسلمة بن كهيل، وعبداللّٰه بن سلام، ممّا قام الإجماع على كذبه، فهو كبقيّة إجماعاته المدّعاة ليس له مقيل من مستوى الصدق.

إلى أن قال: أضف إلى ذلك: إخراج الحفّاظ وحملة الحديث له في مدوّناتهم مخبتين إليه، وفيهم من نصّ على صحّته، فانظر إذن أين يكون مستوى إجماع ابن تيميّة؟!

وأين استقلّ أولئك المجمعون من أديم الأرض، وذلك الحكم الفاصل، وإليك أسماء جمع ممّن أخرج الحديث أو أخبت إليه وهم: الواقدي في "ذخائر العقبى": ١٠٢، والصنعاني في "تفسير ابن كثير" ٢:٧١، وعثمان بن أبي شيبة الكوفي في تفسيره، والإسكافي في رسالته الّتي ردّ بها على الجاحظ، وأبو محمّد في تفسيره كما في "الدرّ المنثور"، والأشجع الكوفي في تفسيره، والنسائي صاحب السنن في صحيحه، والطبري في تفسيره ٦:١٨٦ بعدّة طرق، والرازي كما في تفسير ابن كثير و "الدرّ المنثور" و "أسباب النزول" للسيوطي، والطبراني في "معجمه الأوسط"، وعبدالله بن محمّد الأنصارى في تفسيره، وأبو بكر الجصّاص الرازي في "أحكام القرآن" ٢:٥٤٢، عن عدّة طرق، وعليّ بن عيسى الرمّاني في تفسيره، والنيشابوري في "معرفة أُصول الحديث": ١٠٢، وأبو بكر الشيرازي في كتابه "فيما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام، وابن مردويه الاصبهاني. - وعدّ العلامة الأميني ستّة وستّون رجلاً من علماء العامّة - الّذين رووا أنّ آية 'إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا'، نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلا يبقى شكّ ولا مجال ترديد في أنّ الآية نزلت في أمير المؤمنين، وإيراد ابن تيميّة مزيّف مردود لا يُعتنى به، ولا يخالج الشكّ في الآية أيّ عربي صميم مهما غالط وجدانه، وبسّط القول يتكفّله كتب أصحابنا في التفسير والكلام. [راجع الغدير ٣:١٥٥].

عليّ و آية السقاية

قوله تعالى: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ' نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام والعبّاس وطلحة بن شيبة. تفسير الدرّ المنثور ٣:٢١٨، والآية من سورة التوبة: ١٩.

سبب نزول الآية ودلالتها على أفضليّة عليّ وإمامته

من الآيات الكريمة الّتي نزلت في شأن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قوله تعالى: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ'، حيث إنّ العبّاس وطلحة بن شيبة وعليّ بن أبي طالب تفاخروا، فذكر العبّاس سقاية الحاجّ، وطلحة بن شيبة عمارة المسجد وبيده مفتاح الكعبة، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام الإيمان بالله قبل النّاس

بسنوات، والجهاد في سبيل اللّٰه، فانطلقوا إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فأخبر كلّ واحد منهم بفخره فما أجابهم النبيّ صلى الله عليه و آله بشي ء، فنزل الوحي: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ' الآية، فدلّت الآية على أنّ عليّاً عليه السلام أوْلى وأفضل منهما.

قال العلامة التستري: الآية مع الرواية تدلّ على أفضليّته عليه السلام، ووجه الدلالة أنّ كلّاً من العبّاس وطلحة كانا يدّعيان أولويّتهما بالبيت بالنسبة إلى غيرهم من الأُمّة، فردّ عليهما عليّ عليه السلام بأنّ الأوْلى بذلك هو عليه السلام لا غير، وصدّقه تعالى في ذلك بموجب الرواية، فيكون أوْلى بالبيت خصوصاً البيت المعنوي، ويكون أفضل من الكلّ وأوْلى بالإمامة وأبصر بما يتعلّق بالبيت، فإنّ صاحب البيت أبصر بما في البيت. [الإحقاق ٣:١٢٨].

وقال العلامة الطباطبائي: الآية وما يتلوها من الآيات تبيّن أنّ الزنة والقيمة إنّما هو للعمل إذا كان حيّاً بولوج روح الإيمان فيه، وأمّا الجسد الخالي الّذي لا روح فيه ولا حياة له فلا وزن له في ميزان الدين ولا قيمة له في سوق الحقائق، فليس للمؤمنين أن يعتبروا مجرّد هياكل الأعمال ويجعلوها ملاكات للفضل وأسباباً للقرب منه تعالى إلا بعد اعتبار حياتها بالإيمان والخلوص. [تفسير الميزان ٩:٢٠٥].

وممّا يدلّ على هذا الاستدلال وعلى أفضلية عليّ عليه السلام على غيره وعلى إمامته عليه السلام أيضاً بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ما رواه العلامة المجلسي في "البحار" عن "تفسير فرات" عن قدامة بن عبداللّٰه البجلي معنعناً عن ابن عبّاس، قال: افتخر شيبة بن عبدالدار، والعبّاس بن عبدالمطّلب، فقال شيبة: في أيدينا مفاتيح الكعبة نفتحها إذا شئنا، ونغلقها إذا شئنا، فنحن خير النّاس بعد رسول اللّٰه. وقال العبّاس: في أيدينا سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام، فنحن خير النّاس بعد رسول اللّٰه؛ إذ مرّ عليهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأرادا أن يفتخرا، فقالا له: يا أبا الحسن، أنخبرك بخير النّاس بعد رسول اللّٰه؟ فقال شيبة: في أيدينا مفاتيح الكعبة نفتحها إذا شئنا، ونغلقها إذا شئنا، فنحن خير النّاس بعد النبيّ صلى الله عليه و آله. وقال العبّاس: في أيدينا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فنحن خير النّاس بعد رسول اللّٰه.

فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام: 'ألا أدلّكما على من هو خير منكما؟'. قالا له: ومن هو؟ قال: 'الّذي ضرب رقبتكما

[كذا في البحار، وفي تفسير فرات: 'الّذي ضرب رقابكما'].

حتّى أدخلكما في الإسلام قهراً'، قالا ومن هو؟ قال: 'أنا'. فقام العبّاس مغضباً حتّى أتى النبيّ صلى الله عليه و آله وأخبره بمقالة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلم يردّ النبيّ صلى الله عليه و آله شيئاً، فهبط جبرئيل

عليه السلام فقال: يا محمّد، إنّ اللّه يقرؤك السلام ويقول لك: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَن آمَنَ بِاللَّهِ و اليوم الآخر وَ جاهَدَ في سبيل اللَّه لا يستونَ عند اللَّه و اللَّهُ لا يَهدى القَومَ الظالِمين'، فدعا النبيّ صلى الله عليه و آله العبّاس فقرأ عليه الآية، وقال: 'يا عمّ، قم فاخرج، هذا الرّحمن

[كذا في البحار، وفي تفسير فرات: 'هذا رسول الرحمن'].

يخاصمك فى عليّ بن أبي طالب'. [البحار ٣٦:٣٦].

نظرة في لفظي السقاية والعمارة في الآية وتوضيح الآية

في "تفسير الميزان": والسقاية كالحكاية والجناية، مصدر، يقال: سقى يسقي سقاية. والسقاية أيضاً الموضع الّذي يسقى فيه الماء، والإناء الّذي يسقى به، كما في قوله تعالى: 'جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخيهِ'

[سورة يوسف: ٧٠].

والمراد بالسقاية في الآية معناها المصدري وهو السقي، ويؤيّده مقابلتها ب 'وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ'، والمراد بها المعنى المصدري قطعاً بمعنى الشغل.

وقد قوبل في الآية سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام بمن آمن باللَّه واليوم الآخر وجاهد في سبيل اللَّه، ولا معنى لدعوى المساواة بين الإنسان وبين عمل من الأعمال، كالسقاية والعمارة أو نفيها، فالمعادلة والمساواة إمّا بين عمل وعمل أو بين إنسان ذي عمل وإنسان ذي عمل. ولذلك اضطرّ المفسّرون إلى القول بأنّ تقدير الكلام: أجعلتم "أهل" سقاية الحاج و "أهل" عمارة المسجد كمن آمن باللَّه واليوم الآخر، حتّى يستقيم السياق.

وأوجب منه النظر في قيود الكلام المأخوذة في الآية الكريمة، فقد أخذ في أحد الجانبين سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام وحدهما من غير أيّ قيد زائد، وفي الجانب الآخر الإيمان باللَّه واليوم الآخر، والجهاد في سبيل اللَّه، وإن شئت فقل: الجهاد في سبيل اللَّه مع اعتبار الإيمان معه.

وهو يدلّ على أنّ المراد: السقاية والعمارة خاليتين من الإيمان، ويؤيّده قوله تعالى في ذيل الآية: 'وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ' على تقدير كونه تعريضاً لأهل السقاية والعمارة، لا تعريضاً لمن يسوّي بينهما كما يتبادر من السياق.

وهذا يكشف أوّلاً عن أنّ هؤلاء الذين كانوا يسوّون بين كذا وكذا، وبين كذا، إنّما كانوا يسوّون بين عمل جاهلي خالٍ من الإيمان باللَّه واليوم الآخر، كالسقاية والعمارة من غير أن يكون عن إيمان، وبين عمل ديني

عن إيمان باللَّه واليوم الآخر، كالجهاد في سبيل اللَّه، أي كانوا يسوّون بين جسد عمل لا حياة فيه، وبين عمل حيّ طيّب نفعه، فأنكره اللَّه عليهم.

وثانياً: أنّ هؤلاء المسوّين كانوا من المؤمنين، يسوّون بين عمل من غير إيمان، كان صدر عنهم قبل الإيمان، أو صدر عن مشرك غيرهم، وبين عمل صدر عن مؤمن باللَّه عن محض الإيمان حال إيمانه كما يشهد به سياق الانكار وبيان الدرجات في الآيات.

ويدلّ ذكر نفس السقاية والعمارة من غير ذكر صاحبهما، على أنّ صاحبيهما كانا من أهل الإيمان عند التسوية، فلم يذكرا حفظاً لكرامتهما، وهما مؤمنان حين الخطاب ووقاية لهما بالنظر إلى التعريض الظاهر في آخر الآية من أن يسمّيا ظالمين.

[تفسير الميزان ٩:٢١٠].

ويؤيّد هذا المعنى ما قاله السيوطي فى تفسيره عن ابن عبّاس في قوله تعالى: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ' الآية، قال: وذلك أنّ المشركين قالوا: عمارة بيت اللَّه وقيام عن السقاية خير ممّن آمن وجاهد، فكانوا يفتخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنّهم أهله وعمّاره، فذكر اللَّه استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين: 'قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُون مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ'

[سورة المؤمنون: ٦٦ و ٦٧].

يعني أنّهم كانوا يستكبرون بالحرم، وقال 'بِهِ سَامِراً' كانوا به يسمرون ويهجرون بالقرآن والنبيّ صلى الله عليه و آله، فخير الإيمان باللَّه والجهاد مع نبيّ اللَّه صلى الله عليه و آله على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية، ولم يكن ينفعهم عند اللَّه مع الشرك به، وإن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه. قال اللَّه تعالى: 'لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ'، يعني الذين زعموا أنّهم أهل العمارة، فسمّاهم ظالمين بشركهم، فلم تغن عنهم العمارة شيئاً.

[تفسير الدرّ المنثور ٣:٢١٨].

وفيه أيضاً: عن ابن عبّاس، قال: قال العبّاس - حين أُسر يوم بدر - إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنّا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاجّ ونفكّ العاني

[العاني: الأسير].

فأنزل اللَّه تعالى: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ' الآية، يعني أنّ ذلك كان في الشرك، فلا أقبل ما كان في الشرك.

[تفسير الدرّ المنثور ٣:٢١٨].

وفيه أيضاً: عن ابن سيرين، قال: قدم عليّ بن أبي طالب عليه السلام مكّة، فقال للعبّاس: أي عمّ ألا تهاجر؟ ألا تلحق برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟ فقال: أعمر المسجد الحرام وأحجب البيت، فأنزل اللّٰه 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ' الآية.

[تفسير الدرّ المنثور ٣:٢١٨. ورواهما صاحب تفسير المنار ١٠:٢١٥ بعين ما تقدّم عن السيوطي في الدرّ المنثور].

ايراد صاحب تفسير المنار

قبل ان نتعرض لإيراده أقول: يتّضح ممّا مرّ أنّ هذه الآية الّتي نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام تعدّ من مفاخره، وستتّضح هذه الحقيقة أكثر من خلال الروايات الّتي ستأتي فيما بعد، ومن المعلوم أنّ مفهوم الآية الكريمة يشمل الآخرين، لكنّ سبب نزولها مختصّ بعليّ عليه السلام، غير أنّ بعض مفسّري العامّة يأبون إثبات فضيلة عظيمة لعليّ عليه السلام مع أنّهم يعترفون بأنّه رابع خليفة للمسلمين، ولعلّ سبب ذلك هو خوفهم من أنّهم إن أثبتوا الفضائل لعليّ عليه السلام فسيستدلّ الشيعة بتلك الفضائل الّتي أوردوها، على طريقة: من فمك أُدينك، وبذلك سيعترض عليهم في سبب تقديمهم الآخرين على عليّ عليه السلام مع اعترافهم بفضائله؛ و لذلك فإنّهم كلّما أتوا إلى الروايات الواردة في فضائل عليّ عليه السلام إمّا أن يقدحوا في سندها، وإن لم يستطيعوا طعنوا في دلالتها، وإن لم يتمكّنوا من ذلك، فإنّهم يعمدون إلى تقوية الروايات الضعيفة الّتي جعلت في مقابل فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن تلك الموارد ما أورده صاحب "تفسير المنار" فإنّه نقل رواية عن النعمان بن بشير، وقوّاها ورجّحها على جميع الروايات الّتي وردت من طرق الفريقين كما سيأتي نذر منها من أنّ الآية نزلت في فضيلة عليّ عليه السلام. و اليك لفظ الحديث النعمان مع جوابه:

في "تفسير المنار": روى مسلم وأبو داود وابن حبّان وبعض رواة التفسير المأثور من حديث النعمان بن بشير، قال: كنت عند منبر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أُبالي أن لا أعمل للّٰه عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاجّ، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر: بل الجهاد في سبيل اللّٰه خير ممّا قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صلّيت الجمعة دخلت على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فأستفتيه فيما اختلفتم فيه "دخل بعد الصلاة فاستفتاه"، فأنزل اللّٰه 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ' إلى قوله تعالى: 'لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ'. [تفسير المنار ١٠:٢١٥].

ثمّ روى أيضاً بعض الروايات المعروفة الدالّة على أنّ الآية نزلت في عليّ عليه السلام، وبعد نقل الروايات قال: والمعتمد من هذه الروايات حديث النعمان لصحّة سنده، وموافقة متنه لما دلّت عليه الآيات من كون موضوعها في المفاضلة أو المساواة بين خدمة البيت وحجّاجه من أعمال البرّ البدنيّة الهيّنة المستلذّة، وبين الإيمان والجهاد بالمال والنفس والهجرة، وهي أشقّ العبادات النفسيّة البدنيّة الماليّة، والآيات تتضمّن الردّ عليها كلّها إلى آخره. [المصدر السابق: ٢١٦].

أقول في الجواب عنه:

أنّ رواية النعمان لا تنسجم مع الآيات من جهات مختلفة، منها:

١ - إنّ الآيات المذكورة لم تقارن بين الجهاد وسقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام، وإنّما فاضلت بين سقاية الحاجّ وعمارة المسجد من جهة، وبين الإيمان باللّه واليوم الآخر والجهاد من جهة أُخرى، وهذا يوحي بأنّ بعض النّاس كان يفاضل بين تلك الأعمال الّتي كانوا يقومون بها في الجاهلية، وبين الإيمان والجهاد، والقرآن يقول بصراحة بأنّ هذين الأمرين لا يمكن المقارنة بينهما، وليس الأمر هو المقارنة بين الجهاد وبين عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاجّ.

٢ - إنّ قوله تعالى: "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" توحي بأنّ أعمال الفئة الأُولى كانت مقترنة بالظلم، إضافة إلى أنّها وقعت في حال الشرك، والقرآن يقول: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"

[سورة لقمان: ١٣].

وإذا كانت المقارنة بين الإيمان وبين سقاية الحاجّ المقترنة بالإيمان والجهاد فسوف لن يكون هناك مفهوم ومعنى لقوله جلّ وعلا: "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ".

٣ - إنّ الآية الّتي تلت الآية مورد البحث تقول: "الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ"

[سورة التوبة: ٢٠].

وهي تعني تفوّق ذوي الإيمان والهجرة والجهاد على غيرهم، وهذا المعنى لا ينسجم مع حديث النعمان بن بشير؛ وذلك أنّ المتحادثين - طبقاً لهذا الحديث - هم جميعاً من المؤمنين، وربّما اشتركوا في الجهاد والهجرة.

٤ - كان الكلام في الآيات الّتي سبقت هذه الآية حول قيام المشركين بعمارة المساجد "مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ"

[سورة التوبة: ١٧].

وتواصل الآيات مورد البحث الكلام حول نفس الموضوع، وهذا يوضّح أنّ هذه الآيات تبحث في عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاجّ في حال الشرك، وهو لا ينسجم مع رواية النعمان.

إيراد آخر مع جوابه:

والإشكال الوحيد الّذي يبقى هو أنّ التعبير ب "أَعْظَمُ دَرَجَةً" يوحي بأنّ طرفي المقارنة عمل جيّد وحسن، غايته أنّ أحدهما أفضل من الآخر.

والجواب على هذا السؤال يتضّح من خلال أمرين:

الأوّل: أنّ أفعل التفضيل لا تعني الأفضليّة دائماً، بل ربّما تأتي في المقارنة بين شيئين أحدهما صفر الاعتبار والأهمّية، وآخر راجح تماماً، كقوله عزّ وجلّ: "وَالصُّلْحُ خَيْرٌ"

[سورة النساء: ١٢٨].

وخير بصيغة أفعل في حين أنّ الحرب ليست خيراً وحسنة، وكقوله تعالى: "وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ"

[سورة البقرة: ٢٢١].

في حين أنّ المشرك لا خير فيه، وكقوله تعالى: "لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِن أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ"

[سورة التوبة: ١٠٨].

أي أنّ مسجد قبا أحقّ أن تقوم فيه من مسجد ضرار، في حين أنّ مسجد ضرار لا خير فيه، كما أنّ الخير في مسجد قبا.

و الثاني: من الممكن أن نقول: إنّ سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام عمل جيّد حسن ذاته، وإن صدر من مشرك، لكنّه لا يقبل المقارنة والفاضلة مع الإيمان باللّه والجهاد في سبيله، ولا شكّ أنّ الإيمان والجهاد أفضل.

وخلاصة القول: إنّ رواية النعمان بن بشير لمّا خالفت القرآن فإنّها تطرح جانباً، وتضرب بعرض الجدار، والّتي تقبل هي الروايات الّتي توافق القرآن، والّتي هي الحديث المشهور الدالّ على أنّ الآية نزلت في فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام.

سند الحديث

قال العلامة الأميني قدس سره: أخرج كثير من الحفّاظ والعلماء، مجملاً ومفصّلاً، أنّ الآية نزلت في عليّ عليه السلام، منهم:

١- الواحدي في "أسباب النزول": ١٨٢، عن الحسن، والشعبي، والقرظي. ٢- القرطبي في تفسيره ٨:٩١، عن السدّي. ٣- الرازي في تفسيره. ٤:٤٢٢. ٤- الخازن في تفسيره. ٢:٢٢١. ٥- أبو البركات النسفي في تفسيره.٢:٢٢. ٦- الجويني في "الفرائد" في الباب الواحد والأربعين بإسناده عن أنس. ٧- ابن الصبّاغ المالكي في "الفصول المهمّة": ١٢٣، من طريق واحد، عن الحسن والشعبي والقرطبي. ٨- الزرندي في "نظم درر السمطين". ٩- الكنجي في "الكفاية": ١١٣، من طريق ابن جرير. ١٠- ابن عساكر، عن أنس. ١١- ابن كثير الشامي في تفسيره. ١٢- السيوطي في "الدرّ المنثور"، وغير ذلك من علماء العامّة، إلى أن قال: ولا يسعنا ذكر جميع المصادر الّتي وقفنا فيها على هذه المفاخرة ونزول الآية فيها، قال: ونظم غير واحد من شعراء السلف هذه المفاخرة كسيّد الشعراء الحميري، والناشئ والبشنوي ونظرائهم. [الغدير ٢:٥٤].

نبذة من الاخبار في المقام

لقد ورد في كثير من الأخبار عند الفريقين أنّ سبب نزول الآية افتخار عليّ عليه السلام على العبّاس وغيره، وتعبير الأخبار مختلفة، والمفتخر به أيضاً مختلف حسب الروايات، ونذكر نزراً منها رعاية للاختصار؛ ولأنّ في تعدّد نقلها مزيداً من الفائدة للطالب المحترم.

عن القندوزي

افتخر طلحة بن شيبة من بني عبدالدار والعبّاس بن عبدالمطلب وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال طلحة: معي مفتاح البيت، وقال العبّاس: أنا صاحب السقاية، وقال عليّ عليه السلام: "لقد صلّيت إلى القبلة ستّة أشهر قبل النّاس، وأنا صاحب الجهاد"، فأنزل اللّه تعالى: "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ". [ينابيع المودّة: ٩٣].

و روى السيوطي عن ابن مردويه، عن ابن عبّاس

قال: "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ" الآية، نزلت في عليّ بن أبي طالب والعبّاس.

[تفسير الدرّ المنثور ٣:٢١٨].

وعنه أيضاً: عن الشعبي

قال: كانت بين عليّ والعبّاس منازعة، فقال العبّاس لعليّ: أنا عمّ النبيّ صلى الله عليه و آله وأنت ابن عمّه، وإلَيّ سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فأنزل اللّه تعالى: "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ" الآية. [تفسير الدرّ المنثور ٣:٢١٨].

وعنه أيضاً: عن ابن جرير، عن محمّد بن كعب القرظي

قال: افتخر طلحة بن شيبة والعبّاس وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، وقال العبّاس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، فقال عليّ عليه السلام: "ما أدري ما تقولون، لقد صلّيت إلى القبلة قبل النّاس، وأنا صاحب الجهاد"، فأنزل اللّه تعالى: "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ" الآية.

[الدرّ المنثور ٣:٢١٨].

وروى العلامة الإربلي

عن الواحدي في تفسيره نحوه، إلا أنّه زاد في قوله عليه السلام: "لقد صلّيت - ستّة أشهر - قبل النّاس"، وكذا في ذيل الحديث زاد - بعد آية "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ" - إلى أن قال: "الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" إلى قوله: "أَجْرٌ عَظِيمٌ"، فصدّق اللّه عليّاً في دعواه، وشهد له بالإيمان والمهاجرة والجهاد وزكّاه، ورفع قدره بما أنزل فيه وأعلاه، وكم له من المزايا الّتي لم يبلغها أحد سواه.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٢٣٩].

وعن ابن المغازلي بإسناده إلى أبي حمزة، عن إسماعيل بن عامر

قال: نزلت هذه الآية "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ" الآية في عليّ والعبّاس. [المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٣٢١، ح ٣٦٧].

وفيه أيضاً: عن عبداللّه بن عبيدة الربذي

قال: قال عليّ عليه السلام للعبّاس: "يا عمّ، لو هاجرت إلى المدينة؟"، قال: أولستُ في أفضل من الهجرة؟ ألست أسقي حاجّ بيت اللّه، وأعمر المسجد الحرام؟ فأنزل اللّه تعالى هذه الآية: "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ" الآية.

[المصدر السابق: ٣٢٢، ح ٣٦٨].

وروى السيوطي عن ابن مردويه

عن عبداللّٰه بن عبيدة، نحوه، إلا أنّه زاد في آخره: فنزلت هذه الآية، يعني قوله تعالى: "أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ"، قال: فجعل اللّٰه للمدينة فضل درجة على مكّة.

[تفسير الدرّ المنثور ٣:٢١٨].

و روى الطبرسي و غيره من المفسرين عن الحاكم الحسكاني، بإسناده عن ابن بريدة، عن أبيه

قال: بينا شيبة والعبّاس يتفاخران إذ مرّ بهما عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: "بماذا تتفاخران؟"، فقال العبّاس: لقد أُوتيت من الفضل ما لم يؤت أحدٌ، سقاية الحاجّ. وقال شيبة: أُوتيتُ عمارة المسجد الحرام، فقال عليّ عليه السلام: "استحييت لكما، فقد أُوتيتُ على صغري ما لم تؤتيا؟!"، فقالا: وما أُوتيت يا عليّ؟، فقال: "ضربت خراطيمكما بالسيف حتّى آمنتما باللّٰه ورسوله"، فقام العبّاس مغضباً يجرّ ذيله حتّى دخل على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وقال: أما ترى إلى ما يستقبلني به عليّ؟ فقال: "ادعوا لي عليّاً"، فدُعي له، فقال: "ما دعاك إلى ما استقبلت به عمّك؟"، فقال: "يا رسول اللّٰه، صدمته بالحقّ، فمن شاء فليغضب، ومن شاء فليرض"، فنزل جبرئيل وقال: يا محمّد، إنّ ربّك يقرأ عليك السلام و يقول: اتل عليهم: "أجعلتم سقايَة الحاجّ" الآية، فقال العبّاس: إنّا قد رضينا - ثلاث مرّات

[تفسير مجمع البيان ٥:١٥، تفسير نور الثقلين ٢:١٩٤، تفسير البرهان ٢:١١٠. وروي نحوه في "الفصول المهمّة" لابن الصبّاغ المالكي: ١٢٤، عن الحسن والشعبي والقرطبي].

وروى الجويني بسنده عن عبّاد بن عبدالصمد أبي معمّر، عن أنس بن مالك

قال: قعد العبّاس بن عبدالمطّلب وشيبة صاحب البيت "الكعبة" يفتخران، فقال له العبّاس: أنا أشرف منك، أنا عمّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ووصيّ أبيه، وسقاية الحجيج لي. فقال له شيبة: أنا أشرف منك، أنا أمين اللّٰه على بيته وخازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمنني؟ وهما في ذلك يتشاجران حتّى أشرف عليهما عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له العبّاس: أفترضى بحكمه؟ قال: شيبة، نعم، قد رضيت، فلمّا جاءهما قال العبّاس: على رسلك يابن أخي، فوقف عليّ عليه السلام، فقال له العبّاس: إنّ شيبة فاخرني، فزعم أنّه أشرف منّي. قال عليّ عليه السلام: "فماذا قلت أنت يا عمّاه؟"، قال: قلت له: أنا عمّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ووصيّ

أبيه، وساقي الحجيج، أنا أشرف منك، فقال لشيبة: 'ماذا قلت له أنت يا شيبة؟'، قال: قلت له: بل أنا أشرف منك، أنا أمين اللّٰه وخازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمنني؟ قال: فقال لهما: 'اجعلا لي معكما فخراً'، قالا: نعم، قال: 'فأنا أشرف منكما، أنا أوّل من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأُمّة، وهاجر وجاهد'.

فانطلقوا ثلاثتهم إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فجثوا بين يديه، فأخبر كلّ واحد منهم بفخره، فما أجابهم النبيّ صلى الله عليه و آله بشي ء، فنزل الوحي بعد أيّام، فأرسل إلى ثلاثتهم فأتوه، فقرأ عليهم النبيّ صلى الله عليه و آله: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَيَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ'.

[فرائد السمطين ١:٢٠٣، ح ١٥٩، وأخرجه السيوطي في "الدرّ المنثور" ٣:٢١٩، عن أبي نعيم في فضائل الصحابة، وابن عساكر عن أنس، وأورده الأميني في الغدير ٢:٥٣ عن الطبري، عن أنس].

و روى الكليني عن أبي بصير، عن أحدهما

في قول اللّٰه عزّ وجلّ: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ' الآية: 'نزلت في حمزة وعليّ وجعفر والعبّاس وشيبة، إنّهم فخروا بالسقاية والحجابة، فأنزل اللّٰه جلّ وعزّ: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ' الآية، وكان عليّ وحمزة وجعفر الذين آمنوا باللّٰه واليوم الآخر، وجاهدوا في سبيل اللّٰه 'لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ''.

[روضة الكافي: ١٧٣، ح ٢٤٥].

وفي "تفسير نور الثقلين" عن "تفسير مجمع البيان"

أنّ عليّاً عليه السلام قال للعبّاس: 'يا عمّ، ألا تهاجر؟ ألا تلحق برسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟'، فقال: ألست في أعظم من الهجرة؟ أعمر المسجد الحرام وأسقي حجّ بيت اللّٰه، فنزل: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ' الآية. [تفسير نور الثقلين ٢:١٩٤].

وممّا يؤيّد أنّها نزلت في عليّ ما رواه في "تفسير البرهان"

عن "أمالي الشيخ" بإسناده إلى الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، يرفعه إلى أبي ذرّ - في حديث الشورى - فيما احتجّ به عليّ عليه السلام على القوم، وقال لهم في ذلك: 'فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية: 'أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ' الآية غيري؟'، قالوا: لا.

[تفسير البرهان ٢:١١٠، وأخرج نحوه في تفسير نور الثقلين ٢:١٩٤، عن احتجاج الطبرسي].

وأنشأ الناشئ:

إذ فاخر العبّاس عمّ المصطفى*** لعليّ المختار صهر محمّد

بعمارة البيت المعظّم شأنه*** وسقاة الحجّاج وسط المسجد

فأتى بها جبريل عن ربّ السما*** يقري السلام على النبيّ المهتدي

أجعلتم سقي الحجيج وما يرى*** من ظاهر الأستار فوق الجلمد

كالمؤمنين الضاربي هام العدى*** وسط العجاج بساعد لم يرعد

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٦٩].

وأنشأ البشنوي:

يا قاري القرآن مع تأويله*** مع كلّ محكمة أتت في حال

أعمارة البيت المحرّم مثله*** وسقاية الحاجّ في الأمثال

أم مثلي التيمي أم عدويهم*** هل كان في حال من الأحوال

لا والّذي فرض على وداده*** ما عندي العلماء كالجهّال

[المصدر السابق: ٧٠].

عليّ في سورة هل أتى

عن ابن عبّاس، قوله تعالى: "إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً" إلى قوله تعالى: "إِنَّ هذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً" نزلت في عليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

تفسير مجمع البيان ١٠:٤٠٤. والآيات من سورة الدهر ٥:٢٢.

سبب نزول آيات الأبرار

في كثير من التفاسير وكتب الحديث والسِّير والتاريخ أنّ الآيات نزلت في حقّ الإمام عليّ وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين عليهم السلام.

قال شيخ الطائفة: روت الخاصّة والعامّة أنّ هذه الآيات نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فإنّهم آثروا المسكين واليتيم والأسير ثلاث ليالٍ على إفطارهم، وطووا عليهم السلام ولم يفطروا على شي ء من الطعام، فأثنى اللّٰه عليهم هذا الثناء الحسن، وأنزل فيهم هذه السورة، وكفاك بذلك فضيلة جزيلة تتلى إلى يوم القيامة، ثمّ قال: وهذا يدلّ على أنّ السورة مدنيّة. [تفسير التبيان ١٠:٢١١].

وعن الطبرسي في تفسيره، قال: قد روى الخاصّ والعامّ أنّ الآيات من هذه السورة "إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ" إلى قوله تعالى: "وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً" [سورة الدهر ٥:٢٢].

نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمّى فضّة، وهو المرويّ عن ابن عبّاس ومجاهد وأبي صالح والقصّة طويلة جملتها أنّهم قالوا: مرض الحسن والحسين عليهماالسلام فعادهما جدّهما صلى الله عليه و آله ووجوه العرب، وقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولديك نذراً، فنذر صوم ثلاثة أيّام إن شفاهما اللّٰه سبحانه، ونذرت فاطمة كذلك، وكذلك فضّة، فبرءا وليس عندهم شي ء، فاستقرض عليّ عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهوديّ، وروي أنّه أخذها ليغزل له صوفاً، وجاء به إلى فاطمة "سلام اللّٰه عليها"، فطحنت صاعاً منها فاختبزته، وصلّى عليّ عليه السلام المغرب وقرّبته إليهم، فأتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه، ولم يذوقوا إلا الماء، فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدّمته إلى عليّ عليه السلام، فإذا يتيم في الباب يستطعمهم، فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، فلمّا كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته واختبزته وقدّمته إلى عليّ عليه السلام، فإذا أسير بالباب يستطعم فأعطوه، ولم يذوقوا إلا الماء.

فلمّا كان اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أتى عليّ عليه السلام ومعه الحسن والحسين عليهماالسلام إلى النبيّ صلى الله عليه و آله وبهما ضعف، فبكى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ونزل جبرئيل بسورة هل أتى.

[تفسير مجمع البيان ١:٤٠٤. وروى نحوه العلامة التستري في الإحقاق ٣:١٥٧، عن الجمهور كافّة].

دلالة آيات الأبرار على فضائل أهل البيت

قوله تعالى: "إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ..." الأبرار في الآية جمع برّ، أو بارّ محلّى باللام، فظهوره في الشمول ممّا لا ريب فيه، وإنّما أُطلق على عليّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام تبياناً لكونهم أكمل الأبرار، وأذاناً بأنّهم الأخيار، وبرهاناً على أنّهم صفوة الصفوة، وحجّة على أنّهم خيرة الخيرة، وأيّ عبارة فاضلة شريفة مقدّسة تكافئ قول اللّه تعالى فيهم: "إِنَّ الْأَبْرَارَ" عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، "يَشْرَبُونَ" الشراب الطيّب الطاهر يوم العطش الأكبر، "مِن كَأْسٍ" هي الزجاجة إذا كان فيها الشراب، ويسمّى الشراب نفسه كأساً أيضاً، وقد وصفها بقوله: "كَافُوراً" لأنّ ماءها في بياض الكافور ورائحته وبرودته، والدليل على أنّ الكافور اسم عين في الجنّة قوله تعالى: "عَيْناً" بدل من "كَافُوراً"، "يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ" عليّ وفاطمة والحسنان، وأمثالهم من الكاملين في العبوديّة للّه سبحانه الذين يمشون على الأرض هوناً... إلى آخر ما اشتملت عليه آيات الفرقان من صفاتهم الكاملة، وهذه العين "يُفَجِّرُونَهَا" أي يجرونها حيث شاءوا من كلّ مكان أرادوا "تَفْجِيراً" سهلاً يسيراً، وقد بيّن اللّه تعالى السبب في استحقاقهم لهذه الكرامة فقال: "يُوفُونَ بِالنَّذْرِ" جواباً لسؤال مقدّر، تقديره ما الّذي فعلوه فاستحقّوا به هذا الجزاء؟ وأنت تعلم أن ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالنذر إلا المبالغة في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات؛ لأنّ من وفى بما أوجبه هو على نفسه كان بما أوجبه اللّه عليه أوفى، وتلك شهادة لهم من اللّه تعالى على المبالغة في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات حتّى بالغ في بُعدهم عن المحرّمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية اللّه والخوف من يوم القيامة، حيث قال: "وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً" [مستطيراً: أي فاشياً].

يريد بذلك أنّ هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب أمره ونهيه، وتلك منزلة المعصومين.

ومن تدبّر القرآن وغاص في أسراره، وجد في هذه الآيات من عناية اللّه تعالى في هؤلاء الأبرار أمراً عظيماً، لا يوصف بكيف ولا يقدّر بكم. ألا ترى كيف رتّب هذه الشهادات في تزكيتهم، فكانت كلّ شهادة أكبر من سابقتها؛ إذ شهد أوّلاً بأنّهم يوفون بالنذر، ثمّ شهد ثانياً بأنّهم يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً، فكانت أعظم من الأُولى لدلالتها بصريح العبارة على رسوخ الإيمان باللّه واليوم الآخر، ثمّ شهد لهم ثالثاً بما هو أعظم من ذلك فقال: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً"

[المسكين: البائس العاجز، أي الفقير، واليتيم: هو الطفل الّذي لا والد له، والأسير قيل: إنّ المراد به هنا من أسره المسلمون في الحرب مع أعداء اللّه والإسلام، وفي تفسير الكاشف "٧:٢٨٤": وروي أنّ الصحابة كانوا إذا أتوا رسول اللّه صلى الله عليه و آله بأسير من أعداء اللّه وأعدائه صلى الله عليه و آله دفعه إلى بعض المسلمين وقال له: أحسن إليه، فيأخذه إلى بيته ويؤثره على نفسه وأهله].

الضمير في حبّه للطعام على الأظهر، والمعنى أنّهم يطعمون الطعام مع حبّه لشدّة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة أيّام، لا يذوقون في لياليها غير الماء، وهذا على حدّ قوله تعالى: 'وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ' [سورة البقرة: ١٧٧].

وقوله سبحانه: 'لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ' [سورة آل عمران: ٩٢].

وقوله: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ'. [سورة الحشر: ٩].

وإنّما كانت هذه الشهادة أعظم لكشفها عن كمال نفوسهم، وبلوغهم أقصى الغايات في حبّ الخير والإيثار على أنفسهم إشفاقاً على المسكين، ورأفة باليتيم، وعطفاً على الأسير.

وأنت تعلم أنّهم لو لم يؤثروهم لما كان عليهم في ذلك من جناح، لكنّهم مثّلوا الجنان والمرحمة بأجلى مظاهرهما حين لم يكونوا مكلّفين بذلك ولا مسؤولين عنه، وتلك من أفضل صفات المقرّبين.

بقي أعظم الشهادات وأجلّها وأدلّها على تزكيتهم، ألا وهو الّذي أشار إليه سبحانه تعالى حيث قال بلسان حالهم عن مكنون سرائرهم: 'إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً'، يعني لا نريد مكافأة منكم ولا من غيركم، وإنّما نطعم ونبذل بدافع التقرّب إلى اللّه تعالى والخوف من يوم تفحص فيه الأعمال وتكثر فيه الأهوال.

وأنت إذا تدبّرت بشائره لهم بالأمن من أهوال ذلك اليوم، تعرف مزيد عنايته بهم عليهم السلام، حيث لم يكتف منها ببشارة واحدة، بل جعل البشائر مترادفة متوالية، وكلّ واحدة منها أعظم من سابقتها قال أوّلاً: 'فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً'، أي كفاهم اللّه، ومنع عنهم أهوال يوم القيامة وشدائده، ولقّاهم وأعطاهم نضرة في الوجوه وسروراً في القلب بدل عبوس أعدائهم وحزنهم، وبالجملة خافوا يوم القيامة فاتّقوا شرّه بطاعة اللّه والإخلاص له، فبدّلهم من بعد خوفهم أمناً، فأشرقت وجوههم بنور البشر والفرحة، ثمّ ترقّى في البشارة فقال: 'وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً'، وجزاهم اللّه بما صبروا على شدّة الجوع وإيثار غيرهم ابتغاءً لمرضاة اللّه بالجنّة والحرير، ولم يكتف في البشارة بالجنّة على سبيل الإجمال حتّى فصّل فيها أكثر الأقوال فقال: 'مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا' فهم في منتهى الراحة والرفاهيّة والغبطة والحبور، مستبشرين فكهين غير رائين شمساً ولا زمهريراً، والحال أنّ ظلالها دانية عليهم، ثمّ لم يكتف سبحانه بهذا القدر من البيان في كرامتهم عليهم السلام حتّى قال: 'وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً'، بمعنى تدلو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم، والمراد قطوفها جعلها ذللاً لا تمتنع على

قاطفها متى أراد وكيف شاء، ويجوز أن تكون مأخوذة من الذلّ بمعنى الخضوع لسهولة قطفها كيف شاء قطّافها.

ولو اكتفى اللّه تعالى سبحانه بهذا المقدار من بيان فوزهم في دار كرامته لكفاهم شرفاً وفضلاً، ولكنّه سبحانه آثر الاطناب فيما تحدّى به من معجزات الكتاب ليشمل بذلك عنايته التامّة فيهم تمثيلاً، وليفضّلهم على من سواهم تفضيلاً، فقال: "وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا" إلى قوله: "وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً"، وأنت إذا أمعنت النظر فيما ألقاه عزّ وجلّ إليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة، تتمثّل لك عناية اللّه بهم قالباً حسيّاً، وترى كرامتهم عليه وسموّ منزلتهم لديه شخصاً مرئياً؛ وذلك أنّه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطباً لهم: "إِنَّ هذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً"، وهذا الإكرام الّذي فصّلناه في القرآن، وفضّلناكم على العالمين كان لكم جزاءً على أعمالكم المقدّسة الّتي استوجبت هذا الإكرام الجسيم لم تنالوه بشفاعة أو بمجرّد فضل، وإنّما أخذتموه بالاستحقاق والعدل، وكان سعيكم مع ذلك كلّه مشكوراً؛ ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم.

[راجع الفصول المهمّة للإمام السيّد شرف الدين: ٢٣٨ - ٢٣٢، وتفسير مجمع البيان ١٠:٤٠٤ و ٤٠٥، وتفسير التبيان ٢١٢ - ٢١٠ :١٠].

لفظ الحديث

من كرام الآيات الّتي نزلت في شأن عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام آيات الأبرار ال "١٨" من سورة "هل أتى"، والروايات الواردة في أنّها نزلت في شأنهم عليهم السلام كثيرة جدّاً بلغت حدّ التواتر.

قال الإمام السيّد شرف الدين "نوّر اللّه مضجعه": أجمع أولياء أهل البيت تبعاً لكافّة أئمّتهم، على نزول آيات الأبرار في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة، وهذا عندهم من الضروريات الّتي لا يجهلها أحد، وقد أخرجه عن ابن عبّاس جماعة من أعلام غيرهم، كالإمام الواحدي في كتابه البسيط، والإمام أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير، والإمام أبي المؤيّد موفّق بن أحمد في كتاب الفضائل، وغير واحد من الحفظة وأهل الضبط.

[الفصول المهمّة للسيّد شرف الدين: ٢٣٠].

أقول: قد ذكرنا في هذا الفصل بعض ما ورد من الفريقين، ونحيل القرّاء إلى أهمّ مظانّها.

[راجع: الغدير ١١١ - ١٠٧ :٣، والإحقاق ٢:١٥٧].

و نذكر نبذة منها:

روى السيوطي عن ابن عباس

قوله تعالى: 'وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً'، قال: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول اللَّه عليهماالسلام.

[تفسير الدرّ المنثور ٦:٢٩٩].

وقال الطبرسي في تفسيره

في رواية عطاء عن ابن عبّاس: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام آجر نفسه ليستقي نخلاً بشي ء من شعير ليلة حتّى أصبح، فلمّا أصبح وقبض الشعير طحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه، يقال له: الحريرة، فلمّا تمّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثمّ عمل الثلث الثاني، فلمّا تمّ إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثمّ عمل الثلث الثالث، فلمّا تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم. [مجمع البيان ١٠:٤٠٤].

وعنه أيضاً ذكر الواحدي في تفسيره، وذكر عليّ بن إبراهيم: أنّ أباه حدّثه عن عبداللَّه بن ميمون القدّاح، عن أبي عبداللَّه عليه السلام، قال: 'كان عند فاطمة "سلام اللَّه عليها" شعير، فجعلوه عصيدة، فلمّا أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين، فقال المسكين: رحمكم اللَّه "أطعمونا ممّا رزقكم اللَّه

[ما بين القوسين في هذا ما يتلوه نقل عن تفسير عليّ بن ابراهيم القمي].

فقام عليّ عليه السلام فأعطاه ثلثها، فلم يلبث أن جاء يتيم، فقال اليتيم: رحمكم اللَّه، "أطعمونا ممّا رزقكم اللَّه"، فقام عليّ عليه السلام فأعطاه الثلث، فلم يلبث أن جاء أسير فقال الأسير: رحمكم اللَّه، "أطعمونا ممّا رزقكم اللَّه"

[ما بين الأقواس نقل عن تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي].

فقام عليّ عليه السلام فأعطاه الثلث الباقي، وما ذاقوها، فأنزل اللَّه الآيات فيهم، وهي جارية في كلّ مؤمن فعل ذلك للَّه عزّ وجلّ، وفي هذا دلالة على أنّ السورة مدنيّة.

[تفسير مجمع البيان ١٠:٤٠٥، وراجع: تفسير عليّ بن إبراهيم ٢:٣٩٨].

و روى الزمخشري عن ابن عبّاس

قال: أنّ الحسن والحسين عليهماالسلام مرضا فعادهما رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك؟

[كذا في المصدر، والسياق: 'ولديك'].

فنذر عليّ وفاطمة وفضّة - جارية لهما - إن برءا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شي ء، فاستقرض عليّ عليه السلام من شمعون الخيبري ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم اللَّه من موائد الجنّة، فآثروه، وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك.

فلمّا أصبحوا أخذ عليّ عليه السلام بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فلمّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال: 'ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم'، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل وقال: خذها يا محمّد، هنّأك اللَّه في أهل بيتك، فأقرأه السورة، يعني: 'هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ' السورة.

[تفسير الكشّاف ٤:١٩٧].

و روى الجويني بسنده عن مجاهد، عن ابن عبّاس

في قوله عزّ وجلّ: 'يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً'، قال: مرض الحسن والحسين عليهماالسلام، فعادهما جدّهما رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وعادهما عمومة العرب، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولديك نذوراً؟ فقال عليّ عليه السلام: 'إن برءا صمتُ للَّه ثلاثة أيّام شكراً'، وقالت فاطمة كذلك، وقالت جارية لهم نوبيّة - يقال لها فضّة -: كذلك، وقال الصبيان: 'نحن نصوم ثلاثة أيّام'، فعافاهما اللَّه، وليس عند آل محمّد قليل ولا كثير!! فانطلق عليّ عليه السلام إلى شمعون بن حانا الخيبري - وكان يهوديّاً - فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير، فوضعه في ناحية البيت، فقامت فاطمة إلى صاع منها فطحنته فاختبزته، وصلّى عليّ مع النبيّ صلى الله عليه و آله ثمّ أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه، فأتاهم مسكين فوقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، مسكين من أولاد المساكين، أطعموني أطعمكم اللَّه على موائد الجنّة، فسمعه عليّ عليه السلام فأنشأ يقول:

فاطم ذات الخير واليقين* يا بنت خير النّاس أجمعين**

أما ترينَ البائس المسكين* قد قام بالباب له حنين**

يشكو إلى اللَّه ويستكين* يشكو إلينا جائع حزين**

كلّ امرى ء بكسبه رهين*** فأجابته فاطمة "سلام اللَّه عليها":

'أمرك سمع يابن عمّ وطاعه*** ما لي من لؤم ولا وضاعه

أُطعمه ولا أُبالي الساعه*** أرجو لئن أشبع من مجاعه

أن ألحق الأخيار والجماعه*** وأدخل الجنّة ولي شفاعه'

قال: فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء، فلمّا كان اليوم الثاني قامت فاطمة إلى صاع فطحنته وخبزته، وصلّى عليّ مع النبيّ صلى الله عليه و آله، ثمّ أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه، فأتاهم يتيم فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة، فسمعه عليّ فأنشأ يقول:

'فاطم بنت السيّد الكريم*** بنت نبيّ ليس بالذميم

قد جاءنا اللَّه بذا اليتيم*** من يرحم اليوم فهو رحيم

قد حرّم الخلد على اللئيم*** ينزل في النّار إلى الجحيم'

قال: فأعطوه الطعام، ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلا الماء، فلمّا كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزته، وصلّى عليّ عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه و آله، ثمّ أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، فأتاهم أسير فوقف على الباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، تأسروننا وتشدّوننا ولا تطعموننا؟ أطعموني أطعمكم اللَّه، فأنشأ عليّ عليه السلام يقول:

'فاطم يا بنت النبيّ أحمد*** بنت نبيّ سيّد مسوّد

هذا أسير للنبيّ المهتد*** مثقّل في غلّه مقيّد

يشكو إلينا الجوع قد تمدّد*** من يطعم اليوم يجده في غد

عند العليّ الواحد الموحّد*** ما يزرع الزارع سوف يحصد'

فقالت فاطمة:

'لم يبق ممّا جئت غير صاع*** قد دميت كفّي مع الذراع

ابناي واللَّه هما جياع*** يا ربّ لا تتركهما ضياع

أبوهما في المكرمات ساع*** يصطنع المعروف بالإسراع

عبل الذراعين شديد الباع'

قال: فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيّام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء، فلمّا كان اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أخذ عليّ الحسن بيمناه، والحسين بشماله، وأقبل نحو رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، فلمّا بصره النبيّ صلى الله عليه و آله قال: 'يا أبا الحسن، ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم، انطلق بنا إلى فاطمة'، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدّة الجوع، وغارت عيناها، فلمّا رآها النبيّ صلى الله عليه و آله قال: 'واغوثاه باللَّه أهل بيت محمّد يموتون جوعاً!'.

فنزل جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمّد، خذها هنّأك اللَّه في أهل بيتك، فقرأ عليه: 'هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ' إلى قوله: 'إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً'.

[فرائد السمطين ٢:٥٣، ح ٣٨٣. وروى سبط ابن الجوزي في تذكرته: ٢٨١، والقندوزي في ينابيع المودّة: ٩٣، والإربلي في كشف الغمّة ١:٤١٣، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢:٢٠٠، نحوه].

وروى الآلوسي بإسناده عن عطاء، عن ابن عبّاس

أنّ الحسن والحسين عليهماالسلام مرضا فعادهما جدّهما محمّد صلى الله عليه و آله ومعه أبو بكر وعمر، وعادهما من الصحابة، فقالوا لعليّ عليه السلام: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولديك؟ فنذر عليّ وفاطمة وفضّة - جارية لهما - إن برءا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام شكراً، فألبس اللَّه تعالى الغلامين ثوب العافية، وليس عند آل محمّد قليل ولا كثير، فانطلق عليّ عليه السلام إلى شمعون اليهودي الخيبري فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير فجاء بها، فقامت فاطمة "سلام اللَّه عليها" إلى صاع فطحنته، وخبزت منه خمسة أقراص على عددهم، وصلّى عليّ عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه و آله المغرب، ثمّ أتى فوضع الطعام بين يديه، فوقف بالباب سائل، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم اللَّه تعالى من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا شيئاً إلا الماء وأصبحوا صياماً، ثمّ قامت فاطمة "سلام اللَّه عليها" إلى صاع آخر فطحنته وخبزته، وصلّى عليّ مع النبيّ صلى الله عليه و آله المغرب، ثمّ أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، فوقف يتيم بالباب، وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، يتيم من أولاد المهاجرين، أطعموني أطعمكم اللَّه تعالى من موائد الجنّة، فآثروه ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلا الماء القراح، وأصبحوا صياماً.

فلمّا كان يوم الثالث قامت فاطمة "سلام اللَّه عليها" إلى الصاع الثالث وطحنته وخبزته وصلّى عليّ عليه السلام مع النبيّ المغرب، فأتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، فوقف أسير بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد صلى الله عليه و آله، أنا أسير محمّد صلى الله عليه و آله، أطعموني أطعمكم اللَّه، فآثروه وباتوا

ولم يذوقوا إلا الماء القراح، فلمّا أصبحوا أخذ عليّ عليه السلام الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ورآهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال: 'يا أبا الحسن، ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم'، وقام فانطلق معهم إلى فاطمة "سلام اللّٰه عليها" فرآها في محرابها قد التصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدّة الجوع، فرقّ لذلك صلى الله عليه و آله وساءه ذلك، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: خذها يا محمّد، هنّأك اللّٰه تعالى في أهل بيتك، قال: 'وما آخذ يا جبرئيل؟' فأقرآه: 'هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ' السورة.

[تفسير روح المعاني ٢٩:١٥٧، نقلاً عن الإحقاق ٣:١٦٦].

و عن ابن المغازلي

بسنده عن طاووس بن اليمان، في هذه الآية: 'وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً' الآية، نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ وذلك أنّهم صاموا وفاطمة وخادمتهم، فلمّا كان عند الإفطار، وكانت عندهم ثلاثة أرغفة، قال: فجلسوا ليأكلوا فأتاهم سائل، فقال: أطعموني، فإنّي مسكين، فقام عليّ عليه السلام فأعطاه رغيفه، ثمّ جاء سائل فقال: أطعموا اليتيم، فأعطته فاطمة الرغيف، ثمّ جاء سائل فقال: أطعموا الأسير، فقامت الخادمة فأعطته الرغيف، وباتوا ليلتهم طاوين، فشكر اللّٰه لهم، فأنزل فيهم هذه الآيات.

[المناقب لابن المغازلي: ٢٧٢، ح٣٢٠].

وبالجملة: السند متواتر واضح لا شبهة فيه، فقد روى الحديث كثير من العامّة، وذكرهم العلامة الأميني فبلغوا أكثر من ثلاثين نفراً من علماء العامّة من ابن عبّاس، وكافّة علماء الإماميّة رووا عن أهل البيت عليهم السلام نزول سورة 'هل أتى' في عليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام.

[ومن أراد الاطّلاع على كتب العامّة في هذا المقام فليراجع الإحقاق ١٧٠ - ١٥٧ :٢، والغدير ١١١ - ١٠٧ :٣. و راجع أيضاً: تفسير الرازي ٣٠:٢٤٣، فتح القدير ٥:٣٤٩، معالم التنزيل ٥:٤٩٨، تفسير أبي السعود ٩:٧٣، تفسير البيضاوي ٢:٥٥٢، تفسير النسفي ٣:٦٢٨، روح البيان ١٠:٢٦٨، تذكرة الخواصّ: ٢٨١، شواهد التنزيل ٢:٣٠٠، وغيرها كثير].

احتجاج المأمون على الفقهاء بهذه الآيات في فضل عليّ

روى أحمد بن محمّد بن عبدربّه الأندلسي المالكي عن إسحاق بن إبراهيم - في حديث طويل

[تقدّم بعضه في فصل "عليّ عليه السلام أوّل من أسلم"].

- ثمّ قال المأمون: يا إسحاق، هل تقرأ القرآن؟

قلت: نعم، قال إقرأ علَيّ: "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذْكُوراً"، فقرأت منها حتّى بلغت: "يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً" إلى قوله: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً"، قال: على رسلك، فيمن نزلت هذه الآيات؟ قلت: في عليّ عليه السلام، قال: فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير، قال: "إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ" | قلت: أجل، قال:| وهل سمعت اللَّه وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً عليه السلام؟ قلت: لا، قال: صدقت لأنّ اللَّه جلّ ثناؤه عرف سيرته.

[العقد الفريد ٥:٩٦، وراجع الإحقاق ٣:١٨٨].

أقول: وهذه منقبة لها عند اللَّه محلّ كريم، وجودهم بالطعام مع شدّة الحاجة إليه أمرٌ عظيم، ولهذا تَتابَعَ وعده سبحانه في الآيات بأنواع الألطاف.

يستفاد من الآيات أنّ الإنفاق مطلوب من عامّة البشر

هذه الآية: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً" ترجع إلى الإحسان وإذابة المهجة في خدمة النوع الإنساني، فالآية تستبطن مدحاً للسخاء، وتحثّ الإنسان على إكرام الفقير من أُمّته والضعفاء، وعلى من هو أجنبي عنه، بل هو من أعدائه، فالمسكين واليتيم قد يكون من أُمّته، فأمّا الأسير فإنّه من قوم أعداء حاربوهم، فأسروا فريقاً منهم، فهؤلاء الأسرى حمد اللَّه الإحسان إليهم.

فملخّص الآية أنّ الإنسان يجب أن يكون نوراً ونافعاً لبني البشر من أبناء ملّته، ومن غيرهم، فإنّ جميع الناس عبّاد اللَّه وأقربهم إليه ألطفهم بعباده، وكلّما زاد الإنسان رأفته بهم ازداد من اللَّه قرباً، وهذا هو الصراط المستقيم، فليكن الإنسان على سنن اللَّه وصراطه المستقيم، ألا ترى أنّه أرسل الشمس والقمر والنجم فأضاءت على البَرِّ والفاجر، والخبيث والطيّب، والصحيح والمريض، فكلّما عمّ نفع الإنسان كان إلى ربّه أقرب، ويشاهد ذلك في الإلهامات الّتي تتوالى عليه، وفي المساعدات الدائمة، وهذا هو المقصود من الآيات، واللَّه العالم.

[اقتباس عن الجواهر في تفسير الميزان جزء ٢٤ من جلد ٢٤].

ايرادات على سبب نزول الآية وجوابها

قال بعض المعاندين فى الايراد على هذا الانفاق

بانّه: هل يجوز أن يبالغ الإنسان في الصدقة إلى هذا الحدّ ويجوّع نفسه وأهله حتّى يشرف على الهلاك، وقد قال اللَّه تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ"

[سورة البقرة: ٢١٩].

والعفو ما كان فاضلاً من نفقة العيال، وقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'خيرُ الصدقة ما يكون صنواً عفواً'.

[راجع الإحقاق ٣:١٧٠].

اما الجواب عنه:

قال العلامة التستري رحمه الله في جواب ذلك: صرّح المفسّرون - ومنهم الرازي في تفسيره، والزمخشري في "الكشّاف"، والسيوطي في "الدرّ المنثور"، وغيرهم من علماء العامّة، كما مرّت رواياتهم - أنّ الآيات نزلت في شأن عليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام، وسبب نزولها أنّ الحسن والحسين مرضا، وعلى هذا فمن لم يذكر من المفسّرين أنّها نزلت في عليّ عليه السلام أبقى الآيات على عمومها؛ لعدم وصول سبب النزول إليه، أو لقصد إخفائه عداوة لأهل البيت عليهم السلام، لا أنّه ذكر نزولها في شأن جماعة مخصوصة غيرهم عليهم السلام.

وأمّا ما ذكره من إنكار كثير من المحدّثين المفسّرين لهذه الرواية، وتكلّمهم في جواز المبالغة في الصدقة إلى هذا الحدّ، فالظاهر أنّه من تشكيكات نفسه دون أحد من المحدّثين والمفسّرين، ولو كان لذلك أصل لذكره المشكّك في كلّ شي ء - أعني فخر الدين الرازي - في تفسيره.

وأمّا توهّمه من منافاة قوله تعالى: 'وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ' الآية، لذلك، فمدفوع بأنّ العفو كما فُسّر بما ذكره المخالف، كذلك فسّر بأفضل المال وأطيبه، ويؤيّده قوله تعالى: 'لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ'.

[سورة البقرة: ٩٢].

وما رواه من قوله صلى الله عليه و آله: 'خير الصدقة ما يكون صنواً عفواً'، معارض لقوله صلى الله عليه و آله: 'خير الصدقة ما أبقت غنى'.

ولو تنزّلنا عن ذلك، فنقول: إنّما تلزم المنافاة لو لم ينفق عيال عليّ عليه السلام قوتهم معه على ذلك الوجه، وأمّا إذا أتى صاحب العيال بما وجب عليه من النفقة وهم باختيارهم آثروا المسكين و اليتيم والأسير على أنفسهم بإعطاء كلّ واحد منهم حصّة قوتهم لهم، فلا منافاة. [الإحقاق ٣:١٧١].

ما قاله ابن حزم الاندلسي

في خلال الأقاويل و الأكاذيب على الشيعة، قال: لسنا من كذب الرافضة في تأويلهم "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً" و إنّ المراد بذلك عليّ بن أبي طالب، قال: بل هذا لا يصحّ، بل الآية على عمومها و ظاهرها لكلّ من فعل ذلك.

[الغدير ٣:١٠٦ عن الملل و النحل].

أقول في الجواب:

أوّلاً: أنّ كون مفهوم الآيات عامّاً لا ينافي نزولها في مورد خاصّ، فإنّ لكثير من الآيات القرآنيّة مفهوماً عامّاً شاملاً، لكنّ سبب نزولها مورد خاصّ يكون أتمّ وأكمل مصداق لها، والعجب من ابن حزم الّذي جعل كون مفهوم الآية عامّاً دليلاً على نفي سبب نزولها.

وثانياً: أنّ مجرّد نسبة هذا التأويل إلى الشيعة وقذفهم بالكذب، ثمّ اتباع ذلك بعدم صحّة هذا التأويل لا يحطّ من كرامة الحديث الوارد في الآية الشريفة، وهو يعلم أنّ أُمّة كبيرة من أئمّة التفسير والحديث يروون ذلك، ويثبتونه مسنداً في مدوّناتهم، وإن كان لا يدري فتلك مصيبة.

وقد ترى أنّ أبا محمّد العاصمي أفرد في ذلك كتاباً في مجلّدين سمّاه ب "زين الفتى في تفسير سورة هل أتى"، وهل يزعم هذا المغفّل المعاند أنّ أُولئك من الرافضة، أو يحسبهم جهلاء بشرائط صحّة الحديث؟ أم أنّه لا يعتدّ بكلّ ما وافق الرافضة وإن كان مخرّجاً بأصحّ الأسانيد؟

و هو من الإشكالات الواهية الأُخرى

الّتي تطرح أنّهم يقولون: كيف يمكن لإنسان أن يبقى جائعاً ثلاثة أيّام بلياليها ولا يفطر إلا على الماء؟

أقول في الجواب:

أوّلاً: أنّ مجرّد استبعاد ذلك لا يمنع من وقوعه في الخارج، وقد دلّت الروايات المتواترة على أنّ عليّاً وفاطمة والحسينين عليهم السلام وخادمتهم فضّة قد فعلوا ذلك.

وثانياً: أنّ مسألة الإضراب عن الطعام الّتي تحدث في دنيا اليوم قد أوضحت المسألة جيّداً، فإنّ المضربين عن الطعام قد لا يتناولون أيّ شي ءٍ أحياناً، ورأينا في السنوات الأخيرة أنّ بابي ساندز - أحد قادة الحركة الإيرلنديّة في بريطانيا - قد أضرب عن الطعام قرابة السبعين يوماً ولم يتناول إلا الماء، وبقي حيّاً طيلة هذه الفترة، وعلى هذا فلا مانع أن يبقى الإنسان ثلاثة أيّام بدون طعام.

وهناك إشكالات واهيةٌ أُخرى أعرضنا عن ذكرها رعاية للاختصار، ولبطلانها، ولوضوح ردّها.

عليّ و آية الإنفاق

عن ابن عبّاس في قوله تعالى: "الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤١٣، الحديث ٩١١، والآية من سورة البقرة: ٢٧٤

نظرة حول الآية

من الآيات الّتي نزلت في فضيلة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام آية: "الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ".

[سورة البقرة: ٢٧٤].

حيث إنّه كانت عند عليّ عليه السلام أربعة دراهم من الفضّة، فتصدّق بواحد ليلاً، وبواحد نهاراً، وبواحد سرّاً، وبواحد علانيةً، فنزلت الآية في شأنه، وسمّي كلّ درهم تصدّق به عليه السلام، مالاً؛ وفقاً للآية الشريفة، وإنّما تدلّ الآية على عناية الخالق الكريم جلّ ذكره بأمير المؤمنين عليه السلام، حيث يكون تصدّقه سبباً لنزول بعض آي القرآن. ومن الطبيعي أنّ الإنفاق والتصدّق مشمول بعناية واهتمام الخالق العزيز طالما يكون مقروناً بالعمل الصالح وإرادة وجه اللّه تعالى به، وسنتطرّق هنا إلى بعض الروايات الّتي وردت في سبب نزول هذه الآية من العامّة والخاصّة، راجين اللّه تعالى أن يجعل محبّي عليّ عليه السلام من المتمسّكين به وبخصاله الحميدة.

نبذة من الأخبار

والأخبار الّتي وردت في أنّ الآية نزلت في تصدّق عليّ عليه السلام كثيرة، نذكر بعضها:

١- روى ابن المغازلي، و القندوزي، والواحدي، بسندهم عن ابن عبّاس، في قوله عزّ وجلّ: "الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً"، قال: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كان له أربعة دراهم، فأنفق درهماً سِرّاً، ودرهماً علانيةً، ودرهماً بالليل، ودرهماً بالنهار.

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٢٨٠، ح٣٢٥، ينابيع المودّة: ٩٢، أسباب النزول للواحدي: ٥٢، عالم الكتب - بيروت].

٢- روى ابن عساكر بسنده عن مجاهد، قال: كان لعليّ عليه السلام أربعة دراهم: فأنفق درهماً بالليل، ودرهماً بالنّهار، ودرهماً سرّاً، ودرهماً علانية، فنزلت: "الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً" الآية...

[تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤١٤، ح ٦١٢].

٣- و روى ابن الصبّاغ المالكي، عن ابن عبّاس، قال: كان مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلاً - الحديث.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٢٣، ونحوه في فرائد السمطين ١:٣٥٦، وتفسير نور الثقلين ١:٢٩٠، وكشف الغمّة ١:٢٣٥].

٤- روى الزمخشري، عن ابن عبّاس: نزلت الآية في عليّ عليه السلام، لَم يملك إلا أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانيةً.

[تفسير الكشّاف ١:٣٩٨].

٥- روى المجلسي عن "المناقب": أنّ النطنزي روى في خصائصه عن ابن عبّاس والسدّي ومجاهد والكلبي وأبي صالح و... أنّه كان عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام أربعة دراهم من الفضّة: فتصدّق بواحد ليلاً، وبواحد نهاراً، وبواحد سرّاً وبواحد علانية، فنزل 'الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ' الآية، فسمّى كلّ درهم مالاً، وبشّره بالقبول.

[البحار ٤١:٢٥].

٦- و عنه أيضاً عن "تفسير النقّاش" و "أسباب النزول": قال الكلبي: فقال له - لعليّ عليه السلام - النبيّ صلى الله عليه و آله: 'ما حملك على هذا'؟ قال: 'حملني أن أستوجب عَفو اللَّه الّذي وَعدني'، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'ألا إنّ ذلك لك'، فأنزل اللَّه هذه الآية.

[المصدر السابق، ونحوه في شواهد التنزيل ١:١٠٩، ح ١٥٥].

٧- و عنه أيضاً عن "تفسير فرات"، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبدالرحمن السلمي، قال: إنّي لأحفظ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام أربع مناقب ما يمنعني أن أذكرها إلا الحسد! قال: فقيل له: اذكرها. قال: فقرأ هذه الآية ذات يوم: 'الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً'، قال: وما كان يملك يومه إلا أربعة دراهم، فأعطى درهماً بالليل، ودرهماً بالنهار، ودرهماً بالسرّ، ودرهماً بالعلانية. [المصدر السابق، ونحوه في شواهد التنزيل ١:١٠٩، ح ١٥٥].

دلالة الآية على فضيلة عليّ

قال المجلسي رحمه الله: فهذه الآية تدلّ على فضله عليه السلام في السخاء الّذي هو من أشرف مكارم الأخلاق، وأنّ اللَّه قد قبل ذلك منه بأحسن القبول، وأنزلها فيه، ووصفه بأنّه من الآمنين يوم القيامة بحيث لا يعتريه شيء من الخوف والحزن يوم القيامة، 'فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ'.

وهذه من صفات الأولياء والأصفياء، فبذلك وأمثاله استحقّ التفضيل على سائر الصحابة، وقبح تقديم غيره عليه لخلوّهم عن أمثال تلك الفضائل، ولو فرض اتّصافهم ببعضها فلا شكّ في اختصاصه عليه السلام باستجماعها.

[المصدر السابق، ونحوه في شواهد التنزيل ١:١٠٩، ح ١٥٥].

وأنشأ الحميري في ذلك:

وأنفق ماله ليلاً وصبحاً*** وإسراراً وجهر الجاهرينا

وصَدَّق ماله لمّا أتاه*** الفقير بخاتم المتختّمينا

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٧١].

عليّ و آية الإيثار

وقوله تعالى: "وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" نزلت في شأن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

شواهد التنزيل ٢:٢٤٦، والآية من سورة الحشر: ٩

سيرة الصحابة في الإيثار

كان للضغط الاقتصادي والحرمان المالي أثر كبير على المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام، حتّى إنّ بعض المسلمين من أهل الصفّة كانوا يقضون الليالي بلا مسكن يأويهم، يقضونها في صفّة المسجد، مع حرمانهم من أبسط مستلزمات العيش، كالخبز والقوت، بل حتّى الملابس الرثّة القديمة البالية، وكانوا يطوون كثيراً من الليالي غرثى البطون، يعالجون الجوع بالهجوع.

ومع كلّ هذه الظروف الماديّة القاسية فإنّهم لم يتراجعوا عن سنّة وأخلاق الإسلام، بل ولم يقصّروا في استقبال الضيوف الغرباء المسلمين وغير المسلمين الذين يقصدون مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله، حيث إنّه يمثّل قاعدة الإسلام، وكان الرسول صلى الله عليه و آله والصحابة يستقبلونهم بأحرّ استقبال، ومثل هذه الأخلاق الحسنة والتعامل المبدئي تجعل من غير المسلم عاشقاً للإسلام، وتجعل من المسلم مضحّياً ومتمسّكاً بالإسلام المحمّدي...

كان في كثير من الأحيان ينام المضيف وهو جائع بعد أن يقدّم كلّ ما يملك إلى ضيفه، ولعلّ ذلك ممّا يلاحظه الضيوف ممّا له تأثير إيجابي في روحيّة الضيف.

وفي هذا المضمار لم يكن أحدٌ أكمل وأعلى في إنفاق والإيثار من عليّ وفاطمة عليهماالسلام بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وخير دليل على ذلك هو نزول أكثر من آية في شأنهم عليهم السلام، منها: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ'، ولمزيد من الاطّلاع سنوضّح للقرّاء الأعزّاء روايات أُخرى عن سبب نزول هذه الآية المباركة، لكي يستلهموا الدروس والعِبر من خليفتهم وإمامهم المعصوم، ولكي يجعلونه نموذجاً يحتذون بخطّه المبارك وصراطه السوي.

الاحاديث في نزول الآية في شأن عليّ

١- روى ابن شهر آشوب: عن تفسير أبي يوسف يعقوب بن سليمان، وعليّ بن حرب الطائي، ومجاهد بأسانيدهم عن ابن عبّاس وأبي هريرة، وروى جماعة عن عاصم بن كليب، عن أبيه أنّه جاء رجل إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فشكا إليه الجوع، فبعث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى أزواجه فقُلْنَ: ما عندنا إلا الماء! فقال: مَن لهذا الرجل الليلة؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'أنا يا رسول اللَّه'، وأتى فاطمة وسألها: 'ما عندك يا بنت رسول اللَّه؟'، فقالت: 'ما عندنا إلا قوت الصبية، لكنّا نؤثّر به ضيفنا'، فقال عليّ عليه السلام: 'يا بنت محمّد، نوّمي الصبية واطفئي المصباح'، وجعلا يمضغان بألسنتهما، فلمّا فرغ من الأكل، أتت فاطمة بسراج، فوجدت الجفنة مملوءة من فضل اللَّه، فلمّا أصبح صلّى مع النبيّ صلى الله عليه و آله، فلمّا سلّم النبيّ من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين وبكى بكاءً شديداً، وقال: 'يا أمير المؤمنين، لقد عجب الربّ من فعلكم البارحة'، فقرأ: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ'، أي مجاعة 'وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ' يعني عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام 'فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٧٣، بحار الأنوار ٤١:٢٨، ولفظ الحديث عن أبي هريرة، ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢:٢٤٦، ح ٩٧٠ و ٩٧١، والآية ٩ من سورة الحشر].

٢- وفي "مجمع البيان"، قال: قيل: نزلت "الآية" في رجل جاء إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: اطعمني فإنّي جائع، فبعث إلى أهله فلم يكن عندهم شي ء، فقال: 'من يُضيفه هذه الليلة؟'، فأضافه رجل من الأنصار وأتى به منزله، ولم يكن عنده إلا قوت صبية له، فأتوا بذلك إليه وأطفأوا السراج، وقامت المرأة إلى الصبية فعلّلتهم حتّى ناموا، وجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول اللَّه، فظنّ الضيف أنّهما يأكلان معه، حتّى شبع الضيف وباتا طاويين، فلمّا أصبحا غدوا إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فنظر إليهما وتبسّم وتلا عليهما هذه الآية: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ'.

قال صاحب المجمع: وأمّا الّذي رويناه بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: إنّ الّذي أضافه، ونوّم الصبية، وأطفأ السراج عليّ وفاطمة عليهماالسلام.

[تفسير مجمع البيان ٩:٢٦٠].

٣- و روى المجلسي عن "كنز جامع الفوائد": هذا الحديث عن كليب بن معاوية، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، في قوله تعالى: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ'، قال: 'بينما عليّ عند فاطمة عليهماالسلام إذ قالت له: يا عليّ، اذهب إلى أبي فابغنا

[بغى الشي ء: طلبه].

منه شيئاً؟ فقال: نعم، فأتى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فأعطاه ديناراً، وقال له: يا عليّ، اذهب فابتغ به لأهلك طعاماً، فخرجَ من عنده فلقيه المقداد بن الأسود، فقاما ما شاء اللّٰه أن يقوما وذكر له حاجته، فأعطاه الدينار، وانطلق إلى المسجد، فوضع رأسه فنام، فانتظره رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فلم يأت، ثمّ انتظره فلم يأت، فخرج يدور في المسجد فإذا هو بعليّ عليه السلام نائمٌ في المسجد، فحرّكه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقعد، فقال: يا عليّ، ما صنعتَ؟ فقال: يا رسول اللّٰه، خرجتُ من عندك فلقيت المقداد بن الأسود، فذكر لي ما شاء اللّٰه أن يذكر فأعطيته الدينار، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: أما إنّ جبرئيل قد أنبأني بذلك، وقد أنزل اللّٰه فيك كتاباً: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ...' الآية.

[البحار ٣٦:٥٩].

٤ - و عنه أيضاً عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله جالساً ذات يومٍ وأصحابهُ جلوس حوله، فجاء عليّ عليه السلام وعليه سمل ثوب

[سمل الثوب: أخلق].

منخرق عن بعض جسده، فجلس قريباً من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فنظر إليه ساعة ثمّ قرأ: 'وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ'، ثمّ قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: أما إنّك رأس الذين نزلت فيهم هذه الآية وسيّدهم وإمامهم.

ثمّ قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: أين حلّتك الّتي كسوتها يا عليّ؟ فقال: يا رسول اللّٰه، إنّ بعض أصحابك أتاني يشكو عريه وعريّ أهل بيته، فرحمته، فآثرته بها على نفسي، وعرفتُ أنّ اللّٰه سيكسوني خيراً منها.

فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: صدقت، أما إنّ جبرئيل قد أتاني يحدّثني أن اللّٰه اتّخذ لك مكانها في الجنّة حلّة خضراء من استبرق، وصنفتها

[صنفة الثوب: حاشيته].

من ياقوت وزبرجد، فنِعم الجواز جواز ربّك بسخاوة نفسك، وصبرك على سملتك هذه المنخرقة، فابشر يا عليّ، فانصرف عليّ عليه السلام فرحاً مستبشراً بما أخبره به رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله".

[البحار ٣٦: ٦٠].

و انشأ الحميري في ذلك:

وقائل للنبيّ إنّي غريب*** جائعٌ قد أتيتكم مستجيرا

فبكى المصطفى وقال: غريب*** لا يكن للغريب عندي ذكورا

من يضيف الغريب قال عليّ*** أنا للضيف فانطلق مأجورا

ابنة العمّ هل من الزاد شي ءٌ*** فأجابت أراه شيئاً يسيرا

كف برٍّ قال: اصنعيه فإنّ*** اللّٰه قد يجعل القليل كثيرا

ثمّ أطفي المصباح كي لا يراني*** فأخلي طعامه موفورا

جاهد يلمظ الأصابع والضي *** -ف يراه إلى الطعام مشيرا

عجبت منكم ملائكة اللّٰه*** وأرضيتم اللطيف الخبيرا

ولهم قال: يؤثرون على*** أنفسهم، نال ذلك فضلاً كبيرا

[المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٧٢].

عليّ هو الصراط و السبيل في القرآن

قال أبو جعفر عليه السلام: "أوحى اللّٰه إلى نبيّه صلى الله عليه و آله: "فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"، قال: إنّك على ولاية عليّ عليه السلام، وعليّ عليه السلام هو الصراط المستقيم". تفسير نور الثقلين ١: ٢٢، الحديث ٩٩ و الآية من سورة الزخرف: ٤٣

اعتقادنا في الصراط

إنّ الآيات والروايات الواردة في الصراط تثبت كونه أمراً حتميّاً في القيامة، والصراط طريق وضع على جهنّم أو في داخلها، ولا يؤدّي بالمشركين إلا إلى جهنّم "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ"

[سورة النساء: ١٦٩ - ١٦٨].

وأمّا المؤمنون فبالرغم من أنّهم يردون جهنّم إلا أنّهم ينجون منها 'وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً'

[سورة مريم: ٧٢ - ٧١].

وعلى هذا فإنّ جميع بني آدم يمرّون على هذا الطريق الممتدّ على جهنّم، المحسن منهم والمسي ء، غير أنّ المتّقين يفوزون بالنجاة.

و في "البحار" عن "العقائد": اعتقادنا في الصراط أنّه حقّ، وأنّه جسر جهنّم، وأنّه عليه ممرّ جميع الخلق. قال اللَّه تعالى: 'وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً'، والصراط في وجه آخر اسم حجج اللَّه، فمن عرفهم في الدنيا، وأطاعهم أعطاه اللَّه جوازاً على الصراط الّذي هو جسر جهنّم يوم القيامة

[البحار ٨: ٧٠].

ويؤيّد هذا الاعتقاد ما ورد في بعض الأحاديث:

و في "مجمع البيان" عن كثير بن زياد، عن أبي سمنة، قال: اختلفنا في الورود، فقال قوم: لا يدخلها مؤمن، وقال آخرون: يدخلونها جميعاً، ثمّ ينجّي اللَّه الذين اتّقوا، فلقيت جابر بن عبداللَّه فسألته، فأومأ بإصبعيه إلى أُذنيه، وقال: صمّتا إن لم أكن سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: "الورود الدخول، لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا يدخلها، تكون على المؤمنين برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم حتّى انّ للنّار - أو قال لجهنّم - ضجيجاً من بردها، ثمّ نُنَجّي الذين اتّقوا ونذر الظالمين فيها جِثِيّاً'.

[تفسير مجمع البيان ٦: ٥٢٦].

وفيه أيضاً: قال السدّي: سألت مرّة الهمداني عن هذه الآية فحدّثني أنّ عبداللَّه بن مسعود حدّثهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، قال: 'يرد النّاس النّار، ثمّ يصدرون بأعمالهم، فأوّلهم كلمع البرق، ثمّ كمرّ الريح، ثمّ كحضر الفرس، ثمّ كالراكب، ثمّ كشدّ الرجل، ثمّ كمشيه'.

[المصدر السابق: ٥٢٥].

وفي تفسير "نور الثقلين": عن سعدان بن مسلم، عن أبي عبداللَّه عليه السلام، قال: سألته عن الصراط، فقال: 'هُوَ أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرُّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرُّ عليه مثل عَدْوِ الفرس، ومنهم من يمرُّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرُّ عليه حبواً

[حبا الرجل حبواً: مشى على يديه وبطنه].

ومنهم من يمرُّ عليه متعلّقاً، فتأخذ النّار منه شيئاً وتترك منه شيئاً'.

[تفسير نور الثقلين ١:٢١، ح ٩٣، بحار الأنوار ٨:٦٤، نحوه].

وفي "أمالي الصدوق": في حديث طويل عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أنّه قال: 'واعلموا أنّ أمامكم طريقاً مهولاً، وسفراً بعيداً، وممرّكم على الصراط، ولا بدّ للمسافر من زاد، فمن لم يتزوّد وسافر عطب وهلك، وخير الزاد التقوى' - الحديث.

[أمالي الصدوق - المجلس السابع والأربعون: ح ٩].

الصراط المستقيم صراطان

يستفاد من الروايات المأثورة أنّ الصراط المستقيم صراطان؛ صراط في الدنيا فهو صراط عليّ بن أبي طالب، وصراطٌ في الآخرة وهو جسر جهنّم، وفيما يلي نذكر بعضها:

١- و في "التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام": 'الصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأمّا الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلوّ، وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شي ء من الباطل. والطريق الآخر

[وفي البحار: 'وأمّا الصراط في الآخرة'].

"هو" طريق المؤمنين إلى الجنّة الّذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنّة إلى النّار ولا إلى غير النّار سوى الجنّة'.

[التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٥٥، طبع مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، بحار الأنوار ٨:٦٩].

٢- وفي "الغدير" عن "مناقب الخوارزمي": 'الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراطٌ في الآخرة، فأمّا صراط الدنيا فهو عليّ بن أبي طالب، وأمّا صراط الآخرة فهو جسر جهنّم، من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة'.

[الغدير ٢:٣١١].

٣- وفي "تفسير نور الثقلين" عن "معاني الأخبار" وفي "تفسير البرهان" بإسناده إلى المفضّل بن عمر، قال: سألت أبا عبداللّٰه عليه السلام عن الصراط؟ فقال: 'هو الطريق إلى معرفة اللّٰه عزّ وجلّ، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأمّا الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، ومن عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردّى في نار جهنّم'.

[تفسير نور الثقلين ١:٢١، ح ٩١، وتفسير البرهان ١:٥٠، ح ٢١٨، وبحار الأنوار ٨:٦٦].

ما قاله المفيد في أنّ عليّاً هو الصراط المستقيم

نقل المجلسي عن الشيخ المفيد: الصراط في اللغة هو الطريق، فلذلك سمّي الدين صراطاً؛ لأنّه طريق إلى الثواب، وله سمّي الولاء لأمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيّته عليهم السلام صراطاً، ومن معناه قال أمير المؤمنين "ع: "أنا صرط اللّٰه المستقيم، وعروته الوثقى الّتي لا انفصام لها"، يعني أنّ معرفته والتمسّك به طريق إلى اللّٰه سبحانه. وقد جاء الخبر بأنّ الطريق يوم القيامة إلى الجنّة كالجسر تمرّ به النّاس، وهو الصراط الّذي يقف عن يمينه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وعن شماله أمير المؤمنين عليه السلام، ويأتيهما النداء من اللّٰه تعالى: "أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ".

[سورة ق: ٢٤].

وجاء الخبر: "أنّه لا يعبر الصراط يوم القيامة إلا من كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام من النّار".

وجاء في الخبر بأنّ الصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف على الكافر، والمراد بذلك أنّه لا يثبت لكافر قدم على الصراط يوم القيامة من شدّة ما يلحقهم من أهوال القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشي ء الّذي هو أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف، وهذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشدّة في عبوره على الصراط، وهو طريق إلى الجنّة، وطريق إلى النّار، يسير العبد منه إلى الجنّة، ويرى من أهوال النّار.

وقد يعبّر به عن الطريق المعوج، فلهذا قال اللّٰه تعالى: "وَأَنَّ هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً" [سورة الأنعام: ١٥٣].

فميّز بين طريقه الّذي دعا إلى سلوكه من الدين، وبين طريق الضلال، وقال تعالى فيما أمر عباده من الدعاء وتلاوة القرآن: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" [سورة الفاتحة: ٦].

فدلّ على أنّ سواه صراط غير مستقيم، وصراط اللّٰه دين اللّٰه، وصراط الشيطان طريق العصيان، والصراط في الأصل على ما بيناه هو الطريق، والصراط يوم القيامة هو الطريق للسلوك إلى الجنّة والنّار... [البحار ٨:٧٠].

توضيح معنى أنّ عليّاً هو الصراط المستقيم

اعلم أنّ اعتبار الصراط يقوم باعتبارين: أحدهما المبدأ، والآخر هو المنتهى، مثلاً إذا قيل: هذه الجادة صراط مكّة، أي تنتهي إلى مكّة ولها مبدأ وهو المدينة، فعليه يبدو سؤال، وهو: أنّ الصراط المستقيم، وإن لم يكن من الصرط الخارجيّة والجوادّ الماديّة، بل يكون من الصُّرط المعنويّة أو الاعتباريّة، ولكنّه مثل الجادّة الماديّة بين مكّة والمدينة، يحتاج إلى المبدأ والمنتهى، فما هو مبدأ هذا الصراط المعنوي؟

فإذا قيل: الإسلام هو الصراط المستقيم كما في الحديث، فهذا يعني أنّ الإسلام هو الصراط من الضلالة إلى الهداية، وهكذا الإيمان، وغير ذلك من الشرائع. وإذا قيل: رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله هو الصراط المستقيم أو عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام هو الصراط المستقيم، فهذا يعني أنّ الإنسان الكامل هو الطريق من النقص إلى الكمال، فهنا نقص وكمال، وهذا هو قوس الصعود المتحرّكة فيه الأشياء من الدرجة السفلى إلى الدرجة العليا، والسائرة فيه الصور الكماليّة من النازلة إلى العالية، فمن اعتبار الصراط يثبت التدرّج من النقص إلى الكمال، ومن الضلالة إلى الهداية.

[انظر: تفسير القرآن للعلامة السيّد مصطفى الخميني "قدّه" ٢:٢٨].

فعليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه و آله إنسان كامل، فيكون مطّلعاً على حدود اللّٰه وسالكاً لسبيل الحقّ المستقيم غير الخارج عن حدّي الإفراط والتفريط، ويكون سيره عليه السلام سيراً واحداً حقيقيّاً إلى الملكوت الأعلى ولقاء اللّٰه تعالى، فهذا عليّ عليه السلام هو الصراط المستقيم، فعلى كلّ سالك طريق الحقّ أن يستتبع طريقته وسلوكه وسبيله حتّى لا يقع في الضلال والانحراف عن الحقّ ولا يتجاوز عن الصراط واستقامته، والروايات التالية مع ما فيها من توضيح تبيّن ما ذكرناه:

في "المناقب" عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام: 'فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ'. [سورة الزخرف: ٤٣].

قال: "إنّك على ولاية عليّ عليه السلام، وهو الصراط المستقيم، ومعنى ذلك أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام الصراط إلى اللّٰه، كما يقال فلان باب السلطان، إذا كان يوصل به إلى السلطان، ثمّ إنّ الصراط هو الّذي عليه عليّ عليه السلام يدلّك وضوحاً على ذلك قوله: 'صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ' [سورة الفاتحة: ٧].

يعني نعمة الإسلام؛ لقوله: 'وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ' [سورة لقمان: ٢٠].

والعلم: 'وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَم' [سورة النساء: ١١٣].

والذرّيّة الطيّبة لقوله: 'إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ' [سورة آل عمران: ٣٣].

الآية، وإصلاح الزوجات؛ لقوله: 'فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ' [سورة الأنبياء: ٩٠].

فكان عليّ عليه السلام في هذه النعم في أعلى ذرها'. [المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٧٤، والذرى جمع الذروة: العلوّ والمكان والمرتفع].

وفي "غاية المرام" عن ابن شاذان، من طريق المخالفين، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعتُ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: 'إذا كان يوم القيامة أمر اللَّه مَلكين يقعدان على الصراط، فلا يجوز أحدٌ إلا ببراءة أمير المؤمنين، ومَن لم تكن له براءة أمير المؤمنين أكبّه اللَّه على منخريه في النّار، وذلك قوله تعالى: 'وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ".

[سورة الصافّات: ٢٤].

قلت: فداك أبي وأمّي - يا رسول اللَّه - ما معنى براءة أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال صلى الله عليه و آله: 'مكتوب لا إله إلا اللَّه، محمّد رسول اللَّه، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وصيّ رسول اللَّه'.

[غاية المرام: ١٦٥، الباب ٢٢ من المقصد الأوّل، ح ٥٠].

نبذة من الأخبار في أنّ أهل البيت هو الصراط المستقيم

ونذكر هنا نبذة من الروايات الّتي وردت في أنّ عليّاً عليه السلام، وكذا سائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، هم الصراط المستقيم، وهم الطريق إلى الحقّ المبين، وهم أُمناء اللَّه، ودعائم الإسلام، وهم أركان الإيمان، وحجج اللَّه في خلقه، وهم مصابيح الدجى، ومنار الهدى، وهم المنهاج والسراج إلى اللَّه تعالى، وهم الجسور وقناطير النجاة من العذاب، والمسير إلى الجنّة، ليسلك القارئ المحترم طريقتهم عليهم السلام، ويهتدي بهديهم، ولا يتجاوز عن طريقتهم، لا إلى الشرق ولا إلى الغرب، لا إلى هذا ولا إلى ذاك؛ لأنّ طريقتهم هي المصداق الحيّ لما ورد في سورة الفاتحة، ووجب علينا أن نقوله في كلّ يوم وليلة عشر مرّات: 'اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآ لِّينَ'.

وقد ذكر العلامة البحراني في "غاية المرام" ثلاثة أحاديث من طرق العامّة، وأربعة وعشرون من طريق الخاصّة، وكذا ذكر صاحب الإحقاق وغيره عدّة أحاديث تصرّح بأنّ الصراط المستقيم هو محمّد والأئمّة المعصومون "صلوات اللَّه عليهم أجمعين"، نذكر هنا بعضها:

١- روى البحراني: عن تفسير "الثعلبي" في ذيل قوله تعالى: 'اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ'، قال مسلم بن حيّان: سمعت أبا بريدة يقول: صراط محمّد وآله.

[غاية المرام: ٢٤٤، باب ٤٠، ح ٢].

٢- وفي "الإحقاق": قوله تعالى: 'وَأَنَّ هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ' [سورة الأنعام: ١٥٣].

فممّن ذكره أي أنّ هذه الآية في شأن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: الشيرازي من أعيان العامّة، أسند إلى قتادة، عن الحسن البصري، في قوله تعالى: 'هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً'، قال: يقول هذا طريق عليّ بن أبي طالب وذرّيّته طريق مستقيم، ودين مستقيم فاتّبعوه، وتمسّكوا به، فإنّه واضح لا عوج فيه. [الإحقاق ٣:٥٤٣].

٣- و روى المجلسي عن "بصائر الدرجات": عن الثمالي، عن أبي عبدالله عليه السلام: 'هَذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ' [سورة الحجر: ٤١].

قال: 'هو والله عليّ عليه السلام، هو والله الصراط والميزان'. [البحار ٣٥:٣٦٣].

٤- وفي "تفسير العيّاشي" عن عبدالله بن سليمان، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله: 'قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً' [سورة النساء: ١٧٤].

قال: 'البرهان محمّد صلى الله عليه و آله، والنور عليّ عليه السلام'، قال: قلت له: 'صِرَاطاً مُسْتَقِيماً'؟ قال: 'الصراط المستقيم عليّ عليه السلام'.

[تفسير العيّاشي ١:٢٨٥، والبحار ٣٥:٣٦٣].

٥- روى المجلسي عن "المناقب" عن ابن عبّاس: كان رسول الله صلى الله عليه و آله يحكم وعليّ عليه السلام بين يديه مقابله، ورجل عن يمينه ورجل عن شماله، فقال: 'اليمين والشمال مضلّة، والطريق المستوي الجادّة ثمّ أشار بيده: 'وإِنَّ هذا صِراطُ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوه'. [البحار ٣٥:٣٦٦].

٦- و عنه أيضاً عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك'.

[البحار ٨:٧٠، ومناقب الخوارزمي: ٢٢٩، تفسير نور الثقلين ١:٢٢، ح ٩٨].

٧- وفي "الإحقاق": عن إبراهيم الثقفي، بإسناده إلى أبي برده الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: 'وَأَنَّ هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ': [سورة الأنعام: ١٥٣].

'سألت الله أن يجعلها لعليّ عليه السلام'. [الإحقاق ٣:٥٤٣].

٨- روى الاميني عن "الفرائد السمطين" عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ عليه السلام في قوله تعالى: 'وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ'

[سورة المؤمنون: ٧٤].

قال عليه السلام: 'الصراط ولايتنا أهل البيت'.

[الغدير ٢:٣١١].

٩- و عنه أيضاً عن "فرائد السمطين" في حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: 'نحن خيرة اللَّه، ونحن الطريق الواضح، والصراط المستقيم إلى اللَّه'.

[الغدير ٢:٣١٢، عن فرائد السمطين].

وهم الصراط المستقيم* فوقه ناج وناكب**

[المصدر السابق: ٣١١].

١٠- وفي "تفسير البرهان" عن "الفقيه" بإسناده إلى المفضّل بن عمر، قال: حدّثني ثابت الثمالي، عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام: 'ليس بين اللَّه وبين حجّته حجاب، ولا للَّه دون حجّته ستر، نحنُ أبوابُ اللَّه، ونحنُ الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه'.

[تفسير البرهان ١:٥١، ح ٢٥، وتفسير نور الثقلين ١:٢٢، ح ٩٧، عن معاني الأخبار للشيخ الصدوق].

١١- وروى الحاكم الحسكاني عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لعليّ بن أبي طالب: 'أنت الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم، وأنت يعسوب المؤمنين'.

[شواهد التنزيل ١:٥٨، ح ٨٨ و ٨٩].

١٢- ورواه أيضاً عن جابر بن عبداللَّه، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'إنّ اللَّه جعل عليّاً وزوجته وابناه حجج اللَّه على خلقه، وهم أبواب العلم في أُمّتي، من اهتدى بهم هُدي إلى صراط مستقيم'.

[المصدر السابق: ح ٨٩].

١٣- و في "غاية المرام": عن إبراهيم بن محمّد الجويني، من أعيان علماء العامّة، بإسناده إلى أبي جعفر بن بابويه، بإسناده إلى أبي بصير، عن خيثمة الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: 'نحن جنب اللَّه، ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أُمناء اللَّه عزّ وجلّ، ونحن حجّة اللَّه، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الإسلام، ونحن من رحمة اللَّه على خلقه، ونحن بنا يفتح اللَّه وبنا يختم، ونحن أئمّة الهدى، ونحن مصابيح الدجى، ونحن منار الهدى، ونحن السابقون ونحن الآخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق، من تمسّك بنا لَحِقَ، ومن تأخّر عنّا غرقَ، ونحن قادة الغُرِّ المحجّلين، ونحن خيرة اللَّه، ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى اللَّه، ونحن من نعمة اللَّه عزّ وجلّ على خلقه، ونحن المنهاج، ونحن معدن النبوّة، ونحن موضع الرسالة، ونحن مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن

السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنّة، ونحن عرى الإسلام، ونحن الجسور والقناطر، من مضى عليها لم يسبق، ومن تخلّف عنها محق، ونحن السنام الأعلى، ونحنُ بنا ينزل اللّٰه عزّ وجلّ الرحمة، وبنا يسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرف حقّنا ويأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا".

[غاية المرام: ٢٤٦، باب ٤٠ من المقصد الأوّل، ح ١].

وأنشأ الحميري في ذلك:

سمّاه جبّار السما*** صراط حقّ فسما

فقال في الذِّكر ما*** كان حديثاً يفترى

هذا صراطي فاتّبعوا*** وعنهم لا تخدعوا

فخالفوا ما سمعوا*** والخلف ممّن شرعوا

واجتمعوا واتّفقوا*** وعاهدوا ثمّ التقوا

إن مات عنهم وبقوا*** أن يهدموا ما قد بنى

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٧٤].

وله أيضاً:

عليٌّ ذا صراط هدى*** فطوبى لمن إليه هدي

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٧٤].

وله أيضاً:

وله صراط اللّٰه دون عباده*** من يهده يرزق تقىً ووقارا

في الكتب مسطور مجلّى باسمه*** وبنعته فاسأل به الأحبارا

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٧٤].

نبذة من الأخبار الواردة في أنّ عليّاً هو السبيل في القرآن

١- في "تفسير القمّي": "انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً"

[سورة الإسراء: ٤٨].

قال: ولاية عليّ عليه السلام، وعليّ هو السبيل.

[تفسير القمّي ٢:١١١، والبحار ٣٥:٣٦٢].

٢- وفيه أيضاً في قوله تعالى: "يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً"

[سورة الفرقان: ٢٧].

قال أبو جعفر عليه السلام: 'يقول: يا ليتني اتّخذتُ مع الرسول صلى الله عليه و آله عليّاً وليّاً'.

[المصدر السابق ٢:١١٣، والبحار ٣٥:٣٦٣].

٣- و روى المجلسي عن المناقب، عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: 'فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً':

[سورة الإسراء: ٤٨].

'إلى ولاية عليّ عليه السلام سبيلاً، وعليّ وهو السبيل'.

[البحار ٣٥:٣٦].

٤- و عنه أيضاً: عن جعفر الصادق وأبي جعفر الباقر عليهماالسلام في قوله تعالى: 'إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا': 'يعني بني أُميّة'، 'وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ':

[سورة النساء: ١٦٧].

'عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام'.

[البحار ٣٥:٣٦٤].

وفي رواية: 'يعني بالسبيل عليّاً عليه السلام، ولا ينال ما عند اللّه إلا بولايته'.

[البحار ٣٥:٣٦٤].

٥- و عنه أيضاً: عن المناقب، عن أبي ذرّ، عن النبيّ صلى الله عليه و آله في قوله تعالى: 'وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ':

[سورة غافر: ٧].'يعني عليّاً'. [البحار ٣٥:٣٦٤].

٦- وفيه أيضاً: عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: "إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ' بولاية وصيّك 'قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ' [سورة المنافقون: ٥ - ١].

والسبيل هو الوصيّ، 'إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا' برسالَتِكَ 'ثُمَّ كَفَرُوْا' بولاية وصيّك 'فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ' 'وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ' ارجعوا إلى ولاية عليّ يستغفر لكم النبيّ من ذنوبكم 'لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ' عن ولاية عليّ عليه السلام، 'وَهُم مُسْتَكْبِرُونَ' عليه'.

[البحار ٣٥:٣٦٦].

عليّ و حديث الثقلين

عن عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "كأنّي دعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّٰه عزّ وجلّ حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما". صحيفة الإمام الرضا ٧:١٣٥

نظرة في حديث الثقلين

إنّ من جملة الأحاديث المعتبرة الّتي رويت عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله في فضل عليّ وعترته الطاهرة، هو حديث الثقلين الّذي حدّث به النبيّ صلى الله عليه و آله في آخر سنة من سنّي عمره الشريف في مواضع عدّة، اجتمع فيها خلق كثير من النّاس، وفي مناسبات هامّة تكتظّ بالناس عادة، فقد قاله في عرفة، وفي مسجد الخيف بمنى، وفي غدير خمّ، وفي أواخر أيّام عمره المبارك، وفي مرضه الّذي توفّي فيه، في كلّ هذه الموارد كان النبيّ صلى الله عليه و آله يلفت أنظار الناس ويوجّه اهتمامهم نحو جوهرتين ثمينتين، هما: القرآن، والعترة.

وحتّى في آخر لحظات حياته، حيث أوشك على مفارقة الدنيا، وحيث يكون النّاس عادة أكثر اهتماماً بما يقوله قائدهم وزعيمهم ويصغون بكلّ أعماقهم لكلماته فإنّه قال: "إنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّٰه، وعترتي، كتاب اللّٰه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروني بما تخلفوني فيهما".

[مسند أحمد بن حنبل ٢:١٧، والمناقب لابن المغازلي الشافعي: ٢٣٥، ح٢٨١].

لقد روي هذا الحديث عن النبيّ صلى الله عليه و آله متواتراً من طرق الفريقين، وقد تعرّض له أرباب الصحاح والسنن والمسانيد

[راجع: سنن الترمذي ٥:٦٦٢، ح ٣٧٨٦، مصابيح السنّة ٤:١٨٥، ح ٤٨٠٠، مسند أحمد ٣:١٤، سنن الدارمي ٢:٤٣٢، فضائل الصحابة ٢:٦٠٣، ح ١٠٣٥، الخصائص للنسائي: ٢١، السيرة الحلبيّة ٣:٣٣٦، تفسير الرازي ٨:١٦٣، تاريخ اليعقوبي ٢:١١٢، تفسير ابن كثير ٤:١٢٢، العقد الفريد ٤:١٢٦، تاريخ ابن عساكر ٢:٣٦، ح ٥٣٦، مجمع الزوائد ٩:١٦٣، الجامع الصغير ١:٢٤٤، ح ١٦٠٨، الصواعق المحرقة: باب١١، فصل ١، ص١٤٩، خصائص السيوطي ٢:٤٦٦، ذخائر العقبى: ١٦ وغيرها من مصادر الحديث والمناقب].

ففي هذا الحديث جعل رسول اللَّه التمسّك بأهل البيت والإلتزام بأقوالهم واعتبارها حجّة في أُصول الدين وفروعه عِدل الكتاب، فكما أنّ القرآن الكريم حجّة على الجميع ويجب التمسّك به فإنّ النبيّ صلى الله عليه و آله جعل العترة الطاهرة عِدل القرآن ليعلم الناس أنّ التمسّك بأقوالهم وأفعالهم واجب عليهم.

ففي صحيح مسلم في حديث الغدير عن زيد بن أرقم، عن النبيّ صلى الله عليه و آله: "أيّها النّاس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب اللَّه فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللَّه واستمسكوا به - فحثّ على كتاب اللَّه، ورغّب فيه، ثمّ قال: - وأهل بيتي، أذكّركم اللَّه في أهل بيتي، أذكّركم اللَّه في أهل بيتي، أذكّركم اللَّه في أهل بيتي".

[صحيح مسلم ٧:١٢٢، طبع دار المعرفة - بيروت].

وروى الحاكم النيشابوري في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن زيد بن أرقم، عن النبيّ صلى الله عليه و آله نحوه. [مستدرك الحاكم ٣:١٠٩].

وواضح أنّ التمسّك بالكتاب هو الأخذ بما فيه، والتمسّك بالعترة هو الأخذ بأقوالهم وسنّتهم، فأقوالهم وسنّتهم حجّة شرعيّة إلهيّة، فعلى الأُمّة الإسلاميّة التمسّك بالعترة الطاهرة في الأعمال والأقوال، ولا أظنّ أنّ أحداً يجرؤ على القول بأنّ قول أئمّة المذاهب الأربعة مقدّم على قول الأئمّة الطاهرين الذين هم سفن نجاة الأُمّة، وباب حطّتها، وأعلام هدايتها، وباب علم النبيّ؛ ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه و آله في شأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة: "فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم". [تفسير الدرّ المنثور ٢:٦٠].

وفي "نهج البلاغة": "لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً. هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ اليَقِينِ. إِلَيْهِمْ يَفِي ءُ الغَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالي. وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ، الْآنَ إِذْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ...".

[نهج البلاغة الخطبة ٢].

ونحن نرجو من إخوتنا أبناء العامّة أن يمعنوا النظر أكثر في هذه الروايات، وأن يقفوا على عقيدة الشيعة وأدلّتهم بقلوب بعيدة عن التعصّب، وليعلموا أنّ طريق السعادة هو طريق عترة النبيّ لا غير، ولذلك ورد في روايات كثيرة أنّ عليّاً عليه السلام وشيعته هم الفائزون يوم القيامة.

حديث الثقلين وعصمة الأئمّة وطهارتهم الذاتيّة

لقد جعل النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله أهل البيت عليهم السلام عِدلاً للكتاب في هذا الحديث ليُعلم النّاس أنّه كما وجبت طاعة أوامر القرآن والانتهاء عن نواهيه وبذلك تنال السعادة، وأنّ مخالفته ومعصيته حرام، فإنّ حكم أهل البيت حكم القرآن، الذين هم عِدل له، فالإعراض عنهم حرام ومعصية، وطاعتهم واجبة كطاعة القرآن.

وليعلمهم أيضاً بأنّه كما جعل اللَّه القرآن حجّة، ومخالفته ضلال وعمى، فإنّ الأئمّة أيضاً حجّة اللَّه ومخالفتهم تؤدّي إلى الضلال والعمى، ومع العلم بهذا فمن ذا الّذي يقوى أن يكون بهذه المنزلة؟ أيمكن أن يكون العاصي أو من يشتبه في أفعاله على أقلّ التقادير حجّة في أقواله وأفعاله؟ وهل تكون مخالفة العاصي ضلالة؟ كلا، بل إنّ في مخالفة العاصي والضالّ، السعادة والصلاح، وعلى هذا فإنّ الأئمّة الذين هم عِدل القرآن يجب أن يكونوا معصومين عن الذنب والخطأ، كما عصم النبيّ الأكرم عن ذلك.

قال أبو عبداللَّه محمّد بن مسلم بن أبي النواري الرازي في كتابه فضائل أمير المؤمنين عليه السلام الأربعين في صدر أحاديثه: فنرجو من اللَّه أن يحشرنا في زمرة نبيّه وعترته، ويرزقنا رؤيتهم وشفاعتهم بفضله وسعة رحمته الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ثمّ قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "إنّي تارك فيكم كتاب اللَّه وعترتي أهل بيتي، فهما خليفتان بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، سبب موصول من السماء إلى الأرض، فإن استمسكتم بهما لن تضلّوا، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة، فلا تسبقوا أهل بيتي بالقول فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتذهبوا، فإنّ مثلهم فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك، ومثلهم فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله غفر له. ألا وأنّ أهل بيتي أمان أُمّتي، فإذا ذهب أهل بيتي جاء أُمّتي ما يوعدون، ألا وإنّ اللَّه عصمهم من الضلالة، وطهّرهم من الفواحش، واصطفاهم على العالمين.

ألا وإنّ اللَّه أوجب محبّتهم، وأمر بمودّتهم، ألا وإنّهم شهداء على العباد في الدنيا ويوم المعاد، ألا وإنّهم أهل الولاية الدالّون على طرق الهداية، ألا وإنّ اللَّه فرض لهم الطاعة على الفرق والجماعة، فمن تمسّك بهم سلك، ومن حاد عنهم هلك، وبالعترة الهادية الطيّبين، دُعاة الدين، وأئمّة المتّقين، وسادة المسلمين، وقادة المؤمنين، وأُمناء ربّ العالمين، على البريّة أجمعين، الذين فرّقوا بين الشكّ واليقين، وجاؤا بالحقّ المبين".

[عبقات الأنوار ١:٤١٨، من المجلد ١٢، طبع اصفهان].

حديث الثقلين و إمامة الأئمّة وعصمتهم

لا شكّ أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله جعل عترته الطاهرة عِدلاً للكتاب العزيز في هذه الأحاديث، وواضح أنّ التمسّك بالعترة الّتي جعلها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عِدلاً للقرآن الكريم هو الأخذ بأقوالهم وسنّتهم، فتكون أقوالهم وسنّتهم حجّة شرعيّة إلهيّة، والإعراض عن قولهم وسنّتهم إعراض عن اللّٰه تعالى، ولهذا استشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى بهذه الأحاديث، كدليل على تقدّمه على القوم.

ودلّت أيضاً على عصمتهم من الذنوب والخطأ؛ لمساواتهم عليهم السلام في الحديث بالقرآن الثابت صونه وحفظه من اللّٰه تعالى بقوله: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

[سورة الحجر: ٩].

على أنّهم أحد الثقلين المخلّفين في النّاس، وجاء الأمر بالتمسّك بهم كالتمسّك بالقرآن، ولو كان الخطأ يقع منهم لما صحّ الأمر بالتمسّك بهم، كي لا يضلّ المرء كما لا يضلّ المتمسّك بالقرآن، ولو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان المتمسّك بهم في ضلال.

ودلّت أيضاً على أنّ في اتّباعهم الهدى والنور كما في القرآن، ولو لم يكونوا معصومين لكان في اتّباعهم الضلال، ووصفهم أنّهم حبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن، وهو كناية عن أنّهم واسطة بين اللّٰه تعالى وخلقه.

حديث الثقلين وبقاء الحجّة الإلهيّة إلى يوم القيامة

إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله هادٍ ومرشد للنّاس كافّة، ليس في عصره وحسب، وإنّما هو كذلك إلى يوم القيامة، فلم يُبعَث نبيّ الإسلام لجماعة خاصّة ومكان خاصّ ومدينة معيّنة، وإنّما جاء لجميع البشر وفي جميع الأعصار إلى انقراض البشرية "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ". ومن الطبيعي أن يموت النبيّ، فلا بدّ أن يعرِّف الناسَ بما يضمن بقاء الإسلام المحمّدي من بعده لئلا يضلّوا؛ لقوله صلى الله عليه و آله: "إنّ الأرض لا تخلو من قائم للّٰه بحجّة"، والّذي يضمن بقاء الرسالة المحمّدية هو القرآن والعترة، فالقرآن هو كتاب القانون، والعترة هم المنفّذون له، والمبيّنون أحكامه، والمفسّرون غوامضه.

وهذان الاثنان معاً هما خليفة رسول اللّٰه من بعده، ولذلك فإنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله يشير إلى هذه الحقيقة حتّى في آخر لحظات عمره الشريف، ويبيّن للنّاس بأنّ القرآن والعترة بين أظهركم من بعدي، فتمسّكوا بهما ولا تتفرّقوا عنهما فتضلّوا.

والطريف أنّه قد استبدلت كلمة الثقلين بكلمة خليفتين في بعض ما ورد عن العامّة، وعليه فإنّ كلّ من يدّعي خلافة النبيّ فهو غاصب، فعن زيد بن ثابت، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إنّي تارك فيكم

خليفتين: كتاب اللّه؛ حبل ممدود ما بين السماء والأرض - أو ما بين السماء إلى الأرض - وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض'.

[مسند أحمد بن حنبل ٥:١٨٥، وفي تفسير "الدرّ المنثور ٢:٦٠" أخرج الحديث بسنده عن زيد بن ثابت بعين ما تقدّم].

ونرى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله في بعض الأحيان يولي تعريف شخص عليّ عليه السلام اهتماماً خاصّاً أثناء بيانه لحديث الثقلين؛ لأنّه يعلم بأنّ القوم إذا ما فرّقوا بين عليّ والقرآن، وجعلوا عليّاً جليس داره، وتربّع الآخرون على كرسي السلطة، فإنّ الكثير من المسلمين سينحرفون، وإلى الأبد، ولا يصلون إلى الحقّ والحقيقة، ولن يدع الكائدون وعبّاد الدنيا الحقّ يظهر جليّاً، ولذلك اهتمّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله بتعريف عليّ عليه السلام في حديث الثقلين و في غيره.

وفي "أمالي المفيد" عن عبداللّه بن عبّاس، قال: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام والعبّاس بن عبدالمطّلب والفضل بن العبّاس دخلوا على رسول اللّه صلى الله عليه و آله في مرضه الّذي قُبض فيه، فقالوا: يا رسول اللّه، هذه الأنصار في المسجد تبكي رجالها ونساؤها عليك. فقال: 'وما يبكيهم'؟ قالوا: يخافون أن تموت، فقال صلى الله عليه و آله: 'أعطوني أيديكم'، فخرج في ملحفة وعصابة حتّى جلس على المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: 'أمّا بعد أيّها النّاس، فما تنكرون من موت نبيّكم؟ ألم أنع

[نعى لنا فلاناً بناءً للفاعل: أخبرنا بوفاته].

إليكم، وتنع إليكم أنفسكم؟ لو خلّد أحد قبلي ثمّ بعث إليه لخلّدت فيكم، ألا إنّي لاحق بربّي، وقد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب اللّه تعالى بين أظهركم، تقرؤونه صباحاً ومساءً، فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً كما أمركم اللّه، وقد خلّفت فيكم عترتي أهل بيتي وأنا أُوصيكم بهم، ثمّ أُوصيكم بهذا الحيّ من الأنصار، فقد عرفتم بلاءهم عند اللّه عزّ وجلّ وعند رسوله وعند المؤمنين، ألم يوسّعوا في الديار، ويشاطروا الثمار، ويؤثروا وبهم الخصاصة؟ فمن ولي منكم أمراً يضرّ فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسن الأنصار، وليتجاوز عن مسيئهم' وكان آخر مجلس حتّى لقى اللّه عزّ وجلّ.

[أمالي المفيد: ٤٥].

حديث الثقلين ووجود قائم آل محمّد

يستفاد من الحديث أيضاً انّ المهدي "عج" قائم آل محمّدعليهم السلام باق الى يوم القيامة حيث ان النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله قال في هذا الحديث بأنّ القرآن والعترة متلازمان ولن يفترقا حتّى يردا عليه

حوض الكوثر يوم القيامة. ويفهم من هذا الحديث جيّداً أنّ الأرض لن تخلو يوماً من حجّة اللّه، يكون عِدلاً للقرآن، سواء كان حاضراً ظاهراً بين النّاس أو غائباً، كما هو الحال في عصرنا حيث غاب صاحب الزمان "عجّل اللّه فرجه" عن الأنظار، فحتّى لو لم ترد رواية تدلّ على وجود إمام العصر والزمان - وما أكثر ما ورد في ذلك - لكان بإمكاننا أن نثبت وجوده من خلال حديث الثقلين؛ وذلك أنّ كلام الرسول الأكرم يؤخذ عن طريق الوحي، وهو يقول: إنّ الأرض لن تكون يوماً بدون عِدل للقرآن حتّى تقوم الساعة. والطريف أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله يشير في بعض الروايات الواردة في باب "حديث الثقلين" إلى مسألة الأئمّة المعصومين ووجودهم حتّى انقراض الدنيا وفنائها.

ففي "البحار"، عن "كفاية الأثر" عن الحسن بن عليّ عليهماالسلام، قال: 'خطبنا رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوماً فقال - بعد ما حمد اللّه وأثنى عليه -: معاشر النّاس، كأنّي أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، فتعلّموا منهم ولا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم، لا تخلو الأرض منهم ولو خلت إذن لساخت بأهلها. ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أعلم أنّ العلم لا يبيد [لا يبيد: لا يهلك]. ولا ينقطع، وأنّك لا تخلي أرضك من حجّة لك على خلقك ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور [المغمور: المجهول].

ولكيلا تبطل حجّتك، ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، أُولئك الأقلون عدداً، الأعظمون قدراً عند اللّه. فلمّا نزل عن منبره قلت: يا رسول اللّه، أما أنت الحجّة على الخلق كلّهم؟ قال: يا حسن، إنّ اللّه يقول: 'إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ'. [سورة الرعد: ٧].

فأنا المنذر وعليّ الهادي. قلت: يا رسول اللّه، فقولك: إنّ الأرض لا تخلو من حجّة؟ قال: نعم، عليّ هو الإمام والحجّة بعدي، وانت الحجّة والإمام بعده، والحسين هو الإمام بعدك، ولقد نبّأني اللطيف الخبير أنّه يخرج من صلب الحسين ولدٌ يقال له: عليٌّ سميّ جدّه عليّ، فإذا مضى الحسين قام بالأمر بعده عليّ ابنه، وهو الحجّة والإمام، ويخرج اللّه من صلب عليّ ولداً سَميّي وأشبه النّاس بي، علمه علمي، وحكمه حكمي، وهو الإمام والحجّة بعد أبيه - وساق الكلام في الأئمّة سلام اللّه عليهم أجمعين إلى أن قال: - ويخرج اللّه من صلب الحسن "بن عليّ العسكري" الحجّة القائم، إمام زمانه، منقذ أوليائه، يغيب حتّى لا يُرى، يرجع عن أمره قومٌ، ويثبت له آخرون 'وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ' [سورة يونس: ٤٨].

ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل اللّٰه عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يخرج قائمنا، يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فلا تخلو الأرض منكم، أعطاكم اللّٰه علمي وفهمي، ولقد دعوت اللّٰه تبارك وتعالى أن يجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي ومن زرعي وزرع زرعي'.

[البحار ٣٦:٣٣٨، وروى القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة عن الحسن بن عليّ عليه السلام نحوه].

ثمّ إنّ قوله صلى الله عليه و آله: 'لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض' يدلّ على استمرار وجود إمام من العترة الهادية في كلّ عصر، كاستمرار وجود القرآن الكريم بشكل ظاهر وواضح، ولهذا ذهب ابن حجر إلى هذا القول، و قال: وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، ويشهد لذلك الخبر: 'وفي كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي'.

[الصواعق المحرقة: ١٤٩].

مخالفة العترة كمخالفة القرآن هي كفر وضلال

لدينا قاعدة تقول: حكم الشي ء حكم لملازمه، ومن الأُمور المسلّمة في الإسلام، والّتي تتّفق فيها جميع الفِرق الإسلاميّة أنّ مخالفة القرآن حرام وعصيان، وتترتّب عليها عقوبة أبديّة، وكلّ من يرتكب هذه المعصية فهو في حكم الكافر والمرتدّ. وقد أزاح نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله الستار عن هذا السرّ والحقيقة من خلال حديث الثقلين، فهو يقول للمسلمين كناية: إنّ مخالفة أهل البيت كفر وضلال تترتّب عليها عقوبة أبديّة؛ وذلك لأنّ العترة عِدل القرآن، ويقف أهل البيت في صفّ واحد مع القرآن.

ولم يكن حديث الثقلين مختصّاً بزمان ومكان محدّدين، وإنّما كان للجميع وإلى يوم القيامة، وبيّن النبيّ صلى الله عليه و آله حقيقة التلازم بينهما، ولذلك فإنّ أُولئك الذين قالوا: حسبنا كتاب اللّٰه، واستناداً إلى هذا الحديث الشريف المتواتر كفّار ضالّون، وهم في العذاب الأليم خالدون، وكذلك الذين يقولون: حسبنا العترة، فإنّهم ضالّون، وفي العذاب خالدون، ولهذا جهد النبيّ صلى الله عليه و آله في آخر لحظات عمره إلى تأكيد وجوب التمسّك بالعترة عندما طلب كتفاً ودواة ليثبت هذا الحديث، أو خصوص الوصيّة بالخلافة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام كتابةً هذه المرّة وليبلّغه المسلمين، ولمّا تنبيّه بعض الحاضرين إلى ما يريده النبيّ لم يحترم قدسيّته، وتكلّم بكلام نابٍ، فتأثّر النبيّ وغصب لذلك وأخرجهم من داره، وقد صرّحت بعض الروايات بأنّ المتكلّم كان عمر بن الخطّاب.

ففي "صحيح البخاري" بسنده عن ابن عبّاس، قال: لمّا حُضر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وفي البيت رجال، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده'، فقال بعضهم: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب اللَّه، فاختلف أهل البيت واختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'قوموا'.

قال عبيداللَّه: فكان يقول ابن عبّاس: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم.

[صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٦:٢٣٥].

و روى الصدوق بسنده عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: 'قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله - في حديث -: ولا بدّ للمسافر من زاد، فمن لم يتزوّد وسافر عطب وهلك، وخير الزاد التقوى، ثمّ اذكروا وقوفكم بين يدي اللَّه جلّ جلاله، فإنّه الحكم العدل، واستعدّوا لجوابه إذا سألكم، فإنّه لا بدّ سائلكم عمّا عملتم بالثقلين من بعدي: كتاب اللَّه، وعترتي، فانظروا أن لا تقولوا: أمّا الكتاب فغيّرنا وحرّفنا، وأمّا العترة ففارقنا وقتلنا، فعند ذلك لا يكون جزاؤكم إلا النّار، فمن أراد منكم أن يتخلّص من هول ذلك اليوم فليتولّ وليّي، وليتّبع وصيّي وخليفتي من بعدي عليّ بن أبي طالب، فإنّه صاحب حوضي يذود عنه أعداءه ويسقي أولياءه، فمن لم يسبق منه لم يزل عطشاناً، ولم يروَ أبداً، ومن سُقي منه شربة لم يشق ولم يظمأ أبداً، وإنّ عليّ بن أبي طالب لصاحب لوائي في الآخرة كما كان صاحب لوائي في الدنيا، وإنّه أوّل من يدخل الجنّة؛ لأنّه يقدمني وبيده لوائي تحته آدم ومن دونه من الأنبياء'.

[أمالي الصدوق - المجلس السابع والأربعون: رقم ٩].

وروى العلامة الخوارزمي بسنده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: 'لمّا ثقل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في مرضه والبيت غاصٌّ بمن فيه، قال: ادعو لي الحسن والحسين؟ فجاءا، ثمّ قال: أيّها النّاس، قد خلّفت فيكم كتاب اللَّه وسنّتي وعترتي أهل بيتي، فالمضيّع لكتاب اللَّه تعالى كالمضيّع لسنّتي، والمضيّع لسنّتي كالمضيّع لعترتي، أما أنّ ذلك لن يفترقا حتّى اللقاء على الحوض'.

[مقتل الحسين للخوارزمي: ١١٤].

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي ذيل الآية الشريفة: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ" إلى قوله: "وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ".

[سورة آل عمران: ١٠٦ و ١٠٧].

قال: حدّثني أبي، عن صفوان بن يحيى، عن أبي الجارود، عن عمران بن هيثم، عن مالك بن ضمرة، عن أبي ذرّ رحمه الله، قال: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "ترد عليّ أُمّتي يوم القيامة على خمس رايات:

الأوّل: فراية مع عجل هذه الأُمّة فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه، فأقول: ردوا النّار ظماءً مظمئين مسودّة وجوهكم.

الثاني: ثمّ ترد علَيّ راية مع فرعون هذه الافمّة، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ومزّقناه وخالفناه، وأمّا الأصغر فعاديناه وقاتلناه، فأقول: ردوا النّار ظماءً مظمئين مسودّة وجوهكم.

الثالث: ثمّ ترد علَيّ راية مع سامري هذه الأُمّة فأقول لكم: ما فعلتم بالثقلين بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فعصيناه وتركناه، وأمّا الأصغر فخذلناه وضيّعناه، وصنعنا به كلّ قبيح، فأقول: ردوا النّار ظماءً مظمئين مسودّة وجوهكم.

الرابع: ثمّ ترد علَيّ راية ذي الثدية مع أوّل الخوارج وآخرهم؟ فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر ففرّقناه ومزّقناه وبرئنا منه، وأمّا الأصغر فقاتلناه وقتلناه. فأقول: ردوا النّار ظماءً مظمئين مسودّة وجوهكم.

و الخامس: ثمّ ترد علَيّ راية مع إمام المتّقين، وسيّد الوصيّين، وقائد الغرّ المحجّلين، ووصيّ رسول ربّ العالمين، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتّبعناه وأطعناه، وأمّا الأصغر فأحببناه ووالیناه ووازرناه ونصرناه حتّى أُهرقت فيهم دماؤنا، فأقول: ردوا الجنّة رواءً مرويّين مبيضّة وجوهكم".

ثمّ تلا رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّت وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ".

[تفسير عليّ بن إبراهيم ١:١٠٩].

حديث الثقلين وإنّ ظلم أحدهما ظلم للآخر

يستفاد من حديث الثقلين من قوله صلى الله عليه و آله: "لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض"، أنّ ما يجري على أحد الثقلين بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله سيجري على الآخر، فإذا هجر القرآن هجرت العترة

أيضاً، وإذا هجرت العترة هجر القرآن، وإذا ظلم أحدهما ظلم الآخر حتّى يردا على النبيّ صلى الله عليه و آله الحوض يوم القيامة.

ليس الأمر أنّ العترة إن ظلمت فسيقتصر الظلم عليها، بل إنّهما توأمان متلازمان، وكما قال النبيّ صلى الله عليه و آله فلا ينبغي التفريق بينهما، فإذا ما ترك جماعة العترة وراء ظهورهم، فإنّهم يكونون قد أدبروا عن القرآن أيضاً، وإذا ظلموا العترة فإنّهم قد ظلموا القرآن أيضاً، وقد أخطأوا حيث قالوا: نعمل بكتاب اللّٰه، فإنّهم إن لم يطيعوا العترة لم يطيعوا القرآن.

وقد تجلّت هذه الحقيقة بعد النبيّ صلى الله عليه و آله بوضوح، وخاصّة بعد أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ الحكومات الّتي تظاهرت بالإسلام والطواغيت عبدة الدنيا والجاه قد عزلوا العترة الطاهرة - وهم مفسّرو ومبيّنو الحقائق الربّانيّة وأسرار الكتاب السماوي، الذين تلقّوا هذا العلم والتفسير من النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله - عن المجتمع، وفرّقوا بين هذا الثقل الأصغر وبين الثقل الأكبر، ألا وهو القرآن الكريم، كما عزلوهم عن كلّ شي ء في العالم، وإذا استثنينا السنوات الّتي تصدّى فيها عليّ عليه السلام للحكومة فإنّه لم يكن لعترة النبيّ صلى الله عليه و آله دور يذكر في القيادة السياسيّة، ولم يكتفوا بذلك، بل أنزلوا بهم المظالم وارتكبوا في حقّهم الجنايات الّتي يخجل القلم أن يسجّلها، وتدمع العيون لها، وتحترق القلوب لألمها، كلّ ذلك والحكومة قد سلكت مسلك الفساد والطغيان والهجوم والتعدّي بحجّة أنّ القرآن محكم.

غير أنّ الظلم الّذي أنزلوه بالعترة قد نال الثقل الأكبر - أي القرآن - تلقائياً، فإنّهم قد هجروا القرآن الّذي هو كتاب بناء وحياة وعمل، فلمّا هجروا العترة هجروا القرآن أيضاً، وأضحى لا يقرأ إلا على القبور ومجالس العزاء الّتي تقام على الموتى، وأصبح يربط بأيدي الرياضيّين، وتمهر به النساء، وأخيراً فإنّ القرآن الّذي كان سبباً لوحدة المجتمع اتّخذه الجناة آلة لإيجاد الفرقة، فأضاعوا دنيا النّاس وآخرتهم.

والحقّ أنّ هجران القرآن قد نشأ عن هجران العترة والثقل الأصغر، وبالرغم من أنّ القرآن يطبع ظاهريّاً، وقد عمّت مظاهر القرآن ونسخه أرجاء الدنيا، أمّا في المجال العملي فإنّ الشي ء الّذي ليس له أثر الحكم والتنفيذ هو القرآن والقرآن فقط.

نعم، إنّ هاتين الجوهرتين النفيستين متلازمتان، وإذا فصلت إحداهما، فإنّ الثانية لا بدّ أن تتعطّل، وسيكون الظلم شاملاً للاثنتين معاً، كما ورد في وصيّة عليّ عليه السلام لكميل، قال: "قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: معاشر النّاس، أمرنى جبرئيل عن اللّٰه عزّوجلّ ربّي وربّكم أن أُعلمكم أنّ القرآن هو الثقل الأكبر، وأنّ وصيّي هذا - وأشار إلى عليّ عليه السلام - وابناي ومَن خلفهم من أصلابهم، هم الثقل الأصغر يشهد الثقل

الأكبر بالثقل الأصغر، ويشهد الثقل الأصغر بالثقل الأكبر، كلّ واحد منهما ملازم لصاحبه غير مقارن له حتّى يردا على اللّه فيحكم بينهما وبين الخلق'.

[سفينة البحار ١:١٣٢، مادة "ثقل"].

إنّنا نشكر اللّه تعالى أنّ مَنّ علينا بالعمل بالقرآن واتّباع عترة آل محمّد "صلوات اللّه عليهم أجمعين"، وندعو اللّه أن يجعلنا من العاملين الحقيقيّين بالقرآن، ومن المتّبعين بحقّ للمعصومين عليهم السلام. [اقتباس من الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخميني قدس سره].

عناية العلماء من العامّة والخاصّة بنقل حديث الثقلين

لقد روى حديث الثقلين معظم علماء أهل السنّة في تفاسيرهم وفي صحاحهم، فرواه مسلم والترمذي في صحيحيهما، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والثعلبي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة و... حتّى روى السيّد البحراني في "غاية المرام" تسعة وثلاثين حديثاً عن العامّة.

وأمّا عندنا نحن الإماميّة فمجمع عليه ومتّفق، وروى السيّد البحراني في "غاية المرام" في طرق أهل البيت عليهم السلام اثنين وثمانين حديثاً.

[غاية المرام: الباب ٢٨ و ٢٩ من المقصد الأوّل].

وقد خصّص العلامة مير سيّد حامد حسين الهندي مجلّدين ضخمين - ١١ و ١٢ من كتابه المسمّى "عبقات الأنوار" طبعة اصفهان - لنقل حديث الثقلين وطرقه ورواته من كتب أهل السنّة.

وفي "الصواعق المحرقة" قال: روى هذا الحديث "حديث الثقلين" عن بضعة وعشرين صحابيّاً، وورد من طرق صحيحة مقبولة، وهو من الأحاديث المتواترة، أجمع الحفّاظ على القول بصحّته، وإليهم المرجع في ذلك.

[القول الفصل ١:٤٩، نقلاً عن الإحقاق ٩:٣٦٩].

وقال المفيد: ثمّ كان ممّا أكّد له من الفضل وتخصّصه منه بجليل رتبته ما تلا حجة الوداع من الأمور المتجدّدة لرسول اللّه صلى الله عليه و آله والأحداث الّتي اتّفقت بقضاء اللّه وقدره؛ وذلك أنّه صلى الله عليه و آله تحقّق من دنوّ أجله ما كان قدّم الذّكر به لأُمّته، فجعل صلى الله عليه و آله يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم الفتنة بعده والخلاف عليه، ويؤكّد وصايتهم بالتمسّك بسنّته والإجماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة، والاعتصام بهم في الدين ويزجرهم عن الخلاف والارتداد،

وكان فيما ذكره صلى الله عليه و آله من ذلك ما جاءت به الرواة على اتّفاق وإجماع من قوله صلى الله عليه و آله: "أيّها الناس، إنّي فرطكم، وأنتم واردون عليَّ الحوض، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يلقياني، وسألت ربّي ذلك فأعطانيه ألا وإنّي قد تركتهما فيكم، كتاب اللّه، وعترتي أهل بيتي، لا تسبقوهم فتفرّقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

أيّها النّاس، لا ألفينّكم بعدي ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كبحر السيل الجرّار، ألا وإنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصيّي يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله"، وكان صلى الله عليه و آله يقوم مجلساً بعد مجلس بمثل هذا الكلام ونحوه.

[إرشاد المفيد ١٧٩: ١].

صدور حديث الثقلين في مواطن مختلفة

اعلم أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله كما مرّت الاشارة اليه قد تحدّث بحديث الثقلين في مواطن عديدة ومناسبات خاصّة طبقاً لما بين أيدينا من الروايات، وأغلب تلك الموارد كانت في آخر سنة من عمره الشريف، وهي كما يلي:

١ - في يوم عرفة في حجّة الوداع.

٢ - في مسجد الخيف في منى في حجّة الوداع.

٣ - في خطبته يوم غدير خم بعد رجوعه من حجّة الوداع.

٤ - يوم خطب في جمعة، ولعلّ هذه وما بعدها كانت في خطبته يوم قُبض.

٥ - في خطبته على المنبر يوم قُبض أو هو في حجرته المباركة في مرضه.

٦ - في رجوعه من سفر.

ففي "ينابيع المودّة" عن كتاب سليم بن قيس، قال عليّ عليه السلام: "إنّ الّذي قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوم عرفة على ناقته القصوى، وفي مسجد الخيف، ويوم الغدير، ويوم قبض في خطبة على المنبر: أيّها النّاس، إنّي تركت فيكم الثقلين، لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: الأكبر منهما كتاب اللّه، والأصغر عترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير عهد إليَّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض كهاتين، أشار بالسبّابتين... فتمسّكوا بهما لن تضلّوا، ولا تقدّموا منهم، ولا تخلّفوا عنهم، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم". [ينابيع المودّة: ١١٤، والإحقاق ٩:٣٥٣].

طائفة من الأخبار الّتي رويت بلا مناسبة خاصّة

١- في "مسند أحمد حنبل" عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب اللّٰه، وأهل بيتي، وإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوض جميعاً'.

[مسند أحمد بن حنبل ٥:١٨٩].

٢- و روى ابن المغازلي الشافعي عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّٰه، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض'.

[المناقب لابن المغازلي: ٢٣٤، رقم ٢٨١.

وروى نحو هذا الحديث صاحب العمدة عن زيد بن أرقم، راجع: غاية المرام: ٢١٣، باب ٢٨، من المقصد الأوّل، ح ١٦].

٣- و في "العبقات" قال: روى الترمذي في صحيحه، بسنده عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب اللّٰه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا علَيّ الحوض، فانظروني كيف تخلفوني'.

[عبقات الأنوار: ١:١١٠، من المجلّد ١٢، طبع اصفهان، وفي سنن الترمذي ٥:٦٢٢، ح ٣٧٨٨، وفي آخره هذا: 'كيف تخلفوني فيهما'].

٤- و روى ابن المغازلي، بسنده عن يزيد بن حيّان، قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: قام فينا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فخطبنا فقال: 'أمّا بعد - أيّها النّاس - إنّما أنا بشر يوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين، وهما: كتاب اللّٰه فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّٰه واستمسكوا به - فحثّ على كتاب اللّٰه ورغّب فيه - ثمّ قال: وأهل بيتي أُذكّركم اللّٰه في أهل بيتي'، - قالها ثلاث مرّات -.

[المناقب لابن المغازلي: ٢٣٦، ح ٢٨٤، ينابيع المودّة: ١٩١].

٥- و اخرج السيوطي عن الطبراني في "المعجم الكبير" بسنده عن زيد بن أرقم رحمه الله قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّي لكم فرط، وإنّكم واردون علَيّ الحوض "عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضّة"، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين'. قيل: وما الثقلان؟ قال: 'الأكبر كتاب اللّٰه سبب طرفه بيد اللّٰه وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به لن تزالوا

[كذا في المصدر، والصحيح: 'تزلوا'].

ولا تضلّوا، والأصغر عترتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض، وسألت لهما ذاك ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم'.

[المعجم الكبير: ١٣٧، نقلاً عن الإحقاق ٩:٣٢٢، تفسير الدرّ المنثور ٢:٦٠].

٦- و في مسند أحمد بن حنبل، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'إنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللَّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض'.

[مسند أحمد بن حنبل ٣:١٤، ورواه الطبراني في المعجم الصغير: ١٣١].

٧- و اخرج السيوطي: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي أمرين أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب اللَّه حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض'.

[تفسير الدرّ المنثور ٢:٦٠].

٨- و روى ابن المغازلي: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه عزّ وجلّ، وعترتي أهل بيتي، فانظروا ماذا تخلفوني فيهما'؟

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٢٣٥، ح ٢٨٢].

٩- و رواه أيضاً: عن أبي سعيد الخدري، قال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: 'إنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي قد تركت فيكم الثقلين: كتاب اللَّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض، فانظروا ماذا تخلفوني فيهما؟'.

[المصدر السابق: ح ٢٨٣].

١٠- و روى القندوزي الحنفي: عن أبي ذرّ أنّه أخذ بحلقة باب الكعبة فقال: إنّي سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: 'إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب اللَّه وعترتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما'.

[ينابيع المودّة: ٣٩].

١١- و في "غاية المرام": عن ابن أبي الحديد، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'خلفتُ فيكم الثقلين: كتاب اللَّه وأهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض، لا يفترقان حتّى يردا علَيّ الحوض'.

[غاية المرام: ٢١٣، باب٢٨ من المقصد الأوّل، ح ٣٦].

١٢- و روى المجلسى عن "كفاية الأثر" بسنده عن عمر بن الخطّاب، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'أيّها النّاس، إنّي فرط لكم، وإنّكم واردون علَيّ الحوض، حوضاً أعرض ممّا بين صنعاء وبصرى [صنعاء اسم لموضعين: أحدهما باليمن وهي العظمى، والأُخرى بدمشق، وبصرى بالضمّ والقصر أيضاً في موضعين: إحداهما بالشام، والأُخرى من قرى بغداد].

فيه قدحان عدد النجوم من فضّة، وإنّي سائلكم حين تردون علَيّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ السبب الأكبر كتاب اللّٰه طرفه بيد اللّٰه وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض'. فقلت: يا رسول اللّٰه، مَن عترتك؟ قال: 'أهل بيتي من ولد عليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من صلب الحسين أئمّة أبرار، وهم عترتي من لحمي ودمي'.

[البحار ٣٦:٣١٧].

الاخبار الّتي وردت في مناسبات خاصّة

والأخبار الّتي وردت في مناسبات خاصّة طبقاً لما في أيدينا من الروايات تبلغ ستّة موارد، نذكرها كما يلي:

حديث الثقلين يوم عرفة

روى الترمذي في صحيحه، عن جابر بن عبداللّٰه، قال: رأيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: 'يا أيّها النّاس، إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب اللّٰه، وعترتي أهل بيتي'.

[صحيح الترمذي ٥:٦٢١، باب مناقب أهل بيت النبيّ صلى الله عليه و آله، ح ٣٧٨٦.

ورواه بعين ما تقدّم العلامة البغوي في مصابيح السنّة: ٢٠٦، ومحمّد بن يوسف الزرندي في نظم درر السمطين: ٢٣٢، والطبراني في المعجم الكبير: ١٣٧، وغيرهم من علماء العامّة].

حديث الثقلين في مسجد الخيف في منى

١- وفي "غيبة النعماني": بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهماالسلام، وروي أيضاً بطريق آخر عن عليّ بن عقبة، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، وبطريق آخر عن حريز، عن أبي عبداللّٰه جعفر بن محمّد بن عليّ، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، قال في ذيل حديث طويل: 'خطب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في مسجد الخيف في حجّة الوداع: إنّي فرطكم

[فرطكم - بفتح الفاء والراء -: أي متقدّمكم إليه. يقال: فرط يفرط فهو فارط، وفرط - بفتح الراء -: إذا تقدّم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيّ ء لهم الدلاء، والأرشية - النهاية].

وإنّكم واردون علَيّ الحوض، حوضاً عرضه ما بين بصرى إلى صنعاء، فيه قدحان عدد نجوم السماء، ألا وإنّي مخلف فيكم الثقلين: الثقل الأكبر القرآن، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، هما حبل اللَّه ممدود بينكم وبين اللَّه عزّ وجلّ، ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، سبب منه بيد اللَّه، وسبب بأيديكم، إنّ اللطيف الخبير قد نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض كاصبعيّ هاتين - وجمع بين سبّابتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع بين سبّابته والوسطى - فتفضّل هذه على هذه".

[الغيبة للنعماني: ٤٢، الباب الثاني، ح ٢].

٢- وفي "غاية المرام" عن "بصائر الدرجات" للشيخ سعد بن عبداللَّه القمّي، بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "دعا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله النّاس بمنى، فقال: أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب اللَّه، وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض. ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم حرماتٍ ثلاثٍ: كتاب اللَّه عزّ جلّ، وعترتي، والكعبة البيت الحرام".

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: "أمّا كتاب اللَّه فحرّفوا، وأمّا الكعبة فهدّموا، وأمّا العترة فقتلوا، وكلّ ودائع نبذوا منها فقد نبذوا".

[غاية المرام: ٢٢٤، الباب ٢٩ من المقصد الأوّل، ح ١٧].

حديث الثقلين في غدير خم

١- روى الطبراني بسنده عن حذيفة بن أُسيد الغفاري، قال: لمّا صدر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من حجّة الوداع، نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا تحتهنّ، ثمّ بعث إليهنّ فقمّ ما تحتهنّ من الشوك وعمد إليهنّ فصلّى تحتهنّ، ثمّ قال: فقال: "يا أيّها النّاس، إنّي قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمّر نبيّ إلا نصف عمر الّذي يليه من قبله، وإنّي لأظنّ أنّي يوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون"؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت وجاهدت ونصحت، فجزاك اللَّه خيراً.

فقال: "أليس تشهدون أن لا إله إلا اللَّه، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ البعث حقّ بعد الموت، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ اللَّه يبعث مَن في القبور"؟ قالوا: بلى، نشهد بذلك، قال: "اللّهمّ اشهد".

ثمّ قال: "أيّها النّاس، إنّ اللّه مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أوْلى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني عليّاً عليه السلام - اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه".

ثمّ قال: "يا أيّها النّاس، إنّي فرطكم، وإنّكم تردون عليَّ، وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب اللّه عزّ وجلّ سبب طرفه بيد اللّه، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن ينقضا حتّى يردا علَيّ الحوض".

[المعجم الكبير: ١٥٧، نقلاً عن الإحقاق ٩:٣٣٧].

٢- وفي "أرجح المطالب" عن أُمّ سلمة، قالت: أخذ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بيد عليّ بغدير خم، فرفعها حتّى رأينا بياض إبطيه، فقال: "من كنت مولاه فعليّ مولاه". ثمّ قال: "أيّها النّاس، إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتي، ولن يتفرقا حتّى يردا علَيّ الحوض.

[أرجح المطالب: ٣٣٨، عن الإحقاق ٩:٣٦٦].

٣- وروى الحاكم النيشابوري بسنده عن أبي واثلة أنّه سمع زيد بن أرقم يقول: نزل رسول اللّه صلى الله عليه و آله بين مكّة والمدينة عند شجرات خمس، دوحات عظام، فكنس النّاس ما تحتهنّ، ثمّ راح رسول اللّه صلى الله عليه و آله عشية فصلّى، ثمّ قال: "أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما، وهما: كتاب اللّه وأهل بيتي عترتي". ثمّ قال: "أتعلمون إنّي أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم"؟ ثلاث مرّات، قالوا: نعم، قال: "من كنت مولاه فعليّ مولاه".

[مستدرك الحاكم ٣:١٠٩].

٤- و روى القندوزي الحنفي عن صحيح مسلم بإسناده عن يزيد بن حيّان، قال: انطلقت أنا وحُصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه، قال له حصين: لقد لقيت - يا زيد - خيراً كثيراً؛ رأيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه، لقد لقيت - يا زيد - خيراً كثيراً. حدّثنا - يا زيد - ما سمعت من رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

قال: يابن أخي، واللّه لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الّذي كنت أعي من رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خُمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد اللّه تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثمّ قال: "أمّا بعد، ألا أيّها النّاس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب اللّه تعالى فيه

الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه واستمسكوا به - فحثّ على كتاب اللّه عزّ وجلّ ورغّب فيه - ثمّ قال: وأهل بيتي، أذكّركم اللّه في أهل بيتي' - ثلاثاً -.

[ينابيع المودّة: ٢٩، العبقات ١:٤١٤، من المجلّد ١٢، ط. اصفهان، والإحقاق ٩:٣١٨].

حديث الثقلين في مرضه الّذي توفّي فيه

١- روى العلامة الخوارزمي بإسناده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: "لمّا ثقل رسول اللّه صلى الله عليه و آله في مرضه والبيت غاصّ بمن فيه، قال: ادعو لي الحسن والحسين عليهماالسلام، فجاءا، فجعل يلثمهما حتّى أُغمي عليه، فجعل عليّ عليه السلام يرفعهما عن وجه رسول اللّه صلى الله عليه و آله ففتح عينيه، وقال: دعهما يتمتّعا منّي وأتمتّع منهما، فستصيبهما بعدي إثرة.

ثمّ قال: أيّها النّاس، قد خلّفت فيكم كتاب اللّه، وسنّتي، وعترتي أهل بيتي، فالمضيّع لكتاب اللّه تعالى كالمضيّع لسنّتي، والمضيّع لسنّتي كالمضيّع لعترتي، أما إنّ ذلك لن يفترقا حتّى اللقاء على الحوض'.

[مقتل الحسين عليه السلام: ١١٤].

٢- وعن الجويني، عن سليم بن قيس، أنّه روى عن عليّ عليه السلام في حديث، قال: "إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله في آخر خطبته قال يوم قبضه اللّه عزّ جلّ إليه: إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي إن تمسّكتم بهما: كتاب اللّه عزّ وجلّ، وعترتي أهل بيتي، فإنّ اللطيف الخبير قد عهد إليَّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض كهاتين - وجمع مسبحتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع مسبحته والوسطى - فتمسّكوا بهما ولا تقدّموهم فتضلّوا".

[الإحقاق ٩:٣٥٣].

٣- و أخرج ابن عقدة من طريق عروة بن خارجة، عن فاطمة الزهراء عليهاالسلام، قالت: "سمعت أبي صلى الله عليه و آله في مرضه الّذي قُبض فيه يقول - وقد امتلأت الحجرة من أصحابه -: أيّها النّاس، يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إنّي مخلّف فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يردا علَيّ الحوض، فأسألكم ما تخلفوني فيهما".

[ينابيع المودّة: ٤٠].

٤- و روى العلامة الامرتسري عن محمّد بن عبدالرحمن بن فلاد، وكان من رهط جابر بن عبداللّه حيث أخذ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بيد عليّ والفضل بن العبّاس، في مرض وفاته، قال: فخرج يعتمد عليهما حتّى

جلس على المنبر وعليه عصابة، فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال - في حديث -: 'فإنّي لاحق بربّي، وقد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب اللّٰه بين أيديكم تقرؤونه صباحاً ومساءً، فيه ما تلقون وما تدعون، ألا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا إخوناً كما أمركم اللّٰه، ألا ثمّ أُوصيكم بعترتي أهل بيتي'.

[أرجح المطالب: ٣٤١، نقلاً عن الإحقاق ٩:٣٦٦].

٥- و روى المفيد بإسناده عن معروف بن خربوذ، قال: سمعت أبا عبيد اللّٰه مولى العبّاس يُحدّث أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهماالسلام، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: إنّ آخر خطبة خطبنا بها رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لخطبة خَطَبنا في مرضه الّذي توفّي فيه، خرج متوكّئاً على يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وميمونة مولاته، فجلس على المنبر، ثمّ قال: 'يا أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم الثقلين' وسكت، فقام رجلٌ، فقال: يا رسول اللّٰه، ما هذان الثقلان؟ فغضب حتّى احمرّ وجهه ثمّ سَكَن، وقال: 'ما ذكرتهما إلا وأنا أُريد أن أُخبركم بهما، ولكن ربوت فلم أستطع، سببٌ طرفه بيد اللّٰه، وطرف بأيديكم، تعمَلون فيه كذا وكذا، ألا وهو القرآن، والثقلُ الأصغر أهل بيتي'. [أمالي المفيد: ١٣٥، ح ٣].

حديث الثقلين في مراجعته من سفر له

عن ابن المغازلي الشافعي، وكذا الحاكم، عن ابن عبّاس رضى الله عنه، قال: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله رجع من سفر له وهو متغيّر اللون، فخطب خطبة بليغة وهو يبكي. ثمّ قال: 'أيّها النّاس، قد خلّفت فيكم الثقلين: كتاب اللّٰه، وعترتي وأُرومتي، ولن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض. ألا وإنّي أنتظرهما، ألا وإنّي أسألكم يوم القيامة في ذلك عند الحوض...' - الحديث. [المناقب لابن المغازلي: ١٥، مخطوط، نقلاً عن الاحقاق ٩:٣٥٥].

حديث الثقلين في خطبة صلاة جمعة

وفي "غاية المرام" عن ثقة الإسلام الكليني، بسنده عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في خطبة صلاة الجمعة، قال: 'وقد بلّغ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الّذي أُرسل به فالزموا وصيّته، وما ترك فيكم من بعده من الثقلين: كتاب اللّٰه وأهل بيته، الّذي لا يضلّ من تمسّك بهما، ولا يهتدي من تركهما'.

[غاية المرام: ٢٣٤، الباب ٢٩ من المقصد الأوّل، ح ٨١].

الاحتجاج بحديث الثقلين

في "غاية المرام" عن الشيخ في مجالسه، عن سالم بن أبي الجعد، يرفعه إلى أبي ذرّ رضى الله عنه وذكر حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام لأهل الشورى فيما ذكر لهم من فضائله وسوابقه في الإسلام والنصّ عليه من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال عليه السلام فيما ذكر لهم: 'فهل تعلمون أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض، وإنّكم لن تَضِلّوا ما إن اتّبعتموهما واستمسكتم بهما'، قالوا: نعم. [غاية المرام: ٢٢٣، باب٢٩، ح ١٦].

توضيح في مفردات الحديث

لغرض توضيح وبيان معاني الحديث، فإنّنا نقدّم شرحاً لمفردات الحديث ليساعد إخوتنا القرّاء على فهم الحديث، وقد اعتمدنا في ذلك على خلاصة أقوال العلماء وكتب اللغة والروايات.

في معنى العترة

قال ابن الأثير، في الحديث: 'خلفت فيكم الثقلين: كتاب اللَّه، وعترتي' -: عترة الرجل: أخصّ أقاربه، وعترة النبيّ صلى الله عليه و آله بنو عبدالمطّلب، وقيل: أهل بيته الأقربون، وهم أولاده وعليّ وأولاده، وقيل: عترته الأقربون والأبعدون منهم.

[النهاية ٣:١٧٧، مادة "عتر"].

وفي "العبقات": عترة الرجل: أهل بيته ورهطه الأدنون، ولاستعمالهم العترة على أنحاء كثيرة بيّنها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ليُعلم أنّه أراد بذلك نسله وعصابته الأدنين وأزواجه.

[عبقات الأنوار: الجزء الأوّل، من المجلّد ١٢، ط. اصفهان].

وفي "العيون": عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهم السلام، قال: 'سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب اللَّه، وعترتي، مَن العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمّة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب اللَّه ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حوضه'.

[عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٤٦، الباب ٦، ح ٢٥].

قال العلامة القاضي: اتّفقت الامّة على أنّ مراد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من العترة استأمنهم عليها، عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

[تأريخ آل محمّد: ٤٦، نقلاً عن الإحقاق ٩:٣١٠].

وقال النعماني في "كتابه الغيبة": والعترة عليهم السلام هم الذين ضرب بهم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مثلاً لأُمّته فقال: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، وَمن تخلّف عنها غرق'. [الغيبة للنعماني - الباب الثاني: ٤٤].

في معنى أهل البيت

وأهل البيت هم عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة الأطهار، وأُمّهم الزهراء البتول عليهم السلام، ولا يراد منهم جميع بني هاشم، بل المراد من العامّ هو الخاصّ ممّن ثبت اختصاصهم بالفضل والعلم والزهد والعفّة والنزاهة حتّى يكونوا عِدل القرآن الكريم؛ لأنّ من عِدادهم من بني هاشم تصدر منهم الذنوب، ويجهلون كثيراً من الأحكام، ولا يمتازون عن غيرهم من الخلق، فلا يمكن أن يكونوا هم المجعولون شركاء القرآن في الأُمور المذكورة، بل يتعيّن أن يكونوا بعضهم لا كلّهم، وليسوا هم إلا من ذكرنا.

ويدلّ على ذلك حديث أُمّ سلمة أنّها قالت: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله بينا هو يوم جالس إذ أتته فاطمة عليهاالسلام ببرمة فيها عصيدة، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'أين عليّ وابناه؟' قالت: في البيت. قال: 'ادعيهم لي'، فأقبل عليّ والحسن والحسين بين يديه، وفاطمة أمامه، فلمّا بصر بهم النبيّ صلى الله عليه و آله تناول كساء كان على المنامة خيبريّاً فجلّل به نفسه وعليّاً والحسن والحسين وفاطمة، ثمّ قال: 'اللّهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي وأحبّ الخلق إليَّ، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً'، فأنزل اللّٰه تعالى: 'إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ' الآية. [كشف الغمّة ١:٦٢].

تفسير أهل البيت في كلام زيد و جوابه

وذهب زيد بن أرقم - في حديث - إلى أنّ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه و آله هم نساؤه وآل عليّ وآل عقيل، ففي صحيح مسلم، عن يزيد بن حيّان، قال: انطلقت أنا وحُصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً؟ رأيت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه، حدّثنا يا زيد ما سمعت عن رسول اللّٰه؟ فأجاب - إلى أن قال: - قام رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خمّاً، بين مكّة والمدينة، فحمد اللّٰه وأثنى عليه ووعظ

وذكّر، ثمّ قال: "أمّا بعد ألا أيّها النّاس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب اللَّه في الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللَّه، واستمسكوا به - فحثّ على كتاب اللَّه ورغّب فيه، ثمّ قال: - وأهل بيتي، أذكّركم اللَّه في أهل بيتي، أذكّركم اللَّه في أهل بيتي".

فقال له حصين: ومن أهل بيته - يا زيد - أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكنّ أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال حصين: ومَن هم؟ قال زيد: هم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عبّاس. قال حصين: قلت: كلّ هؤلاء حرم الصدقة عليهم؟ قال زيد: نعم.

[صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل عليّ ٤:١٨٧٣، وسنن البيهقي ٧:٣٠، وينابيع المودّة: ٢٩، وغاية المرام: ٨٠، باب١٦ المقصد الأوّل، ح ١٧].

أقول في جوابه:

وهذا التفسير مخالف لحديث آخر في صحيح مسلم، عن يزيد بن حيّان، قال: دخلنا على زيد، فقلنا: لقد رأيتَ خيراً، لقد صاحبت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وصلّيت خلفه، الحديث بنحو ما مضى آنفاً، غير أنّه قال: "ألا وإنّي تارك فيكم الثقلين: أحدما كتاب اللَّه عزّ وجلّ، هو حبل اللَّه، مَن اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة، وعترتي أهل بيتي".

وفيه: فقلنا: مَن أهل بيته، نساؤه؟ قال زيد: لا، وأيمُ اللَّه، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته صلى الله عليه و آله أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

[صحيح مسلم ٧:١٢٣، ط. دار المعرفة - بيروت، وينابيع المودّة: ٢٩].

فظهر أنّ تفسير "أهل البيت" بالنساء في الحديث الأوّل خطأ، أو تفسير من زيد لا من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ولذا صرّح في الحديث الثاني مع الحلف باللَّه تعالى على عدم إرادة النساء به. والحقّ أنّ أهل البيت الذين عدّهم الرسول صلى الله عليه و آله عِدلاً للقرآن، وتكون أقوالهم حجّة في تفسير القرآن، هم آل عليّ وذرّيّته المعصومون عليهم السلام لا آل عقيل وجعفر وعبّاس، ولا نساؤه قطعاً.

في معنى: "أُذكّركم اللَّه في أهل بيتي"

معنى أذكّركم اللَّه - كما قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في بعض أحاديث الثقلين - أي: أذكّركم اللَّه في شأن أهل بيتي، وأقول لكم: لا تؤذوهم واحفظوهم، والتذكير بمعنى الوعظ يدلّ عليه قوله: "وعظ وذكّر".

[انظر: عبقات الأنوار ٢:٤٩٤، من المجلّد ١٢، ط. اصفهان].

في معنى الثَّقَل

قال ابن الأثير في "النهاية" في الحديث: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي' سمّاهما ثَقَلين؛ لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال لكلّ خطير نفيس ثَقل، فسمّاهما ثَقَلين تعظيماً لقدرهما، وتفخيماً لشأنهما.

[النهاية ١:٢١٦، مادة "ثقل"].

وقال في "مجمع البحرين": وفي حديث النبيّ صلى الله عليه و آله: 'إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتي'، قيل: سمّيا بذلك لأنّ العمل بهما ثقيل، وقيل من الثَّقَل بالتحريك متاع المسافر، والثَّقَل الأكبر يراد به: الكتاب، والثقل الأصغر: العترة "عليهم السلام".

[مجمع البحرين ٥:٣٣٠].

وفي "عبقات الأنوار": الثقل: المتاع المحمول على الدابة، وإنّما قيل للإنس والجنّ: الثقلان؛ لأنّهما قطان الأرض، فكأنّهما ثقلاها، وقد شبّه بهما الكتاب والعترة؛ لأنّ الدين يستصلح بهما، ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين، سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل.

[عبقات الأنوار ٢:٤٩٤، من المجلّد ١٢، ط. اصفهان].

وفي "العيون": عن عليّ بن الفضل البغدادي، قال: سمعت أبا عمر صاحب أبي العبّاس تغلب، يسأل عن معنى قوله صلى الله عليه و آله: 'إنّي تارك فيكم الثقلين' لِمَ سُمّيا بالثَّقَلين؟ قال: لأنّ التمسّك بهما ثقيلٌ.

[عيون أخبار الرضا عليه السلام ١:٤٦، الباب ٦، ح ٢٥].

قال ابن حجر في "الصواعق": سَمّى النبيُّ صلى الله عليه و آله القرآن والعترة ثَقَلين لأنّ الثقل كلّ نفيس خطير ممنون به، وهذان كذلك؛ إذ كلّ منهما معدن للعلوم الدينيّة والأسرار العقليّة الشرعيّة، ولهذا حثّ على الإقتداء والتمسّك بهما، وقيل: سُمّيا ثَقَلين لثقل وجوب رعاية حقوقها، ثمّ الّذي وقع عليهم الحثّ منهم إنّما هو العارفون بكتاب اللّه والتمسّكون بسنّة رسول اللّه؛ إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض وما أحقّهم بقول من قال:

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا*** أجابوا وإن أُعطوا أطابوا وأجزلوا

هم يمنعون الجار حتّى كأنّما*** لجارهم فوق السماكين منزل

[الاتحاف بحبّ الأشراف: ٦، عن ابن حجر في الصواعق، نقلاً عن الإحقاق ٩:٣١٠].

في معنى قوله: 'ما إن تمسّكتم به'

ما موصولة، والجملة الشرطيّة صلتها، وإمساك الشي ء التعلّق به وحفظه، ولهذا لمّا ذكر بالتمسّك عقّبه بالتمسّك به صريحاً، وهو الحبل في قوله صلى الله عليه و آله: "كتاب اللَّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض"، وفيه تلويح إلى معنى قوله تعالى: "وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ".

[سورة الأعراف: ١٧٦].

كأنّ النّاس واقعين في مهواة طبيعتهم، مشتغلين بسوآتها، وإنّ اللَّه تعالى يريد "بلطفه" رفعهم، فيدني حبل القرآن إليهم ليحفظهم من تلك الورطة، فمن تمسّك به نجا، ومن أخلد إلى الأرض هلك.

في معنى التمسّك بالقرآن والعترة

العمل به فيه وهو الائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه، والتمسّك بالعترة محبّتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم، وإطاعة أوامرهم والانزجار عن نواهيهم، وهذا هو بعينه إطاعة الرسول صلى الله عليه و آله وإطاعة اللَّه تعالى.

في قوله: "إنّي تارك فيكم"

إشارة إلى أنّهما بمنزلة التوأمين الخلفين عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأنّه يوصي لأُمّته بحسن المعاشرة معهما، وإيثار حقّهما على أنفسهم، كما يوصي الأب المشفق لأولاده، فقوله صلى الله عليه و آله: "أُذكّركم اللَّه في أهل بيتي"، كما يقول الأب المشفق: اللَّه اللَّه في حقّ أولادي.

السرّ في الوصيّة بالحديث

و نذكر بعون اللَّه تعالى في ختام هذا الفصل ما يستفاد من الحديث فى السرّ في الوصية به، لعلّ السرّ في هذه الوصيّة والاقتران بالقرآن إيجاب محبّتهم لقوله تعالى: "قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى"

[سورة الشورى: ٢٣].

فإنّه تعالى جعل شكر إنعامه وإحسانه بالقرآن منوطاً بمحبّتهم على سبيل الحصر، وكأنّه يوصي الأُمّة بإقامة الشكر، والتحذير من الكفران، فمن قام بالوصيّة وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة بينهما لن يفترقا، فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتّى يردا الحوض، فيشكرا صنيعه عند رسول اللَّه، فحينئذٍ هو بنفسه يكافئه، واللَّه يجازيه الجزاء الأوفى، ومن أضاع الوصيّة وكفر النعمة فحكمه بالعكس.

وعلى هذا التأويل حسن موقع قوله صلى الله عليه و آله: "انظروا كيف تخلفوني فيهما"، والنظر بمعنى التأمّل والتفكّر، أي تفكّروا واستعملوا الرويّة في استخلافي إيّاكم هل تكونون خلف صدق أو خلف سوء.

[عبقات الأنوار ٢:٤٩٣، من المجلّد ١٢، ط. اصفهان].

وقد حرص الرسول صلى الله عليه و آله على الوصيّة بهذا الحديث والتأكيد عليه في مناسبات عدّة لما فيه من الدلالات الكثيرة، فهو ويدلّ الحديث على عصمة أهل البيت، وأنّ كلامهم من اللَّه تعالى، ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك، وإنّهم لن يفارقوا القرآن، ولن يفارقهم مدّة عمر الدنيا، ولو أخطأوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم.

ويدلّ على عدم جواز مفارقتهم بالتقدّم عليهم بجعل المرء نفسه إماماً لهم، و التخلّف عنهم، والائتمام بغيرهم، كما لا يجوز التقدّم على القرآن بالإفتاء بغير ما فيه، أو التخلّف عنه باتّباع أقوال مخالفيه.

ويدلّ على أسبقيتهم بالعلم لتأكيده على عدم جواز تعليمهم وردّ أقوالهم، ولو كانوا يجهلون شيئاً لوجب تعليمهم، ولم ينه عن ردّ قولهم، ودلّت هذه الأحاديث أيضاً على أنّ منهم من هذه صفته في كلّ عصر وزمان بدليل قوله صلى الله عليه و آله: "إنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني بذلك"، ورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا، فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أنّهما "لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض"، وهو كما مرّ الكلام فيه من أقوى الحجج على وجود إمام العصر الغائب المنتظر لإقامة دولة العدل وتقويض أُسس الجور والظلم.

اللّهمّ اجعلنا من المتمسّكين بالقرآن والعترة الطاهرة المطهّرة، والعاملين بالقرآن وبأوامرهم الّتي هي أوامر اللَّه تعالى، والانتهاء عن نواهيهم الّتي هي نواهي اللَّه تعالى.

ان النبيّ سدّ أبواب الصحابة إلى المسجد إلا باب عليّ

قال سعد: كانت لعليّ عليه السلام مناقب لم تكن لأحد: كان يبيت في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر، وسدّ الأبواب إلا باب عليّ عليه السلام. المناقب لابن المغازلي: ٢٥٦، الحديث ٣٠٤

نظرة في قصة سدّ الأبواب

عندما هاجر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله إلى المدينة، شرع في بناء المسجد فيها، وقد كانت هناك مجموعة من المهاجرين الذين لا يمتلكون وسائل السكنى، أو داراً للسكن يعرفون بأصحاب الصُّفّة، وقد اتّخذوا من مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مقرّاً وداراً لهم، ولمّا كان المسجد يُشكّل قاعدة الإسلام والمسلمين وركيزتهم، فقد أمرهم الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله أن يتركوه، وبعد ذلك اتّخذ المهاجرون والأنصار بيوتاً قرب مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وجعلوا أبوابها تفتح إلى داخل المسجد، بحيث

يستطيعون الذهاب والإياب من هذه الأبواب، وأن يدخلوا المسجد للعبادة، وقد كان بيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وبيت عليّ عليه السلام قرب المسجد أيضاً ويفتح بابهما إلى المسجد أيضاً، حتّى نزل جبرئيل عليه السلام على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأبلغه بسدّ كلّ الأبواب الّتي تفتح إلى المسجد، وأن يمنع الدخول والخروج منها إلا باب الرسول صلى الله عليه و آله و باب عليّ عليه السلام.

ومن الطبيعي أنّ جماعة من الصحابة قد سألوا عن السبب، وآخرين اعترضوا على الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وتساءلوا ما الفرق بين عليّ عليه السلام وبين الآخرين؟

وقد أجابهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله - بعد أن حمد اللَّه وأثنى عليه -: بأنّ هذا إنّما تمّ بأمر من اللَّه تعالى، وانّني لم أسدّ باباً ولم أفتح باباً إلا بأمره جلّ وعلا.

ومن خصوصيّات هذه الحادثة أنّه ليس لأحد حقّ المرور من المسجد جُنباً إلا رسول اللَّه وعليّ وفاطمة وأولادهم المعصومون "صلوات اللَّه عليهم"، وهذه من خصوصيّاتهم.

في "المناقب" لابن المغازلي، و"كشف الغمّة" وغيرهما بالإسناد عن حذيفة بن أُسيد الغفاري، قال: لمّا قدم أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله المدينة لم يكن لهم بيوتٌ يبيتُون فيها، فكانوا يَبيتون في المسجد، فقال لهم النبيّ صلى الله عليه و آله: "لا تَبيتوا في المسجد فَتَحْتَلِمُوا".

ثمّ إنّ القومَ بَنَوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وإنّ النبيّ صلى الله عليه و آله بعث إليهم معاذ بن جبل، فنادى أبا بكر فقال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يأمرك أن تخرج من المسجد، وتَسُدَّ بابك، فقال: سمعاً وطاعةً، فسدّ بابه وخرج من المسجد.

ثمّ أرسل إلى عمر، فقال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يأمرك أن تَسُدَّ بابَك الّذي في المسجد وتخرج منه، فقال: سمعاً وطاعةً للَّه ولرسوله، غير أنّي أرغب إلى اللَّه في خوخة في المسجد، فأبلغه معاذ ما قال عمر. ثمّ أرسل إلى عثمان وعنده رُقية، فقال: سمعاً وطاعةً، فسدّ بابه وخرج من المسجد. ثمّ أرسل إلى حمزة فسَدّ بابَه وقال: سمعاً وطاعةً للَّه ولرسوله.

وعليّ عليه السلام على ذلك يتردّد لا يدري أهو فيمن يُقيم أو فيمن يخرج، وكان النبيّ صلى الله عليه و آله قد بنى له بيتاً في المسجد بين أبياته، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: "اسكن طاهراً مطهّراً"، فبلغ حمزة قول النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام فقال: يا محمّد، تُخرجنا وتُمْسِك غِلمان بني عبد المطّلب؟ فقال له نبيُّ اللَّه": "لا، لو كان الأمر لي ما جعلتُ من دونكم من أحد، واللَّه ما أعطاه إيّاه إلا اللَّه، وإنّك لعلى خير من اللَّه ورسوله أبْشِر"، فبَشَّره النبيّ صلى الله عليه و آله فَقُتل يوم أُحد شهيداً. ونفس

[نفس الشي ء على الرجل: حسده عليه].

ذلك رجال على عليّ عليه السلام فوجدوا في أنفسهم وتبيّن فضلُه عليهم، وعلى غيرهم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله، فبلغ ذلك النبيُّ صلى الله عليه و آله فقام خطيباً، فقال: "إنّ رجالاً لا يجدون في أنفسهم في أنّي أسكنتُ عليّاً في المسجد، واللَّه ما أخرجتُهم ولا أسكنتُه، إنّ اللَّه عزّ وجلّ أوحى إلى موسى وأخيه: "أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ"

[سورة يونس: ٨٧].

وأمر موسى أن لا يسكن مسجدَه ولا يَنكح فيه، ولا يدخله إلا هارون وذرّيّته، وإنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي دونَ أهلي، ولا يَحلّ مسجدي لأحدٍ ينكح فيه النساء إلا عليّ وذرّيّته، فمن ساءه فهاهنا"، وأومأ بيده إلى الشام.

[المناقب لابن المغازلي: ٢٥٣، ح ٣٠٣، وكشف الغمّة - باب المناقب ١:٤٥١، وبحار الأنوار ٣٩:٣١].

وفي التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: "إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لمّا بنى مسجده بالمدينة وأشرع بابه وأشرع المهاجرون والأنصار أبوابهم، أراد اللَّه عزّ وجلّ إبانة محمّد وآله الأفضلين بالفضيلة، فنزل جبرئيل عليه السلام عن اللَّه بأن سدّوا الأبواب عن مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قبل أن ينزل بكم العذاب.

فأوّل مَن بعث إليه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يأمره بسدّ الأبواب العبّاس بن عبدالمطّلب، فقال: سمعاً وطاعةً للَّه ولرسوله، وكان الرسول معاذ بن جبل.

ثمّ مرّ العبّاس بفاطمة "سلام اللَّه عليها" فرآها قاعدة على بابها، وقد أقعدت الحسن والحسين عليهماالسلام فقال لها: ما بالكِ قاعدة؟ انظروا إليها كأنّها لبوة [اللبوة: أُنثى الأسد].بين يديها جرواها [الجرو: ولد الأسد].

تظنّ أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يُخرج عمّه ويدخل ابن عمّه.

فمرّ بهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال لها: ما بالكِ قاعدة؟ قالت: أنتظر أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بسدّ الأبواب، فقال لها: إنّ اللَّه تعالى أمرهم بسدّ الأبواب، واستثنى منهم رسوله، وأنتم نفس رسول اللَّه.

ثمّ إنّ عمر بن الخطّاب جاء فقال: إنّي أُحبّ النظر إليك - يا رسول اللَّه - إذا مررت إلى مصلاك، فاذن لي في فرجة

[وفي بحار الأنوار: "في خوخةٍ"].

أنظر إليك منها! فقال صلى الله عليه و آله: قد أبى اللَّه ذلك. قال: فمقدار ما أضع عليه وجهي؟ قال: قد أبى اللَّه ذلك. قال: فمقدار ما أضع عليه إحدى عيني؟ قال صلى الله عليه و آله: قد أبى اللَّه ذلك، ولو قلتَ: قدر طرف إبرة، لم آذن لك، والّذي نفسي بيده ما أنا أخرجتكم ولا أدخلتهم ولكنّ اللَّه أدخلَهم وأخرجكم.

ثمّ قال: لا ينبغي لأحدٍ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جنباً إلا محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والمنتجبون من آلهم، الطيّبون من أولادهم'.

قال الإمام عليه السلام: 'فأمّا المؤمنون فقد رضوا وسلّموا، وأمّا المنافقون فاغتاظوا لذلك وأنفوا، ومشى بعضُهم إلى بعض يقولون "فيما بينهم": ألا ترون محمّداً لا يَزال يخصّ بالفضائل ابن عمّه ليخرجنا منها صفراً، واللَّه لئن أنفذنا له في حياته لنأبينّ عليه بعد وفاته!'

[التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ١٧].- الحديث.

الهدف الحاصل من واقعة سدّ الأبواب إلا بابه

تعتبر فضيلة فتح باب عليّ عليه السلام في وقت أمر فيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بسدّ كلّ الأبواب، من الفضائل الفريدة الّتي تميّز بها الإمام عليه السلام، ولعلّ السماح له عليه السلام بالعبور من مسجد "و هو في حالة الجنابة" يختص بالنبيّ صلى الله عليه و آله وعليّ عليه السلام. ولم يكن عليّ عليه السلام قد فُتح له بابُه أو سُمح له بالمرور في حال الجنابة نتيجة القرب النسبي من الرسول صلى الله عليه و آله؛ لأنّ حمزة سيّد الشهداء وعمّ الرسول أقرب منه إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، لكنّه لم يكن من المعصومين عليهم السلام، والظاهر من الروايات أنّ الإمام عليه السلام قد اكتسب هذه الفضيلة للياقته لها، ولقوّة نفسه، وسموّ روحه، فهو قرين رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في مثل هذه الفضائل، بل نفسه وتتمثّل فيه كلّ خصوصيّات الرسول إلا النبوّة.

ومن هنا يتّضح لنا بشكل جليّ أنّ الهدف من سدّ الأبواب هو أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أراد أن يُفهم الآخرين ويعلمهم أنّ الإمام عليه السلام يمتلك خصوصيّات لا يمتلكها الآخرون، فبالنتيجة لا يصلح لمقام الوصاية والولاية والخلافة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلا من يمتلك مثل تلك الخصوصيّات الّتي يمتلكها عليّ عليه السلام.

ولقد جاء في بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب الإشارة إلى منزلة هارون من موسى، ممّا يثبت الولاية والوصاية والخلافة لعليّ عليه السلام.

الفاظ الحديث وطرقه

من أجل مراعاة الدقّة والتأمّل الكثير في إثبات الاعتقادات، ومن أجل رفع الغموض والاعتراضات من خلال الإيرادات الّتي أطلقها البعض كابن تيميّة، فإنّنا نبيّن الكثير من الروايات الّتي لم تنقل من طريق واحد، بل أنّها نُقلت في كتب الشيعة والسنّة، وأصبحت متواترة تواتراً معنوياً، بل ولفظيّاً أيضاً، لئلا تبقى أيّة شبهة في وقوع مثل هذه الحادثة، ونحن ننقل للإخوة القرّاء بعض الروايات وطرقها، ونجلب انتباههم إلى أنّ هذه الروايات جاءت على نوعين:

١ ـ ما ورد أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أمر بسّد الأبواب إلا باب عليّ عليه السلام.

٢ ـ ما ورد أنّه صلى الله عليه و آله أحلّ لعليّ عليه السلام ما أحلّه لنفسه.

فيما ورد بسدّ الابواب الا بابه

أجمعت الروايات الكثيرة أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قد سدّ أبواب مسجده كلّها إلا باب عليّ عليه السلام. قال ابن شهرآشوب في "المناقب": حديث سدّ الأبواب رواه نحو من ثلاثين رجلاً من الصحابة، منهم: زيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقّاص، وأبو سعيد الخدري، وأمّ سلمة، وأبو رافع، وأبو الطفيل، عن حذيفة بن أُسيد الغفاري، وأبو حازم، عن ابن عبّاس، والعلاء عن ابن عمر، وشعبة عن زيد بن عليّ، عن أخيه الباقر عليه السلام، عن جابر، وعليّ بن موسى الرضا عليهماالسلام، وقد تداخلت الروايات بعضها في بعض: أنّه لمّا قدم المهاجرون إلى المدينة بنوا حوالي مسجده بيوتاً فيها أبواب شارعة في المسجد، فأرسل النبيّ صلى الله عليه و آله معاذ بن جبل، فنادى أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله يأمركم أن تسدّوا أبوابكم إلا باب عليّ عليه السلام، فأطاعوه إلا رجل، قال: فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بعد أن حمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال: "أمّا بعد، فإنّي أُمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ، فقال فيه قائلكم، فإنّي واللّٰه ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أُمرتُ بشي ء فاتّبعتُه" ذكره أحمد في الفضائل. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٨٩، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢:٥٨١، ح ٩٨٥].

حديث عليّ

عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: "أخذ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بيدي فقال: إنّ موسى سأل ربّه أن يطهّر مسجده بهارون، وإنّي سألتُ ربّي أن يُطهّر مسجدي بك وبذرّيّتك، ثمّ أرسل إلى أبي بكر أن سدّ بابك، فاسترجع ثمّ قال: سمعاً وطاعة، فسدّ بابه، ثمّ أرسل إلى عمر، ثمّ أرسل إلى العبّاس بمثل ذلك، ثمّ قال

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ما أنا سددتُ أبوابكم وفتحت باب عليّ، ولكنّ اللَّه فتح باب عليّ عليه السلام وسدّ أبوابكم'.

[مجمع الزوائد ٩:١١٤].

حديث الباقر

وفي التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: "لمّا أمر العبّاس بسدّ الأبواب وأذن لعليّ عليه السلام في ترك بابه، جاء العبّاس وغيره من آل محمّد فقالوا: يا رسول اللَّه، ما بال عليّ يدخل ويخرج؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ذلك إلى اللَّه، فسلّموا له تعالى حكمه، هذا جبرئيل جاءني عن اللَّه عزّ وجلّ بذلك، ثمّ أخذه ما كان يأخذه إذا نزل الوحي عليه، ثمّ سُرّي عنه. فقال: يا عبّاس، يا عمّ رسول اللَّه، إنّ جبرئيل يخبرني عن اللَّه جلّ جلاله أنّ عليّاً لم يفارقك في وحدتك وآنسك في وحشتك، فلا تفارقه في مسجدك' - الحديث.

[التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٢٠، ط. مدرسة الإمام المهدي "عج"].

حديث ابن عبّاس

في "مسند أبي يعلى"، و"فضائل السمعاني"، و"حلية الأولياء": عن أبي نعيم بطريقين، عن أبي صالح، عن عمرو بن ميمون. قال ابن عبّاس: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'سدّوا أبواب المسجد كلّها إلا باب عليّ عليه السلام'.

وفي رواية عنه أيضاً: 'سدّوا هذه الأبواب إلا باب عليّ عليه السلام'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٩٠، ورواه الترمذي في السنن ٥:٥٩٩، ح ٣٧٣٢].

وفي رواية ثالثة عنه أيضاً: 'سدّوا هذه الأبواب إلا باب عليّ عليه السلام قبل أن ينزل العذاب'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٩٠، ورواه الترمذي في السنن ٥:٥٩٩، ح ٣٧٣٢].

وروى جماعة من أعلام العامّة: منهم الحافظ نور الدين الهيثمي بسنده عن ابن عبّاس، قال: لمّا أخرج أهل المسجد وترك عليّاً عليه السلام، قال النّاس في ذلك، فبلغ النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: 'ما أنا أخرجتكم من قِبلِ نفسي، ولا أنا تركتُه، ولكنّ اللَّه أخرجكم وتركه: إنّما أنا عبد مأمور ما أُمرتُ به فعلتُ إن اتّبع إلا ما يوحى إليَّ'. [الهيثمي في مجمع الزوائد ٩:١١٥].

و روى ابن عساكر الشافعي، بسنده عن عوف الأعرابي، عن ميمون الكردي، قالا: كنّا عند ابن عبّاس، فقال رجل: ليته حدّثنا عن عليّ عليه السلام فسمعه ابن عبّاس، فقال: أما لأُحدّثنّك عنه حقّاً أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أمر بالأبواب الشارعة في المسجد فسدّت، وترك باب عليّ عليه السلام، فقال: إنّهم وجدوا من ذلك، فأرسل إليهم: "أنّه بلغني أنّكم وجدتم من سدّي أبوابكم وتركي باب عليّ، وإنّي واللّٰه ما سددت من قِبل نفسي، ولا تركت من قِبل نفسي، إن أنا إلا عبدٌ، وإنّي واللّٰه أُمرت بشي ء ففعلت، إن اتّبع إلا ما يوحى إليَّ".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٢٥٣، ح ٣٢٣].

حديث جابر

روى ابن عساكر الشافعي: بسنده عن عبدالرحمن ومحمّد ابني جابر بن عبداللّٰه، عن أبيهما جابر بن عبداللّٰه الأنصارى، قال: جاءنا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ونحن مضطجعون في المسجد وفي يده عسيب رطب، فضربنا وقال: "أترقدون في المسجد؟ إنّه لا يرقد فيه أحد"، فأجفلنا وأجفل معنا عليّ بن أبي طالب؟ فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "يا عليّ، إنّه يحلّ لك في المسجد ما يحلّ لي. يا عليّ، ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا النبوّة، والّذي نفسي بيده، إنّك لتذودنَّ عن حوضي يوم القيامة رجالاً كما يذاد البعير الضالّ عن الماء، بعصى من عوسج، كأنّي أنظر إلى مقامك من حوضي".

[المصدر السابق ١:٢٦٥، ح ٣٣٠].

وفي "المناقب" عن "تاريخ بغداد" فيما أسنده الخطيب إلى زيد بن عليّ، عن أخيه محمّد بن عليّ عليهماالسلام، أنّه سمع جابر بن عبداللّٰه يقول: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "سدّوا الأبواب كلّها إلا باب عليّ". [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٩٠].

حديث البراء بن عازب

روى ابن المغازلي الشافعي، بسنده عن ميمون ابن أبي عبداللّٰه، عن البراء بن عازب، قال: كان لنفر من أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أبواب شارعة في المسجد، وإنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قال: "سدّوا الأبواب غير باب عليّ عليه السلام"، قال: فتكلّم في ذلك أُناس، قال: فقام رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فحمد اللّٰه وأثنى عليه ثمّ قال: "أمّا بعد، فإنّي أُمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ، فقال فيه قائلكم، وإنّي واللّٰه ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكنّي أُمرت بشي ء فاتّبعته".

[المناقب لابن المغازلي: ٢٥٧، ح ٣٠٥، ونحوه في ترجمة الإمام عليّ عليه السلام من تاريخ دمشق - لابن عساكر ١:٢٥٧، رقم ٣٢٩].

حديث عبداللّٰه بن عمر

روى ابن عساكر الشافعي بسنده عن العلاء، عن عرار

[كذا في المصدر، والظاهر: 'العلاء بن عرّار'].

قال: قال أبي: قلت لعبد اللّٰه بن عمر وهو في المسجد جالس: كيف نقول في هذين الرجلين، عليّ وعثمان؟ فقال عبداللّٰه: أمّا عليّ فلا تسأل عنه أحداً، وانظر إلى منزله من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قال أبي: فقد أخرجنا من مسجد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلا عليّ - الحديث.

[تاريخ دمشق ١:٢٦٢، ح ٣٢٨].

وروى ابن المغازلي الشافعي: بسنده عن نافع مولى ابن عمر، قال: قلت لابن عمر: مَن خيرُ النّاس بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟ قال: ما أنت وذاك لا أمّ لك، ثمّ قال: استغفر اللّٰه! خيرهم بعده مَن كان يحلّ ما كان يحلّ له، ويحرم عليه ما كان يحرم عليه، قلت: مَن هو؟ قال: عليّ عليه السلام، سدّ أبواب المسجد وترك باب عليّ عليه السلام، وقال له: "لك في هذا المسجد ما لي، وعليك فيه ما عَلَيّ، وأنت وارثي ووصيّي، تقضي ديني، وتنجز عِداتي، وتُقتَل على سنّتي، كذب مَن زعم أنّه يُبغضك ويحبّني". [المناقب لابن المغازلي: ٢٦١، ح ٣٠٩].

حديث بريدة الأسلمي

روى الجويني و ابن شهر آشوب بسندهما عن بريدة الأسلمي، قال: أمر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بسدّ الأبواب فشقّ ذلك على أصحابه، فلمّا بلغ ذلك رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله دعا الصلاة جامعة، حتّى إذا اجتمعوا صعد المنبر وخطبهم، فلم يُسمَع لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله تحميدٌ وتعظيم في خطبة مثل يومئذٍ فقال: "يا أيّها النّاس، ما أنا سددتها، ولا أنا فتحتها، بل اللّٰه عزّ وجلّ سدّها!! ثمّ قرأ رسول اللّٰه: 'وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى' [سورة النجم: ٤ - ١].

فقال رجل: دع لي كوّة تكون في المسجد، فأبى النبيّ صلى الله عليه و آله وترك باب عليّ مفتوحاً، فكان يدخل ويخرج منه وهو جنب. [فرائد السمطين ١:٢٠٥، ح ٦٠، والمناقب لابن شهرآشوب ٢:١٩٠].

حديث سعد بن أبي وقّاص

روى ابن المغازلي الشافعي عن سعد بن أبي وقّاص، قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أمر بسدّ الأبواب فسُدَّت، وترك باب عليّ عليه السلام، فأتاه العبّاس، فقال: يا رسول اللَّه، سددتَ أبوابنا وتركتَ باب عليّ عليه السلام؟ قال صلى الله عليه و آله: 'ما أنا فتحتها ولا أنا سددتها'.

[المناقب لابن المغازلي: ٢٥٧، رقم ٣٠٦].

وعن الحارث بن مالك، قال: أتيتُ مكّة فلقيت سعد بن أبي وقّاص فقلت له: هل سمعت لعليّ منقبةٌ؟ قال: كنّا مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في المسجد فنودي فينا ليلة ليخرج من في المسجد إلا آل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وآل عليّ، قال: فخرجنا، فلمّا أصبح أتاه عمّه، فقال: يا رسول اللَّه، أخرجت أصحابك وأعمامك وأسكنت هذا الغلام؟ فقال صلى الله عليه و آله: 'ما أنا أمرت بإخراجكم ولا بإسكان هذا الغلام، إنّ اللَّه هو أمر به' الحديث.

[الخصائص: ١٣، الإحقاق ٥:٥٥٨].

حديث جابر بن سمرة

في مجمع الزوائد بسنده عن جابر بن سمرة، قال: أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بسدّ الأبواب كلّها غير باب عليّ عليه السلام فقال العبّاس: يا رسول اللَّه، اترك قدر ما أدخل أنا وحدي وأخرج؟ قال: 'ما أمرت بشي ء من ذلك'، فسدّها كلّها غير باب عليّ عليه السلام، قال: وربّما قال: مرَّ وهو جنب.

[مجمع الزوائد ٩:١١٥].

حديث زيد بن أرقم

روى الصدوق بسنده عن زيد بن أرقم، قال: كان لنفر من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أبواب شارعة في المسجد، فقال يوماً: 'سدّوا هذه الأبواب إلا باب عليّ'، فتكلّم في ذلك النّاس، قال: فقام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثمّ قال: 'أمّا بعد، فإنّي أُمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ، فقال فيه قائلكم، وإنّي واللَّه ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكنّي أُمرت بشي ء فاتّبعته'.

[أمالي الصدوق - المجلس الرابع والخمسون: ح ٤.

ورواه سبط ابن الجوزي في "تذكرة الخواصّ: ٤٦"، والقندوزي الحنفي في "ينابيع المودّة: ٨٧"، واحمد في "المسند ٤:٣٦٩"].

وغير ذلك من الأخبار بهذا المضمون، ومن أرادها فليطلبها في مظانّها.

[راجع: سنن الترمذي ٥:٦٣٩، ح ٣٧٢٧، المستدرك على الصحيحين ٣:١٣٤، تاريخ بغداد ٧:٢٠٥، مجمع الزوائد ٩:٢٨٤، خصائص النسائي: ٤، حلية الأولياء ٤:١٥٣، فضائل الصحابة ٢:٥٨١، ح ٩٨٥].

فيما ورد أنّه أحلّ لعليّ ما أحلّه لنفسه

قال الكنجي الشافعي عن حديث سدّ الأبواب: هذا حديث حسن عال، فنهى اللّه عن دخول المساجد مع وجود الحيض والجنابة، فعمّ النبيّ بالنهي عن الدخول في المسجد والمكث فيه للجنب والحائض، وخصّ عليّاً بالإباحة حتّى في هذا الموضع، وما ذاك دليل على إباحته المكروه له، وإنّما خصّ بذلك لعلم المصطفى صلى الله عليه و آله بأنّه يتحرّى من النجاسة هو وزوجته فاطمة وأولادهم عليهم السلام، وقد نطق القرآن بتطهيرهم في قوله عزّ وجلّ: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً".

[كفاية الطالب - الباب الخمسون: ٢٠٢، والآية ٣٣ من سورة الأحزاب].

و اليك نبذة من الاخبار في المقام:

ما رواه عليّ

عن الصدوق بسنده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلا أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ومن كان من أهلي فإنّهم منّي". [أمالي الصدوق - المجلس الرابع والخمسون: ح ٥].

ما رواه أبو سعيد الخدري

روى ابن عساكر الشافعي و غيره عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "لا يصحّ - أو لا يحلّ - لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك، يا عليّ".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٢٦٨، ح ٣٣٢، وتذكرة الخواصّ: ٤٦].

و عن ابن شهر آشوب عن أبي سعيد، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "يا عليّ، لا يحلّ لأحد من هذه الأُمّة غيري وغيرك".

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٩٣].

وعنه أيضاً: عن أبي سعيد قال: "ولا يحلّ أن يدخل مسجدي جنب غيري وغيره وغير ذرّيّته، فمن شاء فهاهنا"، وأشار بيده نحو الشام، فقال المنافقون: لقد ضلّ وغوى في أمر ختنه، فنزل: "مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى". [المصدر السابق: ١٩٤، والآية من سورة النجم].

ما روته أُمّ سلمة

عن ابن عساكر الشافعي بسنده عن جسرة بنت دجانة، قالت: أخبرتني أُمّ سلمة قالت: خرج النبيّ صلى الله عليه و آله من بيته حتّى انتهى إلى صرح المسجد فنادى بأعلى صوته: "إنّه لا يحلّ المسجد لجنب ولا لحائض إلا لمحمّد وأزواجه وعليّ وفاطمة بنت محمّد، ألا هل بيّنتُ لكم؟ ألا ساء أن تضلّوا".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٢٦٩، ح ٣٣٣، ومقتل الحسين عليه السلام لأخطب خوارزم: ٦٣، ونحوه في مناقب ابن شهرآشوب ٢:١٩٤، وفرائد السمطين ٢:٢٩، ح ٣٦٨].

ما رواه أبو رافع

عن ابن عساكر الشافعي بسنده عن أبي رافع مولى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله خطب النّاس، فقال: "يا أيّها النّاس، إنّ اللّٰه أمر موسى وهارون أن يَتَبوَّءا لقومهما بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب، ولا يقربوا فيه النساء، إلا هارون وذرّيّته، وأمرني أن أُبلّغكم أنّه لا يحلّ لأحد أن يعرك [يعرك: يلمس ويمسّ] النساء في مسجدي هذا، ولا يبيت فيه جنب إلا عليّ وذرّيّته". [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٢٧١، ح ٣٣٥].

ما رواه جابر

عن ابن شهر آشوب بسنده عن جابر بن عبداللّٰه، قال: كنّا ننام في المسجد ومعنا عليّ عليه السلام، فدخل علينا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: "قوموا فلا تناموا في المسجد"، فقمنا لنخرج، فقال: أمّا أنت فنم يا عليّ، فقد أُذن لك". [المناقب لابن شهرآشوب ٢:١٩٣].

ما رواه عبداللّٰه بن مسعود

في "فرائد السمطين" بسنده عن عبداللّٰه بن مسعود، قال: انتهى إلينا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ذات ليلة ونحن في المسجد جماعة من الصحابة | فينا أبو بكر وعمر وعثمان وحمزة وطلحة والزبير|

[الزيادة من اللآلئ المصنوعة].

بعد ما صلّينا العشاء، فقال: "ما هذه الجماعة"؟ قال: يا رسول اللّٰه، قعدنا نتحدّث، منّا من يريد الصلاة، ومنّا من ينام، فقال: "إنّ مسجدي لا ينام فيه، انصرفوا إلى منازلكم، ومن أراد الصلاة فليصلّ في منزله راشداً، ومن لم يستطع فلينم، فإنّ صلاة السرّ تضعف على صلاة العلانية".

قال ابن مسعود: فقمنا فتفرّقنا وفينا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقام معنا، قال: فأخذ بيد عليّ عليه السلام وقال: "أمّا أنت فإنّه يحلّ لك في مسجدي ما يحلّ لي، يحرّم عليك ما يحرّم علَيّ". فقال له حمزة بن عبدالمطّلب: يا رسول اللّه، أنا عمّك وأنا أقرب إليك من عليّ؟ قال: "صدقت - يا عمّ - إنّه واللّه ما هو عنّي، إنّما هو عن اللّه عزّ وجلّ". [فرائد السمطين ١:٢٠٦، ح ٦١].

ما رواه حذيفة بن أُسيد الغفاري

روى القندوزي الحنفي عن حذيفة بن أُسيد الغفاري، قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قام خطيباً فقال: "إنّ رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً أن أسكنتُ عليّاً في المسجد وأخرجتهم، واللّه ما أخرجتُهم وأسكنتُه، بل اللّه أخرجكم وأسكنه، إنّ اللّه عزّ وجلّ أوحى إلى موسى وأخيه: أن تَبَوَّءا لقومكما بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلةً، وأقيموا الصلاة

[إشارة إلى قوله تعالى في سورة يونس: ٨٧: "أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً" الآية].

ثمّ أمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخله جنبٌ إلا هارون وذرّيّته، وإنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي ولا يحلّ لأحد أن ينكح فيه النساء إلا عليّ وذرّيّته، فمن ساءه فهاهنا"، وأشار بيده نحو الشام. [ينابيع المودّة: ٨٨].

وأنشأ الحميري:

صهر النبيّ وجاره في المسجد*** طهر يطيبه الرسول مطيب

سيّان فيه عليه غير مذمم*** ممشاه إن جنبا وإن لم يجنب

[المصدر السابق: ١٩٤].

احتجاج عليّ وإثبات فضله بسدّ الأبواب إلا بابه و...

عن أبان، عن سليم: كان عليّ عليه السلام في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله في خلافة عثمان وعدّة جماعة يتحدّثون ويتذاكرون الفقه والعلم... وقال عليه السلام: "أتقرّون أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله اشترى موضع مسجده ومنازله، فابتنى، ثمّ بنى عشرة منازل: تسعة له، وجعل لي عاشرها في وسطها، وسدّ كلّ باب شارع إلى المسجد غير بابي، فتكلّم في ذلك مَن تكلّم، فقال: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه، ولكنّ اللّه أمرني بسدّ أبوابكم، وفتح بابه، ولقد نهى النّاس جميعاً أن يناموا في المسجد غيري، وكنت أجنب في

المسجد، ومنزلي ومنزل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في المسجد يولد لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ولي فيه أولاد"؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: "أفتقرّون أنّ عمر حرص على كوّة

[الكوّة: الخرق في الحائط].

قدر عينه يدعها من منزله إلى المسجد، فأبى عليه"؟ ثمّ قال صلى الله عليه و آله: "إنّ اللّٰه أمر موسى أن يبني مسجداً لا يسكنه غيره وغير هارون وابنيه، وإنّ اللّٰه أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه غيري وغير أخي وابنيه"؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

[كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٧٤، ط. مؤسّسة البعثة].

و عن الخوارزمي بإسناده عن أبي ذرّ، قال: لمّا كان أوّل يوم في البيعة لعثمان ليقضي اللّٰه أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيَّ عن بيّنة، فاجتمع المهاجرون والأنصار في المسجد، ونظرت إلى عبدالرحمن بن عوف وقد اعتجر بريطة، وقد اختلفوا وكثرت المناجزة إذ جاء أبو الحسن عليه السلام، فحمد اللّٰه وأثنى عليه ثمّ ناشدهم بمفاخره ومناقبه، إلى أن قال: "هل تعلمون أنّ أحداً كان يدخل المسجد جُنباً غيري؟"، قالوا: اللّهمّ لا، قال: "فأُنشدكم هل تعلمون أنّ أبواب المسجد سدّها وترك بابي بأمر اللّٰه؟"، قالوا: اللّهمّ نعم. [المناقب لأحمد أخطب خوارزم: ٢١٣].

اعتراف عمر بن الخطّاب لعليّ بخصال ثلاث...

في "مستدرك الحاكم" عن أبي هريرة، قال: قال عمر بن الخطّاب: لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثلاث خصال، لئن تكون لي خصلة منها أحبّ إليّ من أن أُعطى حمر النعم. قيل: وما هنّ يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: تزوّجه فاطمة بنت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وسكناه المسجد مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يحلّ له فيه ما يحلّ له، والراية يوم خيبر. [مستدرك الحاكم ٣:١٢٥].

فبعد وجود هذه الأخبار المستفيضة، بل المتواترة، من الصحابة العظام في كتب العامّة والخاصّة، وإن لم نذكر إلا قليلاً منها، لا يبقى مجال لإيراد ابن تيميّة الكذّاب حيث قال: إنّ هذا الحديث "سدّ الأبواب إلا باب عليّ عليه السلام" ممّا وضعته الشيعة على طريق المقابلة، فإنّ توهّمه مردود باطل؛ لأنّ الحديث كما ذكرناه قد أخرجه علماء أهل السنّة بأسانيد جمّة صحاح وحسان عن جمع من الصحابة تربو عدّتهم على عدد ما يحصل به التواتر عندهم.

[من أراد التفصيل فليراجع كتاب "الغدير" ٣:٢٠٢].

عليّ و حديث الطير

قال أنس: أُتي النبيّ صلى الله عليه و آله بطير، فقال: "اللّهمّ إئتني بأحبِّ خلقك إليك، يأكل معي منه؟"، فجاء عليّ عليه السلام، فأكل معه.

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٢:١١١

نظرة في حديث الطير و سنده

من الأخبار الّتي تدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وأنّه أحقّ بالخلافة والإمامة بعده صلى الله عليه و آله حديث الطير، ففي "مسند أحمد بن حنبل"، و "الجمع بين الصحاح السّتة" عن أنس بن مالك، قال: كان عند النبيّ صلى الله عليه و آله طائر قد طبخ له فقال صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ إئتني بأحبّ النّاس إليك

[في بعض الأخبار: "أحبُّ النّاس إليك وإليَّ"، وسيأتي لفظه].

يأكل معي"، فجاء عليّ عليه السلام فأكله معه.

[الإحقاق ٧:٤٣٥، ونحوه في ينابيع المودّة: ٢٠٣، وتذكرة الخواصّ: ٤٤، وتاريخ دمشق: ج٢، وسنن الترمذي ٥:٦٣٦، ح ٣٧٢١، وخصائص النسائي: ٥، وفضائل الصحابة ٢:٥٦٠، ح ٩٤٥، المستدرك على الصحيحين وصحّحه ٣:١٣٠، ومصابيح السنّة ٤:١٧٣، ح ٤٧٧٠، وأسد الغابة ٤:٣٠، والبداية والنهاية ٧:٣٦٣، وجامع الأُصول ٩:٤٧١، والرياض النضرة ٣:١١٤، وذخائر العقبى: ٦١، وكفاية الطالب: ١٥٦ - ١٤٤، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٤٦، وغيرها].

ودلالة الحديث صريحة على أنّه عليه السلام أحبّ الخلق إلى اللّه ورسوله، ولا مجال للشكّ والترديد في أنّ مقام الولاية والخلافة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله لمن كان له مثل هذا الشأن العظيم.

وأمّا سند الحديث: فإنّه بلغ حدّ التواتر، وقد رواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة، عن أنس، عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وكذا رواه البعض عن جابر، وعن سفينة مولى رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وعن عبداللّه بن عبّاس، وعن عليّ عليه السلام، كلّهم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله مع مضامين متفاوتة متقاربة المعنى، وقد تلقّى الأصحاب هذا الحديث بالقبول، كما صنّف بعض أكابر المحدّثين من أهل السنّة فيه كتباً ورسائل مستقلّة، واحتجّ عليّ عليه السلام به يوم الشورى. فالحديث صحيح معتبر، لا يتردّد

فيه إلا مكابر معاند مطيع للشيطان، ونذكر هنا بعض ما نقل في صحّة سنده ونبذة من لفظ الحديث عن الفريقين.

قال ابن عساكر الشافعي حول حديث الطير: وقد ورد في ذلك آثار كثيرة مع شدّة الامتناع عن ذكر مثلها في العصور الماضية، ثمّ رواه عن جابر رضى الله عنه، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، وعن حبر الأُمّة عبدالله بن عبّاس رضى الله عنه، وعن أنس بن مالك خادم النبيّ صلى الله عليه و آله، ثمّ قال: وقد تكثّرت طرقه عن أنس حتّى بلغت حدّ التواتر.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١١٠ - ١٠٥ :٢].

وممّا يجدر بالذّكر أنّ هذا الحديث أيضاً ممّا أفرده بالتأليف جماعة من الحفّاظ مع كونه هادماً لكثير ممّا اعتقده شيعة آل أُميّة والمنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام. قال ابن كثير في البداية والنهاية "٧:٣٥٠": وهذا الحديث قد صنّف النّاس فيه، وله طرق متعدّدة - وساق الكلام إلى أن قال: - وقد جمع النّاس في هذا الحديث مصنّفات مفردة، منهم: أبو بكر بن مردويه الحافظ، وأبو طاهر محمّد بن أحمد بن حمدان، ورأيت فيه مجلّداً في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر ابن جرير الطبري صاحب التاريخ والتفسير...

[هامش تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٠٥، تحقيق: العلامة المحمودي].

وذكر المحقّق الخبير العلامة السيّد حامد حسين الموسوي الهندي في تأليفه الجيّد المسمّى بعقبات الأنوار، حديث الطير في المجلّد الرابع، وذكر أسماء رواة الحديث، وقد بلغوا "٩١ شخصاً"، منهم: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبو عبدالله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني، وعباد بن يعقوب الرواجني وغيرهم، وعدّ ٢٥٠ كتاباً من كتب العامّة نقلت الحديث.

صنّف علماء أهل السنّة في حديث الطير كتباً ورسائل اختصاصيّة تبلغ ثمانية، نذكر أسماءها مع إجمال من مشخّصات مؤلّفيها اقتباساً من "عبقات الأنوار".

الأوّل: كتاب طرق حديث الطير وألفاظه لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري المفسّر صاحب التاريخ "المتوفّى ٣١٠ه. ق".

الثاني: كتاب حديث الطير لأبي العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد المعروف بابن عقدة "المتوفّى ٣٣٣ه. ق".

الثالث: كتاب طرق حديث الطائر لأبي عبيدالله بن أحمد الأنباري "المتوفّى ٣٥٦ه. ق".

الرابع: كتاب جمع طرق حديث الطير لأبي عبدالله الحاكم النيشابوري - المعرف بابن البيع - صاحب المستدرك "المتوفّى ٤٠٧ه. ق".

الخامس: كتاب طرق حديث الطير لأبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الاصفهاني "المتوفّى ٤١٠ه. ق".

السادس: كتاب الطير للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الاصفهاني "المتوفّى ٤٣٠ه. ق".

السابع: كتاب طرق حديث الطير لأبي ظاهر محمّد بن أحمد بن عليّ - المعرف بابن حمدان - "المتوفّى ٤٤١ه.ق".

الثامن: كتاب طرق حديث الطير لشمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي "المتوفّى ٧٤٨ه. ق".

[مقدّمة عبقات الأنوار: ج٤].

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الحاكم من كتاب "تذكرة الحفّاظ": وأمّا حديث الطير فله طرق كثيرة جدّاً، قد أفردتها بمصنّف!! ومجموعها يوجب أن يكون الحديث له أصل.

[تذكرة الحفّاظ ٣:١٠٤٢].

وقال العلامة المحمودي: وهذا الاعتراف من الذهبي صدر في أيّام كان شرع في النضج، ولو بقي حتّى يبلغ تمام النضج لاعترف بكثير من الخصوصيّات الواردة في الموضوع لثقة رواته، وكثرة شواهده.

[هامش تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام٢:١٠٥].

وذكر في مقدّمة "العبقات" عن "المناقب" لابن شهرآشوب تخريجات الحديث هكذا: الترمذي في "جامعه"، وأبونعيم في "حلية الأولياء"، والبلاذري في "تأريخه"، والخركوشي في "شرف المصطفى"، والسمعاني في "فضائل الصحابة"، والطبري في "الولاية"، وابن البيع في "الصحيح"، وأبو يعلى في "المسند"، وأحمد في "الفضائل"، والنطنزي في "الاختصاص".

وقد رواه محمّد بن إسحاق، ومحمّد بن يحيى الأزدي، وسعيد، والمازني، وابن شاهين، والسدّي، وأبو بكر البيهقي، ومالك، وإسحاق بن عبدالله، وأبو طلحة، وعبدالملك بن عمير، ومسعر بن كهرام، وداود بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس، وأبو حاتم الرازي بأسانيدهم عن أنس وابن عبّاس وأمّ أيمن.

ورواه ابن بطّة في "الإنابة" من طريقين، والخطيب أبو بكر في "تأريخ بغداد" من سبعة طرق، وقد صنّف أحمد بن محمّد بن سعيد كتاب "الطير"، وقال القاضي أحمد: قد صحّ عندي حديث الطير.

قال الشيخ: قد استدلّ به أمير المؤمنين عليه السلام على فضله في قصّة الشورى بمحضر من أهلها، فما كان فيهم إلا مَن عرفه وأقرّ به، والعلم بذلك كالعلم بالشورى نفسها، فصار متواتراً، وليس في الأُمّة على اختلافها من دفع هذا الخبر.

وقد رواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس، وعشرة عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقد صحّ أنّ اللّٰه تعالى والنبيّ يحبّان عليّاً عليه السلام، وما صحّ ذلك لغيره، فيجب الاقتداء به. [مقدّمة على العبقات ٤:١٥].

الفاظ الحديث

روى الأصحاب والتابعون حديث الطير بطرق مختلفة تبلغ حدّ التواتر، وذكرها جميعاً لا يخلو من فائدة للقارئ المحترم؛ لأنّ في كلّ حديث نكتة توجب زيادة الفائدة، ولكن لرعاية الاختصار نذكر بعضها:

حديث أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

١- عن ابن عساكر الشافعي: بسنده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: أُهدي لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله طيرٌ يقال له الحباري، فوضع بين يديه، وكان أنس بن مالك يحجبه، فرفع النبيّ صلى الله عليه و آله يده إلى اللّٰه، ثمّ قال: "اللّهمّ إئتني بأحبّ خلقك يأكل معي من هذا الطير".

قال: فجاء عليّ عليه السلام فاستأذن، فقال له أنس: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على حاجة!! فرجع، ثمّ دعا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الثانية، فجاء عليّ عليه السلام فاستأذن، فقال أنس: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على حاجة فرجع، ثمّ دعا الثالثة: فجاء عليّ عليه السلام فأدخله، فلمّا رآه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: "اللّهمّ وإليّ"، فأكل معه - الحديث. [تاريخ دمشق - الإمام عليّ بن أبي طالب ٢:١٠٦، ح ٦١٠].

٢- وفي "البحار" عن "الاحتجاج" عن جعفر بن محمّد الصادق، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، قال: "كنت أنا ورسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في المسجد بعد أن صلّى الفجر، ثمّ نهض ونهضت معه، وكان إذا أراد أن يتّجه إلى موضع أعلمني بذلك، فكان إذا أبطأ في الموضع صرت إليه لأعرف خبره؛ لأنّه لا يتقارّ [تقارّ في المكان: سكن وثبت. وفي المصدر: "لا يتصابر"].

قلبي على فراقه ساعة. فقال لي: أنا متّجه إلى بيت عائشة، فمضى، ومضيت إلى بيت فاطمة عليهاالسلام، فلم أزل مع الحسن والحسين وهي وأنا مسروران بهما، ثمّ إنّي نهضت وصرت إلى عائشة، فطرقت الباب، فقالت لي عائشة: مَن هذا؟ فقلت لها: أنا عليٌّ، فقالت: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله راقد، فانصرفت. ثمّ قلت: النبيّ راقد وعائشة في الدار؟ فرجعت وطرقت الباب، فقالت لي عائشة: مَن هذا؟ فقلت: أنا عليٌّ. فقالت: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله على حاجة، فانثنيت

[أي انصرفت] مستحيياً من دقّي الباب، ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً فرجعت مسرعاً فدققت الباب دقّاً عنيفاً [أي شديداً].

فقالت لي عائشة: مَن هذا؟ فقلت: أنا عليٌّ. فسمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول لها: يا عائشة، افتحي الباب، ففتحت فدخلت، فقال لي: أُقعد يا أبا الحسن، أُحدّثك بما أنا فيه، أو تحدّثني بإبطائك عنّي؟ فقلت: يار سول اللَّه، حدّثني فإنّ حديثك أحسن.

فقال صلى الله عليه و آله: "يا أبا الحسن، كنت في أمر كتمته من ألم الجوع، فلمّا دخلت بيت عائشة وأطلت القعود ليس عندها شي ء تأتي به، مددت يدي وسألت اللَّه القريب المجيب، فهبط علَيّ حبيبي جبرئيل عليه السلام ومعه هذا الطير - ووضع إصبعه على طائر بين يديه - فقال: إنّ اللَّه عزّ وجلّ أوحى إليَّ أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنّة فآتيك به يا محمّد، فحمدت اللَّه كثيراً، وعرج جبرئيل، فرفعت يدي إلى السماء فقلت: اللّهمّ يسّر عبداً يحبّك ويحبّني يأكل معي هذا الطائر، فمكثت مليّاً فلم أرَ أحداً يطرق الباب، فرفعت يدي، ثمّ قلت: اللّهمّ يسّر عبداً يحبّك ويحبّني، وتحبّه وأُحبّه يأكل معي هذا الطائر، فسمعت طرقك للباب، وارتفاع صوتك، فقلت لعائشة: أدخلي عليّاً، فدخلت، فلم أزل حامداً للَّه حتّى بلغت إليَّ؛ إذ كنت تحبّ اللَّه وتحبّني، ويحبّك اللَّه وأُحبّك، فكل يا عليّ، فلمّا أكلت أنا والنبيّ صلى الله عليه و آله الطائر، قال لي: يا عليّ حدّثني. فقلت: "يا رسول اللَّه، لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً، ثمّ نهضت أُريدك فجئت فطرقت الباب فقالت لي عائشة: مَن هذا؟ فقلت لها: أنا عليّ. فقالت: إنّ النبيّ راقد، فانصرفت، فلمّا صرت إلى الطريق الّذي سلكته رجعت فقلت: النبيّ راقد وعائشة في الدار؟! لا يكون هذا فجئت فطرقت الباب، فقالت لي: مَن هذا؟ فقلت: أنا عليّ، فقالت: إنّ النبيّ على حاجة، فانصرفت مستحيياً، فلمّا انتهيت إلى الموضع الّذي رجعت منه أوّل مرّة وجدت في قلبي ما لم أستطع عليه صبراً، وقلت: النبيّ على حاجة وعائشة في الدار؟! فرجعت فدققت الباب الدقَّ الّذي سمعته يار سول اللَّه، فسمعتك يا رسول اللَّه أنت تقول لها: أدخلي عليّاً" [بحار الأنوار ٣٨:٣٤٨].- الحديث.

حديث ابن عبّاس

١- عن ابن عساكر الشافعي، و ابن المغازلي، بالإسناد عن ابن عبّاس، قال: أُتي النبيّ صلى الله عليه و آله بطائر فقال: "اللّهمّ ائتني برجلٍ يحبّه اللّه ورسوله"، فجاء عليّ عليه السلام فقال: "اللّهمّ وإليَّ".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٠٨، ح ٦١١، المناقب لابن المغازلي: ١٦٤، ح ١٩٥].

٢- وروى ابن عديّ في ترجمة داود بن عليّ بن عبداللّه بن عبّاس، عن ابن عبّاس، قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أُتي بطير، فقال: "اللّهمّ إئتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير"، فجاء عليّ عليه السلام فأكله معه.

[الكامل لابن عدي ١:٣٣٢، ترجمة داود بن عليّ، نقلاً عن هامش تاريخ دمشق ٢:١٠٨، تحقيق: العلامة المحمودي].

حديث سفينة مولى رسول اللّه

١- روى ابن الجوزي الحنفي، عن أحمد بن حنبل في "الفضائل" فأسنده إلى سفينة مولى رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: أهدت امرأة من الأنصار إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله طيراً بين رغيفين، فقدّمته إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله - وفي رواية: طيرين بين رغيفين - فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ إئتني بأحبّ خلقك إليك"، فإذا الباب يفتح، فدخل عليّ عليه السلام فأكل. [تذكرة الخواصّ: ٤٤].

٢- وعن ثابت البجلي، عن سفينة مولى رسول اللّه صلى الله عليه و آله، قال: أهدت امرأة من الأنصار إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله طائرين بين رغيفين، ولم يكن في البيت غيري وغير أنس، فجاء النبيّ صلى الله عليه و آله فدعا بغذائه، فقلت: يا رسول اللّه، قد أهدت لك امرأة من الأنصار هدية، فقدّمت الطائرين إليه، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإلى رسولك"، فجاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام فضرب ضرباً خفيفاً، فقلت: مَن هذا؟ قال: "أبو الحسن"، ثمّ ضرب الباب فرفع صوته، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "من هذا؟" قلت: عليّ بن أبي طالب، قال: "افتح له"، ففتحت له، فأكل مع النبيّ صلى الله عليه و آله من الطيرين حتّى فنيا.

[فرائد السمطين ١:٢١٤، ح ١٦٧، وتاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٣٣، ح ٦٤١].

٣- وروى ابن عساكر الشافعي وابن المغازلي، بالإسناد عن بُريدة بن سفيان، عن سفينة، وكان خادماً لرسول اللّه صلى الله عليه و آله، قال: أُهدي لرسول اللّه صلى الله عليه و آله طوائر، قال: فرفعت أُمّ أيمن

بعضها، فلمّا أصبح أتته به، فقال: 'ماذا يا أُمّ أيمن؟'، فقالت: هذا بعض ما أُهدِيَ إليك أمس، قال: 'أولم أنهك أن ترفعي بعد طعاماً؟ إنّ لكلّ عبدٍ رزقه'، ثمّ قال: 'اللّهمّ أدخل أحبَّ خلقك إليك يأكلُ معي من هذا الطائر'. فدخل عليّ عليه السلام فقال: 'اللّهمّ وإليَّ'.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٣٣، ح ٦٤٠، والمناقب لابن المغازلي: ١٧٥ من ح ٢١٢].

حديث أنس بن مالك

١- روى ابن مردويه بسنده عن ثمامة بن عبدالله، عن أنس بن مالك: أنّ أُمّ سلمة صنعت لرسول الله صلى الله عليه و آله طيراً، فبعثت به إليه، فلمّا وضع بين يديه، قال: 'اللّهمّ جئني بأحبّ خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطائر'، فجاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال له أنس: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله على حاجة!! فرجع عليّ عليه السلام. فدعا النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: 'اللّهمّ جئني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر'، فجاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال له أنس: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله على حاجة!! فرجع عليّ عليه السلام.

واجتهد النبيّ صلى الله عليه و آله في الدعاء "و" قال: 'اللّهمّ جئني بأحبِّ خلقك إليك وأوجههم عندك'، فجاء عليّ عليه السلام فقال له أنس: إنّ رسول الله على حاجة!! قال أنس: فرفع عليّ يده فوكز في صدري ثمّ دخل فلمّا نظر إليه رسول الله صلى الله عليه و آله قام قائماً فضمّه إليه " و" قال: 'يا ربّ وإليَّ، يا ربّ وإليَّ ما أبطأ بك يا عليّ'؟ قال: 'يا رسول الله، قد جئت ثلاثاً كلّ ذلك يردّني أنس'.

قال أنس: فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه و آله وقال: 'يا أنس، ما حملك على ردّه؟!'، قلت: يا رسول الله، سمعتك تدعو، فأحببت أن تكون الدعوة في الأنصار!! قال: 'لست بأوّل رجل أحبّ قومه، ولكن أبى الله يا أنس إلا أن يكون ابن أبي طالب'.

[هامش تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١١٠].

٢- و عن ابن المغازلي عن خالد بن عبيد، قال أنس بن مالك: بينا أنا يومٍ بباب النبيّ صلى الله عليه و آله إذ جاءه رجل بطبق مُغَطّى، فقال: هل من إذن؟ فقلت: نعم، فدخل فوضع الطبق بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله وعليه طائر مشويّ، فقال: أُحِبُّ أن تملأ بطنك من هذا، يا رسول الله.

قال: 'غَطِّ عليه'، ثمّ شال يديه، فقال: 'اللّهمّ أدخل علَيّ أحبَّ خلقك إليك يُنازعني هذا الطعام'.

قال أنس: فلمّا سمعت ذلك، قلت: اللّهمّ اجعل هذه الدعوة في رجل من الأنصار، فخرجت أشوفُ رجلاً من الأنصار، بينا أنا كذلك إذ جاء عليّ عليه السلام، فقال: "هل من إذن"؟ فقلت: لا، ولم يحملني على ذلك إلا الحسد، فانصرف عليّ عليه السلام فجعلتُ أنظر يميناً وشمالاً هل من أنصاريّ فلم أجد، ثمّ عاد عليّ عليه السلام فقال: "هل من إذن"؟ فقلت: لا، انصرف. فنظرت يميناً وشمالاً ولا أنصاريّ إذ عاد عليّ عليه السلام فقال: "هل من إذن"؟ إذ نادى النبيّ صلى الله عليه و آله أن ائذن له، فدخل فجعل ينازع النبيّ صلى الله عليه و آله، فيومئذٍ ثبتت مودّة عليّ عليه السلام في قلبي.

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ١٧٣، ح ٢١٢].

٣- و عنه أيضاً عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: أُهدي إلى النبيّ نُحامةٌ مشويّة، فقال صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ ابعث إليَّ أحبَّ خلقك إليك وإلى نبيّك يأكل معي من هذه المائدة".

قال: فأتى عليّ عليه السلام فقال: "يا أنس، استأذن لي على رسول اللّه".

قال: فقلت: النبيّ عنك مشغول! فرجع عليّ عليه السلام ولم يلبث إلا قليلاً أن رجع، فقال: "يا أنس، استأذن لي على النبيّ صلى الله عليه و آله".

فقلت: النبيّ عنك مشغول! فرجع، فلم يلبث إلا قليلاً أن رجع: فقال: "يا أنس، استأذن لي على رسول اللّه صلى الله عليه و آله فهممتُ أن أقول مثل قولي الأوّل والثاني، فسمع النبيّ صلى الله عليه و آله من داخل الحجرة كلام عليّ عليه السلام، فقال: "ادخل يا أبا الحسن، ما أبطأ بك عنّي؟"، قال: "جئت يا رسول اللّه مرّتين وهذه الثالثة، كلّ ذلك يردّني أنس يقول: النبيّ عنك مشغول!!". فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "يا أنس، ما حملك على هذا؟"، فقلت: يا رسول اللّه، سمعت الدعوة فأحببت أن يكون رجلاً من قومي. فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: "يا أنس كلّ يُحبُّ قومه".

[المصدر السابق: ١٥٦، ح ١٨٩].

٤- روى ابن عساكر الشافعي عن محمّد بن سليم، عن أنس بن مالك، قال: أُهدي لرسول اللّه صلى الله عليه و آله طير مشويّ، فقال: "اللّهمّ أدخل علَيّ من تحبّه وأُحبّه، يأكل معي من هذا الطير". فجاء عليّ بن أبي طالب فقلت: إنّ رسول اللّه على حاجة فرجع. ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ أدخل مَن تحبّه وأُحبّه، يأكل معي من هذا الطير"، فجاء عليّ بن أبي طالب، فقلت: إنّ رسول اللّه على حاجة فرجع، ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ أدخل من تحبّه وأُحبّه، يأكل معي من هذا الطير"، فجاء عليّ بن أبي طالب فقلت: إنّ رسول اللّه على حاجة!! فدفعني ودخل، فقال رسول اللّه: "ما أبطأ بك يابن أبي طالب"؟ قال: "قد جئت ثلاث مرّات، كلّ

ذلك يردّني أنس'، قال: 'ما حملك على هذا يا أنس؟'، قلت: يا رسول اللّه، سمعتك تدعو، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول اللّه: 'لست بأوّل رجل أحبّ قومه'.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٢٤، ح ٦٢٩].

٥- و روى الجويني عن عبدالملك بن عمير، عن أنس، قال: أُهدي لرسول اللّه صلى الله عليه و آله طير فوضع بين يديه، فقال: 'اللّهمّ إئتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي، فجاء عليّ عليه السلام فدقّ الباب، فقلت: مَن ذا؟ فقال: 'أنا عليّ'، فقلت: النبيّ صلى الله عليه و آله على حاجة!! فرجع ثلاث مرّات كلّ ذلك يجي ء، فأقول له ذلك فيذهب! حتّى جاء في المرّة الرابعة، فقلت له مثل ما قلت في الثلاث مرّات. قال: فضرب الباب برجله فدخل، فقال النبيّ: 'ما حسبك'؟ قال: 'قد جئت ثلاث مرّات، كلّ ذلك يقول لي أنس: النبيّ على حاجة! فقال صلى الله عليه و آله: 'يا أنس، ما حملك على ذلك'؟ قال: كنت أُحبّ أن يكون رجلاً من قومي.

[فرائد السمطين ١:٢٠٩، ح ١٦٥].

٦- و روى الترمذي بسنده عن السدّي، عن أنس بن مالك، قال: كان عند النبيّ صلى الله عليه و آله طيرٌ فقال: 'اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير'، فجاء عليّ فأكل معه.

[سنن الترمذي ٥:٥٩٥، ح ٣٧٢١].

٧- وروى القندوزي الحنفي، عن أبي بكر بن عمر بن بكير النجّار، عن أنس أنّه قال: قدمت امرأة من الأنصار للنبيّ صلى الله عليه و آله طيراً، وأكل لقمة، وقال: 'اللّهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ' فأتى عليّ عليه السلام فضرب الباب، فقلت له: إنّه صلى الله عليه و آله على حاجة، ثمّ أكل لقمة، وقال مثل ذلك، فضرب الباب عليّ، فقلت له: إنّه صلى الله عليه و آله على حاجة، ثمّ ضرب عليّ عليه السلام ورفع صوته، فقال صلى الله عليه و آله: 'يا أنس، افتح الباب'، فدخل عليّ. وقال لعليّ: 'الحمد للّه الّذي جعلك، فإنّي أدعو في كلّ لقمة أن يأتيني اللّه بأحبّ الخلق إليه وإليَّ فكنت أنت'. قال عليّ: 'إنّي ضربت الباب ثلاث مرّات، ويردّني أنس'، فقال صلى الله عليه و آله: 'لم رددته؟' قلت: كنت أُحبُّ أن يأكل معك رجلٌ من الأنصار، فتبسّم وقال: 'لا يلام الرجل على حبّ قومه'.

[ينابيع المودّة: ٢٠٣. وغير ذلك من الأخبار الّتي رواها الأصحاب والتابعين عن أنس وغيره، ومن أراد المزيد فليراجع: الإحقاق ٥:٣١٨ إلى ٣٦٨، وتاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٠٥ إلى ١٥٩].

٨- و عن الحاكم النيشابوري و ابن كثير عن ثابت البناني: أنّ أنس بن مالك كان شاكياً، فأتاه محمّد بن الحجّاج يعوده في أصحاب له، فجرى الحديث حتّى ذكروا عليّاً عليه السلام فتنقصه محمّد بن الحجّاج، فقال أنس: مَن هذا؟ أقعدوني، فأقعدوه، فقال: يابن الحجّاج، لا أراك تنقص عليّ بن أبي طالب، والّذي بعث محمّداً صلى الله عليه و آله بالحقّ، لقد كنت خادم رسول اللّٰه بين يديه، وكان كلّ يوم يخدم بين يدي رسول اللّٰه غلام من أبناء الأنصار، فكان ذلك اليوم يومي، فجاءت اُمّ أيمن مولاة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بطير، فوضعته بين يدي رسول اللّٰه. فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا اُمّ أيمن، ما هذا الطائر؟'. قالت: هذا الطائر أصبته فصنعته لك.

فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "اللّهمّ جئني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من هذا الطائر'، وضرب الباب، فقال رسول اللّٰه: 'يا أنس، انظر من على الباب'؟ قلت: اللّهمّ اجعله رجلاً من الأنصار، فذهبت فإذا عليّ بالباب. قلت: إنّ رسول اللّٰه على حاجة!! فجئت حتّى قمت مقامي فلم ألبث أن ضرب الباب، فقال: 'يا أنس، انظر من عليّ الباب'؟ فقلت: اللّهمّ اجعله رجلاً من الأنصار، فذهبت فإذا عليّ عليه السلام بالباب.

قلت: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على حاجة!! فجئت حتّى قمت مقامي، فلم ألبث أن ضرب الباب فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا أنس، اذهب فأدخله، فلستَ بأوّل رجلٍ أحبّ قومه، ليس هو من الأنصار'، فذهبت فأدخلته، فقال: 'يا أنس، قرّب إليَّ الطير'، قال: فوضعته بين يدي رسول اللّٰه فأكلا جميعاً.

قال محمّد بن الحجّاج: يا أنس، كان هذا بمحضر منك؟ قلت: نعم، قال: اعطي باللّٰه عهداً أن لا أنتقص عليّاً عليه السلام بعد مقامي هذا، ولا أعلم أحداً ينتقصه إلا أشنت له وجهه. [مستدرك الحاكم ٣:١٣١، والبداية والنهاية ٧:٣٥١].

دعوة عليّ على أنس لكتمانه الشهادة

عن "أمالي الصدوق" بسنده عن أبي هدبة، قال: رأيت أنس بن مالك معصوباً بعصابة فسألته عنها، فقال: هي دعوة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقلت له: وكيف يكون ذلك؟

فقال: كنت خادماً لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فأُهدي إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله طائر مشوي، فقال: "اللّهمّ إئتني بأحبّ خلقك إليك وإليَّ يأكل معي من هذا الطائر'، فجاء عليّ عليه السلام فقلت له: رسول اللّٰه عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي.

فرفع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يده الثانية، فقال: "اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليَّ يأكل معي من هذا الطائر'، فجاء عليّ عليه السلام فقلت: رسول اللّٰه عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فرفع

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يده الثالثة، فقال: "اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليَّ يأكل معي من هذا الطائر"، فجاء عليّ عليه السلام فقلت: رسول اللَّه عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فرفع عليّ عليه السلام صوته، فقال: "وما يشغل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عنّي"، فسمعه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال: "يا أنس، مَن هذا"؟ فقلت: عليّ بن أبي طالب.

قال: "إئذن له"، فلمّا دخل، قال له: "يا عليّ، إنّي قد دعوت اللَّه عزّ وجلّ ثلاث مرّات، أن يأتيني بأحبّ خلقه إليه وإليَّ يأكل معي من هذا الطائر، ولو لم تجئني في الثالث لدعوت اللَّه باسمك أن يأتيني بك". فقال عليّ عليه السلام: "يا رسول اللَّه، إنّي قد جئت ثلاث مرّات كلّ ذلك يردّني أنس ويقول: رسول اللَّه عنك مشغول". فقال لي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "يا أنس، ما حملك على هذا؟". فقلت: يا رسول اللَّه، سمعت الدعوة فأحببت أن يكون رجلاً من قومي.

فلمّا كان يوم الدار استشهدني عليّ عليه السلام فكتمته، فقلت: إنّي نسيته، فرفع عليّ عليه السلام يده إلى السماء فقال: "اللّهمّ ارم أنساً بوضح لا يستره من النّاس"، ثمّ كشف العصابة عن رأسه، فقال: هذه دعوة عليّ.

[أمالي الصدوق - المجلس الرابع والتسعون: ح ٣].

استشهاد المأمون بحديث الطير

قال ابن عبد ربّه: قال المأمون لإسحاق بن إبراهيم - عندما جمعه مع أربعين من الفقهاء للاحتجاج عليهم -: يا إسحاق، وهل تعرف حديث الطير؟ قال: قلت: نعم، قال: فحدّثني به؟ قال: فحدّثته الحديث. فقال: يا إسحاق، إنّي كنت أُكلّمك وأنا أظنّك غير معاند للحقّ، فأمّا الآن فقد بان لي عنادك!! إنّك توقن أنّ هذا الحديث صحيح؟ قال: قلت: نعم، رواه من لا يمكنني ردّه.

قال المأمون: أفرأيت أنّ من أيقن أنّ هذا الحديث صحيح ثمّ زعم أنّ أحداً أفضل من عليّ لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن يكون "يزعم أنّ" دعوة رسول اللَّه عنده مردودة عليه! أو أن يقول: إنّ اللَّه عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحبّ إليه!! أو أن يقول: إنّ اللَّه لم يعرف الفاضل من المفضول!! فأيّ الثلاثة من هذه الوجوه أحبّ إليك أن تقول؟! والحديث طويل، واقتصرنا منه على محلّ الحاجة من كلامه، وفيه فوائد جمّة ونتائج مهمّة، فراجعه.

[العقد الفريد ٥:٩٧].

ايضاح :

هذه بضعة عشر حديثاً من طريق القوم عن كثير أجلاء الصحابة مع كثرة اهتمام القوم على إخفاء اسمه وفضله وشدّة نكيرهم على من أفشاه، وقد اجتهد سلاطين الجور على إخفاء فضائله، ومنها حديث الطير، ومع ذلك فقد أتاح اللّٰه قوماً فجمعوا تلك الشتات ليتمّ حجّته على عباده ويهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيي عن بيّنة، ولا يمكن لعاقل منصف أن ينكر أو يكابر، أو أنّه يصدّق بالحديث ثمّ ينكر فضل عليّ عليه السلام على غيره.

دلالة الحديث أفضيلة عليّ بالخلافة

إنّ تلك الأخبار مع تواترها واتّفاق الفريقين على صحّتها، تدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام أفضل الخلق وأحقّ بالخلافة بعد الرسول صلى الله عليه و آله.

أمّا دلالتها على كونه أفضل فلأنّ حبّ اللّٰه تعالى ليس إلا كثرة الثواب والتوفيق والهداية المترتّبة على كثرة الطاعة، والاتّصاف بالصفات الحسنة، كما أنّه تعالى منزّه عن الانفعالات والتغيّرات، وإنّما اتّصافه بالحبّ والبغض وأمثالهما باعتبار الغايات، وأنّه ليس إثباته تعالى وإكرامه بدون فضيلة وخصلة كريمة وأعمال حسنة توجب ذلك، لحكم العقل بقبح تفضيل الناقص على الكامل، والعاصي على المطيع، والجاهل على العالم، والقاصر على الفائق في الكمالات.

وقد قال تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" [سورة آل عمران: ٣١].

فظهر أنّ حبّه تعالى إنّما يترتّب على متابعة الرسول صلى الله عليه و آله، فثبت أنّه عليه السلام أفضل من جميع الخلق، وإنّما خصّ الرسول بالإجماع، وبقرينة أنّه كان هو القائل لذلك، فالظاهر أنّ مراده: أحبّ سائر الخلق إليه تعالى. [انظر: بحار الأنوار ٣٨:٣٥٨].

وقال ابن عساكر الشافعي: حديث الطير وما ورد فيه لعليّ عليه السلام، من أعلى المناقب وأشرف الفضائل، وأعظم المفاخر من طلب النبيّ صلى الله عليه و آله من اللّٰه تعالى أن يأتيه بأحبّ خلقه إليه. [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:١٠٥].

وأمّا كونه عليه السلام أحقّ بالخلافة فلأنّ من كان أفضل من جميع الصحابة، بل من جميع الأنبياء والأوصياء بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، لا يجوز العقل تقدّم غيره عليه، لا سيّما تقدّم من لا يثبت له فضيلة واحدة إلا بروايات المعاندين الّتي تظهر عليها أمارات الوضع والافتراء واختيار رضى سلاطين الجور على طاعة ربّ الأرض والسماء. [بحار الأنوار ٣٨:٣٥٩].

ايرادات واهية على الحديث مع جوابها

نوقش في دلالة الخبر على أفضليّة عليّ عليه السلام بوجوه:

الأوّل: أنّه يحتمل أن يكون أراد صلى الله عليه و آله أحبّ خلق اللّه إليه في أكل هذا الطير لا أحبّ الخلق إليه مطلقاً؟

والجواب عنه واضح - وإن كان لوهنه وركاكته لا يحتاج إلى الجواب، وقائله لا يستحقّ الخطاب - وهو أنّ قوله صلى الله عليه و آله: 'يأكل' جواب للأمر، ولا يفهم أحد له أدنى أُنس بكلام العرب منه سوى هذا المعنى، فلو خصّص الحبّ بذلك "بأكل الطير" لكان تخصيصاً من غير قرينة تدلّ عليه، وبرهان يدعو إليه، ولو جعل "يأكل" قيداً للحبّ، فمع بُعده محتاج إلى تقديرٍ "في أن يأكل" وهو خلاف الأصل لا يصار إليه إلا بدليل، على أنّ في بعض الروايات ليس كلمة "يأكل" أصلاً، وفي بعضها "حتّى يأكل" وهما لا يحتملان ذلك. [بحار الأنوار ٣٨:٣٥٩].

وأجاب الشيخ المفيد عن ذلك بوجه آخر، وهو أنّه لو كان الكلام يحتمل ذلك لما كان فيه فضل، فلم يكن أنس يردّه مرّتين وعائشة تردّه مرّتين ليكون ذلك الفضل للأنصار أو لأبيها أبي بكر، ولما قرّره الرسول صلى الله عليه و آله على ذلك.

وأيضاً لو كان محتملاً لذلك لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يحتجّ بذلك يوم الدار، ولا قَبِلَ الحاضرون ذلك منه، ولقالوا: إنّ ذلك لا يدلّ على فضيلة توجب الإمامة والخلافة. [انظر الفصول المختارة ١:٦٥].

الثاني: من الايرادات أنّه يحتمل أن يكون في ذلك الوقت أحبّ الخلق وأفضلهم، فَلِمَ لا يجوز أن يصير بعض الصحابة بعد ذلك أفضل منه؟

والجواب عنه واضح أيضاً؛ لأنّ ذلك خلاف عموم اللفظ وإطلاقه، فإنّ الظاهر من اللفظ أحبّ جميع الخلق في جميع الأحوال والأزمنة، ولو كان مراده صلى الله عليه و آله غير ذلك لقيّده بشي ء منها، ولم يدلّ دليل على خارج الكلام على التخصيص. [بحار الأنوار ٣٨:٣٦٠].

وأجاب الشيخ المفيد عنه بوجهين آخرين:

أ - أنّ هذا خرق للإجماع المركّب؛ لأنّ الأُمّة بأسرها بين قولين: إمّا تفضيله في جميع الأحوال والأوقات، أو تفضيل غيره عليه كذلك، فما ذكرت قول لم يقل به أحد.

ب - أنّ احتجاجه عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه و آله بذلك وتسليم القوم له ذلك ممّا يدفع هذا الاحتمال. [الفصول المختارة ١:٦٧].

الثالث: وقد قالوا أيضاً: إنّ هذا الخبر من أخبار الآحاد، إنّما رواه أنس بن مالك وحده.

والجواب عنه: أوّلاً: بأنّ الأُمّة بأجمعها قد تلقّته بالقبول، ولم يرووا أنّ أحداً ردّه على أنس، ولا أنكر صحّته عند روايته، فصار الإجماع عليه هو الحجّة في صوابه، مع أنّ التواتر قد ورد بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام احتجّ به في مناقبه يوم الشورى، فقال: "أنشدكم باللّه، هل فيكم أحدٌ قال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله: اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فجاء أحد غيري؟". قالوا: اللّهمّ لا، قال: "اللّهمّ اشهد". فاعترف الجميع بصحّته، ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ليحتجّ بباطل، لا سيّما وهو في مقام المنازعة والتوصّل بفضائله إلى أعلى المرتبة الّتي هي الإمامة والخلافة للرسول صلى الله عليه و آله، وإحاطة علمه بأنّ الحاضرين معه في الشورى يريدون الأمر بدونه، هذا مع قول النبيّ صلى الله عليه و آله في حقه عليه السلام: "عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار". [الفصول المختارة ١:٦٥].

وغير ذلك من الإيرادات على الحديث لا نتعرّض لها رعاية للاختصار، لوضوح جوابها.

عليّ و حديث المنزلة

قال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام: "لقد قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام في عشرة مواضع: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى". ينابيع المودّة: ٢٥٤

كلمة حول حديث المنزلة

من الأخبار الواردة من طرق العامّة والخاصّة مستفيضة، بل متواترة، عن النبيّ صلى الله عليه و آله حديث المنزلة، وهو قوله صلى الله عليه و آله: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي".

[صحيح البخاري ٥:٨٩، ح ٢٠٢، صحيح مسلم ٤:١٨٧، ح ٢٤٠٤، سنن الترمذي ٥:٣٧٣٠، المستدرك على الصحيحين ٢:٢٣٣٧، مسند أحمد ١:٧٣ و ١٧٥ و ١٨٢ و ١٨٤ و ٣٣١، مصابيح السنّة ٤:١٧١٠، ح ٤٧٦٢، جامع الأُصول ٩:٤٦٨، ح ٦٤٧٧].

وقد اعترف أكابر علماء المسلمين وثقات الرواة من الفريقين بصحّة سنده أيضاً، وأنّه من أثبت الآثار وأصحّها. ومن حيث الدلالة يعطي إثبات كلّ ما للنبيّ صلى الله عليه و آله من رتبة وعمل ومقام وحكم وإمارة وسيادة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عدا ما استثني للنبيّ صلى الله عليه و آله من النبوّة، فكما كان هارون من موسى كان عليّ عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه و آله في خلافته وكونه بمنزلة نفسه، وقال الشارح المعتزلي: ويدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام وزير رسول اللّه صلى الله عليه و آله من نصّ

الكتاب والسنّة، قول اللّٰه تعالى: 'وَاجْعَل لِي وَزِيراً من أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي'. [شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢١٠].

فيقع الكلام في الحديث في ثلاثة مقامات وخاتمة: في صحّة سنده، وفي لفظ الحديث، وفي إثبات دلالته على المطلوب، وفي خاتمة فيها إيرادان على الحديث مع جوابهما، فاليك بيان ذلك:

امّا سند الحديث

لقد اعترف أكابر علماء المسلمين وثقات الرواة من الفريقين بصحّة سند هذا الحديث، بل لم يختلج في صحّة سنده ريب، ولا سنح في خاطر أحد أن يناقش في ثبوته، حتّى انّ الذهبي - على تعنّته - صرّح في تلخيص المستدرك بصحّته، وابن حجر الهيثمي - على محاربته بصواعقه - نقل القول بصحّته عن أئمّة الحديث الذين لا معوّل فيه إلا عليهم.

وفي "الاستيعاب" قال: روى قوله صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى' جماعة من الصحابة، وهو من أثبت الآثار وأصحّها.

ثمّ قال: رواه عن النبيّ صلى الله عليه و آله سعد بن أبي وقّاص وطرق الحديث سعد فيه كثيرة جدّاً، قد ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره، ورواه ابن عبّاس، وكذا أبو سعيد الخدري، وأُمّ سلمة، وأسماء بنت عميس، وجابر بن عبداللّٰه الأنصارى، وجماعة يطول ذكرهم. [الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٤].

وطرق حديث سعد كثيرة جدّاً؛ إذ رواه عن سعد ابنه إبراهيم بن سعد، وعائشة بنت سعد، ومصعب بن سعد، وسعد بن المسيّب، وأبو عبداللّٰه بن سعد، وعبداللّٰه بن بديل، كلّهم عن سعد بن أبي وقّاص، عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

ولولا أنّ الحديث بمثابة من الثبوت ما أخرجه البخاري في كتابه، ولولا ثبوته لما اعترف معاوية الّذي كان إمام الفئة الباغية ناصب أمير المؤمنين عليه السلام وحاربه ولعنه على منابر المسلمين، وأمرهم بلعنه، لكنّه - بالرغم عن وقاحته في عداوته - لم يجحد حديث المنزلة ولا كابر فيه سعد بن أبي وقّاص حين قال له: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فلن أسبّه؛ لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليَّ من حُمر النعم: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: 'يا رسول اللّٰه، خلفتني مع النساء والصبيان'، فقال له رسول اللّٰه: 'أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبوّة بعدي' - الحديث. فأبلس معاوية وكفّ عن تكليف سعد.

[صحيح مسلم ٧:١٢٠، ط. دار المعرفة - بيروت، والفصول المهمّة: ١٢٦، وسنن الترمذي ٥:٥٩٦، ح ٣٧٢٤].

وأزيدك على هذا كلّه أنّ معاوية نفسه حدّث بحديث المنزلة:

قال ابن حجر في صواعقه: أخرج أحمد أنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة، فقال: سل عنها عليّاً فهو أعلم، قال: جوابك فيها أحبّ إليَّ من جواب عليّ، قال: بئس ما قلت: لقد كرهت رجلاً كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يغرّه بالعلم غرّاً، ولقد قال له: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي" - الحديث.

[الصواعق - المقصد الخامس من الباب ١١:١٠٧].

وبالجملة فإنّ سند حديث المنزلة ممّا لا ريب في ثبوته بإجماع المسلمين على اختلافهم في المذاهب والمشارب، حتّى أخرجه صاحب الجمع بين الصحاح الستّة، وصاحبا لجمع بين الصحيحين من صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، ومستدرك الحاكم، وأحمد بن حنبل في مسنده وغيرهم حتّى انتهت طرق العامّة إلى مائة حديث، والخاصّة إلى سبعين حديثاً، ورواه في أكثر من ١٠٥ كتب أعاظم محدّثي العامّة، وهو من الأحاديث المسلّمة في كلّ خلف من هذه الأُمّة.

[أخذنا هذا البحث من كتاب المراجعات: ١٣٩ للعلامة شرف الدين، وأعيان الشيعة ١:٣٧١ للعلامة السيّد محسن الأمين، وغاية المرام للمحدّث البحراني، الباب ٢١ من المقصد الأوّل].

امّا لفظ حديث المنزلة

لا يخفى أنّ حديث المنزلة إمّا أن يكون قد روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله في مناسبات خاصّة تارة، وكان ذلك في غزوة تبوك وهي العمدة، وأُخرى في غزاة خيبر، وثالثة في حديث سدّ الأبواب، ورابعة في حديث المؤاخاة وغيرها، و إما قد روي عنه صلى الله عليه و آله بلا مناسبة خاصّة، وهنا نذكر لفظ بعض الأخبار المأثورة في جميع الأبواب إكمالاً للبحث.

ما روي عن النبي بلا مناسبة خاصّة

حديث سعد بن أبي وقّاص

١- وفي "صحيح البخاري" عن سعد، قال: سمعت إبراهيم بن سعد، عن أبيه، قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ: "أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى".

[صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٤:٢٤٥، ح ٣٤٧٠، وصحيح البخاري بتحقيق الشماعي الرفاعي ٥:٨١، ح ٢٢٥، ط. دار القلم - بيروت].

٢- عن ابن المغازلي عن سعيد بن المسيّب، عن عامر بن سعد، عن سعد، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي".

قال سعيد: فأحببت أن أشافه بذلك سعداً، فلقيته فذكرت له ما ذكره لي عامر، فقال: نعم، سمعته. فقلت: أنت سمعته؟ فأدخل يديه في أذنيه، وقال: نعم، وإلا فاستكّتا.

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٣٣، ح ٥٠].

٣- و عنه أيضاً عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قال لي معاوية: أتحبّ عليّاً؟ قال: فقلت: وكيف لا أُحبّه، وقد سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي". ولقد رأيته بارزاً يوم بدر وهو يُحَمحِمُ كما يُحمحم الفرس، ويقول:

بازلُ عامين حديث سِنّي*** سَنحنح اللَّيلِ كأنّي جِنّي

لمثل هذا ولدتني أُمّي*** فما رجع حتّى خَضب سيفه دماً

[المناقب لابن المغازلي: ح ٤٨].

٤- و عن ابن عساكر الشافعي عن الزهرى، عن عامر بن سعد، قال: إنّي لمع أبي إذ تبعنا رجل في نفسه على عليّ عليه السلام بعض الشي ء، فقال: يا أبا إسحاق، حديث يذكر النّاس عن عليّ عليه السلام، قال: وما هو؟ قال: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى"، قال: نعم، سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ: "أنت منّي كهارون من موسى"، وما ينكر أن يقول لعليّ هذا أو أفضل من هذا.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٣٢٦، ح ٣٧٤].

٥- و عنه ايضاً عن زيد بن أرقم، قال: قدمت المدينة فجلسنا إلى سعد، فقال سعد: سمعت النبيّ صلى الله عليه و آله يقول لعليّ: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٣٢٦، ح ٣٩٤].

٦- و عنه أيضاً عن صفوان بن سليم، عن سعيد بن المسيّب، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: سمعت أُذناي وأبصرت عيناي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو يقول لعليّ عليه السلام: "أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي".

[المصدر السابق: ٣٠٨، ح ٣٦٨].

٧- وفي "مسند أحمد بن حنبل"، بسنده عن سعد بن إبراهيم، قال: سمعت إبراهيم بن سعد، يحدّث عن أبيه سعد، عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال لعليّ عليه السلام: 'أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى'.

[مسند أحمد بن حنبل ٣:٥٦، نقلاً عن الإحقاق ٥:١٣٣].

٨- وفي "سنن الترمذي" عن سعد بن المسيّب، عن سعد بن أبي وقّاص أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'. [سنن الترمذي ٥:٥٩٩، ح ٣٧٣١].

حديث عبداللّٰه بن مسعود

عن ابن المغازلي الشافعي عن عبداللّٰه بن مسعود، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى'، وخلّفه في أهله. [المناقب لابن المغازلي: ٣٦، ح ٥٦].

حديث أسماء بنت عميس

عن الجويني عن الحسن بن صالح، عن موسى الجهني، عن فاطمة بنت عليّ عليه السلام، عن أسماء بنت عميس، قالت: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'. [فرائد السمطين ١:١٢٢، ح ٨٥].

حديث عمر بن الخطّاب

عن ابن عساكر الشافعي عن عطاء بن سويد بن غفلة، عن عمر بن الخطّاب، قال: رأى رجلاً يشتم عليّاً عليه السلام، كانت بينه وبينه خصومة، فقال له عمر: إنّك من المنافقين، سمعتُ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'إنّما عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٣٣٠، ح ٣٩٩، وروى أبو بكر البغدادي في تاريخه ٧:٤٥٢ نحوه].

حديث جابر بن عبداللّٰه الأنصاري

١- عن غاية المرام عن "مطالب السؤول" لمحمّد بن طلحة الشافعي، قال: قال جابر بن عبداللّٰه الأنصاري: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول - لعليّ عليه السلام -: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'.

[غاية المرام: ١٢٤، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل، ح ٩٥].

٢- و روى الترمذي في سننه عن جابر بن عبداللّٰه أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'. [سنن الترمذي ٥:٥٩٨، ح ٣٧٣٠].

٣- و روى الصدوق، عن جابر بن عبداللّٰه الأنصاري، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'إنّ اللّٰه تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولاً، وأنزل علَيّ سيّد الكتب، فقلت: إلهي وسيّدي، إنّك أرسلت موسى إلى فرعون فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيراً، تشدّ به عضده، وتصدّق به قوله، وإنّي أسألك يا سيّدي وإلهي أن تجعل لي من أهلي وزيراً تشدّ به عضدي، فجعل اللّٰه لي عليّاً وزيراً وأخاً، وجعل الشجاعة في قلبه وألبسه الهيبة على عدوّه، وهو أوّل من آمن بي، وصدّقني، وأوّل من وحّد اللّٰه معي' - الحديث. [أمالي الصدوق - المجلس السادس: ح ٥].

حديث أبي سعيد الخدري

عن "مسند أحمد بن حنبل": بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'.

[غاية المرام: ١٠٩، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل، رقم ١].

حديث أُمّ سلمة

١- عن غاية المرام عن "المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة" بإسناده إلى ابن عبّاس، عن أُمّ سلمة، قالت: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله - وقد دخل عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام -: 'يا أُمّ سلمة، هل تعرفينه؟'، فقالت: هنيئاً هذا عليّ بن أبي طالب، قال صلى الله عليه و آله: 'نعم، لحمه لحمي، ودمه دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي. يا أُمّ سلمة، اسمعي واشهدي، هذا عليَّ أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وعيبة علمي، وبابي الّذي منه أُوتى، وخليفتي من بعدي، وقربتي في الآخرة، وهو معي في السنام الأعلى. اشهدي - يا أُمّ سلمة - أنّه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين'.

[المصدر السابق: ١١٨، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل].

٢- و عن ابن عساكر الشافعي بإسناده عن أُمّ سلمة، قالت: إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: "أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه ليس بعدي نبوّة". [تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٣٠٩، ح ٣٧٠].

وفي حديث آخر: "غير أنّه ليس بعدي نبوّة". [المصدر السابق: ح ٣٧١].

حديث ابن عبّاس

روى الجويني عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لأُمّ سلمة: "هذا عليّ بن أبي طالب، لحمه لحمي، ودمه دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي.

يا أُمّ سلمة، هذا عليّ أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، ووصيّي، ووعاء علمي، وبابي الّذي أُوتى منه، أخي في الدنيا والآخرة، ومعي في السنام الأعلى، يقتل القاسطين والناكثين والمارقين". [فرائد السمطين ١:١٤٩، ح ١١٣].

حديث المنزلة في مناسبات خاصّة

وقد بحثنا في المناسبات الخاصّة الّتي روي فيها عن النبيّ صلى الله عليه و آله قوله صلى الله عليه و آله: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى"، فكانت نحو عشرة موارد، وقد ورد في الحديث على ما نقله العلامة القندوزي الحنفي، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن آبائه عليهم السلام: "لقد قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام في عشرة مواضع: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى".

[ينابيع المودّة: ٢٥٤].وفيما يلي نذكرها بالتفصيل:

في غزوة تبوك

لمّا أراد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الخروج إلى غزوة تبوك استخلف عليّاً عليه السلام في المدينة، وقال له: "يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك"، ولمّا علم أهل النفاق باستخلاف رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه في المدينة بعد خروجه صلى الله عليه و آله، فقالوا: لم يستخلفه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إكراماً له، بل إنّما خلّفه استثقالاً له.

فلمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: "يا رسول اللّٰه، إنّ المنافقين يزعمون أنّك إنّما خلفتني استثقالاً ومقتاً؟".

فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: "ارجع - يا أخي - إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي".

و قال المفيد في الإرشاد: لمّا أراد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الخروج استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: "يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك".

وذلك أنّه صلى الله عليه و آله علم من خبث نيّات الأعراب وكثير من أهل مكّة ومن حولها ممّن غزاهم وسفك دماءهم، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها، وحصوله ببلاد الروم أو نحوها، فمتى لم يكن في المدينه من يقوم مقامه لم يؤمن من معرّتهم وإيقاع الفساد في دار الهجرة، والتخطّي إلى ما يشين أهله ومخلّفيه.

وعلم صلى الله عليه و آله أنّه لا يقوم مقامه في إرهاب العدوّ وحراسة دار الهجرة وحياطة مَن فيها إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونصّ عليه بالإمامة من بعده نصّاً جليّاً؛ وذلك فيما تظاهرت به الرواية: أنّ أهل النفاق لمّا علموا باستخلاف رسول اللَّه عليّاً على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنّها تتحرّس به، ولا يكون فيها للعدوّ مطمع فساءهم ذلك، وكانوا يؤثرون خروجه معه، لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن المدينة، وخُلوّها من مرهوب مخوف يحرسها، وغبطوه على الرفاهيّة والدعة بمقامه في أهله، وتكلّف من خرج منهم المشاقّ بالسفر والحضر فأرجفوا به، وقالوا: لم يستخلفه رسول اللَّه إكراماً له وإجلالاً ومودّة، وإنّما خلّفه استثقالاً له، فبهتوا بهذا الإرجاف كبهت قريش للنبيّ صلى الله عليه و آله بالجنّة تارة، وبالشعر أُخرى، وبالسِّحر مرّة، وبالكهانة أُخرى، وهم يعلمون ضدّ ذلك ونقيضه، كما علم المنافقون ضدّ ما أرجفوا به على أمير المؤمنين عليه السلام وخلافه، وأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان أخصّ النّاس بأمير المؤمنين، وكان هو أحبّ النّاس إليه، وأسعدهم عنده، وأفضلهم لديه. فلمّا بلغ أمير المؤمنين إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق النبيّ صلى الله عليه و آله، فقال: "يا رسول اللَّه، إنّ المنافقين يزعمون أنّك إنّما خلفتني استثقالاً ومقتاً"، فقال له النبيّ: "ارجع يا أخي إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى - يا عليّ - أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي؟".

[الإرشاد ١٥٤: ١].

وفيما يلي نذكر الروايات الواردة في هذا الباب:

١- عن ابن المغازلي الشافعي عن سعيد بن المسيّب، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'أقم بالمدينة'. قال: فقال له عليّ عليه السلام: 'يا رسول اللَّه، إنّك ما خرجت في غزاة فخلفتني'؟ فقال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ: 'إنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'. قال: فقلت لسعد بن أبي وقّاص: أأنت سمعت هذا من رسول اللَّه؟ قال: نعم، لا مرّة ولا مرّتين يقول ذلك لعليّ عليه السلام.

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٣٣، ح ٤٩].

٢- و عن ابن شهر آشوب روى في قصة خروج النبيّ صلى الله عليه و آله إلى غزاة تبوك: إنّه صلى الله عليه و آله لمّا خرج من المدينة وانتهى إلى الجرف لحقه عليّ عليه السلام، وأخذ يغزر رحله، وقال: 'يا رسول اللَّه، زعمت قريش إنّما خلفتني استثقالاً ومقتاً'، فقال صلى الله عليه و آله: 'طالما آذت الأُمم أنبياءهم، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟' - الحديث.

[غاية المرام: ١٥١، الباب ٢١ من المقصد الأوّل، ح ٦٨].

٣- وفي "صحيح البخاري" بسنده عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خرج إلى تبوك واستخلف عليّاً عليه السلام، فقال: 'أتُخلِفُني في الصبيان والنساء؟'، قال صلى الله عليه و آله: 'ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه ليس نبيّ بعدي؟'.

[صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٦:٢١٧، ح ٤١١٥، وشرح الشماعي الرفاعي ٦:٣٠٩، ح ٨٥٧].

٤- وفي "صحيح مسلم" بسنده عن مصعب بن سعد بن أبي وقّاص، قال: وخلّف رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّ بن أبي طالب عليه السلام في غزوة تبوك فقال: 'يا رسول اللَّه، تخلفني في النساء والصبيان؟'، فقال: 'أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'.

[صحيح مسلم ٤:١٨٧، ح ٢٤٠٤، غاية المرام: ١٥١، الباب ٢١ من المصدر الأوّل، ح ١٦].

٥- وروى ابن عساكر الشافعي، بسنده عن ابن المسيّب، عن ابن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه، قال: دخلت على سعد، فقلت له: حديثاً حدّثته عنك حين استخلف رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام على المدينة؟ قال: فغضب، وقال: من حدّثك به؟ فكرهت أن أُخبره أنّ ابنه حدّثنيه، فيغضب عليه، ثمّ قال: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين خرج في غزوة تبوك استخلف عليّاً على المدينة فقال عليّ عليه السلام: 'يا رسول اللَّه، ما كنت أحبّ أن تخرج وجهاً إلا وأنا معك'!! فقال: 'أوَما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نبيّ بعدي'.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٢٨٤، ح ٣٤٠، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٣٩].

٦- ورواه أيضاً، بسنده عن عائشة بنت سعد، عن أبيها سعد بن أبي وقّاص: أنّ عليّ بن أبي طالب خرج مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حتّى إذا جاء ثنية الوداع ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله يريد تبوك وعليّ عليه السلام يبكي ويقول: 'يا رسول اللَّه، تخلّفني مع الخوالف؟'، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا النبوّة'.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١:٣٢٦، ح ٣٩٢].

٧- وروى ابن سعد بسنده عن أبي سعيد، قال: غزا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غزوة تبوك وخلّف عليّاً في أهله، فقال بعض النّاس: ما منعه أن يخرج به إلا أنّه كره صحبته، فبلغ ذلك عليّاً فذكره للنبيّ صلى الله عليه و آله فقال: 'يابن أبي طالب، أما ترضى أن تنزل منّي بمنزلة هارون من موسى'.

[الطبقات الكبرى لابن سعد ٣:١٤].

٨- وروى النسائي، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: لمّا غزا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غزوة تبوك خلّف عليّاً عليه السلام في المدينة، قالوا فيه: ملّه وكره صحبته، فتبع عليّ عليه السلام النبيّ صلى الله عليه و آله حتّى لحقه في الطريق، قال: 'يا رسول اللَّه، خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساءِ حتّى قالوا: ملّه وكره صحبته!'، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، إنّما خلفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نبيّ بعدي'.

[الخصائص للنسائي: ٥٠].

في فتح خيبر

عن موفّق بن أحمد في "المناقب" قال: من المراسيل: روى الناصر للحقّ، بإسناده في حديث طويل، قال: لمّا قدم عليّ عليه السلام على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لفتح خيبر، قال صلى الله عليه و آله: 'لولا أن تقول طائفة فيك من أُمّتي ما قالت النصارى في المسيح عليه السلام لقلت فيك اليوم مقالاً، لا تَمرّ بملأ إلا وأخذوا التراب من تحت قدميك، ومن فضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، وأنا منك ترثني وأرِثكَ، إلا أنّه لا نبيّ بعدى، وإنّك تبرئ ذمّتي، وتقاتل على سُنّتي، وإنّك غداً أقرب النّاس، وإنّك أوّل من يرد علَيّ الحوض، وأوّل من يكسني معي

[والظاهر أنّها: 'يسكن معي'، أو 'يكتسي معي'].

وأوّل داخل الجنّة من أُمّتي، وإنّ شيعتك على منابر من نور، وإنّ الحقّ على لسانك، وفي قلبك، وفي عينيك'.

[غاية المرام: ١١٧، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل، ح ٦٧، وروي نحوه عن جابر بن عبدالله الأنصاري في كتاب "المناقب الفاخرة"، راجع: المصدر السابق: ١١٨، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل، ح ٧١].

في يوم المؤاخاة

كان المؤاخاة الأُولى في مكّة قبل الهجرة، حيث آخى رسول الله صلى الله عليه و آله بين المهاجرين خاصّة، وكانت المؤاخاة الثانية في المدينة بعد الهجرة بخمسة أشهر، حيث آخى بين المهاجرين والأنصار، وفي كلتا المرّتين كان النبيّ صلى الله عليه و آله يصطفي لنفسه عليّاً عليه السلام فيتّخذه من دونهم أخاه تفضيلاً له على من سواه، ويقول له صلى الله عليه و آله: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'.

الحديث في يوم المؤاخاة الاولى

والأخبار في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة، وأيضاً من طريق العامّة، وحسبك ممّا جاء من طريق العامّة في المؤاخاة الأُولى، حديث زيد بن أبي أوفى، والحديث طويل قد اشتمل على كيفيّة المؤاخاة، وفي آخره ما هذا لفظه: فقال عليّ عليه السلام: 'يا رسول الله، لقد ذهب روحي، وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخط علَيّ فلك العتبى والكرامة'، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: 'والّذي بعثني بالحقّ، ما أخرجتك إلا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي'. فقال: 'وما أرث منك؟'. قال صلى الله عليه و آله: 'ما ورث الأنبياء من قبلي: كتاب ربّهم، وسنّة نبيّهم، وأنت معي في قصري في الجنّة مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي'، ثمّ تلا صلى الله عليه و آله: 'إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ' المتحابّون في الله ينظر بعضهم إلى بعض.

[المراجعات: ١٤٧، عن كنز العمّال ٥:٤١، ح ٩٥٩، والآية من سورة الحجر: ٤٧، غاية المرام: ١١٤، باب ٢٠ من المقصد الأوّل، ح ٤٤].

الحديث في يوم المؤاخاة الثاني

و الاخبار في المؤاخاة كثيرة جداً، نذكر نبذة منها.

[راجع فصل "عليّ عليه السلام و المؤاخاة" في هذا الأثر].

١- عن اخطب الخوارزم عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: لمّا آخى النبيّ صلى الله عليه و آله بين أصحابه وبين المهاجرين والأنصار، فلم يواخ بين عليّ بن أبي طالب وبين أحد منهم، خرج عليّ مغضباً حتّى أتى

جدولاً من الأرض فتوسّد ذراعه، وسفت عليه الريح، فطلبه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حتّى وجده فوكزه برجله، وقال له: "قم، فما صلحتَ إلا أن تكون أبا تراب، أغضبت عليّ حين آخيت بين المهاجرين والأنصار، ولم أوآخ بينك وبين أحد منهم؟! أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه ليس بنبيّ؟ ألا مَن أحبّك حُفّ بالأمن والإيمان، ومن أبغضك أماته اللّٰه ميتة جاهليّة، وحوسب بعمله في الإسلام".

[المناقب للخوارزمي: ٧].

٢- و في مسند أحمد بن حنبل، بسنده عن مخدوج بن يزيد الهذلي: أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، آخى بين المسلمين، ثمّ قال: "يا عليّ، أنت أخي بمنزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نبيّ بعدي" الحديث. [غاية المرام: ١١٣، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل، ح ٤٦.

وقد ذكرنا أخباراً كثيرة بهذا المضمون في الجزء الأوّل فصل "عليّ عليه السلام والمؤاخاة"].

في زيارته أُمّ سليم

[أُمّ سليم هي بنت ملحان بن خالد الأنصاريّة، وأُخت حرام بن ملحان، استشهد أبوها وأخوها بين يدي النبيّ صلى الله عليه و آله، وكانت أُمّ سلمة على جانب من الفضل والعقل، روت عن النبيّ أحاديث، وكانت من الدعاة إلى الإسلام. المراجعات: ١٤٥، مطبعة الآداب - النجف].

من موارد حديث المنزلة يوم حدّث النبيّ صلى الله عليه و آله أُمّ سليم، وكانت أُمّ سليم من أهل السوابق والحجا، ولها المكانة من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بسابقتها وإخلاصها ونصحها وحسن بلائها، وكان النبيّ صلى الله عليه و آله يزورها ويحدّثها في بيتها، فقال لها في بعض الأيّام: "يا أُمّ سليم، إنّ عليّاً عليه السلام لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى".

[كنز العمّال ٦:١٥٤، ح ٢٥٥٤].

ولا يخفى أنّ هذا الحديث كان اقتضاباً من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله غير مسبب عن شي ء إلا البلاغ والنصح للّٰه تعالى في بيان منزلة وليّ عهده والقائم مقامه من بعده، فلا يمكن أن يكون مختصّاً بغزوة تبوك.

[المراجعات: ١٤٦].

في يوم سدّ الأبواب

ومن موارد الحديث يوم سدّ الأبواب غير باب عليّ عليه السلام، وحسبك في ذلك ما رواه البحراني عن أحمد بن حنبل، بسنده عن أبي الطفيل، عن حذيفة، قال: لمّا قدم أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله لم يكن لهم

بيوت يبيتون فيها، فكانوا يبيتون في المسجد فيحتلمون، ثمّ إنّ القوم بنوا بيوتاً حول المسجد، وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وإنّ النبيّ صلى الله عليه و آله بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبا بكر فقال: 'إنّ اللّٰه يأمرك أن تخرج من المسجد'، فقال: سمعاً وطاعةً، فسدّ بابه وخرج من المسجد. ثمّ أرسل إلى عمر فقال: 'إنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يأمرك أن تسدّ بابك في المسجد وتخرج منه، فقال: سمعاً وطاعةً، فسدّ بابه وخرج من المسجد. ثمّ أرسل إلى حمزة فسدّ بابه، فقال: سمعاً وطاعةً للّٰه ولرسوله، وعليّ عليه السلام على ذلك يتردّد لا يدري أهو فيمن يقيم أو يخرج، وكان النبيّ صلى الله عليه و آله قد بنى له بيتاً في المسجد بين بيوتاته، فقال له النبيّ صلى الله عليه و آله: 'اسكن طاهراً مطُهَّراً'.

ونَفَسَ ذلك رجال على عليّ عليه السلام، فوَجَدُوا في أنفسهم، وتبيّن فضله عليهم وعلى غيرهم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه و آله فقام خطيباً، فقال: 'إنّ رجالاً يجدون في أنفسهم في أن أُسكن عليّاً في المسجد، واللّٰه ما أخرجتكم ولا أسكنته، إنّ اللّٰه عزّ وجلّ أوحى إلى موسى وأخيه: 'أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ'

[سورة يونس: ٨٧].

وأمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه إلا هارون وذرّيّته، وإنّ عليّاً بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي دون أهلي، ولا يحلّ مسجدي لأحد ينكح فيه النساء إلا عليّ وذرّيّته، ومن ساءه فهاهنا'، وأومأ بيده نحو الشام.

[غاية المرام: ١١٣، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل، ح ٤٥، و راجع في فصل 'عليّ عليه السلام و سدّ الابواب الا بابه'].

في ولادة الحسنين

١- روى أخطب خوارزم في "مقتل الحسين" بسنده عن عليّ بن الحسين عليهماالسلام، قال: حدّثتني أسماء بنت عميس، قالت: قَبِلْتُ جدّتك فاطمة بالحسن والحسين، فلمّا ولد الحسن جاءني النبيّ صلى الله عليه و آله فقال: 'يا أسماء، هاتي ابني'، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبيّ صلى الله عليه و آله، وقال: 'يا أسماء، ألم أعهد إليكم أن لا تلفّوا لي الولد بخرقة صفراء'، فلففته في خرقة بيضاء ودفعته إلى النبيّ صلى الله عليه و آله، فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثمّ قال لعليّ: 'أيّ شي ء سمّيت ابني'؟ قال: 'ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول اللّٰه، وقد كنت أُحبّ أن أُسمّيه حرباً'، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: ولا أنا أيضاً أسبق باسمه ربّي عزّ وجلّ، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: السلام عليك يا محمّد، العليّ الأعلى يقرئك

السلام، ويقول: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى، ولا نبيّ بعدك، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون، قال: 'وما اسم ابن هارون؟' قال: شبّر، قال: 'لساني عربي'، قال: سمّه الحسن

[مقتل الحسين لأحمد أخطب خوارزم: ٨٧].الحديث.

٢- وروى البحراني عن "أمالي الصدوق" بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن زيد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: "لمّا ولدت فاطمة "سلام اللَّه عليها" الحسن قالت لعليّ سمّه؟ فقال عليّ عليه السلام: ما كنت لأسبق باسمه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فجاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: ما كنت أسبق باسمه ربّي عزّ وجلّ، فأوحى اللَّه عزّ وجلّ إلى جبرئيل أنّه قد ولد لمحمّد ابن، فاهبط فاقرأه السلام وهنّه، وقل له: إنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون. فهبط جبرئيل فهنّاه عن اللَّه عزّ وجلّ وقال له: إنّ اللَّه يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون، فقال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر. قال: لساني عربي. قال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن.

[غاية المرام: ١٢٧، من المقصد الأوّل، ح ٥، وانظر أمالي الصدوق - المجلس الثاني والعشرون: ح ٣.

وروى الشيخ في "أماليه" عن عليّ بن الحسين عليهماالسلام، عن أسماء بنت عميس نحوه، راجع: غاية المرام: ١٣١، الباب ٢١ من المقصد الأوّل، ح ٢٤].

في ليلة المعراج

عن البحراني عن "أمالي الصدوق" بسنده عن وهيب بن منبّه رفعه، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "لمّا عرج بي إلى ربّي جلّ جلاله، أتاني النداء: يا محمّد، قلت: لبّيك ربّ العظمة، لبّيك. فأوحى اللَّه إليّ: يا محمّد، فيما اختصصتُ المَلأ الأعلى؟ فقلت: لا علم لي، يا إلهي. فقال: يا محمّد، هل اتّخذت من الآدميّين وزيراً وأخاً ووصيّاً من بعدك؟ قلت: يا إلهي ومن أتّخذ؟ تخيّر لي يا إلهي. فأوحى اللَّه إليَّ: يا محمّد، قد اخترتُ لك من الآدميّين عليّ بن أبي طالب. فقلت: إلهي، ابن عمّي، فأوحى اللَّه إليَّ: يا محمّد، إنّ عليّاً وارثك ووارث العلم من بعدك، وصاحب لوائك لواء الحمد يوم القيامة، وصاحب حوضك يسقي مَن ورد عليه من مؤمني أُمّتك. ثمّ أوحى إليَّ: يا محمّد، إنّي قد أقسمت على نفسي قسماً حقّاً، لا يشرب من ذلك الحوض مبغض لك ولأهل بيتك وذرّيّتك الطيّبين الطاهرين حقّاً حقّاً. يا محمّد، لأُدخلنّ جميع أُمّتكِ الجنّة إلا من أبى من خلقي، فقلت: إلهي، هل واحد يأبى من دخول الجنّة؟ فأوحى اللَّه إليَّ: بلى، فقلت: وكيف يأبى؟ فأوحى اللَّه لي: يا محمّد، اخترتك من خلقي، واخترت لك وصيّاً من بعدك، وجعلته منك بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدك، وألقيت محبّته في قلبك، وجعلته أباً لولدك، فحقّه بعدك على أُمّتك كحقّك عليهم في حياتهم،

فمن جحد حقّك، ومن أبى أن يواليه، فقد أبى أن يدخل الجنّة، فخررت للّٰه ساجداً، شكراً لما أنعم علَيّ' - الحديث. [المصدر السابق: ١٢٦، الباب ٢١ من المقصد الأوّل، ح ١].

في يوم الغدير

روى البحراني عن "أمالي الشيخ الطوسي" بسنده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: قال أبي: دفع النبيّ صلى الله عليه و آله الراية يوم خيبر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ فتح اللّٰه عليه، وأوقفه يوم غدير خمّ، فأعلم النّاس أنّه مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وقال: 'أنت منّي وأنا منك'. وقال له: 'تقاتل يا عليّ على التأويل كما قاتلت على التنزيل'.

وقال له: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'.

[المصدر السابق: ١١٩، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل، ح ٧٣].الحديث.

في تفسير آية 'عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ'

عن البحراني عن تفسير الحافظ الشيرازي، قوله تعالى: 'عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ' بإسناده إلى السدّي، يرفعه، قال: أقبل صخر بن حرب حتّى جلس إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فقال: يا محمّد، هذا الأمر لنا من بعدك أم لِمَن؟ قال صلى الله عليه و آله: 'يا صخر، الأمر بعدى لمن هو منّي بمنزلة هارون من موسى'، فأنزل اللّٰه تعالى: 'عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأ الْعَظِيمِ'، يعني يسألك أهل مكّة عن خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن النبأ العظيم 'الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ' منهم المصدّق بولايته وخلافته، ومنهم مكذّب

[المصدر السابق: ١٣٠، الباب ٢١ من المقصد الأوّل، ح ٢٢].الحديث.

في نفرٍ من الصحابة

روى ابن الصبّاغ المالكي، عن كتاب "الخصائص"، عن العبّاس بن عبدالمطّلب، قال: سمعت عمر بن الخطّاب وهو يقول: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبى طالب عليه السلام إلا بخير، فإنّي سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول في عليّ ثلاث خصال وددت أنّ لي واحدة منهنّ، كلّ واحدة منهنّ أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، وذاك أنّي كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح ونفر من أصحاب رسول اللّٰه؛ إذ ضرب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على كتف عليّ بن أبي طالب، وقال: 'يا عليّ، أنت أوّل المسلمين إسلاماً، وأنت أوّل المؤمنين إيماناً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى' - الحديث.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ١٢٦، وفي الكنز ٦:٣٩٥، ح ٦٠٢٩، نقلاً عن المراجعات: ١٤٦].

من مؤيدات حديث المنزلة قوله: 'عليّ منّي مثل رأسي'

١- روى ابن المغازلي الشافعي، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'عليّ منّي مثل رأسي من بدني'. [المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٩٢، ح ١٣٥].

٢- و روى أبو بكر البغدادي، عن البراء، عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قال: 'عليّ منّي بمنزلة رأسي من بدني'. [تاريخ بغداد ٧:١٢، ح ٣٤٧٥].

احتجاجه يوم الشورى

روى البحراني عن ابن أبي الحديد، أنّه قال: قال عليّ عليه السلام لأهل الشورى: 'أُنشدكم اللّٰه أفيكم أحد آخى رسول اللّٰه بينه وبين نفسه حين آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري؟' فقالوا: لا، فقال عليه السلام: 'أفيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: مَن كنت مولاه فهذا مولاه، غيري؟'، فقالوا: لا، فقال: 'أفيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي، غيري؟'، قالوا: لا، إلى آخر الحديث.

[غاية المرام: ١٢٥، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل: ح ٩٨].

امّا دلالة الحديث على إمامة عليّ بعد رسول اللّٰه

من القواعد القطعيّة عند علماء النحو والأُدباء أنّ لفظة "إلاّ" الاستثنائيّة تدلّ على عموم المستثنى منه، فقول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إلا أنّه لا نبيّ بعدي'، يدلّ على عموم المنزلة، وهارون كان وزيراً لموسى وشريكاً له في النبوة، ولو عاش بعد موسى لكان خليفةً له، لكنّه مات في حياته، فعليّ عليه السلام له منزلة هارون عدا المشاركة في النبوّة، وحيث إنّه بقي بعد النبيّ صلى الله عليه و آله فقد كانت الخلافة له، وتنتفي عنه صفة النبوّة خاصّة، ونذكر هنا من الموافق والمخالف ما يدلّ على المطلوب.

قال ابن أبي الحديد: والّذي يدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام وزير رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من نصّ الكتاب والسنّة قول اللّٰه تعالى: 'وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِن أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي'.

[سورة طه: ٣٢ - ٢٩].

وقال النبيّ صلى الله عليه و آله في الخبر المجمع على روايته من سائر فِرق الإسلام: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي"، فأثبت له جميع مراتب هارون ومنازله من موسى، فإذا هو وزير رسول اللَّه، ولولا أنّه خاتم النبيّين لكان شريكاً له في أمره.

[شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢١١].

و عنه أيضاً في شرحه: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: "اخصمك بالنبوّة فلا نبوّة بعدي، وتخصم النّاس بسبع". وقال أيضاً: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي"، وأبان نفسه عنه بالنبوّة، وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما.

[راجع غاية المرام: ١٢٤، الباب ٢٠ من المقصد الأوّل، ح ٩٦].

وقال الشيخ المفيد: فتضمّن هذا القول من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله نصّه عليه بالإمامة، وإبانته من الكافّة بالخلافة، ودلّ به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه، وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى، إلا ما خصّه العرف من الاخوّة، واستثناه هو من النبوّة، ألا ترى أنّه عليه السلام جعل له كافّة منازل هارون من موسى، إلا المستثنى منها لفظاً وعقلاً، وقد علم كلّ من تأمّل معاني القرآن، وتصفّح الروايات والأخبار أنّ هارون كان أخا موسى عليه السلام لأبيه وأُمّة، وشريكه في أمره، ووزيره على نبوّته وتبليغه رسالات ربّه، وأنّ اللَّه سبحانه شدّ به أزره، وأنّه كان خليفته على قومه، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته، وأنّه كان أحبّ قومه إليه وأفضلهم لديه.

قال اللَّه عزّ وجلّ حاكياً عن موسى عليه السلام: "رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً"

[سورة طه: ٣٤ - ٢٥].

وقال تعالى حاكياً عن موسى: "وَقَالَ مُوسَى لْأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ".

[سورة الأعراف: ١٤٢].

فلمّا جعل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام منه بمنزلة هارون من موسى، أوجب له بذلك جميع ما عددناه إلا ما خصّه العرف من الاخوّة، واستثناه من النبوّة لفظاً، وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين عليه السلام ولا ساواه في معناها ولا قاربه فيها على حال. الى آخر كلامه.

[الإرشاد ١٥٦: ١].

خاتمة فيها: إيرادان على حديث المنزلة وجوابهما

الشكّ في عمومه

بعض منكرى مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنكر عموم حديث المنزلة، وزعم أنّه خاصّ بمورده، واستدلّ بسياق الحديث وسببه؛ لأنّه إنّما قال صلى الله عليه و آله لعليّ حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، فقال له الإمام: 'أتخلّفني في النساء والصبيان؟'، فقال: 'أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'، وكأنّه صلى الله عليه و آله أراد كونه منه بمنزلة هارون من موسى، حيث استخلفه في قومه عند توجّهه إلى الطور، فيكون المقصود أنت منّي أيّام غزوة تبوك بمنزلة هارون من موسى أيّام غيبته في مناجاة ربّه.

[هذا الإيراد من الكرماني في شرحه على صحيح البخاري ١٤:٢٤٥، وحكى الإمام شرف الدين في المراجعات: ١٤٢ هذا الإشكال عن غيره أيضاً].

امّا الجواب عن:

قال السيّد شرف الدين "قدّس الله روحه": نحن نوكل الجواب عن قولهم بعدم عموم الحديث إلى أهل اللسان والعرف العربيّين، وأنت حجّة العرب لا تدافع ولا تنازع، فهل ترى أُمّتك - أهل الضادّ - يرتابون في عموم المنزلة من هذا الحديث؟ كلا وحاشا مثلك أن يرتاب في عموم اسم الجنس المضاف وشموله لجميع مصاديقه، فلو قلت: منحتكم إنصافي مثلاً، أيكون إنصافك هذا خاصّاً ببعض الأُمور دون بعض، أم عامّاً شاملاً لجميع مصاديقه؟ معاذ الله أن تراه غير عامّ، أو يتبادر منه إلا الاستغراق، ولو قال خليفة المسلمين لأحد أوليائه: جعلت لك ولايتي على النّاس أو منزلي أو منصبي فيهم أو ملكي، فهل يتبادر إلى الذهن غير العموم؟ وهل يكون مدّعي التخصيص ببعض الشؤون دون بعض إلا مخالفاً مجازفاً، ولو قال لأحد وزرائه: لك في أيّامي منزلة عمر في أيّام أبي بكر إلا أنّك لست بصحابي، أكان هذا بنظر العرف خاصّاً ببعض المنازل أم عامّاً؟ ما أراك والله تراه إلا عامّاً، ولا ارتاب في أنّك قائل بعموم المنزلة في قوله صلى الله عليه و آله: 'أنت منّي بمنزلة هارون من موسى' قياساً على نظائره في العرف واللغة، ولا سيّما بعد استثناء النبوّة، فإنّه يجعله نصّاً في العموم، والعرب ببابك فسلها عن ذلك.

وأمّا قول الخصم بأنّ الحديث خاصّ بمورده، فمردود من وجهين:

الوجه الأوّل: أنّ الحديث في نفسه عامّ كما علمت، فمورده - لو سلّمنا كونه خاصّاً - لا يخرجه عن العموم؛ لأنّ المورد لا يخصّص الوارد كما هو قرّر في محلّه، ألا ترى لو رأيت الجنب يمسّ آية الكرسي مثلاً، فقلت له: لا يمسّ آيات القرآن محدث، أيكون هذا خاصّاً بمورده أم عامّاً شاملاً لجميع آيات القرآن ولكلّ محدث؟ ما أظنّ أحداً يفهم كونه خاصّاً بمسّ الجنب بخصوصه لآية الكرسي بالخصوص.

ولو رأى الطبيب مريضاً يأكل التمر فنهاه عن أكل الحلو، أيكون في نظر العرف خاصّاً بمورده أم عاماً شاملاً لكلّ مصاديق الحلو؟ وهكذا حديث المنزلة بمورده في خصوص غزوة تبوك، لا يكون خاصّاً بمورده.

الوجه الثاني: أنّ الحديث لم تنحصر موارده باستخلاف عليّ على المدينة في غزوة تبوك ليتشبّث الخصم بتخصيصه به، بل ورد الحديث في موارد أُخر بأخبار متواترة عن أئمّة العترة الطاهرة، وسنن أهل السنّة، تشهد بذلك إشارتنا إلى موارد أُخر غير غزوة تبوك مثل ورود الحديث في غزوة خيبر، وفي قصّة المؤاخاة، وغيرهما.

الشكّ في حجّيّته

وقال بعض منكري فضائله: بأنّ الحديث غير حجّة، وإن كان عاماً لكونه مخصوصاً، والعام المخصوص غير حجّة في الباقي.

امّا الجواب عن:

وأمّا قولهم بأنّ العامّ المخصوص ليس بحجّة في الباقي فغلط واضح، وخطأ فاضح، كما لا يخفى لمن له أدنى تأمّل في علم الأُصول، وأيضاً لولا أنّه حجّة لا نسدّ على الأئمّة الأربعة وغيرهم من المجتهدين باب العلم بالأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها التفصيليّة، فإنّ رحى العلم بذلك تدور على العمل بالعمومات، وما من عامٍّ إلا وقد خصّ، فإذا سقطت العمومات ارتجّ باب العلم. [انظر المراجعات: ١٤٣].

عليّ في يوم غدير خمّ

قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ" نزلت على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم خدير خمّ في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

سورة المائدة: ٦٧، تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٨

و تفسير المنار ٦:٤٦٣، وينابيع المودّة: ١٣٠

المقدّمة

لمّا قضى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مناسكه في حجّة الوداع رجع إلى المدينة فوصل إلى الموضع المعروف ب "غدير خمّ"

[غدير خمّ في وادي الأراك على عشرة فراسخ من المدينة، وعلى أربعة أميال من الجحفة عند شجرات خمس دوحات عظام - المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٦].

يوم الثامن عشر من ذي الحجّة سنة عشر من الهجرة - وهو مكان قريب من الجحفة بناحية رابغ - ومعه صلى الله عليه و آله على ما قيل: ما يزيد على مائة ألف، فخطبهم، وقال في خطبته - وقد رفع عليّاً عليه السلام للنّاس، وأخذ بضبعيه فرفعهما حتّى بان للنّاس إبطيهما -: 'ألستُ أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟'، قالوا: بلى. قال صلى الله عليه و آله: 'من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار'، ثمّ أفرده بخيمة وأمر النّاس ببيعته بإمرة المؤمنين، حتّى النساء، ومنهنّ نساؤه صلى الله عليه و آله.

[من أهمّ المصادر الّتي أخرجت لفظ الحديث: سنن الترمذي ٥:٦٣٣، صحيح ابن حبّان ٩:٤٢، مسند أحمد ١:٨٤ و ٨٨ و ١٥٢ و ١٩٩ و ٣٣١، المستدرك على الصحيحين ٣:١١٠، مصابيح السنّة ٤:١٧٢، ح ٤٧٦٧، سنن ابن ماجة ١:٤٥، ح ١٢١، تاريخ بغداد ٥:٤٧٤.

ومن أهمّ المصادر الّتي أخرجت قصّة حجّة الوداع وما جاء فيها من خطبة النبيّ صلى الله عليه و آله يوم غدير خمّ مع ذكر لفظ الحديث في أثناء الخطبة: البداية والنهاية ٧:٢٤٧، مجمع الفائدة ٩:١٧، ح ١٠٨ - ١٠٤، مناقب الخوارزمي: ٨، إسعاف الراغبين: ١٦٦، شرح ابن أبي الحديد ٣:٢٠٨، كفاية الطالب: ٦٢، تذكرة الخواصّ: ٣٣ - ٢٨، وغيرها كثير].

و قد روى المفيد في "الإرشاد" - في خبر طويل -: ولمّا قضى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله نسكه أشرك عليّاً عليه السلام في هديه وقفل إلى المدينة وهو معه والمسلمون، حتّى انتهى إلى الموضع المعروف بغدير خمّ، وليس بموضع إذ ذاك يصلح للمنزل؛ لعدم الماء فيه والمرعى، فنزل صلى الله عليه و آله في الموضع ونزل المسلمون.

وكان سبب نزوله في هذا المكان نزول القرآن عليه بنصبه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفةً في الأُمّة من بعده، وقد كان تقدّم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت له، فأخّره لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه، وعلم اللّٰه عزّ وجلّ أنّه إن تجاوز غدير خمّ انفصل عنه كثير من النّاس إلى بلدانهم

وأماكنهم وبواديهم، فأراد اللّٰه أن يجمعهم لسماع النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام وتأكيد الحجّة عليهم فيه.

فأنزل اللّٰه تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ" يعني في استخلاف عليّ عليه السلام، والنصّ بالإمامة عليه "وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ"، فأكّد الفرض عليه بذلك، وخوّفه من تأخير الأمر فيه، وضمن له العصمة ومنع النّاس منه، فأنزل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله المكان الّذي ذكرناه لما وصفناه من الأمر له بذلك وشرحناه، ونزل المسلمون حوله، وكان يوماً قائظاً شديد الحرّ، فأمر عليه السلام بدوحات هناك فقمّ ما تحتها، وأمر بجمع الرحال في ذلك المكان، ووضع بعضها فوق بعض، ثمّ أمر مناديه فنادى في النّاس الصلاة جامعة، فاجتمعوا من رحالهم إليه، وإنّ أكثرهم ليلفّ رداءه على قدميه من شدّة الرمضاء.

فلمّا اجتمعوا صعد على تلك الرحال حتّى صار في ذروتها، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فرقى معه حتّى قام عن يمينه، ثمّ خطب النّاس فحمد اللّٰه وأثنى عليه ووعظ فأبلغ في الموعظة ونعى إلى الأُمّة نفسه، وقال: "إنّي مخلّف فيكم إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب اللّٰه، وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض"، ثمّ نادى بأعلى صوته: "ألست أوْلى بكم منكم بأنفسكم". قالوا: اللّهم بلى. فقال لهم على النسق من غير فصل - وقد أخذ بضبعي

[الضبع: وسط العضد و قيل ما تحت الإبط].

أمير المؤمنين عليه السلام فرفعهما حتّى بان بياض إبطيهما و قال: "فمن كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعاد من عاداه، وانصرف من نصره، واخذل من خذله".

ثمّ نزل صلى الله عليه و آله وكان وقت الظهيرة، فصلّى ركعتين، ثمّ زالت الشمس، فأذّن موذّنُه لصلاة الفرض فصلّى بهم الظهر، وجلس في خيمته، وأمر عليّاً عليه السلام أن يجلس في خيمة له بإزائه، ثمّ أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً، فيهنّئُوه بالمقام ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، فَفَعل النّاس ذلك كلّهم، ثمّ أمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين معه أن يدخلن عليه، ويسلّمن عليه بإمرة المؤمنين فَفَعَلْنَ.

وكان فيمن أطنب في تهنئته بالمقام عمر بن الخطّاب فأظهر له من المسرّة به، وقال فيما قال: بخٍ

[بخّ كلمة تقال عند المدح والرضى بالشي ء، وتكرّر للمبالغة].

بخٍ يا عليّ، أصبحتَ مولاي ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ.

وجاء حسّان بن ثابت إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: يا رسول اللّٰه، أتأذن لي أن أقول في هذا المقام ما يرضاه اللّٰه؟ فقال له: "قل يا حسّان على اسم اللّٰه"، فوقف على نَشَز

[النشز: المرتفع من الأرض].

من الأرضِ وتطاول المسلمون لسماع كلامه، فأنشأ يقول:

يناديهم يوم الغدير نَبِيُّهمُ*** بخمٍّ وأسمع بالرسولِ مُناديا

وقال فَمَن مولاكم وَوليّكم*** فقالوا ولم يَبدوا هُناك التعاديا

[ستجيئ أشعار حسّان عن قريب إن شاء اللّٰه تعالى].

فقال له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك". [إرشاد المفيد ١٧٤: ١].

العناية بحديث الغدير

كان للمولى تعالى مزيد عناية باشتهار هذا الحديث، لتتداوله الألسن، وتلوكه أشداق الرواة حتّى يكون حجّة قائمة لحماية دينه، ولذلك كان الأمر بالتبليغ في حين مزدحم الجماهير عند منصرف نبيّه صلى الله عليه و آله من الحجّ الأكبر، فنهض بالدعوة وكراديس النّاس وزرافاتهم من مختلف الديار محتفّة به، فردّ المتقدّم، وجعجع بالمتأخّر، وأسمع الجميع، وأمر بتبليغ الشاهد الغائب، ليكونوا كلّهم رواة هذا الحديث، وهم يربون على مائة ألف، ولم يكتف سبحانه بذلك كلّه حتّى أنزل في أمره الآيات الكريمة تتلامع مرّ الجديدين بكرةً وعشيّاً، ليكون المسلمون على ذكر من هذه القضيّة في كلّ حين، وليعرفوا رشدهم والإمام الّذي يأتمّون به في أُمورهم ويصلحون به بلادهم وجوامعهم، والمرجع الّذي يجب عليهم أن يأخذوا عنه معالم دينهم.

ولم تزل مثل هذه العناية لنبيّنا الأعظم صلى الله عليه و آله حيث استنفر أُمم النّاس للحجّ في تلك السنة، فالتحقوا به ثبّاً ثبّاً، وكراديس كراديس، وهو صلى الله عليه و آله يعلم أنّه سوف يبلّغهم في منتهى سفره نبأً عظيماً، يقام به صرح الدين، ويُشاد علاليه، وتسود به أُمّته الأُمم، ويدبّ ملكها بين المشرق والمغرب لو عقلت صالحها، وأبصرت طريق رشدها.

ولهذه الغاية بعينها لم يبرح أئمّة الدين عليهم السلام يهتفون بهذه الواقعة، ويحتجّون بها لإمامة سلفهم الطاهر، كما لم يفتأ أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه يحتجّ بها طيلة حياته الكريمة، ويستنشد السامعين لها من الصحابة الحضور في حجّة الوداع في المنتديات ومجتمعات لفائف النّاس، كلّ ذلك لتبقى غضّة طريّة

بالرغم من تعاور الحقب والأعوام، ولذلك أمروا شيعتهم بالتعيّد في يوم الغدير والاجتماع، وتبادل التهاني والبشائر، إعادة لجدّه هاتيك الواقعة العظيمة.

[انظر الغدير ١:١٢].

كلمة في شرح واقعة الغدير

أجمع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله الخروج إلى الحجّ في سنة عشر من مهاجره، وأذّن في النّاس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتمّون به في حجّته تلك الّتي يقال لها: حجّة الوداع، وحجّة الإسلام، وحجّة البلاغ، وحجّة الكمال، وحجّة التمام، ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفّاه اللّٰه، فخرج صلى الله عليه و آله من المدينة مغتسلاً مترجّلاً متجرّداً في ثوبين صحاريين إزار ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليالٍ أو ستّ بقين من ذي القعدة، وأخرج معه نساءه كلّهنّ في الهوادج، وسار معه أهل بيته، وعامّة المهاجرين والأنصار، ومن شاء اللّٰه من قبائل العرب وأفناء النّاس.

[رواه في الطبقات لابن سعد ٣:٢٢٥، وامتاع المقريزي: ٥١٠، وإرشاد الساري ٦:٤٢٩، نقلاً عن الغدير ١:٩].

وعند خروجه صلى الله عليه و آله أصاب النّاس بالمدينة الجدري أو الحصبة، فمنعت كثيراً من النّاس من الحجّ معه صلى الله عليه و آله، ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلا اللّٰه تعالى، وقد يقال: إنّه خرج معه تسعون ألف، ويقال: مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة ألف وعشرون ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ويقال: أكثر من ذلك، وهذه عدّة من خرج معه، وأمّا الذين حجّوا معه فأكثر من ذلك، كالمقيمين بمكّة، والذين أتوا من اليمن مع عليّ عليه السلام وأبي موسى.

[السيرة الحلبيّة ٣:٢٨٣، وسيرة أحمد زيني دحلان ٣:٣، وتاريخ الخلفاء: ج٤، وتذكرة خواصّ الأُمّة: ١٨، ودائرة المعارف ٣:٥٤٢، نقلاً عن الغدير ١:٩].

أصبح صلى الله عليه و آله يوم الأحد ببلملم، ثمّ راح فتعشّى بشرف السيالة، وصلّى هناك المغرب والعشاء، ثمّ صلّى الصبح بعرق الظبية، ثمّ نزل الروحاء، ثمّ سار من الروحاء فصلّى العصر بالمنصرف، وصلّى المغرب والعشاء بالمتعشّى وتعشّى به، وصلّى الصبح بالإثابة، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج، واحتجم بلحى جمل - وهو عقبة الجحفة - ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالأبواء، وصلّى هناك، ثمّ راح من الأبواء ونزل يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد وسبت فيه، وكان يوم الأحد بعسفان، ثمّ سار فلمّا كان بالغميم اعترض المشاة فصفّوا صفوفاً فشكوا إليه المشي فقال: "استعينوا بالنسلان"

[النسلان: مشي سريع دون العدْو].

ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الاثين بمرّ الظهران، فلم يبرح حتّى أمسى وغربت له الشمس بسرف، فلم يصلّ المغرب حتّى دخل مكّة، ولمّا انتهى إلى الثنيتين بات بينهما فدخل مكّة نهار الثلاثاء.

[الإمتاع: ٥١٧ - ٥١٣، نقلاً عن الغدير ١:٩].

فلمّا قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات، وصل إلى غدير خمّ من الجحفة الّتي تتشعّب فيها طرق المدنيّين والمصريّين والعراقيّين، وذلك يوم الخميس

[هو المنصوص عليه في لفظ البراء بن عازب وبعض آخر من رواة حديث الغدير].

الثامن عشر من ذي الحجّة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن اللّه تعالى بقوله: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ" الآية، وأمره أن يقيم عليّاً عَلماً للنّاس، ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية، وفرض الطاعة على كلّ أحد.

وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن يردّ مَن تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرات

[سمرات - جمع سمرة -: ضرب من الشجر].

خمس متقاربات دوحات

[دوحات - جمع دوحة -: شجرة عظيمة].

عظام أن لا ينزل تحتهنّ أحد حتّى إذا أخذ القوم منازلهم، فقمّ

[قمّ البيت - بتشديد الميم -: كنسه].

ما تحتهنّ حتّى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهنّ فصلّى النّاس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الرمضاء، وظلّل لرسول اللّه بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلمّا انصرف صلى الله عليه و آله من صلاته قام خطيباً وسط القوم

[جاء في لفظ الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٦:٩، وغيره].

على أقتاب الإبل

[ثمار القلوب: ٥١١، ومصادر أُخر].

وأسمع الجميع رافعاً عقيرته، فقال: "الحمد للّه، ونستعينه، ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا الّذي لا هادي لمن ضلّ ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أنّ لا إله إلا اللّه، وأنّ محمّداً

عبده ورسوله. أمّا بعد: أيّها النّاس، قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمر نبيّ إلا مثل نصف عمر الّذي قبله، وإنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون"؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت فجزاك اللّه خيراً.

قال: "ألستم تشهدون أن لا إله إلا اللّه، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ اللّه يبعث مَن في القبور"؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: "اللّهمّ اشهد".

ثمّ قال: أيّها النّاس، ألا تسمعون؟" قالوا: نعم. قال: "فإنّى فرط على الحوض، وأنتم واردون علَيّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى

[صنعاء: عاصمة اليمن اليوم، وبصرى قصبة كورة حوران من أعمال دمشق].

فيه أقداح عدد النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين".

[الثقل - بفتح المثلثة والمثنّاة -: كلّ شي ء خطير نفيس، وقد ذكرنا معناه في فصل: "عليّ عليه السلام وحديث الثقلين"].

فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول اللّه؟ قال صلى الله عليه و آله: "الثقل الأكبر كتاب اللّه، طرف بيد اللّه عزّ وجلّ، وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا علَيّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا".

ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعها حتّى رؤي بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون، فقال: "أيّها الناس، مَن أوْلى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم؟". قالوا: اللّه ورسوله أعلم. قال: "إنّ اللّه مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أوْلى بهم من أنفسهم، فَمَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه"، يقولها ثلاث مرّات. وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرّات.

ثمّ قال: "اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَنْ عاداه، وأحبّ مَن أحبّه، وأبغض مَن أبغضه، وانصُر مَن نَصره، واخذُل مَن خذَلَه، وأدِرِ الْحقّ معه حيث دار، ألا فَيُبلّغ الشّاهدُ الغائبَ".

ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي اللّه بقوله: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً". [سورة المائدة: ٣].

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "اللّه أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي والولاية لعليّ من بعدي"، ثمّ طفق القوم يهنّئون أمير المؤمنين عليه السلام وممّن هنّأه في مقدّم الصحابة:

الشيخان أبو بكر وعمر، كلّ يقول: بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب، أصبحتَ وأمسيتَ مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عبّاس: وجبت واللّه في أعناق القوم.

فقال حسّان: ائذن لي - يا رسول اللّه - أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهنّ، فقال صلى الله عليه و آله: "قل على بركة اللّه". فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول اللّه في الولاية ماضية، ثمّ قال:

يناديهم يوم الغدير نبيُّهم*** بخمّ وأسمع بالرسول مناديا

[انظر الغدير ١١ - ٩ :١، وستأتيك الأشعار بتمامها].

توضيح وتتمّة لشرح الواقعة:

ذكر عليّ بن إبراهيم القمّي رحمه الله في تفسيره في شرح واقعة الغدير عند قوله: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ"، قال: نزلت هذه الآية في عليّ، "وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" [سورة المائدة: ٦٧].

قال: نزلت هذه الآية في منصرف رسول اللّه صلى الله عليه و آله من حجّة الوداع، وحجّ رسول اللّه حجّة الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينة، فكان من قوله بمنى أنْ حمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: "أيّها النّاس، اسمعوا قولي واعقلوه عنّي، فإنّي لا أدري لعليّ لا ألقاكم بعد عامي هذا". ثمّ قال: "هل تعلمون أي يوم أعظم حرمة؟". قال النّاس: هذا اليوم. قال: "فأي شهر؟". قال النّاس: هذا. قال: "وأيّ بلد أعظم حرمة" قالوا: بلدنا هذا. قال: "فإن دمائكم و أموالكم و أعراضكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلّغت أيّها النّاس؟". قالوا: نعم. قال: "اللّهمّ اشهد".

ثمّ قال: "ألا وكلّ مأثرة أو بدعة كانت في الجاهلية، أو دم، أو مال، فهو تحت قدمي هاتين، ليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى، ألا هل بلّغت؟". قالوا: نعم. قال: "اللّهمّ اشهد".

ثمّ قال: "يا ايّها النّاس، احفظوا قولي تنفعوا به بعدي و افهموه تنعشوا، ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسّيف على الدّنيا، فان فعلتم ذلك، و لتفعلنّ، لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل و ميكائيل أضرب وجوهكم بالسّيف". ثمّ التفت عن يمينه فسكت ساعة، ثمّ قال: "إن شاء اللّه، أو عليّ بن أبي طالب".

ثمّ قال: "ألا و إنّي قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضّلوا: كتاب اللّه، و عترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا، و من خالفهما فقد هلك، ألا هل بلّغت"؟. قالوا: نعم. قال: "اللّهمّ اشهد".

ثمّ قال: "ألا وإنّه سيرد علَيّ الحوض منكم رجال فيدفعون عنّي، فأقول ربّ أصحابي، فقال: يا محمّد، إنّهم أحدثوا بعدك، وغيّروا سنّتك، فأقول: سحقاً سحقاً". فلمّا كان آخر التشريق أنزل اللّه: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ"، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "نُعِيَت إليَّ نفسي"، ثمّ نادى الصلاة جامعة في مسجد الخيف، فاجتمع النّاس، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: "نصر اللّه امرءاً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها مَن لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرءٍ مسلمٍ: إخلاص العمل للّه، والنصيحة لأئمّة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، والمؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على مَن سواهم. أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم الثقلين".

وذكر حديث الثقلين - إلى أن قال: - فخرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله من مكّة يريد المدينة، حتّى نزل منزلاً يقال له: غدير خمّ، وقد علم النّاس مناسكهم، وأوعز إليهم وصيّته إذ نزلت عليه هذه الآية: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ" الآية، فقام رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فقال - بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه -: "أيّها النّاس، هل تعلمون مَن وليُّكم؟". فقالوا: نعم، اللّه ورسوله. ثمّ قال: "ألستم تعلمون أنّي أوْلى بكم من أنفسكم؟". قالوا: بلى. قال: "اللّهمّ اشهد". فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً، كلّ ذلك يقول مثل قوله الأوّل، ويقول النّاس كذلك، ويقول: "اللّهمّ اشهد"، ثمّ أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها حتّى بدا للنّاس بياض إبطيهما. ثمّ قال: "ألا مَن كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصُر مَن نصره، واخذُل مَن خذله، وأحبّ مَن أحبّه"، ثمّ رفع رأسه إلى السماء فقال: "اللّهمّ اشهد عليهم وأنا من الشاهدين".

فاستفهمه عمر، فقام من بين أصحابه فقال: يا رسول اللّه، هذا من اللّه ومن رسوله؟ فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "نعم، من اللّه ورسوله، إنّه أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، يقعده اللّه يوم القيامة على الصراط، فيُدخل أولياؤه الجنّة، وأعداءهُ النّار".

فقال أصحابه الذين ارتدّوا بعده: قد قال محمّد في مسجد الخيف ما قال، وقال هاهنا ما قال، وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له، فاجتمعوا أربعة عشر نفراً وتآمروا على قتل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقعدوا في العقبة، وهي عقبة هرشي بين الجحفة والأبواء، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة، وسبعة عن يسارها، لينفروا ناقة رسول اللّه.

فلمّا جنّ الليل تقدّم رسول اللّه صلى الله عليه و آله في تلك الليلة العسكر، فأقبل ينعس على ناقته، فلمّا دنا من العقبة ناداه جبرئيل: يا محمّد، إنّ فلاناً وفلاناً وفلاناً قد قعدوا لك، فنظر رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال:

'مَن هذا خلفي'، فقال حذيفة اليماني: أنا يا رسول اللَّه، حذيفة بن اليمان، قال: 'سمعت ما سمعت'، قال: بلى.

قال صلى الله عليه و آله: 'فاكتم'.

ثمّ دنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله منهم، فناداهم بأسمائهم، فلمّا سمعوا نداء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فرّوا ودخلوا في غمار النّاس، وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها، ولحق النّاس برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وطلبوهم، وانتهى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى رواحلهم فعرفهم، فلمّا نزل قال: 'ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن مات محمّد أو قُتل ألا يردّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً؟'، فجاءوا إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فحلفوا أنّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً، ولم يريدوه، ولم يكتموا شيئاً من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فأنزل اللَّه: 'يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا'

[سورة التوبة: ٧٤].

أن لا يردّوا هذا الأمر في اهل بيت رسول اللَّه، 'وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا'

[سورة التوبة: ٧٤].

من قتل رسول اللَّه، 'وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الْدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ'

[سورة التوبة: ٧٤].

فرجع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى المدينة، وبقي بها محرّم والنصف من صفر لا يشتكي شيئاً، ثمّ ابتدأ به الوجع الّذي توفّي فيه "صلوات اللَّه وسلامه عليه".

[تفسير القمّي ١: ١٧١].

مصادر الحديث

نذكر هنا ما يوجب الاطمئنان في صحة صدور الحديث

سند الحديث

إن حديث الغدير من المتواترات بين نقلة الحديث وحفّاظ الأخبار النبوية، وقد بلغت كثرة أسانيده واستفاضتها إلى درجة لو ارتاب فيه أحد لعدّ مكابراً، فكيف يتطرّق إلى صدوره الارتياب، وإلى صراحة دلالته الاحتمال، وقد شهد بتواتره ذوو الآثار، وحفظة الأخبار وأودعوه في كتبهم على تنوّعها، وأذعنوا بعد التأويلات الباردة بصراحة في ما نقول نحن معاشر الإماميّة. وقد صرّح بتواتر الحديث كثير من علماء العامّة منهم:

١ ـ العلامة السيوطي في "الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة".

٢ ـ العلامة الجزري في "أسنى المطالب" حيث قال: إنّه حديث صحيح رواه الجمّ الغفير، عن الجمّ الغفير.

٣ ـ العلامة النيشابوري في "الأربعين"، حيث قال: حديث الغدير تواتر عن أمير المؤمنين، وهو متواتر عن النبيّ صلى الله عليه و آله، رواه جمّ كثيرٌ وجمّ غفيرٌ من الصحابة.

٤ ـ صاحب كتاب "السراج المنير في شرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير".

٥ ـ العلامة المقبلي في "الأبحاث المسدّدة في الفنون المتعدّدة"، قال بعد ذكر حديث الغدير ما لفظه: وطرقه كثيرة جدّاً، ولذا ذهب بعضهم إلى أنّه متواتر لفظاً فضلاً عن المغنى.

٦ ـ العلامة الشيخ ابن كثير الشامي في تاريخه عند ترجمة محمّد بن جرير الطبري، وأنّه رأى كتاباً جمع فيه أسانيد حديث الغدير في مجلّدين ضخمين.

٧ ـ العلامة السيّد محمّد بن محمّد بن إسماعيل بن صلاح الدين الأمير، قال في كتابه "الروضة الندية في شرح التحفة العلويّة": حديث الغدير متواتر عند أكثر أئمّة الحديث، وغير هؤلاء ما يربو على أربعة عشر نفراً من علماء العامّة ادّعى تواتر حديث الغدير.

[من أراد شرحها فليراجع إحقاق الحقّ ٢:٤٢٣، والغدير ١:١٥٢].

طرق الحديث

روى حديث الغدير أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً، والجزري المقرئ من ثمانين طريقاً، وابن عقدة من مائة وخمسة طرق، وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً.

[انظر هامش كتاب الغدير ١:١٤، ط. دار الكتاب العربي - بيروت].

و قال ابن شهرآشوب: العلماء مطبقون على قبول هذا الخبر، وإنّما وضع الخلاف في تأويله، ذكره محمّد بن إسحاق وأحمد البلاذري، ومسلم بن الحجّاج، وأبو نعيم الإصفهاني، وأبو الحسن الدارقطني و... إلى أن قال: وأحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن بطّة من ثلاث وعشرين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً في كتاب "الولاية"، وأبو العبّاس بن عقدة من مائة وخمسة طرق، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمسة وعشرين طريقاً. وقد صنّف عليّ بن هلال المهلبي كتاب "الغدير"، وأحمد بن محمّد بن سعد كتاب "من روى غدير خم"، ومسعود الشجري كتاباً فيه رواة هذا الخبر وطرقهم، واستخرج منصور الرازي في كتابه أسماء رواته على حروف المعجم. [المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٥].

رواة الحديث

روى ابن شهرآشوب عن الصاحب الكافي أنّه قال: روى لنا قصّة غدير خمّ القاضي أبو بكر الجعابي، عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، والحسن، والحسين، وعبداللّٰه بن جعفر، وعبّاس بن عبدالمطّلب، وعبداللّٰه بن عبّاس، وأبي ذرّ، وسلمان، وعبدالرحمن، وأبي قتادة، وزيد بن أرقم، وجرير بن حميد، وعدي بن حاتم، وعبداللّٰه بن أنس، والبراء بن عازب، وأبي أيّوب، وأبي برزة الأسلمي، وسهل بن حنيف، وسمرة بن جندب، وأبي الهيثم، وعبداللّٰه بن ثابت، وسلمة بن الأكوع، والخدري، وعقبة بن عامر، وأبي رافع، وكعب بن عجرة، وحذيفة بن اليمان، وأبي مسعود البدري، وحذيفة بن أسيد، وزيد بن ثابت، وسعد بن عبادة،وخزيمة بن ثابت، وحبّاب بن عتبة، وجندب بن سفيان، وعمر بن أبي سلمة، وقيس بن سعد، وعبادة بن الصامت، وأبي زينب، وأبي ليلى، وعبداللّٰه بن ربيعة، وأُسامة بن زيد، وسعد بن جنادة، وخبّاب بن سمرة، ويعلى بن مرّة، وابن قدامة الأنصاري، وناجية بن عميرة، وأبي كاهل، وخالد بن الوليد، وحسّان بن ثابت، والنعمان بن عجلان، وأبي رفاعة، وعمرو بن الحمق، وعبداللّٰه بن يعمر، ومالك بن الحويرث، وأبي الحمراء، وضمرة بن الحبيب، ووحشي بن حرب، وعروة بن أبي الجعد، وعامر بن النميري، وبشير بن عبدالمنذر، ورفاعة بن عبدالمنذر، وثابت بن وديعة، وعمرو بن حريث، وقيس بن عاصم، وعبدالأعلى بن عدي، وعثمان بن حنيف، وأُبيّ بن كعب وغيرهم.

ومن النساء: فاطمة الزهراء عليهاالسلام، وعائشة، وأُمّ سلمة، وأُمّ هاني، وفاطمة بنت حمزة، وغيرهنّ. وقال الصادق عليه السلام: "نعطي حقوق النّاس بشهادة شاهدين، وما أُعطي أمير المؤمنين عليه السلام حقّه بشهادة عشرة آلاف نفس" يعني في الغدير.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢٥: ٣].

وقد ذكر العلامة الأميني فى كتابه "الغدير" مائة وعشرة نفراً من أعاظم الصحابة الذين رووا حديث الغدير من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بلا واسطة بترتيب حروف الألفباء، ثمّ قال بعد ذكرهم: هؤلاء مائة وعشرة من أعاظم الصحابة الذين وجدنا روايتهم لحديث الغدير، ولعلّ فيما ذهب علينا أكثر من ذلك بكثير، وطبع الحال يستدعي أن يكون رواة الحديث أضعاف المذكورين؛ لأنّ السامعين الوعاة له كانوا مائة ألف أو يزيدون، وبقضاء الطبيعة أنّهم حدّثوا به عند مرتجعهم إلى أوطانهم شأن كلّ مسافر ينبّئ عن الأحداث الغريبة الّتي شاهدها في سفره. نعم، فعلوا ذلك إلا أشذاذ منهم صدّتهم الضغائن عن نقله.

[الغدير ٦٠ - ١٤ :١].

أمّا رواة حديث الغدير من التابعين على ما ذكرهم في "الغدير" على ترتيب الحروف فيربون على أربعة وثمانين. [المصدر السابق: ٧٢ - ٦٢].

المؤلّفون في الحديث

بلغ اهتمام العلماء بهذا الحديث حتّى من العامّة أيضاً إلى غاية مهمّة، فلم يُقنعهم إخراجه بأسانيد مبثوثة خلال الكتب حتّى أفرده جماعة بالتأليف، فدوّنوا ما انتهى إليهم من أسانيده، وضبطوا ما صحّ لديهم من طريقه، كلّ ذلك حرصاً على كلاءة متنه من الدثور، وعن تطرّق يد التحريف إليه، ومنهم:

١ - أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري "المتوفّى ٣١٠ه"، له كتاب "الولاية" في طرق حديث الغدير.

٢ - أبو العبّاس أحمد بن محمّد الهمداني، المعروف بابن عقدة "المتوفّى ٣٣٣ه"، له كتاب "الولاية" في طرق حديث الغدير.

٣ - أبو بكر محمّد بن عمر بن سالم التميمي، المعروف بالجعابيّ "المتوفّى ٣٥٥ه"، له كتاب "من روى حديث غدير خم".

٤ - أبو طالب عبيداللّٰه بن أحمد الأنباري الواسطي "المتوفّى ٣٥٦ه"، له كتاب "طرق حديث الغدير".

٥ - أبو غالب أحمد بن محمّد الزراري "المتوفّى ٣٦٨ه"، له "جزء في خطبة الغدير".

٦ - أبو الفضل محمّد بن عبداللّٰه الشيباني "المتوفّى ٣٧٢ه"، له كتاب "مَن روى حديث غدير خمّ".

٧ - الشيخ محمّد بن الحسين النيسابوري، له كتاب "بيان حديث الغدير".

٨ - عليّ بن عبدالرحمن بن عيسى الجرّاح القنائي "المتوفّى ٤٣٠ه"، له كتاب "طرق خبر الولاية".

٩ - أبو عبداللّٰه الحسين بن عبيداللّٰه الغضائري "المتوفّى ٤١١ه"، له كتاب "يوم الغدير".

١٠ - أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني "المتوفّى ٤٧٧ه"، له كتاب "الدراية في حديث الولاية" في ١٧ جزءً، جمع فيه طرق حديث الغدير، ورواه عن مائة وعشرين صحابيّاً.

١١ - أبو الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكي "المتوفّى ٤٤٩ه"، له كتاب "عدّة البصير في حجّ يوم الغدير". قال العلامة النوري في "المستدرك ٣:٤٩٨": هذا كتاب مفيد يختصّ بإثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير، جزء واحد مائتا ورقة، بلغ الغاية فيه حتّى حصل في الإمامة كافياً للشيعة.

١٢ - عليّ بن بلال بن معاوية بن أحمد المهلبي، له كتاب "حديث الغدير".

وغيرهم من علماء العامّة والخاصّة الذين ألّفوا كُتباً في حديث الغدير تربو على "٢٦" كتاباً.

[راجع: الغدير ١٥٧ - ١٥٢ :١].

كتب العامّة الّتي روي فيها حديث الغدير

أمّا كتب العامّة الّتي نقلت حديث الغدير فكثيرة جدّاً، ذكرنا بعضها في أوّل الفصل عند تخريج الحديث، ونذكر بعضها هنا إعراضاً عن التطويل:

١ - أسباب النزول للنيشابوري ٢ - مطالب السؤول لكمال الدين الشافعي ٣ - تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٤ - الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ٥ - تفسير الثعلبي، لسليمان بن إبراهيم الحنفي البلخي ٦ - تفسير الميرزا محمّد البدخشاني الحنفي ٧ - تفسير الميرزا محمّد البدخشاني الحنفي ٨ - تفسير الدرّ المنثور للسيوطي الشافعي ٩ - فتح القدير ١٠ - تفسير المنار لمحمّد عبده ١١ - الدراية للسجستاني ١٢ - النشر والطيّ ١٣ - ما نزل من القرآن في عليّ للحافظ أبي نعيم ١٤ - تفسير ابن جريح ١٥ - تفسير عطاء ١٦ - المناقب للسدّي ١٧ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨ - كتاب ابن جرير ١٩ - تذكرة الخواصّ لابن الجوزي، وغير ذلك من علماء العامّة الذين رووا قصّة الغدير في كتبهم.

وروى العلامة البحراني تسعة وثمانين حديثاً من طرق العامّة، وثلاثة وأربعين حديثاً من طرق الخاصّة.

[غاية المرام: الباب ١٥ و ١٦ من المقصد الأوّل].

اليك نبذة من لفظ الحديث

ذكر لفظ الحديث كثير من علماء العامّة والخاصّة في كتبهم، و قد ذكرنا بعضهم خلال الفصل و فيما يلي نشير إلى بعض آخر منها:

١- روى الحلبي الشافعي في سيرته: ولمّا وصل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلى محلّ بين مكّة والمدينة يقال له: غدير خمّ بقرب رابغ، جمع الصحابة وخطبهم خطبة، بيّن فيها فضل عليّ... فقال صلى الله عليه و آله: "أيّها النّاس، إنّما أنا بشر مثلكم، يوشك أن يأتيني رسول اللّٰه ربّي فأُجيب". - وفي لفظ الطبراني، فقال: "أيّها الناس، إنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الّذي يليه من قبله، وإنّي لأظنّ أن يوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون، فما أنتم قائلون؟". قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت وجهدت ونصحت، فجزاك اللّٰه خيراً، فقال صلى الله عليه و آله: "أليس تشهدون أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ البعث حقّ بعد الموت، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ اللّٰه يبعث مَن في القبور؟". قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: "اللّهمّ اشهد" - الحديث.

ثمّ حضّ على التمسّك بكتاب اللّٰه، ووصّى بأهل بيته، فقال: "إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّٰه، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض".

وقال في حقّ عليّ عليه السلام لمّا كرّر عليهم: "ألست أوْلى بكم من أنفسكم ثلاثاً"، وهم يجيبونه صلى الله عليه و آله بالتصديق والاعتراف ورفع يد عليّ عليه السلام، وقال: "من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار".

ثمّ قال: وهذا حديث صحيح، ورد بأسانيد صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحّته.

[السيرة الحلبيّة بهامش السيرة النبويّة ٣:٢٧٤].

٢- و روى ابن المغازلي الشافعي بإسناده إلى ابن امرأة زيد بن أرقم، قالت: أقبل نبيّ اللّٰه صلى الله عليه و آله من مكّة في حجّة الوداع حتّى نزل صلى الله عليه و آله بغدير الجحفة بين مكّة والمدينة، فأمر بالدوحات فقمّ ما تحتهنّ من شوك، ثمّ نادى: الصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول اللّٰه في يوم شديد الحرّ، وإنّ منّا لمن يضع رداءه على رأسه، وبعضه على قدميه من شدّة الرمضاء، حتّى انتهينا إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فصلّى بنا الظهر، ثمّ انصرف إلينا فقال: "الحمد للّٰه نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكّل عليه، ونعوذ باللّٰه من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، الّذي لا هادي لمن أضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا اللّٰه، وأنّ محمّداً عبده ورسوله.

أمّا بعد أيّها النّاس، فإنّه لم يكن لنبيّ من العمر إلا نصف عمر من قبله، وإنّ عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإنّي قد أسرعت في العشرين، ألا وإنّي يوشك أن أُفارقكم، ألا وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون،

فهل بلّغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟". فقام من كلّ ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنّك عبد اللّٰه ورسوله، قد بلّغت رسالته، وجاهدت في سبيله، وصدعتَ بأمره، وعبدته حتّى أتاك اليقين، جزاك اللّٰه عنّا خير ما جزى نبيّاً عن أمّته.

فقال: "ألستم تشهدون أن لا إله إلا اللّٰه، لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله؟ وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ النّار حقّ، وتؤمنون بالكتاب كلّه؟". قالوا: بلى. قال: "فإنّي أشهد أن قد صدّقتكم وصدّقتموني، ألا وإنّي فَرَطكم وإنّكم تبعي، تُوشكون أن تَرِدوا علَيّ الحوض، فأسألكم حين تَلقونني عن ثِقليَّ كيف خَلَفتموني فيهما". قال: فأُعيل علينا

[أي صعب علينا فلم ندرِ ما يريد].

ما ندري ما الثقلان، حتّى قام رجل من المهاجرين، وقال: بأبي وأُمّي يا نبيّ اللّٰه، ما الثقلان؟

قال صلى الله عليه و آله: "الأكبر منهما كتاب اللّٰه تعالى، سبب طرفه بيد اللّٰه وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به ولا تضلّوا، والأصغر منهما عترتي، من استقبل قِبلَتي وأجاب دَعوتي، فلا تقتلوهم ولا تقهروهم، ولا تقصروا عنهم، فإنّي قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني، ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليّهما لي وليّ، وعدوّهما لي عدوّ. ألا وإنّها لم تهلك أُمّة قبلكم حتّى تتديّن بأهوائها، وتظاهر على نبوّتها، وتقتل من قام بالقسط".

ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فرفعها، ثمّ قال: "مَن كنت مولاه فهذا مولاه، ومن كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه"، قالها ثلاثاً.

[المناقب لابن شهرآشوب: ١٦، ح ٢٣. والبحار ٣٧:١٨٤].

٣- و قال محمّد بن عبده في تفسيره قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ"

[سورة المائدة: ٦٧].

روى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي سعيد الخدري، أنّها نزلت يوم غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[تفسير المنار ٦:٤٦٣].

ثمّ قال محمّد بن عبده: وروت الشيعة عن الإمام محمّد الباقر: "أنّ المراد بما أُنزل إليه من ربّه النصّ على خلافة عليّ عليه السلام بعده، وأنّه صلى الله عليه و آله كان يخاف أن يشقّ ذلك على بعض أصحابه، فشجّعه اللّه تعالى بهذه الآية".

[المصدر السابق: ٤٦٤].

٤- وفيه أيضاً: عن ابن عبّاس: أنّ اللّه أمره صلى الله عليه و آله أن يخبر النّاس بولاية عليّ عليه السلام، فتخوّف أن يقولوا: حابى ابن عمّه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فلمّا نزلت الآية عليه في غدير خمّ، أخذ بيد عليّ عليه السلام وقال: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ مَن عاداه". ثمّ قال: ولهم في ذلك روايات وأقوال في التفسير مختلفة، منها ما ذكره الثعلبي في تفسيره أنّ هذا القول من النبيّ صلى الله عليه و آله في موالاة عليّ عليه السلام شاع وطار في البلاد، وحكى قصّة الحارث بن النعمان الفهري، فقال: أما حديث: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه"، فقد رواه أحمد في مسنده من حديث البراء وبريدة، والترمذي والنسائي والضياء في المختارة من حديث زيد بن أرقم، وابن ماجة عن البراء، وحسّنه بعضهم، وصحّحه الذهبي بهذا اللفظ، ووثّق أيضاً سند من زاد فيه: "اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه" - الحديث.

[المصدر السابق: ٤٦٤].

٥- وفيه أيضاً: وفي رواية: أنّه خطب النّاس فذكر أُصول الدين، ووصّى بأهل بيته، فقال: "إنّي قد تركت فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لم يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض، اللّه مولاي، وأنا وليّ كلّ مؤمن"، ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام - الحديث.

[المصدر السابق: ٤٦٥].

٦- و روى الترمذي: بسنده عن أبي سُريحة أو زيد بن أرقم، عن النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه".

[سنن الترمذي ٥:٥٩١، ح ٣٧١٣].

٧- وفي "الفصول المهمّة" - بعد نقل رواية الترمذي - قال: وزاد غيره - وهو الزهري - ذكر اليوم والزمان والمكان، قال: لمّا حجّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله حجّة الوداع، وعاد قاصداً المدينة، قام بغدير خمّ - وهو ماء بين مكّة والمدينة - وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام وقت الهاجرة، فقال صلى الله عليه و آله: "أيّها النّاس، إنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، هل بلّغت؟". قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت. قال: "وأنا

أشهد أنّي قد بلّغت ونصحت'. قال: 'أيّها النّاس، أليس تشهدون أن لا إله إلا اللّه، وأنّي رسول اللّه؟'. قالوا: نشهد أن لا إله إلا اللّه، وأنّك رسول اللّه. قال: 'وأنا أشهد مثل ما شهدتم'.

ثمّ قال: 'أيّها النّاس، قد خلفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب اللّه، وأهل بيتي، ألا وإنّ اللطيف أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض، حوضي ما بين بصري وصنعاء، عدد آنيته عدد النجوم، إنّ اللّه مسائلكم كيف خلفتموني في كتابه وأهل بيتي'.

ثمّ قال: 'أيّها النّاس، مَن أوْلى النّاس بالمؤمنين؟'، قالوا: اللّه ورسوله أعلم. قال: 'إنّ أوْلى النّاس بالمؤمنين أهل بيتي'، قال ذلك ثلاث مرّات. ثمّ قال في الرابعة وأخذ بيد عليّ: 'اللّهمّ مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه' يقولها ثلاث مرّات، 'ألا فليبلّغ الشاهد الغائب'.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٤٠، وعنه في غاية المرام: ٨٨، الباب ١٦ من المقصد الأوّل، ح ٧٨].

٨- وروى السيوطي في تفسيره عن ابن مردويه، عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ' أنّ عليّاً مولى المؤمنين

[هذه الزيادة: 'أنّ عليّاً مولى المؤمنين' ليست من القرآن، بل هي لغرض التفسير؛ لثبات سلامة القرآن من الزيادة والنقيصة باتّفاق العلماء].

'وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ'.

[تفسير الدرّ المنثور ٢:٢٩٨].

٩- و رواه أيضاً عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية: 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ...' على رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوم غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[المصدر السابق، وفي الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٤٢ مثله].

١٠- وفي "غاية المرام": عن مسند أحمد بن حنبل، بسنده عن البراء بن عازب، قال: كنّا مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله في سفره فنزلنا بغدير خمّ، ونودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول اللّه صلى الله عليه و آله تحت شجرة فصلّى الظهر، وأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: 'ألستم تعلمون أنّي أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟'. قالوا: بلى. قال: 'ألستم تعلمون أنّي أوْلى بكلّ مؤمن من نفسه؟'. قالوا: بلى. وأخذ بيد عليّ فقال لهم: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه'. قال: فلقيه عمر، فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

[غاية المرام: ٧٩، الباب ١٦ من المقصد الأوّل، ح ١].

١١- وفيه أيضاً: عن مسند أحمد بن حنبل بسنده عن زيد بن أرقم، قال: نزلنا مع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بوادٍ يقال له: وادي خمّ، فأمر بالصلاة فصلاها، قال: فخطبنا وظُلّل لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بثوب على شجرة من الشمس فقال صلى الله عليه و آله: 'أوَلستم تعلمون، أوَلستم تشهدون أنّي أوْلى بكلّ مؤمن من نفسه؟'. قالوا: بلى. قال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ من عاداه'.

[غاية المرام: ٧٩، الباب ١٦ من المقصد الأوّل، ح ٢].

١٢- و روى الحاكم النيشابوري بسنده عن ابن واثلة عن زيد: يقول: نزل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بين مكّة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام، فكنس النّاس ما تحت الشجرات، ثمّ راح رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عشيّة فصلّى ثمّ قام خطيباً فحمد اللّٰه وأثنى عليه وذكّر ووعظ، فقال: ما شاء اللّٰه أن يقول: ثمّ قال: 'أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما وهما: كتاب اللّٰه، وأهل بيتي عترتي'. ثمّ قال: أتعلمون أنّي أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟' ثلاث مرّات. قالوا: نعم. فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'.

[مستدرك الحاكم ٣:١٠٩].

١٣- وأخرج ابن عقدة، من طريق عمرو بن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة، عن أبيه، عن جدّه، عن أُمّ سلمة قالت: أخذ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بيد عليّ بغدير خمّ، فرفعها حتّى رأينا بياض إبطيه، فقال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'. ثمّ قال: 'أيّها النّاس؟ إنّي مخلف فيكم الثقلين: كتاب اللّٰه وعترتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض'.

[ينابيع المودّة: ٤٠].

١٤- و روى العلامة الاميني عن الحافظ الزرقاني المالكي في "شرح المواهب" بسنده عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا أيّها النّاس، إنّ اللّٰه مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أوْلى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وأحبّ مَن أحبّه، وابغض مَن أبغضه، وانصر من نصره، واخذل مَن خذله، وأدرِ الحقّ معه حيث دار'.

[الغدير ٣٤: ١].

١٥- وروى ابن طلحة الشافعي نقلاً عن الترمذي والطبراني والبزّاز، بإسنادهم عن زيد، قال: أمر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بالشجرات فقمّ ما تحتها ورشّ، ثمّ قال: 'أيّها الناس، من أوْلى بكم من أنفسكم؟'. قلنا: اللّٰه

ورسوله أوْلى بنا من أنفسنا. قال: "فمن كنت مولاه فهذا مولاه"، يعني عليّاً. ثمّ أخذ بيده فبسطها، ثمّ قال: "اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه"، ووثّق رجاله.

[مطالب السؤول ٩:١٠٥، نقلاً عن الغدير ١:٣٤].

١٦- و روى الجويني عن مهاجر بن مسمار، قال: أخبرني عائشة بنت سعد عن سعد أنّه قال: كنّا مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله بطريق مكّة وهو متوجّه إليها، فلمّا بلغ غدير خمّ - الّذي بخمّ - وقف النّاس، ثمّ ردّ من مضى، ولحقه منهم من تخلّف، فلمّا اجتمع النّاس قال: "أيّها النّاس، هل بلّغت؟. قالوا: بلى. قال: "اللّهمّ اشهد". ثمّ قال: "أيّها النّاس، هل بلّغت؟". قالوا: بلى. قال: "اللّهمّ اشهد" ثلاثاً.

ثمّ قال: "أيّها النّاس، مَن وليّكم؟". قالوا: اللّه ورسوله، ثلاثاً. ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فأقامه، ثمّ قال: "مَن كان اللّه ورسوله وليّه فإنّ هذا وليّه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه".

[فرائد السمطين ١:٧٠، ح ٣٧].

١٧- و رواه أيضاً عن أبي سعيد الخدري، قال: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله لمّا دعا النّاس إلى عليّ عليه السلام في غدير خمّ وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقمّ، وذلك يوم الخميس، فدعا عليّاً فأخذ بضبعيه فرفعهما، حتّى نظر النّاس إلى بياض إبطي رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه الآية: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً".

[سورة المائدة: ٣].

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "اللّه أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، والولاية لعليّ من بعدي".

ثمّ قال: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله".

[فرائد السمطين ١:٧٤، ح ٤٠].

١٨- و عن البحراني عن "أمالي الصدوق" عن أبي سعيد، قال: لمّا كان يوم غدير خمّ أمر رسول اللّه منادياً ينادي، فنادى الصلاة جامعة، فأخذ بيد عليّ عليه السلام، وقال: "اللّهمّ مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه".

[غاية المرام: ٩٠، الباب ١٧ من المقصد الأوّل، ح ١].

١٩- وروى الكليني بسنده عن عمر بن أذينة، عن زرارة، والفضيل بن يسار، وبكير بن أعين، ومحمّد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وأبي الجارود، جميعاً، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "أمر اللَّه عزّ وجلّ رسوله بولاية عليّ، وأنزل عليه: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ".

[سورة المائدة: ٥٥].

وفرض ولاية أُولي الأمر، فلم يدروا ما هي؟ فأمر اللَّه محمّداً صلى الله عليه و آله أن يفسّر لهم الولاية كما فسّر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، فلمّا أتاه ذلك من اللَّه ضاق بذلك صدر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وتخوّف أن يرتدّوا عن دينهم، وأن يكذّبوه، فضاق صدره وراجع ربّه عزّ وجلّ، فأوحى اللَّه عزّ وجلّ إليه: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ"

[سورة المائدة: ٦٧].

فصدع بامر اللَّه تعالى ذكره، فقام بولاية عليّ عليه السلام يوم غدير خمّ فنادى الصلاة جامعة، وأمر النّاس أن يبلّغ الشاهد الغائب".

قال عمر بن أُذينة: قالوا جميعاً غير أبي الجارود: وقال أبو جعفر عليه السلام: "وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأُخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي".

[سورة المائدة: ٣].

قال أبو جعفر عليه السلام: "يقول اللَّه عزّ وجلّ: لا أُنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض".

[أُصول الكافي ١: ٢٨٩، كتاب الحجّة - باب نصّ اللَّه ورسوله على الأئمّة عليهم السلام، ح ٤].

٢٠- و رواه ايضاً بسنده، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "فرض اللَّه عزّوجلّ على العباد خمساً، أخذوا أربعاً وتركوا واحداً". قلت: أتسمّيهنّ لي، جعلت فداك؟. فقال: "الصلاة، وكان النّاس لا يدرون كيف يصلّون، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، أخبرهم بمواقيت صلاتهم، ثمّ نزلت الزكاة، فقال: يا محمّد، أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم، ثمّ نزل الصوم، فكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذا كان يوم عاشوراء بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوّال، ثمّ نزل الحجّ فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: أخبرهم من حجّهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم.

ثمّ نزلت الولاية، وإنّما أتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة، أنزل اللَّه عزّ وجلّ: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي"

[سورة المائدة: ٣].

وكان كمال الدين بولاية عليّ بن أبي طالب، فقال عند ذلك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أُمّتي حديثو عهد بالجاهليّة، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمّي، يقول قائل، ويقول قائل - فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني - فأتتني عزيمة من اللَّه عزّ وجلّ بتلة

[أي مقطوعة].

أوعدني إن لم أبلّغ أن يعذّبني، فنزلت: 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ'

[سورة المائدة: ٦٧].

فأخذ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بيد عليّ عليه السلام فقال: أيّها النّاس، إنّه لم يكن نبيّ من الأنبياء ممّن كان قبلي إلا وقد عمّره اللَّه، ثمّ دعاه فأجابه، فأُوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت، وأدّيت ما عليك، فجزاك اللَّه أفضل جزاء المرسلين.

فقال: اللّهمّ اشهد - ثلاث مرّات - ثمّ قال: يا معشر المسلمين، هذا وليّكم من بعدي فليبلّغ الشاهد منكم الغائب'.

قال أبو جعفر عليه السلام: 'كان واللَّه عليّ عليه السلام أمين اللَّه على خلقه وغيبه ودينه الّذي ارتضاه لنفسه، ثمّ إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حضره الّذي حضر، فدعا عليّاً عليه السلام فقال: يا عليّ، إنّي أُريدُ أن ائتمنك على ما ائتمنني اللَّه عليه من غيبه وعلمه، ومن خلقه، ومن دينه الّذي ارتضاه لنفسه، فلم يشرك واللَّه فيها أحداً من الخلق، ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام حضره الّذي حضره، فدعا ولده وكانوا اثنا عشر ذكراً فقال لهم: يا بنيَّ، إنّ اللَّه عزّ وجلّ قد أبى إلا أن يجعل فيَّ سنّة من يعقوب، وإنّ يعقوب دعا ولده وكانوا اثنا عشر ذكراً، فأخبرهم بصاحبهم' - الحديث.

[أُصول الكافي ١: ٢٩٠، كتاب الحجّة - باب نصّ اللَّه ورسوله على الأئمّة عليهم السلام، ح ٦].

٢١- وفي "تفسير العيّاشي" عن حنّان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'لمّا نزل جبرئيل على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في حجّة الوداع بإعلان أمر عليّ بن أبي طالب عليه السلام 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ' الآية. قال: فمكث النبيّ صلى الله عليه و آله ثلاثاً حتّى أتى الجحفة فلم يأخذ بيده فرقاً من النّاس، فلمّا نزل الجحفة يوم الغدير في مكان يقال له: مهيعة، فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع النّاس فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: من أوْلى بكم من أنفسكم؟ قال: فجهروا، فقالوا: اللَّه ورسوله، ثمّ قال لهم الثانية، فقالوا: اللَّه ورسوله، ثمّ قال لهم الثالثة، فقالوا: اللَّه ورسوله.

فأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، فإنّه منّي وأنا منه، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي'.

[تفسير العيّاشي ١:٣٣٢، وعنه تفسير البرهان ١:٤٨٩].

٢٢- و فيه أيضاً عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'وآخر فريضة أنزلها اللّه الولاية "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..."، فلم ينزل من الفرائض شي ء بعدها حتّى قبض اللّه رسوله'.

[تفسير العيّاشي ١:٢٩٢].

٢٣- وفي "مجمع البيان" عن كتاب "شواهد التنزيل لقواعد التفضيل والتأويل" بإسناده عن ابن عبّاس، قال: نزلت هذه الآية: 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ' في عليّ عليه السلام، فأخذ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بيده عليه السلام، فقال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه'.

[تفسير مجمع البيان ٣:٢٢٣].

ويستفاد من بعض الأحاديث المأثورة، كالحديث "١٩" المتقدّم، أنّه لم ينزّل من الفرائض شي ء بعد نصب عليّ بن أبي طالب يوم الغدير بالإمامة، ونشير إلى واحدٍ منها:

مؤيّدات حديث الغدير

وممّا يؤيّد حديث الغدير أُمور كثيرة نشير إلى بعضها منها:

١- عن المجلسي في "مرآة العقول" عن ابن أبي الحديد، عن عثمان بن سعيد، عن شريك بن عبداللّه، قال: لمّا بلغ عليّاً عليه السلام أنّ النّاس يتّهمونه فيما يذكره من تقديم النبيّ صلى الله عليه و آله وتفضيله على النّاس، قال: 'أنشد اللّه مَن بقي ممّن لقي رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وسمع مقالته في يوم غدير خمّ إلا قام فشهد بما سمع'، فقام ستّة ممّن عن يمينه من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله، أنّهم سمعوه يقول ذلك اليوم وهو رافع بيدي عليّ عليه السلام: 'مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، وأحبّ مَن أحبّه، وأبغض من أبغضه'.

[مرآة العقول ٣:٢١٤].

٢- و عن البحراني عن عبداللّه بن أحمد بن حنبل، بسنده عن أبي نعيم، وحسين بن محمّد، قالا: حدّثنا فطر، عن أبي الطفيل، قال: جمع عليّ عليه السلام النّاس في الرحبة، ثمّ قال: 'أُنشد اللّه كلّ امرئ مسلم سمع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول يوم غدير خمّ ما سمع لما قام؟'، فقام ثلاثون من النّاس.

قال أبو نعيم: فقام أناس كثير فشهدوا حين أخذه بيده، فقال للنّاس: "أتعلمون أنّي أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم"، قالوا: نعم، يا رسول اللّٰه. قال: "مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه".

[غاية المرام: ٧٩، الباب ١٦ من المقصد الأوّل، ح ٣].

٣- و روى الجويني عن أبي إسحاق، عن سعيد بن ذي حدّان وعمرو ذي مرّ، قالا: قال عليّ عليه السلام: "أنشد باللّٰه - ولا أنشد إلا أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله - مَن سمع خطبة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم غدير خمّ؟".

قال: فقام اثنا عشر رجلاً ستّة من قبل سعيد، وستّة من قبل عمرو، فشهدوا أنّهم سمعوا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، وأحبّ مَن أحبّه، وابغض مَن أبغضه".

[فرائد السمطين ١:٦٨، ح ٣٤ و ٣٥].

٤- و رواه أيضاً عن عبداللّٰه بن محمّد بن عقيل، قال: كنت عند جابر بن عبداللّٰه في بيته، وعليّ بن الحسين عليهماالسلام ومحمّد بن الحنفيّة وأبو جعفر عليه السلام، فدخل رجل من أهل العراق، فقال: أُنشدك اللّٰه يا جابر، إلا حدّثتني ما رأيت وما سمعت من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟

فقال: كنّا بالجحفة بغدير خمّ، وثمّ ناس كثير من جهينة ومزينة وغفار، فخرج علينا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من خباء أو فسطاط، فأشار بيده ثلاثاً، فأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه".

[فرائد السمطين ١:٦٢، ح ٢١].

٥- و عن ابن الجوزي و غيره قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام أيّام صفّين كتاباً إلى معاوية بن أبي سفيان وأرسله إليه بيد الأصبغ بن نباتة. قال الأصبغ: فدخلت على معاوية وهو جالس على نطع من الأُدم، متّكئاً على وسادتين خضراوتين، وعن يمينه عمرو بن العاص وحوشب وذو الكلاع، وعن شماله أخوه عتبة وابن عامر بن كريز والوليد بن عقبة وعبدالرحمن بن خالد وشرحبيل بن السمط، وبين يديه أبو هريرة وأبو الدرداء، والنعمان بن بشير وأبو أُمامة الباهلي، فلمّا قرأ الكتاب قال: إنّ عليّاً لا يدفع إلينا قتلة عثمان.

قال الأصبغ: فقلت له: يا معاوية، لا تعقل بدم عثمان، فإنّك تطلب الملك والسلطان، ولو كنتَ أردت نصره حيّاً لنصرته، ولكنّك تربّصت به لتجعل ذلك سبباً إلى وصول الملك، فغضب من كلامي، فأردت أن يزيد غضبه، فقلت لأبي هريرة: يا صاحب رسول اللّٰه، إنّي أحلّفك بالذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، وبحقّ حبيبه

المصطفى صلى الله عليه و آله إلا أخبرتني أشهدتَ يوم غدير خمّ؟ قال: بلى شهدته. قلت: فما سمعته يقول في عليّ؟ قال: سمعته يقول: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر من نصره، واخذل مَن خذله'.

فقلت له: فإذن أنت - يا أبا هريرة - واليت عدوّه، وعاديت وليّه، فتنفّس أبو هريرة الصعداء، وقال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون.

[تذكرة الخواصّ: ٨٤؛ المناقب للخوارزم: ٢٣٤].

٦- وممّا يؤيد حديث احتجاج المأمون على الفقهاء "على ما رواه ابن عبد ربّه" بطوله و تفصيله، الى أن قال: قال المأمون: يا إسحاق، هل تروي حديث الولاية؟ قال إسحاق: قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: إروه، ففعلت. قال: يا إسحاق، أرايت هذا الحديث، هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟

قلت: إنّ النّاس ذكروا أنّ الحديث إنّما كان بسبب زيد بن حارثة لشي ء جرى بينه وبين عليّ وأنكر ولاء عليّ عليه السلام، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه'.

قال: وفي أيّ موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه من حجّة الوداع؟

قال: فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير، كيف رضيت لنفسك بهذا؟! أخبرني لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي، مولى ابن عمّي، أيّها النّاس، فاعلموا ذلك، أكنت منكراً ذلك عليه، تعريفه النّاس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟ قلت: اللّهمّ نعم.

[العقد الفريد ٥:٩٩].

٧- و رواية الجويني عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: مَن صام يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة كتب اللّه له صيام ستّين سنة، وهو يوم غدير خمّ، لمّا أخذ النبيّ صلى الله عليه و آله بيد عليّ عليه السلام، فقال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر من نصره'. فقال له عمر بن الخطّاب: بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب، أصحبت مولاي ومولى كلّ مسلم.

[فرائد السمطين ١:٧٧، ح ٤٤].

٨- و روايته أيضاً عن يزيد بن عمر بن مورق، قال: كنت بالشام، وعمر بن عبدالعزيز يعطي النّاس، فتقدّمت إليه، فقال: ممّن أنت؟ قلت: من قريش. قال: من أي قريش؟ قلت: من بني هاشم. فقال: من أي بني هاشم؟ فسكتُّ. قال: من أي بني هاشم؟ فقلت: مولى عليّ. قال: مولى عليّ؟ فسكت. فوضع يده على صدره، فقال: أنا

واللّٰه مولى عليّ بن أبي طالب، ثمّ قال: حدّثني عدّة أنّهم سمعوا النبيّ صلى الله عليه و آله يقول: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'. ثمّ قال: يا مزاحم، كم يُعطى أمثاله؟ قال: مائة ومائتي درهم، قال: أعطه خمسين ديناراً لولايته عليّ بن أبي طالب. ثمّ قال: ألحق ببلدكم، فسيأتيك ما يأتي نظراءك.

[المصدر السابق: ٦٦، ح ٣٢وهناك مؤيّدات أُخرى، راجع: مرآة العقول ٣:٢١٥].

مناشدة اميرالمؤمنين بحديث الغدير

لقد كان حديث الغدير ممّا أجمع الحفّاظ على نقله، وكان من الأُصول المسلّمة يؤمن به المحبّ والمبغض، ولم ينكر أحد صدوره، إلا مَن كان منكراً للضروري والبديهي؛ ولذلك كثر الاحتجاج به، وتواترت مناشدته بين الصحابة والتابعين، ولم ينكره أحد ممّن سمعه.

قال السيّد المرتضى ما ملخّصه: أمّا الدلالة على صحّة الخبر فلا يطالب بها إلا متعنّت؛ لظهوره وانتشاره، وحصول العلم لكلّ من سمع الأخبار به، وما المطالب بتصحيح خبر الغدير والدلالة عليه إلا كالمطالب بتصحيح غزوات الرسول صلى الله عليه و آله الظاهرة والمشهورة وأحواله المعروفة؛ لأنّ ظهور الجميع وعموم العلم به بمنزلة واحدة.

ثمّ قال: وممّا يدلّ على صحّة الخبر إطباق الأُمّة على قبوله، ولا شبهة فيما ادّعيناه لأنّ الشيعة جعلته الحجّة في النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة، ومخالفو الشيعة تأوّلوه على خلاف الإمامة على اختلاف تأويلاتهم، وقد استدلّ على صحّة الخبر بما تظاهرت به الرواية من احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام به في الشورى على الحاضرين في جملة ما عدّده من فضائله ومناقبه حيث قال: 'أُنشدكم اللّٰه، هل فيكم أحدٌ أخذ رسول اللّٰه بيده فقال: مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه؟'. فقال القوم: اللّهمّ لا، وإذا اعترف من حضر الشورى من الوجوه واتّصل أيضاً بغيرهم من الصحابة ممّن لم يحضر الموضع، ولم يكن من أحدنكير له مع علمنا بتوفّر الدواعي إلى إظهار ذلك لو كان، فقد وجب القطع على صحّته، هذا على أنّ الخبر لو لم يكن في الوضوح كالشمس، لما جاز أن يدّعيه ا مير المؤمنين عليه السلام، سيّما في مثل هذا المقام.

[الشافي في الإمامة ٢٦٥ ٢:٢٦١].

و في "المناقب" عن عامر بن واثلة، قال: كنت مع عليّ عليه السلام في البيت يوم الشورى وسمعته يقول لهم: "لأحتجّن عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم تغيير ذلك'، ثمّ قال: 'فأنشدكم باللّٰه، هل فيكم أحدٌ قال

له رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره، ليبلّغ الشاهد الغائب، غيري؟". قالوا: اللّهمّ لا.

[المناقب للخوارزمي: ٢٢٢.

روى هذه المناشدة كثير من علماء العامّة في كتبهم، فمن أراد الوقوف عليها فليلاحظ الغدير ١٦٣ - ١:١٥٩].

ولا يخفى أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام احتجّ بحديث الغدير في مواضع أخرى، منها: في أيّام حكومة عثمان، ويوم الرحبة في الكوفة، ويوم الجمل على طلحة، وفي الكوفة على رهط، ويوم صفّين، بطرق متعدّدة من علماء العامّة. [راجع: الغدير ١٩٦ - ١٥٩ :١].

مناشدة فاطمة الزهراء بالحديث

روى صاحب أسنى المطالب بالإسناد إلى أُمّ كلثوم بنت النبيّ صلى الله عليه و آله، عن فاطمة بنت رسول اللّٰه عليهاالسلام، قالت: أنسيتم قول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يوم غدير خمّ: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه؟'، وقوله صلى الله عليه و آله: 'أنت منّي بمنزلة هارون موسى عليه السلام'.

[أسنى المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٥٠].

مناشدة الإمام الحسن بالحديث

أخرج الحافظ الكبير أبو العبّاس ابن عقدة: أنّ الحسن بن عليّ عليه السلام لمّا أجمع على صلح معاوية، قام خطيباً وحمد اللّٰه وأثنى عليه، وذكر جدّه المصطفى بالرسالة والنبوّة، ثمّ قال: 'إنّا أهل بيت أكرمنا اللّٰه بالإسلام، واختارنا واصطفانا، وأذهب عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً'. إلى أن قال: 'وقد رأوه "رأى الأُمّة جدّي" وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خمّ، وقال لهم: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، ثمّ أمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب'. [راجع: الغدير ١٩٤:١].

رووى القندوزي عن "نظم درر السمطين" خطبة طويلة عن الحسن بن عليّ بعد شهادة أبيه عليه السلام، وقال فيها: 'وقد رأوه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خمّ وقال لهم: من كنت مولاه فعليّ مولاه'. [ينابيع المودّة: ٤٨٢ - ٤٧٩].

مناشدة الإمام الحسين بالحديث

وكذا ناشد بحديث غدير خمّ الإمام الحسين بن عليّ عليهماالسلام قبل موت معاوية بسنة أو بسنتين في منى عند جمع من الشيعة، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله، فقام فيهم فحمد اللّٰه وأثنى عليهم، إلى أن قال: "أنشدكم اللّٰه، أتعلمون أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله نصبه - عليّاً أبي - يوم غدير خمّ فنادى له بالولاية وقال: ليبلّغ الشاهد الغائب"، قالوا: اللّهمّ نعم.

[عن أبي صادق سليم بن قيس الهلالي في كتابه، نقلاً عن الغدير ١:١٩٨].

احتجاج غيرهم بالحديث

وكذا احتجّ بحديث غدير خمّ عبداللّٰه بن جعفر على معاوية بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، واحتجّ رجل من همدان - يقال له: بُرد - على عمرو بن العاص، وكذا احتجّ عمرو بن العاص على معاوية بحديث غدير خمّ، واحتجّ به عمّار بن ياسر يوم صفّين على عمرو بن العاص، واحتجّ الأصبغ بن نباتة بحديث الغدير في مجلس معاوية، واحتجّ به شاب في مسجد الكوفة على أبي هريرة، واحتجّت به وناشدت دارمية الحجونية على معاوية، وكذا احتجّ به عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي، والمأمون.

وغير أُولئك من الرجال والنساء الذين احتجّوا بحديث الغدير على أحقّية مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإمامته وخلافته بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله.

[من أراد الوقوف على لفظ الاحتجاج وتمام الحديث فليراجع الغدير ٢١٢ - ١٩٩: ١].

فيما قيل من الشعر في غدير خمّ

والأشعار في ذلك منذ القرن الأوّل إلى عصرنا هذا كثيرة جدّاً لا يبلغها الإحصاء، ونشير هنا إلى بعضها، ونحيل البعض إلى المصادر الّتي ذكرتها:

[راجع: كتاب الغدير في جميع أجزائه، المناقب لابن شهرآشوب: ج٣].

١- نبدأ بالشعر المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين، فإنّه عليه السلام كتب أبياتاً إلى معاوية لمّا كتب معاوية إليه: إنّ لي فضائل كان أبي سيّداً في الجاهلية، وأنا خال المؤمنين...

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أبالفضائل يبغي عليَّ ابن آكلة الأكباد؟ أُكتب يا غلام:

محمّد النبيّ أخي وصنوي(*) *** وحمزة سيّد الشهداء عمّي

وجعفر الّذي يُضحي ويُمسي*** يطير مع الملائكة ابن أُمّي

وبنت محمّد سكني وعرسي*** منوطٌ لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها*** فأيُّكمُ له سهمٌ كسهمي

سبقتكُم إلى الإسلام طُرّاً*** على ما كان من فهمي وعلمي

وصلّيت الصلاة وكنت طفلاً*** مقرّاً بالنبيّ في بطن أُمّي

فأوجب لي ولايته عليكم*** رسول اللَّه يوم غدير خمّ

فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ*** لمن يلقى الإله غداً بظلمي

(*)[في بعض المصادر: 'صهري'].

فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال: أخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب.

[راجع: الغدير وهامشه ٢٥: ٢ و ٢٦].

٢- و أنشأ حسّان بن ثابت في يوم الغدير بعد أن استأذن الرسول صلى الله عليه و آله فأذن له:

يُناديهمُ يومَ الغديرِ نَبيُّهُمْ*** بخُمٍّ وَأَسْمِعْ بالرسول مناديا

و قال: فمَن مولاكُمُ ووَليُّكُم*** فقالوا ولم يُبدوا هناك التعاديا

[في بعض النسخ: 'التعاميا' - الغدير ٢: ٣٤].

إلهك مولانا وأنت وليُّنا*** ولم تجدن منّا لك اليومَ عاصيا

[في بعض النسخ: 'التعاميا' - الغدير ٢: ٣٤، وفرائد السمطين ١: ٧٣، ح ٣٩].

فقال له: قم يا عليُّ فإنّني*** رَضِيتُك منْ بعدي إماماً وهاديا

فمَن كنتُ مولاهُ فهذا وليُّه*** فكونوا له أنصارَ صدقٍ مواليا

هناك دعا: اللّهمّ والِ وليَّه*** وكُن للذي عادى عليّاً مُعاديا

فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك'.

[إرشاد المفيد ١٧٧: ١؛ فرائد السمطين ١: ٧٣، ح ٣٩، وأمالي الصدوق - المجلس الرابع والثمانون: ح ٣].

وقال المفيد رحمه الله: وإنّما اشترط رسول اللَّه صلى الله عليه و آله في الدعاء له، لعلمه صلى الله عليه و آله بعاقبة أمره في الخلاف، ولو علم سلامته في مستقبل الأحوال لدعا له على الإطلاق، و مثل ذلك ما اشترط اللَّه تعالى في مدح أزواج النبي صلى الله عليه و آله، و لم يمدحهنَّ بغير اشتراط، لعلمه أنَّ منهنّ من يتغيّر بعد الحال عن الصلاح الّذي يُستحق عليه المدح و الاكرام، فقال عزّ قائلاً: 'يا نساء النبي لستنَّ كأحدٍ من النساء ان اتيقتّن'

[الإرشاد: ١٦٢، الفصل ٥٠ من الباب ٢].

الى آخر كلامه.

[انظر الإرشاد للمفيد ١٧٨: ١].

٣- وقال ابن حمّاد:

يوم الغدير لأشرف الأيّام*** وأجلّها قدراً على الإسلام

يوم أقام اللّه فيه إمامنا*** أعني الوصيّ إمام كلّ إمام

قال النبيّ بدوح خمّ رافعاً*** كفّ الوصيّ يقول للأقوام

من كنت مولاه فذا مولى له*** بالوحي من ذي العزّة العلام

هذا وزيري في الحياة عليكم*** فإذا قضيت فذا يقوم مقامي

يا ربّ والي من أقرّ له الولا*** وأنزل بمن عاداه سوء حمام

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٩].

٤- وقال دعبل:

فقال ألا من كنت مولاه منكم*** فهذا له لي مولى ببعد وفاتي

أخي ووصيّي وابن عمّي ووارثي*** وقاضي ديوني من جميع عداتي

[المصدر المتقدّم: ٣٠].

٥- وقال الحميري:

وقال هذا فيكم خليفتي*** ومن عليه في الأُمور المتّكل

نحن كهاتين وأومى باصبع*** من كفّه عن كفّه لم تنفصل

لا تبتغوا بالطهر بعدي بدلاً*** فليس فيكم لعليّ من بدل

يا ربّ والي من يوالي حيدراً*** وعاد من عاداه واخذل من خذل

يا خالقي بلّغت ما نزّله*** اليَّ جبريل وعنه لم أحل

[المصدر المتقدّم: ٣١].

٦- وأنشأ البشنوي:

وقد شهدوا عيد الغدير وأسمعوا*** مقال رسول اللّه من غير كتمان

ألستُ بكم أولى من النّاس كلّهم*** فقالوا بلى يا أفضل الإنس والجان

فقام خطيباً بين أعواد منبر*** ونادى بأعلى الصوت جهراً بإعلان

بحيدرة والقوم خرس أذلّة*** قلوبهم ما بين خلف وعينان

فلبّى مجيباً ثمّ أسرع مقبلاً*** بوجهٍ كمثل البدر في غصن ألبان

فلاقاه بالترحيب ثمّ ارتقى به*** إليه وصار الطهر للمصطفى ثان

وشال بعضديه وقال وقد صغى*** إلى القوم أقصى القوم تاللّٰه والداني

عليٌّ أخي لا فرق بيني وبينه*** كهارون من موسى الكليم بن عمران

ووارث علمي والخليفة في غدٍ*** على أُمّتي بعدي إذا زرت جثماني

فياربّ مَن والى عليّاً فواله*** ودان مدانيه ولا تنصر الشاني

[المصدر المتقدّم: ٣٤].

٧- وأنشد الكميت عند الامام الباقر عليه السلام:

ويوم الدوح دوح غدير خمّ*** أبان له الولاية لو أُطيعا

ولكن الرجال تبايعوها*** فلم أرَ مثلها خطراً مبيعا

ولم أرَ مثل هذا اليوم يوماً*** ولم أرَ مثله حقّاً أُضيعا

فلم أقصد بهم لعناً ولكن*** إلى جور وأقربهم مضيعا

فصار لذاك أقربهم لعدل*** أساء بذاك أوّلهم صنيعا

أضاعوا أمر قائدهم فضلّوا*** وأقربهم لدى الحدثان ريعا

تناسوا حقّه فبغوا عليه*** بلا ترة وكان لهم قريعا

[الترة: الثأر].

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٦].

الوقائع الحادثة حول قضيّة الغدير

و قد اتفقت وقايع و حوادث مهمّه حول حديث الغدير و بعده فنذكر بعضها احترازاً عن التطويل.

افتراق النّاس ثلاث فِرق

في "غاية المرام": عن محمّد بن العبّاس بن ماهيار، بسنده عن فضيل بن عبدالملك، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "لمّا أوقف رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أمير المؤمنين يوم الغدير، افترق النّاس ثلاث فرق:

فقالت فرقة: ضلّ محمّد، وفرقة قالت: غوى، وفرقة قالت: هواه بقوله في أهل بيته وابن عمّه، فأنزل اللّه سبحانه: "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى".

[غاية المرام: ٩٢، الباب ١٧ من المقصد الأوّل، ح ١٨، والآيات من سورة النجم ٤ - ١].

الابالسة يحثّون التراب على وجوههم

في تفسير عليّ بن إبراهيم، قال: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال: "لمّا أمر اللّه نبيّه أن ينصب أمير المؤمنين للنّاس في قوله: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ" في عليّ بغدير خمّ، فقال صلى الله عليه و آله: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، فجاءت الأبالسة إلى إبليس الأكبر، وحثّوا التراب على وجوههم، فقال لهم إبليس: ما لكم؟

قالوا: إنّ هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يحلّها شي ء إلى يوم القيامة، فقال لهم إبليس: كلا إنّ الذين حوله قد وعدوني فيه عدة لن يخلفوني، فأنزل اللّه على رسوله: "وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ". [تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي ٢٠١: ٢، والآية ٢٠ من سورة سبأ].

وفي "روضة الكافي": عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "لمّا أخذ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بيد عليّ عليه السلام يوم الغدير، صرخ إبليس في جنوده صرخة، فلم يبق منهم أحد في بَرّ ولا بحر إلا أتاه، فقالوا: يا سيّدهم ومولاهم، ماذا دهاك، فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه؟ فقال لهم: فعل هذا النبيّ فعلاً إن تمّ لم يُعص اللّه أبداً، فقالوا: يا سيّدهم، أنت كنت لآدم، فلمّا قال المنافقون: إنّه ينطق عن الهوى، وقال أحدهما لصاحبه: أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنّه مجنون، يعنون رسول اللّه صلى الله عليه و آله صرخ إبليس صرخة بطرب، فجمع أولياءه فقال: أما علمتم إنّي كنت لآدم من قبل؟ قالوا: نعم. قال: آدم نقض العهد ولم يكفر بالربّ، وهؤلاءِ نقضوا العهد وكفروا بالرسول، فلمّا قبض رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأقام النّاس غير عليّ، لبس إبليس تاج المُلك ونصب منبراً، وقعد في الوثبة، وجمع خيله ورجله ثمّ قال لهم: اطربوا، لا يُطاع اللّه حتّى يقوم الإمام".

وتلا أبو جعفر عليه السلام: "وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ".

[سورة سبأ: ٢٠].

وقال: "كان تأويل هذه الآية لمّا قبض رسول اللّه صلى الله عليه و آله، والظنّ من إبليس حين قالوا لرسول اللّه صلى الله عليه و آله: إنّه ينطق عن الهوى، فظنّ بهم إبليس ظنّاً، فصدّقوا ظنّه". [روضة الكافي: ٢٨٤، ح ٥٤٢].

نزول آية: 'سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ'

في "تفسير المنار" عن "تفسير الثعلبي": أنّ هذا القول من النبيّ صلى الله عليه و آله في موالاة عليّ عليه السلام شاع وطار في البلاد، فبلغ الحارث بن النعمان الفهري، فأتى النبيّ على ناقته، وكان بالأبطح، فنزل وعقل ناقته، وقال للنبيّ صلى الله عليه و آله وهو في ملأ من أصحابه: يا محمّد، أمرتنا عن اللّه أن نشهد أن لا إله إلا اللّه، وأنّك رسول اللّه، فقبلنا منك - ثمّ ذكر سائر أركان الإسلام - وقال: ثمّ لم ترض بهذا حتّى مددت بضبعي ابن عمّك وفضّلته علينا، وقلت: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'! فهذا منك أم من اللّه؟ فقال صلى الله عليه و آله: 'واللّه الّذي لا إله إلا هو، هو أمر اللّه'.

فولّى الحارث يريد راحلته، وهو يقول: 'اللَّهُمَّ إِن كَانَ هذَا هُوَ الْحَقَّ مِن عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ'

[سورة الأنفال: ٣٢].

فما وصل إليها حتّى رماه اللّه بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره، وأنزل اللّه تعالى: 'سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ' الآية.

[تفسير المنار ٦:٤٦٤، والآيتان ١ و ٢ من سورة المعارج، ورواه ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة: ٤٢، عن تفسير الثعلبي].

وفي السيرة الحلبيّة بعد نقل حديث الفوق، قال: فواللّه! ما بلغ باب المسجد حتّى رماه اللّه بحجر من السماء، فوقع على رأسه فخرج من دبره، فمات، وأنزل اللّه تعالى: 'سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ' الآية.

[السيرة الحلبيّة ٣:٢٧٥، وراجع: المناقب لابن شهرآشوب ٣:٤٠].

ابتلاء أنس بن مالك بالبرص لكتمان الشهادة

قال المفيد بإسناده عن طلحة بن عميرة، قال: أنشد عليّ عليه السلام النّاس في قول النبيّ صلى الله عليه و آله: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'، فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد، فقال له أمير المؤمنين: 'يا أنس'، قال: لبّيك، قال: 'ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا؟'، قال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: 'اللّهمّ إن كان كاذباً فاضربه ببياضٍ - أو قال: بوضحٍ - لا تواريه العمامة'. قال طلحة: فأشهد باللّه لقد رأيتها بيضاء بين عينيه.

[الإرشاد: ٣٣٩، الفصل ٨١، من الباب ٢].

وفي "مرآة العقول": عن ابن أبي الحديد، قال: ذكر جماعة من شيوخنا البغداديّين أنّ عدّة من الصحابة والتابعين والمحدّثين كانوا منحرفين عن عليّ عليه السلام قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه، وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا، إيثاراً للعاجلة: فمنهم أنس بن مالك، وروى نحو الحديث.

[مرآة العقول ٣:٢١٥].

عمى زيد بن أرقم لكتمان الشهادة

في "إرشاد المفيد": بإسناده عن زيد بن أرقم، قال: أنشد عليّ عليه السلام النّاس في المسجد، فقال: "أنشد اللّٰه رجلاً سمع النبيّ صلى الله عليه و آله يقول: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه"، فقام اثنا عشر بدريّاً، ستّة من الجانب الأيمن، وستّة من الجانب الأيسر، فشهدوا بذلك. فقال زيد بن أرقم: وكنت أنا فيمن سمع ذلك فكتمته، فذهب اللّٰه ببصري، وكان يندم على ما فاته من الشهادة ويستغفر اللّٰه.

[المصدر المتقدّم: ٣٤٠، الفصل ٨٢، من الباب ٢، وروى العلامة الحلبي في السيرة الحلبيّة "٣:٢٧٤" نحوه اختصاراً].

دعاء عليّ على أربعة كتموا الشهادة

في "أمالي الصدوق" بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبداللّٰه الأنصاري، قال: خطبنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثمّ قال: "أيّها النّاس، إنّ قدّام منبركم هذا أربعة رهط من أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله"، منهم: أنس بن مالك، والبراء بن عازب الأنصاري، والأشعث بن قيس الكندي، وخالد بن يزيد البجلي. ثمّ أقبل عليه السلام بوجهه على أنس بن ملاك، فقال: "يا أنس، إن كنت سمعت من رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، ثمّ لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك اللّٰه حتّى يبتليك ببرص لا تغطّيه العمامة.

وأمّا أنت - يا أشعث - فإن كنت سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو يقول: "من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه"، ثمّ لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك اللّٰه حتّى يذهب بكريمتيك.

وأمّا أنت - يا خالد بن يزيد - فإن كنت سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه"، ثمّ لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك اللّٰه إلا ميتة جاهليّة.

وأمّا أنت - يا براء بن عازب - إن كنت سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: 'مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه'، ثمّ لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك اللَّه إلا حيث هاجرت منه.

قال جابر بن عبداللَّه الأنصاري: واللَّه! لقد رأيت أنس بن مالك وقد ابتُلي ببرص يغطّيه بالعمامة فما تستره. ولقد رأيت الأشعث بن قيس وقد ذهبت كريمتاه

[كريمة الرجل عينه و بصره].

وهو يقول: الحمد للَّه الّذي جعل دعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب علَيّ بالعمى في الدنيا، ولم يدع علَيّ بالعذاب في الآخرة فأُعذَّب. فأمّا خالد بن يزيد، فإنّه مات فأراد أهله أن يدفنوه، وحفر له في منزله فدفن، فسمعت بذلك كندة، فجاءت بالخيل والإبل فعقرتها على باب منزله، فمات ميتة جاهليّة، وأمّا البراء بن عازب، فإنّه ولاه معاوية اليمن فمات بها، ومنها كان هاجر.

[أمالي الشيخ الصدوق - المجلس السادس والعشرون: ح ١].

اظهار المنافقين نفاقهم بعد نصب عليّ بالولاية

روى ثقة الإسلام الكليني عن عبدالحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبداللَّه عليه السلام - في حديث طويل - قال: 'فلمّا رجع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من حجّة الوداع، نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ' [سورة المائدة: ٦٧].

فنادى النّاس فاجتمعوا، وأمر بسمرات فقمّ شوكهنّ، ثمّ قال: يا أيّها النّاس، مَن وليّكم، وأوْلى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: اللَّه ورسوله، فقال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه' ثلاث مرّات.

فوقعت حسكة النفاق في قلوب القوم، وقالوا: ما أنزل اللَّه جلّ ذكره هذا على محمّد قطّ، وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمّه، فلمّا قدم المدينة أتته الأنصار، فقالوا: يا رسول اللَّه، إنّ اللَّه جلّ ذكره قد أحسن إلينا، وشرّفنا بك وبنزولك بين ظهرانينا، فقد فرّح اللَّه صديقنا وكبت عدوّنا، وقد تأتيك وفود، فلا تجد ما تعطيهم فيشمت بك العدوّ، فنحبّ أن تأخذ ثلث أموالنا حتّى إذا قدم عليك وفد مكّة وجدت ما تعطيهم، فلم يردّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليهم شيئاً، وكان ينتظر ما يأتيه من ربّه، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: 'قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى' [سورة الشورى: ٢٣].ولم يقبل أموالهم.

فقال المنافقون: ما أنزل اللّٰه هذا على عليّ، وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمّه، ويحمل علينا أهل بيته، يقول أمس: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'، واليوم: 'قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى'. ثمّ نزلت عليه آية الخمس: فقالوا: يريد أن يعطيهم أموالنا وفيئنا.

ثمّ أتاه جبرئيل، فقال: يا محمّد، إنّك قد قضيت نبوّتك، واستكملت أيّامك، فاجعل الاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبوّة عند عليّ عليه السلام، فإنّي لم أترك الأرض إلا ولي فيها عالمٌ تعرف به طاعتي، وتعرف به ولايتي، ويكون حجّة لمن يولد بين قبض النبيّ إلى خروج النبيّ الآخر.

قال: فأوصى إليه بالاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوّة، وأوصى إليه بألف كلمة، وألف باب يفتح كلّ كلمة، وكلّ باب ألف كلمة، وألف باب'.

[أصول الكافي ١:٢٩٥، كتاب الحجّة -باب النصّ على أمير المؤمنين، ح ٣].

اوّل المصافقين لعلي هم أبوبكر و عمر و...

بعد ما نزلت الآية: 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ' على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في غدير خم، و رفع رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يدي عليّ عليه السلام وقال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه...'، ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين الوحي بقوله تعالى: 'الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي' الآية، فقال رسول اللّٰه: 'الحمد للّٰه على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، والولاية لعليّ من بعدي'.

ثمّ طفق القوم يهنّئون أمير المؤمنين عليه السلام، وممّن هنّأه في مقدّم الصحابة: أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ طلحة، ثمّ الزبير، وقال الشيخان أبو بكر وعمر: بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وفيما يلي بعض الأخبار في هذا السياق:

و روى أحمد بن محمّد الطبري الخليلي من طريق شيخه محمّد بن أبي بكر بن عبدالرحمن، و قال: فتبادر النّاس إلى بيعته، وقالوا: سمعنا وأطعنا لما أمرنااللّٰه ورسوله بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وجميع جوارحنا، ثمّ انكبّوا على رسول اللّٰه وعلى عليّ "صلوات اللّٰه عليهما" بأيديهم.

وكان أوّل من صافق رسول اللّٰه |وعليّاً| أبو بكر وعمر وطلحة والزبير، ثمّ باقي المهاجرين، والنّاس على طبقاتهم، ومقدار منازلهم إلى أن صلّيت الظهر والعصر في وقت واحد، والمغرب والعشاء الآخرة في وقت واحد، ولم يزالوا يتواصلون البيعة والمصافقة ثلاثاً، ورسول اللّٰه صلى الله عليه و آله كلّما بايعه فوج بعد فوج

يقول: "الحمد للّه الّذي فضّلنا على جميع العالمين"، وصارت المصافقة سنّة ورسماً واستعملها من ليس له حقّ فيها.

[مناقب عليّ بن أبي طالب للطبري المشهور بالخليل، نقلاً عن الغدير ١:٢٧٠].

وأخرج الطبري بإسناده عن زيد بن أرقم - في حديث طويل

[راجع الحديث بطوله في الغدير ١:٢١٤].

قال: فعند ذلك بادر النّاس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر اللّه ورسوله بقلوبنا، وكان أوّل من صافق النبيّ صلى الله عليه و آله وعليّاً عليه السلام: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي النّاس إلى أن صلّى الظهرين في وقت واحد، وامتدّ ذلك إلى أن صلّى العشاءين في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً.

[الولاية للطبري: ١٠٠، نقلاً عن الغدير ١:٢٧٠].

الايرادات الواردة الموهومة على حديث الغدير

و قد ذكر بعض المخالفين من العامّة ايرادات حول حديث الغدير و انكار فضيلة عليّ عليه السلام في هذه القضية، باشكالات موهومة، فنذكرها مع جوابها:

الإشكال الأوّل و جوابها:

ما تمحّله البعض، كما في "النهاية" لابن الأثير، فقد ذكر أنّه قيل سبب صدور الحديث عن النبيّ صلى الله عليه و آله: أنّ أُسامة قال لعليّ عليه السلام: ليس مولاي، إنّما مولاي - أي معتقي - رسول اللّه، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "مَن كنت مولاه - أي معتقه - فعليّ مولاه - أي معتقه -".

[النهاية ٥:٢٢٨].

فالحديث - على تعريفه - ورد في عتق عليّ عليه السلام لأُسامة، لا أنّه مولى المؤمنين.

أقول: إذا كان أُسامة بن زيد قد أعتقه النبيّ صلى الله عليه و آله فلا معنى لأن يكون أعتقه عليّ عليه السلام، ولو فرض فلا يناسبه هذا الاهتمام العظيم، على أنّ أُسامة لم يعتقه النبيّ صلى الله عليه و آله وإنّما أعتق أباه زيد بن حارثة، فإطلاق أنّه مولى رسول اللّه صلى الله عليه و آله عليه إنّما هو باعتبار انجرار الولاء إليه من أبيه، ولهذا قال بعضهم: إنّ القائل لعليّ عليه السلام: لست مولاي، وإنّما مولاي رسول اللّه صلى الله عليه و آله، هو زيد بن حارثة، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه" ردّاً لقول زيد.

وهذا الإشكال أثاره إسحاق بن حمّاد بن زيد بحضور المأمون، لمّا جمع العلماء ليحتجّ عليهم في فضل عليّ عليه السلام فيما ذكره صاحب العقد الفريد

[راجع: العقد الفريد ٥:٩٩].

فقال إسحاق للمأمون: ذكروا أنّ الحديث إنّما كان بسبب زيد بن حارثة لشي ء جرى بينه وبين عليّ، وأنكر ولاء عليّ، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه'.

فردّ عليه المأمون بأنّ ذلك كان في حجّة الوداع، وزيد بن حارثة قتل قبل ذلك، وكأنّ مَن ذكر هذا العذر التفت إلى مثل ما ردّ به المأمون، فغيّرالعذر، وقال: إنّه قال ذلك في شأن أُسامة بن زيد.

وسواء أقيل إنّ ذلك في شأن زيد أو ابنه أُسامة، فزيد إنّما هو مولى عتاقه وابنه أُسامة كذلك بجرّ الولاء، وعليّ عليه السلام لم يعتقه، وإنّما أعتقه النبيّ صلى الله عليه و آله، فكيف يكون زيد أو ابنه مولاه، وهو لم يعتقه؟! [راجع: أعيان الشيعة ١:٣٦٣].

الإشكال الثاني و جوابها: ما تمحّله ابن كثير في تاريخه و صاحب السيرة الحلبيّة [السيرة الحلبيّة ٣:٢٧٥].

من صرف ما وقع يوم الغدير إلى ما وقع عند رجوع عليّ عليه السلام من اليمن، فقد قال ابن كثير في تاريخه: فصل في الحديث الدالّ على أنّه صلى الله عليه و آله خطب بمكان بين مكّة والمدينة مرجعه من حجّة الوداع قريب من الجحفة، يقال له: غدير خمّ، فبيّن فيها فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبراءة عرضه ممّا كان تكلّم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر إليهم من المعدلة الّتي ظنّها بعضهم جوراً وتضييقاً وبخلاً، والصواب كان معه عليه السلام في ذلك، ولهذا لمّا فرغ صلى الله عليه و آله من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بين ذلك في أثناء الطريق، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة عامئذٍ، وكان يوم الأحد بغدير خمّ تحت شجرة هناك، وذكر من فضل عليّ عليه السلام وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من النّاس منه. "إلى أن قال:" ونحن نورد عين ما روي في ذلك مع إعلامنا أنّه لا حظّ للشيعة فيه ولا متمسّك لهم ولا دليل.

أقول: لكنّه لم يأتِ ابن كثير بدليل يثبت ما قال، بل قدم أوّلاً روايات هذه الواقعة، فنقل عن محمّد بن إسحاق، بسنده عن يزيد بن طلحة، قال: لمّا أقبل عليّ عليه السلام من اليمن ليلقى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بمكّة، تعجّل إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كلّ رجل من القوم حلّة من البز الّذي كان مع عليّ - وهو الّذي أخذه من أهل نجران - فلمّا دنا

جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل، قال: 'ويلك ما هذا؟'، قال: كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا في النّاس، قال: 'ويلك انزع قبل أن يُنتهى به إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله'، فانتزع الحلل من النّاس فردّها في البزّ، وأظهر الجيش شكواهم لما صنع بهم.

ثمّ حكى عن ابن إسحاق أنّه روى بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: اشتكى النّاس عليّاً، فقام رسول للَّه فينا خطيباً فسمعته يقول: "أيّها النّاس، لا تشكوا عليّاً، فواللَّه! إنّه لأخشن في ذات اللَّه، أو في سبيل اللَّه، من أن يشتكى'.

ثمّ حكى عن أحمد أنّه روى بسنده عن بريدة، قال: غزوت مع عليّ عليه السلام، اليمن فرأيت منه جفوة، فلمّا قدمت على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ذكرت عليّاً فتنقّصته، فرأيت وجه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يتغيّر، فقال: 'يا بريدة، ألست أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟'، قلت: بلى يا رسول اللَّه، قال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'.

قال ابن كثير: وكذا رواه النسائي، بإسناده، نحوه. ثمّ قال: وهذا إسناد جيّد قويّ، رجاله كلّهم ثقات، إلى آخره... ثمّ أتبع ابن كثير ذلك بروايات الغدير، ليجعلهما بزعمه واقعة واحدة، وأنّ ما وقع يوم الغدير هو تدارك لما وقع في سفر اليمن، وأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله بيّن يوم الغدير فضل عليّ عليه السلام وبراءة ساحته ممّا تكلّم فيه أهل ذلك الجيش.

أقول في ردّ كلامه، مع أنّهما واقعتان، لا دخل لإحداهما في الأُخرى، لأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لمّا شكا أهل الجيش من عليّ عليه السلام وكانت شكايتهم منه بمكّة في أيّام الحجّ، غضب لذلك وبيّن لهم أنّ شكايتهم منه في غير محلّها، وقام فيها خطيباً، وقال: "لا تشكوا عليّاً، فواللَّه إنّه لأخشن في ذات اللَّه من أن يشتكى'. وقال لهم يومئذٍ: 'ألست أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟'، قالوا: بلى، قال: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'. واكتفى بذلك، وهو كاف في ردعهم وبيان فضل عليّ عليه السلام، وأنّ ما فعله عليه السلام هو الصواب، هذه واقعة الاولى، و أمّا حديث الغدير واقعة اخرى و كانت في الثامن عشر من ذي الحجّة بعد انقضاء الحجّ ورجوعه إلى المدينة، ولو كان ما وقع يوم الغدير هو لمجرّد ردعهم وبيان خطئهم في شكايتهم من عليّ عليه السلام لقاله بمكّة، واكتفى به ولم يؤخّره إلى رجوعه.

وزعم صاحب السيرة الحلبيّة أنّه صلى الله عليه و آله قال ذلك بمكّة لبريدة وحده، ثمّ لمّا وصل إلى غدير خمّ أحبّ أن يقوله للصحابة عموماً

[المصدر المتقدّم: ٢٧٥].

وهذا يكذّبه ما سمعته من قول أبي سعيد الخدري أحد الصحابة: فقام صلى الله عليه و آله خطيباً - أي قام في الصحابة عموماً - وأعلن ذلك في خطبته على المنبر وعلى رؤوس الأشهاد.

وقوله: ذلك بمكّة أعمّ وأشمل لوجود الحاجّ كلّهم، ومنهم أهل مكّة وما حولها الذين لم يكونوا معه في غدير خمّ، فلو كان الغرض تبليغ عموم الصحابة ما وقع في مسألة اليمن لما أخّره إلى غدير خمّ، ولكنّه لمّا نزل عليه قوله تعالى: 'يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ'، وهو في الطريق بلّغهم إيّاه في غدير خمّ حين نزلت عليه الآية، فهما واقعتان لا دخل لإحداهما في الأُخرى، وخلط إحداهما بالأُخرى نوع من الخلط والخبط والغمط.

مع أنّك عرفت أنّ في روايات الغدير أنّه وقف حتّى لحقه من بعده، وأمر بردّ مَن كان تقدّم، وهذا يدلّ على أنّه لأمرٍ حدث في ذلك المكان، وهو نزول الوحي عليه، ولو كان لتبليغ عموم الصحابة لم يؤخّره إلى غدير خمّ، بل كان يقوله في بعض المنازل قبله أو في مكّة، فأمره بالنزول وهو في أثناء السير وانتظار مَن تخلّف وأمره بردّ من تقدّم، يدلّ على أنّه لأمرٍ حدث في ذلك الوقت، مع أنّه قال هذا الكلام عقيب الأمر بالتمسّك بالكتاب والعترة، وبيان أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض الّذي هو تمهيد لما بعده، فدلّ على أنّه لأمرٍ أهمّ من مسألة اليمن.

على أنّنا إنّما نستدلّ بقوله: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'، عقيب قوله: 'ألست أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم'، سواء أقال ذلك بمكّة أم في غدير خمّ، وسواء أقاله عقيب شكايتهم من عليّ أم لا فإنّه دلّ على أنّ عليّاً عليه السلام أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، والإمامة والخلافة لا تزيد على ذلك كما مرّ.

[راجع: أعيان الشيعة ١:٣٦٣].

الإشكال الثالث و جوابه:

في دلالة لفظة 'المولى' قال المولى لا تدلّ على الولاية العامّة، بل تدلّ على النصرة و المودّة: فاليك الايراد مع جوابه: إنّ قوله صلى الله عليه و آله: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'، قال العلماء: لفظة المولى مستعملة بإزاء معانٍ متعدّدة، وقد ورد القرآن العظيم بها: فتارة تكون بمعنى أوْلى، قال اللّه تعالى في حقّ المنافقين: 'مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَكُمْ'

[سورة الحديد: ١٥].

معناه: أوْلى بكم. وتارة بمعنى الناصر، قال اللّه تعالى: 'ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ'.

[سورة محمّد صلى الله عليه و آله: ١١].

وتارة بمعنى الوارث، قال اللَّه تعالى: 'وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ'

[سورة النساء: ٣٣].

معناه: وارثاً. وتارة بمعنى العصبة، قال اللَّه تعالى: 'وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي'

[سورة مريم: ٥].

معناه: عصبتي. وتارة بمعنى الصديق، قال اللَّه تعالى: 'يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلىً عَن مَوْلىً شَيْئاً'

[سورة الدخان: ٤١].

معناه: حميم عن حميم، وصديق عن صديق. وتارة بمعنى السيّد والمعتق، وهو ظاهر.

وإن كانت واردة لهذه المعاني فيكون معنى الحديث: مَن كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فإنّ عليّاً يكون كذلك.

[الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٤٣].

امّا الجواب عنه: فنذكر - قبل الجواب عن الايراد - توضيحاً في معنى الولي و المولى، ثم نجيب على اصل الاشكال:

ففي "مفردات راغب": الولاء والتوالي: أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد. والولاية: النصرة، والولاية: تولّي الأمر. وقيل: الولاية والولاية نحو الدَّلالة والدِّلالة، وحقيقته تولّي الأمر. والولي والمولى يستعملان في ذلك، كلّ واحد منهما يقال في معنى الفاعل، وفي معنى المفعول. يقال للمؤمن: هو وليّ اللَّه عزّ وجلّ ولم يرد مولاه. يقال: اللَّه وليّ المؤمنين ومولاهم، إلى آخر كلامه.

[مفردات راغب: ٥٣٣، مادة "ولى"].

وفي "النهاية" لابن الأثير: في أسماء اللَّه الوليّ هو الناصر، وقيل: المتولّي لأُمور العالم والخلائق القائم بها، ومن أسمائه عزّ وجلّ: الوالي، وهو مالك الأشياء جميعها، المتصرّف فيها، وكأنّ الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الولي، وقد تكرّر ذكر المولى في الحديث، وهو اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو الربّ والمالك والسيّد والمنعم والمعتِق والناصر والمحبّ والتابع والجارّ وابن العمّ والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتَق والمنعَم عليه، وأكثرها قد جاءت في الحديث - إلى أن قال: - ومنه الحديث: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'، يحمل على أكثر الأسماء المذكورة.

قال الشافعي: يعني بذلك ولاء الإسلام، كقوله تعالى: 'ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ'

[سورة محمّد صلى الله عليه و آله: ١١].

وقول عمر لعليّ عليه السلام: أصبحت مولى كلّ مؤمن، أي وليّ كلّ مؤمن.

[النهاية ٥:٢٢٧].

وفي "الصحاح": الولي: القرب والدنوّ. يقال: تباعدنا بعد ولي، وكلّ ممّا يليك أي ممّا يقاربك... وأوليته الشي ء فوليه، وكذلك ولي الوالي البلد، وولي الرجل البيع ولايةً فيهما... والمولى: المُعتَق والمُعتِق وابن العمّ والناصر والجار، والوليّ: الصهر، وكلّ من ولي أمراً واحداً فهو وليّه.

[الصحاح ٦:٢٥٢٨].

وفي "لسان العرب": في أسماء اللَّه تعالى: "الولي" هو الناصر، وقيل: المتولّي لأُمور العالم والخلائق القائم بها، ومن أسمائه: الوالي، وهو مالك الأشياء جميعها المتصرّف فيها - إلى أن قال: - والوليّ: وليّ اليتيم الّذي يلي أمره ويقوم بكفايته، ووليّ المرأة: الّذي يلي عقد النكاح عليها، ولا يدعها تستبدّ بعقد النكاح دونه. وفي الحديث: 'أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل'. وفي رواية: 'وليّها'، أي متولّي أمرها. وفي الحديث: 'أسألك غناي وغنى مولاي'. إلى أن قال: قال الفرّاء: الموالي: ورثة الرجل وبنو عمّه، قال: والوليّ والمولى واحد في كلام العرب.

قال أبو منصور: ومن هذا قول سيّدنا رسول اللَّه: 'أيّما امرأة نكحت بغير إذن مولاها' الحديث، ورواه بعضهم: 'بغير إذن وليّها'؛ لأنّهما بمعنى واحد، إلى آخره.

[لسان العرب ١:٩٨٥، طبع دار لسان العرب - بيروت].

وفي أقرب الموارد: ولي الشي ء وعليه وِلاية وَوَلاية: ملك أمره وقام به.

[أقرب الموارد ٢:١٤٨٧].

وفي معجم مقاييس اللغة: ولى: الواو واللام والياء، أصل صحيح يدلّ على القرب، من ذلك الولي: القرب، يقال: تباعد بعد وليٍّ أي قرب، وجلس ممّا يليني، أي يقاربني.

والوليّ: المطر يجي ء بعد الوسميّ، سُمّي بذلك لأنّه يلي الوسميّ، ومن الباب المولى: المُعتَق والمُعتِق والصاحب والحليف وابن العمّ والناصر والجار، كلّ هؤلاء من الولي وهو القرب، وكلّ من ولي أمراً آخر فهو وليّه، وفلان أوْلى بكذا: أي أحرى به وأجدر، إلى أن قال: والباب كلّه راجع إلى القرب.

[معجم مقاييس اللغة ٦:١٤١].

فبعد توضيح معنى الولاية والولي والمولى في اللغة أقول فى الجواب عن الاشكال الثالث: بأنّ حقيقة كلمة المولى: من يلي أمراً ويقوم به ويتقلّده، وما عدّوه من المعاني له، فإنّما هي مصاديق حقيقتها، وقد أُطلقت عليها من باب إطلاق اللفظ الموضوع لحقيقة على مصاديقها، كإطلاق لفظ الرجل على زيد وعمر ومحمّد وعليّ وأحمد، فيطلق لفظ المولى على الربّ؛ لأنّه القائم بأمر المربوبين، وعلى السيّد؛ لأنّه القائم بأمر العبد، وعلى العبد؛ لأنّه يقوم بحاجة السيّد، وعلى الجارّ وابن العمّ والحليف والصهر؛ لأنّهم يقومون بنصرة صاحبهم فيما يحتاجون إلى نصرتهم، وهكذا فاللفظ مشترك معنوي، يعني وضع لفظ المولى لمن يلي أمراً ويقوم به، ولهذا المعنى مصاديق متعدّدة حتّى عدّ العلامة الأميني رحمه الله في الغدير سبعة وعشرين مصداقاً له، كما مرّ بعضها آنفاً في تعريف الولي من النهاية لابن الأثير.

[الغدير ٣٧٠ - ٣٦٢ :١، ولزيادة التوضيح راجع المصدر بعينه و مرآة العقول ٣:٢١٩].

وعلى هذا فمعنى قوله صلى الله عليه و آله: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه' - سواء كان بلفظ المولى، أو الوليّ - مَن كنت متقلّداً لأمره، وقائماً به فعليّ متقلّد أمره والقائم به، وهذا صريح في زعامة الأُمّة وإمامتها وولايتها، فكأنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: 'زعامة الأُمّة وولايتهم وسلطنتهم والقيام بأمرهم لعليّ عليه السلام، فثبت لعليّ ما ثبت لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من الولاية العامّة والزعامة التامّة.

وقد ورد في حديث أهل البيت عليهم السلام ما يصرّح بهذا المعنى، منها ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أبي إسحاق، قال: قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: ما معنى قول النبيّ صلى الله عليه و آله: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'؟ قال: 'أخبرهم أنّه الإمام بعده'.

[أمالي الصدوق - المجلس السادس والعشرون: ح ٢].

وفيه أيضاً عن عليّ بن هاشم بن البريد، عن أبيه، قال: سئل زيد بن عليّ عن قول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'، قال: 'نصبه علماً ليعلم به حزب اللّٰه عند الفرقة'.

[المصدر السابق: ح ٣].

وتوضيحاً للبحث نذكر هنا ما قاله استاذنا الفقيه الخبير الورع الحاج الشيخ آية اللّٰه حسين عليّ المنتظري "دامت بركاته" في تفسير الولاية وبيان معناها بعد ذكر كلمات أهل اللغة. قال: إنّ وليّ اليتيم، هو الّذي يلي أمره، ووليّ المرأة من يلي عقد النكاح عليها، وعن النبيّ صلى الله عليه و آله: 'أيّما امرأة نكحت بغير إذن وليّها فنكاحها باطل'.

[سنن الترمذي ٢:٢٨٠].

ويقال: السلطان وليّ الأمر، ولمن يلي تجهيز الميّت: وليّ الميّت، وعن المبرّد في صفات اللّٰه تعالى: الوليّ هو الأوّل والأحقّ، وكذلك المولى، فيظهر منه كون العبارات الثلاث بمعنى واحد، ومرّ على الفرّاء أنّ الوليّ والمولى واحد في كلام العرب، وعن "المفردات": أنّ حقيقته تولّي الأمر، والوليّ والمولى يستعملان في ذلك، وعن ابن الأثير: أنّها تشعر بالتدبير والقدرة والفعل.

فيظهر من الجميع أنّ التصرّف مأخوذ في مفهوم الكلمة، فما في بعض الكلمات من تفسير الولاية بخصوص المحبّة ممّا لا يمكن المساعدة عليه، ولو أُريد بيان مجرّد المحبّة الّتي هي أمر قلبي لاستعمل لفظ الحبّ والودّ، وفي قبالهما البغض والكراهة، وأمّا الولاية فهي تفيد التصدّي لشأن من شؤون الغير، وفي قبالها العداوة وهي التجاوز والتعدّي على الغير، فالتصرّف بمصلحة الغير ولاية، وبضرره عداوة، وكلاهما من مقولة الفعل.

وربّما تستعمل الولاية في التصرّف في شؤون الغير مطلقاً، فتأمّل في قوله تعالى: 'وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَولِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ'

[سورة التوبة: ٧١].

وقوله تعالى: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ'.

[سورة البقرة: ٢٥٧].

فحيثما ذكر لفظ الولاية ذكر بعده سنخ الفعل والتصرّف الناشئ منها من الأمر والنهي المناسب لها، فيظهر بذلك كون التصرّف مأخوذاً في مفهومها، وأصل الكلمة كما قالوا: هو الولي بمعنى القرب، والقريب من غيره لا يخلو من نحو تأثير وتصرّف فيه، كما أنّ المتصرّف في أُمور الغير لا بدّ أن يقع قريباً منه وإلى جانبه حتّى يتمكّن من التصدّي لأُموره والتولّي لمصالحه، فالإنسان قد لا يقدر منفرداً على رفع حاجاته فيحتاج إلى مَن يقع إلى جانبه، وبهذا يخرج عن الانفراد، ويصبح ذا ولي يقع في تلوه فيجبر نقصه ويسدّ خلله.

والوليّ والمولى يطلقان على كلّ من الوالي والمولّى عليه، لاحتياج كلّ منهما إلى الآخر، وتصدّي كلّ منهما شأناً من شؤون الآخر، ولوقوع كلّ منهما في تلو الآخر، وفي القرب منه، وإذا أردنا بيان أنّ زيداً ليس منفرداً، بل له من يتصدّى لبعض أُموره فيصحّ أن يقال: عمرو في تلوه، كما يصحّ أن يقال: هو في تلو عمرو، ويشبه رجوع التلو والوليّ إلى أصل واحد، وأُبدلت الواو تاءاً، و صار تلواً ونظائره كثيرة في كلام العرب.

وبهذه العناية أيضاً يقال: 'اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا'، ويقال أيضاً: 'المؤمن وليّ اللَّه'، بل الظاهر أنّ المعاني الكثيرة الّتي ذكروها للمولى كلّها ترجع إلى أمر واحد، وكلّها مصاديق لمفهوم فارد أيضاً، وهو كون الشخص واقعاً إلى جانب الآخر، ليتصدّى بعض شؤونه ويسدّ بعض خلله.

وبما ذكرنا يظهر أنّ قول النبيّ صلى الله عليه و آله في الخبر المتواتر: 'مَن كنت مولاه فعليّ مولاه'، سواء أكان بلفظ المولى أو الوليّ فمراده صلى الله عليه و آله أن يثبت لعليّ عليه السلام مثل ما كان لنفسه من ولاية التصرّف والأولويّة المذكورة في الآية الشريفة، ولذا صدّره بقوله: 'أتعلمون أنّي أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟' ثلاث مرّات، وظاهر الكلام أنّ المولى في الجملتين بمعنى واحد، وهو الأولويّة المذكورة في الآية.

ولذا لو كان بصدد بيان المحبّة لم يحتج إلى بيان أولويّة نفسه، بل كان ذكرها لغواً، كيف ولم يكن بيان المحبّة القلبيّة أمراً مهمّاً يوجب إيقاف مائة ألف وعشرين ألف رجلاً في المفازة في وسط النهار في الهاجرة الشديدة لبيانها وإعلامها؟! ثمّ استدلّ لكلامه و أيّده بما رواه الترمذي

[سنن الترمذي ٥:٥٩١، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، ح ٣٧١٢].

قوله صلى الله عليه و آله عن عمران بن حصين: 'ما تريدون من عليّ؟ إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي'؛ إذ قوله: 'بعدي' ينفي احتمال كون الكلمة بمعنى المحبّة القلبيّة، ويعيّن كونها بمعنى الأولويّة والإمامة كما هو واضح.

[دراسات في ولاية الفقيه ١:٥٥].

شواهد على دلالة حديث الغدير على إمامة عليّ

منها: مخاطبة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لجماهير الناس قبل إيراد هذا المقال بقوله: "ألست أوْلى بكم من أنفسكم؟"، ثمّ فرّع عليه بقوله: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه"، فلا يكون كسب الإقرار من النّاس إلا لأجل التمكّن منهم وحملهم على أن لا يأبوا عمّا يريد أن يعقّبه بجعل عليّاً عليه السلام الزعيم عليهم والمتصرّف في شؤونهم لا محالة، فتتعيّن إرادة ما هو متضمّن لمعنى التسلّط من معاني كلمة المولى دون غيره من معانيه.

ومنها: دعاؤه صلى الله عليه و آله بعد إلقاء هذا المقال في حقّ عليّ عليه السلام على النّاس بقوله: "اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر مَن نصره..."، المرويّ بطرق كثيرة، فإنّها تدلّ على أنّ الأمر الّذي أتى به في عليّ يحتاج في تثبيته إلى النصرة والموالاة له ويحترز عليه من المعاداة والخذلان له. مضافاً إلى دلالة هذا الدعاء في حقّ عليّ عليه السلام على أنّه لا تجوز معاداة عليّ عليه السلام وخذلانه في شي ء ممّا يريد، فهي تدلّ على تسلّطه على النّاس بكلّ ما يريد.

ومنها: الأخبار الواردة بطرق كثيرة والمشيرة إلى نزول قوله تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي" في يوم الغدير، فتدلّ على أنّ المراد بالمولى ما يرجع إلى الإمامة الكبرى؛ إذ ما يكون سبباً لكمال الدين وتمام النعمة على المسلمين ليس إلا ما كان من أُصول الدين، مضافاً إلى ما ورد في بعض طرق الحديث من أنّه صلى الله عليه و آله قال عقيب لفظ الحديث: "اللّٰه أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، والولاية لعليّ بن أبي طالب".

ومنها: الأخبار المتقدّمة الدالّة على نزول قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ" في حقّ عليّ عليه السلام في غدير خمّ، فتدلّ الآية على أنّ ترك نصبه بالولاية مساوٍ لترك تبليغ الرسالة برأسها.

ومنها: إلقاء هذا المقال الشريف عقيب أخذ الشهادة منهم بالوحدانيّة، والشهادة بالنبوّة، وذكر قوله: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه" في سياقها يدلّ على أنّ ما أفاده بهذا المقال أمر مهمّ يبتنى عليه الإسلام.

ومنها: أنّه صلى الله عليه و آله بعد تبليغ الولاية إلى النّاس بمجمع من جماهير المسلمين قال: "فيبلِّغ الحاضر الغائب"، فيدلّ هذا الاهتمام الشديد بإيصال خطابه الشريف وكلامه المنيف إلى جميع المسلمين، على أنّ المراد من الحديث ليس معنىً معلوماً بالكتاب والسنّة يعلمه كلّ أحد كالنصرة والمحبّة.

ومنها: القرائن الحالية، وهي كثيرة واضحة الدلالة على المقصود كنزوله صلى الله عليه و آله في حرّ الهجير والسماء صافية على الحصباء والرمضاء الّتي كادت تتوقّد من إشراق الشمس، بحيث نقل النقلة من حفّاظ الحديث وأئمّة التاريخ أنّه لشدّة الحرّ وضع بعض النّاس ثوبه على رأسه، وبعضهم يلفّه برجله، وبعضهم

استظلّ بمركوبه، وبعضهم استظلّ بالصخور وانحنائها.. وأمره صلى الله عليه و آله برجوع من تقدّم وتوقّف من تأخّر، وانحناؤه عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير وإنشاؤه تلك الخطبة الغرّاء المفصّلة الّتي قد نقلناها. فكل هذه قرينة واضحة على ان الأمر بالولاية امر مهم و ليس صرف المحبّة و المودّة القلبية المحضة.

ومنها: فهم الحاضرين في غدير خمّ عند تلك الواقعة والمستمعين لكلامه هذا، معنى الإمامة الكبرى والزعامة العظمى، ويشهد لذلك أُمور:

الأوّل: بيعة النّاس لعليّ عليه السلام ومصافقتهم معه وتهنئتهم للنبيّ ولعليّ "صلوات اللّٰه عليهما"، وأوّل من أقدم بالتهنئة والبخبخة - كما مرّ - أبو بكر، ثمّ عمر بن الخطّاب، ثمّ عثمان و...

الثاني: واقعة الحارث بن النعمان الفهري، كما مرّ حديثه.

الثالث: استنذان حسّان بن ثابت عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في نظم أبيات في الواقعة، كما مرّ شعره.

الرابع: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعد اجتماع النّاس على نصبه بالخلافة واستقرار الأمر إليه، لمّا نُوزع في أمر الخلافة حضر رحبة الكوفة بمجتمع من النّاس واستنشدهم بهذا الحديث، ردّاً على مخالفيه في أمر الخلافة، فشهد كثير من الصحابة بذلك.

الخامس: احتجاجه عليه السلام وغيره من الأئمّة وبعض الصحابة بحديث الغدير لأحقّيّته عليه السلام بالخلافة العظمى والإمامة الكبرى، كما مرّ شرحه.

وبالجملة فكلّ من بلغه هذا الحديث، فهم منه الإمامة والزعامة الكبرى في ذلك العصر والأعصار التالية، عصراً بعد عصر، من العلماء على اختلاف مشاربهم وفنونهم، والشعراء وأرباب الأدب. ومن شاء الوقوف على تلك الأشعار فليراجع الغدير للمرحوم الأميني شكر اللّٰه سعيه وحشره مع مواليه.

[انظر: إحقاق الحقّ ٤٧٨ - ٤٧٠ :٢].

اللّهمّ إنّا أتممنا الحجّة، وأوضحنا المحجّة لإخواننا المسلمين، فهم مختارون كما قال اللّٰه تبارك وتعالى: "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً"، "فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ"، صدق اللّٰه العليّ العظيم، وصدق رسوله الكريم، والحمد للّٰه ربّ العالمين.

مثل عليّ و الأئمّة كمثل سفينة نوح

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "إنّما مَثَلُ أهل بيتي مَثَلُ سفينةِ نوحٍ، مَنْ ركبَ فيها نَجا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عنها غَرَقْ".

المناقب لابن المغازلي الشافعي: ١٣٣، ح ١٧٥ و بحار الأنوار ٢٣:١٢٠

نظرة في حديث السفينة وسنده

قال ابن حجر الهيثمي في "الصواعق": وجاء من طرق كثيرة يقوّي بعضها بعضاً: 'مثلُ أهل بيتي'. وفي رواية: 'إنّما مثلَ أهل بيتي'. وفي أُخرى: 'إنّ مثلَ أهل بيتي'. وفي رواية: 'ألا إنّ أهل بيتي فيكم مَثلُ سفينةِ نوحٍ في قومهِ، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غَرق'. وفي رواية خامسة: 'مَن ركبها سَلَم، ومَن تركها غَرَق'.

[الصواعق المحرقة - باب الأمان ببقائهم: ٢٣٦، مستدرك الحاكم ٢:٣٤٣، وصحّحه على شرط مسلم، الخصائص الكبرى ٢:٤٤٦، الجامع الصغير ٢:٥٣٣، عيون الأخبار ١:٢١١، المعارف: ١٤٦، روح المعاني ٢٥:٣٢، تفسير ابن كثير ٤:١٢٣، تاريخ بغداد ٢:٩١، حلية الأولياء ٤:٣٠٦، مجمع الزوائد ٩:١٦٨، البداية والنهاية ٢:٢٩٨، ذخائر العقبى: ٢٠، كفاية الطالب: ٣٧٨].

وقال الشيخ محمّد الصبّان: وروى جماعة من أصحاب السنن، عن عدّة من الصحابة: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال: 'مثلُ أهلِ بيتي كسفينةِ نوحٍ، مَنْ رَكِبَها نجا، وَمَن تخلّف عنها هَلك'.

[إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ١٢٠].

وقال النبهاني البيروتي: روى جماعة من أصحاب السنن، عن عدّة من الصحابة أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال: 'مثلُ أهل بيتي فيكم كسفينة نوحٍ، مَن رَكِبَها نجا، ومَن تخلّف عنها هلك'. وفي رواية: 'غرق' وفي أُخرى: 'زُجّ في النّار'.

[الشرف المؤبّد لآل محمّد: ٢٨].

وعن أبان بن أبي عيّاش، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: 'يا أخا عبدالقيس، أما بلغك أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: إنّ مثل أهل بيتي في أُمّتي كمثل سفينة نوح في قومه، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق، وكمثل باب حطّة في بني إسرائيل'. فقلت: نعم. فقال: 'من حدّثك؟'، فقلت: سمعته من أكثر من مائة من الفقهاء - الحديث.

[كتاب سليم: ١١. بحار الأنوار ٢٣:١٢٢].

لفظ الحديث

ورد الحديث عن عليّ عليه السلام، وأبي ذرّ، وابن عبّاس، وأبي سعيد الخدري، وسلمة بن الأكوع، و عامر بن واثله عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، بأنّه قال: 'مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق'، وبتعابير أُخرى نذكر بعضاً منها.

حديث عليّ و الرضا

أخرج الطبري عن عليّ عليه السلام قال: "قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: مثل بيتي كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تعلّق بها فاز، ومَن تخلّف عنها زجّ في النّار'.

[ذخائر العقبى: ٢٠، ينابيع المودّة: ١٩٣، نقلاً عن الإحقاق ٩:٢٨٠].

و في "البحار" بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومن تخلّف عنها زُخّ في النّار'. [البحار ٢٣:١٢٢].

حديث أبي ذرّ الغفاري

١- روى العلامة القندوزي الحنفي عن سليم بن قيس الهلالي، قال: بينا أنا وحُبيش بن المعتمر بمكّة، إذ قام أبو ذرّ وأخذ بحلقة باب الكعبة، فقال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة أبو ذرّ، فقال: أيّها النّاس، إنّي سمعتُ نبيّكم صلى الله عليه و آله يقول: 'مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تركها هلك'. ويقول: 'مثل أهل بيتي فيكم مثلُ باب حطّة في بني إسرائيل، مَن دخله غفر له'.

[ينابيع المودّة: ٢٨، ونحوه في عيون الأخبار ١:٢١١، ومستدرك الحاكم ٣:١٥٠].

٢- و روى ابن المغازلي بسنده عن أبي ذرّ الغفاري، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَثَلُ أهل بيتي مَثَلُ سفينة نوح، مَن ركبها فيها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنّما قاتل مع الدّجّال'.

[المناقب لابن المغازلي: ١٣٤، ح١٧٧].

٣- وفي "غاية المرام" عن ابن الصبّاغ المالكي في "الفصول المهمّة"، عن رافع مولى أبي ذرّ، قال: صعد أبو ذرّ على عتبة باب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وأسند ظهره إليه، وقال: أيّها النّاس، من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'أهل بيتي مثلُ سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها زُخَّ في النّار'

[و روى ابن الأثير في النهاية ٢٩٨: ٢ هكذا: 'مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، مَن تخلّف عنها زُخّ به في النّار'، أي دفع ورُميَ. يقال: زخّه يزخّه زخّاً].

وسمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين'.

[غاية المرام: ٢٣٨، باب٣٢ من المقصد الأوّل، ح ١٠، ورواه في بحار الأنوار ٢٣:١٢١].

٤- وفي "البحار": عن مورق العجلي، قال: رأيت أبا ذرّ آخذاً بحلقة باب الكعبة، وهو يقول: مَن عرفني فأنا جندب، وإلا فأنا أبو ذرّ الغفاري، برح الخفاء، سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق، ومثل باب حطّة يحطّ

[وفي تفسير العيّاشي، عن سليمان الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام في قول اللّٰه: 'وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ'، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: 'نحن باب حطّتكم'. تفسير العيّاشي ١:٤٥]. اللّٰه بها الخطايا'.

[البحار ٢٣:١٢٣].

٥- و فيه أيضاً، عن أمالي ابن الشيخ، عن حذيفة بن أُسيد، قال: رأيت أبا ذرّ متعلّقاً بحلقة باب الكعبة فسمعته يقول: أنا جندب، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ

[في اصل المصدر على ما في هامش البحار: 'ومَن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا أبو ذرّ'].

سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'مَن قاتلني في الأُولى وقاتل أهل بيتي في الثانية، فهو من شيعة الدجّال، إنّما مثل أهل بيتي في أُمّتي كمثل سفينة نوح في لجّة البحر، من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، ألا هل بلّغت، ألا هل بلّغت، ألا هل بلّغت؟" قالها ثلاثاً. [المصدر السابق: ١٢٠].

حديث ابن عبّاس

١- في "غاية المرام" و "الإحقاق" عن "فرائد السمطين" لإبراهيم الحموينى من علماء العامّة، بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: 'يا عليّ، أنا مدينة الحكمة، وأنت بابُها، ولن تؤتى المدينة إلا من قِبل الباب، وكذب مَن زعم ا نّه يُحبّني ويُبغضك لأنّك منّي وأنا منك، لحمك لحمي، ودمك دمي، وروحكَ من روحي، وسريرتك من سريرتي، وعلانيتك من علانيتي، وأنتَ إمام أُمّتي وخليفتي عليها بعدي، سعد من أطاعك، وشقي من عصاكَ، وربح من تولاك، وخسر

من عاداك، فاز من لزمك، وهلكَ من فارقك، مثلُك ومثلُ الأئمّة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح، مَن ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، ومثلكم مثل النجوم، كلّما غاب نجمٌ طلع نجمٌ إلى يوم القيامة'.

[غاية المرام: ٢٣٨، باب٣٢ من المقصد الأوّل، ح ٧، و الإحقاق ٤:١٤٩].

٢- وأخرج أبو نعيم في "حلية الأولياء" بإسناده عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق'.

[حلية الأولياء ٤:٣٠٦، ورواه بعينه ابن المغازلي في المناقب: ١٣٢، رقم ١٧٣، وص١٣٤ رقم ١٧٦، وروى نحوه الطبراني في المعجم الصغير: ١٣٥].

حديث أبي سعيد الخدري

١- أخرج الطبراني، وأبو بكر الهيثمي، والسيوطي، بالإسناد عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'إنّما مثل أهل فيكم كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل، مَن دخله غفر له'.

[المعجم الصغير: ١٧٠، ومجمع الزوائد ٩:١٦٨، وإحياء الميّت: ١١٣].

٢- وفي "غاية المرام" عن كتاب "النصوص على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام"، بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: صلّى بنا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله صلاة الأُولى، ثمّ أقبل بوجهه الكريم علينا، فقال: 'معاشر أصحابي، إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطّة في بني إسرائيل، فتمسّكوا بأهل بيتي بعدي والأئمّة الراشدين من أهل بيتي، فإنّكم لن تضلّوا أبداً'، فقيل: يا رسول اللّٰه، فكم الأئمّة بعدك؟ قال: 'اثنى عشر من أهل بيتي'.

[غاية المرام: ٢٣٨، باب ٣٣ من المقصد الأوّل، ح ١].

حديث سلمة بن الأكوع

روى ابن المغازلي، عن أياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح مَن ركبها نجا'.

[المناقب لابن المغازلي: ١٣٢، ح ١٧٤].

حديث عامر بن واثلة

في الاحقاق عن "الكنى والألقاب" عن عبدالكريم بن هلال الجعفي، أنّه سمع أسلم المكّي، قال: أخبرني أبو الطفيل عامر بن واثلة، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تركها غرق'. [الإحقاق ٩:٢٨٧].

لفظ السفينة في زيارة المعصومين

في زيارة الحسين عليه السلام في رجب: 'السلام عليكم يا سفن النجاة'.

وفي زيارة يوم العيدين خطاباً له عليه السلام: 'السلام عليك يا سفينة النجاة'.

وفي زيارة مولانا صاحب الزمان "عج": 'سفينة النجاة، وعلم الهدى'.

[راجع: مستدرك سفينة البحار ٥:١٢].

في وجه تشبيههم بسفينة النجاة

فى الاحقاق عن أبي بكر الحضرمي الشافعي في "رشفة الصادي": قال العلماء: وجه تمثيله صلى الله عليه و آله لهم بسفينة نوح عليه السلام أنّ النجاة من هول الطوفان ثابتة لمن ركب تلك السفينة، وأنّ مَن تمسّك من الأُمّة بأهل بيته صلى الله عليه و آله وأخذ بهديهم - كما حثّ عليه صلى الله عليه و آله في الأحاديث السابقة - نجا من ظلمات المخالفات، واعتصم بأقوى سبب إلى ربّ البريّات، ومن تخلّف عن ذلك وأخذ غير مأخذهم، ولم يعرف حقّهم، غرق في بحار الطغيان، واستوجب الحلول في النيران، إذ من المعلوم ممّا سبق وما يأتي أنّ بعضهم منذر بحلولها، موجب لدخولها.

[رشفة الصادي: ٨٠، نقلاً عن الإحقاق ٩:٢٧١].

ولا شكّ في أنّ التمسّك بحبل اللّٰه، أعني القرآن الكريم، وبساحة العترة الطاهرة المنصوبين من قِبل اللّٰه تعالى هو النجاة من العذاب، والفوز بالجنّة، كما أنّ التخلّف عنهما أو عن أحدهما يوجب الضلال والإيقاع في النّار، فالتشبيه بسفينة نوح باعتبار نجاة من تمسّك بهم عن الضلال والعمى، كما يستفاد من بعض الأخبار، ومنها:

١- في "البحار": قال أمير المؤمنين عليه السلام: 'هؤلاء بنو إسرائيل نصب لهم باب حطّة، وأنتم - يا معشر أُمّة محمّد - نصب لكم باب حطّة، أهل بيت محمّد صلى الله عليه و آله، وأُمرتم باتّباع هداهم، ولزوم طريقتهم، ليغفر لكم بذلك خطاياكم وذنوبكم، وليزداد المحسنون منكم، وباب حطّتكم أفضل من باب حطّتهم؛ لأنّ ذلك كان بأخاشيب [أخاشيب: جمع خشب] ونحن الناطقون الصادقون المؤمنون الهادون الفاضلون، كما قال رسول اللّٰه

صلى الله عليه و آله: "إنّ النجوم في السماء أمان من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الضلالة في أديانهم، لا يهلكون ما دام منهم من يتّبعون هديه وسنّته" الحديث.

[البحار ٢٣:١٢٢].

٢- وفي حديث طويل من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام عن عليّ عليه السلام. قال: "فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: اعلموا أنّ الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها خلقٌ كثير، وأنّ سفينة نجاتها آل محمّد، فمن ركب هذه السفينة نجا، ومن تخلّف عنها غرق". ثمّ قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "وكذلك الآخرة جنّتها ونارها كالبحر، وهؤلاء سفن أُمّتي، يعبرون بمحبّيهم وأوليائهم إلى الجنّة" الخبر.

[التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٤٣٢، والبحار ١٧:٣٤٢].

وأشار إلى ذلك الإمام الشافعي بقوله:

ولما رأيتُ النّاس قد ذهبت بهم*** مذاهبهم في أبحر الغيِّ والجهل

ركبتُ على اسم اللّٰه في سفنِ النجا*** وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل

وأمسكتُ حبلَ اللّٰه وهو ولاؤهم*** كما قد أُمرنا بالتمسّك بالحبل

[رشفة الصادي: ٢٣، نقلاً عن الغدير ٢:٣٠١].

وممّا يؤيّد الحديث ما ورد في "أنّهم أمان لأهل الأرض"

١- روى جماعة من علماء العامّة منهم الحاكم النيشابوري والحافظ السيوطي والمتّقي الهندي و ابن حجر الهيثمي وغيرهم، بالإسناد عن عطاء، وابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس". قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

[مستدرك الحاكم ٣:١٤٩، وإحياء الميّت: ١١٤، ومنتخب كنز العمّال ٥:٩٣، والصواعق المحرقة: ٢٣٢].

٢- وروى الحاكم أيضاً بإسناده عن محمّد بن المنكدر عن أبيه، عن النبيّ صلى الله عليه و آله: أنّه خرج ذات ليلة وقد أخّر صلاة العشاء حتّى ذهب من الليل هنيهة أو ساعة، والنّاس ينتظرون في المسجد، فقال: "ما تنتظرون؟" فقالوا: ننتظر الصلاة. فقال: "إنّكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتموها".

ثمّ قال: "أما إنّها صلاة لم يصلّها أحد ممّن كان قبلكم من الأُمم"، ثمّ رفع رأسه إلى السماء فقال: "النجوم أمان لأهل السماء، فإن طمست النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي، فإذا قبضت أتى أصحابي ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأُمّتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتى أُمّتي ما يوعدون".

[مستدرك الحاكم ٣:٤٥٧].

٣- وروى المتّقي الهندي و الحاكم النيسابوري بسندهما عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ' فقال: "النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي ما كنتُ، فإذا ذهبتُ أتاهم ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأُمّتي فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون".

[منتخب كنز العمّال المطبوع بهامش المسند ٥:٩٢، ومستدرك الحاكم ٢:٤٤٨، نقلاً عن الإحقاق ٩:٣٠١].

قول رسول اللَّه: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها"

عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب".

تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٦٦، ح ٩٨٥،

والمناقب لابن المغازلي: ٨١

نظرة في الحديث

لقد وصل إلينا حديث: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها" متواتراً عن طريق الأئمّة المعصومين عليهم السلام والصحابة الكرام، في كتب العامّة

[مستدرك الحاكم ٣:١٢٦، جامع الأُصول ٩:٤٧٣، ح ٦٤٨٩، أُسد الغابة ٤:٢٢، البداية والنهاية ٧:٣٧٢، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام من تاريخ دمشق ٢:٤٦٤، ح ١٠٠٢ - ٩٩١، تاريخ بغداد ١١:٤٩، الجامع الصغير ١:٤١٥، ح ٢٧٠٥، تاريخ الخلفاء: ١٣٥، كنز العمّال ج١١، ح٣٢٨٩٠ و ٣٢٩٧٩ و ج١٣، ح٣٦٤٦٣، الصواعق المحرقة: ١٢٢، الباب ٩، الرياض النضرة ٣:١٥٩].

والخاصّة.

كما صرّح فقهاء العامّة بصحّة هذا الحديث سنداً ومتناً، ولا يوجد أدنى شكّ أو تردّد لدى فقهاء الإماميّة أيضاً كما سنشير إليه، وورد بلفظ: "أنا دار الحكمة وعليّ بابها".

[سنن الترمذي ٥:٦٣٧، ح ٣٧٣٢، مصابيح السنّة ٤:١٧٤، ح ٤٧٧٢، الجامع الصغير ١:٤١٥، ح ٢٧٠٤، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام من تاريخ دمشق ٢:٤٥٩، البداية والنهاية ٧:٣٧٢، الصواعق المحرقة: ١٢٢، الباب ٩، حلية الأولياء ١:٦٤، الرياض النضرة ٣:١٥٩].

ومع وجود بعض الاختلاف في تعابير الحديث المنقولة إلينا إلا أنّ مضمونه واحد، وهو أنّ الرسول صلى الله عليه و آله مدينة العلم والحكمة، وعليّ بابها، فمن أراد أن ينهل من ذخائر وكنوز الوحي الإلهي والعلوم القرآنيّة والحقائق الإسلاميّة، فعليه أن يدخل من باب الحكمة "عليّ بن أبي طالب" والأئمّة المعصومين عليهم السلام إلى المدينة المتمثّلة بالرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

ومن أراد التعرّف على حقائق القرآن، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والعامّ والخاصّ، و...فعليه الاستفادة من علم عليّ عليه السلام، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه و آله: 'عليّ مع القرآن والقرآن معه'.

[وقد ذكرنا تفصيل الحديث في فصل "عليّ عليه السلام مع القرآن" فسيأتي بحثه في هذا المجلد].

ومن أراد التعرّف على أحكام الإسلام السياسيّة والعباديّة والاجتماعيّة والتربوية والقضائيّة وعلى كلّ حقائق الإسلام المحمّدي الأصيل يجب أن يستفيد من علم عليّ عليه السلام؛ إذ لا يوجد أيّ سبيل إلى العلوم الإلهية إلا عليّ عليه السلام، كما ورد في الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام: 'الذكر محمّد صلى الله عليه و آله، ونحن أهل الذكر' بعد قوله تعالى: 'فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ'

[راجع: أُصول الكافي ١: ٢١٠، والآية من سورة النحل: ٤٣، وسورة الأنبياء: ٧].

أو قوله عليه السلام: 'إيّانا عنى، ونحن أهل الذِّكر، ونحن المسؤولون' بعد قوله تعالى: 'وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ'

[المصدر المتقدّم، والآية من سورة الزخرف: ٤٤].

وعليّ عليه السلام يقول في وصف علمه: 'ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليَّ الطير'.

[نهج البلاغة لفيض الإسلام: ٣٧، الخطبة ٣].

لقد كان ولا يزال علم عليّ عليه السلام عيناً تنبع بالفيض الإلهي وخزائن الحقائق السرمديّة في كلّ مكان وزمان، وحتّى في الفترة الّتي عاشها بعيداً عن السياسة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله والّتي شغل خلالها بالزراعة والعمل، فمع هذا كان الخلفاء الثلاثة يرجعون إلى عليّ عليه السلام في حلّ مشكلاتهم القضائيّة والعلميّة المختلفة رغم أنّهم يرغبون في عدم ظهوره عليه السلام في الساحة السياسية. لقد اضطرّ الخلفاء الثلاثة إلى الرجوع إلى عليّ عليه السلام في أغلب معضلاتهم القضائيّة والعلميّة والسياسيّة إلى الحدّ الّذي قالوا: "لولا عليّ لهلك عمر، ولولا عليّ لهلك عثمان"، وقال الخليفة الثاني: "لا أبقاني الله لولا أبو الحسن".

[ذكرنا شرحه وتخريجه في فصل "عليّ عليه السلام وقضاؤه في عهد عمر"، وكذا في فصل "عليّ عليه السلام ونماذج من سعة علمه"].

وبعد هذا العرض الموجز لبيان حديث 'أنا مدينة العلم وعليّ بابها' تبيّن لنا بشكل واضح أنّه لا يمكن أن يحلّ شخص ما محلّ باب مدينة العلم عليه السلام في خلافة المسلمين بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وأن يكون وعليّ عليه السلام بعيداً عنها، لا يمكن ذلك عقلاً مطلقاً.

سند الحديث

نصّ غير واحد من أعلام العامّة بصحّة الحديث من حيث السند، وهناك جمعٌ يظهر منهم اختيارها، وكثير من أولئك يرون حسنه، مصرّحين بفساد الغمز فيه، وبطلان القول بضعفه، وممّن صحّح هذا الحديث:

١ - الحافظ أبو زكريّا يحيى بن معين البغدادي نصّ على صحّته.

٢ - أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، صحّحه في "تهذيب الآثار".

٣ - أبو عبداللّٰه الحاكم النيشابوري، صحّحه في "المستدرك".

٤ - الحافظ الخطيب البغدادي، عدّه ممّن صحّحه المولوي حسن زمان في "القول المستحسن".

٥ - مجد الدين الفيروزآبادي صحّحه في "النقد الصحيح".

٦ - الحافظ جلال الدين السيوطي، صحّحه في "جمع الجوامع".

٧ - السيّد محمّد البخاري، نصّ على صحّته في "تذكرة الأبرار".

٨ - الحافظ أبو محمّد الحسن السمرقندي، صحّحه في "بحر الأسانيد".

٩ - الأمير محمّد اليماني الصنعاني، صرّح بصحّته في "الروضة الندية".

"وممّن يظهر منه اختيار صحّته":

١ - أبو سالم محمّد بن طلحة القرشي.

٢ - أبو المظفرّ يوسف بن قزاوغلي.

٣ - الحافظ صلاح الدين العلائي.

٤ - شمس الدين محمّد الجزري.

٥ - شمس الدين محمّد السخاوي.

٦ - فضل اللّٰه بن روزبهان الشيرازي.

٧ - المتّقي الهندي عليّ بن حسام الدين.

٨ - ميرزا محمّد البدخشاني.

٩ - ميرزا محمّد صدر العالم.

١٠ - ثناء اللّٰه باتي بتي الهندي.

[الغدير ٦:٧٨].

الفاظ الحديث

روى جماعة من الأصحاب وحملة الآثار وأهل التفسير وذوي القلم من العامّة والخاصّة متواتراً عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها"، مع ألفاظ مختلفة نشير إلى بعضها:

ما روي عن عليّ:

١- عن ابن المغازلي الشافعي بسنده عن عليّ عليه السلام، قال: "قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها".

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٨٢، ح١٢٢].

٢- وفي "البحار" عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أنا مدينة الجنّة، وأنت بابها يا عليّ، وكذب من زعم أنّه يدخلها من غير بابها".

[البحار ٤٠:٢٠٠].

٣- وفيه أيضاً عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "يا عليّ، أنا مدينة العلم، وأنتَ الباب، كذب مَن زعم أنّه يصل إلى المدينة إلا من الباب".

[المصدر المتقدّم: ٢٠٦].

٤- و عن ابن الجوزي بسنده عن عليّ عليه السلام، قال: قال لي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أنا مدينة الفقه وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب".

[تذكرة الخواصّ: ٥٢].

٥- و عن ابن عساكر الشافعي بسنده عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "مثلي ومثل عليّ مثل شجرة: أنا أصلها، وعليّ فرعها، والحسن والحسين ثمارها، والشيعة ورقها، فهل يخرج من الطيّب إلا الطيّب؟! وأنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أرادها فليأت الباب".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٧٨، ح٩٩٨].

٦- و عن ابن المغازلي الشافعي بسنده عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: 'أنا دار الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها'.

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٨٧،ح١٢٩].

٧- و روى الترمذي عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'أنا دار الحكمة وعليّ بابها'.

[سنن الترمذي ٥:٥٩٦، ح٣٧٢٣].

ما روي عن الحسن بن عليّ

في "ينابيع المودّة": عن الأصبغ بن نباتة، عن الحسن بن عليّ عليهماالسلام - في حديث -، قال: 'أيّها النّاس، سمعت جدّي صلى الله عليه و آله يقول: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وهل تدخل المدينة إلا من بابها'.

[ينابيع المودّة: ٧٢].

ما روي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبداللَّه

١- وفي "أمالي الصدوق" بسنده عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهماالسلام، عن جابر بن عبداللَّه الأنصاري - في حديث - أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: 'معاشر النّاس، أنا دار الحكمة وعليّ مفتاحها، ولن يوصل إلى الدار إلا بالمفتاح، وكذب مَن زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً'.

[أمالي الصدوق - المجلس السادس والخمسون: ح ٨].

٢- وفيه أيضاً عن جابر، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'أنا مدينة الحكمة - وهي الجنّة - وأنت يا عليّ بابها، فكيف يهتدي المهتدي إلى الجنّة، ولا يُهتدى إليها إلا من بابها؟!'.

[المصدر المتقدّم - المجلس الحادي والستّون: ح ١١، والبحار ٤٠:٢٠١].

٣- وفي "البحار" عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبداللَّه عليه السلام - في حديث - أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: 'يا عليّ، أنا مدينة الحكمة وأنت بابها، فمن أتى المدينة من الباب وصل. يا عليّ، أنت بابي الّذي أُوتى منه، وأنا باب اللَّه، فمن أتاني من سواك لم يصل، ومن أتى اللَّه من سواي لم يصل'.

[البحار ٤٠:٢٠٣].

ما روي عن ابن عبّاس

١- عن ابن المغازلي عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب".

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٨٦، ح١٢٨، وفي البحار ٤٠:٢٠٧، نحوه].

٢- و عن ابن عساكر الشافعي، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٦٦، ح٩٨٥].

٣- وعنه أيضاً: عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتها من قِبل بابها".

[المصدر المتقدّم: ٤٦٧، ح٩٨٧].

٤- وعنه أيضاً: عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت عليّاً".

[المصدر المتقدّم: ٤٧٠، ح٩٨٩].

٥- وعنه أيضاً: عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد الباب فليأت بابه".

[المصدر المتقدّم: ح ٩٩١].

٦- وفي البحار: عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: "يا عليّ، أنا مدينة الحكمة وأنت بابها، ولا تؤتى المدينة إلا من قِبل الباب".

[البحار ٤٠:٢٠٣].

ما روي عن جابر بن عبداللّٰه الأنصاري

١- روى ابن المغازلي الشافعي وابن عساكر الشافعي، بإسنادهما عن جابر بن عبداللّٰه، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول يوم الحديبية وهو آخذ بضبع عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "هذا أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور مَن نصره، مخذول مَن خذله"، ثمّ مدّ بها صوته، فقال: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب".

[المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٨٤، ورواه ابن عساكر الشافعي في ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٤٧٦، وروى القندوزي نحوه في ينابيع المودّة: ٧٢٠].

٢- وفي "البحار" عن جابر بن عبداللّٰه الأنصاري، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أنا خزانة العلم وعليّ مفتاحها، فمن أراد الخزانة فليأت المفتاح'.

[البحار ٤٠:٢٠١].

ما روي عن أبي سعيد الخدري

عن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليقتبسه من عليّ'.

[المصدر المتقدّم: ٢٠٣].

ما رواه العامّة عن رسول اللّٰه بتعابير مختلفة

١- قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'أنا المدينة وأنت الباب، ولا تؤتى المدينة إلا من بابها'.

٢- وقال: 'أنا دار العلم وعليّ بابها'.

٣- وقال: 'فهو - أي عليّ عليه السلام - باب "مدينة" علمي'.

٤- وقال: 'عليّ باب علمي، ومبيّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي'.

٥- وقال: 'أنا ميزان الحكمة وعليّ لسانه'.

٦- وقال: 'أنا ميزان العلم وعليّ كفّتاه'.

٧- وقال: 'أنا دار الحكمة وعليّ بابها'.

٨- وقال: 'أنت باب علمي'.

٩- وقال: 'أنا مدينة الفقه وعليّ بابها'.

١٠- وقال صلى الله عليه و آله لأُمّ سلمه: 'يا أُمّ سلمة، اشهدي واسمعي هذا عليّ أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وعيبة علمي

[عن المناوي في "فيض القدير ٤:٣٥٦"، قال: 'عليّ عيبة علمي'، أي مظنّة استفصاحي وخاصّتي، وموضع سرّي، ومعدن نفائسي، والعيبة ما يحرز الرجل فيه نفائسه. قال ابن دريد: وهذا من كلامه صلى الله عليه و آله الموجز الّذي لم يسبق ضرب المثل به في إرادة اختصاصه بأُموره الباطنة الّتي لا يطّلع عليها أحد غيره، وذلك غاية في مدح عليّ عليه السلام، وقد كانت ضمائر أعدائه منطوية على اعتقاد تعظيمه، وفي "شرح الهمزيّة" قال: إنّ معاوية كان يُرسل ليسأل عليّاً عليه السلام عن المشكلات فيجيبه، فقال أحد بنيه: تجيب عدوّك؟ قال: 'أما يكفينا أن احتاجنا وسألنا' راجع الغدير ٦:٨١].

وبابي الّذي أوتى منه'.

[روى العلامة الأميني رحمه الله هذه الأحاديث في الغدير ٦:٨٠ من كتب العامّة].

انّ الكنجي الشافعي في "الكفاية" - بعد إخراج حديث: 'أنا مدينة العلم وعليّ بابها' بعدّة طرق - قال: هذا حديث حسن عال - إلى أن قال: - قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل عليّ عليه السلام وزيادة علمه وغزارته، وحدّة فهمه، ووفور حكمته، وحسن قضاياه، وصحّة فتواه، وقد كان أبو بكر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام، ويأخذون بقوله في النقض والإبرام، اعترافاً منهم بعلمه، ووفور فضله، ورجاحة عقله، وصحّة حكمه، وليس هذا الحديث في حقّه بكثير؛ لأنّ رتبته عند اللّٰه وعند رسوله وعند المؤمنين من عباده أجلّ وأعلى من ذلك.

[الكفاية: ٢٢٣ - ٢٢٠].

ما قيل من الشعر في هذا المقام

أنشأ ابن حمّاد:

هذا الإمام لكم بعدي يسدّدكم*** رشداً ويوسعكم علماً وآدابا

إنّي مدينة علم اللّٰه وهو لها*** باب فمن رامها فليقصد البابا

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٣٥].

وأنشأ البشنوي:

فمدينة العلم الّتي هو بابها*** أضحى قسيم النّار يوم مآبه

فعدوُّه أشقى البريّة في لظى*** ووليّه المحبوب يوم حسابه

وله أيضاً:

مدينة العلم ما عن بابها عوض*** لطالب العلم إذ ذو العلم مسؤول

وأنشأ الحميري:

من كان باب مدينة العلم الّذي*** ذكر النزول وفسّر الأنباء

مثل عليّ في هذه الأُمّة كمثل عيسى في أُمّته

عن عليّ عليه السلام، قال: قال لي النبيّ صلى الله عليه و آله: 'فيك مَثَل من عيسى أبغضته اليهود حتّى بهتوا أمّه، وأحبّته النصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة الّتي ليس له' الحديث.

فرائد السمطين ١:١٧٢، ح١٣٢.

نظرة في حديث التشبيه

كان الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله ينوّه بفضائل عليّ عليه السلام تصريحاً أو تلميحاً، حقيقة أو مجازاً، ويلاحظ أنّه صلى الله عليه و آله كان حذراً في تشبيهه عليّاً عليه السلام بعيسى؛ لأنّه كان يعلم بأنّه لو صرّح بالقول على سبيل الحقيقة فسيكون ذلك مدعاةً للإفراط في شخصيّة الإمام عليه السلام من جهة محبّيه، ويكون مدعاة للحقد والكراهة من قِبل مبغضيه، وهذا ما يؤدّي بالفريقين إلى الضياع والارتداد عن الدين، ولهذا فإنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يمتنع في مناسبات عديدة عن بيان بعض الحقائق، وهذا الحديث الّذي نحن بصدده يعكس هذه الحقيقة:

عن الشعبي، قال: قال علقمة: تدري ما مثل عليّ في هذه الأُمّة؟ قلت: ما مثله؟ قال: مثله عيسى بن مريم، أحبّه قوم حتّى هلكوا في حبّه، وأبغضه قوم حتّى هلكوا في بغضه.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٥٤، رقم ٧٦٨].

وقد لاحظنا جيّداً أنّه صلى الله عليه و آله لم يتعرّض لفضائل عليّ عليه السلام وكمالاته بشكل صريح ومفصّل؛ لأنّه يبعث على الغلوّ والإفراط، لذا اكتفى صلى الله عليه و آله بتشبيهه بعيسى عليه السلام على وجه الإجمال، ومع هذا فإنّه لم يرق للبعض، كما أدّى بالآخرين إلى الغلوّ والارتداد.

ما هو هدف الرسول من تشبيه عليّ بعيسى

كان لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله هدفان في تشبيه الإمام عليّ عليه السلام بعيسى بن مريم عليه السلام، واللّٰه العالم.

الأوّل: أن يُبيّن للنّاس أنّ عليّاً عليه السلام كعيسى في فضائله ومناقبه، بحيث إنّ كلّ الخصال الّتي يتمثّل بها عيسى عليه السلام هي في عليّ عليه السلام أيضاً، إلا أنّه ليس بنبيّ، كما في حديث المنزلة: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي"، وقد أراد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أن يبيّن أنّ وصيّ النبيّ لا بدّ أن يكون حاملاً لهذه الصفات الّتي ذكرها، والّذي نقله أحمد بن حنبل في مسنده يؤيّد هذه الحقيقة.

فقد روى عن ربيعة بن ناجذ، عن عليّ عليه السلام، قال: "قال لي النبيّ صلى الله عليه و آله: فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتّى بهتوا أُمّه، وأحبّته النصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة الّتي ليس به"، ثمّ قال: "يهلك

فيَّ رجلان، محبّ مفرط يقرّظني بما ليس فيَّ، وبمغض يحمله شنآني على أن يبهتني'. ثمّ قال: 'ألا إنّي لست بنبيّ ولا يوحى إليَّ، ولكنّني أعمل بكتاب اللَّه وسنّة نبيّه صلى الله عليه و آله ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة اللَّه فحقّ عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم'.

[مسند أحمد بن حنبل ١:١٦٠، والإحقاق ٧:٢٨٥].

الثاني: أراد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن يفصح عن خبر غيبي، وهو أنّ النّاس كما افترقوا في عيسى ثلاث فِرق عن مبغض ومحبّ ومعتدل، فكذلك سيفترقون في عليّ عليه السلام.

والفِرق الثلاث الّتي افترقت في عيسى هي: ١ - الفرقة الناجية؛ لأنّهم من أصل الصلاح واعتبروا عيسى عليه السلام نبيّ اللَّه وعبده الصالح. ٢ - طائفة اعتبرت عيسى عليه السلام ابن اللَّه، وهي من طوائف الضلال. ٣ - الطائفة أشارت بالتهمة إلى أُمّه "سلام اللَّه عليها"، وهم الفرقة المفرطة في الضلالة.

والّذي أراده الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله هو أن يبيّن للنّاس ويعلمهم بهذه الحقيقة ليرسم لهم الطريق الصحيح وصفات وصيّه المقبولة واللائقة، وكذا يُبيّن موقفه منه، فهو عليه السلام عبد صالح يتعامل على أساس الحقّ والعدل، ويجعل اللَّه جلّ وعلا نصب عينيه، وليس كما وصفه المفرّطون بأنّه ربّ، ولا كما وقف المبغضون منه موقفهم المشهور حيث وجّهوا السبّ واللعن والشتائم إلى أمير المؤمنين عليه السلام حقداً وكراهية حتّى وصلت التُّهَم الّتي أكالوها إليه إلى وصفه بتارك الصلاة.

وبهذا التشبيه القصير أشار رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى الحقيقة الناصعة الّتي أراد أن يقولها كاشفاً الستار عنها بكلّ وضوح، و نشير فيما يلي إلى بعض الروايات الّتي جاءت في هذا الموضوع:

نبذة من الأخبار الواردة في هذا المجال

١- روى الجويني عن ربيعة بن ناجذ، عن عليّ عليه السلام، قال: 'قال لي النبيّ صلى الله عليه و آله: فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتّى بهتوا أُمّه، وأحبّته النصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة الّتي ليس له، يهلك فيَّ رجلان: محبّ مفرطٌ يُقرّظني بما ليس فيَّ، ومُبغض يحمله شنآني على أن يبهتني'.

[فرائد السمطين ١:١٧٢، ح ١٣٢].

رواه أيضاً عن أبي البختري مثله، إلا أنّه قال: 'يهلك فيَّ رجلان: محبٌّ مفرط، وعدوٌّ مُبغض'.

[المصدر المتقدّم: ١٧٣، ح ١٣٣].

٢- و روى ابن عساكر الشافعي، عن ربيعة بن ناجذ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: 'دعاني رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: إنّ فيك من عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتّى بهتوا أُمّه، وأحبّته

النصارى حتّى أنزلوه بالمنزل الّذي ليس به، ألا وإنّه يهلك فيَّ اثنان: محبّ مطري يُقرّظني بما ليس فيَّ، ومُبغضّ يَحمله شنآني على أن يبهتني ألا وإنّي لست بنبيٍّ، ولا يوحى إليَّ، ولكنّي أعمل بكتاب اللَّه وسنّة نبيّه ما استطعتُ، فما أمرتكم من طاعة اللَّه فحقّ عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم'.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢:٢٣٤، ح٧٣٩].

٣- و عنه أيضاً: عن ربيعة بن ناجذ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام نحوه مع زيادة فيه و قال: 'دعاني النبيّ صلى الله عليه و آله فقال لي: إنّ فيك من عيسى مثلاً، أبغضته اليهود حتّى بهتوا أمّه، وأحبّته النصارى حتّى أنزلوه المنزلة الّتي ليست له'، فقال عليّ عليه السلام: 'ألا وإنّه يهلك فيَّ رجلان: محبّ مطري يطريني بما ليس فيَّ، وباهت مفتر يحمله شنآني على أن يبهتني بما ليس فيَّ، ألا وإنّي لستُ بنبيٍّ يوحى إليَّ، ولكنّي أعمل بكتاب اللَّه مهما استطعتُ وأطقت، فما أمرتُ به من طاعة اللَّه فحقّ عليكم طاعتي، وما أمرت به من معصية اللَّه أنا وغيري، فلا طاعة في معصية اللَّه، الطاعة في معروف، الطاعة في معروف'.

[المصدر المتقدّم: ٢٣٦، ح ٧٤٢].

٤- و عن الخطيب الخوارزمي: بسنده عن الأصبغ، عن عليّ عليه السلام، قال: 'قال النبيّ صلى الله عليه و آله: يا عليّ، إنّ فيك مثل عيسى بن مريم، أحبّه قوم فهلكوا فيه، وأبغضه قوم فهلكوا فيه'. فقال المنافقون: أما يرضى له مثلاً إلا مثل عيسى، فنزل قوله تعالى: 'وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ'.

[المناقب للخوارزمي: ٢٣٣، والآية ٤٧ من سورة الزخرف].

٥- و عنه ايضاً بسنده عن اذينه عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن أبيه عليهم السلام قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ مثلك في امتيّ مثل المسيح عيسى بن مريم، افترق قومه ثلاث فِرق: فِرقة مؤمنون و هم الحواريون، و فرقة عادوه و هم اليهود، و فرقة غلوا فيه فخرجوا عن الايمان و انّ امّتي ستفترق فيك ثلاث فِرق، فرقةٌ شيعتك و هم المؤمنون، و فِرقةٌ اعداؤك و هم الناكثون، و فِرقة غلوا فيك و هم الجاحدون السابقون؛ فانت يا عليّ و شيعتك في الجنّة و محبوّ شيعتك في الجنة و عدُوك و الغالي فيك في النّار'.

[المناقب للخوارزمي: ٣١٩ - ٣١٧].

٦- ما رواه امرتسري الحنفي: بسنده عن عليّ عليه السلام، قال: 'قال لي رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يوم فتحت خيبر: لولا أن تقول فيك من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً، لا تمرّ على ملأ من المسلمين إلا أخذوا تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به، ولكن نصيبك أن تكون منّي وأنا

منك، ترثني وأرثك، وأنتَ منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي، أنت تؤدّي ديني، وتقاتل على سنّتي، وأنت في الآخرة أقرب النّاس منّي، وإنّك غداً على الحوض خليفتي تذود عنه المنافقين، وأنت أوّل مَن يرد علَيّ الحوض، وأنت أوّلُ من دخل الجنّة من أُمّتي، حربك حربي، وسلمك سلمي، وسرّك سرّي، وعلانيتك علانيتي، وسريرة صدرك سريرة صدري' - الحديث.

[أرجح المطالب: ٤٤٨، نقلاً عن الإحقاق ٧:٢٩٥].

٧- و روى الكليني بسنده عن أبي بصير، قال: بينما رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ذات يوم جالساً إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول اللَّه: 'إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم، ولولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملأ من النّاس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة'.

[روضة الكافي: ٤٨، ح ١٨].

٨- عن عليّ بن إبراهيم القمّي بسنده عن سلمان الفارسي، قال: بينما رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جالس في أصحابه إذ قال: 'إنّه يدخل عليكم الساعة شبيه عيسى بن مريم'، فخرج بعض من كان جالساً مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ليكون هو الداخل، فدخل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال الرجل لبعض أصحابه: أما يرضى محمّد أن فضّل عليّاً علينا حتّى يشبّهه بعيسى بن مريم، واللَّه لآلهتنا الّتي كنّا نعبدها في الجاهلية أفضل منه، فأنزل اللَّه في ذلك المجلس: 'وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ'.

[سورة الزخرف: ٥٧].

- إلى أن قال: - ثمّ ذكر اللَّه تعالى خطر أمير المؤمنين عليه السلام وعظم شأنه عنده تعالى، فقال: 'هَذَا صِرَاطٌ مُّستَقِيمٌ'

[سورة الزخرف: ٦٤].

يعني أمير المؤمنين، وقوله: 'فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ' - الحديث.

[تفسير القمّي ٢:٢٨٥، والآية من سورة الزخرف: ٤٣].

٩- روى المجلسي عن "تفسير فرات بن إبراهيم": بسنده عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام، قال: 'قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'يا عليّ، إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم عليه السلام، قال اللَّه تعالى: 'وَإِن مِن أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً'.

[سورة النساء: ١٥٩].

يا عليّ، إنّه لا يموت رجلٌ يفتري على عيسى بن مريم عليه السلام حتّى يؤمن به قبل موته، ويقول فيه الحقّ حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وإنّك على مثله، لا يموت عدوّك حتّى يراك عند الموت فتكون عليه غيظاً وحزناً حتّى يقرّ بالحقّ من أمرك، ويقول فيك الحقّ، ويقرّ بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وأمّا وليّك فإنّه يراك عند الموت فتكون له شفيعاً ومبشّراً وقرّة عين'.

[البحار ٦:١٩٤].

١٠- و عنه أيضاً عن "مسند الموصلي": قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'فيك مثل من عيسى بن مريم، أبغضته اليهود حتّى بهتوا اُمّه، وأحبّته النصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة الّتي ليست له'.

[المصدر المتقدّم ٣٩:٧٤].

قال المفجع:

وله من مراتب الروح عيسى*** رتب زادت الوصيّ مزيّا

مثل ما ضلّ في ابن مريم ضربا*** من المسرفين جهلاً وغيّا

[المصدر المتقدّم، والمناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٦٠].

عليّ و شبه صفاته بصفات الأنبياء

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'من أراد أن ينظر إلى علم آدم، وفقه نوح "في فهمه"... فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب'.

المناقب لابن المغازلي الشافعي: ٢١٢ ح ٢٥٦

و المناقب للخوارزمي: ٨٣ ح ٧٠

نظرة في أحاديث التشبيه

شبّه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً بالأنبياء في موارد ومناسبات متعدّدة، وأمام جمع من الصحابة، والتعبير الّذي تداوله صلى الله عليه و آله في هذا المجال هو: 'من أراد أن ينظر إلى... فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب'.

وبالجملة فإنّه صلى الله عليه و آله شبّهه بآدم في علمه، وبنوح في فهمه وحكمته، وبإبراهيم في خلّته وعلمه، وبموسى في بطشه ومناجاته، وبعيسى في عبادته ونسكه، وبأيّوب في صبره، وبيوسف في جماله، وبداود في قوّته، وبه صلى الله عليه و آله في هداه وحلمه.

قال المحبّ الطبري: تشبيه عليّ عليه السلام بخمسة من الأنبياء، كما عن أبي الحمراء، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده، وإلى موسى في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب".

[ذخائر العقبى: ١٩٣، عبقات الأنوار - الجزء الثاني ٦:٨٨، وراجع: المناقب لابن المغازلي: ٢١٢، ح ٢٥٦، وسيلة المتعبّدين - القسم الثاني ٥:١٦٨، نحوه، فرائد السمطين ١:١٧٠، ح ١٣١، ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب من تاريخ دمشق ٢٨٠: ٢، ح ٨١١، شواهد التنزيل ١:٧٨، ح ١١٦ و ١١٧، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١:٤٤، ح ٢٣ من الفصل الرابع، المناقب للخوارزمي: ٤٠، وغيرها].

قال صاحب "العبقات" ما ملخّصه: فقد شبّه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عليّاً عليه السلام بهؤلاء الخمسة الرسل في اكتسابه عليه السلام للخصال الشريفة من خصالهم: فمن آدم أبي البشر العلم، فإنّ اللّٰه تعالى خصّه بأنّه علّمه الأسماء كلّها، ثمّ أبان فضله بذلك، ونوّه بعلمه حيث عرض على الملائكة أسماء المسمّيات، وطلب منهم إنباءه بأسمائها فعجزوا، وطلب من آدم إنباءهم فأنبأهم عليه السلام بها، فهذه فضيلة من أشرف فضائل آدم الّتي شرّف بها بين الملأ الأعلى.

وشبّهه بنوح عليه السلام في فهمه؛ لأنّه أمره اللّٰه تعالى بصنعة الفلك، وفيها من دقائق الإحكام والإتقان ما لا تحصره الأقلام ولا تدركه الأفهام، وكانت لم تعرف ولا اهتدى إليها فكر قبل ذلك، وكان فيها من الاتقان والبيوت الّتي في جوفها له ولمن معه، والأنعام والوحوش والسباع، واختلافها طولاً وعرضاً كجؤجؤ طائر، وقد جعل اللّٰه الحمل فيها من آياته، حيث قال: "وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ"

[سورة يس: ٤١].

وعدّ الامتنان بها في الذِّكر في عدّة من الآيات، فالمراد فهمه لما أفهمه من صنعتها، ولذلك جعل صنعتها مقيّدة بأعيننا في قوله: "وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا".

[سورة هود: ٣٧].

وقوله صلى الله عليه و آله في حديث التشبيه: "في حكمه" أي في حكمه الناشئ عن حكمه وقوّته وصحّته. ويحتمل أن يكون المراد فهمه العام في صنعة الفلك وغيره ممّا فهمه عن اللّٰه تعالى وٴمره.

وشبّهه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بابراهيم الخليل في حلمه، وهو من أشرف الصفات، ولذلك قيل: ما نعت اللّٰه الأنبياء بأقلّ ما نعتهم بالحلم، وذلك لعزّة وجوده، ولقد نعت اللّٰه به إبراهيم عليه السلام بقوله: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ"

[سورة التوبة: ١١٤].

وقوله: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ".

[سورة هود: ٧٥].

ومن حلمه عليه السلام الّذي تخفّ عنه رواسي الجبال، امتثاله لأمر اللَّه تعالى بذبح ولده عليهماالسلام وإضجاعه وكتفه له، وإمرار المدية على حلقه لولا منع اللَّه لها أن تقطع، فلهذا وصفه اللَّه ووصف ولده بالحلم.

وشبّهه صلى الله عليه و آله بيحيى بن زكريّا عليه السلام في زهده؛ إذ يحيى عليه السلام هو عَلَمُ الزهادة في أبناءِ آدم مَن تأخّر منهم ومن تقدّم، وقد ملئت الكتب باليسير من صفات زهده.

وشبّهه صلى الله عليه و آله بموسى كليم اللَّه في بطشه، وكان موسى عليه السلام شديد البطش، ويكفيك أنّه عليه السلام وكز القبطي فقضى عليه، وأراد البطش بالآخر، وهو في بلد فرعون وتحت يده، وكان بنو إسرائيل أرقّاء في يد فرعون، وكان القبط أهل الصولة والشوكة والدولة.

وشبّهه صلى الله عليه و آله في الحديث الآخر بيوسف في جماله، ويوسف في جماله شمس لا يزيدها الوصف إلا خفاء، فهي أظهر من أن تظهر، وكان عليّ عليه السلام فيه حسن وجمال.

[عبقات الأنوار - الجزء السادس ٦:٨٩].

أنشأ ابن مكّي:

فإن يكن آدم من قبل الورى* نبيّ وفي جنّة عدن داره**

فإنّ مولاي عليّ ذو العلى* من قبله ساطعة أنواره**

تاب على آدم من ذنوبه* بخمسة وهو بهم أجاره**

وإن يكن نوح بنى سفينة* تنجيه من سيل طمى تيّاره**

[طمى الماء: علا. والتيّار - مشدّدة -: موج البحر].

فإنّ مولاي عليّ ذو العلى* سفينة يُنجي بها أنصاره**

وإن يكن موسى رعى مجتهداً* عشراً إلى أن شفه انتظاره**

وسار بعد ضرّه بأهله* حتّى علت بالواديين ناره**

فإنّ مولاي عليّ ذو العلى* زوّجه واختاره مَن يختاره**

وإن يكن عيسى له فضيلة* تدهش من أدهشه انبهاره**

من حملته أمّه ما سجدت*** للات بل شغلها استغفاره

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٢٦٥].

ما المراد من أحاديث التشبيه؟

المراد بالتشبيه هو التمثيل العيني الحقيقي، فمثل قولنا: من أراد أن ينظر إلى أفضل رجل في البلد فلينظر إلى فلان، معناه أنّه عين أفضل رجل في البلد. والعينيّة في أحاديث التشبيه - مارّة الذِّكر - غير ممكنة؛ لأنّ عليّاً عليه السلام ليس آدم أو نوحاً أو عيسى أو... عليهم السلام، فيكون المراد من التشبيه أقرب معانيه إلى العينيّة وهو المساواة، فمعنى أحاديث التشبيه هو: إذا أردت أن ترى عِلم آدم عليه السلام فانظر إلى عِلم عليّ عليه السلام، أي أنّه عليه السلام المساوي والمماثل الحقيقي لآدم في العِلم، والعلوم الّتي كانت متاحة لآدم عليه السلام هي حاصلة لعليّ عليه السلام، وهكذا في فهم نوح وعبادة عيسى و... إلى آخره.

والنقطة الأُخرى الّتي نستشفّها من هذه الأحاديث الشريفة أنّه عليه السلام حاز على أكمل كلّ واحدة من هذه الأوصاف؛ لأنّ علم الرسل أكمل العلوم، وحلمهم أكمل الحلم، وفهمهم أتمّ فهم، وزهادتهم أبلغ زهادة، وبطشهم أقوى البطش، فيكفيك من رجل كمّله اللّٰه بهذه الصفات، وأخبر نبيّه أنّه حازها، وشابه أكمل من اتّصف بها، وأنّ من أراد أن ينظر من كان متّصفاً بها من أُولئك الرسل الأعلون ويشاهده كأنّه حيّ، نظر إلى هذا المتّصف بها.

[عبقات الأنوار - الجزء الثاني ٦:٩١].

ما الهدف من أحاديث التشبيه؟

لمّا كنّا لم نستطع إدراك أسرار الوحي الإلهي ولا رموزه العلميّة، فإنّنا لم نستطع الإحاطة بهدف الرسول الأكرم من بيان أحايث التشبيه، والّذي نقوله في هذا المجال لا يعدو كونه قطرة في البحر أو ذرّة في الوجود، ومثلُ فكري القاصر تجاه علوم أهل البيت عليهم السلام - وباعتباري لم أزل طالباً متواضعاً لعلومهم - أجد من الصعب الغوص في مثل هذه الموضوعات، فما أقوله هو مجرّد حدس واحتمال وتخمين لا أكثر، فلعلّ الهدف المستوصى من أحاديث التشبيه هو ما يلي:

١ - أنّ عليّاً عليه السلام يمتلك كلّ صفات الأنبياء المُثلى، بل إنّه جمع من كلّ نبيّ صفة الكمال الّتي خصّه اللّٰه تعالى بها، ولا شكّ أنّ من يجمع صفات الأنبياء عليهم السلام الكماليّة، لا بدّ أن يكون أتمّ وأكمل وأفضل منهم بعد الرسول صلى الله عليه و آله؛ لأنّ ثمّة علاقة بين أوصاف الأنبياء وبيّن أفضليّتهم على البشر. وإذا كان

الرسول صلى الله عليه و آله قد ذكر خصلة أو خصلتين أو أكثر كما ورد في الأحاديث، فإنّه قد ذكر ذلك من باب التمثيل والنموذج، وإلا فإنّ عليّاً عليه السلام كان متّصفاً بصفات الأنبياء كلّهم.

[في الكافي "١:٣٢٢": عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: 'إنّ في عليّ عليه السلام سنّة ألف نبيّ من الأنبياء، وإنّ العلم الّذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه، والعلم يتوارث'].

٢ - مراد الرسول صلى الله عليه و آله من هذا التشبيه تعيين الخليفة والإمام من بعده، وإنّه عليه السلام يملك الأهليّة لولاية السملمين بما يحمله من صفات الفضيلة.

قال ابن تيميّة في "منهاج السنّة": إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله أفضل الخلق، وكلّ من كان به أشبه فهو أفضل ممّن لم يكن كذلك، والخلافة كانت خلافة نبوّة لم تكن ملكاً، فمن خلف النبيّ صلى الله عليه و آله وقام مقام النبيّ صلى الله عليه و آله كان أشبه بالنبيّ صلى الله عليه و آله، ومن كان أشبه بالنبيّ صلى الله عليه و آله كان أفضل، فمن يخلفه أشبه به عن غيره، والأشبه به أفضل، فالذي يخلفه أفضل.

أقول: يظهر من صدر كلامه: 'من كان أشبه برسول الله صلى الله عليه و آله كان أفضل الخلق، وكانت لمن كان أشبه برسول الله صلى الله عليه و آله'، فلا شكّ بمقتضى أخبار التشبيه أنّ عليّاً عليه السلام هو أشبه برسول الله صلى الله عليه و آله من غيره، فعليّ عليه السلام هو أليق بمقام الخلافة والوصاية لا غيره، والحمد لله على ثبوت المطلوب والمرام على مثل هذا الناصبي المخالف.

أمّا استدلاله بالشبهيّة للخلفاء الثلاثة بقوله: 'فمن خلف النبيّ وقام مقامه صلى الله عليه و آله كان أشبه بالنبيّ" إلى آخره، فهو واضح البطلان؛ إذ ليس خلافة الخلفاء الثلاثة منصوصة من قِبل الله ولا رسوله بإقرارهم، بل كانت خلافة أحدهم بآراء جمع من النّاس في المدينة لا بالنصب، والثاني بنصب الخليفة الأوّل لا بنصب الله ولا رسوله، ونصب الثالث بأكثر الشورى الّتي عيّنها الثاني، فلا يكشف أفضليّتهم عن غيرهم ولا أشبهيّتهم برسول الله صلى الله عليه و آله، نعم من نصبه الله ورسوله للخلافة بالنصّ الصريح، كما ذكرنا في فصول مختلفة، هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ويستفاد من هذه الأخبار أيضاً أنّه عليه السلام هو الأشبه برسول الله لا غيره، فعليّ عليه السلام لائق بالخلافة لا غيره، ولو كان غيره تقمّص مقام الخلافة لا يكون هو الأشبه برسول الله، وهو واضح، فاستدلاله بأفضليّة الخلفاء الثلاث في غير محلّه.

[اقتباس من عبقات الأنوار - الجزء الثاني ٦:٩٧].

نبذة من الأخبار

الأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جدّاً بلغت حدّ التواتر، ذكرها آية اللّٰه ميرسيّد حامد حسين الهندي في كتابه المسمّى ب "عبقات الأنوار"، ونحن نذكر نماذج ممّا ذكره ومن سائر الكتب رعاية للاختصار.

رواية الحسين بن عليّ

روى الصدوق بسنده عن ثابت بن دينار الثمالي، عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: "نظر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ذات يوم إلى عليّ عليه السلام، وقد أقبل وحوله جماعة من أصحابه، فقال: من أراد أن ينظر إلى يوسف في جماله، وإلى إبراهيم في سخائه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى داود في قوّته، فلينظر إلى هذا".

[أمالي الصدوق - المجلس الرابع والتسعون: ح ١١، والبحار ٣٩:٣٥].

رواية أبي ذرّ الغفاري

روى المجلسي عن "الروضة": عن أبي ذرّ الغفاري، قال: بينما ذات يوم من الأيّام بين يدي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؛ إذ قام وركع وسجد شكراً للّٰه تعالى، ثمّ قال: "يا جُندب، من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سياحته

[ساح سياحة: ذهب في الأرض للعبادة والترهّب].

وإلى أيّوب في صبره وبلائه، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل الّذي هو كالشمس والقمر الساري والكوكب الدرّيّ، أشجع النّاس قلباً، وأسخى النّاس كفّاً، فعلى مبغضه لعنة اللّٰه والملائكة والنّاس أجمعين". قال: فالتفت النّاس ينظرونَ مَن هذا المقبل، فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام. [البحار ٣٩:٣٨].

رواية ابن عبّاس

١- وفي "وسيلة المتعبّدين" للملا الأردبيلي: عن ابن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمه، وإلى يوسف في جماله، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب".

[عبقات الأنوار - الجزء الأوّل ٦:٣٢٣].

٢- وعن ابن عبّاس أيضاً قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمه، وإلى يوسف في جماله، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام'.

[عبقات الانوار، جزء ٢ من مجلد ٦ ص ٨٨؛ المناقب لابن شهرآشوب ٢٦٤ - ٢٦٣ :٣].

روايات أُخر عن ابن عبّاس، وأبي هريرة، وابن مسعود، وأنس وغيرهم

١- عن أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني بطريق صحيح، بسنده عن أبي هريرة، وابن بطّة في "الإبانة" بإسناده عن ابن عبّاس، كلاهما عن النبيّ صلى الله عليه و آله، قال: 'من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سمته

[كذا في المصدر و لعله 'في سنّته'].

للّٰه، وإلى محمّد في تمامه وكماله وجماله فلينظر إلى هذا الرجل المقبل'. قال: فتطاول النّاس أعناقهم، فإذا بعليّ كأنّما ينقلب في صبب وينحلّ عن جبل. وتابعهما أنس، إلا أنّه قال: 'وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب'.

[المصدر المتقدّم: ٧٦، ورواه العلامة المجلسي في البحار ٣٥:٣٩، عن "إكمال الدين" بإسناده عن ابن عبّاس].

٢- وفي "البحار" عن "أمالي الشيخ" عن عبداللّٰه بن مسعود، قال: كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله جالساً في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب'.

[البحار ٣٥:٣٩].

٣- وفي العبقات عن "زين الفتى في شرح سورة هل أتى" لأحمد بن محمّد العاصي: بسنده عن أنس، قال: كنّا في بعض حجرات مكّة نتذاكر عليّاً عليه السلام، فدخل علينا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقال: 'أيّها النّاس، من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في شدّته، وإلى عيسى في زهادته، وإلى محمّد وبهائه، وإلى جبرئيل وأمانته، وإلى الكوكب الدرّيّ والشمس الضحى والقمر المضي ء، فليتطاول ولينظر إلى هذا الرجل'، وأشار إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[عبقات الأنوار - الجزء الأوّل ١١٣:٦].

٤- و فيه أيضاً عن "الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء" للوصّابي اليمني الشافعي: عن أنس، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'مَن سرّه أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح فى فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب'.

[المصدر المتقدّم: ٤١٧].

٥- و فيه أيضاً عن "فضائل الصحابة": عن أنس، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام'.

[المصدر المتقدّم: ٤٣٥].

٦- فيه أيضاً عن كتاب "السنّة" لابن شاهين: عن أبي سعيد الخدري، قال: كنّا حول النبيّ صلى الله عليه و آله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأدام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله النظر إليه، ثمّ قال: 'من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمه، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى هذا'، يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[المصدر المتقدّم: ١٣٠].

٧- و فيه أيضاً عن "معجم الأُدباء" لأبي عبداللَّه ياقوت الحموي البغدادي: بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو في محفل من أصحابه: 'إن تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في همّه

[كذا في المصدر و الصحيح 'في فهمه'].

وإبراهيم في خُلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنّته، ومحمّد في هديه وحلمه، فانظروا إلى هذا المقبل'، فتطاول النّاس فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[المصدر المتقدّم: ١٦].

٨- و عن الجويني و غيره عن أبي الحمراء، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب'.

[فرائد السمطين ١:١٧٠، ح ١٣١، والبحار ٣٩:٣٩، وعبقات الأنوار - الجزء الأوّل ٦:٣١٣، وفي ص٤٢١ و ٤٢٩ عن الأربعين لجمال الدين المحدّث].

٩- وفي "الخصائص العلويّة" لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم النطنزي: عن أبي الحمراء مولى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، قال: كنّا حول النبيّ صلى الله عليه و آله فطلع عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'مَن سرّه أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلّته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب'.

[المصدر المتقدّم: ٢٦٨، وفي ص٢٧٦ رواه عن المناقب للخوارزمي، و الأحقاق ٣٩٢:٤].

١٠- و روى الاربلي و غيره عن الحارث الأعور، صاحب راية عليّ عليه السلام، قال: بلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان في جمع من أصحابه فقال: 'أُريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته'؟ فلم يكن بأسرع من أن طلع عليّ عليه السلام فقال أبو بكر: يا رسول اللّٰه، أقستَ رجلاً بثلاثةمن الرُّسل، بخٍ بخٍ لهذا الرجل، من هو، يا رسول اللّٰه؟! قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'ألا تعرفه، يا أبا بكر؟'. قال: اللّٰه ورسوله أعلم، قال: 'أبو الحسن عليّ بن أبي طالب'. قال أبو بكر: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن، وأين مثلك يا أبا الحسن.

[كشف الغمّة - باب ترجمة المناقب ١٥٣:١، والبحار ٣٩:٣٩، و رواه في العبقات الجزء الأوّل ٣٣٣:٦].

عليّ مع القرآن والقرآن معه

قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا علَيّ الحوض'.

ينابيع المودّة: ٩٠ و كشف الغمّة - باب المناقب ١٩٩:١.

نظرة في الحديث

من الفضائل الخاصّة بعليّ عليه السلام قول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فيه: 'عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض'.

[مستدرك الحاكم ١٢٤:٣، كنز العمّال ٦٠٣:١١].

لقد كان عليّ عليه السلام منذ بداية نزول الوحي إلى جنب رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ولم يفارقه في حالة إلا موارد بإذنه مثل ليلة المبيت، وغزوة تبوك، والبعث إلى اليمن، وكان ما زال حامياً وناصراً لرسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وحتّى لحظة وفاة رسول اللّٰه كان رأسه صلى الله عليه و آله في حجره عليه السلام، فعلّمه ألف باب من العلم، ينفتح له من كلّ باب ألف باب، وكان طبيعيّاً أنّه أعلم النّاس بعد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله بخصوصيّات الوحي من ساعات النزول ودقائقه، ومن أنّه نزل في الليل أو النهار، في السهل أو

الجبل، في الحضر أو السفر، وعلى من، ولمن نزل، ويعلم ناسخه ومنسوخه، وعامّه وخاصّه، وظاهره ومتشابهه، وهو يعلم إعرابه وترتيب نزوله... خصوصاً أنّه صلى الله عليه و آله وصّاه بجمع القرآن حتّى لا يضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة.

وأيضاً فقد أملاه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على عليّ عليه السلام وهو يكتبه، ودعا اللَّه تعالى له عليه السلام أن يعلّمه فهمه وحفظه، واستجاب اللَّه دعاءه صلى الله عليه و آله فصار عليه السلام حافظاً للقرآن، وعالماً بمفاهيمه.

وأدلّ دليل وشاهد على ذلك حديث الثقلين قوله صلى الله عليه و آله: 'إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه، وعترتي'، فإنّ عليّاً عليه السلام جعل في هذا الحديث عدل القرآن.

[ذكرناه في فصل "عليّ عليه السلام وحديث الثقلين"، فلاحظه].

ومع كلّ هذا هل يصلح أحد للإمامة والخلافة وإقامة أحكام القرآن والوحي بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وتفسيره غير عليّ عليه السلام؟

وعليّ هو الركن الركين للإسلام كما أنّ القرآن كذلك، وهو العارف بظاهر القرآن وباطنه، لذا ورد في "الكافي": بسنده، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: 'ما يستطيع أحدٌ أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه، ظاهره وباطنه، غير الأوصياء'. [أُصول الكافي ١:٢٢٨].

و الاوصياء، عليّ عليه السلام أوّلهم و المهدي من هذه الامّة آخرهم، فروى الكليني قدس سره بسنده و عن بريد بن معاوية، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: 'قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ'؟ [سورة الرعد: ٤٣].

قال: 'إيّانا عنى، وعليّ أوّلنا، وأفضلنا، وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه و آله'. [أُصول الكافي ١:٢٢٩].

نبذة من الأخبار في الباب

١- روى العلامة الأربلي عن ثابت مولى أبي ذرّ، قال: شهدت مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل، فلمّا رأيت عائشة واقفة دخلني من الشكّ بعض ما يدخل النّاس، فلمّا زالت الشمس كشف اللَّه ذلك عنّي، فقاتلت مع أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ أتيت بعد ذلك أُمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه و آله فقصصت عليها قصّتي، فقالت: كيف صنعت حيث طارت القلوب مطائرها؟ قال: قلت: إلى أحسن ذلك، والحمد للَّه كشف اللَّه ذلك عنّي عند زوال الشمس، فقاتلت مع أمير المؤمنين عليه السلام قتالاً شديداً. قالت: أحسنتَ، سمعتُ

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: 'عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا علَيّ الحوض'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٥٣٥. وروى نحوه القندوزي في "ينابيع المودّة" ص٦٠، وكذا الحاكم في المستدرك ٣:١٢٤، وأخطب خوارزم في المناقب: ١٠٧].

٢- و رواه أيضاً عن شهر بن حوشب، قال: كنت عند أُمّ سلمة فسلّم رجلٌ. فقيل: مَن أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذرّ، قالت: مرحباً بأبي ثابت ادخل، فدخل، فرحّبت به وقالت: أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: مع عليّ بن أبي طالب، قالت: وُفّقت والّذي نفس أُمّ سلمة بيده، سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: 'عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض'، ولقد بعثت ابني عمرو وابن أخي عبداللَّه بن أبي أُميّة، وأمرتهما أن يقاتلا مع عليّ من قاتله، ولولا أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أمرنا أن نقرّ في حجالنا

[الحجلة: واحدة حجال العروس، وهي بيت يزيّن للعروس].وفي بيوتنا لخرجت حتّى أقف في صفّ عليّ عليه السلام. [المصدر المتقدّم ١:١٩٩].

٣- وروى أحمد بن حجر الهيثمي الشافعي في رواية: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال في مرض موته: 'أيّها النّاس، يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا أنّي مخلّف فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي'. ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعهما، فقال: 'هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا علَيّ الحوض، فاسألوهما ما خلّفت فيهما'.

[الصواعق المحرقة: ٧٥، نقلاً عن الفضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٢:١٢٦، ورواه الامرتسري الحنفي في أرجح المطالب: ٣٤٠ وص٥٩٨ عن أُمّ سلمة، نقلاً عن الإحقاق ٥:٦٤٥].

قتال عليّ على تأويل القرآن كما قاتل رسول اللّٰه على تنزيله

ورد في الأخبار من العامّة والخاصّة: أنّ عليّاً عليه السلام يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله على تنزيله، وفيما يلي نذكر بعضها:

١- روى ابن عساكر: بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: "إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله"، فقال أبو بكر: أنا يا رسول اللّٰه؟ قال: "لا"، قال عمر: أنا؟ قال رسول اللّٰه: "لا، ولكنّه خاصف النعل"، وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها".

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٣:١٢٨، ح ١١٧٠].

٢- و رواه أيضاً: عن عبدالرحمن بن بشير، قال: كنّا جلوساً عند رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إذ قال: "ليضربنّكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله"، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول اللّٰه؟ قال: "لا"، قال عمر: أنا هو يا رسول اللّٰه؟ قال: "لا، ولكن صاحب النعل". قال الراوي: فانطلقنا فإذا عليّ عليه السلام يخصف نعل رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في حجرة عائشة فبشّرناه.

[المصدر المتقدّم: ١٣٦، ح ١١٧٩].

٣- و رواه ايضاً: بسنده عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، قال: سمعت أبا سعيد الخدري، قال: كنّا جلوساً ننتظر رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، فقمنا معه نتمشّى، فانقطع شسع نعله، فأخذها عليّ عليه السلام فتخلّف عليها ليصلحها، فقام رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فقمنا معه ننتظره ونحن قيام، وفي القوم يومئذٍ أبو بكر وعمر، فقال صلى الله عليه و آله: "إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله"، فاستشرف لها أبوبكر وعمر، فقال: "لا، ولكنّه صاحب النعل". قال أبو سعيد: وأتيته لأبشّره بها، فكأنّه لم يرفع به رأساً، كأنّه شي ء قد سمعه قبل.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:١٦٧، ح ١١٨٢].

علم عليّ بالقرآن

قال الشارح المعتزلي: اتّفق الكلّ على أنّ عليّاً عليه السلام كان يحفظ القرآن على عهد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ولم يكن غيره يحفظه. [شرح ابن أبي الحديد ١:٢٧].

١- و في "تفسير البرهان والعيّاشي": عن سليم بن قيس، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "ما نزلت آية على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله إلا أقرأنيها وأملاها علَيّ فأكتبها بخطّي، وعلّمني تأويلها

وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا اللَّه لي أن يعلّمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب اللَّه، ولا علماً أملاه علَيّ، فكتبته منذ دعا لي ما دعا، وما ترك شيئاً علّمه اللَّه من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو لا يكون من طاعة أو معصية إلا علّمنيه وحفظته، فلم أنس منه حرفاً واحداً، ثمّ وضع يده على صدري ودعا اللَّه أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمة ونوراً، لم أنس شيئاً، ولم يفتني شي ء لم أكتبه، فقلتُ: يا رسول اللَّه، أوَتخوّفتَ علَيّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لستُ أتخوّف عليك نسياناً وجهلاً، وقد أخبرني ربّي أنّه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يا رسول اللَّه، ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم اللَّه بنفسه وبي، فقال: الأوصياء منّي إلى أن يردوا علَيّ الحوض كلّهم هادٍ مهتدٍ، لا يضرّهم من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه، بهم تنصر أُمّتي، وبهم يمطرون، وبهم يدفع عنهم، وبهم استجاب دعاءهم، فقلت: يا رسول اللَّه، سمّهم لي؟ فقال: ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسن -، ثمّ ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسين -،...' - الحديث.

[تفسير البرهان ١:١٦، وتفسير العيّاشي ١:١٤].

٢- وروى القندوزي الحنفي، بسنده، قال: قال عليّ عليه السلام: "لو شئت لأوقرت من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً".

[ينابيع المودّة: ٦٥].

٣- ورواه أيضاً عن "المناقب"، قال: ولمّا أراد أهل الشام أن يجعلوا القرآن حكماً بصفّين، قال الإمام عليّ عليه السلام: 'أنا القرآن الناطق'.

[المصدر المتقدّم: ٦٩].

٤- ورواه أيضاً عن أبي الطفيل، قال: قال عليّ عليه السلام: 'سلوني عن كتاب اللَّه، فإنّه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار، أم في سهل أم في جبل'.

[المصدر المتقدّم: ٧٠].

٥- وقال ابن مسعود: نزل القرآن على سبعة أحرف له ظهر وبطن، وعند عليّ عليه السلام علم القرآن ظاهره وباطنه.

[المصدر المتقدّم: ٧٠].

٦- وفي "تفسير العيّاشي" و "بصائر الدرجات" للصفّار: عن الأصبغ بن نباتة، قال: لمّا قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة، صلّى بهم أربعين صباحاً يقرأ بهم 'سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى'، فقال المنافقون: لا واللّه ما يحسن ابن أبي طالب أن يقرأ القرآن، ولو أحسن أن يقرأ القرآن لقرأ بنا غير هذه السورة.

قال: فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام، فقال: 'ويل لهم إنّي لأعرف ناسخه من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وفصله من فصاله، وحروفه من معانيه، واللّه ما من حرف نزل على محمّد صلى الله عليه و آله إلا إنّي أعرف فيمن أنزل؟ وفي أيّ يوم؟ وفي أيّ موضع؟ ويل لهم أما يقرؤون: 'إِنَّ هذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى'

[سورة الأعلى: ١٨ و ١٩].

و اللّه عندي ورثتهما من رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وورثها رسول اللّه صلى الله عليه و آله من إبراهيم وموسى عليهماالسلام، ويل لهم. واللّه أنا الّذي أنزل اللّه فيّ: 'وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ'

[سورة الحاقّة: ١٢].

فإنّما كنّا عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله فيخبرنا بالوحي فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً'.

[تفسير العيّاشي ١: ١٤، بصائر الدرجات: ١٥٥، ح ٣].

اوصى رسول اللّه عليّاً بجمع القرآن

يستفاد من النصوص المأثورة أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أوصى عليّاً عليه السلام بجمع القرآن حتّى لا تمسّه يد الدسّ والتضييع ويبقى بين الدفّتين، كما نزل بلا زيادة ولا نقيصة، ولا يبتلى بالتحريف كما ابتُليت التوراة والإنجيل، وفي ذلك أخبار نتعرّض لبعض منها:

١- روى عليّ بن إبراهيم القمّي عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال: "إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ، القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة، فانطلق عليّ عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر، ثمّ ختم عليه في بيته، وقال: لا أرتدي حتّى أجمعه، فإنّه كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتّى جمعه. قال: وقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: لو أنّ النّاس قرأوا القرآن كما أنزل اللّه ما اختلف اثنان'.

[تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي ٢: ٤٥١، والبحار ٩٢: ٤٨].

٢- وروى ابن شهرآشوب عن أبي رافع: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال في مرضه الّذي توفّي فيه لعليّ عليه السلام: "يا عليّ، هذا كتاب اللّه خذه إليك"، فجمعه عليّ عليه السلام في ثوب، فمضى إلى منزله، فلمّا قبض النبيّ صلى الله عليه و آله جلس عليّ عليه السلام فألّفه كما أنزله اللّه وكان به عالماً.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٤١، والبحار ٩٢:٥١].

٣- و رواه أيضاً عن أبي العلاء العطّار، والموفّق خطيب خوارزم في كتابيهما، بالإسناد عن عليّ بن رباح: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أمر عليّاً عليه السلام بتأليف القرآن، فألّفه وكتبه. [المناقب لابن شهرآشوب ٢:٤١، والبحار ٩٢:٥١].

ان عليّاً أوّل من جمع القرآن بعد وفاة رسول اللّه

إنّ أوّل مَن تصدّى لجمع القرآن بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه و آله هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه قعد في بيته مشتغلاً بجمع القرآن وترتيبه على ما نزل مع شروح وتفاسير للمواضع المبهمة من الآيات، وبيان أسباب النزول، ومواقع النزول، وبيان الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، حتّى أكمله على هذا النمط البديع.

قال الشارح المعتزلي: هو "عليٌّ عليه السلام" أوّل من جمع القرآن، نقلوا كلّهم أنّه تأخّر عن بيعة أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنّه تأخّر مخالفة للبيعة

[والحقّ عندنا أنّه تأخّر مخالفة للبيعة، وفي فترة تأخّره - الّتي طالت ستّة أشهر - جمع القرآن].

بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن، فهذا يدلّ على أنّه أوّل من جمع القرآن؛ لأنّه لو كان مجموعاً في حياة رسول اللّه صلى الله عليه و آله لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه و آله.

وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمّة القرّاء كلّهم يرجعون إليه عليه السلام، كأبي عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النجود، وغيرهما؛ لأنّهم يرجعون إلى أبي عبدالرحمن السلمي القاري، وأبو عبدالرحمن كان تلميذ عليّ عليه السلام، وعنه عليه السلام أخذ القرآن، فقد صار هذا الفنّ من الفنون الّتي تنتهي إليه أيضاً.

[شرح ابن أبي الحديد ١:٢٧].

قال سليم بن قيس: فلمّا رأى غدرهم وقلّة وفائهم له لزم بيته، وأقبل على القرآن أن يؤلّفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتّى جمعه، وكان في الصحف والشظاظ والأسيار والرقاع. فلمّا جمعه كلّه وكتبه بيده، تنزيله وتأويله، والناسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبوبكر أن اخرج فبايع، فبعث إليه عليّ عليه السلام: "إنّي لمشغول، وقد آليت على نفسي يميناً أن لا أرتدي رداءً إلا للصلاة حتّى أُؤلّف القرآن وأجمعه".

فسكتوا عنه أيّاماً، فجمعه في ثوب واحد وختمه، ثمّ خرج إلى النّاس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فنادى عليّ عليه السلام بأعلى صوته: "أيّها النّاس، إنّي لم أزل منذ قُبض رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مشغولاً بغسله، ثمّ بالقرآن حتّى جمعته كلّه في هذا الثوب الواحد، فلم ينزل اللَّه على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله آية إلا وقد جمعتها، وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسولُ اللَّه وعلّمني تأويلها"، ثمّ قال لهم عليّ عليه السلام: "لئلا تقولوا غداً: إنّا كنّا عن هذا غافلين". ثمّ قال لهم عليّ عليه السلام: "لا تقولوا يوم القيامة: إنّي لم أدعكم إلى نصرتي، ولم أُذكّركم حقّي، ولم أدعكم إلى كتاب اللَّه من فاتحته إلى خاتمته".

فقال له عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إليه، ثمّ دخل عليّ عليه السلام بيته. [كتاب سليم بن قيس: ٣٢، طبع مؤسّسة البعثة].

ان عليّاً يتولى جمع القرآن

١- في "المناقب" لابن شهرآشوب: عن أبي نعيم في الحلية، والخطيب في "الأربعين": بالإسناد عن السدّي، عن عبد خير، عن عليّ عليه السلام، قال: "لمّا قبض رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أقسمت - أو حلفت - أن لا أضع ردائي عن ظهري حتّى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت رداي حتّى جمعت القرآن".

[المصدر المتقدّم: ٤١، والبحار ٩٢:٥٢].

٢- وروى السيوطي عن ابن سيرين، قال: قال عليّ عليه السلام: "لمّا مات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله آليت ألا آخُذَ علَيّ ردائي إلا لصلاة جمعة حتّى أجمع القرآن"، فجمعه.

[الاتقان في علوم القرآن ١:١٨٣].

٣- و قال ابن شهر آشوب و في أخبار أهل البيت عليهم السلام: أنّ عليّاً عليه السلام آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلاة حتّى يؤلّف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدّة إلى أن جمعه، ثمّ خرج إليهم به في إزار يحمله، وهم مجتمعون في المسجد، فأنكروا مصيره بعد انقطاع مع إلبته، فقالوا: الأمر ما جاء به أبو الحسن، فلمّا توسّطهم وضع الكتاب بينهم، ثمّ قال: "إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: إنّي مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب اللَّه، وعترتي أهل بيتي، وهذا الكتاب، وأنا العترة"، فقام إليه الثاني فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله فلا حاجة لنا فيكما، فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به بعد أن ألزمهم الحجّة.

[المناقب لابن شهرآشوب ٢:٤١، والبحار ٩٢:٥٢].

٤- وفي خبر طويل عن الصادق عليه السلام: "أنّه حمله وولّى راجعاً نحو حجرته، وهو يقول: "فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ"، ولهذا قال ابن مسعود: إنّ عليّاً عليه السلام جمعه وقرأ به، فإذا قرأ فاتّبعوا قراءته.

[المصدر المتقدّم بعينه، والآية من سورة آل عمران: ١٨٧].

٥- وروى ابن عبدالبرّ المالكي عن محمّد بن سيرين، قال: نبّئت أنّ عليّاً عليه السلام أبطأ عن بيعة أبي بكر، فقال: أكرهت إمارتي؟ فقال: "آليت بيميني أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتّى أجمع القرآن".

قال: فزعموا أنّه كتبه على تنزيله، قال محمّد: فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم.

[الاستيعاب بهامش الإصابة ٢:٢٥٣].

٦- قال ابن جزي الكلبي: كان القرآن على عهد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله مفرّقاً في الصحف وفي صدور الرجال، فلمّا توفّي صلى الله عليه و آله جمعه عليّ بن أبي طالب على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنّه لم يوجد.

[التسهيل لعلوم التنزيل ١:٤، نقلاً عن التمهيد ١:٢٢٦].

٧- و روى الكليني بسنده عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "ما ادّعى أحد من النّاس أنّه جمع القرآن كلّه كما أنزل اللّٰه إلا كذّاب، وماجمعه وحفظه كما نزّله اللّٰه، إلا عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من بعده عليهم السلام.

[أُصول الكافي ١:٢٢٨].

وبالجملة فكلّ من ادّعى غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه جمع القرآن فهو كذّاب، وقوله زخرف وباطل.

ولا يخفى أنّه عليه السلام جمع القرآن في ستّة أشهر بعد وفاة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، كما جاء في بعض الروايات والأخبار.

اوصاف مصحف عليّ

لا شك انّ مصحف عليّ عليه السلام كان مشتملاً على جميع ما يحتاج اليه الأُمّة الى يوم القيامة. قال المحقّق الخبير الشيخ هادي معرفة امتاز مصحف عليّ عليه السلام بامور:

أوّلاً: بترتيبه الموضوع على ترتيب النزول، الأوّل فالأوّل، في دقّة فائقة.

ثانياً: إثبات نصوص الكتاب كم هي من غير تحوير أو تغيير أو أن تشذّ منه كلمة أو آية.

ثالثاً: إثبات قراءته كما قرأه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حرفاً بحرف.

رابعاً: اشتماله على توضيحات وبيان المناسبة الّتي استدعت نزول الآية، والمكان الّذي نزلت فيه، والساعة الّتي نزلت فيها، والأشخاص الذين نزلت فيهم.

خامساً: اشتماله على الجوانب العامّة من الآيات، بحيث لا تخصّ زماناً ولا مكاناً ولا شخصاً خاصّاً، فهي تجري كما تجري الشمس والقمر، وهذا هو المقصود من التأويل - في قوله عليه السلام -: 'ولقد جئتهم بالكتاب مشتملاً على التأويل والتنزيل'.

[تفسير آلاء الرحمن ١:٢٥٧].

فالتنزيل هو المناسبة الّتي استدعت النزول، والتأويل هو بيان المجرى العامّ.

كان مصحف عليّ عليه السلام مشتملاً على كلّ هذه الدقائق الّتي أخذها عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من غير أن ينسى منها شيئاً، أو يشتبه عليه شي ء.

[التمهيد ١:٢٢٩].

و في "تفسير البرهان والعيّاشي": عن سليم بن قيس الهلالي، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: 'ما نزلت آية على رسول اللّٰه إلا أقرأنيها وأملاها علَيّ فأكتبها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا اللّٰه لي أن يعلّمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب اللّٰه، ولا علماً أملاه علَيّ فكتبته منذ دعا لي ما دعا' - الحديث. [تفسير البرهان ١:١٦، وتفسير العيّاشي ١:١٤].

مصحف عليّ يتوارثه أوصياؤه الأئمّة من بعده

لا يخفى أنّ مصحف عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع تلك الخصوصيات من ذكر كلّ ما تحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيامة، وكونه مكتوباً بإملاء رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وخطّ عليّ عليه السلام، وأنّ فيه كلّ حدّ حتّى أرش الخدش، وفيه بيان الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وأسباب النزول، لا يكون في أيدينا، بل يكون عند الأئمّة عليهم السلام من بعده عليه السلام، حتّى قيام قائمهم عجّل اللّٰه فرجه، وسهّل اللّٰه مخرجه، وفي الباب روايات نذكر بعضها:

١- ففي زمن عثمان، حيث اختلفت المصاحف، وأُثيرت ضجّة بين المسلمين سأل طلحة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يخرج للنّاس مصحفه الّذي جمعه بعد وفاة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، وأتى به إلى القوم فرفضوه، ثمّ قال طلحة: فأخبرني عمّا في يديك من القرآن، وتأويله، وعلم الحلال والحرام إلى من تدفعه ومن صاحبه بعدك؟

قال: "إلى الّذي أمرني رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أن أدفعه إليه، وصيّي وأولى النّاس بعدي بالنّاس، ابني الحسن، ثمّ يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين، ثمّ يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين حتّى يرد آخرهم على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حوضه، هم مع القرآن لا يفارقونه، والقرآن معهم لا يفارقهم" - الحديث.

[بحار الأنوار ٩٢:٤٢].

٢- و في "البحار": عن أبي ذرّ الغفاري رضى الله عنه، قال: إنّه لمّا توفّي رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله جمع عليّ عليه السلام القرآن، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار، وعرضه عليهم، كما قد أوصاه بذلك رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، فلمّا فتحه أبو بكر خرج في أوّل صفحة فتحها فضائح القول [هذا من تفسير القرآن وتأويله].

فوثب عمر وقال: يا عليّ، أردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليّ عليه السلام وانصرف، ثمّ أحضروا زيد بن ثابت - وكان قارئاً للقرآن - فقال له عمر: إنّ عليّاً جاء بالقرآن وفيه فضائح... وقد رأينا أن نؤلّف القرآن... فأجابه زيد إلى ذلك، وساق الكلام إلى قوله: فلمّا استخلف عمر، سأل عليّاً عليه السلام أن يدفع إليهم القرآن... فقال: يا أبا الحسن، إن جئت بالقرآن الّذي كنت جئت به إلى أبي بكر حتّى نجمع عليه؟! فقال عليّ عليه السلام: "هيهات، إنّما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجّة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا ما جئتنا به، إنّ القرآن الّذي عندي لا يمسّه إلا المطهّرون، والأوصياء من ولدي"، فقال عمر: فهل وقت لإظهاره معلوم؟ قال عليّ عليه السلام: "نعم، إذا قام القائم من ولدي يُظهره ويحمل النّاس عليه فتجري السنّة عليه".

[البحار ٩٢:٤٣].

المصاحف المكتوبة بعد مصحف عليّ وأمدها

اعلم أنّ القرآن لم يُجمع في عهد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله في مصحف واحدٍ مع أنّه كان موضع اهتمامه وعنايته المباشرة، لِما كان يترقّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته أو لغير ذلك من المصالح، فكان القرآن في رقاع متفرّقة وفي صدور الرجال.

في "الاتقان في علوم القرآن": بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قُبض النبيّ ولم يكن القرآن جمع في شي ء.

[الاتقان في علوم القرآن ١:١٨١].

فلمّا انقضى نزوله بوفاة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قام جمع من كبار الأصحاب على تأليف القرآن وجمع سُوَرِه بين دفّتين، كلٌّ بنظم وترتيب خاصّ، وكان يُسمّى مصحفاً.

وفيه أيضاً عن ابن بريدة أنّه قال: أوّل من جمع القرآن

[قد مرّ آنفاً أنّ عليّ بن أبى طالب آلى على نفسه ألا يرتدي رداءهُ حتّى يجمع القرآن، وجمعه ولكنّ السلطة رفضت مصحف عليّ عليه السلام، فمصحف سالم كان بعد رفض مصحف عليّ عليه السلام وقد جاء في ذيل الرواية: إسناده منقطع، وهو محمول على أنّه كان أحد الجامعين "راجع: الاتقان ١:١٨٤"].

في مصحف سالم مولى أبي حذيفة... ثمّ ائتمروا

[أي تشاوروا].

ما يسُمّونه؟ فقال بعضهم: سمّوه السِّفر، قال: ذلك اسم تسمّيه اليهود، فكرهوا، فقال: رأيت مثله بالحبشة يُسمّى المصحف، فاجتمع رأيهم على أنّ يُسمّوه المصحف.

[المصدر المتقدّم: ١٨٤].

وهكذا قام بجمع القرآن على ما قالوا: ابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وأبو موسى الأشعري، والمقداد بن الأسود، ومعاذ بن جبل.

وحاز بعض هذه المصاحف مقاماً رفيعاً في المجتمع الإسلامي آنذاك، فكان أهل الكوفة يقرؤون على مصحف عبداللّٰه بن مسعود

[الآيات موجودة فيها بلا نقيصة ولا زيادة، بل الاختلاف في ترتيب السور أو الآيات والقراءة وغيرهما].

وأهل البصرة يقرؤون على مصحف أبي موسى الأشعري، وأهل الشام على مصحف أُبيّ بن كعب، وأهل دمشق على مصحف المقداد.

[الكامل في التاريخ ٢:٢٥٠].

ولمّاكان جامعو المصاحف متعدّدين ومتباعدين، ومختلفين في الكفاءة والمقدرة والاستعداد، ولم يكن ما جمعه أحدهم يتّفق تماماً مع ما جمعه آخرون... كانت طبيعة الحال تقتضي اختلاف تلكم المصاحف أُسلوباً وترتيباً وقراءةً وغيرها. وهذا الاختلاف كان بلا شكّ يستدعي اختلافاً بين النّاس، فربّما كان المسلمون يجتمعون في غزوة أو احتفال وهم من أقطار متباعدة، فيقع بينهم نزاع وجدال وإنكار أحدهم على الآخر، فيما يتعصّبون له من مذهب أو عقيدة أو رأي.

[ذكر في التمهيد ١:٢٧٧: نماذج من اختلاف العامّة على المصاحف فيما تعصّبوا له من قراءات أصحابها].

وعندما رجع حذيفة بن اليمان من غزوة أرمينية، ناقماً اختلاف النّاس في القرآن، استشار من كان بالكوفة من صحابة الرسول صلى الله عليه و آله بشأن معالجة القضيّة قبل تفاهم الأمر، فكان رأيه حمل عثمان على أن يقوم بتوحيد نسخ المصاحف وإلجاء النّاس على قراءة واحدة، فاتّفقت كلمة الصحابة على صواب هذا الرأي.

[انظر الكامل في التاريخ ٢:٢٥١، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت].

ومن ثمّ أزمع في الأمر وسار إلى المدينة يستحثّ عثمان على إدراك أمّة محمّد صلى الله عليه و آله قبل تفرّقها. فقال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت مرج أرمينية، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أُبيّ بن كعب، ويأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة ابن مسعود، ويأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفّر بعضهم بعضاً؟

ومن ثمّ جمع عثمان أصحاب الرسول من كان حاضراً بالمدينة واستشارهم في الأمر، فلم يكن منهم سوى اتّفاقهم على ضرورة القيام به مهما كلّف الأمر، قال ابن الأثير: فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة.

[انظر في هذا المجال: الاتقان في علوم القرآن ١:١٨٧، وصحيح البخاري ٦:٥٨١، باب جمع القرآن "٥٧٢"، والكامل في التاريخ ٢:٢٥٠، والمصاحف: ٩١، والتمهيد ١:٢٨٠].

لجنة توحيد المصاحف

وأخيراً أسّس لجنة من أربعة من الصحابة: زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن هشام، وكانت لزيد بن ثابت رئاستهم، لكن هؤلاء الأربعة لم يستطيعوا القيام بصميم الأمر، ومن ثمّ استعانوا بأُبيّ بن كعب، ومالك بن أبي عامر، وكثير بن أفلح، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عبّاس، ومصعب بن سعد، وعبدالله بن فطيمة إلى تمام الاثني عشر، وفي هذا الدور كانت رئاسة القوم مع أُبيّ بن كعب، فكان هو يملي عليهم ويكتب الآخرون.

قال أبو العالية: إنّهم جمعوا القرآن من مصحف أُبيّ بن كعب، فكان رجال يكتبون، ويملي عليهم أُبيّ بن كعب.

[انظر: المصاحف: ٣٠، والاتقان في علوم القرآن ١:١٨٧، والتمهيد في علوم القرآن ١:٢٨٢].

وفي "فتح الباري" لابن حجر قال: وكأنّ ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد حيث سأل عثمان: مَن أكتَبُ النّاس؟ قالوا: زيد، ثمّ قال: فأيّ النّاس أفصح؟ قالوا: سعيد، فقال: فليمل سعيد، وليكتب زيد.

[فتح الباري ٩:١٧، وقال المحقّق الشيخ هادي معرفة "في هامش التمهيد ١:٢٨٢": جاء ذلك في رواية مصعب بن سعد، لكن في صحّة ما تضمّنته الرواية من فحوى، كلام ونقاش].

قال ابن حجر: ثمّ احتاجوا إلى من يساعدهم في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف الّتي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذكر، ثمّ استظهروا بأُبيّ بن كعب في الإملاء.

[المصدر المتقدّم، وراجع: الطبقات ٣:٦٢، وتهذيب التهذيب ١:١٨٧].

عدد المصاحف الموحّدة الّتي أُرسلت إلى البلاد في عهد عثمان

اختلف المؤرّخون في عدد المصاحف الموحّدة الّتي أُرسلت إلى الآفاق. قال أبو داود: كانت ستّة حسب الأمصار المهمّة ذوات المركزيّة الخاصّة: مكّة، والكوفة، والبصرة، والشام، والبحرين، واليمن، وحبس السابعة - وكانت تسمّى الأُمّ أو الإمام - بالمدينة.

[المصاحف: ٣٤].

وزاد اليعقوبي: مصر والجزيرة، وصار عددها تسعة، واحدة بالمدينة، وهي الأُمّ أو الإمام، والبقيّة أُرسلت إلى مراكز البلاد الإسلاميّة.

[تاريخ اليعقوبي ٢:١٦٠].

وكان المصحف المبعوث إلى كلّ قطر يحتفظ به في مركز القطر ويستنسخ عليه، ويرجع إليه عند اختلاف القراءة، ويكون هو الحجّة، والقراءة الّتي توافقها تكون هي الرسميّة، وكلّ نسخة أو قراءة تخالفها تعدّ غير رسميّة وممنوعة، يعاقب عليها، أمّا مصحف المدينة "الأُمّ أو الإمام" فكان مرجعاً للجميع بصورة عامّة حتّى إذا كان اختلاف بين مصاحف الأمصار، فإنّ الحجّة هو المصحف الإمام بالمدينة فيجب أن يصحّح عليه.

[التمهيد ١:٢٩٨].

في مرحلة جمع المصاحف وإمحائها، أرسل عثمان إلى كلّ أُفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفةٍ أو مُصحفٍ أن يُحرق.

[صحيح البخاري ٦:٥٨١، باب جمع القرآن "٥٧٢"].

جمع القرآن في عهد عثمان بمعنى جمع المسلمين على قراءة واحدة

لا شكّ أنّ عثمان قد جمع القرآن في زمانه لا بمعنى أنّه جمع الآيات والسور في مصحف، بل بمعنى أنّه جمع المسلمين على قراءة إمام واحد وأحرق المصاحف الأُخرى الّتي تخالف ذلك المصحف، وكتب إلى البلدان أن يحرقوا ما عندهم منها، ونهى المسلمين عن الاختلاف في القراءة، وقد صرّح بهذا كثير من أعلام أهل السنّة.

وفي "الاتّقان" أنّه قال: المشهور عند النّاس أنّ جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنّما حمل عثمان النّاس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لمّا خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأمّا قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة الّتي أُنزل بها القرآن.

[الاتقان في علوم القرآن ١:١٨٩].

موقف عليّ من فكرة توحيد المصاحف والالتزام بمرسوم التوحيد

جمع عثمان من كان بالمدينة من الصحابة فأتمرهم في ذلك، فهبّوا جميعاً يوافقون على فكرة توحيد المصاحف، وهكذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبدى رأيه موافقاً للمشروع ذاتيّاً. و إليك بعض ما ورد في ذلك:

أخرج ابن أبي داود، عن سويد بن غفلة، قال: قال عليّ عليه السلام: 'فواللّه، ما فعل عثمان في المصاحف إلا عن ملأ منّا، قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أنّ بعضهم يقول: إنّ قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً، قلنا: فماذا ترى؟ قال: أرى أن يجمع النّاس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: نِعْم ما رأيت'.

[الاتقان في علوم القرآن ١:١٨٨].

وفي رواية أُخرى: قال عليه السلام: "لو وُلّيتُ في المصاحف ما ولّى عثمان لفعلت كما فعل'.

[النشر في القراءات العشر ١:٨، وقد مرّ آنفاً ما روي نحوه في الاتقان عن الحارث المحاسبي].

وكان عليّ عليه السلام - بعد ما تولّى الخلافة - أحرص النّاس على الالتزام بالمرسوم المصحفي حفظاً على كتاب اللّه من أن تمسّه يد التحريف فيما بعد باسم الإصلاح. قال عليه السلام في هذا الصدد: "لا يهاج القرآن بعد اليوم'.

[راجع: تفسير الطبري ١٧:٩٣، ومجمع البيان ٩:٢١٨، والتمهيد في علوم القرآن ١:٢٨٩].

اتّباع الأئمّة منهج أمير المؤمنين

في "الوسائل": قرأ رجل عند الإمام أبي عبداللّه الصادق عليه السلام حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤه النّاس، فقال له الإمام عليه السلام: 'مه مه، كفّ عن هذه القراءة، واقرأ كما يقرأ النّاس'.

[وسائل الشيعة ٤:٨٢١، والأخبار في ذلك متعدّدة ذكرها الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ٤:٨٢١، فراجعه].

وقال عليه السلام - في جواب من سأله عن الترتيل في القرآن -: 'اقرؤوا كما علمتم'. [المصدر المتقدّم].

نستلخص ممّا مرّ آنفاً أنّ معنى قول رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ' أنّه عليه السلام كان حافظاً لآيات القرآن، وعالماً بناسخه ومنسوخه، وعامّه وخاصّه، وظاهره ومتشابهه، وأسباب نزوله وأحكامه... إلى غير ذلك من علوم القرآن الكريم.

ولهذا فإنّه عليه السلام تولّى جمعه بنفسه، متجشّماً أعباء هذه المهمّة الخطيرة الّتي لا يمكن لأحد أن يضطلع بها لوحده، ومن خلال هذه يتبيّن لنا أنّه لا يمكن فهم متشابهات القرآن ولا تفسير ظواهره بالشكل المطلوب دون عليّ عليه السلام وأبنائه المعصومين عليهم السلام، فهو و اولاده المعصومون عليهم السلام هم اهل الذكر، كما نطق به القرآن الكريم: 'فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون' و هم القرآن الناطق الذين تُفصح عن كلّ ما في الكتاب الكريم بنحو جليّ و تمام.

عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ

قال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، والحقّ يدور حيثما دار عليّ'. المناقب لابن شهرآشوب ٣:٦٢

نظرة في الحديث

إنّ أحد الأحاديث المتواترة عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله من طريق الفريقين هو حديث: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ'، ولا شكّ في صدور هذا الحديث عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله، ونحن بذلك من الموقنين.

والنكتة الّتي ينبغي الالتفات إليها هي: ما هو وجه صدور الحديث؟ ولماذا تكلّم النبيّ صلى الله عليه و آله بهذه الكلمات في مواطن كثيرة ومناسبات مختلفة؟

لا شكّ أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان يرى بنور الوحي أنّ الفرقة ستقع بين المسلمين في المستقبل القريب، وسيتّبع كلّ رجل جماعة خاصّة ستقف بوجه عليّ عليه السلام، بل وسيسلّون السيوف بوجهه، ويظهرون أنفسهم من خلال الإعلام أنّهم يمثّلون الحقّ، وأنّ عليّاً على باطل، فأراد النبيّ صلى الله عليه و آله أن يحذّر المسلمين من مغبّة هذه الأحداث، فأطلق عبارات مختلفة، منها: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ'؛ وذلك لئلا يقف أصحابه وبقيّة المسلمين في مواجهة عليّ - أي الحقّ - ولتكون الحجّة قد تمّت عليهم بذلك، ولئلا يسيروا في طريق الضلال بعد هذا البيان، وهم يظنّون أنّهم يسلكون سبيل الحقّ، ولئلا يظنّوا فيما بعد أنّ الحرب ضدّ عليّ عليه السلام جهاد في سبيل اللّٰه، وليعلموا أنّ عليّاً أحقّ النّاس بالخلافة وليست الخلافة إلا

له، وكلّ من يتّبع غير سبيل عليّ فقد ضلّ واتّبع الباطل، ولذلك فإنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، من أجل أن يقطع أعذارهم ويتمّ الحجّة عليهم، عبّر عن هذا الأمر بتعابير مختلفة:

١- ففي البحار عن رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: 'يا عليّ، إنّ الحقّ معك، والحقّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك'.

[البحار ٣٨:٣٤].

٢- وفي "المناقب" لابن شهرآشوب عن "مسند أبي يعلى": عن أبي سعيد الخدري، قال: مرّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله: 'الحقّ مع ذا، والحقّ مع ذا'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٦١، والبحار ٣٨:٢٨].

وسئل أبو ذرّ عن اختلاف النّاس عنه، فقال: عليك بكتاب اللّٰه والشيخ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّي سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ معه، وعلى لسانه، والحقّ يدور حيثما دار عليّ'.

[المصدر المتقدّم].

إنّ أحقّيّة عليّ عليه السلام تقوم على أساس اتّباع سبيل اللّٰه، فكلّ من زاغ عن سبيل عليّ عليه السلام فقد ضلّ وغوى.

٣- قال الفخر الرازي في تفسيره: أمّا أنّ عليّ بن أبي طالب كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله صلى الله عليه و آله: 'اللّهمّ أدرِ الحقّ مع عليّ حيث دار'.

[التفسير الكبير ١:٢٠٥].

٤- و روى في الاحقاق عن "الأربعين" لأبي محمّد بن أبي الفوارس: بسنده عن سهل الساعدي، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّ اللّٰه يبغض من عباده الملتوون عن الحقّ، فلا تلووا عن الحقّ وأهل الحقّ، والحقّ مع عليّ، وعليّ مع الحقّ، فمن استبدل به هلك، وفاتته الدنيا والآخرة'.

[الإحقاق ٥:٦٣٠].

٥- و رواه ايضاً عن "بحر المناقب": بسنده عن الحسين بن سعيد بن الساعدي، أنّه قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'إنّ اللّٰه يبغض من عباده المايلين عن الحقّ، فالحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ، فمن استبدل بعليّ غيره هلك، وفاتته الدنيا والآخرة'.

[المصدر السابق، ورواه أيضاً في البحار ٣٨:٣٦].

٦- وفي "فرائد السمطين": عن حذيفة، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'عليّ طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي'.

[فرائد السمطين ١:١٧٨، ح١٤٢].

ولذا قال ابن شهرآشوب في "المناقب": واستدلّ المعتزلة بهذا الخبر في تفضيل عليّ عليه السلام، وقالت الإماميّة: ظاهر الخبر يقتضي عصمته ووجوب الاقتداء به؛ لأنّه صلى الله عليه و آله لا يجوز أن يخبر على الإطلاق بأنّ الحقّ معه والقبيح جائز وقوعه منه؛ لأنّه إذا وقع كان الخبر كذباً، وذلك لا يجوز عليه.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٦٣].

النبيّ يحدّث عمّاراً بهذا الحديث

في "فرائد السمطين": بسنده عن علقمة و الأسود، قالا: أتينا أبا أيّوب الأنصاري، فقلنا له: يا أبا أيّوب، إنّ اللّٰه تعالى أكرمك بنبيّه صلى الله عليه و آله فيا لك من فضيلة من اللّٰه فضّلك بها، أخبرنا بمخرجك مع عليّ عليه السلام تقاتل أهل 'لا إله إلا اللّٰه'؟!

فقال أبو أيّوب: فإنّي أقسم لكم باللّٰه، لقد كان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله معي في هذا البيت الّذي أنتما فيه معي، وما في البيت غير رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعليّ جالس عن يمينه، وأنا جالس عن يساره، وأنس قائم بين يديه إذ حرّك الباب، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'يا أنس، افتح لعمّار الطيّب المطيّب'، ففتح أنس الباب ودخل عمّار، فسلّم على رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله فرحّب به، ثمّ قال لعمّار: 'إنّه سيكون في أُمّتي من بعدي هنات حتّى يختلف السيف فيما بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً، وحتّى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع الّذي عن يميني - يعني عليّ بن أبي طالب - فإن سلك النّاس كلّهم وادياً وسلك عليّ وادياً فاسلك وادي عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخلّ عن النّاس. يا عمّار، إنّ عليّاً لا يردّك عن هدى، ولا يدلّك على ردى. يا عمّار، طاعة عليّ طاعتي، وطاعتي طاعة اللّٰه عزّوجلّ". [فرائد السمطين ١:١٧٨، ح١٤١].

و روى العلامة الاربلي عن أبي أيّوب الأنصاري، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول لعمّار بن ياسر: 'تقتلك الفئة الباغية، وأنت مع الحقّ والحقّ معك. يا عمّار، إذا رأيت عليّاً سلك وادياً وسلك النّاس وادياً غيره فاسلك مع عليّ ودع النّاس، إنّه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من الهدى. يا عمّار، إنّه من تقلّد سيفاً أعان به عليّاً على عدوّه قلّده اللّٰه تعالى يوم القيامة وشاحاً

[الوشاح: السيف، القوس].

من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ عليّ قلّده يوم القيامة وشاحاً من نار'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:١٩٢].

النبيّ يحدّث أبا رافع بهذا الحديث

روى العلامة الاربلي عن أبي رافع: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال: 'يا أبا رافع، كيف أنت وقوم يقاتلون عليّاً وهو على الحقّ وهم على الباطل، يكون حقّاً في اللّٰه جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فيجاهدهم بلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فيجاهدهم بقلبه، وليس وراء ذلك شي ء؟'.

قال: قلت: أُدع اللّٰه لي إن أدركتهم أن يعينني ويقوّيني على قتالهم، فلمّا بايع النّاس عليّ بن أبي طالب، وخالفه معاوية وسار طلحة والزبير إلى البصرة، قلت: هؤلاء القوم الذين قال فيهم رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله ما قال. فباع أرضه بخيبر وداره بالمدينة ليقوى بها هو وولده، ثمّ خرج مع عليّ عليه السلام بجميع أهله وولده، وكان معه حتّى استشهد عليّ عليه السلام، فرجع إلى المدينة مع الحسن ولا أرض له بالمدينة ولا داراً، فأقطعه الحسن عليه السلام أرضاً بينبع من صدقة عليّ عليه السلام وأعطاه داراً'. [كشف الغمّة - باب المناقب ١:١٩٧].

معاوية يتثبّت من الحديث لكنّه يعاند الحقّ

لقد كان حديث: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ' واضحاً مسلّماً لدى أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله إلى درجة بحيث إنّهم كانوا يواجهون به أعدى أعداء عليّ عليه السلام وهو معاوية، ويدافعون به عن حقّ عليّ عندما يواجهون معاوية ويعلنون هذه الحقيقة ولا يهابون بطش معاوية وفتكه.

عن العلامة عبيداللّٰه الحنفي الأمرتسري والعلامة الإربلي، عن عبيداللّٰه بن عبداللّٰه الكندي، قال: حجّ معاوية فأتى المدينة، وأصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله متوافرون، فجلس في حلقة بين عبداللّٰه بن عبّاس وعبداللّٰه بن عمر، فضرب بيده على فخذ ابن عبّاس، ثمّ قال: أما كنتُ أحقّ وأوْلى بالأمر من ابن عمّك؟ قال ابن عبّاس: وبم؟ قال: لأنّي ابن عمّ الخليفة المقتول ظلماً، قال: هذا - يعني ابن عمر - أوْلى بالأمر منك؛ لأنّه أبا هذا قُتل قبل ابن عمّك، قال: فانصاع [انصاع: أي انفتل وجهه].

عن ابن عبّاس وأقبل على سعد، قال: وأنت - يا سعد - الّذي لم تعرف حقّنا من باطل غيرنا، فتكون معنا أو علينا؟ قال سعد: إنّي لمّا رأيت الظلمة قد غشيت الأرض قلت لبعيري هخ، فأنخته حتّى إذا استقرّ مضيت. قال: واللّه لقد قرأت المصحف يوماً بين الدفّتين ما وجدت فيه هخ

[هخ - بالكسر -: يقال عند إناخة البعير، وقوله: 'ما وجدت فيه هخ' يعني لا يظهر في القرآن التوقّف وترك القتال، ويحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الاستهزاء].

فقال: أمّا إذا أبيت فإنّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول لعليّ عليه السلام: 'أنت مع الحقّ، والحقّ معك'. قال: لتجيئني بمن سمعه معك أو لأفعلنّ؟ قال: اُمّ سلمة. قال: فقام وقاموا معه حتّى دخل على اُمّ سلمة. قال: فبدأ معاوية فتكلّم، فقال: يا اُمّ المؤمنين، إنّ الكذّابة قد كثرت على رسول اللّه صلى الله عليه و آله بعده، فلا يزال قائلٌ يقول: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله ما لم يقل، فإنّ سعداً روى حديثاً زعم أنّك سمعته منه. قالت: ما هو؟ قال: زعم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال لعليّ: 'أنت مع الحقّ، والحقّ معك'. قالت: صدق، في بيتي قاله.

[أرجح المطالب: ٦٠٠، نقلاً عن الإحقاق ٥:٦٣١، وكشف الغمّة - باب المناقب ١:١٩٣، ونحوه في مجمع الزوائد ٧:٢٣٣، نقلاً عن الإحقاق ٥:٦٣١].

نبذة من الأخبار الواردة من الفريقين في الباب

١- روى ابن عساكر الشافعي و ابن شهرآشوب: عن أبي ثابت مولى أبي ذرّ، قال: دخلت على اُمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر عليّاً، وقالت: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، ولن يتفرّقا

[في المناقب: 'ولن يفترقا'].

حتّى يردا علَيّ الحوض يوم القيامة'.

[تاريخ دمشق - ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣:١١٩، ح ١١٦٢، والمناقب لابن شهرآشوب ٣:٦٢].

٢- و روى ابن عساكر أيضاً: عن سلمة بن كهيل، عن مالك بن جعونة، عن اُمّ سلمة، قالت: واللّه إنّ عليّاً على الحقّ قبل اليوم وبعد اليوم عهداً معهوداً وقضاءً مقضيّاً. قلت: أنت سمعته من اُمّ المؤمنين؟ فقال: إي واللّه الّذي لا إله إلا هو - ثلاث مرّات -.

[المصدر المتقدّم: ١٢٠، ح ١١٦٣].

٣- و رواه أيضاً و القندوزي الحنفي عن أبي ليلى الغفاري، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنّه أوّل من يراني، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو معي في السماء الأعلى، وهو الفاروق بين الحقّ والباطل'.

[المصدر المتقدّم: ١٢٢، ح ١١٦٤، وينابيع المودّة: ٢٥١].

٤- وروى الترمذي في سننه و الجويني بالاسناد عن أبي حيّان التيمي، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام، قال: 'قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: رحم اللّٰه عليّاً، اللّهمّ أدر الحقّ معه حيث دار'.

[فرائد السمطين ١:١٧٦، ح ١٣٨، سنن الترمذي ٥:٥٩١، ح ٣٧١٤].

٥- و عن الجويني بسنده عن عبداللّٰه بن عبّاس، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: 'الحقّ مع عليّ بن أبي طالب حيث دار'.

[فرائد السمطين ١:١٧٦، ح ١٣٩].

٦- و عنه أيضاً، وفي "كشف الغمّة": عن شهر بن حوشب، قال: كنت عند اُمّ سلمة إذ استأذن رجل فقالت له: مَن أنت؟ قال: أنا أبو ثابت، مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقالت اُمّ سلمة: مرحباً بك - يا أبا ثابت - ادخل، فدخل فرحّبت به، ثمّ قالت: يا أبا ثابت، أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ فقال: مع عليّ عليه السلام. قلت: وفّقت والّذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'عليّ مع الحقّ والقرآن، والحقّ والقرآن مع عليّ، ولن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض'.

[المصدر المتقدّم: ١٧٧، ح ١٤٠، وكشف الغمّة ١:١٩٩، والبحار٣٨:٣٥].

٧- و في "البحار": عن اُمّ سلمة، قالت: 'عليّ مع الحقّ، من اتّبعه اتّبع الحقّ، ومن تركه ترك الحقّ، عهد معهود قبل موته'.

[البحار ٣٨:٣٣].

٨- وفيه أيضاً: عن ابن مردويه، عن أبي موسى الأشعري، قال: اشهد أنّ الحقّ مع عليّ، ولكن مالت الدنيا بأهلها، ولقد سمعت النبيّ صلى الله عليه و آله يقول له: 'يا عليّ، أنت مع الحقّ، والحقّ بعدي معك'.

[المصدر المتقدّم: ٣٤].

٩- و عن ابن شهر آشوب عن الأصبغ، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: 'ويل لمن جهل معرفتي ولم يعرف حقّي، ألا إنّ حقّي هو حقّ اللّٰه، ألا إنّ حقّ اللّٰه هو حقّي'.

[المناقب لابن شهرآشوب ٣:٦٢].

١٠- و عنه أيضاً: سلّم محمّد بن أبي بكر يوم الجمل على عائشة، فلم تكلّمه، فقال: أسألك باللّه الّذي لا إله إلا هو سمعتك تقولين: الزم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: "الحقّ مع عليّ، وعليّ مع الحقّ، لا يفترقان حتّى يردا علَيّ الحوض".

قالت: بلى، قد سمعت ذلك منه، وأتى عبداللّه ومحمّد ابنا بديل إلى عائشة وناشداها بذلك، فاعترفت.

[المصدر المتقدّم].

١١- وفي "البحار": عن عليّ عليه السلام، قال: "إنّ عائشة لما عُقر جملها ودخلت داراً بالبصرة، فقال لها أخوها محمّد بن أبي بكر: أُنشدك باللّه، أتذكرين يوم حدّثتني عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: "الحقّ لن يزال مع عليّ، وعليّ مع الحقّ، لن يختلفا ولن يفترقا"؟ فقالت: نعم.

[البحار ٣٨:٣٥، وللمزيد راجع: كشف الغمّة ١:١٩٩، والمناقب ابن مردويه و الفردوس للديلمي على ما نقله عنهما في الغدير ١٧٨: ٣].

و غير ذلك من الاخبار فسيأتي بعضها في جواب ابن تيمية.

ايراد واهٍ من ابن تيميّة و جوابه

عن ابن تيميه في كتابه المسمّى "منهاج السنّة" - والأوْلى أن يسمّى منهاج البدعة والضلالة -، قال: إنّ حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله "عليّ مع الحقّ والحقّ يدور معه حيث دار، ولن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض" من أعظم الكلام كذباً وجهلاً، فإنّ هذا الحديث لم يروه أحد عن النبيّ صلى الله عليه و آله لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، وهل يكون أكذب ممّن يروي - يعني العلامة الحلّي - عن الصحابة والعلماء أنّهم رووا حديثاً، والحديث لا يُعرف عن أحد منهم أصلاً؟ بل هذا من أظهر الكذب، ولو قيل: رواه بعضهم وكان يمكن صحّته لكان ممكناً، وهو كذب قطعاً على النبيّ صلى الله عليه و آله، فإنّه كلام ينزّه عنه رسول اللّه.

[راجع الغدير ٣:١٧٦].

قال العلامة الأميني في جوابه ما ملخّصه: أمّا الحديث فأخرجه جمعٌ من الحفّاظ والأعلام منهم: الخطيب في التاريخ "١٤:٣٢١" بالإسناد عن أبي ثابت مولى أبي ذرّ، قال: دخلت على أُمّ سلمة فرأيتها تبكي - الحديث.

[مرّ منّا الحديث عن تاريخ دمشق، فراجعه].

هذه أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة سيّدة صحابيّة، وقد نفى ابن تيميّة أن يكون أحد الصحابة قد رواه، كما نفى أن يكون أحد من العلماء يرويه إلا أن يقول: إنّ الخطيب ليس هو من العلماء، أو لم يعتبر أُمّ المؤمنين صحابيّة، وهذا أقرب إلى مبدأ ابن تيميّة؛ لأنّها علويّة النزعة، علويّة الروح، علويّة المذهب.

وكيف يقول: إنّ هذا الحديث لم يروه أحدٌ من الصحابة والعلماء والرواة؟! وهذا الحافظ ابن مردويه في "المناقب" والسمعاني في "فضائل الصحابة" أخرجا بالإسناد عن محمّد بن أبي بكر عن عائشة، أنّها قالت: سمعتُ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض'.

وأخرج ابن مردويه في "المناقب"، والديلمي في "الفردوس": أنّه لمّا عُقر جمل عائشة ودخلت داراً بالبصرة، الى آخر الحديث.

[قد ذكرنا كل الحديث في صفحات القبل].

وروى ابن قتيبة في "الإمامة والسياسة" عن محمّد بن أبي بكر، أنّه دخل على أُخته عائشة قال لها: أما سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ'، ثمّ خرجت تقاتلينه؟!

[الإمامة والسياسة ١:٦٨].

وغير ذلك من الصحابة والعلماء الذين رووا الحديث في موارد مختلفة حتّى احتجّ أمير المؤمنين عليه السلام به يوم الشورى بقوله: 'أُنشدكم باللّٰه، أتعلمون أنّ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله قال: الحقّ مع عليّ، وعليّ مع الحقّ'؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

ونسأل هذا الرجل المعاند عن أنّ هذا الكلام لماذا لا يمكن صحّته، أفيه شي ء من المستحيلات العقليّة كاجتماع النقيضين أو ارتفاعهما، او اجتماع الضدّين أو المثلين؟ وكأنّ الرجل يزعم أنّ الحقيقة العلويّة غير قابلة لأن تدور مع الحقّ، وأن يدور الحقّ معها! كبرت كلمة تخرج من أفواههم، وليت شعري، هذا الكلام لماذا يُنزّه عنه رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله؟ ألاشتماله على كلمة إلحاديّة؟ أو إشراك باللّٰه العظيم؟ أو أمر خارج عن نواميس الدين المبين؟!

أنا أقول لماذا؛ لأنّه في فضل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، والرجل لا يروقه شي ء من ذلك، ونعم الحكم اللّٰه، والخصيم محمّد صلى الله عليه و آله.

ولا يذهب على القارئ أنّ هذا الحديث: 'عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ' عبارة أُخرى لما ثبتت صحّته عن أُمّ سلمة من قوله صلى الله عليه و آله: 'عليّ مع القرآن، والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا علَيّ الحوض'.

وكلا الحديثين يرميان إلى المغزى الصحيح المتواتر الثابت عنه صلى الله عليه و آله من قوله صلى الله عليه و آله: 'إنّي تارك "أو مخلّف" فيكم الثقلين "أو الخليفتين": كتاب اللّه، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض'.

فإذا كان ما يراه ابن تيميّة غير ممكن الصدور عن مبدأ الرسالة، فهذه الأحاديث كلّها ممّا يغزو مغزاه يجب أن ينزّه صلى الله عليه و آله عنها، ولا أحسب أنّ أحداً يقتحم ذلك الثغر المخوف إلا مَن هو كمثل ابن تيميّة لا يُبالي بما يتهوّر فيه فدعه وتركاضه، ولا تتّبع أهواء الذين لا يعلمون.

[الغدير ١٨٠ - ١٧٦ :٣].

خمسون آية من القرآن الكريم نزلت في حقّ عليّ

مرّ في مقدّمة هذا الجزء من الكتاب بأنّ الآيات النازلة بشأن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هي أكثر من "٣٠٠" آية.

[تاريخ بغداد ٢٢١: ٦ عن ابن عباس، قال: 'نزلت في عليّ عليه السلام ثلاث مائة آية'].

وقد تناولنا بعض هذه الآيات مع الروايات الدالّة عليها بالشرح والتفصيل، ونودّ إعلام الإخوة القرّاء بأنّنا سنذكر "٥٠" آية نزلت فيه عليه السلام مع أسباب نزولها دون شرح وتفصيل، ونتمنّى أن نكون مورد عنايته واهتمامه عليه السلام.

١- قوله تعالى: 'أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ' النساء: ٥٩: عن أبي بصير، عن أبي عبداللّه عليه السلام - في حديث - أنّه سأله عن قوله تعالى: 'أَطِيعُوا اللَّهَ' الآية، فقال: 'نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام'. فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله في عليّ: 'من كنتُ مولاه فعليّ مولاه' - إلى أن قال: - 'فلمّا قبض رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان عليّ عليه السلام أوْلى النّاس بالنّاس لكثرة ما بلغ فيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وإقامته للنّاس وأخذه بيده عليه السلام - الحديث.

[أُصول الكافي ١:٢٨٦].

٢- قوله تعالى: 'إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ' الآية الأحزاب: ٧٢: عن عمّار، عن رجل، عن أبي عبداللّه عليه السلام في قول اللّه عزّ وجلّ: 'إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ' الآية قال: 'هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام'.

[إثبات الهداة ٣:٢٩٣].

٣- قوله تعالى: "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب" الشرح: ٧ و ٨: عن عبدالحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام في حديث... قال: "لمّا بعث اللّٰه محمّداً صلى الله عليه و آله أسلم له العقب من المستحفظين وكذّبه بنو إسرائيل ودعا إلى اللّٰه عزّ وجلّ وجاهد في سبيله، ثمّ أنزل اللّٰه عليه أن أعلن فضل وصيّك... فذكر من فضل وصيّه ذكراً، فوقع النفاق في قلوبهم - إلى أن قال: - فقال اللّٰه جلّ ذكره: "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ" الآية، يقول: "فإذا فرغت فانصب علمك، وأعلن وصيّك، فأعلمهم فضله علانية"، فقال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: "مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه - ثلاث مرّات - ثمّ قال: لأبعثن رجلاً يحبّ اللّٰه ورسوله، ويحبّه اللّٰه ورسوله، ليس بفرّار، يعرّض بمن رجع، يجبّن أصحابه ويجبّنونه، وقال: عليّ سيّد المسلمين، وقال: عليّ عمود الدين، وقال: هذا الّذي يضرب بالسيف على الحقّ بعدي، وقال: الحقّ مع عليّ أينما مال" - الحديث.

[الكافي ١:٢٩٣].

٤- قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" النساء: ٥٨: عن بريد العجلي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّٰه عزّ وجلّ: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا" الآية، قال: "إيّانا عنى، أن يؤدّي الأوّل إلى الإمام الّذي بعده الكتب والعلم والسلاح" - الحديث.

[الكافي ١:٢٧٦].

٥- قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِن عَمَلِهِم مِن شَيْءٍ" سورة الطور: ٢١: عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبداللّٰه عليه السلام، قال: "قال اللّٰه تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ" الآية، قال: "قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا" النبيّ صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام وذرّيّته الأئمّة والأوصياء "صلوات اللّٰه عليهم" ألحقنا بهم ولم ننقص ذرّيّتهم الحجّة الّتي جاء بها محمّد في عليّ عليهماالسلام، وحجّتهم واحدة، وطاعتهم واحدة".

[الكافي ١:٢٧٥].

٦- قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ" سورة إبراهيم: ٢٨: عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: "ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وعدلوا عن وصيّه؟ لا يتخّوفون أن ينزل بهم العذاب، ثمّ تلا هذه الآية: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا" الآية، ثمّ قال: نحن النعمة الّتي أنعم اللّٰه بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة".

[الكافي ١:٢١٧].

٧- قوله تعالى: 'إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ' سورة الحجر: ٧٥ و ٧٦: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: 'إِنَّ فِي ذٰلِكَ' الآية، قال: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله المتوسّم، وأنا من بعده، والأئمّة من ذرّيّتي المتوسّمون'.

[الكافي ١:٢١٧].

٨- قوله تعالى: 'وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ' التوبة: ١٠٥: عن عبداللَّه بن أبان الزيّات - وكان مكيّاً عند الرضا عليه السلام - قال: قلت للرضا عليه السلام: 'أُدع اللَّه لي ولأهل بيتي، فقال: أوَلستُ أفعل؟ واللَّه إنّ أعمالكم لتعرض علَيّ في كلّ يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب اللَّه عزّ وجلّ: 'وَقُلِ اعْمَلُوا' الآية؟ قال: هو واللَّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام'.

[الكافي ١:٢١٩].

٩- قوله تعالى: 'وَأَ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقاً' سورة الجنّ: ١٦: عن يونس بن يعقوب، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: 'وَأَ لَّوِ اسْتَقَامُوا' الآية، قال: 'يعني لو استقاموا على ولاية عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده عليهم السلام، وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءً غدقاً يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية عليّ والأوصياء'.

[الكافي ١:٢٢٠].

١٠- قوله تعالى: 'وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ' سورة آل عمران: ٧: عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبداللَّه عليه السلام، قال: 'الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمّة من بعده عليهم السلام'.

[الكافي ١:٢١٣].

١١- قوله تعالى: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ' سورة التوبة: ١١٩: عن ابن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: سألته عن قول اللَّه عزّ وجلّ: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ'، قال: 'الصادقون هم الأئمّة والصدّيقون بطاعتهم'.

[الكافي ١:٢٠٨].

وعن ابن عبّاس في معنى قوله تعالى: 'كونوا مع الصادقين': أيّ كونوا مع عليّ وأصحابه.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٤٢٩].

١٢- قوله تعالى: 'عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ' سورة النبأ: ١ و ٢: عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: جُعلتُ فداك، إنّ الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية: 'عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ' الآية، قال: 'ذلك

إليَّ إن شئتَ أخبرتُهم، وإن شئتَ لم أُخبرهم'، ثمّ قال: 'لكنّي أُخبرك بتفسيرها'، قلت: 'عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ'؟ قال: فقال: 'هي في أمير المؤمنين عليه السلام، كان أمير المؤمنين "صلوات اللّه عليه" يقول: ما للّهِ عزّ وجلّ آيةٌ هي أكبر منّي، ولا للّهِ من نبّإٍ أعظم منّي'.

[الكافي ١:٢٠٧].

عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبداللّه عليه السلام، في قوله تعالى: 'عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ'. قال: 'النبأ العظيم: الولاية'.

[الكافي ١:٢١٦].

١٣- قوله تعالى: 'وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ' يونس: ١٠١: عن داود الرقّي، قال: سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن قول اللّه تبارك وتعالى: 'وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ' الآية. قال: 'الآيات هم الأئمّة، والنذر هم الأنبياء'.

[الكافي ١:٢٠٧].

١٤- قوله تعالى: 'أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ' النساء: ٥٤: عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام، في قول اللّه تبارك وتعالى: 'أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ' الآية. قال: 'نحن المحسودون'.

[الكافي ١:٢٠٦، وتفسير نور الثقلين ١:٤٩١].

وعن عليّ بن إبراهيم، قوله تعالى: 'أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ' يعني بالنّاس هاهنا أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام 'عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ' وهي الخلافة بعد النبوّة، وهم الأئمّة عليهم السلام.

[تفسير عليّ بن إبراهيم ١:١٤٠].

١٥- قوله تعالى: 'وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ' سورة الأعراف: ١٥٧: عن عليّ بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبداللّه عليه السلام، في قول اللّه تعالى: 'وَاتَّبَعُوا النُّورَ' الآية، قال: 'النور في هذا الموضع أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام'.

[الكافي ١:١٩٤].

١٦- قوله تعالى: 'إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ' سورة الرعد: ٧: عن عبدالرحيم القصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول اللّه تبارك وتعالى: 'إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ' الآية، فقال: 'رسول اللّه صلى الله عليه و آله المنذر، وعليّ الهادي أما واللّه ما ذهبت منّا وما زالت فينا إلى الساعة'.

[الكافي ١:١٩٢].

و قال ابن عبّاس: لمّا نزلت هذه الآية وضع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يده على صدره، فقال: 'أنا المنذر'، وأومأ إلى منكب عليّ، وقال: 'أنتَ الهادي يا عليّ، يهتدى بِكَ المهتدون من بعدي'.

[كشف الغمّة ١:٤٢٩].

١٧- قوله تعالى: 'إِنّا لننصر رسلنا و الّذينَ آمَنوا فى الحَياة الدُّنيا' سورة غافر: ٥١ عن ابن شهر آشوب بسنده عن الرضا عليه السلام قال: 'منهم 'عليّ بن أبي طالب عليه السلام'.

[المناقب: ص ٦٧].

١٨- قوله تعالى: 'أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ' سورة هود: ١٧: عن أحمد بن عمر الحلال، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول اللَّه عزّ وجلّ: 'أَفَمَن كَانَ' فقال: 'أميرالمؤمنين عليه السلام الشاهد على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله على بيّنة من ربّه'.

[الكافي ١:١٩٠].

١٩- قوله تعالى: 'إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ' سورة البيّنة: ٧: عن جابر بن عبداللَّه، قال: كنّا عند النبيّ صلى الله عليه و آله فأقبل عليّ عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه و آله: 'والّذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: 'إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا' الآية، فكان أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله إذا أقبل عليّ عليه السلام، قالوا: جاء خيرُ البريّة'.

[تفسير الدرّ المنثور ٦:٣٧٩].

٢٠- قوله تعالى: 'وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا' سورة آل عمران: ١٠٣: عن محمّد بن عليّ العنبري بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه سأل أعرابيّ عن هذه الآية: 'وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً' الآية، فأخذ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بيد عليّ عليه السلام وقال: 'يا أعرابيّ، هذا حبلُ اللَّه فاعتصم به'، فدار الأعرابي من خلف عليّ واحتضنه، وقال: اللّهمّ إنّي أُشهدك قد اعتصمتُ بحبلك، فقال رسول اللَّه: 'مَن سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة، فلينظر إلى هذا'.

[غاية المرام: ٢٤٣، الباب ٣٦ المقصد الأوّل، ح ٤].

٢١- قوله تعالى: 'فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى' سورة البقرة: ٢٥٦: عن أبي الحسن الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'من أحبّ أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل اللَّه المتين، فليوال عليّاً بعدي، وليعادِ عدوّه، وليأتمّ بالأئمّة الهداة من وُلده'.

[تفسير نور الثقلين ١:٢٦٣].

٢٢- قوله تعالى: 'نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ' سورة الشعراء: ١٩٤ - ١٩٣: عن عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: 'نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ'، قال: 'الولاية نزلت لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير'.

[تفسير عليّ بن إبراهيم ٢:١٢٤].

٢٣- قوله تعالى: 'بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى' سورة الأعلى: ١٩ - ١٦: عن محمّد بن سليمان، عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله: 'بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا'؟ قال: 'ولايتهم'. قلت: 'وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى'؟ قال: 'ولاية أمير المؤمنين، 'إِنَّ هذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى''.

[تفسير البرهان ٤:٤٥١].

وعن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام، قال: 'ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوّة محمّد صلى الله عليه و آله ووصيّة عليّ عليه السلام'.

[المصدر المتقدّم].

٢٤- قوله تعالى: 'قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ' سورة سبأ: ٤٦: عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: 'قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ'، قال: 'إنّما أعظكم بولاية عليّ، هي الواحدة الّتي قال الله تعالى: 'قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ''.

[تفسير عليّ بن إبراهيم ٢:٢٠٤].

٢٥- قوله تعالى 'فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ' سورة الزخرف: ٤٣: عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: 'أوحى الله إلى نبيّه صلى الله عليه و آله: 'فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ'، قال: إنّك على ولاية عليّ، وعليٌّ هو الصراط المستقيم'.

[تفسير البرهان ٤:١٤٥].

٢٦- قوله تعالى: 'وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ' سورة يونس: ٢: عن يونس، قال: أخبرني عمّن رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: 'وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ'، قال: 'ولاية أمير المؤمنين'.

[تفسير البرهان ٢:١٧٧].

٢٧- قوله تعالى: 'هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ للَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً' سورة الكهف: ٤٤: عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: قوله تعالى: 'هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ للَّهِ الْحَقِّ'؟ قال: 'ولاية عليّ عليه السلام هو خير ثواباً وخير عقباً'.

[تفسير البرهان ٢:٤٦٩].

٢٨- قوله تعالى: 'هذَانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ' سورة الحجّ: ١٩: عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: 'هذَانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا' بولاية عليّ عليه السلام، 'قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ".

[تفسير البرهان ٣:٨٠].

٢٩- قوله تعالى: 'يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا' سورة النحل: ٨٣: عن أحمد بن عيسى، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام في قوله تعالى: 'يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا' - إلى أن قال: - 'يعني ولاية عليّ عليه السلام، وأكثرهم الكافرون بالولاية'.

[تفسير البرهان ٢:٣٧٨].

٣٠- قوله تعالى: 'بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ' سورة البقرة: ٨١: عن أبي حمزة، عن أحدهما عليهماالسلام في قوله تعالى: 'بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ'؟ قال: 'إذا جحدوا إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، 'فَأُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ".

[تفسير البرهان ١:١٢٠].

٣١- قوله تعالى: 'وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ' سورة البقرة: ٤٠: عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: 'وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ'، قال: 'بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، 'أُوفِ بِعَهْدِكُمْ' أُوفِ لَكُم بالجنّة'.

[تفسير البرهان ١:٩٠].

٣٢- قوله تعالى: 'إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً' سورة مريم: ٩٦: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - في قوله تعالى: 'إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً'، قال: 'بولاية أمير المؤمنين، هي الودّ الّذي قال الله تعالى' إلى آخره.

[تفسير البرهان ٢:٣٠٢].

وقال ابن عبّاس: هو عليّ بن أبي طالب.

[كشف الغمّة ١:٤٢٤].

٣٣- قوله تعالى: 'يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ' سورة الصفّ: ٨: عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: سألته عن قول اللَّه عزّ وجلّ: 'يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ'؟ قال: 'يريدون ليُطفئوا ولاية أمير المؤمنين بأفواهم. قلت: 'وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ'؟ قال: 'واللَّه متمّ الإمامة - إلى أن قال: - 'وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ' بولاية عليّ عليه السلام'.

[تفسير البرهان ٤:٣٢٩].

٣٤- قوله تعالى: 'وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى' سورة طه: ١٢٤: عن أبي بصير، عن أبي عبداللَّه عليه السلام، في قوله عزّ وجلّ: 'وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً'؟ قال: 'يعني ولاية أمير المؤمنين'.

قلت: 'وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى'؟ قال: 'يعني أعمى البصر في الآخرة، أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين'.

[تفسير البرهان ٣:٤٥].

٣٥- قوله تعالى: 'وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ' سورة الحجّ: ٢٥: عن أبي حمزة، قال: سألت أبا عبداللَّه عليه السلام عن قول اللَّه عزّ وجلّ: 'وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ'، قال: 'نزلت فيهم حيث دخلوا الكعبة فتعاهدوا على كفرهم وجحودهم بما نزل في أمير المؤمنين عليه السلام، فألحدوا في البيت بظلمهم الرسول صلى الله عليه و آله ووليّه عليه السلام، فبُعداً للقوم الظالمين'.

[تفسير البرهان ٣:٨٤].

٣٦- قوله تعالى: 'وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ' سورة الصافّات: ٢٤: روي في قوله تعالى: 'وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ' يعني عن ولاية عليّ عليه السلام.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٤٢١].

٣٧- قوله تعالى: 'إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ' سورة القمر: ٥٥ - ٥٤: روى السيّد أبو طالب، بإسناده عن جابر بن عبداللَّه، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: 'من أحبّك وتولاك أسكنه اللَّه معنا'، ثمّ تلا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: 'إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ'.

[كشف الغمّة - باب المناقب ١:٤٢٢].

٣٨- قوله تعالى: 'السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ' سورة الواقعة: ١٢ - ١٠: عن ابن عبّاس، قال: سألت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله عن قوله تعالى: 'السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ'، فقال: 'قال لي جبرئيل عليه السلام: ذاك عليّ، وشيعته هم السابقون إلى الجنّة، المقرّبون من اللّٰه بكرامته لهم'.

[كشف الغمّة ١:٤٢٢].

٣٩- قوله تعالى: 'مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً' سورة الأحزاب: ٢٣: قيل: نزل قوله تعالى: 'فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ' في عبيدة وحمزة وأصحابهم كانوا تعاهدوا لا يولّون الأدبار، فجاهدوا مقبلين حتّى قُتلوا، 'وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ' عليّ بن أبي طالب عليه السلام مضى على الجهاد ولم يبدّل ولم يغيّر.

[كشف الغمّة ١:٤٢٥].

٤٠- قوله تعالى: 'وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ' سورة البقرة: ٤٣: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

[كشف الغمّة ١:٤٢٧].

٤١- قوله تعالى: 'فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ' سورة النور: ٣٧ - ٣٦: عن أنس وبريدة: قالا: قرأ رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله 'فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ' إلى قوله: 'الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ' فقام رجل فقال: أيّ بيوت هذه، يا رسول اللّٰه؟ قال: 'بيوت الأنبياء'. فقال أبو بكر: يا رسول اللّٰه، هذا البيت منها؟ يعني بيت عليّ عليه السلام وفاطمة عليهماالسلام؟ قال صلى الله عليه و آله: 'نعم، من أفاضلها'.

[كشف الغمّة ١:٤٣٨].

٤٢- قوله تعالى: 'وَاجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ' سورة الشعراء: ٨٤: عن أبي عبداللّٰه جعفر بن محمّد عليهماالسلام، قال: 'هو عليّ بن أبي طالب، عرضت ولايته على إبراهيم عليه السلام، فقال: اللّهمّ اجعله من ذرّيّتي، ففعل اللّٰه ذلك'.

[كشف الغمّة ٣:٤٣٨].

٤٣- قوله تعالى: 'مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا' سورة الأنعام: ١٦٠: عن عليّ عليه السلام، قال: 'الحسنة حبّنا أهل البيت، والسيّئة بغضنا. من جاء بها أكبّه اللّٰه على وجهه في النّار'.

[كشف الغمّة ١:٤٤٠].

٤٤- قوله تعالى: 'اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ' سورة الأنفال: ٢٤: عن أبي جعفر عليه السلام: 'دعاكم إلى ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام'.

[كشف الغمّة ١:٤٤٠].

٤٥- قوله تعالى: 'فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُم سَيِّآتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ' سورة آل عمران: ١٩٥: عن عليّ بن إبراهيم، قوله تعالى: 'فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ' يعني أمير المؤمنين وسلمان وأبا ذرّ حين أُخرجوا، وعمّار الذين أُوذوا في اللّه، الحديث.

[كشف الغمّة ١:٤٤٠].

وعن الأصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السلام، قال: قال: 'رسول اللّه صلى الله عليه و آله في قوله تعالى: 'ثَوَاباً مِن عِندِ اللَّهِ' 'وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ' قال: أنت الثواب، وأنصارك الأبرار'.

[تفسير نور الثقلين ١:٤٢٥].

٤٦- قوله تعالى: 'وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا' سورة الكهف: ٢٩: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبي عبداللّه عليه السلام، فقال: 'نزلت هذه الآية هكذا:

[يعنى تفسيره هكذا].

'وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ' يعني ولاية عليّ عليه السلام 'فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ' الآية.

[تفسير عليّ بن إبراهيم ٢:٣٥].

٤٧- قوله تعالى: 'وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ' سورة يونس: ٧: عن عليّ بن إبراهيم، قال: الآيات أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: 'ما من آية أكبر منّي'.

[تفسير عليّ بن إبراهيم ١:٣٠٩].

٤٨- قوله تعالى: 'وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً' سورة النحل: ٩١: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، رفعه، عن أبي عبداللّه عليه السلام: 'لمّا نزلت الولاية وكان من قول رسول اللّه صلى الله عليه و آله بغدير خمّ: سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين، فقالوا: أمِن اللّه ورسوله؟ فقال لهم: نعم حقّاً من اللّه ورسوله، فقال: إنّه أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين،

يقعده اللَّه يوم القيامة على الصراط فيدخل أولياءه الجنّة، ويدخل أعداءه النّار، وأنزل اللَّه عزّ وجلّ: 'وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا' الآية، يعني قول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من اللَّه ورسوله'.

[تفسير عليّ بن إبراهيم ٢:٣٨٩].

٤٩- قوله تعالى: 'كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ' سورة الرعد: ٤٣: قال محمّد بن الحنفيّة: هو عليّ بن أبي طالب.

[كشف الغمّة ١:٤٢٩].

٥٠- قوله تعالى: 'سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ' سورة الصافّات: ١٣٠: قال ابن السائب: آل ياسين: آل محمّد "صلوات اللَّه عليهم".

[كشف الغمّة ١:٤٣٠].